# حياة الحيوان الكبرى

تأليف

كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري

المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

وضع حواشيه وقدم له

أحمد حسن بسج

دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها

الجزء الأول

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان. ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

**Exclusive rights by**

**Dar Al-Kotob Al-ilmiyah** Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

**Droits exclusifs à**

**Dar Al-Kotob Al-ilmiyah** Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

**الطبعة الثانية**

**٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ**

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

**Dar Al-Kotob Al-ilmiyah**
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
**Head office**
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

**Dar Al-Kutub Al-ilmiyah**
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
**Administration général**
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0743-7

9 782745 107435 90000>

**http://www.al-ilmiyah.com/**

**e-mail: sales@al-ilmiyah.com**
**info@al-ilmiyah.com**
**baydoun@al-ilmiyah.com**

بسم الله الرحمن الرّحيم

# المقدّمة

## عصر[1] المؤلف

**أولاً:**

عاش المؤلف كمال الدين الدّميري، في عصرين متجاورين، هما عصر دولة المماليك البحرية والمماليك البرجية، وقد عاصر من سلاطين الفترتين اثني عشر سلطاناً ابتداءً من عهد الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون الذي تقلد السلطنة سنة ٧٤٣ هـ حتى ٧٤٥ هـ، وانتهاء بالملك الناصر فرج بن برقوق المتوفى سنة ٨١٤ هـ.

**الحال السياسية:**

وإذا كانت الفترة الأولى قد تميّزت بنوع من الاستقرار السياسي، خصوصاً في بداياتها أيام بيبرس وقلاوون وابنه حسن، فإن هذا الأمر لم يكن مُتاحاً دائماً في الدولة الثانية، ولو أن العصر شهد سلاطين أقوياء مثل برقوق، وبرسباي، وغيرهما. ولكن الاضطرابات الداخلية لم تتوقف طيلة العصر، بسبب الشهرة إلى السلطة والتنافس عليها والحسد، وكثيراً ما كان يثور حاكم المنطقة ضد سلطانه، وكذلك القواد وكبار الأمراء، وكان الاستيلاء على السلطة في أي وقت أمر متاح للقادة الكبار في الجيش لأن السلطة شبه عسكرية، مركزية، والقواد العسكريون، يتمتعون بنفوذ واسع. والخليفة لا يملك إلا الاسم والتوقيع فحسب. وكذلك عامة الناس كانوا أبعد ما يكونون عن المتغيرات السياسية، وهم الذين يتحملون أوزار الانقلابات العسكرية والثورات دائماً.

**الحروب والأوضاع العسكرية:**

خاض المماليك، في الدولة البحرية، ومنذ قيامها، حروباً عدة مشرفة، كان أولها معركة عين جالوت سنة ٦٦٢ هـ التي أوقفت الزحف المغولي ووضعت له حداً، بل تراجع المغول بعد تلك المعركة منهزمين نحو الشرق، وتوالت المواجهات بعد ذلك، أيام الظاهر بيبرس الذي أمضى

---

(١) الدولة المملوكية الأولى (البحرية): ٦٤٨ هـ ــ ٧٨٤ هـ.
الدولة الثانية (البرجية): ٧٨٤ هـ ــ ٩٢٢ هـ.

سبعة عشر عاماً، وهي مدة سلطنته، مجاهداً مقاتلاً ضد الصليبيين والمغول، واستطاع أن يحرر الكثير من المواقع التي احتلها الفرنجة على سواحل الشام. والواقع إن هذه الفترة من حكم المماليك قد انقذت ما تبقى من بلاد الإسلام، وتصدت بشجاعة للغزوين المغولي والصليبي. وقد أعاد السلطان الظاهر بيبرس الخلافة العباسية إلى سابق مجدها وجعل القاهرة مقر الخلافة بعد سنة ٦٥٦ هـ حيث سقطت بغداد بأيدي المغول، واستمر الوضع العسكري على هذا المنوال في الدولة الثانية، حيث كان الفرنجة يحاولون النزول على سواحل الشام أو مصر بين وقت وآخر، فكانوا يتصدون لهم، وببسالة، حتى إن برسباي تعدى ذلك إلى أن غزا قبرس وأسر ملكها وغنم الغنائم العظيمة.

أما الحجاز، أيام الدولة الثانية، فكان يخضع للسلطة المركزية، في القاهرة، وكان السلاطين، يتدخلون عند الضرورة، لفض النزاعات على الحكم في مكة وما يليها. كما امتدت سلطة الدولة المملوكية إلى اليمن والسواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية.

**الحال الاجتماعية:**

إن التنافس على السلطة، والمعارك الجانبية التي كانت تشب هنا وهنالك في مصر والشام، بالإضافة إلى المواجهات العنيفة ضد المغول ومن بعدهم الفرنجة الصليبيين، كانت تستنزف الطاقات المالية والاقتصادية في مصر، مما دفع الكثير من الملوك لفرض ضرائب جديدة كلما دعت الحاجة، مما أثقل كاهل الناس، خصوصاً في مصر. ولم يقتصر الأمر، على الإنفاق الحربي، لكن اشتركت عوامل أخرى في تعقيد الأحوال المعيشية، من ذلك: الطاعون[1] والأوبئة الأخرى التي كانت تتفشّى من وقت لآخر فيذهب آلاف الناس ضحية لذلك، وبالتالي ينعكس الأمر سلباً على البلاد لفقدان الأيدي العاملة في الزراعة وفي الحرف الأخرى، وأكثر ما يلاحظ ذلك في الدولة الثانية، حيث تفاقمت الضرائب[2]، وازدادت المصادرات، وتغلب الجند على مقدّرات البلاد والعباد، وكثرت ثورات الأعراب، خصوصاً في صعيد مصر. ويضاف على ذلك، ما كان يسببه انخفاض النيل من أزمة في ري المزروعات فتقل المواسم وترتفع الأسعار، ويكثر السلب والنهب والمصادرات.

أما طبقات الشعب، فكانت الطبقة الحاكمة، طبقة المماليك السلاطين، والأمراء، والجنود ومعظمهم كانوا يتحدرون من أصول غير عربية، وبعضهم لم يكن يتكلم العربية. وعامة الشعب، وتنقسم إلى تجار متوسطي الحال، والسواد الأعظم من الناس من المزارعين والفقراء.

**الحال الثقافية:**

إن الأوضاع السياسية، غير المستقرة، والأحوال الاقتصادية المتدهورة، والحروب التي لا

---

(١) مطالعات في الشعر المملوكي: ٤٦.

(٢) بدائع الزهور: ٥٩/٣.

تكاد تتوقف، حتى تشتعل في غير مكان، كل ذلك كان عائقاً في وجه أي نهضة علمية شاملة، ولم يكن من السهل تخطي ذلك الواقع، خصوصاً وأن بغداد عاصمة العلم والحضارة في المنطقة كلها قد سقطت وضاع بسقوطها تراث أجيال، في العلوم المختلفة، وتشتت أهل العلم، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من هام على وجهه ينشد الأمن والنجاة، وكان لحسن حظ بعضهم أن يمموا شطر مصر، فأفادوا منها وأعطوها من غزير علومهم، وبذلك تحوّلت الحركة العلمية إلى القاهرة فتوافد أهل العلـم من جميع الأقطار الإسلامية، والعربية، إلى عاصمة الخلافة، نظراً لما تحتله هذه العاصمة من مكانة في قلوب أهل الإسلام باعتبارها ترفع راية الجهاد ضد قوى الطغيان والغزو، فضلاً عن الرعاية التي لقيها أهل العلم في العهود المختلفة وفي الدولتين.

ورعاية المماليك للعلم والعلماء، تتمثل بإقـامتهم للمدارس، وقـد اوقفوا لهـا الأوقاف، واجروا الرواتب على المعلمين والمتعلمين، واهتموا بالمساجد، فعينوا لها الخطبـاء والأئمة حتى غدت هي أيضاً مراكز علمية مشعة، فمن المساجد التي لعبت دوراً بارزاً في النهضة، الجامع الأزهر وقد ساهم في إحياء العلوم المختلفة، علوم اللغة والطب والرياضيات والموسيقى والحديث النبوي وعلوم القرآن وغير ذلك من علوم العصر، ومن المساجد التي لعبت الدور نفسه، جامع العطارين بالاسكندرية، وجامع دمياط، وجامع اسيوط، وقوص، وقفط. كما رعى السلاطين المدارس الدينية التي كانت تدرس الفقـه على المذاهب الأربعة، وجامع عمرو بن العاص الذي كان يضم أربعين حلقة.

ومن الجدير بالذكر، أن ديوان الإنشاء كان من المؤسسات التي ساهمت في الإبقـاء على العربية كلغة للتأليف والكتابة، باعتبار أن هذا الديون، هو الأكثر نشاطاً في حقل الكتابة، فهو السجل الرسمي للدولة وفيه تدون كافة الوثائق الصادرة، والواردة، وكان يقوم بذلك كتاب أدباء بلغاء عملوا على إغناء العربية بأساليبهم الرفيعة، ولو طغى عليها بعض التصنع في بعض الأحيان. ولا يفوتنا أن ننوه بما كان للقضاء من دور مميز، هو الآخر، حمل عبئاً غير قليل في التَّمْكِين للعربية ولأساليب التعبير من خلال ما يـدونه القضـاة من عهود ومـواثيق وأحكام. ونـظراً لما تقـدم، فباستطاعتنا أن نرصد مئات الأعلام، علماء وأدباء، فمن المؤرخـين أبو المحـاسن، يوسـف بن تغري بَردي المتوفى سنة ٨٧٤ هـ، وشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ، وتقي الدين المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ. وابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ. وفي اللغة والأدب: جلال الدين السيوطي المتوفى سنـة ٩١١ هـ والذي تعـد مؤلفاتـه بالعشرات في كـل علم وفن: في التفسير والحديث والفقه واللغة والنحو، وابن تيميه المتوفى سنة ٧٢٨ هـ.

ومن الجدير بالذكر أن أهل السلطة كانوا يقربون أهل المعرفة والأدب، ولكنهم تشددوا مع المنحرفين عن الدين، ومع أهل الفلسفة، ومن أهل الفلسفة التفتازاني سعد الدين، وعبد الرحمن الإيجي ونصير الدين الطوسي، وغيرهم.

وقد تنافس أهل العلم في اقتناء الكتب وجمعها، حتى ليقال إن نجم الدين بن حجي[1] ترك بعد وفاته ثلاثة آلاف مجلد من الكتب النفيسة. وذكر المقريزي، في القاهرة وحدها أربع عشرة مكتبة عامة. ولم تكن دمشق تقل شأناً في هذا المجال، وعرف فيها من المدارس العمرية والناصرية، وخزانة للكتب.

وفي حلب عُرفت نهضة علمية، تمثلت بعدد المدارس التي كانت فيها حتى اجتياح تيمورلنك لها سنة ٨٠٣ هـ. إذ بلغ عدد مدارسها ثلاثمائة مدرسة، دمرها الغزو المغولي في ذلك الوقت، ولكن نشأت مدارس أخرى منها: الشعبانية، والعثمانية، والمنصورية، والخسروية[2]، وكانت لها أوقاف جارية.

وعلى وجه العموم، فإن العصر المملوكي، بفترتيه، عرف نشاطاً ثقافياً ملحوظاً، في سائر العلوم والفنون، للأسباب التي أشرنا إليها حتى عدّت المؤلفات بعشرات الآلاف في مدة زمنية لم تتجاوز ثلاثمائة عام، تعاقب خلالها على الحكم سلاطين أشدّاء، وجهوا همهم إلى الحرب والجهاد، ولكنهم لم يغفلوا أبداً عن تشجيع العلوم وتقريب العلماء، فلا يخلو عصر أحد منهم من بناء جامع أو مدرسة، أو مكتبة كما فعل قلاوون، وابنه الناصر، والملك الظاهر جقمق، وبيبرس وقايتباي وقانصوه الغوري. وبعضهم كان مثقفاً كالمؤيد شيخ الذي كان «يركز الفن وينظم الشعر، وله أشياء كثيرة من الفن دائرة بين المغنين الآن»[3].

## ترجمة المؤلف[4]

**اسمه ونسبه:**

محمد بن موسى بن عيسى بن علي الكمال أبو البقاء، الدَّمِيري الأصل، القاهري الشافعي. كان اسمه كمالاً بغير إضافة، وكان يكتبه كذلك بخطه في كتبه ثم تسمّى محمداً، وصار يكشط الأول، وكأنه، لتضمنه نوعاً من التزكية مع هجر اسمه الحقيقي.

**نشأته وشيوخه:**

ولد في القاهرة سنة ٧٤٢ هـ، وتكسّب بالخياطة، ثم أقبل على العلم، فسمع جامع الترمذي على مظفرّ الدين العطار المصري، وعلى علي بن أحمد العُرْضي الدمشقي. كما سمع بالقاهرة من عبد الرحمن بن علي الثعلبي، ومن محمد بن علي الخزاوي: كتاب «الخيل» للحافظ

---

(١) فقيه وقاض توفي في القاهرة سنة ٨٨٨ هـ. انظر: مطالعات في الشعر المملوكي: ٦٧.

(٢) المصدر السابق: ٦٥.

(٣) تاريخ ابن إياس: ٢/٩.

(٤) انظر ترجمة المؤلف في: الضوء اللامع للسخاوي: ١٠/٥٩. وفيه: أن اسم المؤلف كان «كمالاً» بغير إضافة ثم تسمّى محمداً». العقد الثمين: ٢/٣٧٢. الأعلام: ٧/١١٨.

شرف الدين الدمياطي عنه. كما سمع «العلم» للمُرهِبي، ومن غيرهما شيوخهما.

وفي مكة المكرمة، سمع من الجمال محمد بن أحمد بن عبد المعطي: صحيح ابن حبّان، وغير ذلك. وسمع فيها سنن ابن ماجه، ومسند الطيالسي، ومسند الشافعي، ومعجم ابن قانع، وأسباب النزول للواحدي، والمقامات الحريرية وغير ذلك، على كمال الدين محمد بن عمر بن حبيب الحلبي.

وممن أخذ عنهم الشيخ بهاء الدين أحمد بن الشيخ تقي الدين السُّبكي، وقد أجاز له النويري أبو الفضل كمال الدين بالفتوى والتدريس بناء على طلب السبكي.

ومن شيوخه في الفقه جمال الدين عبد الرحيم الإسنائي، وفي الأدب الشيخ برهان الدين القيراطي.

**مؤلفاته:**

وقد برع الدميري، في التفسير والحديث والفقه وأصوله، والعربية والأدب، وله تصانيف في العلوم المختلفة منها:

١ ـ الديباجة، في شرح سنن ابن ماجه، وهو في خمس مجلدات.
٢ ـ النجم الوهّاج، في شرح المنهاج للنواوي.
٣ ـ حياة الحيوان الكبرى، وقد اختصره التقي[1] الفاسي سنة ٨٢٢ هـ.
٤ ـ أرجوزة في الفقه.
٥ ـ التذكرة.
٦ ـ شعر ونظم.
٧ ـ مختصر شرح لامية العجم للصفدي.

**سيرته وطلابه:**

كان خيراً عابداً، صائماً، وكان تصدى للتدريس والإفتاء في أماكن كثيرة من القاهرة منها: الجامع الأزهر وكانت له حلقة ودرس أسبوعي. ودرّس الفقه في القبّة من خانقاه بيبرس بالقاهرة.

من أهم تلاميذه، الذين أخذوا عنه الحديث التقي الفاسي، في مصر والإمام صلاح الدين خليل بن الأقفهي، في مكة المكرمة.

وقد ذكّر ووعظ في مدرسة ابن البقري، وجامع الظاهر بالحسينية، كما درّس وأفتى أثناء مجاوراته في مكة المكرمة، وكان نزلها لأول مرة سنة ٧٦٢هـ، فجاور ثم حج وكرر ذلك مراراً وتزوّج ورزق اولاداً، وكان حجه الأخير سنة ٨٠٠ هـ، وانصرف من حجه ذلك إلى القاهرة حيث مات فيها سنة ٨٠٨ هـ، ودفن في مقابر الصوفية بسعيد السعداء.

---

(١) تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ.

**منهج المؤلف**

إن الدميري، قد رتّب كتابه على حروف المعجم، وضمنه من أسماء الحيوانات ما تنامى إلى سمعه، ومن مصادر كثيرة ومختلفة تتراوح ما بين كتب يونانية وعربية قديمة أو ما كان قريباً لعهد المؤلف، الذي اطلع على تلك الكتب، المتخصصة في عالم الطب والحيوان، ووعى ما فيها، ونقّحها، وطرح جانباً ما لم يقتنع به، وأقرّ ما رأى عليه إجماعاً لدى العلماء، ومع حذره الشديد، فإنه قد أبقى على معلومات كثيرة، غريبة وعجيبة، ولكنه نقلها على ذمة أصحابها وناقليها، فأيّد كل مروياته بإسنادها إلى رواتها، بالتسلسل المعروف وصولاً إلى المنشإ الأساس، ولم يفته أن يرد، حيث يقتضي الأمر، على الأغاليط.

أما طريقته في عرض المعلومات، فإنه يبدأ بوصف الحيوان، بعد أن يضبط اسمه ضبطاً تاماً بالشكل، ويعرّف بالأصل اللغوي له، ويقدم بعد ذلك عرضاً لبعض الأخبار والمرويات التي تدل على طبائع ذلك الحيوان، وفي هذا الإطار يستحضر طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، والآيات القرآنية الكريمة التي لها علاقة بالموضوع، فضلاً عما جاء حوله من أشعار قديمة، وأمثال وحكم. ثم يورد ما قاله الفقهاء في شأن الحيوان المذكور من حيث الحكم الشرعي في أكله أو عدمه، يؤيد ذلك بالأقوال المختلفة، وبأحاديث نبوية وآيات كريمة، وينتهي إلى ذكر الخواص الطبية من المنافع والمضار من لحم ذلك الحيوان أو غيره.

**منهج التحقيق**

اعتمدت في تحقيق الكتاب، الطبعة المصرية، التي توزعها مكتبة محمود توفيق الكتبي بمصر، وهي طبعة قديمة، لا تخلو من الأخطاء، وتقع في مجلدين كبيرين، وصفحاتها كبيرة يزيد عدد الأسطر في كل صفحة على ثلاثين سطراً، وعدد كلمات كل سطر يتراوح ما بين خمس عشرة إلى عشرين كلمة.

ولقد قمت بضبط نصوص الكتاب، بوضع علامات الوقف، والحركات المناسبة في أواخر الكلمات حيث يلزم. ثم حددت بدايات: للمقاطع والفقرات، وانتقلت بعد ذلك إلى تحقيق الكتاب، بتخريج الأبيات الشعرية من مصادرها في الدواوين، وفي أمهات كتب الأدب والتاريخ، وخرّجت الآيات، والأحاديث النبوية ما أمكنني، ولم اهتد إلى بعض الأحاديث فتركتها، ولم أشر إلى ذلك. كما خرّجت أمثال الكتاب، وعرّفت بأعلامه وخصوصاً الشعراء، بإشارات سريعة، ولم اتوقف على الدقائق، والتفاصيل لغير حاجة.

وبعد، فإن ما قمت به، ما هو إلا محاولة متواضعة، أرجو أن أكون قد وفقت في مسعاي، لإخراج هذا الكتاب في حلة جديدة تليق به، داعياً المولى عز وجل أن ينفعنا به، إنه سميع مجيب.

**والله الموفق**

**أحمد حسن بسج**

**بيروت في ١٧ جمادى الأولى ١٤١٤ هجرية**

**الموافق ١/١١/١٩٩٣ رومية**

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرف نوع الإنسان، بالأصغرين: القلب واللسان، وفضله على سائر الحيوان بنعمتي المنطق والبيان، ورجحه بالعقل الذي وزن به قضايا القياس في أحسن ميزان، فأقام على وحدانيته البرهان. أحمده حمداً يمدنا بمواد الإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي لا يدرك كنه ذاته بالحدود والرسوم ذوو الأذهان، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المخصوص بالآيات البينات كل البيان، صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، صلاة وسلاماً يدومان ما دام الملوان، ويبقيان في كل زمان وأوان.

وبعد، فهذا كتاب لم يسألني أحد تصنيفه، ولا كلفت القريحة تأليفه، وإنما دعاني إلى ذلك أنه وقع في بعض الدروس، التي لا تخبأ فيها لعطر بعد عروس، ذكر مالك الحزين والذيخ المنحوس، فحصل في ذلك ما يشبه حرب البسوس، ومزج الصحيح بالسقيم، ولم يفرق بين نسر وظليم، وتحككت العقرب بالأفعى، واستنت الفصال حتى القرعى، وصيروا الأروى مع النّعام ترعى، وقضوا باجتماع الحوت والضب قطعاً، واتخذ كل أخلاق الضبع طبعاً، ولبس[1] جلد النمر أهل الإمامة، وتقلدها الجميع طوق الحمامة.

والقــومُ إخــوانٌ وشتى في الـشيَـمْ وقيــل في شـأنهم: اشتــدي زِيَمْ[2]

وظن الكبير أنه «أصدق من القطا»[3] وأن الصغير كالفاختة غلطاً، وصار الشيخ الأفيق، كذات التحيين والمعبد ذو التحقيق كالراجع بخفي حنين[4] والمقيد كالأشقر تحيراً، والطالب كالحباري تحسراً، والمستمع يقول: كـل الصيد في جوف الفرا[5] والنقيب كصافر يكرر «أطرق كرا»[6] فقلت عند ذلك في بيته يؤتى الحكم، وبإعطاء القوس باريها[7] تتبين الحِكم، وفي الرهان سابق الخيل يرى، «وعند الصباح يحمد القوم السُّرى»[8] واستخرت الله تعالى وهو الكريم

---

(١) لبس جلد النمر:
كناية عن المجاهرة بالعداوة.

(٢) زِيَم: إسم فرس.

(٣) جمهرة الأمثال: ١/٤٧٩.

(٤) يضرب لمن يرجع خائباً.

(٥) جمهرة الأمثال: ٢/١٣٥.

(٦) جمهرة الأمثال: ١/١٥٨.

(٧) جمهرة الأمثال: ١/٦٦.
والمثل: أعط القوس باريها.

(٨) جمهرة الأمثال: ٢/٣٨.

المنان، في وضع كتاب في هذا الشأن وسميته حياة الحيوان، جعله الله موجباً للفوز في دار الجنان، ونفع به على ممر الأزمان، إنه الرحيم الرحمن ورتبته على حروف المعجم، ليسهل به من الأسماء ما استعجم.

## باب الهمزة

الأسد: من السباع معروف، وجمعه أسود وأسْد وآسْد وآساد والأنثى أسدَة وفي حديث [١] أم زرع: «زوجي إنْ دخل فهد، وإن خرج أسد». وله أسماء كثيرة، قال ابن خالويه: للأسد خمسمائة اسم وصفة. وزاد عليه علي بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثين اسماً فمن أشهرها: أسامة والبيهس والنآج والجخدب والحارث وحيدرة والدوّاس والرئبال وزفر والسبع والصّعب والضّرغام والضّيغم والطيثار والعنبس والغضنفر والفرافصة والقسْورة وكهمس والليث والمتأنّس والمتهيّب والهرماس والورد. وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. ومن كناه أبو الأبطال وأبو حفص وأبو الأخياف وأبو الزعفران وأبو شبل وأبو العباس وأبو الحارث.

وإنما ابتدأنا به لأنه أشرف الحيوان المتوحش؛ إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب، لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وجهامته وشراسة خلقه، ولذلك يضرب به المثل في القوّة والنجدة والبسالة وشدّة الإقدام والجراءة والصّولة. ومنه قيل لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه: أسد الله ويقال: من نبل الأسد أنه اشتق لحمزة بن عبد المطلب من اسمه، وكذلك لأبي قتادة، فارس النبي ﷺ. ففي صحيح مسلم، في باب إعطاء القاتل سلب المقتول. فقال[٢] أبو بكر رضي الله عنه: «كلا والله لا يعطيه أضيبعا من قريش، ويدع أسداً من أسد الله تعالى يقاتل عن الله ورسوله». وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الضاد المعجمة.

وهو أنواع كثيرة، قال أرسطو: رأيت نوعاً منها يشبه وجه الإنسان، وجسده شديد الحمرة، وذنبه شبيه بذنب العقرب، ولعل هذا هو الذي يقال له الوَرد. ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر، وأما السبُع المعروف فإن أصحاب الكلام في طبائع الحيوان، يقولون: إن الأنثى لا تضع إلّا جرواً واحداً تضعه لحمة ليس فيه حسٌ ولا حركة، فتحرسه كذلك ثلاثة أيام، ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ فيه، المرة بعد المرة، حتى يتنفس ويتحرك وتنفرج أعضاؤه، وتتشكل صورته، ثم تأتي أمه فترضعه، ولا يفتح عينيه إلّا بعد سبعة أيام من تخلقه، فإذا مضتْ عليه بعد ذلك ستة أشهر، كلّف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب. قالوا: وللأسد من الصبر على الجوع، وقلة الحاجة إلى الماء، ما ليس لغيره من السباع. ومن شرف نفسه: أنه لا يأكل من فريسة غيره، فإذا شبع من فريسته تركها، ولم يعد إليها، وإذا جاع ساءت أخلاقه، وإذا امتلأ من الطعام ارتاض، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب: وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

---

(١) رواه البخاري في النكاح: ٨٢. ومسلم في الفضائل: ٩٢.

(٢) رواه مسلم في الجهاد: ٤٢. والبخاري في الأحكام: ٢١.

وأتـرك حـبّـهـا مـن غـير بـغض ... وذاك لـكـثرة الشركـاء فـيـهِ
إذا وقـع الـذبـابُ عـلى طـعـام ... رفـعـتُ يـدي ونـفسي تـشـتـهـيـه
وتجـتـنـب الأسـودُ ورودَ مـاءٍ ... إذا كـان الـكـلابُ ولـغـن فـيـه

وقد ألغز بعضهم في القلم فقال(١):

وأرقش مـرهـوف الـشبـاةِ مهفهف ... يشتّت شمـلَ الخطب وهـو جميـعُ
تـدين لـه الآفـاقُ شرقـاً ومغـربـاً ... وتـعـنـو لـه مـلاكُـهـا وتـطيـع
حمى الملك مفـطوماً كـما كـان تحتمي ... بـه الأُسْدُ في الآجام وهـو رضيـعُ

وإذا أكل نَهَس من غير مضغ، وريقه قليل جداً، ولذلك يوصف بالبخر، ويوصف بالشجاعة والجبن، فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك، ونقر الطست، ومن السنور، ويتحير عند رؤية النار، وهو شديد البطش، ولا يألف شيئاً من السباع لأنه لا يرى فيها ما يكافئه، ومتى وضع جلده على شيء من جلودها تساقطت شعورها، ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد، ولا يزال محموماً، يعمِّر كثيراً وعلامة كبره سقوط أسنانه؛ روى ابن سبع السبتي، في شفاء الصدور، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أنه خرج في بعض أسفاره، فبينما هو يسير إذ هو بقوم وقوف، فقال: ما لهؤلاء القوم؟ قالوا: أسد على الطريق قد أخافهم، فنزل عن دابته ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه، ونحاه عن الطريق، ثم قال له: ما كذب عليك رسول الله ﷺ بقوله:

«إنما سلطت على ابن آدم لمخافته غير الله، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله تعالى لم تسلط عليه ولو لم يرجُ إلا الله تبارك وتعالى لما وكله إلى غيره.

وفي سنن أبي داود، من حديث(٢) عبدالرحمن بن آدم، وليس له عنده سواه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض وكأن رأسه يقطر، ولم يصبه بلل، وأنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويفيض المال وتقع الأمنة في الأرض، حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات ولا يضر بعضهم بعضاً؛ ثم يبقى في الأرض أربعين سنة، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه.

وفي الحلية لأبي نعيم، في ترجمة ثور بن يزيد، قال: بلغني أن الأسد لا يأكل إلاّ من أتى محرّماً. وقصة سفينة مولى رسول الله ﷺ، مع الأسد مشهورة، رواه البزار والطبراني وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم.

وذكر البخاري في تاريخه أنه بقي إلى زمن الحجاج، روى محمد بن المنكدر عنه أنه قال:

---

(١) وفيات الأعيان: ٥/٣٧٤. وقائله مجهول.
(٢) رواه أبو داود في الملاحم: ١٤. والبخاري في المظالم: ٣١.

«ركبت سفينة في البحر فانكسرت، فركبت لوحاً فأخرجني إلى أجَمَة فيها أسد، فأقبل إلي فقلت: أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، وأنا تائه فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق، ثم همهم، فظننت أنه السلام».

وفي دلائل النبوة للبيهقي، عن ابن المنكدر أيضاً، أن سفينة، مولى رسول الله ﷺ، أخطأ الجيش بأرض الروم، وأسر في أرض الروم، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد فقال له: «يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد يبصبص، حتى قام إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، فرجع الأسد».

واختلف في اسم سفينة رضي الله عنه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وقيل عمير. روى مسلم له حديثاً واحداً والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ودعا النبي ﷺ، على عتبة بن أبي لهب، فقال: «اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك» فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشأم. رواه الحاكم من حديث أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه وقال صحيح الإسناد.

وروى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى الأسود بن هبّار قال: تجهز أبو لهب وابنه عتبة نحو الشأم، فخرجت معهما فنزلنا الشراة قريباً من صومعة راهب، فقال الراهب: ما أنزلكم ههنا؟ هنا سباع فقال أبو لهب: أنتم عرفتم سني وحقي، قلنا: أجل. قال: إن محمداً دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة، ثم افرشوا لابني عليه، وناموا حوله، ففعلنا ذلك وجمعنا المتاع حتى ارتفع، ودرنا حوله، وبات عتبة فوق المتاع، فجاء الأسد فشم وجوهنا ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فقطع رأسه فقال: سيفي يا كلب ولم يقدر على غير ذلك وفي رواية فوثب الأسد فضربه بيده ضربة واحدة فخدشه فقال: قتلني فمات لساعته وطلبنا الأسد فلم نجده. وإنما سماه النبي ﷺ كلباً لأنه يشبهه في رفع رجله عند البول.

**فائدة:** روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال(١): «فر من المجذوم فرارك من الأسد».

وفي حديث آخر أنه ﷺ أخذ بيد مجذوم وقال(٢): «بسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه وأدخلها معه الصَّحفة».

قال الشافعي رحمه الله في عيوب الزوجين: إن الجذام والبرص يعدي وقال: إن ولد المجذوم قلما يسلم منه. قلت ومعنى قول الشافعي رضي الله عنه إنه يعدي، أي بتأثير الله تعالى لا بنفسه، لأن الله تعالى أجرى العادة بابتلاء السليم عند مخالطة المبتلي، وقد يوافق قدراً وقضاء، فيظن أنه عدوى. وقد قال(٣) ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة»، كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى. وأما

---

(١) رواه البخاري في الطب: ١٩، وفيه: «كما تفر من..».

(٢) رواه الترمذي في الأطعمة: ١٩.

(٣) رواه البخاري في البيوع: ٣٦. ومسلم في السلام: ١٠٢ ـ ١٠٩.

قوله في الولد: «قلما يسلم منه» فقد قال الصيدلاني: معناه أن الولد قد ينزعه عرق من الأب فيصير أجذم. وقد قال[1] ﷺ لرجل قال له: إن امرأتي قد ولدت غلاماً أسود «لعل عرقاً نزعه» وبهذا الطريق يحصل الجمع بين هذه الأحاديث.

وجاء في الحديث أنه ﷺ[2]: «لا يورد ذو عاهة على مصح» وإنه ﷺ أتاه مجذوم ليبايعه، فلم يمد يده إليه بل قال[3] له: «أمسك يدك فقد بايعتك».

وفي مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «لا تطيلوا النظر إلى المجذوم، وإذا كلمتموه فليكن بينكم وبينه قدر رمح».

وقد ذكر الشيخ صلاح الدين العراقي، في القواعد، أن الأم، إذا كان بها جذام أو برص، سقط حقها من الحضانة، لأنه يخشى على الولد من لبنها ومخالطتها، واستدل بقوله[4] ﷺ: «لا يورد ذو عاهة على مصح». والذي ذكره ظاهر وهو المختار. ويؤيد ما أفتى به ابن تيمية[5] صاحب المحرر، من الحنابلة رحمه الله وصرح به أئمة المالكية، أن المبتلي لو أراد مساكنة الأصحاء في رباط أو غيره، منع إلّا بإذنهم. ولو كان ساكناً وابتلي أزعج وأخرج. وأما أصحابنا فصرّحوا بأن الأمَة إذا كان سيدها مجذوماً وجب عليها تمكينه من الاستمتاع وهذا مع إشكاله قد أورد في الروضة في الزوجة المختارة للمقام مع الزوج المجذوم، وقد يفرق بينهما بقوة الملك. والله أعلم.

وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ، قال لامرأة: «أكلك الاسد فأكلها».

وروى الطبراني وأبو منصور الديلي، والحافظ المنذري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما يقول الأسد في زئيره؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنه يقول: اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف».

**فائدة أخرى**: روى ابن السني، في عمل اليوم والليلة، من حديث داود بن الحصين، عن عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنه قال: «إذا كنت بواد تخاف فيه الأسد، فقل: أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد ا هـ.[6]

أشار بذلك إلى ما رواه البيهقي في الشعب: أن دانيال عليه السلام طرح في جب وألقيت

---

(١) رواه الترمذي في الولاء: ٤. وابن ماجه في النكاح: ٥٨.

(٢) رواه مسلم في السلام: ١٠٤. والبخاري في الطب: ٥٣ وفيه: «لا يورد ممرض..».

(٣) رواه مسلم في السلام: ١٢٦. وابن ماجه في الطب: ٤٤، وروايته: إنا قد بايعناك».

(٤) رواه الإمام أحمد: ١/٧٨ ـ ٢٣٣.

(٥) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس. اشتغل في الفقه، أقام في دمشق، وطلب إلى مصر وسجن فيها لفتوى أفتاها، ثم عاد إلى دمشق فاعتقل ثم اطلق ثم اعتقل ومات في السجن سنة ٧٢٨ هـ. له مؤلفات كثيرة. الأعلام: ١/١٤٤.

(٦) ما ورد في سنن أبي داود: «أعوذ بالله من شر كل أسد وأسوَد. وكذا رواه الإمام أحمد: ٢/١٣٢.

عليه السباع، فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه، فأتاه ملك فقال: يا دانيال فقال: من أنت؟ فقال: أنا رسول ربك أرسلني إليك بطعام. فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره. اهـ.

وروى ابن أبي الدنيا أن بختنصر ضرّى أسدين، وألقاهما في جب، وأمر بدانيال فألقي عليهما، فمكث ما شاء الله، ثم إنه اشتهى الطعام والشراب، فأوحى الله تعالى إلى أرمياء، وهو بالشأم، أن يذهب إلى دانيال بطعام وشراب، وهو بأرض العراق، فذهب به إليه، حتى وقف على رأس الجب، وقال: دانيال دانيال، فقال: من هذا؟ فقال: إرْمِيا فقال: ما جاء بك؟ قال: أرسلني إليك ربك فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه، والحمد لله الذي من وثق به لا يكله إلى سواه، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة وغفراناً، والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل منا.

ثم روى ابن أبي الدنيا من وجه آخر أنّ الملك الذي كان دانيال في سلطانه، جاءه المنجمون وأصحاب العلم، فقالوا له: إنه يولد في ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك، فأمر بقتل كل من يولد في تلك الليلة. فلما ولد دانيال ألقته أمه في أجمة أسد ولبوة، فبات الأسد ولبوته يلحسانه، فنجاه الله تعالى بذلك حتى بلغ ما بلغ، وكان من أمره ما قدره العزيز العليم.

ثم روى بإسناده عن عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه أنه قال: رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه خاتماً نقشُ فصِّه أسدان، بينهما رجل، وهما يلحسان ذلك الرجل، فقال أبو بردة: هذا خاتم دانيال، أخذه أبو موسى حين وجده ودفنه فسأل أبو موسى علماء تلك البلدة عن ذلك، فقالوا: إن دانيال نقش صورته وصورة الأسدين، وهما يلحسانه، في فص خاتمه كما ترى لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك. اهـ. فلما ابتلي دانيال عليه السلام بالسباع، أوّلاً وآخراً، جعل الله تعالى الإستعاذة به في ذلك تمنع شر السباع التي لا تستطاع.

وفي المجالسة للدينوري، عن معاذ بن رفاعة، قال: مر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام فسمع صوتاً من القبر يقول: سبحان من تعزز بالقدرة، وقهر العباد بالموت، فمضى فإذا هو بصوت من السماء أنا الذي تعززت بالقدرة، وقهرت العباد بالموت، من قالهن استغفرت له السموات السبع، والأرضون السبع، ومن فيهن. وكان دانيال عليه السلام، قد أتاه الله تعالى النبوة والحكمة، وكان في أيام بختنصر. قال أهل التاريخ: إن بختنصر أسر دانيال مع من أسر من بني إسرائيل، وحبسهم ثم رأى بختنصر رؤيا أفزعته وعجز الناس عن تعبيرها ففسرها دانيال فأعجبه وأكرمه، قالوا: وقبره بنهر السوس[1] ووجده أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فأخرجه وكفنه وصلّى، ثم قبره في نهر السوس وأجرى عليه الماء.

وفي المجالسة أيضاً، قال عبدالجبار بن كليب: كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر فعرض لنا

---

(١) السُّوس: بلدة في خوزستان فيها قبر دانيال عليه الصلاة والسلام.

الأسد فقال إبراهيم: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا، لا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله. قال فولى الأسد عنا هارباً. قال: فأنا أدعو به عند كل أمر مخوف فما رأيت إلا خيراً.

فائدة: قال بعض العلماء المحققين: ومما جرب لإذهاب الخوف والهم والغم أن يكتب هاتين الآيتين، ويحملها فإن الله تعالى يبارك له في جميع أحواله، وينصره على أعدائه، وهما ينفعان للأمراض الباطنة، وكل ألم يحدث في بدن الإنسان، وكل آية منهما تجمع الحروف المعجمة بأسرها، وتكتب في إناء نظيف وتمحى بدهن ورد، أو زيت طيب، أو شيرج يطلى به الألم كالدمل والطلوع والحرارة والريح والثآليل والنفخ والقروحات بأسرها فإنه يزول ويبرأ من يومه في الغالب كما جرب مراراً وهما من الأسرار المخزونة كذا قاله شيخنا اليافعي رحمه الله.

الآية الأولى من سورة آل عمران قوله[1] تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عليم بذات الصدور﴾. الآية الثانية من سورة الفتح قوله تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ إلى آخر السورة انتهى. وذكر بعض أهل التاريخ، أن ملكاً من الملوك خرج يدور في ملكه فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفرداً فأخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية، وطلب ماء فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز فيه ماء، وناولته إياه فلما نظرها افتتن بها فراودها عن نفسها، وكانت المرأة عارفه به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه، فدخلت وأخرجت له كتاباً وقالت انظر في هذا إلى أن أصلح من أمري ما يجب وأعود فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه فإذا فيه الزجر عن الزنا، وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم، فاقشعر جلده، ونوى التوبة، وصاح بالمرأة، وأعطاها الكتاب، ومر ذاهباً وكان زوج المرأة غائباً فلما حضر زوجها أخبرته الخبر، فتحير الزوج في نفسه، وخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها، فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة، فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه إلى الملك فلما مثل بين يدي الملك، قال أقارب المرأة: أعز الله مولانا الملك، إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضاً للزراعة، فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن يزرعها، وقد حصل الضرر للأرض، ونخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت، فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع أرضك؟ فقال: أعز الله مولانا الملك إنه قد بلغني أن الأسد دخل أرضي، وقد هبته، ولم أقدر على الدنو منها لعلمي بأن لا طاقة لي بالأسد ففهم الملك القصة فقال: يا هذا إن أرضك أرض طيبة صالحة للزرع فازرعها بارك الله لك فيها، فإن الأسد لن يعود إليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه.

وفي تاريخ ابن خلكان أنه لما دخل المازيار على المعتصم وكان قد اشتد غضبه عليه فقيل له يا أمير المؤمنين لا تعجل، فإن عنده أموالاً جمة، فأنشد المعتصم بيت أبي تمام[2]:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٢) أبو تمام: حبيب بن أوس الشاعر العباسي المشهور توفي سنة ٢٣٢.

إنّ الأسودَ أسودُ الغاب هِمّتُها     يومَ الكريهةِ في المسلوبِ لا السلبِ[1]

وقد أحسن خالد الكاتب[2] حيث قال:

علم الغيث الندى حتى إذا     ما وعاه علم البأس الأسد
فإذا الغيثُ مقرٌّ بالندى     وإذا الليث مقر بالجلد

ومن شعره:

ظفرَ الحب بقلب دنِف     بك والسقم بجسم ناحل[3]
وبكى العاذل لي من رحمتي     فبكائي لبكاء العاذل[4]

وكان خالد شيخاً كبيراً تأخذه السوداء أيام الباذنجان، وكان الصبيان يتبعونه ويصيحون به يا خالد يا بارد؛ فأسند ظهره يوماً إلى قصر المعتصم وقال لهم: كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول:

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته     وكم مسعد من مثله ومعين[5]
ورقّت دموع العين حتى كأنها     دموع دموعي لا دموع جفوني

وفي روضة العلماء، أن نوحاً عليه السلام، لما غرس الكرمة، جاءه إبليس فنفخ فيها فيبست، فاغتم نوح لذلك وجلس متفكراً في أمرها، فجاءه إبليس وسأله عن تفكيره؟ فأخبره فقال له يا نبي الله إن أردت أن تخضر الكرمة، فدعني أذبح عليها سبعة أشياء فقال: افعل، فذبح أسداً ودباً ونمراً وابن آوى وكلباً وثعلباً وديكاً، وصب دماءهم في أصل الكرمة فاخضرت من ساعتها، وحملت سبعة ألوان من العنب، وكانت قبل ذلك تحمل لوناً واحداً فمن أجل ذلك يصير شارب الخمر شجاعاً كالأسد وقوياً كالدب وغضبان كالنمر، ومحدثاً كابن آوى، ومقاتلاً كالكلب، ومتملّقاً كالثعلب، ومصوتاً كالديك، فحرمت الخمر على قوم نوح. ونوح اسمه عبد الجبار، وإنما سمي نوحاً لنوحه على ذنوب أمته، وأخوه صابىء بن لامك وإليه ينسب دين الصابئين فيما ذكروا والله أعلم.

(تذنيب) كان أبو مسلم[6] الخراساني واسمه عبد الرحمن بن مسلم بعد فراغه من أمر بني أمية ينشد كل وقت:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزتْ     عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا

---

(١) ديوان أبي تمام: ١٧.
(٢) هو خالد بن يزيد البغدادي المعروف بالكاتب. شاعر غزل. عاش وتوفي في بغداد سنة ٢٦٢ هـ.
(٣) الأغاني: ٢٠/٢٨١. وقلب دنف: قلت مريض.
(٤) البيتان في وفيات الأعيان: ٢/٢٣٤ وفي الثاني: «من رحمته».
(٥) وفيات الأعيان: ٢/٢٣٦ وفيه «وكم مثله من..».
(٦) أبو مسلم هو عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، القائم بالدعوة العباسية، وهو من ولد بزر جمهر. وكان ملكاً مهيباً جواداً. قتله المنصور غيلة سنة ١٣٧ هـ. وفيات الأعيان: ٣/١٤٥. والأبيات مع ترجمته في وفيات الأعيان: ٣/١٥٢.

ما زلت أسعى بجهدي في دمارهم | والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهمو بالسيف فانتبهوا | من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنماً في أرض مسبعة | ونام عنها تولى رعيها الأسد

قال[١] ابن خلكان في ترجمته: وكان أبو العباس السفاح شديد التعظيم لأبي مسلم، لما صنعه ودبره، فلما مات السفاح وولي أخوه المنصور، صدرت من أبي مسلم أشياء أوغرت صدر المنصور عليه وهم بقتله، وبقي حائراً بين الاستبداد برأيه في أمره، والاستشارة، فقال يوماً لمسلم بن قتيبة: ما ترى في أمر أبي مسلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[٢] فقال: حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذناً واعية ولم يزل المنصور يخدعه حتى أحضره إليه، والمنصور بالمدائن فأمر بإدخاله عليه، وكان المنصور قد رتب جماعة لقتله، وقال لهم: إذا رأيتموني قد مسحت بيدي وجهي فاضربوه، فلما أدخل عليه، أخذ المنصور يقرعه بما صدر منه ثم مسح وجهه، فبادروه فصاح استبقني لأعدائك يا أمير المؤمنين، فقال له المنصور وأي عدو أعدى منك يا عدو الله فلما قتل هاج أصحابه، فأمر المنصور بنثر الدراهم والدنانير عليهم فسكنوا! ورمى برأسه إليهم، ثم أدرج في بساط فدخل على المنصور جعفر بن حنظلة، فرأى أبا مسلم في البساط، فقال: يا أمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك فأنشد المنصور متمثلاً:

فألقتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوى | كما قر عيناً بالإياب المسافر[٣]

ثم أقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم طريح بين يديه وأنشد:

زعمتَ أن الدين لا يقتضي | فاستوف بالكيل أبا مجرم[٤]
اشرب بكأس كنت تسقي بها | أمر في الحلق من العلقم

وكان يقال له أبو مجرم أيضاً وفيه يقول أبو دلامة[٥]:

أبا مجرم ما غيَّر الله نعمةً | على عبده حتى يغيرها العبدُ
أفي دولة المنصور حاولتَ غدره | ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد
أبا مجرمٍ خوفتني القتل فانتحي | عليك بما خوفتني الأسد الوردُ

ولما قتله المنصور، خطب الناس فذكر أن أبا مسلم أحسن أولاً وأساء آخر. ثم قال في آخر خطبته: وما أحسن ما قال النابغة الذبياني[٦] للنعمان بن المنذر[٧]:

---

(١) وفيات الأعيان: ١٥٢/٣.
(٢) سورة الانبياء: الآية ٢٢.
(٣) وفيات الأعيان: ٢٣٤/١ و١٥٤/٣.
(٤) وفيات الأعيان: ١٥٤/٣.
(٥) أبو دلامة هو زند بن الجون الأسدي بالولاء شاعر مطبوع ظريف له: أخبار مع الخلفاء العباسيين. مات سنة ١٦١. الأعلام: ٤٩/٣. والأبيات مع ترجمته في الشعر والشعراء ٥٢٤. وفيها: «أفي دولة المهدي...».
(٦) شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، إسمه زياد بن معاوية بن ضباب. توفي سنة ١٨ ق. هـ.
(٧) هو النعمان الثالث ابن المنذر بن امرىء القيس اللخمي أبو قابوس من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية. توفي سنة ١٥ ق. هـ.

فمن أطاعك فانفعه لطاعته كما أطاعك وأدلله على الرَّشَد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على ضَمَد[1]

والضمد بفتح الضاد المعجمة والميم الحقد. وكان قتله في شعبان سنة ست أو سبع وثلاثين ومائة. قال ابن خلكان وغيره: وكان أبو مسلم قد سمع الحديث وروي عنه، وأنه خطب يوماً فقام إليه رجل فقال ما هذا السواد الذي أراه عليك؟ فقال أبو مسلم: حدثني أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح، وعلى رأسه عمامة سوداء، وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة. يا غلام اضرب عنقه. قلت: حديث جابر هذا في صحيح مسلم قال ابن الرفعة: وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ صعد المنبر، وعلى رأسه عمامة سوداء، قد أرخى طرفها بين كتفيه، وهو أيضاً في صحيح مسلم[2]. قال ابن الرفعة: ومن ثم كان شعار بني العباس في الخطبة السواد اهـ.

قيل: أحصي من قتله أبو مسلم صبراً وفي حروبه، فكانوا ستمائة ألف واختلف في نسبه فقيل من العرب، وقيل من العجم، وقيل من الأكراد، وروي[3] أنه قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله: أبو مسلم خير أم الحجاج؟ فقال: لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد ولكن كان الحجاج شراً منه اهـ. وكان أبو مسلم فصيحاً عالماً بالأمور ولم يرقط مازحاً ولم يظهر عليه سرور ولا غضب، ولا يأتي النساء إلا مرّة في السنة، وكان يقول: الجماع جنون ويكفي الإنسان أن يجن في السنة مرة واحدة، وروي أنه قيل لأبي مسلم: ما كان سبب خروج الدولة عن بني أمية؟ قال: لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم، وادنوا أعداءهم تألفاً لهم، فلم يصر العدو صديقاً بالدنو، وصار الصديق عدواً بالإبعاد. وكان أبو مسلم مميت دولة بني أمية، ومحيي دولة بني العباس.

وذكر ابن الأثير وغيره أن أبا جعفر المنصور لما حاصر ابن هبيرة قال: إن ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء. فبلغ ذلك ابن هبيرة، فأرسل إليه أنت القائل كذا وكذا فابرز إلي لترى. فأرسل إليه المنصور: ما أجد لي ولك مثلاً في ذلك إلا كأسد لقي خنزيراً فقال له الخنزير: بارزني فقال له الأسد: ما أنت لي بكفء فإن نالني منك سوء كان ذلك عاراً علي وإن قتلتك قتلت خنزيراً فلم أحصل على حمد، ولا في قتلي لك فخر. فقال له الخنزير: إن لم تبارزني لأعرفن السباع، إنك جبنت عني. فقال الأسد: احتمال عار كذبك أيسر من تلطخ راحتي بدمك.

(الحكم): قال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وداود والجمهور: يحرم أكل الأسد لما روى[4] مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام». قال أصحابنا: المراد بذي الناب ما يتقوى بنابه ويصطاد. وفي الحاوي للماوردي قال: الشافعي:

---

(١) البيتان في ديوان النابغة الذبياني: ٢٤.
(٢) رواه مسلم في الحج: ٤٥١ ـ ٤٥٤.
(٣) وفيات الأعيان: ٣/١٤٨.
(٤) الصيد: ١٢ ـ ١٥. ورواه البخاري في الذبائح: ٢٨، ٢٩.

إنه ما قويت أنيابه فعدا بها على الحيوان طالباً غير مطلوب، فكان عدوه بأنيابه علة تحريمه. وقال أبو إسحاق المروزي: هو ما كان عيشه بأنيابه فإن ذلك علة تحريمه. وقال أبو حنيفة: هو ما افترس بأنيابه وإن لم يبتدىء بالعدو، وإن عاش بغير أنيابه فهذه ثلاث علل: أعمها علة أبي حنيفة، وأوسطها علة الشافعي، وأخصها علة المروزي، فعلى العلتين الأوليين، يحل الضبع لأنه يتناوم حتى يصطاد، وتحل السنانير على قول الشافعي لأنها لم تتقو بأنيابها، وتكون مطلوبة لضعفها، لكن قد صحح الأصحاب تحريمها، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، في باب السين المهملة. ويحل ابن آوى على ما علله الإمام الشافعي لأنه لا يبتدىء بالعدو، ويحرم على ما علله المروزي لأنه يعيش بنابه، وهذا هو الأصح كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى. وقال مالك: يكره أكل كل ذي ناب من السباع ولا يحرم، واحتج بقوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرّماً على طاعم يطعمه﴾ الآية[1]. واحتج أصحابنا بالحديث المذكور، قالوا: والآية ليس فيها إلاّ الإخبار بأنه لم يجد في ذلك الوقت محرماً إلا المذكورات في الآية، ثم أوحى إليه بتحريم كل ذي ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به. قال الشافعي رضي الله عنه: ولأن العرب لم تأكل أسداً ولا ذئباً ولا كلباً ولا نمراً ولا دباً، ولا كانت تأكل الفأر ولا العقارب ولا الحيات ولا الحدأ ولا الغربان ولا الرخم ولا البغاث ولا الصقور ولا الصوائد من الطير ولا الحشرات. وأما بيع الأسد فلا يصح لأنه لا ينتفع به وحرم الله أكل فريسته.

**(الأمثال)**: إنما كانت العرب أكثر أمثالها مضروبة بالبهائم، فلا يكادون يذمون ولا يمدحون إلّا بذلك لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع والأحناش والحشرات، فاستعملوا التمثيل بها لذلك. روى الإمام أحمد بإسناد حسن والحسن بن عبد الله العسكري، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل، فلذلك ذكر العسكري في كتابه الأمثال ألف حديث مشتملة على ألف مثل من كلام النبي ﷺ فما يخص الأسد من ذلك أنهم قالوا: «أكرم من الأسد»[2] «وأبخر من الأسد»[3] وأكبر من الأسد و«أشجع من الأسد»[4] و«أجرأ من الأسد»[5]. وضربوا المثل بالخوف من الأسد. قال مجنون ليلى[6] واسمه عامر بن قيس على خلاف فيه:

يقولون لي يوماً وقد جئت حيهم ... وفي باطني نار يشب لهيبها[7]

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٥.

(٢) جمهرة الأمثال: ٤٦٠/١.

(٣) المستقصى: ١٠/١.

(٤) جمهرة الأمثال: ٤٦٠/١ ولفظه أشجع من أسامة.

(٥) جمهرة الأمثال: ٢٦٦/١ ولفظه: أجرأ من أسامة.

(٦) مجنون ليلى هو قيس بن الملوّح أو عامر بن قيس، بن مزاحم العامري شاعر غزل من المتيمين لم يكن مجنوناً ولكنه لقب لهيامه في حب ليلى بنت سعد. مات سنة ٦٨ هـ. الأعلام: ٢٠٨/٥.

(٧) البيتان ليسا في ديوان المجنون.

أمـا تختشي من أسدنا فـأجبتهـم ... هـوى كـل نفس أين حـل حبيبهـا

وضربوا المثل أيضاً بأسد الشرى وهو طريق بسلمى كثيرة الأسد، قال الفرزدق[١]:

وإن الـذي يسعى ليفسـد زوجـتي ... كسـاع إلى أسـد الشرى يشتبيلهـا[٢]

قيل: معنى يشتبيلها: يأخذ أولادها وينسب إلى الفرزدق مكرمة يرجى له بها الجنة، وهي أنه لما حج هشام بن عبد الملك، في أيام أبيه، طاف بالبيت، وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك، لكثرة الزحام، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشأم، فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم، وكان من أجمل الناس وجهاً، وأطيبهم أرجاً فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر، فقال رجل من أهل الشام لهشام: من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشأم، وكان الفرزدق حاضراً فقال أنا أعرفه: فقال الشامي من هو يا أبا الفوارس؟ فقال[٣] الفرزدق:

هـذا ابنُ خـير عبـاد الله كـلهـم ... هـذا التقي النقيُّ الـطاهـر الـعَلَمُ
هـذا الذي تعـرف البـطحاء وطأتـه ... والـبيـت يـعـرفـه والحـل والحـرم
إذا رأتـه قـريش قـال قـائـلهـا ... إلى مـكـارم هـذا ينتهـي الـكـرم
يـنمى إلى ذروة العـز الـتي قصرت ... عن نيلهـا عـرب الإسـلام والعجم
يـكـاد يمسكـه عـرفـان راحتـه ... ركن الحـطيم إذا مـا جـاء يستلم
في كـفـه خـيـزران ريحـه عـبـق ... من كف أروع في عـرنـيـنـه شـمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نـور الهـدى من نـور غـرّتـه ... كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
مـشتـقـة من رسـول الله نـبعـتـه ... طـابـت عنـاصره والخِيْم والشِّيَم
هـذا ابن فـاطمَـة إن كنت جـاهلَه ... بـجـدِّه أنبيـاءُ الله قـد خُتـمـوا
الله شرّفـه قِـدْمـا وعـظّمـه ... جـرى بـذاك لـه في لـوحِـه القلمُ
وليس قـولُـك من هـذا بضـائِـره ... العـرب تعـرف من أنكرت والعجم
كـلتـا يـديـه غيـاثٌ عـمَّ نفعهـما ... يـستـوكـفـان ولا يعـروهمـا عـدمُ
سـهـلُ الخـليقـةِ لا تخشى بـوادرُه ... يـزينـه اثنـان حسنُ الخلقِ والشيم
حمـالُ أثقـالِ أقـوام إذا افـترحـوا ... حـلوا الشـمائـل يحلو عنـده نعم
مـا قـال لاقط إلا في تـشـهـده ... لـولا الـتشـهـدُ كـانت لاؤه نـعـم
عم البـرية بـالإحسـان فـانقشعت ... عنهـا الغيـابـةُ والإمـلاقُ والعـدمُ

---

(١) الفرزدق هو همام بن غالب بن صعصعة الدارمي، أحد شعراء النقائض في العصر الأموي مات سنة ١١٠ هـ.

(٢) ديوان الفرزدق: ٤١٧.

(٣) ديوانه: ٥١١.

من معشر حبهم دين وبغضهمو كفر وقربهمو منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل همو
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهمو قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهمو في كل بدء ومختوم به الكلم
أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فغضب هشام على الفرزدق، وأمر بحبسه، فأنفذ له زين العابدين اثني عشر ألف درهم فردّها وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء؛ فأرسل إليه زين العابدين وقال له: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده، والله عزّ وجلّ يعلم نيتك ويثيبك عليها فشكر الله لك سعيك، فلما بلغته الرسالة قبلها.

والفرزدق، اسمه همام بن غالب، والفرزدق لقب غلب عليه، والفرزدق قطع العجين، الواحدة فرزدقة وإنما لقب به لأنه أصابه جدري وبرىء منه فبقي وجهه جهماً محمراً منتفخاً، وقيل لقب به لغلظه وقصره. وقال ابن خلكان ومحمد بن سفيان: أحد أجداد الفرزدق هو أحد الثلاثة الذي سموا بمحمد في الجاهلية، فإنه لا يعرف أحد سمي بهذا الإسم قبله ﷺ إلاّ ثلاثة كان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه، وكان كل منهم قد خلف زوجته حاملاً، فنذر كل منهم إن ولد له ذكر، أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك. وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق، والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح أخو عبد المطلب لأمه، والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وأما أحمد فلم يتسم به أحد قبله ﷺ.

فائدة: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: حدثنا عبدالله بن صالح قال: حدثنا الليث قال: حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال[1]: «لما حمل نوح عليه السلام، في السفينة، من كل زوجين اثنين، قال له أصحابه: وكيف نطمئن أو تطمئن مواشينا ومعنا الأسد؟. فسلط الله عليه الحمى، فكانت أول حمى نزلت في الأرض، فهو لا يزال محموماً. ثم شكوا الفأرة، فقالوا: الفويسقة تفسد علينا طعامنا وشرابنا ومتاعنا، فأوحى الله تعالى إلى الأسد فعطس، فخرجت الهرة منه، فتخبأت الفأرة منها». وهذا مرسل.

وفي الحلية لأبي نعيم في ترجمة وهب بن منبه أنه قال لما أمر نوح عليه السلام، أن يحمل من كل زوجين اثنين قال يا رب كيف أصنع بالأسد والبقر؟ وكيف أصنع بالعناق[2] والذئب؟ وكيف

---

(١) رواه الإمام أحمد: ٦، ٢٨٥. وفيه أنه أمر بقتل الفارة.
(٢) العَناق: الأنثى من أولاد المعز.

أصنع بالحمام والثعلب؟ فأوحى الله تعالى إليه: «من ألقى بينهم العداوة؟ فقال: أنت يا رب. قال عزّ وجلّ فإني أؤلف بينهم فلا يتضررون».

الخواص: قال عبدالملك بن زهير، صاحب الخواص المجربة: من لطخ بشحم الأسد جميع بدنه، هربت منه السباع، ولم ينله منها مكروه، وصوته يقتل التماسيح إذا سمعته ومرارة الذكر منه تحل المعقود عن النساء، إذا سقي منها في بيضة في مستهل الشهر، ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها أبرأته من الصرع، قبل البلوغ، فإن كان الصرع قد أصابه بعده، لم تنفعه. وإذا أحرق من شعره في مكان، هربت منه سائر السباع، ولحمه ينفع من الفالج وإذا وضعت قطعة من جلده، في صندوق مع ثياب، لم يصبها السوس ولا الأرضة، وسنه إذا استصحبها إنسان معه، أمن من وجع الأسنان، وشحمه إذا طلي به اليدان والرجلان، أمنت من مضرة البرد وإذا طلي به البدن لم يقر به القمل وذنبه إذا استصحبه إنسان لا تؤثر فيه حيلة محتال، وقال هرمس: الجلوس على جلد الأسد يذهب البواسير والنقرس. قال: ومن أخذ من شحم جبهته وذوبه بدهن ورد، ومسح به وجهه، هابه الملوك وجميع الناس. وقال الطبري: الاكتحال بمرارة الأسد يحد البصر. قال: ومرارة الأسد إذا سقي منها وزن دانق لليرقان، بماء برز قطوناً ونعنع نفع نفعاً بينا وخصيته إذا ملحت ببورق أحمر ومصطكى، وجففت وسحقت، وخلطت بسويق وشربت، نفعت من جميع الأوجاع التي في الجوف مثل المغص والقولنج والبواسير والزحير ووجع الأرحام، وتشرب بماء حار على الريق. ودماغ الأسد يداف بزيت عتيق، ويدهن به الاختلاج والارتعاش، يذهبهما ومن دهن وجهه، وجميع بدنه بشحم الأسد، ذهب عنه الكسل والكلف وكل عيب يكون في الوجه. وزبله إذا جفف وخلط به الدلوك الذي يتدلك به، نفع من البهق الظاهر، وهو نافع لذلك جداً. وإن سقي منه أي من زبله إنسان لا يصبر عن الخمر ولا يعلم به وزن دانق، ابغضه حتى لا يشربه ولا يشتهي أن يراه ومرارته تداف بالعسل، ويجعل منها على الخنازير تزول. وشحمه إذا دق بالثوم وطلى به إنسان جسده لم تقربه السباع والله أعلم.

التعبير: الأسد في المنام سلطان شديد البطش والبأس، ظالم غاشم مجاهر، متسلط بجرأته، لا يأمنه صديق ولا عدو، ويعبر أيضاً بعدو مسلط، وربما دل على الموت، لأنه يقبض الأرواح، وربما دلت رؤيته على عافية المريض، فمن رأى أسداً من حيث لا يراه وهرب منه الرائي، فإنه ينجو مما يخاف، وينال حكماً وعلماً، لقوله[1]: ﴿ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾. فإن كان قد استقبله وهرب منه، نال هما من ذي سلطان، ثم ينجو من الهلاك والمرض. ومن رأى أن أسداً صرعه ولم يقتله، فإنه يحم حمى دائمة لأن الأسد لا تفارقه الحمى كما تقدم أو يسجن، لأن الحمى سجن المؤمن، وربما دلت مصارعته على المرض. ومن رأى أنه أخذ شيئاً من شعره أو عظمه أو لحمه، نال مالاً من سلطان، أو من عدوّ. ومن رأى أنه ركب أسداً وهو يخافه، فإنه يقع في بلية، فإن كان لا يخافه قهر عدواً فإن ضاجعه وهو لا يخافه أمن من عدوّه. ومن رأى أسداً يثب على الناس، فإن السلطان يظلم رعيته. ومن رأى أنه أكل

(١) سورة الشعراء: ٢١.

رأس أسد، نال مُلكاً ومن رأى أنه يرعى أسداً فإنه يؤاخي ملكاً ظالماً. ومن رأى أنه أخذ جرو أسد في حجره، فإن امرأته تضع غلاماً، إن كانت حاملاً، وإلاّ فإنه يحمل ولد أمير في حجره، كما عبره ابن سيرين رحمه الله. ومن رأى أن أسداً قد زاره فإنه يمرض. ومن رأى أن الأسد قد قتله، فإن كان عبداً فإنه يعتق، وإلاّ حصل له خوف من سلطان. وصوت الأسد يدل على تهدد من سلطان. ومن رأى أن أسداً يتملق له، جرى على يديه أمور عجيبة وربما دل على قهر عدوّ والله أعلم.

تتمة: قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: لو يعلم الناس، ما في علم الكلام، من الأهواء لفروا منه، فرارهم من الأسد. قال في الإحياء: فإن قلت تعلم الجدال والكلام مذموم كتعلم النجوم، أو هو مباح أو مندوب إليه، فاعلم أن للناس في هذا غلواً وإسرافاً، فمن قائل إنه بدعة وحرام، وإن العبد إن لقي الله تعالى بكل ذنب سوى الشرك، خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل إنه واجب وفرض: إما على الكفاية، أو فـرض عين وإنه من أفضل الأعمال، وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد، ونضال عن دين الله تعالى.

وممن ذهب إلى التحريم الشافعي ومالك والإمام أحمد وسفيان وأهل الحديث قاطبة، قال ابن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يوم ناظر حفصا الفرد، وكان من متكلمي المعتزلة يقول: لأن يلقى الله تبارك وتعالى العبد، بكل ذنب، ما خلا الشرك، خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام. وقال أيضاً: قد اطلعت لأهل الكلام، على شيء ما ظننته قط، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه، ما عدا الشرك، خير له من أن ينظر في الكلام. وحكى الكرابيسي أن الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال: يسأل عن هذا حفص الفرد وأصحابه أخزاهم الله. ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد، فقال له من أنا؟ فقال: أنت حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك، حتى تتوب مما أنت فيه. وقال أيضاً: إذا سمعت الرجل يقول: الإسم هو المسمى، أو غير المسمى، فأشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له، وقال أيضاً حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر، والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأخذ في الكلام. وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض وبالغ في ذمه حتى هجر الحارث المحاسبي، مع زهده وورعه، لتصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة، وقال له: ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس، بتصنيفك على مطالعـة كلام أهـل البدعـة، والتفكير فيـه، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث؟ وقال أحمد أيضاً: علماء الكلام زنادقة. وقال مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء. قال بعض أصحابه في تأويل ذلك: إنه أراد بأهل الأهواء أهـل الكلام، على أي مذهب كانوا. وقال أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق. وقد اتفق أهل الحديث من السّلف على هذا، ولا يحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه.

وأما الفرقة الأخرى، فاحتجوا بأن المحظور من الكلام، إن كان هو لفظ الجوهر والعرض، وهذه الاصطلاحات الغريبة، التي لم يعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر في ذلك قريب، إذ

ما من علم، إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات، لأجل التفهيم، كالحديث والتفسير، وتصنيف الفقه، من موضع الصور النادرة التي لا تتفق، إلا على الندور إما إدخاراً ليوم وقوعها. وإن كان نادراً أو تشحيذاً للخاطر فنحن أيضاً نرتب طريق المحاجة لتوقع الحاجة بثوران شبهة، أو هيجان مبتدع، أو لتشحيذ الخاطر، أو لإدخار الحجة، حتى لا يعجز عنها عند الحاجة إليها على البديهة والارتجال، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال. قال: فإن قلت فما المختار فيه عندك؟ فاعلم أن الحق فيه: أن إطلاق القول بذمه في كل حال، أو بمدحه في كل حال خطأ، بل لا بد فيه من التفصيل: فاعلم أوّلاً أن الشيء قد يحرم لذاته، كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الإسكار والموت، وهذا إذا سئلنا عنه، أطلقنا القول بأنه حرام، ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر لإساغة ما يغص به الإنسان من الطعام، إذا لم يجد ما يسيغه بـه سوى الخمر وقد يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم، في وقت الخيار، والبيع وقت النداء، وكآكل الطين، فإنه يحرم لما فيه من الأضرار. وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره، فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره، وإلى ما يضر عند الكثرة، فيطلق القول عليه بالإباحة، كالعسل فإن كثرته تضر بالمحرور، وكآكل الطين، وكان إطلاق التحريم على الخمر، والتحليل على العسل، التفات إلى أغلب الأحوال، فإن تصدى لشيء تقابلت فيه الأحوال، فالأولى أن نفصل فنرجع إلى علم الكلام، ونقول: إن فيه منفعة، وفيه مضرة، فهو باعتبار منفعته، في وقت الانتفـاع حلال، أو مندوب إليه، أو واجب كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته، في وقت الإضرار، حرام. فأما مضرته فإثـارة الشبهات، وتحريك العقـائد، وإزالتها عن الجـزم والتصميم، وذلك مما يحصل في حالة الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه وتختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في الاعتقاد، وله ضرر أيضاً في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دعـاويهم ويشتد حـرصهم على الإصرار عليـه، ولكن هذا الضرر، يحصل بواسطة التعصب، الذي يثور من الجدل.

وأما منفعته، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق، ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات هيهات، بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة على العوام، وحفظها عن تشويشات المبتدعة، بأنواع الجدل إذ العامي ضعيف، يستفزه جدل المبتدع، والناس متعبدون بصحة العقيدة، التي أجمع السلف عليها، والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام، من تلبيسات المبتدعة، وهو من فروض الكفاية، كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق: كالقضاء والولاية وغيرهما، وما لم تستعد العلماء لنشر ذلك، والتدريس فيه، والبحث عنه، لا يدوم ولو ترك بالكلية، لا ندرس. وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شُبَه المبتدعة، ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضاً، من فروض الكفاية، لكن ليس من الصواب تدريسه على العوام، كتدريس الفقه والتفسير، فإن هذا مثل الدواء، والفقه مثل الغذاء، وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور، فإن قيل: قد جعل جماعة التوحيد عبارة عن صناعة الكلام، ومعرفة طـريق المجادلـة، والإحاطـة بمناقضـات الخصوم، والقدرة على التشدق فيها، بكثرة الأسئلة، وإثارة الشبهات، وتأليف الإلزامات، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد. فاعلم أن التوحيد، عبارة عن أمر آخـر لا يفهمه أكـثر

المتكلمين وإن فهموه، لم يتصفوا به، وهو أن ترى الأمور كلها، من الله رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تبارك وتعالى.

وهذا مقام شريف، فالتوحيد جوهر نفيس، له قشران: أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، وهو أن تقول بلسانك: لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث، الذي تصرح به النصارى. لكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره. وأما القشر الثاني فأن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به، وهذا توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة، فخصص الناس الاسم بهذين القشرين، وتركوا لبابها وأهملوه بالكلية. واللباب هو التوحيد المحض، وهو أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، وأن تعبده عبادة تفرده بها فلا تعبد غيره واتباع الهوى يخرج عن هذا التوحيد؛ فكل متبع هواه، قد اتخذ هواه معبوده. قال[1] الله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾. وقال[2] ﷺ: «أبغض إله عبد في الأرض عند الله هو الهوى». وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد هواه، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه، فيتبع ذلك الميل. وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم. فإن من يرى الكل، من الله تعالى، كيف يسخط على غيره، فالتوحيد عبارة عن هذا المقام، وهو من مقامات الصديقين. فانظر إلى ماذا حول وبأي قشر قنع فالموحّد هو الذي لا يرى إلاّ الواحد، ولا يتوجّه وجهه إلا إليه، أي يكون قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص. اهـ.

وقد تكلمت على هذا المقام في كتابنا الجوهر الفريد في علم التوحيد، بكلام يشفي النفس، ويزيل اللبس، وهو كلام طويل مشبع، جمعت فيه غالب أقوال الصحابة والعلماء، فليراجع وهو في الجزء الثامن، من الباب الخامس، من كتاب التوحيد فليراجع.

واعلم أنه قد تقدم أن تعلم علم النجوم مذموم. فنقول قد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا». وقال[3] ﷺ: «أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً: حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البحر والبر ثم أمسكوا» وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه:

أحدها أنه مضر بأكثر الخلق، فإنه إذا ألقي إليهم أن هذه الآثار تحدث عقب سير الكواكب، وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة، وأنها الآلهة المدبرة، لأنها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها في القلوب، فيبقى القلب ملتفتاً إليها، ويرى الشر والخير محذوراً من جهتها،

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

(٢) رواه الترمذي في القيامة: ١٧ ولفظه: «بئس العبد عبد هوى يضله».

(٣) رواه أحمد: ٥، ٩٠ ولفظه: «ثلاث أخاف على أمتي...».

ومرجواً منها، وينمحي ذكر الله تعالى من القلب، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس، والقمر، والنجوم، مسخرات بأمره سبحانه وتعالى.

الوجه الثاني: إن أحكام النجوم تخمين محض، وليس يدرك في حق آحاد الأشخاص، لا يقيناً ولا ظناً فالحكم به حكم بجهل، فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل، لا من حيث إنه علم. وقد كان ذلك علماً لإدريس عليه السلام فيما يحكى، وقد اندرس ذلك العلم وانمحق وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق، لأنه قد يطلع على بعض الأسباب، ولا يحصل المسبب عقبها إلا بعد شروط كثيرة، ليس في قدرة البشر الاطلاع عليها. فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب، وقعت الإصابة. وإن لم يقدر أخطأ. ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم، مهما رأى الغيم يجتمع، وينبعث من الجبال، فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس، ويتبدد الغيم وربما يكون بخلافه، فإن مجرد الغيم ليس كافياً في مجيء المطر، وبقية الأسباب لا تدرى. وكذلك تخمين الملاح، أن السفينة تسلم، اعتماداً على ما ألفه من العادة في الرياح، ولتلك الرياح أسباب خفية، لا يطلع عليها الملاح، فتارة يصيب في تخمينه، وتارة يخطىء. ولهذه العلة يمنع القوم عن النجوم.

الوجه الثالث أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يعني، وتضييع للعمر الذي هو أنفس بضائع الإنسان بغير فائدة، وغايته الخسران، فقد مرّ رسول الله ﷺ برجل، والناس مجتمعون عليه، فقال: «ما هذا»؟ قالوا: رجل علاّمة فقال: بماذا؟ قالوا: بالشعر وأنساب العرب. فقال: «علم لا ينفع، وجهل لا يضر» وقال[1] ﷺ: «إنما العلم آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة» فإذا الخوض في النجوم إنما يشبه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فإن ما قدر كائن، والاحتراز غير ممكن، بخلاف الطب، فإن الحاجة إليه ماسّة، وأكثر أدلته مما يطلع عليه، وبخلاف التعبير، وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، ولا خطر فيه. ولذلك أكثرنا في كتابنا هذا من النقل من هذين العلمين لضرورة الحاجة إليهما، ولقلة الخطأ فيهما لإمكان الاطلاع على أكثر أدلتهما، والله الموفق للصواب.

**الإبل**: بكسر الباء الموحدة، وقد تسكن للتخفيف: الجمال وهو اسم واحد يقع على الجمع، وليس بجمع، ولا اسم جمع، إنما هو دال على الجنس، كذا قاله ابن سيده. وقال الجوهري: ليس لها واحد من لفظها وهي مؤنثة لأن أسماء الجموع، التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم، وإذا صغرتها أدخلت عليها الهاء فقلت: أبيلة وغنيمة ونحو ذلك، وربما قالوا للإبل: إبْل بإسكان الباء كما تقدم، والجمع آبال والنسبة إبَلي بفتح الباء. روى ابن ماجه، عن عروة البارقي رضي الله عنه أن النبي ﷺ[2] قال: «الإبل عز لأهلها، والغنم بركة، والخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة» وفي حديث وهب «تأبل آدم على ابنه المقتول

(١) رواه أبو داود في الفرائض: وابن ماجه في المقدمة: ٨.

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات: ٦٩.

كذا وكذا عاماً لم يصب حوّاء أي امتنع من غشيانها أعواماً، وتوحش عنها. ويقال للإبل بنات الليل، ويقال للذكر والأنثى منها بعير إذا أجذع ويجمع على: أبعرة وبعران والشارف: الناقة المسنة وجمعها شرف والعوامل: الإبل ذوات السنامين. والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها، وهو أنها حيوان عظيم الجسم، سريع الانقياد، ينهض بالحمل الثقيل، ويبرك به، وتأخذ زمامه فأرة فتذهب به إلى حيث شاءت، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه، مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفه ووسائده، كأنه في بيته ويتخذ للبيت سقف وهو يمشي بكل هذه. ولهذا قال[1] تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾. وقد جعلها الله تعالى طوال الأعناق لتنور بالأثقال، وعن بعض الحكماء، أنه حدث عن الإبل وعن بديع خلقها وكان قد نشأ بأرض لا إبل فيها، ففكر ساعة ثم قال: يوشك أن تكون طوال الأعناق، وحيث أراد الله تعالى بها أن تكون سفائن البر، صبرها على احتمال العطش، حتى إن ظمأها ليرتفع إلى العشر. وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والمفاوز، مما يرعاه سائر البهائم. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: لقيت شريحاً القاضي ذاهباً فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد الكناسة. فقلت: وما تصنع بالكناسة قال: انظر إلى الإبل كيف خلقت. وقال[2] تعالى: ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ قرنها بالفلك التي هي السفائن لأنها سفن البر قال ذو الرُّمة[3]:

سفينة بر تحت خدي زمامها.

يريد صيدح التي يخاطبها بقوله:

سمعت الناس ينتجعون غيثاً ... فقلت لصيدح انتجعي بلالاً

وصيدح اسم ناقته. وهذا البيت أنشده سيبويه[4] ورواه برفع الناس على الحكاية، أي: سمعت هذه الكلمة. ورواه غيره بالنصب، وكل له وجه. وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الصيدح في باب الصاد المهملة. وربما تصبر الإبل عن الماء عشرة أيام وإنما جعل الله تعالى أعناقها طوالاً، لتستعين بها على النهوض، بالحمل الثقيل، وفي الحديث: «لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم، ومهر الكريمة». أي أنها تعطى في الديات فتحقن بها الدماء وتمنع من أن يهراق دم القاتل. هذه عبارة الفصيح وفي الحديث لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى أي مما يوسع الله تعالى به على الناس حكاه ابن سيده. والذي نعرفه «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن جل وعلا[5]» وفي

(١) سورة الغاشية: الآية ١٧.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٢.

(٣) ذو الرّمة: هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي من فحول الشعراء في العصر الأموي. توفي سنة ١١٧ هـ. والشعر في ديوانه: ٧٠.

(٤) سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو. ولد في شيراز وأقام في البصرة وأخذ عن الخليل. توفي سنة ١٨٠ هـ.

(٥) رواه الترمذي في الفتن: ٦٥. وابن ماجه في الأدب: ٢٩. وغيرهما.

الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ[1] قال: «تعاهدوا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده، لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها». وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إنما مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها على عقلها أمسكها، وإن أغفلها ذهبت، إذا قام صاحب القرآن بقراءته بالليل والنهار، ذكره وإذا لم يقرأه نسيه».[2] وفيهما عنه أيضاً أن النبي ﷺ قال[3]: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة». وسيأتي بيان معناه إن شاء الله تعالى في باب الراء المهملة في لفظ الراحلة.

والإبل أنواع: الأرحبية منسوبة إلى بني أرحب من همدان. وقال ابن الصلاح: إنها من إبل اليمن والشذقية إبل منسوبة إلى شذقم، وهو فحل كريم كان للنعمان بن المنذر، والعيدية بكسر العين المهملة، إبل منسوبة إلى بني العيد وهم فخذ من بني مهرة، قاله صاحب الكفاية. والمجدية إبل باليمن منسوبة إلى المجد وهو الشر. والشدنية إبل منسوبة إلى فحل أو بلد قاله في الكفاية. والمهرية إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة والجمع المهاري، قاله ابن الصلاح[4]. وما قاله الغزالي من أن المهرية هي الرديئة من الإبل، ليس كذلك ومنها إبل وحشية تسمى إبل الوحش، يقولون إنها بقايا إبل عاد وثمود. ومن لقب الإبل العيس وهي الشديدة الصلبة والشملال وهي الخفيفة واليعملة وهي التي تعمل والوجناء وهي الشديدة أيضاً، والناجية وهي السريعة، والعوجاء وهي الضامرة، والشمردلة وهي الطويلة، والهجان وهي الإبل الكريمة، والكُوماء بضم الكاف وهي الناقة العظيمة السنام والحرف وهي الناقة الضامرة قال كعب بن زهير[5].

حرف أبوها أخوها من مهجّنة وعمها خالها قوداء شمليل[6]

والقوداء الطويلة العنق، والشمليل السريعة، وقوله: من مهجنة أي من إبل كرام هجان. وقوله: أبوها أخوها أي إنها من جنس واحد في الكرم، وقيل: إنها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة فهو أبوها وأخوها، وكانت الناقة التي هي أم هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر فعمها خالها على هذا، وهو عندهم من أكرم النتاج. والقول الأول ذكره أبو علي القالي عن أبي سعيد ومما يستحسن ويستجاد من كلام كعب رضي الله عنه قوله[7]:

---

(١) رواه البخاري في فضائل القرآن: ٢٣. ورواه مسلم في المسافرين: ٢٢٨، ٢٢٩ وغيرهما.

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب: ٥٢ وأحمد: ٢، ٢٠.

(٣) هو في مجمع الأمثال: ٢/٣٤٠.

(٤) ابن الصلاح هو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي، عالم في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال، تولى التدريس في بيت المقدس ثم في دمشق وفيها توفي سنة ٦٤٣ هـ. الأعلام: ٤/٢٠٧.

(٥) كعب بن زهير بن أبي سُلمى المزني، شاعر إسلامي له صحبة. توفي سنة ٢٦ هـ.

(٦) ديوان كعب: ٦٣.

(٧) ديوانه: ٣٧. وفيه: «ليس مدركها... والنفس...».

لـو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعي الفتى وهـو مخبوء لـه القـدر
يسعى الفتى لأمـور ليس يـدركهـا ... فـالـنفس واحـدة والهـم مـنـتشر
والمـرء مـا عـاش ممدود لـه أمـلٌ ... لا تنتهي العـين حتى ينـتهي الأثـر

قال أصحاب الكلام: في طبائع الحيوان ليس لشيء من الفحول، مثل ما للجمل عند هيجانه إذ يسوء خلقه، ويظهر زبده ورغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله، ويخرج الشقشقة وهي الجلدة الحمراء التي يخرجها من جوفه، وينفخ فيها فتظهر من شدقه لا يعرف ما هي. قال الليث: ولا تكون إلا لعربي: وفيه نظر قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «إن الخطب من شقاشق الشيطان». شبّه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر، ولسانه بشقشقته. وروى الحاكم في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال[1] لها: «أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم فإني أخاف عليك من شقاشقه».

والفحل لا ينزو إلا مرّة واحدة في السنة، ويطول فيها مكثه، وينزل فيها مراراً كثيرة، ولذلك يعقبه فتور ووهن والأنثى تلقح إذامضى لها ثلاث سنين، ولذلك سميت حقة لأنها استحقت ذلك قالوا: والجمل أشد الحيوان حقداً، وفي طبعه الصبر والصولة. وذكر صاحب المنطق أنه لا ينزو على أمه. قال: وقد كان رجل في سالف الدهر ستر ناقة بثوب، ثم أرسل ولدها عليها، فلما عرف ذلك قطع ذكره، ثم حقد على الرجل حتى قتله. وآخر فعل مثل ذلك فلما عرف أنها أمه قتل نفسه. وكل الحيوان له مرارة إلا الإبل، ولذلك كثر صبرها وانقادت وكني الجمل بأبي أيوب. وإنما يوجد على كبدها شيء يشبه المرارة وهي جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من العشاء العتيق. ومن طبعها أنها تستطيب الشجر الذي له شوك وتهضمه أمعاؤها، ولا تستطيع في غالب الأوقات أن تهضم الشعير. ومن عجيب ما ذهبت إليه العرب أنها إذا أصاب إبلها العرّ كووا السليم ليشفى العليل. وفي هذا المعنى قال[2] النابغة:

وحملتني ذنب امرىء وتركته ... كذا العُر يكوي غيره وهو راتعُ

وأخذ منه غيره فقال:

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم ... فكأنني سبابة المتندم

وأنكر أبو عبيد القاسم بن سلام ذلك.

وروى الجماعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ، فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود فقال له النبي ﷺ: «هل لك من إبل»؟ قال: نعم فما ألوانها؟ قال: حمر. قال ﷺ: «هل فيها من أورق»؟ قال: إن فيها لورقاً. قال: هو

---

(١) رواه أبو داود في الطلاق: ٣٩. ومسلم في الرضاع: ١٠١.
(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٨٣. وفيه لكلفتني... كذي العر...

ذاك. قال: فأنى أتاها ذلك قال[1] ﷺ «عسى أن يكون نزعه عرق».

وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث في الكلام على لفظ الأسد وإنما قال ﷺ: «عسى أن يكون نزعه عرق» ولم يرخص له النبي ﷺ في الانتقاء عنه.

والرجل المذكور في هذا الحديث: ضمضم بن قتادة العجلي، ولم يذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب وليس له سوى هذا الحديث، وهو مسمى في بعض المسندات. وذكره عبد الغني في الحديث بزيادة حسنة فقال[2] فقال: «كانت المرأة من بني عجل، فقدم المدينة عجائز من بني عجل، فسئلن عن المرأة التي ولدت الغلام الأسود فقلن: كان في آبائها رجل أسود». قال: والرجل اسمه ضمضم بن قتادة العجلي. وقال الخطيب أبو بكر: قلن: كان للمرأة جدة سوداء.

والحكم: يحل أكل الإبل بالنص والإجماع. قال[3] الله تعالى: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ وأما تحريم إسرائيل، وهو يعقوب عليه السلام على نفسه أكل لحوم الإبل، وشرب ألبانها، فكان ذلك باجتهاد منه على الصحيح. والسبب في ذلك أنه كان يسكن البدو فاشتكى عرق النساء، فلم يجد شيئاً يؤلمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها. وإسرائيل لفظة عبرانية. وقد اختلف العلماء في انتقاض الوضوء بأكل لحومها: فذهب الأكثرون إلى أنه لا ينتقض الوضوء بأكل لحومها، وذهب الباقون إلى أنه ينتقض الوضوء به. فمن ذهب إلى الأول: الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة الأنصاري وأبو أمامة الباهلي وعامر بن ربيعة رضي الله عنهم، وجماهير التابعين ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم رحمهم الله. وممن ذهب إلى انتقاض الوضوء به: أحمد وإسحق بن راهويه ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي من أصحاب الشافعي، وهو قول الشافعي القديم، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر دليله في باب الجيم في الجزور.

وعن أحمد في أكل سنامها روايتان، ولأصحابه في شرب ألبانها وجهان. وتكره الصلاة في أعطانها وهي الأمكنة التي تأوي إليها بعد الشرب. روى أبو داود والترمذي وابن ماجه، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن البراء بن عازب قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوضوء من لحوم الإبل؟ فقال: «توضأوا منها»[4] وسئل عن لحوم الغنم؟ فقال: «لا تتوضئوا منها[5]». وسئل عن الصلاة في مبارك الإبل؟ فقال[6]: «لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها مأوى الشياطين» وسئل عن

---

(١) رواه الترمذي في الولاء: ٤ وابن ماجة في النكاح: ٥٨.

(٢) رواه مسلم في اللعان: ١٩.

(٣) سورة المائدة: الآية ١.

(٤) رواه مسلم في الحيض: ٩٧. وأبو داود في الطهارة ٧١. وغيرهما.

(٥) رواه أحمد: ٤، ٣٥٢.

(٦) رواه مسلم في الحيض: ٩٧. والصلاة: ٥٠.

الصلاة في مرابض الغنم؟ فقال: «صلوا فيها فإنها مباركة[1]» وروى النسائي وابن حبان من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الإبل خلقت من الشياطين[2]».

وأما زكاتها فالواجب في كل خمس منهاسائمة شاة، وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه، ثم في خمس وعشرين بنت مخاض، وفي ست وثلاثين بنت لبون، وفي ست وأربعين حقة، وفي إحدى وستين جذعة، وفي ست وسبعين بنتاً لبون، وفي إحدى وتسعين حقتان، وفي مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون، ثم في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة. وبنت المخاض لها سنة، وبنت اللبون لها سنتان، والحقة لها ثلاث سنين، والجذعة لها أربع سنين، والشاة الواجبة لها جذعة ضأن وهي ما لها سنة، أو ثنية معز وهي ما لها سنتان، وبقية أحكام الزكاة معروفة.

تتمة: قال المتولي إذا أوصي لشخص بإبل، جاز أن يعطى ذكراً أو أنثى، فإن أعطي فصيلا أو ابن مخاض لم يلزمه قبوله لأنه لا يسمى إبلاً.

الأمثال: روى مسلم والترمذي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الناس كإبل مائة، ليس فيها راحلة[3]» يعني أن المرضى من الناس قليل وسيأتي معناه إن شاء الله تعالى في باب الراء المهملة في الراحلة. وقال الأزهري: معناه أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل، كقلة الراحلة في الإبل. وقالوا: أشبعهم سباً وراحوا بالإبل قيل: أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام وقالوا: «ما هكذا يا سعد تورد الإبل» يضرب لمن تكلف أمراً لا يحسنه. وتمثل بذلك علي رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي وغيره. وقالوا «يا إبل عودي إلى مباركك[4]». يضرب لمن يفر من الشيء الذي لا بد منه.

الخواص: قال ابن زهير وغيره: إذا وقع بصر الجمل على سهيل مات لوقته. ولحوم الإبل والكباش الحولية الجبلية رديئة كلها، وإذا أحرق وبر الإبل وذر على الدم السائل قطعه. وقراده يربط في كم العاشق فيزول عشقه وإذا شرب السكران من بول الجمل أفاق من ساعته، ولحمه يزيد في الباه والأنعاظ بعد الجماع. وبول الإبل ينفع من ورم الكبد ويزيد في الباه، ومخ ساق الجمل إذا تحملت به المرأة في قطنة أو صوفة بعد الطهر ثلاثة أيام وجومعت فإنها تحمل وإن كانت عاقراً. وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً في الكلام على لفظ الإنسان قاعدة ذكرها حذاق الأطباء تعرف بها العاقر من النساء.

التعبير: قال أهل التعبير من رأى أنه ملك منها هجمة في منامه فإنه يدل على أنه يحكم على جماعة ذوي أقدار ويملك مالاً طائلاً. وكذلك إذا رأى أنه نال ثلة أو ثاغية أو راغية والهجمة مائة

---

(١) رواه البخاري في الوضوء: ٦٦. والصلاة ٤٨. ومسلم في المساجد: ١٠٩،٠. وغيرهما.

(٢) رواه ابن ماجه في المساجد: ١٢. وابن حنبل: ٥، ٥٤، ٥٥، ٥٧.

(٣) رواه الترمذي في الآداب: ٨٢. ومسلم في فضائل الصحابة: ٥٣٢. وغيرهما.

(٤) المستقصى: ٢/٤٠٤ وفيه: «يا إبلي....».

من الإبل والثلة قطيع من الغنم والثاغية الشاة والراغية الإبل. قالوا: ومن رأى أنه ملك إبلاً في منامه، نال عقبى حسنة وسلامة في دينه ومعتقده لقوله(١) تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت﴾ فإن قال: رأيت جمالاً فربما دل على الأعمال السيئة لقوله تعالى: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ ولقوله(٢) تعالى: ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر﴾ وإن قال: رأيت انعاماً وأنا أسرحها في المنام، فإنه يدل على تذلل الأمور الصعاب وظهور النعمة عليه لقوله(٣) تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾، إلى قوله تسرحون. ومن رأى أنه يرعى إبلاً عراباً ولي على قوم من الأعراب ومن رأى إبلاً كثيرة في بلد فإنها تدل على أمراض وحروب. وقال الجيلي(٤): من رأى أنه يملك إبلاً نال مقدرة وسطوة. وقال أرطا ميدوس: من أكل لحم الإبل في منامه مرض. وقال محمد بن سيرين إمام المعبرين: ومن أعلام التابعين لا بأس بأكل لحم الإبل لقوله(٥) تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾. وستأتي بقيته إن شاء الله تعالى في باب الجيم في لفظ الجمل والله أعلم.

**الأبابيل**: واحدته ابالة وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: لا واحد لها من لفظها. وقيل: واحدها أبول كعجول وقيل: إبيل كسكِّيت. وقيل: إيبال كدينار، ودنانير، وذكر الفارسي أنه سمع في واحده ابالة بالتشديد. وحكى الفرّاء إبالة بالتخفيف. واختلفوا في قوله(٦) تعالى: ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ فقال سعيد بن جبير: هي طير تعشش بين السماء والأرض وتفرخ، ولها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب وعن عكرمة أنها طيور خضر خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع. وقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان وقيل: كانت كالوطاويط. وقال عبادة بن الصامت: أظنا الزرازير. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها، هي أشبه شيء بالخطاطيف. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين أنها السنونو الذي يأوي الآن في المسجد الحرام الواحدة سنونة، والأبيل راهب النصارى وكانوا يسمون عيسى بن مريم عليهما السلام أبيل الأبيليين قال الشاعر:

أما ودماء مائرات تخالها ... على قُنة العزى وبالنّسر عندما
وما سبح الرهبان في كل بيعة ... أبيل الأبيليين عيسى بن مريما
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع ... حساماً إذا ما هزّ بالكف صمما

والإبالة بالكسر الحزمة من الحطب. وفي المثل: «ضغث على إبالة(٧) أي بلية على أخرى كانت قبلها والله الموفق.

**الأتان**: بفتح الهمزة وبالتاء المثناة فوق الحمارة، ولا تقل أتانة، ويقال ثلاث آتن مثل عناق

---

(١) سورة الغاشية: الآية ١٧.
(٢) سورة المرسلات: الآية ٣٢.
(٣) سورة النحل: الآية ٥.
(٤) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، متصوف، له مؤلفات كثيرة. توفي سنة ٨٣٢ هـ.
(٥) سورة النحل: الآية ٥. (٦) سورة الفيل: الآية ٣. (٧) جمهرة الأمثال: ٢/٦.

وأعنق، والكثير أتن وأتن. واستأتن الرجل أي اشترى أتاناً، واتخذها لنفسه. قال محمد بن سلام: حدثني رجل من قريش قال: خرج خالد بن عبدالله القسري[1] يوماً يتصيد، وهو أمير العراق فانفرد عن أصحابه فإذا هو بأعرابي على أتان له هزيل ومعه عجوز فقال له خالد ممن الرجل فقال من أهل المآثر والحسب والمفاخر قال: فأنت إذن من مضر فمن أيها أنت؟ قال من الطاعنين على الخيول، المعانقين عند النزول. قال: فأنت إذن من عامر، فمن أيها أنت؟ قال: من أهل الرفادة، والكرم والسيادة، قال فأنت إذن من جعفر، فمن أيها أنت؟ قال: من بدورها وشموسها وليوثها، في خميسها قال: فأنت إذن من الخواص. فما أقدمك هذه البلاد؟ قال: تتابع السنين وقلة رفد الرافدين. قال فمن أردت بها؟ قال: أميركم هذا الذي رفعته أمرته وحطته أسرته. قال: فما أردت منه؟ قال: كثرة ماله لا كرم آبائه. قال: ما أراك إلا قد قلت فيه شعراً فقال لامرأته: أنشديه، فقال:

كم تجشمنا مدح اللئيمـ ـة اليوم إن مدح اللئيم ذل

قال: أنشديه فأنشدته:

إليك ابن عبدِالله بالجد أرقلت بنا البيدعيس كالقسي سواهم
عليها كرام من ذؤابة عامر أضربهم جدب السنين العوارم
يردن امرءًا يعطي على الحمد ماله وهانت عليه في الثناء الدراهم
فإن تعط ما تهوى فهذا ثناؤنا وإن تكن الأخرى فما ثَمَّ لا ثم

فقال له خالد: يا عبدالله، ما أعجبك وشعرك، جئت على أتان هزيل، وتزعم إنك جئت على عيس؛ وقد ذكرت الرجل في شعرك، بخلاف ما ذكرت في كلامك. فقال: يا ابن أخي ما تجشمنا من مدح اللئيم، كان أشد من الكذب في شعرنا فقال له خالد: أتعرف خالدا؟ قال: لا قال: فأنا هو خالد. قال: أسألك بالله هو أنت خالد؟ قال إي والذي سألتني به أنا خالد، وأنا معطيك غير مكافئك، فقال: يا أم جحش اصرفي وجه أتانك فقال لها خالد: لا تفعلي وأقيمي أنت وزوجك فقال الرجل: لا والله لا رزأت امرءًا درهماً بعد أن أسمعته ما يكره، وصرف وجه أتانه ومضى. فقال خالد: بمثل هذا الفعل نال هذا وآباؤه ما نالوا.

وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من لبس الصوف، وحلب الشاة، وركب الأتن، فليس في جوفه من الكبر شيء». وهو كذلك في الكامل في ترجمة عبد الرحمن بن عمار بن سعد.

وعن جابر وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «براءة من الكبر لباس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وركوب الحمار واعتقال العنز وأكل أحدكم مع عياله». وفي الاستيعاب وغيره أن زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله ﷺ في النصف من رجب سنة تسع «فقال:

---

(١) خالد القسري هو ابن عبد الله بن يزيد بن أسد، من بجيلة، من خطباء العرب ومن أجوادهم توفي سنة ١٢٦ هـ.

يا رسول الله إني رأيت في طريقي رؤيا هالتني! قال: وما هي؟ قال: رأيت أتاناً خلفتها في أهلي، قد ولدت جدياً أسفع أحوى، ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي، يقال له عمرو، وهي تقول لظى لظى بصير وأعمى. فقال له النبي ﷺ: أخلفت في أهلك أمة مسرة حملاً؟ قال: نعم قال ﷺ: فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك قال: فأنى له أسفع أحوى؟ قال: ادن مني، فدنا منه، فقال: أبك برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علمه أحد قبلك. قال: فهو ذاك وأما النار فإنها فتنة تكون بعدي. قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال ﷺ: يقتل الناس إمامهم، ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس، وخالف بين أصابعه، دم المؤمن عند المؤمن، أحلى من الماء، يحسب المسيء، أنه محسن، إن مت أدركت ابنك، وإن مات ابنك أدركتك. قال فادع الله لي أن لا تدركني فدعا له».[1] وقد قال العلماء: إن هذه الفتنة هي التي قتل فيها عثمان رضي الله تعالى عنه. والأسفع الأحوى الأبلق.

**الأمثال**: قالوا: «كان حماراً فاستأتن[2]» يضرب لمن يهون بعد العز.

**التعبير**: الحمارة امرأة معينة على المعيشة، كثيرة الخير، ذات ربح متواتر ونسل. ولفظ الأتان من الإتيان.

**الأخطب**: كالأحمر يقال إنه الصرد وأنشد:

ولا أنثني من طيرة عن مريرة ... إذا الأخطب الداعي على الدوح صرصرا

والأخطب حمار يعلو ظهره خضرة، وقال الفراء: الخطباء الأتان التي لها خط أسود في ظهرها، والذكر أخطَب.

**الأخيضر**: ذباب أخضر على قدر الذباب الأسود قاله ابن سيده.

**الأخيل**: طائر أخضر فيه على أجنحته لمع تخالف لونه وسمي بذلك لخيلان فيه. وقيل: الأخيل الشقراق الآتي في باب الشين المعجمة، وهو مشؤوم. ولفظه ينصرف في النكرة لا إذا سميت به ومنهم من لا يصرفه في معرفة ولا نكرة ويجعله في الأصل صفة من التخيل ويحتج بقول الشاعر:

ذريني وعلمي بالأمور وشيمتي ... فما طائري فيها عليك بأخيلا

**الأربد**: ضرب من الحيات، يعض فيربد منه الوجه، ومنه ما حكاه عبدالملك بن عمير قال: رأيت زياداً[3] واقفاً على قبر المغيرة بن شعبة[4] رضي الله عنه وهو يقول:

---

(١) الترمذي: فتن ٩. وابن ماجه فتن: ٢٥ وفيه: لا تقوم الساعة حتى تقتلوا أمامكم...

(٢) مجمع الأمثال: ٢/١٣١.

(٣) هو زياد بن أبيه والي العراق لمعاوية بن أبي سفيان. توفي سنة ٥٣ هـ. وكان من ذوي الحزم والدهاء والشجاعة.

(٤) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، أحد دُهاة العرب وقادتهم، صحابي، ولد =

إن تحت الأحجار حَزماً وعَزماً وخصيماً ألد ذا معلاق
حيّة في الوِجار أربد لا ينفع منه السليم نفث الراقي

ثم قال: أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت، شديد الأخوة لمن آخيت. والمعلاق بالعين، المهملة قال الجوهري: يقال رجل ذو معلاق أي شديد الخصومة. ثم أنشد قول الشاعر وهو مهلهل[1]:

إن تحت الأحجار حزماً وجوداً وخصيماً ألد ذا معلاقِ

الأرخ: قال ابن درستويه[2] هي الأنثى الثنية من البقر التي لم ينز عليها الفحل وجمعها أروخ وأراخ. قال: وأنشدني أعرابي من مزينة في طريق مكة لنفسه فقال:

أيام عهدي مي فيك كأنها أرخ يرود بروضة مثقال

وقال الجوهري: الأرخ وحش البقر وقال صاحب المغرب: الأرخ ولد البقرة الوحشية.

الأرضة: بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة دويبة صغيرة كنصف العدسة، تأكل الخشب، وهي التي يقال لها السرفة، بالسين والراء المهملة والفاء. وهي دابة الأرض التي ذكرها الله تعالى في كتابه، وستأتي إن شاء الله تعالى في باب السين المهملة. ولما كان فعلها في الأرض أضيفت إليها. قال القزويني في الأشكال: إذا أتى على الأرضة سنة، تنبت لها جناحان طويلان، تطير بهما. وهي دابة الأرض التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام، والنمل عدوّها، وهو أصغر منها فيأتيها من خلفها فيحملها ويمشي بها إلى جحره، وإذا أتاها مستقبلاً، لا يغلبها لأنها تقاومه، انتهى. ومن شأنها أنها تبني لنفسها بيتاً حسناً، من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت، متخرطاً من أسفله إلى أعلاه وله في إحدى جهاته باب مربع، وبيتها ناووس ومنها تعلم الأوائل بناء النواويس على موتاهم. وفي الصحيحين وغيرهما «أن قريشاً، لما بلغهم إكرام النجاشي لجعفر وأصحابه، كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه وكتبوا كتاباً على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم. وكان الذي كتب الصحيفة بغيض بن عامر فشلّت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من مبعثه ﷺ، وانحاز إليهم بنو عبد المطلب، وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم، حتى بلغوا الجهد، وأقاموا على ذلك ثلاث سنين، ثم أطلع الله رسوله ﷺ على أمر الصحيفة، وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من ظلم وجور.

---

= بالطائف وأسلم سنة ٥ هـ. شهد فتوح الشام وبلاد فارس تولى البصرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم تولى الكوفة لمعاوية ومات سنة ٥٠ هـ.

(١) المهلهل هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، أبو ليلى، شاعر جاهلي له أخبار في حرب بكر وتغلب، وبطولات. مات سنة ١٠٠ ق. هـ.

(٢) ابن درستويه هو عبد الله بن جعفر بن محمد بن المرزبان فارسي الأصل من علماء اللغة توفي ببغداد سنة ٣٤٧ هـ.

وبقي ما كان فيها من ذكر الله تعالى فأخبرهم أبـو طالب بذلك، فارتقوا إلى الصحيفة، فوجدوها كما قال رسول الله ﷺ، فأخرجوهم من الشعب».

وروى ابن سعـد وابن ماجـه في سننه، من حـديث أبي بن كعب رضي الله عنـه، «أن النبي ﷺ كان يصلي إلى جذع، فاتخذ له المنبر، فحن ذلك الجذع إليه حنين العشار، حتى مسحه رسول الله ﷺ بيده[1] فسكن». فلما هدم المسجد وغير، أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان عنده في داره حتى بلي وأكلته الأرضة وعاد رفاتاً. وسيأتي إن شاء الله تعالى للأرضة ذكر في باب الدال المهملة في لفظ الدابة وفي دود الفاكهة.

**الحكم**: يحرم أكلها لاستقذارها، وإذا استخرجت من الأرض ترابها قال القاضي حسين: إن استخرجته من مدر جاز التيمم به، ولا يضر اختلاطه بلعابها، فإنه طاهر فصار كتراب عجن بخل، أو ماء ورد، وإن استخرجت شيئاً من الخشب أو الكتب لم يجز لعدم التراب.

**الأمثال**: قالوا[2] «أكل من أرضة» و«أصنع من أرضة[3]».

**التعبير**: هي في الرؤيا تدل على منازعة في العلم وطلب الجدال.

**الأرقم**: الحية التي فيها بياض وسواد، كأنه رقم أي نقش. روى أصحاب الغريب أن رجلاً، كسر منه عظم فجاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه القود، فأبى أن يقيده، فقال الرجل: هو إذن كالأرقم إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم، أي إن تركته أكلك، وإن قتلته قتلت به. وقال ابن الأثير في النهاية: كانوا في الجاهلية يزعمون أن الجن تطلب بثار الجان، وهي الحية الدقيقة، فربما، مات قاتلها وربما أصابه خبل، وهذا مثل لمن يجتمع عليه شران لا يدري كيف يصنع فيهما. يعني أنه اجتمع عليه كسر العظم وعدم القود وقيل: الأرقم الحية التي فيها حمرة وسواد قال مهذب الملك في ذلك مشبهاً:

كـانـون أذهـب بـردُه كـانـونَنـا ... مـا بـين سـادات كـرام حـذق
بـأراقم حـمـر البـطون ظهـورُهـا ... سـود تـلغلغُ بـالـلسـانِ الأزرقِ

**الأرنب**: واحدة الأرانب، وهو حيوان يشبه العَناق، قصير اليدين طويل الرجلين، عكس الزرافة، يطأ الأرض على مؤخر قوائمه. وهو اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى وقال الجاحظ: فإذا قلت أرنب، فليس إلا الأنثى كما أن العقاب لا يكون إلا للأنثى؛ فتقول: هذه العقاب وهذه الأرنب. وقال المبرد في الكامل: إن العقاب يقع على الذكر والأنثى وإنما يميز باسم الإشـارة كالأرنب، وذكر الأرنب يقال له الخزز بالخاء المعجمة المضمومة وبعدها زايان وجمعه خزان كصرد وصردان. ويقال للأنثى عِكرشة والخرنق ولد الأرنب، فهـو أولاً خَرنق ثم سَخلة ثم أرنب.

---

(١) رواه البخاري في المناقب ٢٥: والجمعة: ٢٦. وفيه: «سمعنا للجذع مثل أصوات العشار».
(٢) جمهرة الأمثال: ١/١٦٤ وفيه: «أكل من سوس».
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٤٧٩ وفيه: «أصنع من دودة، وأصنع من سرفة».

وقضيب الذكر من هذا النوع كذكر الثعلب: أحد شطريه عظم والآخر عصب، وربما ركبت الأنثى الذكر عند السفاد، لما فيها من الشبق وتسافدو هي حبلى، وتكون عاماً ذكراً، وعاماً أنثى فسبحان القادر على كل شيء.

**غريبة**: ذكر ابن الأثير في ا لكامل في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة، أن صديقاً له اصطاد أرنباً، له أنثيان وذكر وفرج أنثى. فلما شقُّوا بطنه، رأوا فيه ما يدل على ذلك. قال: وأعجب من ذلك، أنه كان لنا جار له بنت اسمها صفية، بقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة، ثم طلع لها ذكر، ونبت لها لحية، وصار لها فرج رجل وفرج امرأة. وسيأتي إن شاء الله في الضبع نظير ذلك.

والأرنب تنام مفتوحة العين، فربما جاءها القناص، فوجدها كذلك، فيظنها مستيقظة. ويقال إنها إذا رأت البحر ماتت، ولذا لا توجد في السواحل. وهذا لا يصح عندي. وتزعم العرب، في أكاذيبها، أن الجن تهرب منها لموضع حيضها: قال الشاعر:

وضحك الأرانب فوق الصفا كمثل دمِ الحرب يوم اللقا

**فائدة**: الذي يحيض من الحيوان أربعة: المرأة والضبع والخفاش والأرنب. ويقال: إن الكلبة أيضاً كذلك.

روى أبو داود في سننه من حديث جابر بن الحويرث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في الأرنب: «إنها تحيض».

وجابر بن الحويرث، قال ابن معين: لا أعرفه وذكره ابن حبان في الثقات ولا يعرف له إلا هذا الحديث.

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: «أن النبي ﷺ جيء له بأرنب فلم يأكلها ولم ينه عنها». وزعم أنها تحيض وهي تأكل اللحم وغيره، وتجتر وتبعر، وفي باطن أشداقها شعر، وكذلك تحت رجليها.

**الحكم**: يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة، إلا ما حكي عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وابن أبي ليلى رضي الله عنهم، أنهما كرها أكلها، وحجتنا ما روى الجماعة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أنفجنا أرنباً بمر الظهران، فسعى القوم عليها فغلبوا فأدركتها فأخذتها وأتيت بها أبا طلحة فذبحها، وبعث إلى النبي ﷺ بوركها وفخذها فقبله[1]».

وفي البخاري في كتاب الهبة[2]: «أن النبي ﷺ قبله وأكل منه». ولفظ أبي داود: «كنت غلاماً حزوراً فصدت أرنباً فشويتها فبعث معي أبو طلحة رضي الله عنه، بعجزها إلى النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري في الهبة: ٥، والذبائح: ١٠، ٣٢ ورواه مسلم في الصيد: ٥٣.
(٢) رواه ابن ماجه في الصيد: ١٥، ١٧، وفيه: «نبئت أنها تدمي».

والحزور بالتشديد والتخفيف: المراهق وقد سئل رسول الله ﷺ عنها فقال: هي حلال».

وروى أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان، عن محمد بن صفوان، «أنه صاد أرنبين فذبحهما بمروتين وأتى النبي ﷺ، فأمره بأكلهما». وهو في معجم ابن قانع، عن محمد ابن صفوان أو صفوان بن محمد.

واحتج ابن أبي ليلى ومن وافقه بما روى الترمذي عن حبان بن جزء، عن أخيه خزيمة رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله ما تقول في الأرنب؟ قال ﷺ: لا آكله ولا أحرمه، قال: فقلت: ولم يا رسول الله؟ قال: إني أحسب أنها تدمي. قال: فقلت: يا رسول الله ما تقول في الضبع؟ قال رسول الله ﷺ: ومن يأكل الضبيع»؟

قال الترمذي: إسناده ليس بالقوي. ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وذكر فيه الثعلب والضب أيضاً وفي بعض الروايات: «وسألته عن الذئب فقال: لا يأكل الذئب أحد فيه خير».(١) وليس في شيء من الأحاديث وإن ضعفت ما يدل على تحريم الأرنب وغاية ما في هذين الخبرين استقذارها مع جواز أكلها.

**الأمثال:** قالت العرب: «أقطف من(٢) أرنب» «وأطعم أخاك من كلية الأرنب». وهو كقولهم(٣) «أطعم أخاك من عقنقل الضب». يضربان للمواساة. ومن أمثالهم المشهورة في ذلك قولهم(٤): «في بيته يؤتى الحكم». وهو مما زعمته العرب على ألسنة البهائم. قالوا: إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب: يا أبا حسل قال: سميعاً دعوت، قالت: أتيناك لنختصم إليك، قال: عادلاً حكيماً، قالت فأخرج إلينا، قال في «بيته يؤتى الحكم» قالت: إني وجدت تمرة، قال: حلوة فكليها، قالت: فاختلسها الثعلب، قال لنفسه: بغى الخير، قالت: فلطمته، قال: بحقك أخذت، قالت: فلطمني، قال(٥) «حر انتصر لنفسه» قالت: فاقض بيننا، قال: قد قضيت. فذهبت أقواله كلها أمثالاً.

ومثل هذا أن عدي(٦) بن أرطاة أتى شريحاً(٧) القاضي في مجلس حكمه فقال له: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط، قال فاسمع مني. قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوّجت امرأة،

---

(١) رواه ابن ماجه في الصيد: ١٤.
(٢) جمهرة الأمثال: ٢/١١١.
(٣) مجمع الأمثال: ١/٤٣١.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٨٧.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٢٩٧.
(٦) هو عدي بن أرطاة الفزاري، أبو واثلة الدمشقي، من الأمراء الشجعان. توفي سنة ١٠٢ هـ.
(٧) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي أبو أمية، قاض شهير ولي قضاء الكوفة زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية واستعفى أيام الحجاج. مات سنة ٧٨ هـ.

قال: بالرفاه والبنين، قال: وشرط أهلها أن لا أخرجها من بيتهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: في حفظ الله، قال: فاقض بيننا، قال: قد فعلت. قال فعلى من حكمت؟ قال: على ابن أمك. قال بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالك.

وشريح هذا هو ابن الحارث بن قيس الكندي استقضاه عمر رضي الله تعالى عنه على الكوفة، وأقام قاضياً بها خمساً وسبعين سنة، لم يبطل إلا ثلاث سنين، امتنع فيها من القضاء، وذلك أيام فتنة ابن الزبير رضي الله عنهما، فاستعفى الحجاج من القضاء فأعفاه، فلم يقض بين اثنين حتى مات رحمة الله عليه.

وكان شريح من سادات التابعين وأعلامهم، وكان من أعلم الناس بالقضاء، وكان أحد السادات الطلس، وهم أربعة: عبد الله بن الزبير[1]، وقيس[2] بن سعد بن عبادة، والأحنف بن[3] قيس، الذي يضرب بحلمه المثل، ورابعهم شريح هذا والله أعلم.

والأطلس الذي لا شعر بوجهه وروي أن شريحاً مرض له ولد، فجزع عليه جزعاً شديداً فلما مات لم يجزع. فقيل له في ذلك فقال: إنما كان جزعي رحمة له وإشفاقاً عليه، فلما وقع القضاء رضيت بالتسليم. قاله[4] ابن خلكان وغيره.

قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي[5] رحمه الله تعالى: كتب زياد بن أبيه إلى معاوية:

يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالي وفرغت يميني لطاعتك فولّني الحجاز.

فبلغ ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وهو بمكة، فقال: اللهم اشغل عنا يمين زياد بما شئت فأصابه الطاعون في يمينه فأجمع رأي الأطباء على قطعها، فاستشار شريحاً فيما رآه الأطباء، فأشار عليه بعدم القطع، وقال له: لك رزق مقسوم، وأجل معلوم، وإني أكره، إن كانت لك مدة، أن تعيش في الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى الله مقطوع اليد، فإذا سألك لم قطعتها؟ قلت: فراراً من قضائك وبغضاً في لقائك. قال: فمات زياد من يومه. فلام الناس شريحاً على منعه من القطع لبغضهم له، فقال: إنه استشارني، ولولا أن المستشار مؤتمن، لوددت أنه قطع يوماً يده ويوماً رجله وسائر أعضائه يوماً يوماً. ا هـ.

وفي هذا المعنى قال أبو الفتح البستي من قصيدة طويلة:

---

(١) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسد، أبو بكر، شهد فتح افريقية زمن عثمان، بويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ وقتله الحجاج سنة ٧٣ هـ.

(٢) هو قيس بن سعد بن عُبادة بن دُليم الأنصاري، والٍ صحابي من الدهاة. مات سنة ٦٠ هـ.

(٣) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي، سيد تميم. داهية يضرب به المثل في حلمه. شهد فتوح خراسان. واعتزل الفتنة يوم الجمل. توفي سنة ٧٢ هـ.

(٤) وفيات الأعيان: ٢/٤٦٠.

(٥) ابن الجوزي هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، القرشي البغدادي، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مات سنة ٥٩٧ هـ.

لا تستشر غير ندب حازم فطن قد استوت منه أسرار وإعلان
فللتدابير فرسان إذا ركضوا فيها أبروا كما للحرب فرسان

وسيأتي، إن شاء الله تعالى، ذكر هذه القصيدة في باب الثاء المثلثة في الثعبان، وفي تاريخ ابن خلكان في ترجمة شريح، أنه سئل عن الحجاج أكان مؤمناً؟ قال: نعم بالطاغوت، كافراً بالله تعالى. توفي شريح سنة تسع وسبعين وقيل ثمانين من الهجرة، وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله تعالى.

**الخواص**: قال الجاحظ(١): كانت العرب في الجاهلية تقول: من علق عليه كعب أرنب، لم تصبه عين ولا سحر وذلك لأن الجن تهرب منها لمكان حيضها وإذا شوي الأرنب البري وأكل دماغه، نفع من الارتعاش العارض من المرض، وإذا شرب من دماغه، وزن حبتين في أوقيتين من لبن البقر، لم يشب شاربه أبداً. ومن أعجب ما في أنفحته أنك إذا طليت بها داء السرطان رأيت العجب. وإذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكراً، وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى. وإذا علق زبله على المرأة لم تحمل ما دام عليها. قال أبقراط: لحم الأرنب حار يابس، يغسل البطن ويدر البول، وأجوده صيد الكلاب. وهو ينفع من بهظة السمن، لكنه يحدث أرقاً ويولد السوداء، والأبازير الرطبة تدفع ضرره، ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة، ودماغه يؤكل مشوياً بالفلفل ينفع من الرعشة، وإنما صار يابساً لرعيه الغياض لأن كل ما يرعى الغياض فهو أيبس مما يرعى في البيوت. اهـ.

وإن سقي إنسان من دماغ الأرنب دانقاً مدافاً، بعد أن يلقى عليه وزن حبتي كافور، لم يلقه أحد إلا أحبه ولم تنظر إليه امرأة إلا شغفت به وطلبت معاشرته. ودم الأرنب إذا شربت منه المرأة لم تحبل أبداً، وإذا طلي به البهق والكلف أزالهما. ودماغه إذا أكلت منه المرأة، وتحملت منه، وباشرها زوجها، فإنها تحبل بإذن الله تعالى. وإذا مزج به مواضع أسنان الصبي، أسرع نباتها ودم الأرنب إذا اكتحل به منع من نبات الشعر في العين قاله القزويني في عجائب المخلوقات. وقال مهرا رس: مرارة الأرنب إذا عجنت بسمن، وديفت بلبن المرأة، واكتحل به أزال البياض من العين، وأبرأ القروح وإذا طلي بدمها البهق الأسود أزاله ولحم الأرنب إذا أطعم من يبول في فراشه نفعه إذا أدامه. وقال آرسطو: إذا شربت أنفحة الأرنب بالخل نفعت من سم الأفاعي. وإذا شرب منها قدر باقلاة أذهب حمى الربع المتناهية. وإذا شرب منها وزن درهم أسقط الأجنة وسهل الولادة، وإن خلطت أنفحة الأرنب بخطمي، ووضعت على النصل، أخرجته وتخرج الشوكة من البدن، بإذن الله تعالى بسهولة. وزبل الأرنب إذا بخر به في الحمام، وقع الضراط على من شمه ولم يتمالك أسفله. وإذا طلي به القوابي والنمش أذهبهما. وخصية الأرنب تبرىء من السم القاتل إذا طلي موضع اللسعة بها، وشحمه إذا وضع تحت وسادة امرأة، تكلمت في نومها بفعلها. وضرس الأرنب إذا علق على من يشتكي ضرسه سكن وجعه.

---

(١) الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، أديب زمانه، كان معتزلي النزعة، كثير المطالعة له مصنفات بالعشرات منها كتاب الحيوان والبخلاء مات في البصرة سنة ٢٥٥ هـ.

**التعبير**: الأرنب في المنام امرأة حسناء، لكنها غير آلفة، فإن ذبحها فإنها زوجة ليست بباقية. ومن رأى أنه يأكل لحم أرنب مطبوخاً فإنه يأتيه رزق من حيث لا يحتسب، ومن صار أرنباً أو أهديت إليه أو ابتاعها، حصل له رزق أو تزوج إن كان عزباً، أو رزق ولداً أو ظفر بغريم.

**الأرنب البحري**: قال القزويني(١): هو حيوان رأسه كرأس الأرنب، وبدنه كبدن السمك. وقال الرئيس ابن سينا(٢): إنه حيوان صغير صدفي وهو من ذوات السموم إذا شرب منه قتل.

**الحكم**: يحرم أكله لسميته، ويستثنى هذا من قولهم: ما أكل شبهه في البر، أكل شبهه في البحر، لأنه ليس يشبهه في الشكل، وإنما هو موافق له في الإسم.

**الأروية**: بضم الهمزة وإسكان الراء وكسر الواو وتشديد الياء: الأنثى من الوعول. والجمع أراوي وبها سميت المرأة، وهي أفعولة في الأصل إلا أنهم قلبوا الواو الثانية ياء وأدغموها في التي بعدها وكسروا الأولى لتسلم الياء، وثلاث أراوي على أفاعيل. فإذا كثرت فهي الأروي بفتح الهمزة على أفعل بغير قياس وقيل الأروي غنم الجبل. وفي الحديث «أنه ﷺ، أهدي له أروي وهو محرم»، وفيه أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، لما كان يوم أحد قال: كنت أتوقل كما تتوقل الأروية فانتهيت إلى رسول الله ﷺ، وهو في نفر من أصحابه، وهو يوحى إليه: ﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾(٣) وفي جامع الترمذي في الإيمان، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه عن جده رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الدين ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى حجرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذي يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي(٤)». قوله: «ليعقلن أي ليمتنعن كما تمتنع الأروية من رؤوس الجبال.

وفي تفسير ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: «طرح يونس بن متى عليه السلام بالعراء، فأنبت الله تعالى عليه اليقطينة، وهيأله أروية وحشية ترعى في البرية، وتأتيه فتنفشخ عليه، فترويه من لبنها كل بكرة وعشية، حتى نبت لحمه». وقال ابن عطية أنعشه الله تعالى في ظل اليقطينة، بأروية تراوحه وتغاديه، وقيل: بل كان يتغذى من اليقطينة ويجد منها ألوان الطعام، وأنواع شهواته وهذا من لطف الله تعالى به ونعمته عليه وإحسانه إليه وحكى ابن الجوزي عن الحسن في قوله تعالى: وفديناه بذبح عظيم أنه ذكر من الأروي، أهبط عليه من ثبير. وفي حديث عوف أنه سمع رجلاً تكلم فأسقط، فقال: «جمع بين الأروى والنعام». يريد أنه

---

(١) القزويني: هو الإمام زكريا بن محمد بن محمود، من سلالة أنس بن مالك، مؤرخ جغرافي من القضاة، مات سنة ٦٨٢ هـ. من فؤلفاته عجائب المخلوقات.

(٢) ابن سينا هو الحسين بن عبد الله بن سينا أبو علي، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف والمنطق والالهيات. من مصنفاته الإنصاف في الحكمة. مات سنة ٤٢٨ هـ وكان مولده ونشأته في بخارى، ووفاته في همذان.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٤) رواه الترمذي في الإيمان: ١٣ والإمام أحمد: ٢/ ٣٨٩.

جمع بين كلمتين متناقضتين لأن الأروى تسكن شعف الجبال، والنعام يسكن في السهولة من الأرض، وفي طبعها الحنوّ على أولادها، فإذا صيد منها شيء تبعته، ورضيت أن تكون معه في الشرك وفي طبعه البر بأبويه وذلك أنه يختلف إليهما بما يأكلانه، فإن عجزا عن الأكل مضغ لهما وأطعمهما ويقال: إن في قرنيه ثقبين يتنفس منهما فمتى سداً هلك سريعاً.

**وحكمها**: الحل كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الوعل.

**الأمثال**: قالوا[1]: «إنما فلان كبارح الأروى». وذلك أن مأواها الجبال، فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا في الدهر مرة، يضرب لمن يرى منه الاحسان في بعض الأحايين. وقالو: «تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعام»، كما تقدم. وقالوا: «ما يجمع بين الأروى والنعام»، يضرب في الشيئين المختلفين جداً أي كيف يتألف الخير والشر.

**تنبيه**:

روى مسلم أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، رضي الله عنهم، خاصمته أروى بنت أويس إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة في أرض في الحيرة، وقالت: إنه قد أخذ حقي واقتطع قطعة من أرضي. فقال سعيد رضي الله عنه: كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله ﷺ[2] يقول: «من اقتطع شبراً من أرض ظلماً، طوقه يوم القيامة من سبع أرضين». ثم ترك لها الأرض. وقال: دعوها وإياها اللهم إنْ كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في بئرها. فعميت أروى، وجاء سيل فأظهر حدود أرضها. ثم لما أعمى الله تعالى أروى، فكانت تلتمس الجدران، وتقول أصابتني دعوة سعيد[3] بن زيد. فبينما هي تمشي إذ وقعت في البئر فماتت. وروي أنها سألت سعيداً أن يدعو لها، فقال: لا أرد على الله شيئاً اعطانيه قال: وكان أهل المدينة إذا دعا بعضهم على بعض، يقولون: أعماه الله كما أعمى أروى، يريدونها. ثم صار أهل الجهل يقولون أعماه الله كما أعمى الأروى يريدون الأروى التي بالجبل يظنونها شديدة العمى والصواب الأوّل.

**الخواص**: إذا أخذ قرنه وظلفه وخلطا في دهن، ومسح به الساعي الذي يمشي كثيراً بدنه وساقيه أزال عنه ضرر التعب حتى كأنه لم يمش شيئاً.

**الأساريع**: بفتح الهمزة، دود أحمر يكون في البقل ينسلخ فيصير فراشاً قال ابن مالك قال ابن السكيت: والأصل يسروع بالفتح إلا أنه ليس في الكلام يفعول. وقال قوم: الأساريع دود

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٠.

(٢) رواه الترمذي في الديات: ٢١، ورواه مسلم في المساقاة: ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣ والبخاري في بدء الخلق: ٢٢، ولفظه: «ومن سرق شبراً طوّقه يوم القيامة». ويروى أيضاً بلفظ: «ومَن أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه».

(٣) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي القرشي، صحابي شهد المشاهد كلها، إلا بدراً توفي بالمدينة المنورة سنة ٥١ هـ.

حمر الرؤوس، بيض الأجساد، تكون في الرمل يشبه بها أصابع النساء. ا هـ.

وبعض الناس يقول: الأساريع شحمة الأرض. والصواب أنها غيرها، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة. قال في الكفاية الأساريع دود تكون في الرمل بيض طوال، يشبه بها أصابع النساء. ويقال لها بنات النقا، وذكر في أدب الكاتب نحوه وقال الأساريع دود في االرمل بيض ملس يشبه بها أصابع النساء واحدها أسروع. وذكر ابن مالك في شرحه المنتظم الموجز فيما يهمز وما لا يهمز، أن اليسروع والأسروع دود يكون في البقل ينسلخ فيصير فراشاً، قال: وهذا قول ابن السكيت. وقال غيره: الأساريع واليساريع دود حمر الرؤوس، بيض الأجساد، تكون في الرمل يشبه بها أصابع النساء. ا هـ. وما ذكره عن ابن السكيت ليس كذلك، فقد ذكر ابن السكيت في إصلاح المنطق أنها تكون في الرمل تنسلخ فتصير فراشة ولعله تصحف عليه الرمل بالبقل.

**الحكم**: يحرم أكلها لأنها من الحشرات.

**الخواص**: إذا سحق هذا الدود وضع على العصب المقطوع نفعه من ساعته منفعة عظيمة. وقال الرازي(١) في الحاوي: إذا غسلت الأساريع، وجففت وسحقت ناعماً، ونقعت في دهن السمسم، وطلي بها الذكر فإنه يغلظ.

**التعبير**: اليسروع في المنام يعبر برجل لص يسرق قليلاً قليلاً، ويتزيا بالورع، ولا يخفى حاله ونفاقه، قال أهل التعبير: وهو دود أخضر يكون في المقاثي والكروم.

**الأسفع**: الصقر، والصقور كلها سفع. والسفعة بالضم سواد مشرب بحمرة وهي في الوجه سواد في خدي المرأة. وفي الصحيح(٢): «فقامت امرأة سفعاء الخدين». ويقال للحمامة سفعاء لما في عنقها من السفعة.

**الاسقنقور**: قال ابن بختيشوع(٣): إنه التمساح البري: لحمه حار في الدرجة الثانية. إذا ملح وشرب منه مثقال زاد في الباه، وهيج الشهوة، وسخن الكلى الباردة، ونفع من وجعها. وقال ابن زهر: هي دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته إذا علقت عينه على من يفزع بالليل أبرأته إذا لم يكن من خلط. وقال أرسطاطاليس، في كتاب الحيوان الكبير: إن شربه يهيج الباه، ويزيد في الإنعاظ في سائر البلاد إلا بمصر. وهو أنفس ما يهدى منها الملوك الهند، فإنهم يذبحونه بسكين من الذهب، ويحشونه من ملح مصر، ويحملونه كذلك إلى أرضهم فإذا وضعوا مثقالاً من ذلك الملح على بيض أو لحم وأكل نفع في ذلك نفعاً بليغاً. وسيأتي إن شاء الله تعالى في التمساح

---

(١) الرازي: هو محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١١ هـ.

(٢) رواه مسلم في العيدين ٤ والنسائي في العيدين ١٩. والدارمي في الصلاة ٢٢٤. ولفظه: «فقالت امرأة من سفلة النساء سفعاء الخدين.

(٣) هو يوحنا بن بختيشوع طبيب نقل كتباً كثيرة عن اليونانية إلى السريانية، له مصنفات في الطب. مات سنة ٢٩٠ هـ.

أنه يبيض في البر فما وقع من ذلك في الماء صار تمساحاً، وما بقي في البر صار اسقنقورا. وسيأتي إن شاء الله في باب السين المهملة حكمه وحكم السقنقور الهندي.

**الأسود السالخ**: هو نوع من الأفعوان شديد السواد، سمي بذلك لأنه يسلخ جلده كل عام، يقال أسود سالخ، ولا يقال للأنثى سالخة. وأسودان سالخ، ولا تثنى الصفة في قول الأصمعي وأبي زيد وحكى ابن زيد تثنيتها والأول أعرف. وأساود سالخة وسوالخ قاله ابن سيده.

روى أبو داود والنسائي والحاكم وصححه عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما[1] قال: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل، قال: يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحيّة والعقرب، ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد». ساكن البلد الجن، وقيل الوالد وما ولد إبليس والشياطين.

وفي الصحيحين[2]: «أن النبي ﷺ أمر بقتل الأسودين في الصلاة الحية والعقرب». وأنشد ابن هشام في كتاب التيجان:

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت أماقيها بسم الأسود
حنقاً على سبطين حلا يثربا ... أولى لهم بعقاب يوم أسود

وللإمام الشافعي رضي الله عنه من أبيات:

والشاعر المنطيق أسود سالخ ... والشِّعرُ منه لعابه ومُجاجُهُ[3]
وعداوة الشعراء داء معضِل ... ولقد يهون على الكريم علاجُهُ

روى[4] البيهقي في الشعب عن عبدالحميد بن محمود، قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما، فأتاه رجل فقال: أقبلنا حجاجاً حتى إذا كنا في الصفاح توفي صاحب لنا، فحفرنا له فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال: فحفرنا له قبراً آخر فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال: فحفرنا له ثالثاً فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله، قال: فتركناه وأتيناك نسألك ماذا تأمرنا به؟ قال: ذاك عمله الذي كان يعمله، اذهبوا فادفنوه في بعضها فوالله لو حفرتم له الأرض كلها لوجدتم ذلك قال: فألقيناه في قبر منها. فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته فسألناها عنه، فقالت: كان يبيع الطعام، فيأخذ قوت أهله كل يوم، ثم يخلط فيه مثله من قصب الشعير، ثم يبيعه فعذب بذلك.

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد: ٧٥، وابن حنبل: ٢/١٣٢ و٣/ ١٢٤ و ٤/٢٠٤.
(٢) ورواه أبو داود في الصلاة: ١٦٥، والترمذي في المواقيت: ١٧٠، وغيرهما.
(٣) البيتان في ديوان الشافعي: ٤٤. مُجاجة: ما يقذفه من فمه.
(٤) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٥ بلفظ: «فوجد فيه سلخ حية».

وروى الطبراني في معجمه الأوسط، والبيهقي أيضاً في كتاب الدعوات الكبير، من حديث عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد، فذهب يوماً فقعد تحت شجرة فنزع خفيه، قال: ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر فحلق به في السماء فانسل منه أسود سالخ فقال(1) ﷺ: «هذه كرامة أكرمني الله بها، اللهم إني أعوذ بك من شر من يمشي على بطنه، ومن شر من يمشي على رجلين، ومن شر من يمشي على أربع» وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة في الغراب حديث نظير هذا وهو صحيح الإسناد.

وروى أحمد في كتاب الزهد، عن سالم بن أبي الجعد قال: كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد آذاهم فقالوا: يا نبي الله ادع الله عليه، فقال: اذهبوا فقد كفيتموه. قال: وكان يخرج كل يوم يحتطب، قال: فخرج يوماً ومعه رغيفان فأكل أحدهما، وتصدق بالآخر، قال: فاحتطب ثم جاء بحطبه سالماً لم يصبه شيء. فجاؤوا إلى صالح عليه السلام، وقالوا: قد جاء بحطبه سالماً لم يصبه شيء. فدعاه صالح وقال: أي شيء صنعت اليوم؟ قال: خرجت ومعي قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر، فقال صالح: حل حطبك، فحل فإذا فيه أسود سالخ مثل الجذع، عاض على جزل من الحطب، فقال: بهذا دفع عنك يعني بالصدقة. وسيأتي إن شاء الله تعالى نظير هذا في الذئب في باب الذال المعجمة.

وروى الطبراني في معجمه الكبير، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «أن نفراً مروا على عيسى بن مريم عليه السلام فقال عيسى بن مريم: يموت أحد هؤلاء اليوم إن شاء الله تعالى، فمضوا ثم رجعوا عليه بالعشي ومعهم حزم الحطب، فقال: ضعوا، وقال للذي قال إنه يموت اليوم حل حطبك فحله، فإذا فيه حية سوداء. فقال: ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت شيئاً. قال: انظر ما عملت، قال: ما عملت شيئاً إلا أنه كان معي في يدي فلقة من خبز فمر بي مسكين فسألني فأعطيته بعضها فقال: بها دفع عنك».

**الأصرمان**: الذئب والغراب. قال ابن السكيت: لأنهما انصرما من الناس، أي انقطعا والأصرمان الليل والنهار، لأن كل واحد منهما ينصرم من الآخر.

روى أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول أصيرم بن عبد الأشهل. قال عامر بن ثابت بن قيس فقلت لمحمود بن لبيد كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد، وخرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم، وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إنه لمن أهل الجنة» رضي الله عنه.

**الأصلة**: بفتح الهمزة والصاد واللام، حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم، تثب على الفارس

---

(1) رواه أبو داود في الجهاد: ٧٥ وابن حنبل: ٢/١٣٢ ـ ١٧١ ولفظه: «وأعوذ بك من أسد وأسود ومن الحية والعقرب».

فتقتله. قاله ابن الأنباري. وقيل حية خبيثة لها رجل واحدة تقوم عليها ثم تدور ثم تثب والجمع أصل. وأنشد الأصمعي رحمه الله تعالى:

يـا رب إن كـان يـزيد قـد أكـل ... لحـم الـصـديق علـلا بـعـد نهل

فـاقـدر لـه أصـلة مـن الأصـل ... كيسـاء كـالقرصة أو خف الجمـل

وقال الجاحظ: الأعراب تقول: إنها لا تمر بشيء إلا احترق وكأنها سميت بذلك لاستهلاكها واستئصالها وفي الحديث[1] في صفة الدجال «كأن رأسه أصلة». وقيل: وجه الأصلة كوجه الإنسان وهو عظيم جداً. ويقال إنها تصير كذلك إذا مر عليها ألف سنة من العمر ومن خواصها أنها تقتل بالنظر إليها وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء المهملة ذكر شيء من ذلك.

**الأطلس**: الذئب الذي في لونه غبرة إلى السواد وكل ما كان على لونه فهو أطلس. قال الكميت[2] يمدح محمد بن سليمان الهاشمي[3]:

تلقى الأمـان على حيـاض محمـد ... ثولاء مخـرفـة وذئـب أطـلـس

لا ذي تخـاف ولا لهـذا جـرأة ... تهـدي الرعيـة ما استقـام الريسُ

استشهد به الجوهري على أن الرئيس يقال فيه ريس مثل قيّم.

**الأطوم**: كالأنوق السلحفاة البحرية قاله الجوهري وقيل هي سمكة غليظة الجلد تشبه جلد البعير يتخذ منه الخفاف للجمالين. وقيل الأطوم القنفذ وقيل البقرة قيل إنما سميت بذلك على التشبيه بالسمكة لغلظ جلدها قاله ابن سيده.

**الأطيش**: طائر قاله ابن سيده، والطيش خفة العقل. قال إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى: ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه. وأشهب المذكور هو ابن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكي المصري، ولد في السنة التي ولد فيها الشافعي وهي سنة خمسين ومائة وتوفي بعد الشافعي بثمانية عشر يوماً قال ابن عبد الحكم: سمعت أشهب يدعو على الشافعي بالموت فذكر ذلك للشافعي فقال[4]:

تمـنى رجـال أن أمـوت وإن أمـت ... فتلك سبيـل لست فيـه بـأوحـدِ

فقل للذي يبغي خلاف الـذي مضى ... تهيـأ لأخـرى مثلهـا فكـأن قـد

قال: فمات الشافعي، فاشترى أشهب من تركته عبداً فاشتريته من تركته بعد ثلاثين يوماً. وفي مصابيح الظلم قال ابن عبد الحكم: لما حملت أم الشافعي به، رأت كأن المشتري خرج من فرجها، حتى انقض بمصر ووقع في كل بلدة منه شظية، فأوله أصحاب الرؤيا أنه يخرج منها عالم

---

(١) رواه أحمد: ١/٣١٣، ٢٤٠. ولفظه: «هو أعور هجان كأن رأسه أصلة».

(٢) الكميت بن زيد الأسدي، من شعراء الشيعة في العصر الأموي، من أهل الكوفة. مات سنة ١٢٦ هـ.

(٣) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي، أمير البصرة أيام المهدي والرشيد. مات سنة ١٦٤ هـ.

(٤) ديوان الشافعي: ٥٥.

يختص علمه بأهل مصر، ثم يتفرق في سائر البلدان. واتفق العلماء قاطبة على ثقته وورعه وأمانته وزهده، وهو أول من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه، وكان يؤتى بالرطب، فيقول مخاطباً له: ما أطيبك وأحلاك والعلم أطيب منك وأحلى، ولا يناله. واشترى جارية، فلما كان الليل أقبل على الدرس، والجارية تنتظر اجتماعه معها، فلم يلتفت إليها، فصارت إلى النخاس وقالت: حبستموني مع مجنون، فبلغ ذلك الشافعي فقال: المجنون من عرف قدر العلم وضيعه أو توانى فيه حتى فاته. وكان الشافعي جواداً كريماً مفضالاً، لا يبقي على شيء ولا يدخر شيئاً وكان شجاعاً، ومناقبة أكثر من أن تحصى. ولد بغزة في سنة خمسين ومائة كما تقدم، وقيل إنها التي توفي فيها أبو حنيفة. وفي تهذيب الأسماء واللغات، قيل توفي سنة إحدى وخمسين وقيل في سنة ثلاث وخمسين. وقال غيره: توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعي لا في السنة. وقيل: ولد الشافعي بعسقلان، وقيل باليمن. قال ابن خلكان: والأصح الأول. وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن ست سنين، ووصل إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة وقيل سنة إحدى ومائتين، وأقام بها إلى أن مات سنة أربع ومائتين وقبره بقرافة مصر مشهور وعاش أربعاً وخمسين سنة رحمة الله عليه ورضوانه.

**الأغثر**: طائر ملتبس الريش طويل العنق وهو من طير الماء قاله ابن سيده.

**الأفال والأفائل**: صغار الإبل من بنات المخاض ونحوها، واحدهما أفيل والأنثى أفيلة، وسيأتي ذكره إن تكون أقوى الناس فتوكل على الله وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق طموماً كالمطر فلازم الدوام على الطهارة الكاملة وإن أردت أن تكون آمناً من سخط الله فلا تغضب على أحد من خلق الله وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الحرام وأكل ا لربا وأكل السحت وإن أردت أن لا يفضحك الله على رؤوس الخلائق فاحفظ فرجك ولسانك وإن أردت أن يستر الله تعالى عليك عيبك فاستر على عيوب الناس فإن الله تعالى ستار ويحب من عباده الستارين وإن أردت أن تمحي خطاياك فأكثر من الاستغفار والخشوع والخضوع والحسنات في الخلوات وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلق والتواضع والصبر على البلية وإن أردت السلامة من السيئات العظام فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار فعليك بإخفاء الصدقة وصلة الرحم وإن أردت أن يقضي الله عنك الدين فقل ما قاله النبي ﷺ للأعرابي حين سأله وقال عليه الصلاة والسلام له لو كان عليك مثل الجبال ديناً أداه الله عنك قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك وفي الحديث لو كان على أحدكم جبل من ذهب ديناً فدعا بذلك لقضاه الله عنه وهو اللهم فارج الكرب اللهم كاشف الهم اللهم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أسألك أن ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عمن سواك وإن أردت أن تنجو إذا وقعت في هلكة فالزم ما في الحديث إذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء والورطة بفتح الواو وإسكان الراء الهلاك وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد في الحديث اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ومنه اللهم اكفناهم بما شئت إنك على كل شيء قدير وإن أردت أن تأمن إن خفت من سلطان فقل ما ورد في

الحديث لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك لا إله إلا أنت ويستحب أن يقول ما تقدم اللهم إنا نجعلك في نحورهم إلى آخره وفي الحديث إذا أتيت سلطاناً مهاباً تخاف أن يسطو عليك فقل الله أكبر الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف واحذر والحمد لله رب العالمين وإن أردت ثبات القلب على الدين فقد أسند مرفوعاً أنه كان من دعائه ﷺ اللهم ثبت قلبي على دينك وفي رواية يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

**فائدة:** مجربة لمن دخل على سلطان يخاف شره فليقرأ الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وإن أردت كثرة الخير والرزق فداوم على قراءة ألم نشرح وسورة الكافرون وإن أردت الستر من الناس فداوم على قول اللهم استرني بسترك الجميل الذي سترت به نفسك فلا عين تراك وإن أردت عدم الجوع والعطش فداوم على قراءة لإيلاف قريش إيلافهم وقد جرب ذلك مراراً وصح وإن خفت على تجارتك أو مالك فاكتب سورة الشعراء وعلقها في موضع تجارتك يكثر فيه البيع والشراء ومن كتب سورة القصص وعلقها على من يخاف عليه التلف فإنها أمان له من ذلك وهو سر لطيف مجرب.

**فائدة:** عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يتول قبض روحه إلا الله تعالى وعن أبي نعيم قال سمعت معروفاً الكرخي يقول لما اجتمعت اليهود على قتل عيسى عليه السلام اهبط الله تعالى جبريل عليه السلام مكتوباً في باطن جناحه اللهم إني أعوذ باسمك الأحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الأركان كلها إن تكشف عني ضر ما أمسيت وأصبحت فيه فقال ذلك عيسى فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبريل عليه السلام إن ارفع عبدي إلي.

**فائدة:** مما جرب للصداع فصح ما روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال وجد في بعض دور بني أمية درج من فضة وعليه قفل من ذهب مكتوب على ظهره شفاء من كل داء وفي داخله مكتوب هذه الكلمات بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

ولأن يعادي عاقلاً خير له ... من أن يكون له صديق أحمق
فاربأ بنفسك أن تصادق أحمقاً ... إن الصديق على الصديق مصدق
وزنِ الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدي عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم ... من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل وادٍ قلبُه ... فيرى ويعرف ما يقول فينطقُ
لا ألفينك ثاويا في غربة ... إن الغريب بكل سهم يرشقُ
ما الناس إلّا عاملان فعامل ... قد مات من عطش وآخر يغرق
والناس في طلب المعاش وإنما ... بالجد يرزق منهم من يرزق

لو يرزقون الناس حسب عقولهم ... ألفيت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم ... هذا عليه موسع ومضيق
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا ... ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذي تبع العروس مبهتا ... ورأيت من تبع الجنازة ينطق
وإذا امرؤ لسعته أفعى مرة ... تركته حين يجر حبل يفرق
بقي الذين إذا يقولوا يكذبوا ... ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

ومن محاسن شعره قوله(١):

ما يبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهلُ من نفسِهِ
والشيخ لا يترك أخلاقَه ... حتى يوارى في ثرى رمسه(٢)
إذا ارعوى عاد إلى جهلِه ... كذا الضنى عاد إلى نكسه
وإنّ من أدبته في الصبا ... كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً ... بعد الذي أبصرت من يبسه

قوله: والشيخ لا يترك أخلاقه، البيت والذي يليه، هما كانا سبب قتله وذلك أنّ المهدي اتهمه بالزندقة وأمر بإحضاره، فلما خاطبه أعجبه كلامه، فخلى عنه، فلما ولّى رده، وقال له: ألست القائل والشيخ لا يترك أخلاقه؟ البيتين المتقدمين، قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: فأنت لا تترك أخلاقك، فأمر به فقتل وصلب على الجسر، وذلك سنة سبع وتسعين ومائة ومن محاسن شعره أيضاً قوله(٣):

إذا لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

وهو كقول ابن دريد:

من لم يقف عند انتهاء قدره ... تقاصرت عنه فسيحات الخطا

وصالح هذا هو صاحب الفلسفة قتله المهدي على الزندقة. كان يعظ ويقص بالبصرة وحديثه يسير، وليس بثقة. قيل: إنه رؤي في المنام، فقال إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية، فاستقبلني برحمته وقال: قد علمت لراءتك مما قذفت به.

وقد أحسن بعض الشعراء في وصف القنديل حيث قال مشبهاً:

وقنديل كأنّ الضوء منه ... محيا من هويت إذا تجلّى
أشار إلى الدجا بلسان أفعى ... فشمر ذيله فرَقا وولّى

والأفعوان هو الشجاع الأسود يواثب الإنسان وكنيته أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة وما أحسن قول بعضهم:

---

(١) الشعر لصالح بن عبد القدوس، راجع العقد الفريد: ٢/٤٣٦.
(٢) الرمس: القبر.
(٣) العقد الفريد: ٥/٤٨٠.

صرمتْ حبالك بعد وصلك زينبُ ... والدهر فيه تغير وتقلّبُ
نشرت ذوائبها التي تزهو بها ... سودا ورأسك كالثُّغامة أشيب(١)
واستنفرت لمّا رأتك وطالما ... كانت تحن إلى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فإنه ... آل ببلقعة وبرق خلّبُ(٢)
فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... وازهد فعمرك مر منه الأطيبُ
ذهب الشباب فما له من عودة ... وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ما قد كان في زمن الصبا ... واذكر ذنوبك وابكها يا مذنب
واذكر مناقشة الحساب فإنه ... لا بد يحصي ما جنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته ... بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها ... ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها ... دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما ... أنفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ما خلفته وجمعته ... حقاً يقيناً بعد موتك ينهبُ
تباً لدار لا يدوم نعيمها ... ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هُديت نصيحة أولاكها ... برٌّ نصوحٌ للأمور مجربُ
صحب الزمان وأهله مستبصراً ... ورأى الأمور بما تؤوب وتعقب
لا تأمن الدهر الخؤون فإنه ... ما زال قدماً للرجال يؤدب
وعواقب الأيام في غصاتها ... مضض يذل له الأعز الأنجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز ... إن التقي هو البهي الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا ... إن المطيع له لديه مقرب
واقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأسِ مما فات فهو المطلب
فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كُسي ثوبَ المذلة أشعبُ
وتوق من غدر النساء خيانة ... فجميعهن مكايد لك تنصب
لا تأمن الأنثى حياتك إنها ... كالأفعوان يراعِ منه الأنيب(٣)
لا تأمن الأنثى زمانك كله ... يوماً ولو حلفت يميناً تكذب
تغري بلين حديثها وكلامِها ... وإذا سطت فهي الصقيل الأشطب(٤)
وابدأ عدوّك بالتحية ولتكن ... منه زمانك خائفاً تترقب
واحذره إن لاقيته متبسماً ... فالليث يبدو نابه إذ يغضب

---

(١) الثُّغامة: السحابة.
(٢) الغانيات: النساء الحسناوات. آل: سراب. برق خلب: كاذب لا مطر فيه.
(٣) أنيُب: جمع ناب.
(٤) الصقيل الأشطب: السيف القاطع.

إن العدوّ وإن تقادم عهده ... فالحقد باق في الصدور مغيب
وإذا الصديق لقيته متملقاً ... فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امرىء متملقٍ ... حلو اللسان وقلبه يتلهبُ
يلقاك يحلف أنه بك واثقٌ ... وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ... ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ
وصل الكرام وإن رموك بجفوة ... فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخراً ... إن القرين إلى المقارن ينسبُ
إن الغني من الرجال مكرم ... وتراه يرجى ما لديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومِه ... ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فإنه ... حقاً يهون به الشريف الأنسبُ(١)
واخفض جناحك للأقارب كلهم ... بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا
ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً ... إن الكذوب يشين حراً يصحبُ
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ... ثرثارة في كل ناد تخطبُ
واحفظ لسانك واحترز من لفظه ... فالمرء يسلم باللبان ويعطب(٢)
والسر فاكتمه ولا تنطق به ... إن الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء إن لم يطوه ... نشرته ألسنة تزيد وتكذبُ
لا تحرصن فالحرص ليس بزائد ... في الرزق بل يشقي الحريص ويتعب
ويظل ملهوفاً يروم تحيلاً ... والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز في الناس يأتي رزقه ... رغداً ويحرم كيس ويخيب
وارع الأمانة والخيانة فاجتنب ... واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب
وإذا أصابك نكبة فاصبر لها ... من ذا رأيت مسلماً لا ينكب
وإذا رميت من الزمان بريبة ... أو نالك الأمر الأشق الأصعب
فاضرع لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقرب
كن ما استطعت عن الأنام بمعزلٍ ... إن الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فإنه ... يعدي كما يعدي الصحيحَ الأجربُ
واحذر منِ المظلوم سهماً صائباً ... واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا رأيتَ الرزق عز ببلدة ... وخشيت فيها أن يضيق المذهبُ
فارحل فأرض الله واسعة الفضا ... طولاً وعرضاً شرقُها والمغرب
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي ... فالنصح أغلى ما يباع ويوهبُ

**تتمة**: ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزي، في الأذكياء، وغيره، قال: لما حضرت نزار بن

---

(١) شَيْنٌ: عيب.
(٢) اللبان: الرضاع.

معد(١) الوفاة، قسم ماله بين بنيه، وهم أربعة: مضر وربيعة وأياد وأنمار، وقال يا بني هذه القبة وهي من أدم حمراء وما أشبهها من المال لمضر، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من المال لربيعة، وهـذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد، وهذه البدرة(٢) والمجلس لأنمار يجلس فيه. ثم قال لهم: إن أشكل عليكم الأمر في ذلك واختلفتم في القسمة، فعليكم بالأفعى بن الأفعى الجرهمي. وإنه لما مات نزار توجهوا إلى الأفعى، وكان ملك نجران فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأ قد رعي، فقال: إن البعير الذي رعى هذا أعور، فقال ربيعة: وهو أزور، وقال أياد: وهو أبتر، وقال أنمار: وهو شرود فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل، فسألهم عن البعير، فقال مضر: أهو أعور؟ قال: نعم، قال ربيعة: أهو أزور؟ قال نعم. قال إياد: أهو أبتر: قال: نعم. قال أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم، هذه صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟! ثم سار معهم، حتى قدموا نـجـران ونزلـوا بالأفعى الجرهمي. فنادى الشيخ صاحب البعير: هؤلاء أصابوا بعيري فإنهم وصفوا لي صفته، ثم قالوا: لم نره أيها الملك، فقال الأفعى: كيف وصفتموه ولم تروه؟ فقال مضر: رأيته رعى جانباً وترك جانباً، فعلمت أنه أعور. وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر، فعرفت أنه أفسـدها بشـدة وطئه لازوراره. وقال إياد: رأيت بعره مجتمعاً، فعلمت أنه أبتر، ولو كان ذيالاً لمصع به. وقال أنمار: رأيته رعى الملتف نبته، ثم جاوزه إلى مكان آخر أرق منه، فعلمت أنـه شرود. فقال الأفعى للشيخ: ليسوا بأصحاب بعيرك، فاطلبه. ثم سألهم من هم؟ فأخبروه، فرحب بهم. ثم قال أتحتاجون إلي وأنتم كما أرى؟ فدعا لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا، فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أجود لولا أنها على مقبرة. وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أجود لولا أنه ربي بلبن كلبة! وقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أثرى منه لولا أنه ليس بابن أبيه الذي يدعى إليه! وقال أنمار لم أر كاليوم خبزاً أجود لولا أن التي عجنته حائض!

وكان الأفعى قد وكل بهم من يستمع كلامهم، فأعلمه بما سمع منهم فطلب صـاحب شرابه، وقال له: الخمرة التي جئت بها ما قصتها؟ قال هي من كرمة غرستها على قبر أبيك، لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها. وقال للراعي اللحم ما أمره؟ قال: من لحم شاة أرضعناها بلبن كلبة، ولم يكن في الغنم أسمن منها فدخل داره، وسأل الأمة التي عجنت العجين؟ فأخبرته أنها حائض. ثم أتى أمه وسأل منها عن أبيه؟ فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له، فكرهت أن يذهب الملك، فأمكنت رجلاً نـزل بهم من نفسها فوطئها، فأتت به. فعجب من أمرهم، ودس عليهم من سألهم عما قالوا؟ فقال مضر: إنما علمت أنها من كرمة غرست على قبر، لأن الخمر إذا شربت أزالت الهم، وهذه بخلاف ذلك، لأنا لما شربناها دخل علينا الغم. وقال ربيعة: إنـما علمت أن اللحم لـحم شاة رضعت من لبن كلبة، لأن لحم الضأن وسائر اللحوم، شحمها فوق اللحم إلا الكلاب، فإنها عكس ذلك، فرأيته موافقاً له فعلمت أنه لحم شاة رضعت من كلبة،

---

(١) نزار بن معد بن عدنان، من أجداد العرب في الجاهلية. كنيته أبو إياد.

(٢) البدرة: الكيس فيه مال.

فاكتسب اللحم منها هذه الخاصية. وقال إياد: إنما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذي يدعى إليه لأنه صنع لنا طعاماً ولم يأكل معنا، فعرفت ذلك من طباعه، لأن أباه لم يكن كذلك وقال أنمار: إنما علمت أن الخبز عجنته حائض، لأن الخبز إذا فت انتفش في الطعام، وهو بخلاف ذلك فعلمت أنه عجين حائض.

فأخبر الرجل الأفعى بذلك، فقال: ما هؤلاء إلا شياطين، ثم أتاهم فقال لهم: قصوا قصتكم، فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم، وما كان من اختلافهم. فقال: ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر، فصارت له الدنانير والإبل وهي حمر فسميت مضر الحمراء. ثم قال وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال، فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم فسميت ربيعة الفرس. ثم قال: وما أشبه الخادم، وكانت شمطاء، من مال، فهو لإياد، فصارت له الماشية البلق[1] من الخيل وغيرها وقضى لأنمار بالدراهم والأرض. فساروا من عنده على ذلك.

وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في باب الكاف في الكلام على الكلب، ما نقله السهيلي من أن ربيعة ومضر كانا مؤمنين.

وفي وفيات الأعيان في ترجمة ابن التلميذ[2] شيخ النصارى والأطباء، أنه كان بينه وبين أوحد الزمان[3] هبة الله الحكيم المشهور تنافس، وكان يهودياً فأسلم في آخر عمره، وأصابه الجذام، فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده بعد أن جوّعها، فبالغت في نهشه، فبرىء من الجذام وعمي فعمل[4] فيه ابن التلميذ شعراً:

لنا صديق يهودي حماقته ... إذا تكلم تبدو فيه من فيهِ
يتيه والكلب أعلى منه منزلة ... كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ متواضعاً وأوحد الزمان متكبراً، فعمل فيهما البديع[5] الاسطرلابي شعراً:

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه ... أبو البركات في طرفي نقيضِ
فهذا بالتواضع في الثريا ... وهذا بالتكبر في الحضيض

وقد ألغز أبو الحسن بن التلميذ في الميزان وأجاد[6]:

---

(١) الماشية البلق: فيها سواد وبياض.

(٢) ابن التلميذ هو هبة الله بن صاعد، أبو الحسن، حكيم طبيب وأديب مترسل وله شعر. عاش في بغداد واتصل بالخلفاء العباسيين، وكان نصرانياً، وله مؤلفات كثيرة في الطب وغيره. توفي سنة ٥٦٠ هـ.

(٣) أوحد الزمان هو هبة الله بن علي بن ملكاً البلدي، أبو البركات، طبيب بغدادي، كان يهودياً وأسلم في أواخر حياته وعاش في خدمة المستنجد بالله العباسي. مات في همذان سنة ٥٦٠ هـ. وترك مؤلفات كثيرة متنوعة.

(٤) وفيات الأعيان: ٧٤/٦.

(٥) هو هبة الله بن الحسين بن يوسف الاسطرلابي، أبو القاسم، المعروف بالبديع فيلسوف من علماء الأطباء والفلكيين، من أهل بغداد، له شعر. مات سنة ٥٣٤ هـ. والشعر في وفيات الأعيان: ٧٥/٦.

(٦) وفيات الأعيان: ٦٩/٦.

مــا واحــد مخــتــلــف الأســاء    يــعــدل في الأرض وفي الســـاء
يحــكــم بـــالــقــسط بــلا ريـــاء    أعــمــى يــرى الإرشــاد كــل راء
أخـــرس لا مـــن عـــلـة وداء    يــغـني عــن الـتـصريــح بـــالإيمــاء
يجــيـــب إن نـــاداه ذو امـــتراء    بـــالـــرفــع والخــفــض عــن الــنــداء
يــفــصــح إن عـــلــق في الهـــواء

وقوله مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس للأسطُرلاب، وسائر آلات الرصد، وهو معنى قوله يعدل في الأرض وفي السماء.

وميزان الكلام النحو، وميزان الشعر العروض، وميزان المعاني المنطق، وهذه الميزان وغير ذلك. والأسطرلاب بفتح الهمزة وإسكان السين وضم الطاء ومعناه ميزان الشمس. لأن أسطر اسم للميزان، ولاب اسم للشمس بلسان اليونان، وأول من وضعه بطليموس بفتح الباء واللام وإسكان الطاء والياء وضم الميم وله في وضعه قصة عجيبة، تركناها لطولها.

وكان ابن التلميذ قد جمع أنواعاً من العلوم، حتى كان يتعجب من أمره كيف حُرم الإسلام، مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه، وهذا سر قوله تعالى: ﴿**ومن يضلل الله فلا هادي له**﴾[1] نسأل الله الوفاة على التوحيد آمين. توفي ابن التلميذ في صفر سنة ستين وخمسمائة.

**الخواص**: دمها يكتحل به يجلو البصر، وقلبها يجفف ويشد على الإنسان، فلا يؤثر فيه السحر وإذا علق ضرس الأفعى الأيسر، على من يشتكي ضرسه، نفعه وإن علق على فخذ امرأة لم تحبل ما دام عليها. وقال القزويني، وابن زهر، وابن بختيشوع: إن قلب الأفعى، إذا علق على من به حمى الربع أبرأه. وشحمها ينفع من لسع سائر الهوام دلكاً. وإن نتف الشعر من مكان، وطلي ذلك المكان بشحمها، منعه من النبات وإذا أمسك إنسان نوشادراً في فمه، حتى يذوب ثم بصق في فم الحية والأفعى ماتا من وقتهما. وسلخ الأفعى إذا طبخ بالخل، وتمضمض به نفع من وجع الأسنان والأضراس. وإذا سحق بالتراب، واكتحل به نفع من ظلمة البصر. وشحمها ينفع البواسير وبياض العين طلاء وكحلاً. ومرارتها سم ساعة. وقال أبقراط: من أكل لحم الأفعى، أمن من الأمراض الصعبة.

**حكي**: عن عمرو بن يحيى العلوي أنه قال: كنا في طريق مكة فأصاب رجلاً منا استسقاء، فاتفق أن العرب سرقوا قطاراً منا فيه ذلك الرجل العليل، فلما رجعنا إلى الكوفة، وجدناه معافى، فسألناه عن حاله فقال: إن الأعراب لما انتهوا بي إلى مساكنهم، وهي على فراسخ، طرحوني في أواخر بيوتهم، فكنت أتمنى الموت، إلى أن رأيتهم يوماً قد أخرجوا أفاعي اصطادوها، فقطعوا رؤوسها وأذنابها وشووها فقلت في نفسي: هؤلاء اعتادوا أكلها فلا تضرهم فلعلي إن أنا أكلت منها مت واسترحت، فاستطعمتهم فرمى إلي رجل منهم واحدة، فأكلتها فنمت نوماً ثقيلاً ثم استيقظت وقد عرقت عرقاً شديداً واندفعت طبيعتي أكثر من مائة مرة، فلما أصبحت، وجدت

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٦.

بطني قد ضمر فطلبت منهم مأكولاً فأكلت، وأقمت عندهم إلى أن وثقت من نفسي بالشفاء ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة.

**الأقهبان**: الفيل والجاموس قال رؤبة[1] يصف نفسه بالشدة:

ليثٌ يدق الأسد الهموسا والأقهبين الفيل والجاموسا[2]

**الأملول**: دويبة فتكون في الرمل تشبه القطاة قاله ابن سيده.

**الإنس**: البشر الواحد انسي وأنسيَ أيضاً بالتحريك، والجمع أناسي، وإن شئت جعلته إنساناً، ثم جمعته على أناسي فتكون الياء عوضاً عن النون. قال[3] تعالى: ﴿**وأناسي كثيراً**﴾ وكذلك الأناسية مثل الصيارفة والصياقلة، ويقال للمرأة أيضاً إنسان ولا يقال إنسانة والعامة تقوله قال الجوهري وأنشدوا على ذلك:

إنسانة فتانة بدر الدجى منها خجل
إذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

**الإنسان**: نوع العالم، والجمع: الناس. قال الجوهري وتقدير إنسان على فعلان، وإنما زيد في تصغيره ياء. وقيل أنيسيان كما زيد في تصغير رجل، فقيل: رويجل. وقال قوم: أصله إنسيان على وزن افعلان، فحذفت الياء تخفيفاً لكثرة ما يجري على الألسنة، وإذا صغروها ردوها لأن التصغير لا يكبر واستدلوا عليه بقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنه إنما سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي.

والأناس لغة في الناس، وهو الأصل فخفف، قال[4] تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾، وهو اعتداله، وتسوية أعضائه، لأنه خلق كل شيء منكباً على وجهه، وخلقه سوياً وله لسان ذلق، ينطق به ويد وأصابع يقبض بها، مزيناً بالعقل مؤدباً بالأمر، مهذباً بالتمييز، يتناول مأكوله ومشروبه بيده.

وروى الطبراني في معجمه الأوسط، بإسناد صحيح، عن أبي مزينة الدارمي، وكانت له صحبة، قال: كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ، إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر**﴾[5].

**فائدة**: قال ابن عطية: من الدليل على أن القرآن غير مخلوق، أن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعاً، ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسان على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعاً، كلها نصّت على خلقه، وقد افترق ذكرهما على هذا النحو، في قوله[6] تعالى: ﴿**الرحمن علم القرآن خلق الإنسان**﴾. قال القاضي

---

(١) رؤبة بن عبد الله العجّاج بن رؤبة التميمي السعدي، أبو الجحّاف، راجز من الفصحاء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، أكثر مقامه في البصرة. مات سنة ١٤٥ هـ.

(٢) ديوانه: ٦٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٤٩.

(٤) سورة التين: الآية ٤.

(٥) سورة العصر: الآية ٢.

(٦) سورة الرحمن: الآية ١، ٢.

أبو بكر بن العربي المالكي الإمام العلامة: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله تعالى خلقه حياً عالماً قادراً متكلماً سميعاً بصيراً مدبراً حكيماً، وهذه صفات الرب جل وعلا وعنها وقع البيان بقوله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته يعني[1] على صفاته، التي قدمنا ذكرها.
قلت: وهنا مجال رحب لأصحاب الكلام في أصول الدين أضربنا عنه، إذ ليس هو من غرضنا في هذا الكتاب.

وروى أبو بكر المتقدم ذكره، بإسناده أن موسى بن عيسى[2] الهاشمي، كان يحب زوجته حباً شديداً فقال لها يوماً: أنت طالق ثلاثاً، إن لم تكوني أحسن من القمر، فاحتجبت عنه، وقالت: طلقت. فبات بليلة عظيمة، فلما أصبح أتى المنصور وأخبره بذلك، فاستحضر الفقهاء، وسألهم عن ذلك؟ فأجاب كل منهم بالطلاق، إلا واحداً منهم، فقال: لا تطلق لقوله تعالى[3]: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾. فقال المنصور: الأمر كما ذكرت، ثم أرسل إلى زوجته بذلك. وهذا الجواب ينقل عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وعندي في قوله: موسى بن عيسى نظر، والذي أظنه أنه عيسى بن موسى فإنه كان ولي عهد المنصور، ثم خلعه من ولاية العهد لولده المهدي، وقد تقدم أن الشافعي رضي الله تعالى عنه، ولد في سنة خمسين ومائة، والمنصور كانت وفاته على ما ذكره ابن خلكان وغيره في سنة ثمان وخمسين ومائة، فكيف يتصور أن يكون الشافعي المفتي في هذه الواقعة؟ فليتأمل ذلك.

قلت: وقد أذكرتني هذه الحكاية، ما ذكره الزمخشري، عند قوله[4] تعالى: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ أن عِمران بن حطان[5] الخارجي كان شديد السواد، وكانت امرأته من أجمل النساء، فأطالت نظرها في وجهه يوماً وقالت: الحمد لله فقال: ما لك؟ فقالت: حمدت الله تعالى على أني وإياك في الجنة. قال: كيف؟ قالت: لأنك رزقت مثلي فشكرت، ورزقتُ مثلك فصبرتْ وقد وعد الله عباده الصابرين والشاكرين الجنة. وذكر[6] ابن الجوزي في الأذكياء وغيره أن عمران بن حطان هذا كان أحد الخوارج، وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم لعنهما الله على قتل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه:

يـا ضربـةً من تقـي مـا أراد بهـا ... إلا ليبلغ من ذي العـرش رضوانـاً
إني لأذكـره يـومـاً فـأحـسبـه ... أوفى الـبريـة عـنـد الله ميـزانـاً

---

(١) رواه ابن حنبل: ٣/٢٤٤، ٢٥١، ٣١٥، ٣٢٣، ٤٣٤، ٤٦٣. ورواه البخاري في الاستئذان: ١. ومسلم في البر: ١١٥ والجنة: ٢٨.
(٢) هو موسى بن عيسى بن محمد العباسي الهاشمي من الولاة، وكان جواداً عاقلاً، مات سنة ١٨٣ هـ.
(٣) سورة التين: الآية ٤.
(٤) سورة النساء: الآية ١٢٧.
(٥) هو عِمران بن حطان بن ظبيان السدوسي، من رؤوس الصُّفرية من الخوارج خطيب وشاعر. مات سنة ٨٤ هـ.
(٦) الأذكياء: ٢١٠.

أكــرم بقــوم بــطونُ الأرض أقبرُهم		لم يخلطوا دينهم بـغـيـاً وعــدوانــاً

فبلغت القاضي أبا الطيب الطبري(١) هذه الأبيات فقال مجيباً له:

إني لأبــرأ ممــا أنــت قــائــله		في ابـن مـلجـم الملعـون بهـتـانـا
إني لأذكــره يــومـاً فـألـعـنـه		ديـنـاً وألعـن عمـران بـن حـطانـا
عليـك ثم عليه الـدهـر متصـلا		لـعـائـن الله إسراراً وإعـلانـا
فـأنتم من كـلاب النـار جـاء لنـا		نص الشريعـة بـرهـا وتبيـانـا(٢)

أشار أبو الطيب إلى قوله ﷺ «الخوارج كلاب(٣) النار».

**عجيبة**: رأيت في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار، في ترجمة علي بن نصر الفقيه ابن أحمد المالكي، والد القاضي عبد الوهاب، وكان ثقة عدلاً قال: زوجت أيام عضد الدولة ابن بويه، بعض غلمانه الأتراك صبية في جوارنا، وكان لها ولوالدتها أنس بدارنا، وكانت من الموصوفات بالستر والعفاف، ومضى على ذلك سنتان فحضر إلي الغلام التركي، وقال: يا سيدي هذه المرأة التي زوجتني بها قد ولدت مني إبناً، ولا أشكو شيئاً من أمرها، ولا أنكره، غير أنها ما أرتني ولدي منذ ولدته وكلما طالبتها به دافعتني عنه، وأريد أن تستدعيها وتسألها عن ذلك، قال: فاستدعيت والدتها فحضرت وخاطبتها من وراء الستر، على ما قاله زوج ابنتها فأسرّت إلي وقالت: يا سيدي صدق فيما حكاه، وإنما دافعناه عن هذا لأنا قد بلينا ببلية قبيحة، وذلك أن زوجته ولدت منه ولداً أبلق من رأسه إلى سرته أبيض، وبقية بدنه أسود! قال فسمع التركي قولها أبلق فصاح ابني ابني! وهكذا كان جدي ببلاد الترك وقد رضيت ففرحت المرأة بقوله وانصرفت وأظهرت له الولد.

وافتتح ابن بختيشوع ومعناه عبدالمسيح كتابه في الحيوان، بالإنسان وقال: إنه أعدل الحيوان مزاجاً، وأكمله أفعالاً وألطفه حساً، وأنفذه رأياً، فهو كالملك الملط القاهر لسائر الخليقة، والآمر لها، وذلك بما وهبه الله تعالى له من العقل، الذي به يتميز على كل الحيوان البهيمي، فهو بالحقيقة ملك العالم ولذلك سماه قوم من الأقدمين العالـم الأصغر.

**فائدة**: نقل الشيخ شهاب الدين أحمد البوني رحمه الله في كتابه المسمى بسر الأسرار عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: من كانت له حاجة فليصم الأربعاء والخميس والجمعة، فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وقال: اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم، الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والأرض، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عنت له

---

(١) الطبري: طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري، أبو الطيِّب، قاض من أعيان الشافعية، عاش ومات في بغداد سنة ٤٥٠ هـ.

(٢) الأبيات في الأذكياء: ٢١٠. وفي البيت الأخير: «جاء به... بياناً وبرهاناً».

(٣) رواه ابن ماجه مقدمة: ١٢، ٥٠ وابن حنبل: ٤/٣٥، ٣٨٢.

الوجوه، وخشعت له الأبصار، ووجلت القلوب من خشيته، أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تعطيني مسألتي وتقضي حاجتي وتسميها برحمتك، يا أرحم الراحمين. وهو سر لطيف مجرب.

وقال: من كتب: محمد رسول الله، أحمد رسول الله خمساً وثلاثين مرة يوم الجمعة، بعدصلاة الجمعة، على طهارة كاملة وحملها معه، رزقه الله تعالى القوة على الطاعة، ومعونة على البركة، وكفاه همزات الشياطين. وإن هو استدام النظر إلى تلك البطاقة كل يوم عند طلوع الشمس، وهو يصلي على محمد ﷺ، كثرت رؤيته للنبي ﷺ. وهو سر لطيف مجرب.

وروى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه، أنه رأى رب العزة في المنام تسعاً وتسعين مرة، فقال: إن رأيته تمام المائة لأسألنه، فرآه تمام المائة فسأله وقال: يا رب بماذا ينجو العباد يوم القيامة؟ فقال له: من قال كل يوم، بكرة وعشياً، ثلاث مرات سبحان الأبدي الأبد، سبحان الواحد الأحد، سبحان الفرد الصمد، سبحان من رفع السماء بغيرعمد، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد، سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وقال الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه، من قال كل يوم، بين صلاة الفجر والصبح، أربعين مرة يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا الله لا إله إلا أنت، أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك، يا أرحم الراحمين. أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب.

فائدة أخرى: في كتاب البستان عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يحفظ الله عليه الإيمان، حتى يلقاه يوم القيامة، فليصل كلّ ليلة بعد سُنّة المغرب، قبل أن يتكلم، ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل أعوذ برب الفلق مرة وقل أعوذ برب الناس مرة، ويسلم منهما، فإن الله تعالى يحفظ عليه الإيمان، حتى يوافي ربه يوم القيامة».

قال الراوي وهذه فائدة عظيمة غنيمة.

وذكر النسفي هذا الحديث بسند طويل وزاد فيه: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر[1]﴾ قبل الإخلاص، ويسبح خمس عشرة مرة بعد السلام، ويقول عقب التسبيح: اللهم أنت العالم ما أردت بهاتين الركعتين، اللهم اجعلهما لي ذخراً يوم لقائك، اللهم احفظ بهما ديني، في حياتي وعند مماتي، وبعد وفاتي، آمنه الله سلب الإيمان. وهذه فائدة عظيمة من أعظم المهمات. وسئل بعض الحكماء وذوي الفصاحة من العلماء، أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال. قال فإذا كانت ثلاثاً؟ قال: الدين والمال والحياء. قال: فإذا كانت أربعاً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت خمساً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء. فمن اجتمع فيه هذه الخصال الخمس فهو تقي نقي لله ولي، ومن

---

(١) سورة القدر: الآية ١.

الشيطان بري وقال: المؤمن شريف ظريف، لطيف لا لعان ولا نمام، ولا مغتاب ولا قتات، ولا حسود ولا حقود، ولا بخيل ولا مختال، يطلب من الخيرات أعلاها، ومن الأخلاق أسناها، إن سلك مع أهل الآخرة، كان أورعهم، غضيض الطرف سخي الكف، لا يرد سائلاً ولا يبخل بنائل، متواصل الأحزان، مترادف الإحسان، يزن كلامه ويحرس لسانه، ويحسن عمله، ويكثر في الحق أمله، متأسف على ما فاته من تضييع أوقاته، كأنه ناظر إلى ربّه مراقب لما خلق له لا يرد الحق على عدوّه، ويبطل الباطل من صديقه، كثير المعونة قليل المؤونة، يعطف على أخيه عند عسرته لما مضى من قديم صحبته فهذه صفات المؤمنين، الخالصين الموحدين لرب العالمين.

وكان رجل من عباد الله الصالحين الموحدين يصحب إبراهيم(١) بن أدهم رضي الله تعالى عنه، فقال له: علمني اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى فقال: قل هذه الكلمات صباحاً ومساءً فإنه ما دعا بهن خائف، إلا أمن ولا سائل إلا أعطاه الله مسألته وهي هذه الكلمات: يا من له وجه لا يبلى ونور لا يطفى، واسم لا ينسى، وباب لا يغلق، وستر لا يهتك، وملك لا يفنى، أسألك وأتوسل إليك بجاه محمد ﷺ أن تقضي حاجتي وتعطيني مسألتي.

وقال بعض العلماء: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى هو لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الأحد، اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، الحنّان المنّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم.

وسئل الإمام النووي رحمه الله تعالى، عن اسم الله الأعظم ما هو، وفي أي سورة هو؟ فأجاب رضي الله تعالى عنه: فيه أحاديث كثيرة ففي سنن ابن ماجه، وغيره عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «في ثلاث سور في البقرة وآل عمران وطه». قال بعض الأئمة المتقدمين: هو الحي القيوم، لأنه في البقرة، في آية الكرسي، وفي أول آل عمران، وفي طه في قوله(٢) تعالى: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم﴾. وهذا استنباط حسن والله أعلم.

وقد ثبت في صحيح مسلم رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ(٣) قال: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل» قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «يقول قد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء».

**فائدة**: فيمن يستجاب دعاؤهم قطعاً: المضطر، والمظلوم مطلقاً، ولو كان فاجراً أو كافراً، أو الوالد على ولده، والإمام العادل، والرجل الصالح، والولد البار بوالديه، والمسافر حتى يرجع، والصائم حتى يفطر، والمسلم للمسلم ما لم يدع بظلم، أو قطيعة رحم، أو يقل دعوت فلم أجب.

**ومن الفوائد المجربة**: العظيمة البركة، الكثيرة الخير، لقضاء الحوائج، وتفريج الهم والغم، وهي من الأسرار المخزونة المكنونة، كما قاله شيخنا اليافعي: أن تقرأ بعد صلاة العشاء،

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، زاهد مشهور، مات سنة ١٦١ هـ.

(٢) سورة طه: الآية ١١١. (٣) رواه مسلم في الذكر: ٩٢.

على طهارة كاملة، في جلسة واحدة، اسمه تعالى «لطيف» ست عشرة ألف مرة وستمائة مرة وإحدى وأربعين مرة، والحذر ثم الحذر من الزيادة والنقص فإنه يبطل السر. والحيلة في معرفة ضبط ذلك أن تأخذ سبحة عدتها ١٢٩ فتقرأ الاسم عليها ١٢٩، فيحصل المقصود، وهذه أقرب الطرق المستقيمة لمعرفتها فإن عدة حروفه أربعة وهي ل ط ي ف جملتها ١٢٩ فاضربها في مثلها، فتكون جملتها ستة عشر ألفاً وستمائة وإحدى وأربعين وتسمي حاجتك فإنها تقضى إن شاء الله تعالى لا محالة وفي كل مائة وتسع وعشرين مرة تقول: لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وهذه للدعاء على الظالم ومنها لجلب الخير والرزق والبركة، تقول عقب كل صلاة مائة ثم تقول: الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز. ومنها لدفع كيد الظلمة لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. والدعاء بعد تمام قراءة الاسم المبارك: اللهم وسع علي رزقي، اللهم عطف علي خلقك كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن ذل السؤال لغيرك، برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى: كن متمسكاً بهذه الصفات الحميدة تفز بسعادة الدارين، لا تتخذ من الكافرين ولياً ولا من المؤمنين عدواً، وارتحل بزادك من التقوى في الدنيا، وعد نفسك من الموتى، واشهد لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة، وحسبك عمل صالح وإن قل، وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فمن كان متمسكاً بهذه الصفات الحميدة، ضمن الله عزّ وجلّ له أربعة في الدنيا: الصدق في القول والإخلاص في العمل والرزق كالمطر والوقاية من الشر وأربعة في الآخرة المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى، واللحوق بالدرجة العليا.

وإن أردت الصدق في القول، فداوم على قراءة إنا أنزلناه في ليلة القدر، وإن أردت الرزق كالمطر، فداوم على قراءة قل أعوذ برب الفلق، وإن أردت السلامة من شر الناس فداوم على قراءة قل أعوذ برب الناس، وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة، فداوم على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين هو نعم المولى ونعم النصير، وقراءة سورة الواقعة وسورة يس فإنه يأتيك الرزق كالمطر وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقك من حيث لا تحتسب، فالزم الاستغفار وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويفزعك، فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه، وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وإن يحضرون.

وإن أردت أن تعرف أي وقت تفتح فيه أبواب السماء، ويستجاب الدعاء فاشهد وقت نداء المنادي فأجبه ففي الحديث[1] «من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادي»، والمنادي هو المؤذن. وإن أردت أن تسلم من أمر يكربك، فقل: توكلت على الحي الذي لا يموت أبداً، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبره تكبيراً. ففي الحديث[2]

---

(١) رواه أحمد: ١/٩١، ٩٤.

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة: ٤، ٨ورواه مسلم في الإيمان: ٢، ٣.

«مما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل، فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت أبداً وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبّره تكبيراً».

وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك، فقل: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي فيذهب عنك همك وغمك وحزنك. وإن أردت أن يداويك الله من تسعة وتسعين داء، أيسرها اللمم، فقل ما ورد في الحديث[1]: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» فإنها دواء مما ذكر. وإن أردتَ أن تؤجر بما يصيبك من مصيبة، فقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني خيراً منها. ومنه: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله، وعلى الله توكلنا. وإن أردت أن يذهب همُّك، ويقضى دينك، فقل، إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين، وقهر الرجال. وإن أردت أن توفق للخشوع، فاترك فضول النظر. وإن أردت أن توفق للحكمة، فاترك فضول الكلام. وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة، فاترك فضول الطعام، وعليك بالصوم، وقيام الليل والتهجد فيه. وإن أردت أن توفق للهيبة فاترك المزح والضحك، فإنهما يسقطان الهيبة. وإن أردت أن توفق للمحبة، فاترك فضول الرغبة في الدنيا. وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك، فاترك التجسس عن عيوب الناس، فإن التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان. وإن أردت أن توفق للخشية فاترك التوهم في كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق. وأن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء، فاترك الظن السيء بكل الناس. وإن أردت العزلة، فاترك الاعتقاد في الناس وتوكل على الله وإن أردت أن لا يموت قلبك، فقل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت. وإن أردت أن ترى النبي ﷺ يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فأكثر من قراءة: إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت. وإن أردت أن ينور وجهك، فداوم على قيام الليل. وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة، فلازم الصوم. وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر، فاحترز من النجاسات، واترك أكل المحرمات، وارفض الشهوات. وإن أردت أن تكون غنياً فلازم القناعة وإن أردت أن تكون خير الناس، فكن نافعاً للناس. وإن أردت أن تكون أعبد الناس، فكن متمسكاً بقوله[2] ﷺ: «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن، أو يعلّم من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة: قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي، وعد خمساً، قال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب لناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب».

(١) رواه ابن ماجة في الأدب: ٥٩.

(٢) رواه أحمد: ٢/٣١٠، ٣/٤٢٥. والترمذي في الزهد: ٢.

وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين، فاعبد الله كأنك تراه، فإن لـم تكن تراه فإنه يراك. وإن أردت أن يكمل إيمانك، فحسن خلقك. وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين. ففي الحديث «إذا أحب الله عبداً صير حوائج الناس إليه». وإن أردت أن تكون من المطيعين، فأد ما فرض الله عليك، وإن أردت أن تلقى الله تعالى نقياً من الذنوب، فاغتسل من الجنابة، ولازم غسل الجمعة، تلق الله تعالى يوم القيامة، وما عليك من ذنب. وإن أردت أن تحشر يوم القيامة في النور الهادي، وتسلم من الظلمات، لا تظلـم أحداً من خلق الله تعالى. وإن أردت أن تقل ذنوبك، فالزم دوام الاستغفار. وإن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله. وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق طموماً كالمطر، فلازم الدوام على الطهارة الكاملة. وإن أردت أن تكون آمناً من سخط الله، فلا تغضب على أحد من خلق الله. وإن أردت أن يستجاب دعاؤك، فاجتنب الحرام، وأكل الربا، وأكل السحت. وإن أردت أن لا يفضحك الله على رؤوس الخلائق، فاحفظ فرجك ولسانك. وإن أردت أن يستر الله تعالى عليك عيبك، فاستر على عيوب الناس فإن الله تعالى ستـار ويحب من عباده الستارين. وإن أردت أن تمحي خطاياك، فـأكثر من الاستغفـار، والخشوع، والخضـوع، والحسنات في الخلوات. وإن أردت الحسنات العظام، فعليك بحسن الخلق، والتواضع، والصبر على البلية. وإن أردت السلامة من السيئات العظام، فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع. وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار، فعليك بإخفاء الصدقة، وصلة الرحم. وإن أردت أن يقضي الله عنك الدين، فقـل ما قـاله النبي ﷺ للأعرابي حين سأله، وقال[1] عليه الصلاة والسلام له: «لو كان عليك مثل الجبال ديناً، أداه الله عنك، قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك». وفي الحديث: «لو كان على أحدكم جبل من ذهب ديناً فدعا بذلك لقضاه الله عنه وهو اللهم فارج الكرب اللهم كاشف الهم اللهم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أسألك أن ترحمني رحمة تغنيني بهـا عمن سواك». وإن أردت أن تنجـو إذا وقعت في هلكة فـالزم مـا في الحديث[2]، إذا وقعت في ورطة فقل «بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء والورطة. بفتح ا لواو وإسكان الراء الهلاك. وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد في الحديث[3]: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم». ومنه اللهم اكفناهم بما شئت إنك على كل شيء قدير. وإن أردت أن تأمن، إن خفت من سلطان، فقل ما ورد في الحديث[4]: «لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عزّ جارك وجل ثناؤك لا إله إلا أنت» ويستحب أن يقول ما تقدم اللهم إنا نجعلك في نحورهم إلى آخره. وفي الحديث: «إذا

---

(١) رواه الترمذي في الدعاء: ١١٠.

(٢) رواه البخاري في الأذان: ٧. والتهجد: ٢١، والقدر: ٧، والدعوات: ٦٨. ومسلم في الصلاة: ١٢، والمساجد: ١٣٩، والذكر: ٣٢، ٤٤، ٤٦.

(٣) رواه أبو داود في الوتر: ٣٠، وابن حنبل: ٤/٤١٤، ٤١٥.

(٤) رواه مسلم في الذكر: ١، والترمذي في الطب: ٣٢، وابن ماجه في الدعاء: ٢/١٧.

أتيت سلطاناً مهاباً تخاف أن يسطو عليك، فقل الله أكبر الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف واحذر، والحمد لله رب العالمين». وإن أردت ثبات القلب على الدين، فقد أسند مرفوعاً أنه كان من دعائه[1] ﷺ: «اللهم ثبت قلبي على دينك» وفي رواية[2]: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك».

**فائدة**: مجربة لمن دخل على سلطان يخاف شره، فليقرأ: ﴿**الذي آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**[3]﴾ ﴿**الذي قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم**﴾[4]. وإن أردت كثرة الخير والرزق، فداوم على قراءة ألم نشرح وسورة الكافرون. وإن أردت الستر من الناس فداوم على قول اللهم استرني بسترك الجميل، الذي سترت به نفسك، فلا عين تراك. وإن أردت عدم الجوع والعطش، فداوم على قراءة لإيلاف قريش إيلافهم، وقد جرب ذلك مراراً وصح. وإن خفت على تجارتك أو مالك فاكتب سورة الشعراء وعلقها في موضع تجارتك يكثر فيه البيع والشراء. ومن كتب سورة القصص، وعلقها على من يخاف عليه التلف، فإنها أمان له من ذلك وهو سر لطيف مجرب.

**فائدة**: عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يتول قبض روحه إلا الله تعالى». وعن أبي نعيم قال: سمعت معروفاً الكرخي يقول لما «اجتمعت اليهود على قتل عيسى عليه السلام، اهبط الله تعالى جبريل عليه السلام مكتوباً في باطن جناحه اللهم إني أعوذ باسمك الأحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال، الذي ملأ الأركان كلها أن تكشف عني ضر ما أمسيت وأصبحت فيه. فقال ذلك عيسى فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبريل عليه السلام أن ارفع عبدي إلي».

**فائدة**: مما جرب للصداع فصح ما روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: وجد في بعض دور بني أمية درج من فضة وعليه قفل من ذهب، مكتوب على ظهره: شفاء من كل داء، وفي داخله مكتوب هذه الكلمات: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اسكن أيها الوجع سكنتك بالذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم، بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اسكن أيها الوجع سكنتك بالذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليماً غفوراً قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: فما احتجت معه إلى طبيب قط بإذن الله تعالى فإنه هو الشافي.

ومما جرب للصداع أيضاً أن يكتب على ورقة بيضاء، وتلصق على المحل الذي فيه

---

(١) رواه الترمذي: ٧، وابن ماجه في المقدمة: ١٣.

(٢) رواه ابن ماجه في الدعاء: ٢، والترمذي في الدعوات: ٨٩، ١٢٤. والقدر: ٧.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٤.

الصداع، فإنه يزول بإذن الله تعالى وهو صحيح مجرب دم ٥ م ل ٥. ووجد أيضاً في ذخائر بني أمية ترس مربع من ذهب، وعليه أزرار من الزمرد الأخضر مملوء بالمسك والكافور والعنبر الخام، وكان من جعله على رأسه، أزال عنه الصداع البتة في الوقت والساعة ففتقوا الترس فوجدوا في باطن أزراره بطاقة مكتوباً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**ذلك تخفيف من ربكم ورحمة**﴾[1] بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفاً**[2]﴾، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وإذا سألك عبادي عني، فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**[3]﴾ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً**[4]﴾. بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وله ما سكن في الليل والنهار، وهو السميع العليم**[5]﴾..

ومما جرب للصداع أيضاً أن تكتب هذه الأحرف على لوح خشب أو مكان طاهر، وتدق في الحرف الأول مسماراً وتقرأ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً، وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم، وتدق دقاً خفيفاً فإن سكن الصداع فبالغ، عليه بالدق إلى قرصه، وإن لم يسكن فانقل المسمار من حرف إلى حرف إلى أن يسكن الصداع فلا بد أن يسكن في حرف منها كما جرب ذلك مراراً وهي هذه اح اكـ كـ ح ع ح ا م ح والسواد موضع وضع المسمار ويجمعها قولك:

| | |
|---|---|
| إني حملت إليك كل كريمة | حوراء عن حظ المتيم ما حنتْ |
| فأوائل الكلمات منها مقصدي | لصداع رأس يا فتى قد جربت |

ثم قال أي ابن بختيشوع: ومما ذكر من الخواص، وشهدت به التجربة، ما قاله الحكيم جالينوس: إذا أخذت شعر ابن آدم وأحرقته، وخلطته بماء الورد، ووضعته المرأة على رأسها، عند الطلق تسهل عليها الولادة. وإن طليت البرص والبهق بمني ابن آدم أبرأه. وإذا حططته في البيت، اجتمعت عليه البراغيث. وبصاق ابن آدم سم الحيات فإنك إن بصقت في فم الحية ثلاث مرات تموت من ساعتها. وإذا أوقدت سراجاً من دهن ابن آدم، في ليلة ذات رياح، سكنت الرياح. وشعر المرأة بطوله، إذا طرح في ماء البحر بحيث لا يخرج منه، صار حية مائية. وإذا اكتحل الإنسان بلبن النساء مع سكر طبرزد ينفع لبياض العين. والطفل الأزرق العينين إذا رضع من لبن الجارية الحبشية أربعين يوماً اسودت عيناه. وإذا أخذت بول الصبي وخلط برماد حطب الكرم، وحط على القرحة نفعها. وإذا علقت المرأة عليها سن الطفل الذي وقع في أول سنة لا تحبل. قال جالينوس[6] ويحيى[7] بن ماويشه: مرارة ابن آدم سم قاتل، ومن اكتحل بمرارة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٤٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٣.

(٦) جالينوس: عالم يوناني ظهر بعد ستمائة وخمس وستين سنة من وفاة ابقراط. الفهرست: ٤٠٢.

(٧) هو يحيى بن ماسويه، طبيب مقدم، عالم مصنف خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل الفهرست: ٤١١.

ابن آدم نفعته من بياض العين. وقال ابن ماويشه: سرة الطفل أول ما تقطع إذا علقتها المرأة على يدها، وبها ألم سكن. وإذا أخذ عظم ابن آدم وأحرق وسحق وخلط معه صبر ونفخ في الأنف الذي فيه البسور أبرأه بإذن الله تعالى. وإذا أخذت الحيات التي تخرج من بطن ابن آدم وجففت وسحقت ناعماً، واكتحل بها من في عينه بياض ذهب. وإذا أخذ رجيع ابن آدم يابسا وسحق ونخل وعجن بالخل وعسل النحل وطلي به على الأكلة برئت بإذن الله تعالى. وكذلك إذا طليت به الخوانيق التي في الحلق برئت وشعر ابن آدم إذا علق على من يشتكي الشقيقة سكنت. وإذا بل الشعر بالخل ووضع على عضة الكلب برئت. ودم ابن آدم إذا أخذ وعجن بدقيق الحلبة وبماء السذاب وطلي به كل قرحة تتكون في البدن برئت لوقتها البتة لا سيما التي تكون في الساقين، والقروح الرطبة التي يسيل منها الدم والقيح. وإذا أخذ دم الحيض من جارية بكر أو ثيب، وخلط معه خمر عتيق واكتحل به من في عينه بياض أبرأه. وخرقة الحيض إذا علقت على مؤخر السفينة، لا يدخلها ريح ولا زوبعة. وإذا أصاب المرأة وجع السرة، تأخذ خرقة الحيض، فتحرقها حتى تصير رماداً، ثم تأخذ من ذلك الرماد جزءًا ومن الكزبرة جزءًا ويدق الجميع بماء فاتر ويطلى به ما حول السرة تبرأ بإذن الله تعالى. وكذلك إذا أصابها عند النفاس، فإنه يسكن بذلك بإذن الله تعالى. ورجيع الطفل عند الولادة يجفف ويسحق ويكتحل به من في عينه بياض فإنه يذهب بإذن الله تعالى. وإذا أخذت قلفة الصبيان، وهي طهارتهم، وجففت وسحقت وخلط معها شيء من المسك وماء الورد وسقي من ذلك صاحب البرص والجذام، وقف عنه بإذن الله تعالى. وإذا أحرقت وسحقت وسقيت لمن غلب عليه البرص ذهب عنه بإذن الله تعالى. ويؤخذ من رجيع ابن آدم مقدار حمصة ويسحق ويذاب بماء فاتر ويسقى لصاحب القولنج يبرأ بإذن الله تعالى. وإذا سحق وديف بالخل كان أبلغ وإذا أخذ رجيع ابن آدم، أول ما يخرج وهو حار ويخلط بخمر عتيق، ويسقى للدابة المريضة تبرأ بإذن الله تعالى. وإذاغسلت وسخ رجلي ابن آدم ويديه بالماء، وأسقيته لمن شئت فإنه يحبك محبة شديدة، ولا يكاد يطيق فراقك، وهو سر عجيب مجرب. ومثله إذا أردت أن يحبك إنسان حباً شديداً فاغسل جيب قميصك واسقه ماءه، وهو لا يعلم، فإنه يحبك حباً شديداً. وإن أردت أن تجمع الحمام في البرج فخذ رأس ابن آدم، وهو ميت قد مضى عليه من السنين مدة، وادفنه في ذلك البرج، فإن الحمام يعمره ويجتمع إليه من كل مكان حتى يضيق به. وإذا أصاب إنساناً اللقوة والفالج يسعط بلبن جارية سوداء أو حبشية، مع شيء من دهن الزنبق فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. ومقدار السعوط منه وزن قيراط للرجل الكامل، وللطفل والصبي وزن حبة، ويخلط معه في بعض الأوقات أنزروت أبيض، ويقطر في العين المحمرة تبرأ. وإذا أخذ الكاشم ودق ناعماً وديف ببول صبي لم يبلغ الحلم وسقي للدابة المغولة برئت بإذن الله تعالى وإذا أردت أن لا يقرب المرأة أحد غيرك، فخذ ما تستخرجه من شعرها من تسريح أو غيره، واحرقه حتى يصير رماداً، ثم اجعل منه على رأس احليلك عند الجماع معها، فلا أحد يجامعها بعد ذلك مثلك، ولا تقبل أحداً غيرك، وهو سر عجيب مجرب، ويؤخذ من مني الرجل جزء ومن الزنبق جزء ويخلط الجميع ويسعط منه صاحب اللقوة ثلاثة أيام متوالية يبرأ بإذن الله تعالى. وإذا أخذ رجيع إنسان، وأحرق وسحق ناعماً وخلط معه ملح اندراني وشيء من حزنبل

وخلط الجميع ونفخ في عين الدابة التي فيها البياض برئت، وإذا أخذ بول صبي قبل أن يبلغ الحلم، وجعل في وعاء وترك على النار حتى حمي وغمست صوفة في ذلك البول، وطلي به على العين التي بها ورم أو حمرة برئت. وإذا أخذ مني ابن آدم وهو حار وطلي به البرص غير لونه بقدرة الله تعالى. وإذا أخذ شيء من أبوال، وجعل في قدر نحاس، وطبخ حتى انعقد، ثم جفف وخلط معه ملح الطعام وسحق وعجن بماء الزعفران، وجعل في بودقة وأوقد عليه حتى يدور كما تدور الفضة، فاجعله سبيكة وحكه على المسن بالماء والمسك، وكحل به العين التي غلب عليها البياض، تبرأ بإذن الله تعالى البتة وهو سر لطيف مجرب وكان الحكماء المتقدمون يسمونه الجوهر النفيس ويؤخذ لبن جارية سوداء فيذاب فيه شيء من الزعفران وشيء من لعاب السفرجل ويقطر في العين التي بها الوجع والضربان والنقطة، فإنها تبرأ بإذن الله تعالى. وإذا أردت أن تكون نهود الجارية قائمة لا تنكسر، فخذ دم حيض الجارية من أول حيضها، واطل به رؤوس النهدين، فإنها لا ينكسران ولا يزالان قائمين، وهذا سر عجيب مجرب. وإذا أخذ دم الحيض وهو حار طري ولطخ به العين يزول ما بها من الحمرة والنقطة والورم. وإن أردت أن تسمن المرأة فخذ شحم وزة أنثى، يدق ويخلط معه بورق وكمون كرماني ودقيق الحلبة يمزج الجميع، ويجعل مثل البنادق، ويبلع ذلك لدجاجة سوداء سبعة أيام متوالية، ثم تذبح وتصلق[1]، فكل من أكل من تلك الدجاجة، أو من مرقتها يسمن، حتى يكاد يغلب عليه الشحم، من ذكر كان أو أنثى. وإن أردت أبلغ من ذلك، فخذ مرارة آدمي وخذ ما تيسر من القمح، وضع تلك المرارة عليه، مع قليل من الماء واصبر على القمح حتى ينتفخ، وبلعه لدجاجة سوداء وافعل ما تقدم ذكره فمن أكل من تلك الدجاجة، رأى العجب العجاب من السمن والشحم حتى لا يستطيع القيام، ذكراً كان أو أنثى، وهو سر لطيف مجرب. وإذا أردت أن تقطع لبن المرأة، فخذ حلبة واسحقها واعجنها بالماء، واطل بها ثدي المرأة ينقطع اللبن البتة بإذن الله تعالى. وإذا أردت أن يدر اللبن، فخذ حنظلة ودقها واعجنها بالزيت، وخذ صوفة زرقاء ولفها على عود واغمسها في الزيت والحنظلة، واطل بها رأس الثدي يدر اللبن بقدرة الله تعالى. وكلاهما صحيح مجرب. ومتى صور صورة صبي حسن الوجه، ونصب قبالة المرأة بحيث تراه وقت الجماع خرج الولد يشبه تلك الصورة في أكثر الأعضاء البتة. قال: وضرس الميت إذا علق على من به وجع الضرس، سكن وجعه. وإذا أخذ ضرس إنسان، وعظم جناح الهدهد الأيمن، وجعلا تحت رأس النائم لم يزل كذلك حتى يؤخذا من تحت رأسه. وبصاق الإنسان ينفع من لدغ الهوام والقوباء والثآليل إذا طلي عليها قبل أن يأكل الإنسان شيئاً. ولبن النساء إذا شرب مع عسل، فتت الحصا من المثانة. وبول الإنسان إذا وضع على عضة الكلب الكلِب نفعها نفعاً بيناً. وقال قوم: إن المكلوب، إذا شرب من دم إنسان شريف، بريء من ساعته وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:

أحلامكم لسَقام الجهل شافية ... كما دماؤكم تبري من الكلَبِ

وقلامة ظفر الإنسان، إذا أحرقت وسقيت لإنسان آخر، أحبه ذلك الإنسان حباً شديداً.

---

(١) تصلق: تسلق.

وشرب بوْل الإنسان ينفع من لسع جميع ذوات السموم، وإن طلي به بعد أن يغلى، رجل صاحب النقرس سكن الوجع والضربان، وينفع من جميع القروح الحادثة في أصابع القدم والقروح التي فيها دود خصوصاً البول العتيق. وينفع من عضة الإنسان والقرد وجميع الحيوان السمي وإذا بال رجل على الجرح حين يجرح قطع الدم لساعته وأبرأه. وهو صحيح مجرب. وعرق الإنسان إذا أخذ منه وعجن بغبار الرحا، ووضع على الثدي الوارم نفعه وينفع من جمود اللبن في الضرع والثدي، وتعقده بعد الولادة ومني الإنسان إذا أخذ وهو يابس ومعه سذاب(١) مدقوق، وذر على الأكلة أبرأها البتة وإن عجن بعسل وطلي به الحلق من خارج نفع الخناق. وإذا أخذ نجو صبي حين يولد وجفف وسحق وكحل به بياض العين نفع، وينفع من الغشاوة نفعاً جيداً. وإذا أخذ من نجو إنسان قدر حمصة وديف(٢) بخل خمر وسقي لصاحب القولنج وعسر البول نفعهما. وهو إذا كان حاراً نفع الفرس الحمراء، وينفع من عضة الإنسان من ساعتهْ ولعاب الصائم إذا قطر في الأذن أخرج الدود منها. وإن خلط مع الرازوند ووضع على البواسير أبرأها. وسرة الصبي عندما تقطع إذا أخذ منها شيء، ووضع تحت فص خاتم، فإنه ينفع لابسه من القولنج. وقال ابن زهر: سن الصبي الذكر أول ولد من المرأة إن جعل تحت فص خاتم ذهب أو فضة بحيث يكون فصه منه لم يصب من لبسه من الرجال القولنج البتة. وإن بخرت المرأة بشعر إنسان، نفعها من جميع أوجاع الرحم وإذا طلت المرأة بدنها بدم النفاس من أول ولدها منعها الحبل ما عاشت وإن جعل سن الصبي، أول ما يسقط، قبل أن يصل الأرض تحت فص خاتم وعلق على امرأة منعها الحبل. وعرق النساء يطلى به الجرب يبرأ وبول الصبي الذي لم يبلغ عشرين سنة إذا شربه صاحب البرص برىء. وبول الإنسان مع رماد الكرم يوضع على موضع نزف الدم يقف. ورماد العيشوم ورماد الشونيز(٣) مع الزيت العتيق ينبت اللحية. ودم الحيض إذا طلي به عضة الكب الكلِب تبرأ. وكذلك البهق والبرص. وقال القزويني في عجائب المخلوقات: إذا رعف الإنسان فليكتب اسمه بدمه على خرقة وتجعل نصب عينيه فإنه ينقطع رعافه ونطفة الإنسان إذا طلي بها البهق والبرص والقوباء أبرأتها، وإذا خلط بها زهر الغبيراء وجفف واسقاه إنسان لامرأة عشقته. ودم البكارة حين افتضاضها، إذا طلي به الثدي لا يكبر.

قاعدة: قال الأطباء: إذا أردت أن تعلم هل المرأة عقيم أم لا؟ فمرها أن تتحمل بثومة في قطنة وتمكث سبع ساعات فإن فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالأدوية، فإنها تحمل بإذن الله تعالى. وإلا فلا قال الرازي: وهي مجربة لذلك والله أعلم.

التعبير: الإنسان في المنام كل شخص يعرف فهو ذاك بعينه، ذكراً كان أو أنثى، أو سميه أو نظيره. والشاب المجهول عدوّ. والشيخ جد وسعادة، وربما عبر بالصديق فمن رأى شيخاً ضعيفاً أو صغير الصورة، فذلك نقص في جد الإنسان وسعده. والكهل إذا لم ينق البياض أقوى لجد الإنسان وسعده. والصبي هم إذا كان طفلاً يحمل لقوله(٤) تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله﴾.

---

(١) السَّذاب: من البقول.

(٢) دِيفَ: خُلط.

(٣) الشونيز: الحبة السوداء.

(٤) سورة مريم: الآية ٢٧.

والبالغ قوة وبشارة لقوله[1] تعالى: ﴿يا بشرى هذا غلام﴾ والصبي الحسن الصورة، إذا دخل مدينة محاصرة، أو كان بها طاعون أو قحط، فرج عنهم وكذلك إذا نزل من السماء أو خرج من الأرض فهو بشارة لكل ذي هم. ويعبر أيضاً بملك من الملائكة، مثال ذلك أن يرى المريض أو يرى له كأن صبياً أمرد أخذه أو ضرب عنقه، فإنه ملك الموت والشاب الأشقر عدو شحيح. والشاب التركي عدو لا أمان له. والشاب الضعيف عدو ضعيف. والشاب الأسمر عدو غني والشاب الأبيض عدو دين.

والمرأة في المنام دنيا، والمجهولة أقوى من المعروفة، وحسنها أحسن شيء، وقبحها أقبح شيء. والزانية زيادة في الخير والصلاح، لقول[2] النبي ﷺ: «عرضت علي الدنيا ليلة أسري بي في صورة امرأة حاسرة الذراعين، فقال لها: طلقتك ثلاثاً». أراد بها الدنيا. والمرأة السوداء تعبر بليلة مظلمة، والبيضاء بالنهار فمن رأى امرأة سوداء غابت عنه، وظهرت له امرأة بيضاء، فإن ذلك دليل الصباح وزوال الظلام. والمرأة التي تكون للسلطان أو هي سلطانة فإنه تعبر بملك ظالم معجب. أو تكون بمنزلة العروس لأهله ومال حرام لغير ذلك. والشابة إذا رأتها المرأة فهي عدو لها، إذا كانت مجهولة. والعجوز المجهولة لها جد وتعبر المرأة بالسنة فإن كانت سمينة فهي خصب، وإن كانت هزيلة فهي جدب. وإنما شبهت المرأة بالسنة لأنها كالأرض. قال[3] الله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾ ولأنها ذات نتاج وكذلك الأرض. والمرأة المتنقبة عسر لمن رآها. والمكشوفة الوجه دنيا ليس فيها تعب. والنساء زينة الدنيا، فمن أقبلن عليه، أقبلت عليه الدنيا، ومن أدبرن عنه أدبرت عنه الدنيا. والإنسان القبيح الصورة أمر مكروه، والأسود سوء والخصي المجهول يعبر بملك من الملائكة لانتزاع الشهوة منه. فمن رأى أنه خصي أو كأنه خصي ناله ذل وخضوع. وقالت النصارى: من رأى نفسه خصياً، نال منزلة في العبادة وعفة الفرج. ومن رأى بيده رأس إنسان فإنه ينال ألف دينار أو ألف درهم أو مائة درهم والرؤوس المقطعة في المنام رؤساء الناس، فمن أخذ شيئاً من لحمها أو شعرها، نال مالاً من قوم رؤساء. ومن رأى رأسه كبيراً حسناً نال رئاسة. ومن قطع رأسه، وكان مملوكاً عتق. أو مهموماً فرج الله همه. أو مريضاً شفي. فإن كان ممن يخدم فارق خدمه. ومن رأى رأسه يرضخ بحجر، فإنه قد نام عن صلاة العشاء. ومن رأى رأسه رأس كلب أو فرس أو جمل أو حمار أو بغل أو غير ذلك من البهائم التي تنالها مشقة التعب والعمل نال تعباً، لأن هذه الحيوانات خلقت للكلف والتعب. وإن رأى رأسه رأس طير، كثر سفره. ومن رأى رأسه بيده، وكان له رأس آخر، فإن ذلك يدل على تدبير الأمور الرديئة وإصلاحها وأكل الرأس من الحيوان مال، لم يكن يرجوه، وطول حياة إذا كان غير نيء. والرأس يعبر بالرئيس، والسيد والأب. ويعبر أيضاً برأس

(١) سورة يوسف: الآية ١٩.

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق: ٧. والانبياء: ٢٤، ٤٨. ورواه مسلم في الإيمان: ٢٦٧، ٢٧٢، والفضائل: ١٦٤. ورواه الترمذي في تفسير سورة: ١٧: ١، ٢، ٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.

المال فما رؤي فيه من زيادة أو نقص أو وجع، فهو عائد إلى ما ذكرناه، ومن رأى رأسه تحوّل رأس أسد، فإنه ينال ملكاً إن كان من أهله أو رياسة أو ولاية أو وجاهة. ومن رأى أنه يأكل لحم إنسان فإنه يغتابه. ومن أكل لحم نفسه فإنه يغتاب. وقيل: أكل اللحم النيء خسارة في المال. واللحوم في الرؤيا أموال إذا كانت مطبوخة ناضجة، وإذا أكلت المرأة لحم امرأة فإنها تساحقها. وإن أكلت لحم نفسها فإنها تزني. وأكل لحم البقر الهزيل مرض. وانسب كل لحم إلى حيوانه فلحم الحية مال من عدو فإن كان نيئاً فهو غيبة. ولحم السبع مال من سلطان. وكذلك لحوم السباع الضواري وجوارح الطير ولحم الخنزير مال حرام والله تعالى أعلم.

**إنسان الماء**: يشبه الإنسان، إلا أن له ذنباً. قال القزويني: وقد جاء شخص بواحد منها في زماننا، مقدر كما ذكرنا. وقيل: إن في بحر الشام، في بعض الأوقات من شكله، شكل إنسان وله لحية بيضاء، يسمونه شيخ البحر، فإذا رآه الناس استبشروا بالخصب. وحكي أن بعض الملوك، حمل إليه إنسان ماء، فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة، فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه، فقال للولد: ما يقول أبوك؟ قال: يقول أذناب الحيوان كلها في أسفلها، فما بال هؤلاء أذنابهم في وجوهم؟ وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الباء الموحدة في بنات الماء قريب من هذا.

**الكم**: سئل الليث[1] بن سعد رضي الله عنه عن أكله فقال: لا يؤكل على شيء من الحالات والله تعالى أعلم.

**الأنقد**: بالنون الساكنة وفتح القاف وبالدال المهملة القنفذ.

**الأمثال**: يقال: «بات فلان بليل انقد»،[2] لأنه لا ينام الليل كله. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف في القنفذ. قال الميداني: أنقد معرفة لا تدخله الألف واللام، يضرب لمن سهر ليله أجمع. قال: وقيل الأنقد الذي يشتكي سنه من النقد، وهو فساد في الأضراس يحركها وصاحبه لا ينام

**فائدة**: ومما جرب لوجع الضرس أن يكتب ويحمل قوله تعالى: **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾**[3] محوصه سمه وها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، جهكر طكفوم طسم طس طسم حم حم حم حم حم حم. أسكن أيها الوجع بالذي سكن له ما في الليل والنهار، وهو السميع العليم، اليقس تقس قسا مسقس أن البهر بهر هرا وراب.

ويكتب لوجع الضرس أيضاً، على جدار هذه الأحرف وهي ح ب ر ص لا و ع م لا وتأمر الموجوع أن يضع اصبعه على الضرس الضارب ويكون ذلك في حال ضربانه، وتضع مسماراً على

---

(١) هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء، إمام أهل مصر في عصره في الحديث والفقه. مات في القاهرة سنة ١٧٥ هـ.

(٢) جمهرة الأمثال: ١/١٢٨.

(٣) سورة يس: الآية ٧٨ ـ ٧٩.

أول حرف من الحروف المتقدمة، وتدق عليه دقاً خفيفاً، وأنت تقرأ **﴿ولو شاء لجعله ساكناً وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم[1]﴾** في حالتي الدق والكتابة، فإذا علق رأس المسمار يسيراً سله هل سكن الوجع فإن قال نعم فبلغ المسمار بالدق إلى قرصه وإن قال لا، فانقل المسمار إلى الحرف الثاني وافعل ما تقدم ذكره، ولا تزال تنقله حرفاً حرفاً إلى آخر الحروف ففي أي حرف سكن الوجع، فبلغ المسمار فيه بالدق إلى قرصه فإنه لا بد أن يسكن في حرف منها كما جرب مراراً وما دام المسمار مدقوقاً، دام الوجع ساكناً، فإذا قلع المسمار عاد الوجع والنقط الحمر في الحروف موضع وضع المسمار وهو سر عجيب مجرب صحيح. وقد نظم ذلك بعض الفضلاء في أبيات وهي:

وللضرس فاكتب في الجدار مفرقاً ... بما جمعه حبر صلاء وعملا
ومره على الموجوع يجعل اصبعا ... وضع أنت مسماراً على الحرف أولا
ودق خفيفاً ثم سله ترى به ... سكوناً نعم إن قال بلغه موصلا
وإن قال لا فانقله ثاني حروفه ... وفي كل حرف مثل ما قلت فافعلا
وفي سورة الفرقان تقرأ ساكناً ... كذا آية الإنعام فاتل مرتّلا
وتترك ذا المسمار في الحيط مثبتاً ... مدى الدهر فالأسقام تذهبُ والبلا
فخذها أخي كنزاً لديك مجرباً ... ذخيرة أهل الفضل من خيرة الملا

وقد أحسن الأمير أسامة بن منقذ[2] حيث قال[3] ملغزاً في ضرسه وقد قلعه:

وصاحبٍ لا أملُ الدهرُ صحبتَه ... يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم ألقه مُذ تصاحبنا فمذ وقعت ... عيني عليه افترقنا فرقة الأبد[4]

وله[5] أيضاً في الصبر:

اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجاً ... يأتي به الله بعد الريب والياسِ
إن اصطبار ابنة العنقود إذ حبست ... في ظلمة القار أداها إلى الكاس

وله أيضاً فيه:

من يرزق الصبر نال بغيته ... ولاحظته السعود في الفلكِ
إن اصطبار الزجاج حين بدا ... للسبك أدناه من فم الملك[6]

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٥.

(٢) ابن منقذ: هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، من امراء قلعة شيزر في حماة. له تصانيف في الأدب والتاريخ. مات سنة ٥٨٤ هـ.

(٣) وفيات الأعيان: ١٩٨/١.

(٤) في الوفيات: «... تصاحبنا فحين بدا... لناظري افترقنا...».

(٥) وفيات الأعيان: ٤٦٢/١ وفي شطر البيت الأول: «بعد الريب والياس».

(٦) في الوفيات: «إن اصطبار الزجاج للسبك وال فيسان أديا ه ...».

**الإنكليس**: بفتح الهمزة واللام وكسرهما معاً سمك شبيه بالحيات، رديء الغذاء وهو الذي يسمى الجري الآتي في باب الجيم إن شاء الله تعالى، ويسمى المارماهي، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الصاد، في لفظ الصيد، فإن البخاري ذكره في صحيحه. وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه أنه بعث عمار إلى السوق فقال: لا تأكلوا الأنكليس من السمك، وإنما كرهه لما تقدم، لا لأنه حرام. وفيه لغتان الأنكليس والأنقليس بفتح الهمزة واللام ومنهم من يكسرهما. قال الزمخشري: وقيل إنه الشلق. وقال ابن سيده: هو على هيئة السمك صغير له رجلان عند ذنبه كرجلي الضفدع، ولا يد له يكون في أنهار البصرة وليس لفظه عربياً.

**الأُنن**: بضم الهمزة وبالنونين طائر يضرب إلى السواد وله طوق كطوق الدبسي أحمر الرجلين والمنقار مثل الحمامة إلا أنه أسود وصوته أنين أوه أوه حكاه في المحكم.

**الأنيس**: وتسميه الرماة الأنيسة طائر حاد البصر، يشبه صوته صوت الجمل، ومأواه قرب الأنهار والأماكن الكثيرة المياه، الملتفة الأشجار، وله لون حسن وتدبير في معاشه. قال آرسطو: إنه يتولد من الشرقراق[1] والغراب، وذلك بين في لونه. وهو طائر يحب الأنس ويقبل الأدب والتربية وفي صفيره وقرقرته أعاجيب: وذلك أنه ربما أفصح بالأصوات كالقمري، وربما ابهم كحمحمة الفرس. وغذاؤه الفاكهة واللحم وغير ذلك ويألف الغياض.

**الحكم**: يحمل أكله لأنه من الطيبات، وينبغي أن يخرج فيه وجه بالحرمة لأكله اللحم ولسبب تولده من الغراب والشرقراق.

**الأنوق**: على فعول الرخمة أو طائر أسود له شيء كالعرف أو أصلع الرأس أصفر المنقار قيل: إن في أخلاقها أربع خصال: تحضن بيضها، وتحمي فرخها، وتألف ولدها، ولا تمكن من نفسها غير زوجها.

وفي المثل: «أعز من بيض الأنوق[2]» و«أبعد[3] من بيض الأنوق». فلا يكاد يظفر به، لأن أوكارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة وهي تحمق مع ذلك قال الشاعر:

وذات اسمين والألوان شتى ... وتحمق وهي كيسة الحويلِ[4]

وقال غيره:

وكنت إذا استودعت سراً كتمته ... كبيض أنوق لا ينال لها وكرُ

وقال رجل لمعاوية: زوجني هنداً، يعني أمه، فقال: إنها قعدت عن الولد فلا حاجة لها إلى الزواج. قال فولى ناحية كذا. فأنشد معاوية رضي الله تعالى عنه:

طلب الأبلق العقوق فلما ... أعجزته أراد بيض الأنوقِ[5]

---

(١) الشرقرق: طائر مرقط ملوّن.
(٢) جمهرة الأمثال: ٥٥/٢.
(٣) جمهرة الأمثال: ١٩٤/١.
(٤) الحويل: الشاهد.
(٥) في الحيوان للجاحظ: ٥٢٢/٣.

ومعناه أنه طلب ما لا يكون، فلما لم يجده، طلب ما يطمع في الوصول إليه، وهو مع ذلك بعيد. كذا قاله جماعة ممن تكلم على الأمثال. وهو غلط لأن أم معاوية ماتت في المحرم سنة أربع عشرة. في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما والصواب الذي في نهاية ابن الأثير وغيرها أن رجلاً قال لمعاوية رضي الله تعالى عنه: افرض لي قال: نعم قال: ولولدي: قال: لا، قال: ولعشيرتي، قال: لا. ثم تمثل معاوية رضي الله تعالى عنه بقول الشاعر طلب الأبلق العقوق إلى آخره. والعقوق الحامل من الفوق والأبلق من صفات الذكور، والذكر لا يحمل. فكأنه قال طلب الذكر الحامل وبيض الأنوق، مثل يضرب للذي يطلب المحال الممتنع. وقال السهيلي في أوائل الروض: الأنوق الأنثى من الرخم يقال في المثل أراد بيض الأنوق إذا طلب ما لا يوجد لأنها تبيض حيث لا يدرك بيضها في شواهق الجبال. وهذا قول المبرد[1] في الكامل ولم يوافق عليه. فقد قال الخليل[2]: الأنوق الذكر نت الرخم. وهذا أشبه بالمعنى لأن الذكر لا يبيض، فمن أراد بيض الأنوق فقد أراد المحال، كمن أراد الأبلق العقوق. وقال القالي في الأمالي: الأنوق يقع على الذكر والأنثى من الرخم.

وحكم الأنوق يأتي إن شاء الله تعالى في باب الراء في الرخمة.

**تتمة**: السهيلي اسمه عبد الرحمن بن محمد السهيلي الخثعمي الإمام المشهور قال أبو الخطاب[3] بن دحية: أنشدني السهيلي أبياتاً وقال ما سأل الله تعالى بها أحد حاجة إلا قضاها، وفي رواية إلا أعطاه الله إياها وكذلك من استعمل إنشادها وهي[4]:

يا مَن يرى ما في الضمير ويسمعُ ... أنت المعدّ لكل ما يتوقعُ
يا مَن يُرجى للشدائد كلها ... يا من إليه المشتكى والمفزَعُ
يا مَن خزائن رزقِه في قول كُنْ ... امنن فإن الخيرَ عندك أجمعُ
ما لي سوى فقري إليك وسيلةٌ ... فبالافتقار إليك فقري أدفعُ
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رددت فأي باب أقرعُ
ومن الذي أدعو وأهتفُ باسمه ... إن كان فضلُك عن فقيرك يُمنعُ
حاشا لجودِك أن تقنطَ عاصياً ... فالفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ

وكان السهيلي مكفوف البصر توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى والله الموفق للصواب.

**الإوز**: بكسر الهمزة وفتح الواو البط واحدته إوزة وجمعوا بالواو والنون فقالوا: اوزون. وقد أجاد في وصفها أبو نواس[5] حيث قال:

---

(١) المبرّد: أبو العباس محمد بن يزيد النحوي المتوفّى سنة ٢٨٥ هـ.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي اللغوي النحوي صانع علم العروض.

(٣) ابن دِحية: عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أديب مؤرخ محدث من أهل سبتة رحل إلى مراكش ومنها إلى مصر. مات بالقاهرة سنة ٦٣٣ هـ.

(٤) وفيات الأعيان: ١٤٣/٣.

(٥) أبو نواس: الحسن بن هانىء الشاعر العباسي الماجن مات سنة ١٩٤ هـ.

كـأنمـا يـصفـرن مـن مـلاعـق صرصرة لأقـلام في المـهـارق[1]

وأبو نواس شاعر ماهر، وهو من شعراء الدولة العباسة وله أخبار عجيبة، ونكت غريبة، وخمريات أبدع فيها، واسمه الحسن بن هانىء بن عبد الأول. قال ابن خلكان في ترجمة أبي نواس قال المأمون: لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول[2] أبي نواس:

ألا كلُّ حي هـالـكٌ وابن هـالـك وذو نـسـب في الهـالـكـين عـريقْ
إذا امتحن الـدنيـا لبيبٌ تكشفتْ لـه عـن عـدو في ثيـاب صـديقْ

قال[3] ومن أحسن ما أتى به من المغاني وأغربها ويدل على حسن ظنه بالله تعالى قوله:

تكـثر مـا استـطعت من الخطايـا فـإنـك بـالـغٌ ربـاً غـفـوراً
ستـبصر إن وردت عـلـيـه عـفـواً وتـلـقى سـيـداً مـلكـاً كـبـيـراً
تـعض نـدامـة كـفـيـك ممـا تـركـت مخافـة الـنـار الشرورا

قال محمد بن نافع: رأيت أبا نواس في المنام بعد موته فقلت: يا أبا نواس، فقال: لات حين كنية، فقلت: الحسن بن هانىء قال: نعم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي وهي تحت الوسادة، قال: فأتيت أهله فقلت: هل قال أخي شعراً قبل موته؟ قالوا: لا نعلم، إلا إنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو قال: فدخلت ورفعت وسادته فإذا أنا برقعة مكتوب فيها[4]:

يـا رب إن عـظمت ذنـوبي كـثرة فلقـد علمت بـأن عفـوك أعـظم
إن كـان لا يـرجـوك إلا محـسـن فمن الـذي يدعـو ويرجـو المجرم[5]
أدعـوك رب كـما أمـرت تضرعـاً فـإذا رددت يـدي فـمن ذا يرحـم
مـا لي إلـيـك وسيـلة إلا الـرجـا وجمـيـل عـفـوك ثـم إني مـسـلم

**قال**: وسئل أبو نواس عن نسبه فقال: أغناني أدبي عن نسبي. وتوفي سنة أربع وتسعين ومـائة.

والأوز يحب السباحة، وفرخه يخرج من البيضة فيسبح في الحال، وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين، وتخرج أفراخها في أواخـر الشهر. روى الإمام أحمد في المناقب، عن الحسين بن كثير، عن أبيه وكان قد أدرك علياً رضي الله تعالى عنه، قـال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، إلى صلاة الفجر فإذا إوز يصحن في وجهه، فطردوهن فقال: دعوهن، فإنهن نوائح، فضربه ابن ملجم، فقلت: يا أمير المؤمنين خل بيننا وبين مراد فلا

---

(١) المهارق: جمع المُهرَق: الصحيفة.
(٢) ديوان أبي نواس: ٤٦٥. وفيه: «كل حي هالكاً... وذا نسب».
(٣) ديوانه: ٣٠٧. وفيه: «فإنك قاصد».
(٤) ديوانه: ٥٨٧.
(٥) في الديوان: «فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ».

تقوم لهم ثاغية ولا راغية أبداً، فقال: لا ولكن احبسوا الرجل، فإن أنا مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص. انتهى.

وسبب ذلك، على ما ذكره ابن خلكان وغيره، أنه اجتمع قوم من الخوارج فتذاكروا أصحاب النهروان، وترحموا عليهم، وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فتحالف عبد الرحمن بن ملجم، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي على أن يأتي كل واحد منهم واحدا من علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهم، فقال ابن ملجم وهو أشقى الآخرين: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك: وأنا أكفيكم معاوية، وقال ابن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص. ثم سموا سيوفهم وتواعدوا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان. فدخل ابن ملجم الكوفة فرأى امرأة حسناء، يقال لها قطَام، كان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان، فخطبها فقالت لا أتزوجك حتى أشترط، قال: وما شرطك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد ووصيفة وقتل علي فقال لها: وكيف لي بقتل علي؟ فقالت: تروم ذلك غيلة فإن سلمت أرحت الناس من شره، وأقمت مع أهلك، وإن أصبت خرجت إلى الجنة ونعيم لا يزول فأنعم لها، وقال: ما جئت إلا لقتله. ثم أقبل ابن ملجم حتى جلس مقابل السدة التي يخرج منها علي رضي الله تعالى عنه: فزت ورب الكعبة، شأنكم بالرجل فخذوه، فحمل ابن ملجم علي رضي الله تعالى عنه: فزت ورب الكعبة، شأنكم بالرجل الذي فخذوه، فحمل ابن ملجم على الناس بسيفه، فأفرجوا له، وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله، فضرب به الأرض وجلس على صدره. قالوا: وأقام علي رضي الله عنه يومين ومات. وقتل الحسن بن علي عبد الرحمن بن ملجم، فاجتمع الناس وأحرقوا جثته.

وأما البرك فإنه ضرب معاوية رضي الله عنه، فأصاب أوراكه، وكان معاوية عظيم الأوراك، فقطع منه عرق النكاح، فلم يولد له بعد ذلك. فلما أخذ قال: الأمان والبشارة، فقد قتل علي في هذه الليلة، فاستبقاه حتى جاءه الخبر بذلك، فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه. فرحل إلى البصرة، وأقام بها حتى بلغ زياد ابن أبيه أنه ولد له، فقال: أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له؟ فقتله قالوا: وأمر معاوية رضي الله عنه باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت، وأما ابن بكر فإنه رصد عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنه، فاشتكى عمرو بطنه، فلم يخرج للصلاة، فصلى بالناس رجل من بني سهم يقال له خارجة فضربه ابن بكر فقتله فأخذ ابن بكر فلما أدخل على عمرو رضي الله تعالى عنه، ورآهم يخاطبونه بالإمارة قال: أو ما قتلت عمراً قال له: لا وإنما قتلت خارجة. قال: أردت عمراً وأراد الله خارجة. فقتله عمرو رضي الله تعالى عنه وقيل: إن علياً رضي الله عنه، كان إذا رأى ابن ملجم يتمثل ببيت عمرو[1] بن معد يكرب بن قيس بن مكشوح المرادي وهو قوله[2]:

---

(١) هو عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، فارس اليمن، وصاحب الغارات، اسلم سنة ٩ هـ. وشهد اليرموك والقادسية، له شعر جيد، مات سنة ٢١ هـ.

(٢) العقد الفريد: ١٥٢/٢.

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادِ

فقيل لعلي رضي الله تعالى عنه: كأنك عرفته وعرفت ما يريد أفلا تقتله؟ قال: كيف أقتل قاتلي؟ ولما انتهى إلى عائشة رضي الله تعالى عنها قتل علي رضي الله تعالى عنه قالت(١):

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

وعلي رضي الله تعالى عنه، أول إمام خفي قبره. قيل: إن علياً رضي الله عنه أوصى أن يخفى قبره لعمله أن الأمر يصير إلى بني أمية فلم يأمن أن يمثلوا بقبره. وقد اختلف في قبره فقيل: في زاوية الجامع بالكوفة وقيل في قصر الإمارة بها، وقيل بالبقيع وهو بعيد، وقيل: إنه بالنجف في المشهد الذي يزار اليوم وسيأتي إن شاء الله تعالى ما ذكره ابن خلكان في ذلك في باب الفاء في لفظ الفهد والله الموفق.

**فائدة أجنبية:**

ولما كان الحديث ذا شجون، وإفادة العلم تحقق للطالبين ما يرجون، وتجدد لهم ما ينسى الخليع أيام المجون، أحببت أن أذكر ههنا فائدة غريبة ذكرها المؤرخون، وهو أن كل سادس قائم بأمر الأمة مخلوع، وها أنا أذكر ما ذكروه، وأزيد عليه قدراً يسيراً من سيرة كل واحد منهم، وأيامه وسبب موته ومدة خلافته وعمره، لتكمل بذلك الفائدة، وتحل الجدوى والعائدة.

**قال المؤرخون**: إن أول قائم بأمر الأمة النبي ﷺ، بعثه الله تعالى على فترة من الرسل، رحمة للعالمين، فبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده، ونصح الأمة وعبد ربه حتى أتاه اليقين، فهو أفضل الخلق وأشرف الرسل، نبي الرحمة وإمام المتقين، وحامل لواء الحمد وصاحب الشفاعة، والمقام المحمود، والحوض المورود. آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه، فهو خير الأنبياء، وأمته خير الأمم، وأصحابه أفضل الناس بعد الأنبياء، وملته أشرف الملل له المعجزات الباهرة، والخلق العظيم والعقل الكامل الجسيم، والنسب الأشرف والجمال المطلق، والكرم الأوفر والشجاعة التامة، والحلم الزائد، والعلم النافع، والعمل الأرفع والخوف الأكمل، والتقوى الباهرة، فهو أفصح الخلق وأكملهم في كل صفات الكمال وأبعد الخلق عن الدناآت والنقائص وفيه قال الشاعر:

لم يخلق الرحمن مثل محمد أبداً وعلمي أنه لا يخلقُ

قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ، إذا كان في بيته في مهنة أهله، أي في خدمتهم، وكان يفلي ثوبه ويرقعه، ويخصف نعله ويخدم نفسه، ويعلق ناضحه، ويقم البيت أي يكنسه، ويعقل البعير ويأكل مع الخادم، ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق، وكان عليه الصلاة والسلام متواصل الأحزان، دائم الفكر، ليست له راحة. وقد قال علي رضي الله تعالى عنه: سألت رسول الله ﷺ عن سنته، فقال: «المعرفة رأس مالي والحب أساسي والشوق

---

(١) البيت في وفيات الأعيان: ١/٢٣٤.

مركبي، وذكر الله أنيسي والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والفقر فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة.

وأما حلمه ﷺ، وجوده وشجاعته، وحياؤه وحسن عشرته، وشفقته ورأفته، ورحمته وبره، وعدله ووقاره، وصبره وهيبته، وثقته وبقية خصاله الحميدة، التي لا تكاد تحصر فكثيرة جداً فقد صنف العلماء رضي الله تعالى عنهم في سيرته وأيامه، ومبعثه وغزواته، وأخلاقه ومعجزاته، ومحاسنه وشمائله، كتباً جمة، ولو أردنا ذكر قدر يسير منها لجاء في مجلدات كثيرة، ولسنا بصدد ذلك في هذا الكتاب، قالوا: وكانت وفاته ﷺ بعد أن أكمل الله تعالى لنا ديننا وأتم علينا نعمته في وسط يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة أحدى عشرة، وله ﷺ ثلاث وستون سنة وتولى غسله علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، ودفن ﷺ في حجرته التي بناها لأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها.

## خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

ثم قام بالأمر بعده ﷺ، خليفته على الصلاة أيام مرضه، وابن عمه الأعلى ونسيبه وصهره ومؤنسه في الغار، ووزيره وصديقه الأكبر، وخير الخلق بعده أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ بسقيفة بني ساعدة، ولذلك قصة تركناهالطولها واشتهارها، فقام بالأمر أتم قيام، وفتح في دولته اليسيرة اليمامة وأطراف العراق وبعض مدن الشام. وكان رضي الله عنه كبير الشأن زاهداً خاشعاً، إماماً حليماً، وقوراً شجاعاً، صابراً رؤوفاً، عديم النظير في الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

ولما مات النبي ﷺ ارتدت العرب، ومنعت الزكاة، فلما استخلف الصديق جمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وشاورهم في القتال، فاختلفوا عليه وقال له عمر رضي الله تعالى عنه كيف نقاتل الناس وقد قال(١) رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله؟ فمن قالها فقد عصم مني دمه وماله إلا بحقه وحسابه على الله عزّ وجلّ؟ فقال الصديق رضي الله عنه: «والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها(٢)». قال عمر رضي الله عنه: «فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق». (٣) وفي رواية قال عمر رضي الله عنه: فقلت تألف الناس وارفق بهم فقال لي: «أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام يا عمر؟ إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي». ثم خرج لقتالهم.

وذكر جماعة من المؤرخين وغيرهم أن رسول الله ﷺ، كان قد وجه أسامة بن زيد رضي الله عنهما

---

(١) رواه البخاري في الإيمان: ٧. والصلاة: ٢٨. زكاة: ١. ورواه مسلم في الإيمان: ٣٢ ــ ٣٦.

(٢) رواه ابن حنبل: ٢/٥٢٩.

(٣) رواه النسائي في الزكاة: ٣، ومسلم في الإيمان: ٣٢. وأبو داود في الزكاة: ١.

في سبعمائة بطل إلى الشام فلما نزل بذي خشب، قبض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب فاجتمعت الصحابة رضي الله عنهم وقالوا للصديق رضي الله عنه: رد هؤلاء أي أسامة ومن معه، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ، ما رددت جيشاً جهزه رسول الله ﷺ، ولا حللت عقد لواء عقده رسول الله ﷺ، وفي رواية لو علمت أن السباع تجر برجلي إن لم أرده ما رددته. وأمر أسامة[1] رضي الله عنه أن يمضي لوجهه وقال له: إن رأيت أن تأذن لعمر رضي الله عنه بالمقام عندي أستأنس به وأستعين برأيه، فقال له أسامة رضي الله عنه: قد فعلت. وسار أسامة رضي الله تعالى عنه، فجعل لا يمر بقبيلة تريد الارتداد، إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هذا الجيش من عندهم، فلقوا الروم فقاتلوهم وهزموهم ورجعوا سالمين.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج أبي يوم الردة شاهراً سيفه، راكباً راحلته، فجاء علي رضي الله تعالى عنه حتى أخذ بزمام راحلته، وقال: أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «شم سيفك لا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك، لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً» ومعنى شم اغمد. وقال ابن قتيبة: ارتدت العرب إلا القليل منهم فجاهدهم الصديق حتى استقاموا وفتح اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب بها والأسود العنسي الكذاب بصنعاء. وبعث الجيوش إلى الشام والعراق وقال أبو رجاء العطاردي: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل ويقول: أنا فداؤك، والله لولا أنت لهلكنا. فقلت: من المقبل والمقبل؟ فقالوا: عمر يقبل رأس أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، من أجل قتال أهل الردة. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب، واشرأب[2] النفاق، ونزل بأبي ما لو نزل على الجبال الراسيات لهاضها، وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: والله الذي لا إله إلا هو لو لم يستخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه، ما عبد الله تعالى. ثم قال الثانية ثم قال الثالثة. قالوا: وكان من اللين والتواضع على جانب عظيم. ولما مرض ترك التطبيب تسليماً لأمر الله تعالى فعاده الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقالوا ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ فقال: نظر إلي قالوا وما قال لك؟ قال: قال لي إني فعال لما أريد.

توفي رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وله رضي الله عنه ثلاث وستون سنة وكان سبب موته كمداً لحقه على رسول الله ﷺ ما زال يذيبه. والكمد الحزن المكتوم ودفن في حجرة عائشة أم المؤمنين مع سيدنا رسول الله ﷺ وكانت خلافته رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام.

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة، الكناني، صحابي جليل، كان النبي ﷺ يحبه، مات بالجرف في الحجاز سنة ٥٤ هـ.

(٢) اشرأب: علا وظهر.

## خلافة عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه

ثم قام بالأمر بعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه، بوصية من أبي بكر إليه رضي الله تعالى عنهما. فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته، وصبره على العيش الخشن، وخبز الشعير، والثوب الخام المرقع، والقناعة باليسير، وفتح الفتوحات الكبار، والأقاليم الشاسعة. وهو أول من سمي بأمير المؤمنين، وهو من المهاجرين الأولين صلى إلى القبلتين وشهد بدراً وبيعة الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ. ولما أسلم رضي الله تعالى عنه أعزّ الله به الإسلام وتوفي رسول الله ﷺ، وهو عنه راض، وبشره بالجنة.

ومناقبه رضي الله عنه كثيرة جداً وحسبك أنه كان وزير سيدنا محمد ﷺ، وعاش حميداً وتوفي فقيراً سعيداً شهيداً. فما يبغضه إلا زنديق أو حمار مفرط الجهل، وهو أول من عس في عمله رضي الله تعالى عنه، أي كان يمشي ليلاً لحفظ الدين والناس، وهابه الناس هيبة عظيمة حتى تركوا الجلوس بالأفنية فلما بلغه رضي الله تعالى عنه هيبة الناس له، جمعهم ثم قام على المنبر حيث كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يضع قدميه، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بماهو أهله، وصلّى على النبي ﷺ، ثم قال: بلغني أن الناس قد هابوا شدتي، وخافوا غلظتي وقالوا: قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر رضي الله تعالى عنه والينا دونه، فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه؟ ولعمري من قال ذلك صدق كنت مع رسول الله ﷺ، فكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله عزّ وجلّ وهو عني راضٍ، والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك. ثم ولي أمر الناس أبو بكر رضي الله تعالى عنه فكنت خادمه وعونه أخلط شدّتي بلينه، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله تعالى وهو عني راضٍ، والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك. ثم إني وليت أموركم اعلموا أن تلك الشدّة قد تضاعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، وأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحد أيظلم أحداً ويتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق. ولكم علي أيها الناس أن لا أخبأ عنكم شيئاً من خراجكم وإذا وقع عندي، أن لا يخرج إلا بحقه ولكم علي أن لا ألقيكم في المهالك وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

قال سعيد بن المسيب: وفى والله عمر وزاد في الشدة في مواضعها، واللين في مواضعه، وكان رضي الله تعالى عنه أبا العيال، حتى كان يمشي إلى المغيبات أي التي غاب عنهن أزواجهن، ويقول: ألكن حاجة حتى أشتري لكن؟ فإني أكره أن تخدعن في البيع والشراء، فيرسلن بجواريهن معه فيدخل في السوق، ووراءه من جواري النساء غلمانهن ما لا يحصى، فيشتري لهن حوائجهن. ومن كان ليس عندها شيء، اشترى لها من عنده رضي الله تعالى عنه. وروي أن طلحة، رضي الله تعالى عنه، خرج فرأى عمر رضي الله تعالى عنه، قد دخل بيتاً ثم خرج، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقال لها طلحة: ما بال هذا الرجل

يأتيك؟ فقالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج عني الأذى. تعني القذر.

ولما رجع رضي الله تعالى عنه من الشام إلى المدينة، انفرد عن الناس، ليتعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز في خبائها فقصدها فقالت: يا هذا ما فعل عمر؟ قال: قد أقبل من الشام سالماً فقالت: لا جزاه الله عني خيراً قال: ولم قالت: لأنه والله ما نالني من عطائه منذ ولي أمر المؤمنين دينار ولا درهم. فقال: وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله والله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس، ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها! فبكى عمر رضي الله تعالى عنه، وقال: واعمراه كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر. ثم قال يا أمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر، فإني أرحمه من النار، فقالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله! فقال: لست بهزاء فلم يزل بها حتى اشترى منها ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً، فبينما هو كذلك، إذ أقبل علي بن أبي طالب، وابن مسعود، فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فوضعت العجوز يدها على رأسها، وقالت: وا سوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه، فقال لها عمر رضي الله تعالى عنه: لا بأس عليك رحمك الله. ثم طلب رقعة، يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلى يوم كذا وكذا، بخمسة وعشرين ديناراً فما تدعي عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر منه بريء شهد على ذلك علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما، ثم دفع الكتاب إلى ولده، وقال إذا أنا مت فاجعله في كفني، ألقى به ربي وأخباره رضي الله تعالى عنه في مثل هذا كثيرة جداً.

وذكر الفضائلي أن عمر رضي الله تعالى عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، وهو بالقادسية بأن يوجه نضلة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، إلى حلوان العراق ليغير على ضواحيها، فبعث سعد نضلة في ثلثمائة فارس، فساروا حتى أتوا حلوان العراق، فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة وسبياً، فأقبلوا بذلك حتى أرهقهم العصر، وكادت الشمس تغرب، فألجأ نضلة السبي والغنيمة إلى سفح جبل، ثم قام فأذن فقال الله أكبر الله أكبر فأجابه مجيب من الجبل: كبرت كبيراً يا نضلة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقال: كلمة الإخلاص يا نضلة، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله فقال: هو الذي بشرنا به عيسى بن مريم عليه السلام، وعلى رأس أمته تقوم الساعة، ثم قال: حي على الصلاة فقال: طوبى لمن سعى إليها وواظب عليها، ثم قال: حي على الفلاح، فقال: قد أفلح من أجاب داعي الله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، قال: أخلصت الإخلاص كله يا نضلة، حرم الله بها جسدك على النار. فلما فرغ من أذانه قام فقال: من أنت يرحمك الله أملك أنت أم من الجن، أم طائف من عباد الله قد أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فإن الوفد وفد رسول الله ﷺ، ووفد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فانفلق الجبل عن هامة كالرحا، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت يرحمك الله؟ قال: أبا رزين بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام، أسكنني في هذا الجبل، ودعا لي بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء فاقرؤوا عمر مني السلام وقولوا له: يا عمر سدد

وقارب فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها: يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد ﷺ، فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا إلى غير مناسبهم، وإنتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وترك الأمر بالمعروف، فلم يؤمر به وترك النهي عن المنكر فلم ينه عنه. وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنيا، وكان المطر قيظاً والولد غيظاً، وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد وأظهروا الرشا وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا، وقطعت الأرحام ومنعت الأحكام، وأكلوا الرباء وحاز الغني عزاً، والفقير ذلاً، وخرج الرجل من بيته، فقام إليه من هو خير منه فسلم عليه، وركبت الفروج السروج. ثم غاب عنهم فلم يروه. فكتب نضلة إلى سعد بذلك، فكتب سعد بذلك إلى عمر، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فكتب إليه عمر رضي الله تعالى عنه: سر أنت بنفسك ومن معك، من المهاجرين والأنصار، حتى تنزلوا بهذا الجبل، فإن لقيته فاقرئه مني السلام، فخرج سعد رضي الله تعالى عنه، في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار وأبنائهم، حتى نزلوا بذلك الجبل، ومكث سعد رضي الله تعالى عنه أربعين يوماً ينادي بالصلاة، فلا يجد جواباً ولا يسمع خطاباً فكتب بذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه.

وعمر رضي الله تعالى عنه أول من أرخ التاريخ وذلك في سنة ست عشرة، وفيها كان فتح بيت المقدس صلحاً. وفيها نزل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه الكوفة ومصرّها، وهو أول من دون الدواوين ومصر الأمصار وحقق كلمته في إعلاء كلمة الله تعالى، ففتح الله تعالى على يديه مواضع عديدة ففتح رضي الله تعالى عنه دمشق ثم الروم ثم القادسية، ثم انتهى الفتح إلى حمص وحلوان والرقة والرها وحران ورأس العين وخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس، وما يليها من الساحل وبيت المقدس وبيسان واليرموك والأهواز وقيسارية ومصر وتستر ونهاوند والري وما يليها، وأصبهان وبلاد فارس واصطخر وهمذان والنوبة والبرلس والبربر وغير ذلك وكانت درته أهيب من سيف الحجاج، وهابه ملوك فارس والروم وغيرهم، ومع ذلك كله بقي على حاله كما كان قبل الولاية في لبسه وزيه وأفعاله وتواضعه يسير منفرداً في حضره وسفره من غير حرس ولا حجاب لم تغيره الإمرة، ولم يستطل على مسلم بلسانه، ولا حابى أحداً في الحق، وكان لا يطمع الشريف في حيفه، ولا ييأس الضعيف من عدله، ولا يخاف في الله لومة لائم. ونزّل نفسه رضي الله تعالى عنه، من مال الله تعالى منزلة رجل من المسلمين، وجعل فرضه كفرض رجل من المهاجرين، وكان يقول: أنا في مالكم كولي مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف أراد بذلك أنه يأكل ما تقوم به بنيته ولا يتعداه، وقال مجاهدا: تذاكر الناس في مجلس ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فأخذوا في فضل أبي بكر ثم في فضل عمر رضي الله تعالى عنهما، فلما سمع ابن عباس ذكر عمر رضي الله تعالى عنه، بكى بكاءً شديداً حتى أغمي عليه، ثم قال: رحم الله عمر قرأ القرآن وعمل بما فيه فأقام حدود الله كما أمر لا تأخذه في الله لومة لائم لقد رأيت عمر رضي الله تعالى عنه، وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه. وستأتي الإشارة إلى ذلك في باب الدال المهملة في لفظ الديك، وقتل رضي الله عنه في سنة ثلاث وعشرين، قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، واسمه فيروز، وكان المغيرة رضي الله تعالى عنه، يستغله كل يوم أربعة دراهم،

لأنه كان يصنع الأرحاء، فلقي عمر يوماً فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل على غلتي فكلمه لي ليخفف عني، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه اتق الله وأحسن إلى مولاك. فغضب أبو لؤلؤة وقال: يا عجباه قد وسع الناس عدله غيري، وأضمر على قتله واصطنع له خنجراً له رأسان، وسمه وتحين به عمر رضي الله تعالى عنه، فجاء عمر إلى صلاة الغداة، قال عمرو بن ميمون: إني لقائم في الصلاة، وما بيني وبين عمر إلا ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني الكلب، حين طعنه، وطار العلج[1] بسكين كان ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات سبعة، وقيل تسعة. فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما علم أنه مأخوذ نحر نفسه. فقال عمر رضي الله تعالى عنه: قاتله الله لقد أمرت به معروفاً. ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام. وكان أبو لؤلؤة مجوسياً ويقال كان نصرانياً توفي في ذي الحجة لأربع عشرة ليلة مضت منه في السنة المذكورة بعد طعنه بيوم وليلة عن ثلاث وستين سنة، ودفن مع صاحبه في الحجرة النبوية. ولما توفي عمر رضي الله تعالى عنه، أظلمت الأرض فجعل الصبي يقول: يا أماه أقامت القيامه؟ فتقول لا يا بني، ولكن قتل عمر رضي الله تعالى عنه. وسيأتي طرف من هذا، وذكر الشورى في لفظ الديك أيضاً قال ابن إسحاق: وكانت خلافته رضي الله تعالى عنه عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وقال غيره وثلاثة عشر يوماً والله أعلم.

## خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

ثم قام بعده بالأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. اشتور أهل الحل والعقد بعد دفن عمر بثلاثة أيام واتفقوا على مبايعته. وهو ابن عم المصطفى ﷺ الأعلى، بويع له بالخلافة في أول يوم من سنة أربع وعشرين، قال أهل التاريخ إنه لم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام عثمان ويكنى أبا عمرو وأبا عبد الله، والأول أشهر، وينسب إلى أمية بن عبد شمس، فيقال: الأموي، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، ويدعى بذي النورين، قيل لأنه تزوج بابنتي رسول الله ﷺ، رقية وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهما، ولم يعلم أحد تزوج بابنتي نبي غيره رضي الله تعالى عنه، وقيل لأنه إذا دخل الجنة برقت له برقتين، وقيل لأنه يختم القرآن في الوتر، والقرآن نور وقيام الليل نور، وقيل غير ذلك.

وهو رضي الله تعالى عنه، من السابقين وصلّى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين، وهو أول من هاجر إلى الحبشة فاراً بدينه، ومعه زوجته رقية رضي الله تعالى عنهما. وعد من البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ولم يحضرهما، وكان سبب غيبته عن بدر أن بنت رسول الله ﷺ، كانت تحته وهي مريضة، فأذن له رسول الله ﷺ في الجلوس عندها ليمرضها، وقال له: لك أجر رجل ممن شهد بدراً، وسهمه. وأما غيبته عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعزّ منه ببطن مكة، لبعثه رسول الله ﷺ مكانه، وأن رسول الله ﷺ، قال بيده اليمنى هذه يد عثمان. وتوفي رسول الله ﷺ

(١) العِلج: الكافر من كفار العجم.

وهو عنه راض، وبشره بالجنة ودعا له بالخصوصية، غير مرة فأثرى وكثر ماله، وكانت له شفقة ورأفة، فلما ولي زاد تواضعه وشفقته ورأفته برعيته، وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويأكل الخل والزيت، وجهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً بأحلاسها وأقتابها[1]، وأتم الألف بخمسين فرساً، وقال قتادة: حمل عثمان رضي الله تعالى عنه على ألف بعير، وسبعين فرساً، وقال الزهري: حمل على تسعمائة وأربعين بعيراً وستين فرساً.

وعن حذيفة بن اليمان، قال[2]: «بعث رسول الله ﷺ إلى عثمان رضي الله تعالى عنه في تجهيز جيش العسرة، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار، فصبت بين يديه فجعل ﷺ يقلبها بيده، ويقول غفر الله لك يا عثمان، ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة». وفي رواية: «ما يضر عثمان ما فعل بعد اليوم واشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألفاً وسبلها».

وله رضي الله تعالى عنه من الخيرات وأفعال البر ما يطول ذكره. قال ابن قتيبة وافتتح في أيامه الإسكندرية وسابور وإفريقية، وقبرس وسواحل الروم، واصطخر الأخرى وفارس الأولى وخوزستان، وفارس الأخرى وطبرستان، وكرمان وسجستان، والأساورة وإفريقية، من حصون قبرص وساحل الأردن ومرو. ولما عمرت المدينة وصارت وافرة الأنام وقبة الإسلام، وكثرت فيها الخيرات والأموال وجبى إليها الخراج، من المهالك وبطرت الرعية من كثرة الأموال والخيل، والنعم، وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا، أخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان رضي الله تعالى عنه، لأنه كان له أموال عظيمة، وكان له ألف مملوك ولكونه يعطي المال لأقاربه ويوليهم الولايات الجليلة، فتكلموا فيه إلى أن قالوا: هذا لا يصلح للخلافة وهموا بعزله وثاروا لمحاصرته وجرت أمور يطول ذكرها فحاصروه في داره أياماً وكانوا أهل جفاء، ورؤوس شر، فوثب عليه ثلاثة فذبحوه في بيته، والمصحف بين يديه، وهو شيخ كبير، وكان ذلك أول وهن وبلاء على هذه الأمة بعد نبيهم ﷺ فإنا لله وإنا إليه راجعون. قتلوه قاتلهم الله، يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة خمس وثلاثين.

ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة جداً. شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وقال: ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة وأخبر ﷺ، بأنه شهيد وأنه يبتلى، وتفرقت الكلمة بعد قتله رضي الله تعالى عنه، وماج الناس واقتتلوا للأخذ بثاره حتى قتل من المسلمين تسعون ألفاً، وقال ابن خلكان وغيره: لما بويع عثمان رضي الله تعالى عنه، نفى أبا ذر الغفاري[3] رضي الله تعالى عنه إلى الربذة[4] لأنه كان يزهد الناس في الدنيا ورد الحكم بن أبي العاص[5] وكان قد نفاه

---

(١) الحلس: كساء على ظهر البعير. والقَتَب واحد الأقتاب: الإكاف الصغير على قدر سنام البعير.

(٢) رواه: ابن حنبل ٦/٤٩، ٦٣.

(٣) أبوذر: جندب بن جُنادة بن سفيان بن عبيد، الغفاري الكناني، من كبار الصحابة دعا إلى مشاركة الأغنياء أموالهم لصالح الفقراء فنفاه عثمان إلى الربذة. مات سنة ٣٢ هـ.

(٤) الرَّبذة: موضع قرب المدينة المنورة.

(٥) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، صحابي، نفاه النبي ﷺ إلى الربذة، وهو عمّ عثمان بن عفان الذي ردّه إلى المدينة. مات سنة ٣٢ هـ.

رسول الله ﷺ إلى الربذة ولم يرده أبو بكر ولا عمر فرده عثمان رضي الله تعالى عنهم. قيل: إنما رده بإذن من النبي ﷺ، قاله غير واحد. ولى مصر عبد الله بن أبي[1] سرح، وأعطى أقاربه الأموال فكان ذلك مما نقم عليه الناس، فلما كانت سنة خمس وثلاثين، قدم المدينة مالك الأشتر[2] النخعي في مائتي رجل من أهل الكوفة، ومائة وخمسين من أهل البصرة وستمائة من أهل مصر، كلهم مجمعون على خلع عثمان رضي الله تعالى عنه من الخلافة، فلما اجتمعوا في المدينة سير إليهم عثمان رضي الله تعالى عنه المغيرة بن شعبة[3] وعمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فردوهما أقبح رد، ولم يسمعوا كلامهما. فبعث إليهم علياً رضي الله تعالى عنه فردهم إلى ذلك، وضمن لهم ما يعدهم به عثمان رضي الله تعالى عنه، وكتبوا على عثمان كتاباً بإزاحة عللهم، والسير فيهم بكتاب الله عزّ وجلّ، وسنة نبيّه ﷺ، وأخذوا عليه عهداً بذلك، وأشهدوا على علي رضي الله تعالى عنه أنه ضمن ذلك، واقترح المصريون على عثمان رضي الله تعالى عنه عزل عبد الله بن أبي سرح، وتولية محمد بن أبي بكر فأجابهم إلى ذلك وولاه وافترق الجمع كل إلى بلده، فلما وصل المصريون إلى إيلة وجدوا رجلاً على نجيب لعثمان رضي الله تعالى عنه ومعه كتاب مختوم بخاتم عثمان، مصطنع على لسانه، وعنوانه من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح وفيه إذا قدم محمد بن أبي بكر ومعه فلان وفلان فاقطع أيديهم وأرجلهم وارفعهم على جذوع النخل، فرجع المصريون ورجع البصريون والكوفيون لما بلغهم ذلك وأخبروه الخبر فحلف عثمان رضي الله تعالى عنه أنه ما فعل ذلك، ولا أمر به، فقالوا: هذا أشد عليك يؤخذ خاتمك ونجيب من إبلك وأنت لا تعلم. ما أنت إلا مغلوب على أمرك! ثم سألوه أن يعتزل فأبى، فأجمعوا على حصاره فحاصروه في داره، وكان من أكبر المؤلبين عليه محمد بن أبي بكر. وكان الحصار في سلخ شوال، واشتد الحصار، ومنع من أن يصل إليه الماء قال أبو أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه: كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، فقال: «وبم يقتلوني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول[4] لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفساً بغير حق فيقتل بها، فوالله ما أحببت بديني بدلاً، منذ هداني الله تعالى، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلت نفساً بغير حق فبم يقتلوني»؟ رواه الإمام أحمد.

وعن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أنه قال «لما اشتد الحصار بعثمان رضي الله تعالى عنه، يوم الدار رأيت علياً رضي الله تعالى عنه خارجاً من منزله معتماً بعمامة رسول الله ﷺ، متقلداً بسيفه وأمامه ابنه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين والأنصار، رضي الله تعالى

---

(١) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي فاتح افريقية وفارس بني عامر، ولي مصر سنة ٢٥ هـ، اعتزل الفتنة أيام صفين. مات سنة ٣٧ هـ في عسقلان.

(٢) هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي من الأمراء، شهد اليرموك، وكان فيما بعد ممن حرضوا ضد عثمان وثاروا ضده وشهد صفين والجمل مع علي. له شعر جيد. مات سنة ٣٧ هـ.

(٣) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي صحابي من الدهاة. شهد فتح الشام والعراق، وتولى البصرة واعتزل الفتنة أيام صفين. مات سنة ٥٠ هـ.

(٤) رواه أحمد: ٦/٢٠٥.

عنهم، فحملوا على الناس وفرقوهم، ثم دخلوا على عثمان رضي الله تعالى عنه، فقال له علي رضي الله تعالى عنه: السلام عليك يا أمير المؤمنين، إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر، وإني والله لا أرى القوم إلا قاتليك فمرنا فلنقاتل، فقال عثمان: أنشد الله رجلاً رأى لله عزّ وجلّ عليه حقاً، وأقرأن لي عليه حقاً، أن يهريق بسببي ملء محجمة من دم، أو يهريق دمه في. فأعاد علي عليه القول، فأجابه بمثل ما أجابه، قال فرأيت علياً رضي الله تعالى عنه خارجاً من الباب، وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنا قد بذلنا المجهود. ثم دخل المسجد فاقتحموا على عثمان رضي الله تعالى عنه الدار، والمصحف بين يديه، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته، فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: أرسل لحيتي يا بن أخي فوالله لو رأى أبوك مقامك هذا لساءه. فأرسل لحيته وولى، فضربه بتار بن عياض وسودان بن حمران بسيفيهما فنضح الدم على قوله[1] تعالى: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ وجلس عمرو بن الحمق على صدره، وضربه حتى مات. ووطىء عمير بن صابي على بطنه، فكسر له ضلعين من أضلاعه.

وروى الإمام أحمد عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه، قال: «ذكر[2] رسول الله ﷺ فتنة وعظمها وقربها، ثم مر رجل مقنع في ملحفة، فقال: هذا يومئذٍ على الحق فإذا هو عثمان رضي الله تعالى عنه». وروى[3] الترمذي معناه فقال: «هذا يومئذٍ على الهدى». وقال إنه حديث حسن صحيح.

وكان لأمير المؤمنين عثمان رضي الله تعالى عنه شيئآن ليسا لأبي بكر ولا لعمر رضي الله تعالى عنهما، صبره على نفسه حتى قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف. قاله ابن مهدي وغيره.

وقال المدائني: قتل رضي الله تعالى عنه يوم الأربعاء بعد العصر، ودفن يوم السبت قبل الظهر. وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. وقال المهدوي: قتل في وسط أيام التشريق وأقام ثلاثة أيام، لم يدفن ولم يصل عليه وقيل صلّى عليه رضي الله تعالى عنه جبير بن مطعم. ودفن رضي الله تعالى عنه ليلاً. واختلف في مدة الحصار فقيل: أكثر من عشرين يوماً، وقيل تسعة وأربعون يوماً، قاله الواقدي، وقال الزبير بن بكار وغيره: ثمانون يوماً. وكانت خلافته رضي الله تعالى عنه اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وقتل رضي الله تعالى عنه وهو ابن ثمانين سنة، قاله ابن إسحاق. وقال غيره كانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً وقتل رضي الله تعالى عنه وعمره ثمان وثمانون سنة. وقيل كانت خلافته اثنتي عشرة سنة وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ابن ثلاث وثمانين سنة وقيل تسعين وقيل غير ذلك والله أعلم.

## خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه

ثم قام بعده بالامر أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه. بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

(٢) رواه الترمذي في المناقب: ١٨، وابن ماجه في المقدمة: ١. وأحمد: ٤/٢٢٦، ٢٤٣.

(٣) رواه الترمذي في المناقب: ١٨.

رضي الله تعالى عنه كما سيأتي أن شاء الله تعالى.

وهو رضي الله تعالى عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد المطلب، الجد الأدنى. ينسب إلى هاشم فيقال القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ لأبويه. ولم يزل إسمه في الجاهلية والإسلام عليا، ويكنى أبا الحسن وأبا تراب، كناه به رسول الله ﷺ، وكان أحب الكنى إليه. أسلم رضي الله تعالى عنه وهو ابن سبع، وقيل ابن تسع وابن عشر، وقيل خمس عشرة وقيل غير ذلك. وشهد رضي الله تعالى عنه المشاهد كلها إلا تبوك فإنه ﷺ، خلفه في أهله.

وكان رضي الله تعالى عنه غزير العلم، ولما هاجر رسول الله ﷺ، أقام بعده ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله ﷺ، الودائع ثم لحق به. ويقال إنه رضي الله تعالى عنه أول من أسلم، وأول من صلى، وزوجه ﷺ ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها، وبعث معها خميلة ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحيين وسقاء وجرتين. وشهد له بالجنة ﷺ. ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة جداً ويكفي منها قوله ﷺ «أنا مدينة العلم وعلي[1] بابها».

**فائدة لطيفة**: قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: سادات الأنبياء خمسة[2] نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أجمعين.

**ذكر أسماء من ولد من الأنبياء مختوناً**: عن كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه أنه قال: هم ثلاثة عشر: آدم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحي وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين. وقال محمد بن حبيب الهاشمي: هم أربعة عشر: آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى وحنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين.

**ذكر أسماء من كان يكتب لرسول الله ﷺ**: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب، وهو أول من كتب له وزيد بن ثابت الأنصاري ومعاوية بن أبي سفيان، وحنظلة بن الربيع الأسدي، وخالد بن سعيد بن العاص. وكان المداوم له على الكتابة زيدا ومعاوية.

**ذكر من جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله ﷺ**: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو يزيد الأنصاري وأبو الدرداء وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفان وتميم الداري وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري.

**ذكر من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ**: علي والزبير ومحمد بن مسلمة والمقداد وعاصم بن أبي الأفلح.

**ذكر من كان يحرسه ﷺ**: سعد بن أبي وقاص، وسعد بن معاذ، وعباد بن بشر، وأبو

(١) رواه الترمذي في المناقب: ٢٠ ولفظه: «أنا ذر الحكمة...».
(٢) الأنبياء الخمسة المذكورون هم أولو العزم.

أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة الأنصاري. فلما نزل قوله[1] تعالى: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ ترك الحراسة.

**ذكر من كان يفتي على عهد رسول الله ﷺ من أصحابه**: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري.

**ذكر من انتهت الفتوى إليهم من التابعين بالمدينة**: سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وقاسم وعبيد الله وعروة وسليمان وخارجة.

**ذكر من تكلم في المهد**: وهم أربعة: صاحب جريج ببراءته من الزنا، وشاهد يوسف ببراءته من زليخا، وابن الماشطة التي لبنت فرعون حذرها من الكفر، وعيسى بن مريم ببراءة أمه عليهما السلام.

**وتكلم بعد الموت أربعة**: يحي بن زكريا حين ذبح، وحبيب النجار حيث قال ياليت قومي يعلمون، وجعفر الطيار حيث قال: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل**[2] **الله**﴾ إلخ، والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما حيث قال: ﴿**سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**[3]﴾.

**ذكر من حملته أمه أكثر من مدة الحمل**: سفيان بن حبان ولد لاربع سنين خلون في بطن أمه، ومحمد بن عبد الله بن حسن الضحاك بن مزاحم، ولد وهو ابن ستة عشر شهراً خلون في بطن أمه، ويحي بن علي بن جابر البغوي كذلك، وسلمان الضحاك ولد ابن سنتين خلتا في بطن أمه.

**ذكر النماردة**: وهم ستة فالأول نمرود بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وهو أحد ملوك الأرض الذين ملكوا الدنيا بأجمعها، وقد كان في أيام إبراهيم عليه السلام، الثاني نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وهو صاحب النسور وقصته مشهورة. الثالث نمرود بن ماش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. الرابع نمرود بن سنجار بن نمرود ابن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. الخامس نمرود بن ساروع بن أرغو بن مالخ السادس نمرود بن كنعان بن المصاص بن نقطا.

**ذكر الفراعنة**: وهم ثلاثة: فأولهم سنان الأشعل بن علوان بن العميد بن عمليق، وهو فرعون إبراهيم عليه السلام. الثاني الريان بن الوليد، وهو فرعون يوسف عليه السلام. الثالث الوليد بن مصعب، وهو فرعون موسى عليه السلام.

**ذكر أصحاب المذاهب المتبعة، ووفاتهم من كتاب علوم الحديث للنووي رحمه الله**: سفيان الثوري مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، ومولده سنة سبع وعشرين. مالك بن أنس مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة، وولد سنة تسعين. وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، مات في بغداد

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة. وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، مات بمصر آخر رجب سنة أربع ومائتين، وولد سنة خمسين ومائة. وأبو عبد الله أحمد بن حنبل، مات في بغداد في شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائة، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

ذكر أصحاب الأحاديث المعتمدة: أبو عبد الله البخاري، ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة، ومات ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. ومسلم مات بنيسابور لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين، وهو ابن خمس وخمسين. وأبو داود مات بالبصرة في شوال سنة خمس وسبعين ومائتين. وأبو عيسى الترمذي مات بترمذ لثلاث عشر مضت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. وأبو عبد الرحمن النسائي، مات سنة ثلاث وثلثمائة. وأبو الحسن الدارقطني، مات في بغداد في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلثمائة، وولد في سنة ست وثلثمائة رحمة الله عليهم أجمعين.

قال أهل التاريخ: ولما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه، أتى الناس عليا وضربوا عليه الباب ودخلوا فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل، ولابد للناس من إمام، ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فردهم عن ذلك فأبوا، فقال: إن أبيتم إلا بيعتي فإن بيعتي لا تكون سراً فأتوا المسجد فحضر طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص والأعيان، وأول من بايعه طلحة، ثم بايعه الناس. واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، وتخلف عن بيعته نفر فلم يكرههم. وقال قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل. وتخلف عن بيعته أيضاً معاوية ومن معه بالشام، إلى أن كان منهم ما كان في صفين. ثم خرج عليه الخوارج فكفروه وكل من معه وأجمعوا على قتاله قاتلهم الله. وشقوا العصا يعني عصا المسلمين، ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء، وقطعوا السبيل، فخرج إليهم بمن معه، ورام رجوعهم، فأبوا إلا القتال، فقاتلهم بالنهروان فقتلهم واستأصل جمهورهم، ولم ينج منهم إلا القليل. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد قال حين طعن: أن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيمَ، يعني عليا وكان كما قال سلك بهم والله الطريق المستقيم. وكان له رضي الله عنه شفقة على رعيته متواضعاً ورعا ذا قوة في الدين. وكان قوته رضي الله تعالى عنه، من دقيق الشعير يأخذ منه قبضة فيضعها في القدح ثم يصب عليها ماء فيشربه.

وكان قد تفرق عليه الخوارج، واعتقد بعض الناس فيه الإلهية فأحرقهم بالنار، وسأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما، أكان علي رضي الله تعالى عنه يباشر القتال بنفسه يوم صفين؟ فقال: والله ما رأيت رجلا أطرح لنفسه في متلفة، مثل علي رضي الله تعالى عنه، ولقد كنت أراه يخرج حاسراً على رأسه، بيده السيف، إلى الرجل الدارع فيقتله. قال في درة الغواص: ومما يؤثر من شجاعة علي رضي الله تعالى عنه، أنه إذا اعتلى قد، وإذا اعترض قط. فالقد قطع الشيء طولا والقط قطعه عرضا. وقد تقدم ذكر قتله رضي الله تعالى عنه ومن قتله، وكان طعن ابن ملجم له في ليلة الجمعة السابعة عشرة من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. وثب عليه فضربه بخنجر على دماغه فمات بعد يومين. وأخذوا ابن ملجم، فعذبوه وقطعوه إرباً إرباً بعد موت علي.

وكان أفضل من بقي من الصحابة رضي الله تعالى عنه، ومناقبه كثيرة جداً جمعها الحافظ أبو عبد الله الذهبي في مجلد. وذكر غير واحد أنه رضي الله تعالى عنه، لما ضربه ابن ملجم، قاتله الله أوصى الحسن والحسين وصية طويلة، وفي آخرها يا بني عبد المطلب، لا تخوضوا دماء المسلمين خوضاً تقولون: قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن بي غير قاتلي، اضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا به، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول[1]: «إياكم والمثلة». ولما مات علي رضي الله تعالى عنه، قتل الحسن رضي الله تعالى عنه، عبد الرحمن بن ملجم، فقطع يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى في النار، كل ذلك ولم يتأوه ولم يجزع فلما أرادوا قطع لسانه، تأوه وجزع، فسئل عن ذلك. فقال: والله ما اتأوه فزعاً ولا جزعاً من الموت، وإنما أتأوه لأن تمر عليَّ ساعة من ساعات الدنيا لا أذكر الله تعالى فيها فقطعوا لسانه فمات بعد ذلك وفي الحديث: «إن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله تعالى عنه: يا علي أتدري من أشقى الأولين؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال عاقر ناقة صالح، ثم قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: الذي يضربك على هذا فيبل منها هذه، وأخذ بلحيته» وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول: والله لوددت لو انبعث أشقاهافضربه ابن ملجم الخارجي قاتله الله كما تقدم. وكانت وفاته رضي الله تعالى عنه في سن سبع وقبل ثمان وخمسين وقيل ثلاث وقيل ثمان وستين. وقال ابن جرير الطبري: مات علي رضي الله تعالى عنه، وعمره خمس وستون سنة. وقال غيره: ثلاث وستون سنة وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ويوما واحداً وكانت مدة إقامته رضي الله تعالى عنه بالمدينة أربعة أشهر ثم سار إلى العراق، وقتل بالكوفة كما تقدم، وللناس خلاف في مدة عمره وفي قدر خلافته رضي الله تعالى عنه والله أعلم.

## خلافة أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله تعالى عنه

وهو السادس فخلع كما سيأتي. قالوا: ثم قام بالأمر بعده أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. وكنيته أبو محمد ولقبه الزكي، وأمه فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها. بويع له بالخلافة بعد وفاة والده ثم سار إلى المدائن، واستقر بها وبينما هو بالمدائن إذ نادى مناد: إن قيساً قد قتل، فانفروا وكان الحسن رضي الله تعالى عنه قد جعله على مقدمة الجيش، وهو قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما، فلما خرج الحسن رضي الله تعالى عنه، عدا عليه الجراح الأسدي قاتله الله، وهو يسير معه فوجأه بالخنجر في فخذه ليقتله، فقال الحسن رضي الله تعالى عنه: قتلتم أبي بالأمس ووثبتم علي اليوم تريدون قتلي زهداً في العادلين، ورغبة في القاسطين، والله لتعلمن نبأه بعد حين، ثم كتب إلى معاوية رضي الله تعالى عنهما بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطاً، فأجابه معاوية رضي الله تعالى عنه، إلى ما التمسه منه وصير له ما اشترط عليه، فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له لخمس بقين من شهر ربيع الأول، وذلك لأنه رأى المصلحة في

---

(١) رواه البخاري في المظالم: ٣٠ والذبائح: ٢٠ والمغازي: ٣٦. ورواه أبو داود في الجهاد: ١١٠ ورواه أحمد في: ٤/ ٢٤٦.

جمع الكلمة وترك القتال. وظهرت المعجزة في قوله ﷺ: «إن ابني هذا سيد وسيصلح[1] الله به». وفي رواية «ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». ويقال أنه أخذ منه يعني من معاوية ألف ألف درهم. وقالت فرقة أنه صالحه بأذرح في جمادى الأولى وأخذ منه مائة ألف دينار، ويقال أربعمائة ألف درهم، ويقال إنه شرط عليه أن يمكنه من بيت المال يأخذ منه حاجته، وأن يكون ولي العهد من بعده ففرح معاوية بذلك، وأجاب فخلع الحسن رضي الله تعالى عنه نفسه وسلم الأمر إلى معاوية وصالحه. ودخل هو وإياه الكوفة فسمي عام الجماعة لاجتماع الأمة بعد الفرقة على خليفة واحد. قال الشعبي: شهدت خطبة الحسن رضي الله تعالى عنه حين صالح معاوية، وخلع نفسه من الخلافة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه، إن كان له فهو أحق مني به وإن كان لي فقد تركته له إرادة لإصلاح الأمة وحقن دماء المسلمين، وأنا أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ثم رجع إلى المدينة، وأقام بها، فعوتب على ذلك فقال رضي الله تعالى عنه: اخترت ثلاثاً على ثلاث: الجماعة على الفرقة، وحقن الدماء على سفكها، والعار على النار.

وفي الحديث الصحيح عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن وإلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى، ويقول إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[2]».

ويروى عن الحسن رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني لأستحيي من ربي عز وجل، أن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة على رجليه من المدينة إلى مكةَ وإن النجائب لتقاد معه. وخرج رضي الله تعالى عنه من ماله مرتين، وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات، حتى إنه يعطي نعلاً ويمسك أخرى. قال ابن خلكان: لما مرض الحسن رضي الله تعالى عنه، كتب مروان بن الحكم إلى معاوية بذلك، فكتب إليه معاوية أن أقبل المطي إلي بخبر الحسن، فلما بلغ معاوية موته سمع تكبيرة من الخضراء، فكبر أهل الشام لذلك التكبير، فقالت فاختة بنت قريظة لمعاوية: أقر الله عينك ما الذي كبرت لأجله؟ فقال: مات الحسن، فقالت أعلى موت ابن فاطمة تكبر؟ فقال: والله ما كبرت شماتة بموته، ولكن استراح قلبي ودخل عليه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال له: يا ابن عباس هل تدري ما حدث في أهل بيتك؟ فقال: لا أدري ما حدث. إلا أني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك، فقال: مات الحسن فقال ابن عباس يرحم الله أبا محمد ثلاثاً، والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك، ولا يزيد عمره في عمرك، ولئن كنا قد أصبنا بالحسن، فلقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين، فجبر الله تلك الصدعة، وسكن تلك العبرة، وكان الله الخلف علينا من بعده.

وكان الحسن رضي الله تعالى عنه قد سم، سمته إمرأته جعدة بنت الأشعث، فمكث

---

(١) رواه البخاري في الصلح: ٩. وفضائل الصحابة: ٢٢ والفتن: ٢٠ والمناقب: ٢٥. ورواه أبو داود في السنة: ١٢، ورواه الترمذي في المناقب: ٣٠. والنسائي في الجمعة: ٢٧.

(٢) رواه البخاري وغيره كما تقدم.

شهرين يرفع من تحته في اليوم كذا وكذا مرة طست من دم، وكان رضي الله تعالى عنه يقول: سقيت السم مراراً ما أصابني فيها ما أصابني في هذة المرة. وكان قد أوصى لأخيه الحسين رضي الله تعالى عنهما. وقال إذا أنا مت فادفني مع جدي رسول الله ﷺ، إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وإن منعوك فأدفني ببقيع الغرقد. فلما مات رضي الله تعالى عنه، لبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع جده، فخرج مروان بن الحكم في موالي بني أمية، وهو يومئذ عامل على المدينة، فمنع الحسين رضي الله تعالى عنه من ذلك وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين، وقيل سنة خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص، ودفن مع أمه فاطمة رضي الله تعالى عنهما، وقيل دفن بالبقيع في قبر في قبة العباس، ودفن في هذا القبر أيضاً علي زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن ابنه جعفر بن محمد الصادق فهم أربعة في قبر واحد فأكرم به قبرا. وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام وقيل ستة أشهر إلا أياما وهي تكملة ما ذكره رسول الله ﷺ، من مدة الخلافة «ثم يكون ملكا عضوضا، ثم يكون جبروتا وفساداً في الأرض[1]» وكان كما قال رسول الله ﷺ. ومات الحسن رضي الله تعالى عنه وعمره سبع وأربعون سنة.

## خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنه

قالوا: ولما خلع الحسن رضي الله تعالى عنه من الخلافة، تم الأمر لمعاوية رضي الله تعالى عنه واستقام له الملك وصفت له الخلافة، وكان قد بويع له بالخلافة يوم التحكيم بايعه أهل الشام واختلف عليه أهل العراق إلى أن صالحه الحسن رضي الله تعالى عنه، فأجمع الناس على بيعته ومولده رضي الله تعالى عنه بالخيف من منى. أسلم قبل أبيه أبي سفيان، وصحب رسول الله ﷺ وكتب له، وكان في عسكر أخيه يزيد بن أبي سفيان. وكان عاملاً لعمر رضي الله تعالى عنه استعمله على إمرة دمشق فلما احتضر استخلف أخاه عليها، فأقره عمر رضي الله تعالى عنه على ذلك في سنة عشرين، فلم يزل متوليا على الشام عشرين سنة، وذلك بقية خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وخلافة عثمان رضي الله تعالى عنه، وفي خلافة علي رضي الله تعالى عنه متغلباً عليها إلى أن سلم إليه الحسن رضي الله تعالى عنه الخلافة، فاجتمع له الأمر وبعث نوّابه إلى البلاد، وذلك في سنة إحدى وأربعين، فسمي عام الجماعة لأن الأمة اجتمعت فيه بعد الفرقة، على إمام واحد. وكانت امرأة استشارت النبي ﷺ في أن تتزوج به فقال[2]: «إنه صعلوك لا مال له». ثم بعد هذا القول بإحدى عشرة سنة صار نائب دمشق، ثم بعد الأربعين صار ملك الدنيا. وكان مليح الشكل عظيم الهيبة، وافر الحشمة، يلبس الثياب الفاخرة، والعدة الكاملة، ويركب الخيل المسومة، وكان كثير البذل والعطاء، محسنا إلى رعيته كبير الشأن يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد

---

(١) رواه أحمد: ٢٧٣/٤ ولفظه: «ثم تكون ملكاً عافياً، جبرية».

(٢) رواه مسلم في الرضاع: ١٠٣، والطلاق ٣٦. ورواه أبو داود في الطلاق: ٣٩. والترمذي في النكاح: ٣٨. والنسائي في النكاح: ٢٢. ورواه مالك في الموطأ: الطلاق: ٦٧، وأحمد: ٤١٢/٦. ولفظه: «وأما معاوية فصعلوك لا مال له».

مناف بن قصي، وينسب إلى أمية بن عبد شمس، فيقال: الأموي. وخرج عليه مرة بن نوفل الأشجعي الحروري وورد الكوفة، وهو أول الخوارج، فكتب معاوية إلى أهل الكوفة ألالا ذمة لكم عندي حتى تكفوني أمره فقاتلوه وقتلوه. وهو أول من اتخذ المقاصير وأقام الحرسي والحجاب. وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحربة، وأول من تنعم في مأكله وملبسه ومشربه. وكان رضي الله عنه حليماً، وله في الحلم أخبار كثيرة، ولما حضرته الوفاة جمع أهله فقال: ألتسم أهلي؟ قلوا بلى فداك الله بنا. فقال: وعليكم حزني ولكم كدي وكسبي، قالوا: بلى، فداك الله بنا، قال فهذه نفسي قد خرجت من قدمي، فردوها علي إن استطعتم، فبكوا وقالوا ما لنا إلى هذا من سبيل. فرفع صوته بالبكاء، ثم قال: فمن تغره الدنيا بعدي؟ وذكر غير واحد أنه لما ثقل في الضعف وتحدث الناس أنه الموت، قال لأهله: احشوا عيني اثمدا واسبغوا رأسي دهنا ففعلوا، وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهدوا له مجلسا وأسندوه، وأذنوا للناس فدخلوا وسلموا عليه قياما، فلما خرجوا من عنده أنشد قائلاً:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضعُ[1]

فسمعه رجل من العلويين فأجابه:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفعُ[2]

ثم أنه أوصى أن تدق قلامة أظفار رسول الله ﷺ، وتجعل من منافذ وجهه، وأن يكفن بثوب سيدنا رسول الله ﷺ. وتوفي في دمشق في نصف رجب وقيل في مستهل رجب سنة ستين. وصلى عليه الضحاك الفهري لغيبة ابنه يزيد ببيت المقدس. واخلف في عمره فقيل ثمانون وقيل خمس وسبعون سنة وقيل خمس وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة وقيل تسعون. وكانت خلافتة منذ خلص له الأمر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام. وكان أميراً وخليفة أربعين سنة. منها أربع سنين في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه والله تعالى أعلم.

## خلافة يزيد بن معاوية

ثو قام بالأمر بعده إبنه يزيد. بويع له بالخلافة يوم مات أبوه، وذلك أن أباه كان قد جعله ولي العهد من بعده وكان بحمص، فقدم منها وبادر إلى قبر أبيه، ثم دخل دمشق إلى الخضراء، وكانت دار السلطنة فخطب الناس بها وبايعوه بالخلافة. وكتب إلى الأقاليم بذلك فبايعوه، ولم يبايعه الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ولا عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه، واختفيا من عامله، الوليد بن عقبة بن أبي سفيان. وأقاما مصرين على الامتناع إلى أن قتل الحسين رضي الله تعالى عنه بكربلاء، وكان الذي باشر قتله الشمر بن ذي الجوشن، وقيل سنان بن أنس النخعي وقيل أن الشمر ضربه على وجهه، وأدركه سنان فطعنه فألقاه عن فرسه، ونزل خولي بن يزيد

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي وهو في وفيات الأعيان: ٦/١٥٥.

(٢) البيت لأبي ذؤيب أيضاً، في وفيات الأعيان: ٦/١٥٥.

الأصبحي ليحـز رأسه، فارتعدت يداه، فنزل أخوه شبل بن يزيد فاحتز رأسه، ودفعه إلى أخيه خولي وكان أمير الجيش عبيد الله بن زياد ابن أبيه، من قبل يزيد بن معاويـة. قالـوا: ثم إن عبيد الله بن زياد جهز علي بن الحسين، ومن كان مـع الحسين من حـرمه، بعـد أن اعتمدوا ما اعتمدوه، من سبي الحريم وقتل الزراري مما تقشعر من ذكره الأبدان، وترتعد منه الفرائص إلى البغيض يزيد بن معاوية، وهو يومئذ بدمشق مع الشمر بن ذي الجوشن في جماعة من أصحابه فساروا إلى أن وصلوا إلى دير في الطريق، فنزلوا ليلقوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانه:

أتـرجـو أمـة قـتلت حـسيـنـا شـفـاعـة جـده يـوم الحـسـابِ

فسألوا الراهب عن السطـر ومن كتبه؟ فقال إنه مكتوب هنا من قبـل أن يبعث نبيكم بخمسمائة عام. وقيل إن الجـدار انشق فظهر منه كف مكتوب فيه بالدم هذا السطر. ثم ساروا حتى قدموا دمشق، ودخلوا على يزيد بـن معاوية، ومعهم رأس الحسين رضي الله تعالى عنه، فرمي به بين يدي يزيد، ثم تكلم شمر بن ذي الجوشن، فقال: يا أمير المؤمنين ورد علينا هذا يعني الحسين في ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته، وستين رجلاً من شيعته، فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال، فغدونا عليهم عند شروق الشمس وأحطنا بهم من كـل جانب، فلما أخـذت السيوف مـأخذهـا جعلوا يلوذون لوذان الحـمام من الصقور، فما كان إلا مقدار جزر جزور أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مزملة وخدودهم معفرة، تسفي عليهم الرياح، زوّارهم العقبان ووفودهم الرخم. فلما سمع يزيـد بذلـك، دمعت عيناه، وقـال: ويحكم قد كنت أرضى من طـاعتكم بدون قتـل الحسين، لعن الله ابن مرجانة أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال: يرحم الله أبا عبد الله ثم تمثل بقول[1] الشاعر:

يـفلقـن هـامـاً مـن رجـال أعـزة علينـا وهـم كـانـوا أعـق وأظلما

ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نسائه، وكان يزيد إذا حضر غداؤه، دعا علي بن الحسين وأخاه عمر بن الحسين، فأكلا معه ثم وجه الذرية صحبة علي بن الحسين، إلى المدينة ووجه معه رجلاً في ثلاثين فارساً، يسير أمامهم حتى انتهوا إلى المدينة، وكان بين وفاة رسول الله ﷺ، وبين اليوم الذي قتل فيه الحسين رضي الله تعالى عنه خمسون عاماً. وقيل: إن الحسين رضي الله عنه لـما وصل إلى كربلاء سأل عن اسم المكان؟ فقيل له: كربلاء فقال ذات كرب وبلاء، لقد مر أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفين، وأنا معه، فوقف وسأل عنه فأخبروه بإسمه، فقال: «ههنا محط رحالهم وههنا مهراق[2] دمائهم». فسئل عن ذلك فقال نفرمـن آل مـحـمـد ينزلون ههنا، ثم أمر باثقاله فحطت في ذلك المكان. وكان قتله رضي الله تعالى عنه يوم عاشوراء في سنة ستين. ذكره أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه، في الأخبار الطوال. وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب الكاف في

(١) البيت لحصين بن الحُمام المُرّي وهو في العقد الفريد: ٣٨٢/٤ وفيه: «نفلّق هاماً».

(٢) رواه مسلم في الفتن: ٢٨. ورواه أحمد: ٢٩/٥، ٤٥.

لفظ الكلب، ما ذكره ابن عبد البر في بهجة المجالس وأنس المجالس: أنه قيل لجعفر الصادق: كم تتأخر الرؤيا؟ فقال خمسين سنة، لأن النبي ﷺ رأى كأن كلبا أبقع ولغ في دمه، فأوله بأن رجلاً يقتل الحسين ابن بنته. فكان الشمر بن ذي الجوشن الكلب، قاتل الحسين رضي الله تعالى عنه، وكان أبرص فتأخرت الرؤيا بعده ﷺ خمسين سنة.

وفي هذه السنة أي سنة ستين، دعا ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما، إلى نفسه بالخلافة بمكة وعاب يزيد بشرب الخمر، واللعب بالكلاب، والتهاون بالدين، وأظهر ثلبه وتنقصه، فبايعه أهل تهامة والحجاز، فلما بلغ يزيد ذلك ندب له الحصين بن نمير السكوني، وروح بن زنباع الجذامي، وضم إلى كل واحد جيشاً، واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة المري، وجعله أمير الأمراء، ولما ودعهم قال: يا مسلم لا نردن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم، واجعل طريقك على المدينة فإن حاربوك، فحاربهم فإن ظفرت بهم فأبحها ثلاثا فسار مسلم بن عقبة حتى نزل الحرة، وخرج أهل المدينة فعسكروا بها، وأميرهم عبد الله بن حنظلة الراهب، وهو غسيل الملائكة، فدعاهم مسلم ثلاثا فلم يجيبوه، فقاتلهم فغلب أهل الشام وقتلوا أمير المدينة عبد الله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين والأنصار، ودخل مسلم المدينة وأباحها ثلاثة أيام وقد جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «من أباح حرمي فقد حلّ عليه غضبي» ثم شخص بالجيش إلى مكة وكتب إلى يزيد بما صنع بالمدينة. فلما بلغ مسلم هرشى اعتل ومات، فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير السكوني فسار حتى وافى مكة، فتحصن منه ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما في المسجد الحرام، بجميع من كان معه، فنصب الحصين المنجنيق على أبي قبيس، ورمى به الكعبة المعظمة، فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر إلى الحصين بموت يزيد بن معاوية، فأرسل إلى ابن الزبير يسأله الموادعة، فأجابه إلى ذلك وفتح الأبواب واختلط العسكران يطوفون بالبيت، فبينما الحصين يطوف ليلة بعد العشاء، إذ استقبله ابن الزبير فأخذ الحصين بيده، وقال له سراً: هل لك في الخروج معي إلى الشام، فأدعو الناس إلى بيعتك؟ فإن أمرهم قد مرج، ولا أرى أحداً أحق بها اليوم منك، ولست أعصى هناك. فاجتذب ابن الزبير يده من يده، وقال وهو يجهر بقوله: دون أن أقتل بكل واحد من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام؟ فقال الحصين: لقد كذب الذي يزعم إنك من دهاة العرب، أكلمك سراً فتكلمني علانية، وأدعوك إلى الخلافة وتدعوني إلى الحرب.

ثم انصرف بمن معه إلى الشام وتوفي يزيد بن معاوية في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وله تسع وثلاثون سنة ودفن بمقبرة باب الصغير. وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر، وقد وقع للغزالي والكيا الهراسي فيه كلام وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفهد.

## خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

ثم قام بالأمر بعده ابنه معاوية، وكان خيراً من أبيه، فيه دين وعقل، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، فأقام فيها أربعين يوماً، وقيل أقام فيها خمسة أشهر وأياما. وخلع نفسه وذكر غير

واحد، أن معاوية بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلا، ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثم ذكر النبي ﷺ، بأحسن ما يذكر به، ثم قال: يا أيها الناس، ما أنا بالراغب في الإئتمار عليكم، لعظيم ما أكرهه منكم، وإني لأعلم أنكم تكرهوننا أيضاً لأنا بلينا بكم وبليتم بنا، إلا أن جدي معاوية رضي الله تعالى عنه، قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه، ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ، وعظم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدرا، وأشجعهم قلبا، وأكثرهم علما وأولهم إيمانا، وأشرفهم منزلة، وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله ﷺ، وصهـره وأخوه. زوجه ﷺ ابنته فاطمة، وجعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة تربية الرسول وابني فاطمة البتول، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية، فركب جدي معه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى انتظمت لجدي الأمور، فلما جاءه القدر المحتوم، واخترمته أيدي المنون، بقي مرتهنا بعمله، فريداً في قبره، ووجد ما قدمت يداه، ورأى ما ارتكبه واعتداه، ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبـي فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه، ولقد كان أبـي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه، غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ، فركب هواه واستحسن خطاه، وأقدم على ما أقدم من جراءته على الله، وبغيه على من استحل حرمته، من أولاد رسول الله ﷺ، فقلت مدته وانقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته رهين خطيئته، وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل على مـا قدم ونـدم حيث لا ينفعه الندم، وشغلنا الحزن له، عن الحزن عليه، فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإساءته؟ وجوزي بعمله وذلك ظني ثم اختنقته العبرة، فبكى طويلا وعلا نحيبه، ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم والساخط علي أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جلّت قدرته متقلداً أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام.

فقال له مروان بن الحكم، وكان تحت المنبر: أسنة عمرية يا أبا ليلى؟ فقال أغد عني أعن ديني تخـدعني؟ فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها، ائتني برجال مثل رجال عمر رضي الله تعالى عنه، على أنه ما كان من حين جعلها شورى، وصرفها عمن لا يشك في عدالته ظلوما، والله لئن كانت الخلافة مغنماً، لقـد نال أبـي منهـا مغرمـاً ومأثماً، ولئن كـانت سوءاً فحسبـه منهاما أصابه. ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكي، فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة، ولم أسمع بخبرك. فقال: وددت والله ذلك، ثم قال ويلي إن لم يرحمني ربـي.

ثم إن بني أمية قالوا لمؤدبـه عمر المقصوص: أنت علمته هذا ولقنته إياه، وصددته عن الخلافة، وزينت له حب علي وأولاده، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسّنت له البدع، حتى نطق بما نطق، وقال ما قال. فقال: والله ما فعلته، ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي. فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات.

وتوفي معاوية بن يزيد رحمه الله بعد خلعه نفسه، بأربعين ليلة وقيل بسبعين ليلة، وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة، وقيل إحدى وعشرين سنة وقيل ثماني عشرة ولم يعقب.

## خلافة مروان بن الحكم

ثم قام بالأمر بعده مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. بويع له بالخلافة بالجابية، ثم دخل الشام فأذعن أهلها له بالطاعة، ثم دخل مصر بعد حروب كثيرة فبايعه أهلها. وكان يقال له ابن الطريد، لأن النبي ﷺ، كان قد طرد أباه إلى الطائف، فرده عثمان رضي الله تعالى عنه حين ولي كما تقدم قريبا. وتوفي مروان سنة خمس وستين، وثبت عليه زوجته، لكونه شتمها فوضعت على وجهه مخدة كبيرة، وهو نائم، وقعدت هي وجواريها فوقها حتى مات.

وكان قد لحق النبي ﷺ وهو صبي وولي نيابة المدينة مرات، وهو قاتل طلحة أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم. وكان كاتب السر لعثمان رضي الله تعالى عنه، وبسببه جرى عليه ما جرى. وكانت خلافته عشرة أشهر وكان عمره ثلاثا وثمانين سنة. روى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرك، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه. قال: «كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به رسول الله ﷺ، فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم، فقال[1]: «هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون». ثم قال صحيح الإسناد.

ثم روي أيضاً عن عمرو بن مرة الجهني، وكانت له صحبة، أن الحكم بن أبي العاص، استأذن على النبي ﷺ، فعرف صوته فقال[2]: «ائذنوا له عليه وعلى من يخرج من صلبه لعنة الله إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يترفهون في الدنيا، ويضيعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق». وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في باب الواو في لفظ الوزغ.

## خلافة عبد الملك بن مروان

ثم قام بالأمر بعده ابنه عبد الملك. بويع له بالخلافة يوم موت أبيه مروان، وهو أول من سمي بعبد الملك في الإسلام، وأوّل من ضرب الدراهم والدنانير بسكة الإسلام. وكان على الدنانير نقش بالرومية، وعلى الدراهم نقش بالفارسية. قلت: ولهذا سبب وهو أني رأيت في كتاب المحاسن والمساوي، للإمام أبراهيم بن محمد البيهقي ما نصه قال الكسائي: دخلت على الرشيد ذات يوم، وهو في ديوانه، وبين يديه مال كثير، قد شق عنه البدر شقا. وأمر بتفريقه في خدمه الخاصة، وبيده درهم تلوح كتابته، وهو يتأمله وكان كثيرا ما يحدثني، فقال: هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة؟ قلت: يا سيدي هو عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلت: لا علم لي، غير أنه أوّل من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية، وكان طرازها أبا وابنا وروحا، فلم يزل ذلك كذلك صدر الإسلام كله، يمضي على ما كان عليه، إلى

---

(١) رواه أبو داود في الطلاق: ٣٤. وابن حنبل: ١/٥٩، ٦٥، ٦٩.

(٢) رواه أحمد: ٤/٥.

أن ملك عبد الملك بن مروان فتنبه له، وكان فطنا فبينما هو ذات يوم، إذ مر به قرطاس، فنظر إلى طرازه، فأمر أن يترجم بالعربية، ففعل ذلك فأنكره، وقال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام، أن يكون طراز القراطيس، وهي تحمل في الأواني والثياب، وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد، على سعته وكثرة ماله، والبلد يخرج منه هذه القراطيس تدور في الآفاق والبلاد، وقد طرزت بسطر مثبت عليها، فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز ابن مروان، وكان عامله بمصر، بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأمر صناع القراطيس، أن يطرزوها بصورة التوحيد: شهد الله أن لا إله إلا هو، وهذا طراز القراطيس خاصة، إلى هذا الوقت، لم ينقص ولم يزد ولم يتغير، وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع، والحبس الطويل. فلما ثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد، وحمل إلى بلاد الروم منها انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم وترجم له ذلك الطراز، فأنكره وغلظ عليه واستشاط غيظاً، فكتب إلى عبد الملك:

أن عمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بطراز الروم، إلى أن أبطلته فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطؤا، فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه، في جميع ما كان يطرز من أصناف الأعلاق، حاجة أشكرك عليها، وتأمر بقبض الهدية، وكانت عظيمة القدر.

فلما قرأ عبد الملك كتابه، رد الرسول وأعلمه أنه لا جواب له، ورد الهدية فانصرف بها إلى صاحبه، فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك، وقال: إني ظننتك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي، فأضعفت الهدية وإني أرغب إليك إلى مثل ما رغبت فيه، من رد الطراز إلى ما كان عليه أولاً. فقرأ عبد الملك الكتاب، ولم يجبه ورد الهدية فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول:

إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي، فتوهمتك استقللت الهدية، فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول، وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح، لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه، أو لأمرن بنقش الدنانير والدراهم، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها شتم نبيك فإذا قرأته أرفض جبينك عرقا فأحب أن تقبل هديتي، وترد الطراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها، ونبقى على الحال بيني وبينك.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب، صعب عليه الأمر وغلظ، وضاقت به الأرض، وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم، فلم يجد عند أحد منهم رأيا يعمل به، فقال له

روح[1] بن زنباع: إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه، فقال: ويحك من؟ فقال: عليك بالباقر من أهل بيت النبي ﷺ! قال: صدقت، ولكنه ارتج علي الرأي فيه فكتب إلى عامله بالمدينة أن أشخص إلى محمد بن علي بن الحسين مكرماً ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه، وبثلثمائة ألف لنفقته، وارح عليه في جهازه وجهاز من يخرج معه، من أصحابه، وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن علي فلما وافاه، أخبره الخبر، فقال له محمد رحمه الله تعالى: لا يعظم هذا عليك، فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما أن الله عز وجل، لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم، في رسول الله ﷺ، والأخرى وجود الحيلة فيه. قال: وما هي؟ قال: تدعو في هذه الساعة بصناع، فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها صورة التوحيد، وذكر رسول الله ﷺ، أحدهما في وجه الدرهم والدينار، والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة، التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً إحدى وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين، فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل. وكانت الدراهم، في ذلك الوقت، إنما هي الكسروية[2]، التي يقال لها اليوم البغلية، لأن رأس البغل ضربها لعمر رضي الله تعالى عنه، بسكة كسروية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية «نوش خور» أي كل هنيئاً. وكان وزن الدرهم منها، قبل الإسلام، مثقالاً والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل، والعشرة وزن خمسة مثاقيل، هي السمرية والخفاف والثقال، ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك، وأمره محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم إلى الناس في التعامل بها. وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل، حتى تعاد إلى السكك الإسلامية ففعل عبد الملك ذلك.

ورد رسول ملك الروم إليه بذلك بقوله: إن الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله، وقد تقدمت إلى عمالي في أقطار البلاد بكذا وكذا، وبإبطال السكك والطروز الرومية. فقيل لملك الروم إفعل ما كنت تهددت به ملك العرب، فقال: إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأني كنت قادراً عليه، والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا أفعل، لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام، وامتنع من الذي قال. وثبت ما أشار به محمد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه إلى اليوم. ثم رمى، يعني الرشيد، بالدرهم إلى بعض الخدم، وتمكن عبد الله بن الزبير، فبايعه أهل الحرمين واليمن والعراق، واستناب على العراق وما يليه أخاه مصعب بن الزبير، وتفرقت الكلمة

(١) هو رَوح بن زِنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أمير فلسطين له دهاء وعلم وشجاعة. مات سنة ٨٤ هـ.
(٢) كسروية: نسبة إلى كسرى ملك الفرس.

فبقي في الوقت خليفتان: أكبرهما ابن الزبير رضي الله تعالى عنه، ثم لم يزل عبد الملك إلى أن ظفر به وقتله بعد حروب عظيمة. وذلك أنه سار من دمشق إلى العراق، فبرز إليه نائبها مصعب بن الزبير، وكان عبد الملك قد كاتب جيشه بأمور، فخذلوه وتسللوا عنه، فصار مصعب في نفر يسير، والتحم بينهما القتال، فظهرت من مصعب شجاعة عظيمة، ولم يزل كذلك حتى قتل، فاستولى عبد الملك حينئذ على العراق وخراسان، واستناب عليها أخاه بشر بن مروان، وكر راجعا إلى دمشق، ثم جهز الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش لحرب ابن الزبير، فحاصروه وضايقوه ونصبوا المنجنيق على جبل أبي قبيس، فكان يضرب بشجاعته المثل. كان رضي الله تعالى عنه، يحمل عليهم وحده فيهزمهم ويخرجهم، من أبواب المسجد واستمر يقاتلهم أربعة أشهر، ففي آخرها حمل عليهم فسقطت على رأسه شرافة من شراريف المسجد، فخر منها، فبادروا إليه واحتزوا رأسه، رضي الله تعالى عنه. فأمر اللعين الحجاج، أخزاه الله وقبحه، بصلب جسده.

وكان عبد الملك، قبل الخلافة متعبداً ناسكاً عالماً فقيها واسع العلم، وكان طويل العنق رقيق الوجه مشدود الأسنان بالذهب، حازما لا يكل أمره إلى سواه شديد البخل، يلقب برشح الحجر لبخله، ويلقب أيضاً بأبي ذباب لبخره محباً للفخر، ومقداما على سفك الدماء، وكذلك كان عماله: الحجاج بالعراق، والمهلب بن أبي صفرة بخراسان، وهشام بن إسماعيل وعبد الله ابنه بمصر، وموسى بن نصير بالمغرب، ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن، ومحمد بن مروان بالجزيرة. وكل من هؤلاء ظلوم غشوم جبار. قاله ابن خلكان.

ومن غريب ما سمع، فيما حكاه ابن خلكان، أن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد ابنه، دخلا على عبد الملك بن مروان، وعنده قائف[1] فأجلسهما، ثم قال للقائف: أتعرف هذا؟ قال: لا ولكن أعرف من أمره، إن هذا الفتى الذي معه ابنه، وأنه يخرج من عقبه فراعنة يملكون الأرض، لا يناويهم مناوٍ إلا وقتلوه. فتغير لون عبد الملك. ثم قال: زعم راهب إيليا، وكان قد رآه عنده، أنه يخرج من صلبه ثلاثة عشر ملكاً، ووصفهم بصفاتهم. وذكر أبو حنيفة في الأخبار الطوال أن عبد الملك بن مروان، أوصى ابنه الوليد، لما ثقل في مرضه، فقال: يا وليد لا ألفينك إذا وضعتني في حفرتي، تعصر عينيك كالأمة الوهاء، بل اتزر وشمر والبس جلد النمر، وادع الناس إلى البيعة فمن قال برأسه كذا أي لا، فقل بالسيف كذا أي أضرب عنقه.

وكان عبد الملك يلقب بحمامة المسجد، لقبه به ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وجاءته الخلافة وهو يقرأ في المصحف، فطبقه وقال: سلام عليك، هذا فراق بيني وبينك. وقيل إنه قيل لابن عمر رضي الله تعالى عنه: أرأيت لو نفاني أصحاب رسول الله ﷺ؟ فمن نسأل بعدهم؟ فقال: سلوا هذا الفتى، يعني عبد الملك، توفي عبد الملك بن مروان في شوال سنة ست وثمانين، وله ثلاث وستون سنة، وقيل ستون. وخلف سبعة عشر ولداً ولي الخلافة منهم أربعة. وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً، منها ثمان سنين مزاحما لابن الزبير. ثم انفرد بمملكة الدنيا إلى أن مات رحمة الله عليه.

---

(١) القائف: الذي عنده علم بالأثر .

## خلافة عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما وهو السادس فخلع وقتل كما سيأتي

قد تقدم، أن معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، خلع نفسه من الخلافة، فكيف يكون ابن الزبير رضي الله عنهما سادساً؟ وسبق قبل ذلك أن الحسن رضى الله عنه خلع من الخلافة أيضاً. فعلى هذا الحال لا يستقيم أن يكون ابن الزبير رضي الله عنهما سادساً، وبويع له يعني ابن الزبير رضي الله عنهما، بالخلافة بمكة لسبع بقين من رجب سنة أربع وستين في أيام يزيد بن معاوية كما تقدم، وبايعه أهل العراق وأهل مصروبعض أهل الشام، إلى أن بايعوا المروان بعد حروب، واستمر له العراق إلى سنة إحدى وسبعين، وهي التي قتل فيها عبد الملك بن مروان أخاه مصعب بن الزبير، وهدم قصر الإمارة بالكوفة. سبب هدمه أنه جلس ووضع رأس مصعب بين يديه، فقال له عبد الملك بن عمير: يا أمير المؤمنين، جلست أنا وعبيد الله بن زياد في هذا المجلس، ورأس الحسين بين يديه، ثم جلست أنا والمختار بن أبي عبيد فإذا رأس عبيد الله بن زياد بيت يديه، ثم جلست أنا ومصعب هذا فإذا رأس المختار بين يديه، ثم جلست مع أمير المؤمنين فإذا رأس مصعب بين يديه. وإني أعيذ أمير المؤمنين بالله من شر هذا المجلس، فارتعد عبد الملك، وقام من فوره، وأمر بهدم القصر.

وكان مصعب شجاعاً جوادًا حسن الوجه، كالقمر ليلة البدر، رحمه الله تعالى. ولما قتل مصعب انهزم أصحابه، فاستدعى بهم عبد الملك بن مروان، فبايعوه وسار إلى الكوفة ودخلها، واستقر له الأمر بالعراق والشام ومصر. ثم جهز الحجاج سنة ثلاث وسبعين، إلى عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما، فحصره بمكة ورمى البيت بالمنجنيق، ثم ظفر به فقتله، واحتز الحجاج رأسه وصلبه منكساً. ثم أنزله ودفنه في مقابر اليهود، وقيل إن الحجاج قال: لا أنزله حتى تتشفع فيه أمه أسماء، فتم على تلك الحال مدة، فمرت به أمه يوماً فقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجل! فبلغ الحجاج ذلك، فأمر بإنزاله، وأن يعطى لأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم، فاخذته ودفنته. وسيأتي ذكر قتله أيضاً في باب الشين المعجمة في لفظ الشاة. وكانت خلافته رضي الله تعالى عنه بالحجاز والعراق تسع سنين واثنين وعشرين يوما قتل رضي الله تعالى عنه وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وقيل اثنتان وسبعون سنة.

## خلافة الوليد بن عبد الملك

ثم قام بالأمر بعد عبد الملك بن مروان ابنه الوليد. فإنه كان ولي عهده، وكان دمياً سائل الأنف، يختال في مشيته، قليل العلم. وكان يختم القرآن في ثلاث ليال، قال إبراهيم بن أبي عبلة: كان يختم في رمضان سبع عشرة مرة، وكان يعطيني أكياس الدراهم، أقسمها في الصالحين وعن الوليد قال: لولا أن الله عزّ وجلّ ذكر اللواط في كتابه ما ظننت أن أحداً يفعله.

بويع له بالخلافة يوم توفي والده، ولم يدخل المنزل، حتى صعد المنبر فقال: الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان على مصيبتنا بأمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة، قوموا فبايعوا.

قال الحافظ ابن عساكر: كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم، بنى المساجد بدمشق وأعطى الناس، وفرض للمجذومين، وقال: لا تسألوا الناس. وأعطى كل مقعد خادماً، وكل أعمى قائداً وكان يبّر حَمَلة القرآن ، ويقضي عنهم ديونهم، وبنى الجامع الأموي، وهدم كنيسة مريوحنا، وزادها فيه، وذلك في ذي القعدة سنة ست وثمانين. وذكر أنه كان في الجامع وهو يبنى إثنا عشر ألف مرخم.

وتوفي الوليد، ولم يتم بناؤه فأتمه سليمان أخوه، فكان جملة ما أنفق على بنائه: أربعمائة صندوق، في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل، وما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، فجعلها في بيت المال، واتخذ عوضها صفرا وحديدا. وبنى قبة الصخرة ببيت المقدس وبنى المسجد النبوي ووسعه، حتى دخلت الحجرة النبوية فيه. وله آثار حسنة كثيرة جداً ومع ذلك فقد روي أن عمر بن عبد العزيز قال: لما الحدت الوليد ارتكض في اكفانه، وغلت يداه إلى عنقه. نسأل الله العافية والسلامة.

وفتح في أيام خلافته الفتوحات العظام، مثل السند والهند والأندلس وغير ذلك من الأماكن المشتهرة. وكان يركب المركوب الحسن الجيد، ويتقي الركوب والسفر والحرب، في هذه الأيام الآتي ذكرها، وينهي عن ذلك، وهي فائدة جليلة عظيمة القدر.

روى علقمة بن صفوان، عن أحمد بن يحي مرفوعا قال: قال رسول الله ﷺ: «توقوا إثنا عشر يوما في السنة، فإنها تذهب بالأموال، وتهتك الأستار. فقلنا: ما هي يا رسول الله؟ قال: ثاني عشر المحرم وعاشر صفر ورابع ربيع الأول وثامن عشر ربيع الثاني وثامن عشر جماد الأولى وثاني عشر جمادى الثانية وثاني عشر رجب وسادس عشر شعبان ورابع عشر رمضان وثاني شوّال وثامن عشر ذي القعدة وثامن ذي الحجة».

وقوله أن الوليد بنى قبة الصخرة فيه نظر. وإنما بنى قبة الصخرة عبد الملك بن مروان في أيام فتنة ابن الزبير لما منع عبد الملك أهل الشام من الحج، خوفاً من أن يأخذ منهم ابن الزبير البيعة له، فكان الناس يقفون يوم عرفة بقبة الصخرة إلى أن قتل ابن الزبير رضي تعالى عنهما. كما سيأتي إنشاء الله تعالى عن ابن خلكان وغيره. ولعلها تشعثت فهدمها الوليد وبناها، والله تعالى أعلم.

وتوفي الوليد بن عبد الملك في خامس عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بدير مروان، عن ست وأربعين سنة، وقيل ثمان وأربعين وقيل خمسين سنة وترك أربعة عشر ولداً. وحمل على أعناق الرجال، ودفن في مقابر باب الصغير وتولى دفنه عمر بن عبد العزيز. وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وقيل عشر سنين والله أعلم.

## خلافة سليمان بن عبد الملك

ثم قام بالأمر بعده أخوه سليمان، وذلك لأن أباهما عقد لهما جميعاً بالأمر من بعده. بويع له

بالخلافة يوم موت أخيه الوليد. وكان سليمان بالرملة، فلما جاءته الخلافة عزم على الإقامة بها، ثم توجه إلى دمشق وكمل عمارة الجامع الأموي كما تقدم، وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك في سنة سبع وتسعين إلى غزو الروم، فانتهى إلى القسطنطينية فنازلها. وستأتي الأشارة إلى شيء من ذلك في باب الجيم في لفظ الجراد.

ومما يحكى من محاسنه رحمة الله تعالى أن رجلاً دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين أنشدك الله والأذان. فقال له سليمان: أما أنشدك الله فقد عرفناه، فما الأذان؟ قال: قوله[1] تعالى﴿**فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين**﴾ فقال له سليمان: ما ظلامتك؟ قال ضيعتي الفلانية غلبني عليها عاملك فلان، فنزل سليمان رحمه الله عن سريره ورفع البساط ووضع خده بالأرض، وقال: والله لا رفعت خدي من الأرض، حتى يكتب له برد ضيعته، فكتب الكتاب وهو واضع خده، رحمه الله لما سمع كلام ربه، الذي خلقه وخوله في نعمه، خشي على نفسه من لعنة الله تعالى وطرده. قيل أنه أطلق من سجن الحجاج ثلثمائة ألف ما بين رجل وامرأة، وصادر آل الحجاج، واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وزيراً ومشيراً، وإنه أراد أن يستكتب يزيد بن أبي مسلم وزير الحجاج، فقال له عمر بن عبد العزيز: سألتك بالله يا أمير المؤمنين لا تحيي ذكر الحجاج باستكتابك يزيد! فقال له: يا عمر إني لم أجد عنده خيانة في درهم ولا دينار، فقال له: إن إبليس أعف منه في الدرهم والدينار، وقد أغوى الخلق كلهم جميعا فأضرب سليمان عما عزم عليه. وفي كامل المبرد وغيره أن يزيد هذا دخل على سليمان بن عبد الملك، وكان يزيد دميما قبيحاً، فقال له سليمان: قبح الله رجلاً أجرك رسنه[2]، واشركك في أمانته فقال: يا أمير المؤمنين لا تقل هذا. قال: ولم؟ قال: لأنك رأيتني والأمر عني مدبر ولو رأيتني والأمر علي مقبل لاستحسنت ما استقبحت مني، ولاستعظمت ما استصغرت مني. فقال له سليمان: ويحك أو قد استقر الحجاج في قعر جهنم بعد أم لا؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك في الحجاج قال: ولم؟ قال: لأن الحجاج وطأ لكم المنابر، وأذل لكم الجبابر، وإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك، ويسار أخيك، فحيثما كانا كان.

وكان سليمان رحمه الله، فصيحاً أديباً بليغاً، مؤثراً للعدل، محباً للغزو، محسناً لعلم العربية. ويرجع إلى دين وخيرٍ واتباع القرآن، واظهار شعائر الإسلام، مترفعاً عن سفك الدماء. وكان شرها نكاحا قال ابن خلكان في ترجمته: إنه كان يأكل في كل يوم نحو مائة رطل شامي، وكان به عرج.

ولما ولي، رد الصلاة إلى ميقاتها الأول، وكان من قبله من خلفاء بني أمية يؤخرونها إلى آخر وقتها، ولذلك قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: إن سليمان افتتح خلافته بخير واختتمها بخير، افتتحها بإقامة الصلاة لميقاتها الأول، وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٤.

(٢) الرسن: الحبل.

عنه. وذكر المفضل وغيره، أن سليمان بن عبد اللمك، خرج من الحمام في يوم الجمعة، فلبس حلة خضراء، واعتم بعمامة خضراء، وجلس على فراش أخضر، وبسط ما حوله بالخضرة، ثم نظر في المرآة وكان جميلاً، فأعجبه جماله، فشمر عن ذراعيه وقال: كان فينا نبينا محمد ﷺ نبيا ورسولاً، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه صديقاً، وكان عمر رضي الله تعالى عنه فاروقاً، وكان عثمان رضي الله تعالى عنه حيياً، وكان علي رضي الله تعالى عنه شجاعاً، وكان معاوية رضي الله تعالى عنه حليماً، وكان يزيد صبوراً، وكان عبد الملك سائساً، وكان الوليد جباراً، وأنا الملك الشاب. ثم خرج لصلاة الجمعة فوجد حظية له في صحن الدار فانشدته هذه الأبيات:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... عابه الناس غير أنك فاني

فلما فرغ من الصلاة، ودخل داره، قال لتلك الحظية: ما قلت لي في صحن الدار وأنا خارج؟ قالت: ما قلت لك شيئاً، ولا رأيتك، وأني لي بالخروج، إلى صحن الدار؟ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، نعيت إلي نفسي، فما دارت عليه جمعة أخرى حتى مات. وقيل: إنه صعد المنبر وخطب، وإن صوته ليسمع في أقصى المسجد، فأخذته الحمى فما زال صوته يخفى، حتى لم يسمعه من تحته، ثم دخل داره يسحب رجليه بين رجلين، فما دارت عليه جمعة أخرى حتى مات. وقال ابن خلكان: إنه حم ومات في ليلته، وقيل: إنه مات بذات الجنب، وتوفي في صفر في عاشره سنة ثمان وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين، بمرج دابق من أرض قنسرين، وله تسع وثلاثون سنة وقيل خمس وأربعون سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية شهور رحمة الله تعالى عليه.

## خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه

ثم قام بالأمر بعده الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه. بويع له بالخلافة يوم مات سليمان بن عبد الملك، بعهد له منه بذلك، وكان يقال له: إنه أشج[1] بني أمية، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما فعمر رضي الله تعالى جده من قبل أمه، وهو تابعي جليل، روى عن أنس بن مالك، والسائب بن يزيد رضي الله تعالى عنهما. وروى عنه جماعة. ومولده رضي الله تعالى عنه، بمصر سنة إحدى وستين. قال الإمام أحمد: ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز، وفي طبقات ابن سعد عن عمر بن قيس، أنه قال لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، سمع صوت لا يدري قائله:

من الآن قد طابت وقر قرارُها ... على عمر المهدي قام عمودُها

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، عفيفاً زاهداً ناسكاً عابدا مؤمنا تقيا صادقاً. وهو أول من اتخذ دار الضيافة من الخلفاء، وأول من فرض لأبناء السبيل، وأزال ما كانت بنو أمية

---

(١) الأشج: أي الذي يبدو على وجهه أثر شجة.

تذكر به عليا على المنابر، وجعل مكان ذلك قوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية وقال[1] فيه كثير عزة:

وليت ولم تسبب عليا ولم تخف ... مريبا ولم تقبل مقالة مجرم[2]

وصدّقت القول الفعال مع الذي ... أتيت فأمسى راضيا كلُّ مسلم[3]

فما بين شرق الأرض والغرب كلها ... منادٍ ينادي من فصيحٍ وأعجم

يقول أمير المؤمنين ظلمتني ... بأخذك ديناري وأخذك درهمي[4]

فأربح بها من صفقة لمبايع ... وأكرم بها من بيعة ثم أكرم[5]

وكتب إلى عماله أن لا يقيدوا مسجونا بقيد، فإنه يمنع من الصلاة. وكتب إلى عامله بالبصرة عدي بن ارطاة: عليك بأربع ليال من السنة، فإن الله تبارك وتعالى يفرغ فيها الرحمة إفراغا وهي أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلتا العيدين. وكتب إلى عماله: إذا دعتكم قدرتكم على الناس إلى ظلمهم، فاذكروا قدرة الله تعالى عليكم، ونفاد ما تأتون إليه وبقاء ما يأتي إليكم، من العذاب بسببهم. وذكر غير واحد عن محمد المرزوي قال: أخبرت أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، لما دفن سليمان بن عبد الملك، وخرج من قبره سمع للأرض هدة أورجة، فقال: ما هذه؟ فقيل: هذه مراكب الخلافة قربت إليك يا أمير المؤمنين لتركبها! فقال: ما لي ولها نحُّوها عني وقربوا إلي دابتي! فقربت إليه فركبها، فجاء صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة، جرياً على عادة الخلفاء قبله، فقال له: تنح عني، مالي ولك إنما أنا رجل من المسلمين، ثم سار مختلطا بين الناس حتى دخل المسجد، فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي ﷺ، ثم قال: أيها الناس إني ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني فيه، ولا طلبة ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم غيري. فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين، ورضيناك أميرنا باليمن والبركة. فلما سكتوا، حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال:

أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله تعالى خُلف من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف، واعملوا لآخرتكم، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنيه وآخرته، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم، وأكثروا ذكر الموت، واحسنوا له الإستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنه هاذم اللذات، وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً.

---

(١) الأبيات في العقد الفريد: ٢/٨٨.

(٢) في العقد: وليت فلم تشتم ولم تخف ... بريأ...

(٣) في العقد: وصدّقت بالفعل المقال....

(٤) في العقد: بأخذ لدينار ولا أخذ درهم.

(٥) في العقد: وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم.

يا أيها الناس، من أطاع الله، وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم.

ثم نزل ودخل دار الخلافة، فأمر بالستور فهتكت، وبالبسط فرفعت، وأمر ببيع ذلك، وادخال أثمانه في بيت المسلمين، ثم ذهب يتبوأ مقيلا، فأتاه ابنه عبد الملك فقال: ما تريد أن تصنع يا أبتاه؟ قال: إي بني أقيل: قال: تقيل ولا ترد المظالم، قال: إي بني إني قد سهرت البارحة في أمر عمك سليمان، فإذا صليت الظهر، رددت المظالم. فقال: يا أمير المؤمنين، من أين لك أن تعيش إلى الظهر؟ فقال: أدن مني يا بني، فدنا منه فقبله بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من ظهري من يعينني على ديني. فخرج ولم يقل، وأمر مناديه أن ينادي: ألا كل من كانت له مظلمة فليرفعها، فتقدم إليه ذمي من أهل حمص فقال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال: وما ذاك؟ قال: إن العباس[1] بن الوليد اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال عمر: ما تقول يا عباس؟ قال: إن أمير المؤمنين الوليد أقطعني إياها، وهذا كتابه. فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى. فقال عمر: كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد، اردد إليه أرضه ياعباس. فردها إليه ثم جعل لا يدع شيئاً، مما كان في يد أهل بيته، من المظالم إلا رده مظلمة مظلمة. فلما بلغ الخوارج سيرته، وما رد من المظالم اجتمعوا وقال: ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل، ولما بلغ عمر[2] بن الوليد رد الضيعة على الذمي، كتب إلى عمر بن عبد العزيز: إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم، وسرت بغير سيرتهم، بغضا لهم وشينا لمن بعدهم من أولادهم، وقطعت ما أمر الله به أن يوصل، إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم، فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا، ولن تترك على هذا الحال والسلام. فلما قرأ كتابه، كتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد السلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. أما بعد

فقد بلغني كتابك، أما أوّل شأنك يا ابن الوليد، فأمك بنانة أمة السكون، كانت تطوف في سوق حمص، وتدخل في حوانيتها، ثم الله أعلم بها. ثم اشتراها ذبيان، من بيت مال المسلمين، فأهداها لأبيك، فحملت بك فبئس المولود. ثم نشأت فكنت جباراً عنيدا، تزعم أني من الظالمين، إذ حرمتك وأهل بيتك، مال الله، الذي فيه حق القرابة والمساكين والأرامل، وأنّ أظلم مني وأترك لعهد الله من استعملك صبياً سفيهاً على جند المسلمين، تحكم فيهم برأيك، ولم يكن له في ذلك نية إلا حب الوالد لولده، فويل لأبيك ما أكثر خصماءه يوم القيامة. وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟ وإن أظلم مني وأترك لعهد الله، من استعمل الحجاج يسفك الدم ويأخذ المال الحرام، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله، من استعمل قرة أعرابياً جافيا، على مصر وأذن له في المعازف واللهو والشرب، وإن أظلم مني وأترك لعهد الله، من جعل لغالية البربرية في خمس العرب

(١) هو العباس بن الوليد بن عبد الملك.

(٢) هو عمر بن الوليد بن عبد الملك.

نصيباًفرويداًيا ابن بنانة فلو التقت حلقتا البطان، ورد الفيء إلى أهله لتفرغت لك، ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء، فطالما تركتم الحق وأخذتم في الباطل، ومن وراء ذلك ما أرجو أن أكون رأيته من بيع رقبتك، وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل، فإن لكل فيك حقا. والسلام على من اتبع الهدى، ولا ينال سلام الله القوم الظالمين.

وروي أنه وقع في زمانه غلاء عظيم، فقدم عليه وفد من العرب، فاختاروا رجلا منهم لخطابه فتقدم إليه وقال: يا أمير المؤمنين إنا وفدنا إليك من ضرورة عظيمة، وراحتنا في بيت المال، وماله لايخلو من أن يكون لله أو لعباده أو لك، فإن كان لله فاللّه غني عنه،وإن كان لعباده فآتهم إياه،وإن كان لك فتصدق به علينا، إن الله يجزي المتصدقين. فتغرغرت عينا عمر رضي الله تعالى عنه بالدموع، وقال: هو كما ذكرت، وأمر بحوائجهم فقضيت فهم الأعرابي بالإنصراف، فقال عمر: أيها الرجل كما أوصلت حوائج عباد الله إليّ، فأوصل حاجتي وأرفع فاقتي إلى الله. فقال الأعرابي: إلهي اصنع بعمر بن عبد العزيز، كصنيعه في عبادك فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم عظيم، وأمطرت السماء مطراً كثيراً فجاء في المطر بردة كبيرة، فوقعت على جرة فانكسرت، فخرج منها كاغد مكتوب فيه: هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار.

قال رجاء بن حيوة: كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، من أعظم الناس، وأجملهم في مشيته ولبسه، فلما استخلف قومت ثيابه وعمامته، وقميصه وقباؤه، وخفاه ورداؤه، فإذا هن يعدلن إثني عشر درهماً.

وذكر ابن عساكر وغيره، أن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، كان قد شدد على أقاربه، وانتزع كثيراً مما في أيديهم، فتبرموا به وسموه، ويروى أنه دعا بخادمه الذي سمه، فقال له: ويحك ما حملك على أن سقيتني السم؟ قال: ألف دينار أعطيتها. قال: هاتها فجاء بها فأمر بطرحهافي بيت مال المسلمين، وقال لخادمه: أخرج بحيث لا يراك أحد.

وعن فاطمة بنت عبد الملك، زوج عمربن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، أنها قالت: والله ما اغتسل عمر من حلم ولا من جنابة منذ ولي هذا الأمر، وكان نهاره في أشغال الناس، ورد المظالم وليله في عبادة ربه تعالى. قال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، أعوده في مرضه الذي مات فيه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك: يا فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين، فقالت نفعل إن شاء الله تعالى، ثم عدت فإذا القميص على حاله، فقلت: يا فاطمة ألم آمرك أن تغسلي قميص أمير المؤمنين؟ فإن الناس يعودونه. فقالت: والله ماله قميص غيره. وكان عمر رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازمُ
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى ... كما غر باللذات في النوم حالمُ
وشغلك فيما تكره غبة ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

واعلم أن مناقب عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، كثيرة جداً. فمن أراد معرفة ذلك فعليه بسيرة العمرين والحلية، وغيرهما. وكان مرضه رضي الله تعالى عنه، بدير سمعان من أرض حمص، ولما احتضر قال: اجلسوني فاجلسوه فقال: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ولكن لا إله إلا الله. وتوفي رضي الله تعالى عنه، لخمس وقيل لست مضين وقيل لعشر بقين من رجب الفرد سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر، وقيل وهو ابن أربعين سنة.

وكان رضي الله تعالى عنه، أبيض مليحاً جميلا مهيباً، نحيف الجسم حسن اللحية، بجبهته شجة من حافر فرس ضربه وهو صغير وكان إليه المنتهى، في العلم والفضل، والشرف والورع، والتألف ونشر العدل. جدَّد الله تعالى به للأمة دينها وسار فيها بسيرة جده لأمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكانت دولته في طول مدة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وقبره رضي الله تعالى عنه، بدير سمعان ظاهر يزار. قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: الخلفاء الراشدون خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وذكر الحافظ ابن عساكر أنه لما وضع في قبره بدير سمعان هبت ريح شديدة فسقطت منها صحيفة مكتوبة بأحسن خط: بسم الله الرّحمن الرحيم براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار. فأخذوها ووضعوها في أكفانه وكانت خلافته رضي الله تعالى عنه سنتين وخمسة أشهر.

## خلافة يزيد بن عبد الملك

ثم قام بالأمر بعده يزيد بن عبد الملك بن مروان. بويع له بالخلافة يوم مات ابن عمه عمر بن عبد العزيز، بعهد له من أخيه سليمان في ذلك. ولما ولي قال: خذوا بسيرة عمر بن عبد العزيز، فساروا بسيرته أربعين يوماً، فدخل عليه أربعون رجلا من مشايخ دمشق، وحلفوا له أنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب في الآخرة، وخدعوه بذلك، فانخدع لهم. وكان طائفة من جهال الشاميين يعتقدون ذلك. وكان أبيض جسيماً مليح الوجه، وقال بعض المؤرخون: إن يزيد هذا هو المعروف بالفاسق وهو غلط وإنما الفاسق ولده الوليد كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله وغيره، أن يزيد بن عبد الملك كان قد اشترى في أيام أخيه سليمان جارية من عثمان بن سهيل بن حنيف بأربعة آلاف دينار، وكان إسمها حبّابة بتشديد الباء الموحدة، وأحبها حباً شديداً، فبلغ أخاه سليمان ذلك، فقال: هممت أحجر على يزيد، فبلغ ذلك يزيد فباعها خوفا من أخيه سليمان. فلما أفضت الخلافة إليه قالت له زوجته: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من الدنيا شيء؟ قال: نعم. قالت: وما هو؟ قال: حبابة. فاشترتها له، وهو لا يعلم، وزينتها وأجلستها من وراء ستر لها، ثم قالت: يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من الدنيا شيء؟ قال: أو ما أعلمتك إنها حبابة. فرفعت الستر، وقالت: ها أنت وحبابة، وتركته وإياها، فحظيت عنده، وغلبت على عقله، ولم ينتفع به في الخلافة وإنه قال يوماً: إن بعض الناس يقولون أنه لن يصفو لأحد من الملوك يوم كامل من الدهر، وإني أريد أن أكذبهم في ذلك.

ثم أقبل على لذاته واختلى مع حبابة، وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل ما يكره، فبينما هو على تلك الحالة في صفو عيشه وزيادة فرحه وسروره، إذ تناولت حبابة حبة رمان، وهي تضحك، فغصت بها فماتت، فاختل عقل يزيد، وتكدر عيشه وذهب سروره، ووجد عليها وجداً شديداً وتركها أياماً، لم يدفنها بل يقبلها ويرتشفها، حتى أنتنت وجافت، فأمر بدفنها ثم نبشها من قبرها ولم يعش بعدها إلا خمسة عشر يوما وكان مرضه بالسل وقال[1] فيها:

فإن تسلُ عنكِ النفسُ أو تدع الهوى ... فباليأس تسلو عنك لا بالتجلدِ

وكلُّ خليل زارني فهو قائلٌ ... من أجلك هذا هالك اليوم أو غدِ[2]

وسيأتي إن شاء الله تعالى قريب من هذا في باب الدال المهملة في الدابة، عن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وتوفي يزيد بن عبد الملك بإربل من أرض البلقاء وقيل بالجولان، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وذلك لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وله تسع وعشرون وقيل ثمان وثلاثون سنة وشهر وكانت خلافته أربع سنين وشهرا.

## خلافة هشام بن عبد الملك

ثم قام بالأمر بعده أخوه هشام بن عبد الملك بن مروان. بويع له بالخلافة يوم مات أخوه يزيد بعهد منه إليه. ولما أتته الخلافة، كان بالرصافة فسجد وسجد أصحابه، لما بشر بها وسار إلى دمشق، قال مصعب الزبيري: زعموا أن عبد الملك بن مروان رأى في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات، فدس من سأل سعيد بن المسيب، وكان يعبر الرؤيا، فقال: يملك من صلبه أربعة. فكان آخرهم هشاماً انتهى.

وكان هشام حازماً عاقلاً، صاحب سياسة حسنة، أبيض جميلاً، سميناً أحول، يخضب بالسواد. وكان ذا رأي ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره. وقام بالخلافة أتم قيام وكان يجمع الأموال، ويوصف بالبخل والحرص، يقال: إنه جمع من الأموال مالاً ما جمعه خليفة قبله. فلما مات احتاط الوليد بن يزيد على تركته فما غسل وكفن، إلا بالقرض والعارية وكان به حول. وتوفي بالرُّصافة في شهر ربيع الآخر بدمشق سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل أربع وخمسين سنة. وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وقيل عشرين عاماً.

## خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو السادس فخُلع كما سيأتي

ثم قام بالأمر بعده ابن أخيه الوليد بن يزيد الفاسق. كان أبوه حين احتضر عهد بالأمر إلى هشام أخيه بأن يكون العهد، من بعده لولده الوليد بن يزيد. فلما مات هشام بويع له بالخلافة يوم موت عمه هشام وهو إذ ذاك بالبريّة فاراً من عمه هشام لأنه كان بينه وبين عمه منافسة،

(١) البيتان في العقد الفريد لكثير عزه: ٦٢/٦. (٢) في العقد: ... هذا هامة اليوم أو غد.

لأجل استخفافه بالدين وشربه الخمر، واشتهاره بالفسق. فهم هشام بقتله ففر منه وصار لا يقيم بأرض خوفاً من هشام، فلما كانت الليلة التي قدم عليه البريد في صبيحتها بالخلافة، قلق تلك الليلة قلقاً شديداً فقال لبعض أصحابه: ويحك إنه قد أخذني الليلة قلق فاركب بنا حتى ننبسط، فسارا مقدار ميلين وهما يتحدثان في أمر هشام وما يتعلق به من كتبه إليه بالتهديد والوعيد، ثم نظرا فرأيا من بعد رهجاً وصوتاً، ثم انكشف ذلك عن برد يطلبونه، فقال لصاحبه: ويحك إن هذه رسل هشام، اللهم اعطنا غيرهم، فلما قرب البرد منهما وأثبتوا الوليد معرفة، ترجلوا وجاؤوا فسلموا عليه بالخلافة فبهت، وقال: ويحكم أمات هشام؟ قالوا: نعم، ثم أعطوه الكتب فقرأها وسار من فوره إلى دمشق، فأقام في الخلافة سنة واحدة، ثم أجمع أهل دمشق على خلعه وقتله، لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقة.

قال الحافظ ابن عساكر وغيره: انهمك وليد في شربه الخمر ولذاته، ورفض الآخرة وراء ظهره، وأقبل على القصف واللهو والتلذذ مع الندماء والمغنين، وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف وكان قد انتهك محارم الله تعالى، حتى قيل له الفاسق. وكان أكمل بني أمية أدباً، وفصاحة، وظرفاً، وأعرفهم بالنحو واللغة والحديث، وكان جواداً مفضالاً. ومع ذلك لم يكن في بني أمية أكثر إدماناً للشراب والسماع، ولا أشد مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بأمر الأمة من الوليد بن يزيد. يقال: إنه واقع جارية له وهو سكران، وجاءه المأذنون يؤذنونه بالصلاة، فحلف أن لا يصلي بالناس إلا هي، فلبست ثيابه وتنكرت وصلت بالمسلمين وهي جنب سكرى. ويقال: إنه اصطنع بركة من خمر وكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وشرب منها حتى يبين النقص في أطرافها. وحكى الماوردي، في كتاب أدب الدين والدنيا، عنه أنه تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله[1] تعالى: ﴿**واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد**﴾ فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

فلم يلبث إلا أياماً يسيرة، حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره، ثم على أعلى سور بلده. اهـ. وسيأتي هذا أيضاً إن شاء الله تعالى في باب الطاء المهملة في الكلام على الطيرة في لفظ الطير وأخباره في مثل هذا كثيرة مشهورة في كتب التواريخ، فلا نطيل بذكرها. وقد جاء في الحديث: «ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، هو شر من فرعون». فتأوله العلماء الوليد ابن يزيد هذا.

ولما خلعه أهل دمشق بايعوا ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فقال: من أحضر رأس الوليد فله مائة ألف درهم. وكان الوليد بالبحرة فحصره أصحاب يزيد، فهم أصحاب الوليد بالقتال، فنهاهم عن ذلك فانفلوا من حوله، ثم دخلوا عليه في قصره، فقال: يوم كيوم عثمان؟ فقيل له: ولا سواء. فقطع رأسه، وطيف به في دمشق ونصب على قصره، ثم على أعلى سور دمشق.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٥.

ولما قتل الوليد اضطربت البلاد واستنصر على بني أمية أعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعده. وقتل في جمادى الأولى سنة ست وعشرين ومائة. وكانت خلافته سنة واحدة وقيل سنة وشهرين. وكان من أجمل الناس وأحسنهم وأقواهم وأجودهم شعراً وكان فاسقاً مشتهراً منهمكاً متهتكاً فقاموا عليه لفسقه وارتكابه القبائح فخرج عليه تدينا ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الملقب بالناقص، وتغلب على دمشق وكان الوليد بناحية تدمر في الصيد فجهز يزيد عسكراً فحاربه إلى أن أحاطوا به بحصن البحرة من أرض تدمر، ثم تسوروا عليه وذبحوه وأتوا برأسه على رمح ثم نصبوه على سور دمشق.

## خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

ثم قام بالأمر بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك. بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه الوليد بن يزيد، وهو أول خليفة كانت أمه أمة، وكان بنو أمية يتحرزون ذلك تعظيما للخلافة، ولما سقط إليهم أن ملكهم يزول على يد خليفة كانت أمه أمة، وكانوا يتخوفون من ذلك، إلى أن ولي الخلافة الوليد بن يزيد فعلموا أن ملكهم قد انقضى. وكان يزيد يسمى الناقص وإنما سمي بذلك لأنه نقص أعطيات الناس، وردهم إلى ما كانوا عليه أيام هشام، وقيل النقصان كان في أصابع رجليه، وأول من سماه بهذا مروان بن محمد. وأقام يزيد في الخلافة والأمور مضطربة عليه، وكان مظهراً للنسك، وقراءة القرآن، وأخلاق عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، وكان ذا دين وورع، إلا أنه لم يمتع وبغتته المنية. وتوفي في ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وهو ابن أربعين سنة وقيل ست وأربعين وقال الشافعي رحمه الله تعالى: ولي يزيد بن عبد الملك فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه. وكانت خلافته خمسة أشهر ونصفا وقيل ستة أشهر والله أعلم.

## خلافة ابراهيم بن الوليد

ولما مات يزيد بويع أخوه إبراهيم بن الوليد،بعهدمن أخيه يزيد بن الوليد، ولم يثبت له أمر فكان جمعة يسلم عليه بالخلافة وجمعة بالأمارة وجمعة لا يسلم عليه لا بالخلافة ولا بالإمارة، وما زالت الأمور مضطربة عليه. إلى أن قتله مروان بن محمد وصلبه. وكانت ولايته شهرين وعشرة أيام. وفي هذا نظر لأن مروان بن محمد بن مروان الحمار، لما سمع بمبايعته، وكان نائبا على أذربيجان وتلك النواحي، وصاحب الفتوحات سار لحينه، ودعا إلى نفسه وقدم الشام فجهز له إبراهيم بن الوليد أخويه بشرا ومسرورا، فالتقوا وانتصر عليهم مروان فزحف حتى نزل مرج عذراء فبرز إليه سليمان بن هشام بن عبد الملك، فانكسر فبرز إليه الخليفة إبراهيم بن الوليد وعسكر بظاهر دمشق، فخذله جنده وخامروا عليه بعد أن أنفق عليهم الخزائن فاختفى أمرهم. فبايع الناس مروان واستوثق له الأمر فظهر إبراهيم ودخل عليه ونزل له عن الخلافة.

## خلافة مروان بن محمد

ولما قتل إبراهيم بن الوليد، بويع لمروان بن محمد المنبوز بالحمار، بالخلافة. وفي أيامه ظهر أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة وظهر السفاح بالكوفة، وبويع له بالخلافة، وجهز عمه عبدالله بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم، لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان بالزاب، زاد الموصل، واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم مروان، وقتل من عسكره وغرق ما لا يحصى. وتبعه عبد الله إلى أن وصل إلى نهر الأردن فلقي جماعة من بني أمية، وكانوا نيفاً وثمانين رجلا، فقتلهم عن آخرهم ثم أمر عبد الله بسحبهم فسحبوا، وبسط عليهم بساطا وجلس هو وأصحابه فوقهم واستدعى بالطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم من تحتهم، فقال عبد الله: يوم كيوم الحسين ولا سواء.

ثم جهز السفاح عمه صالح بن علي على طريق السماوة، فلحق بأخيه عبد الله، وقد نازل دمشق ففتحها عنوة وأباحها ثلاثة أيام، ونقض عبد الله سورها حجرا حجرا، وهرب مروان إلى مصر فتبعه صالح وقتل مروان بأبي صير، قرية من قرى الصعيد كما سيأتي في باب الهاء في لفظ الهر، وكان قد عزم على الدخول إلى الحبشة فبيتوه، فقال حين قتل: انقرضت دولتنا.

وكان بطلا شديدا شجاعا مهابا ذا هيئة أبيض ربعة أشهل ضخما، كث اللحية وكان حازما سائساً. وتمزقت بموته دولة بني أمية. وكان قتل مروان الجعدي في سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وهو ابن ست وخمسين سنة، وكانت خلافته خمس سنين قيل وشهرين وعشرة أيام. وهو آخر خلفاء بني أمية وهم أربعة عشر خليفة: أولهم معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وآخرهم مروان الجعدي المنبوز بالحمار وكانت مدة خلافتهم نيفاوثماني وثمانين سنة، وهي ألف شهر ولما انقضت دولتهم على ما قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما لما قيل له: تركت الخلافة لمعاوية؟ فقال: ليلة القدر خير من ألف شهر. وبدولة مروان اختل النظام في أن كل سادس يخلع، لأن العدة لم تكتمل، لأن الوليد بن يزيد المخلوع لم يلِ بعده من بني أمية، سوى ثلاثة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ثم أخوه إبراهيم ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وبه انقرضت دولة بني أمية، وجاءت الدولة العباسية ثبتها الله تعالى إلى قيام الساعة.

## الدولة العباسية
## خلافة أبي العباس السفاح

قال المؤرخون: ولما أتى الله تعالى بالدولة العباسية، كان أولهم السفاح، وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، بويع له بالخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الأول واستوزر أبا سلمة حفصا الخلالي، وهو أول من لقب بالوزير واستمر اللقب لمن بعده إلى زمن الصاحب ابن عباد. وإنما سمي بالصاحب، لأنه صحب

ابن العميد واستمر على هذا الوزراء من بعده، إلى زمننا قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي وغيره: أن السفاح خطب يوماً فسقطت العصا من يده، فتطير بذلك، فقام شخص من أصحابه ومسح العصا وناوله إياها وأنشد[1]:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافرُ

فسرّي عنه، وذكر ابن خلكان في ترجمته[2]، أنه نظر يوما في المرآة، وكان من أجمل الناس وجها فقال: اللهم إني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك، ولكني أقول: اللهم عمرني طويلا في طاعتك، متمتعاً بالعافية، قال: فما استتم كلامه، حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر: الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام، فتطير من كلامه. وقال: حسبي الله ولا حول ولا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه استعنت فما مضت الأيام المذكورة حتى أخذته الحمى فمرض ومات، بعد شهرين وخمسة أيام بالجدري، بالأنبار بمدينته التي بناها وسماها الهاشمية. وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ونصف سنة وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر. وكان أبيض مليحا جميلا حسن اللحية والهيئة.

## خلافة أبي جعفر المنصور

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو جعفر، عبد الله بن محمد المنصور. بويع له بالخلافة يوم وفاة أخيه، بعهد منه. وكان السفاح قد ولاه إمرة الحج فأتته الخلافة بمكان يعرف بالصافية، فقال: صفا أمرنا إن شاء الله تعالى. فبايعه الناس وحج بهم فلما رجع ودخل الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة. وإنه حج ثانياً فلما قرب من مكة رأى على جدار سطرين مكتوبين وهما[3]:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت ... سنوك وأمر الله لا بد واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم ... لك اليوم من ريب المنية دافع

فلما قرأهما تيقن انقضاء أجله فمات بعد ثلاثة أيام وكان قد رأى في نومه قبل موته قائلا يقول[4]:

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وعُري منه أهله ومنازلهُ

وصار رئيس القوم من بعد بهجة ... إلى جدث تبنى عليه جنادله

وكانت وفاته في سنة ثمان وخمسين ومائة، ببئر ميمونة على أميال من مكة، وهو محرم بالحج وهو ابن ثلاث وستين سنة. وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما. وأمه بربرية، وكان طويلا أسمر نحيفا، خفيف اللحية رحب الجبهة، كأن عينيه لسانان،

---

(١) وفيات الأعيان: ١/٢٣٤.

(٢) وفيات الأعيان: ١/٤٦.

(٣) عيون الأخبار: ٢/٣٣٥. وفيه: فهل كاهنٌ اعددته أو منجم أبا جعفر عنك المنيةُ دافعُ.

(٤) عيون الأخبار: ٢/٣٣٤. وفيه: وصار عميد القوم بعد نعمةٍ ... إلى...

ناطقا صارما مهيبا ذا جبروت وسطوة وحزم ورأي وشجاعة، وكمال عقل ودهاء، وعلم وفقه وخبرة بالأمور، تقبله النفوس وتهابه الرجال. وكان يخلط أبهة الملك بزي النسك وكان بخيلا بالمال إلا عند النوائب.

## خلافة محمد المهدي

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو عبد الله محمد المهدي بالله. بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المنصور، بعهد منه وهو يومئذ ببغداد ثم بويع له بها لإحدى عشرة من ذي الحجة البيعة العامة. وتوفي بقرية من قرى ما سبذان ساق خلف صيد، فدخل خربة فدق ظهره باب الخربة، من قوة سوق الفرس فتلف لوقته، وقيل: بل سمته جاريته، قيل: إنها جعلت السم في طعام لضرتها، فدخل ومديده فأكل، فما جسرت أن تقول له هو مسموم.

وكانت وفاته لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة، ولم يوجد له نعش يحمل عليه، فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز، وله إثنتان وأربعون سنة ونصف، وقيل ثلاث وأربعون سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وكان جوادا ممدوحا محببا إلى رعيته حسن الخلق والخلق يقال: إن أباه خلف في الخزائن مائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم ففرقها ويقال أنه أجاز شاعرا بمائة ألف درهم.

## خلافة موسى الهادي

ثم قام بالأمر بعده ابنه موسى الهادي بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وكان مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان بويع له بماسبذان ثم أخذ له أخوه الرشيد البيعة ببغداد، وبعث إليه يعزيه بوالده ويهنيه بالخلافة، فقدم بغداد على خيل البريد، فتلقاه الناس وبايعوه ثم عزم على خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد فعاجله القضاء، وحال بينه وبين مراده. وكانت وفاة الهادي ببغداد رابع عشر شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وله أربع وعشرون سنة وقيل نحو خمس وعشرين سنة، بقرحة أصابته. وكانت خلافته سنة واحدة وخمسة وأربعين يوماً، وقيل سنة وشهرين وكان طويلا مليحا جسيما ذا ظلم وجبروت سامحه الله تعالى.

## خلافة هارون الرشيد

ثم قام بالأمر بعده أخوه هارون الرشيد بن محمد المهدي. وكان أبوهما قد أخذلهما ولاية العهد معا. بويع له بالخلافة في الليلة التي توفي فيها أخوه، وولد له في تلك الليلة المأمون، وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها في بني العباس مات فيها خليفة وولد فيها خليفة. ولما بويع الرشيد قلد يحي بن خالد بن برمك وزارته. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة في لفظ العقاب ايقاع الرشيد بالبرامكة، وقتله جعفر بن يحي بن خالد بن برمك، وتخليد يحي وولده في السجن إلى أن ماتا وسبب ذلك مبينا إن شاء الله.

ومن غريب ما اتفق لهارون الرشيد، إن أخاه موسى الهادي، لما ولي الخلافة، سأل عن خاتم عظيم القدر كان لأبيه المهدي فبلغه أن الرشيد أخذه، فطلبه منه فامتنع من إعطائه، فألح عليه فيه، فحنق عليه الرشيد ومر على جسر بغداد فرماه في الدجلة. فلما مات الهادي وولي الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه، ومعه خاتم رصاص، فرماه في ذلك المكان، وأمر الغطاسين أن يلتمسوه، ففعلوا فاستخرجوا الخاتم الأول. فعد ذلك من سعادة الرشيد وإبقاء ملكه. ونظير هذا ما حكاه ابن الأثير في حوادث سنة ستين وخمسمائة، قال: لما فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، قلعة بانياس وأخذها من الفرنج، ملأها ذخائر وعدة ورجالاً، ثم عاد إلى دمشق، وفي يده خاتم بفص ياقوت، قيمته ألف ومائة دينار، فسقط من يده في شجرة بانياس، وهي كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان فلما بعد عن المكان الذي ضاع فيه الخاتم، علم به فأعاد بعض أصحابه في طلبه ودلهم على مكانه، وقال: أظنه هناك سقط فرجعوا إليه فوجدوه. انتهى.

وكان الرشيد، مع عظم ملكه، يعتريه خوف الله تعالى، فمن ذلك ما ذكره الإمام العلامة محمد بن ظفر وغيره أن خارجيا خرج عليه فقتل أبطاله، وانتهب أمواله مرارا، ثم إنه جهز إليه مرة جيشاً كثيفاً، فقاتلوه فغلبوه، بعد جهد وأمسكوه وأتوابه الرشيدفجلس مجلسا عاما، وأمر بإدخاله عليه فلما مثل بين يديه قال له: يا هذا ما تريد أن أصنع بك؟ قال: ما تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه، فعفا عنه وأمر بإطلاقه. فلما خرج قال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين رجل قتل أبطالك وانتهب أموالك تطلقه بكلمة واحدة تأمل هذا الأمر، فإنه مما يجرىء عليك أهل الشر. فقال الرشيد: ردوه فعلم الرجل أنه قد تكلم في أمره، فقال: يا أمير المؤمنين لا تطعهم، فلو أطاع الله فيك الناس ما ولاك طرفة عين. قال: صدقت. ثم أمر له بصلة وصرفه. وسيأتي إن شاء الله تعالى، ما اتفق له مع الفضيل بن عياض، وسفيان الثوري في باب الباء الموحدة والفاء.

وتوفي الرشيد في سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل خمس وأربعين. وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وقيل ثلاثا وعشرين فقط. وولد بالرى وكان جواداً ممدوحاً غازياً مجاهداً شجاعاً مهيباً مليحاً أبيض طويلاً عبل(1) الجسم، قد وخطه الشيب يقال إنه منذ استخلف كان يصلي كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله بألف درهم وكان له معرفة جيدة بالعلوم.

## خلافة محمد الأمين وهو السادس فخُلع وقتل كما سيأتي

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد الأمين. بويع له بالخلافة يوم توفي والده بطوس واستناب أخاه المأمون على ممالك خراسان، وهو إذ ذاك ببغداد فورد بها عليه خاتم الخلافة والبردة والقضيب، ثم بويع له بها البيعة العامة وفي سائر الآفاق. وكان الرشيد قد جدد البيعة بطوس بولاية العهد لابنه المأمون بعد الأمين، وأشهد على نفسه أن جميع ما معه من مال وسلاح وغير ذلك، للمأمون وأوصى أن

(1) العبل: الضخم.

يكو ما معه من الجيوش مضمومين إليه بخراسان .فلما مات الرشيد، نادى الفضل[1] بن الربيع في عسكر الرشيد بالرحيل إلى بغداد، وخالف وصية الرشيد فعظم ذلك على المأمون، وكتب إلى الفضل يذكره العهود التي أخذها عليه الرشيد، ويحذره البغي ويسأله الوفاء. فلم يلتفت الفضل إليه فكان هذا الأمر سبب ابتداء الوحشة بين والمأمون.

وذكر أبو حنيفة في الأخبار الطوال وغيره عن الكسائي أنه قال: إن الرشيد ولاني تأديب الأمين والمأمون فكنت أشدد عليهما في الأدب، وآخذهما به أخذا شديداً وخاصة الأمين، فأتتني حاجتي ذات يوم خالصة، جارية زبيدة وقالت: يا كسائي إن السيدة تقرأ عليك السلام، وتقول لـك: حاجتي إليـك أن ترفق بـابني محمد فـإنه قـرة عيني وثمرة فؤادي وأنـا أرقّ عليه رقـة شديـدة. فقلت لخالصه: إن محمداً مرشح للخلافة بعد أبيه، ولا يجوز التقصير في أمره. فقالت خالصة: إن لرقة هذه السيدة سبباً أنا أخبرك إياه، إنها في الليلة التي ولدته فيها رأت في منامها كأنّ أربع نسوة أقبلن إليه، فاكتنفنه عن يمينه وشماله وأمامه وورائه، فقالت التي بين يديه: ملك قليل العمـر عظيم الكبر ضيق الصدر واهي الأمر كبير الوزر شديد الغدر. وقالت التي من ورائـه: ملك قصاف مبذر متلاف، قليل الإنصـاف كثير الإسراف. وقـالت التي عن يمينه. : ملك عـظيم الطخم، قليل الحلم، كثير الإثم قطوع للرحم. وقالت التي عن يساره: ملك غدار كثير العثـار، سريع الدمار. ثم بكت خالصة وقالت: يا كسائي وهل ينفع الحذر من القدر؟ ثم إن المأمون خلع الأمين من الخلافة، وجهز لقتاله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين فسارا إليه وحاصراه ببغداد بعد حروب كثيرة ببغداد وتراموا بالمجانيق وجرت بينهم وقائع في أيام متعددة، وعظم الأمر واشتد البلاء، حتى خرب بسبب ذلك منازل المدينة ووثب العيارون على أموال الناس، فانتهبوها وأقام الحصار مدة سنة فتضايق الأمر على الأمين، وفارقه أكثر أصحابه وكتب طاهر إلى وجوه أهل بغداد سراً يعدهم إن أعانوه، ويتوعدهم إن لم يدخلوا في طاعته، فأجابوه وصرحـوا بخلع الأمين. وتفرّق عنه أكثر من معه فالتجأ إلى مدينة أبي جعفر، فحاصره طاهر بها ومنعـه من كل شيء حتى كاد هو وأصحابه يموتون جوعاً وعطشاً، فلما عاين الأمين ذلك كاتب هرثمة بن أعين، وطلب منه أن يؤمنـه حتى يـأتيـه، فـأجـابـه إلى ذلـك. فبلغ ذلـك طـاهـراً فشق عليـه، كـراهيــة أن يظهر الفتح لهرثمة دونه، فلما كان يوم الخميس لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة خرج الأمين إلى هرثمة فلقيه هرثمة في حراقة فركب الأمين معه، وكان طاهر قد أكمن للأمين فلما صار الأمين في الحراقة خرج عليه كمين طاهر، ورموا الحراقة بالحجارة فغرق من فيها فشق الأمين ثيابه، وسبح إلى بستان فأدركوه وأخذوه، وحملوه على برذون، وأتوا به طاهراً، فبعث إليه جماعة وأمرهم بقتله، فهجموا عليه وبأيديهم السيوف، فركبوا عليه وذبحوه من قفاه، وأخذوا رأسه وأتوا به طاهراً، فأمر بنصبه. فلما رآه الناس، سكنت الفتنة ثم جهزه طاهر إلى المأمون وصحبته خاتم

---

(١) الفضل بن الربيع بن يونس، وزير أديب، وزر للرشيد. ومات سنة ٢٠٨ هـ.

الخلافة، وبردة رسول الله ﷺ وقضيبه، فلما وضع الرأس بين يديه خرّ ساجداً شكراً لله تعالى على ما رزقه من الظفر. وأمر للرسول بألف ألف درهم.

وذكر عن الأصمعي أنه قال: دخلت على الرشيد وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولا، فسلمت عليه بالخلافة فأومأ إلي بالجلوس قريباً منه فجلست قليلاً ثم نهضت، فأومأ إلي أن اجلس فجلست، حتى خف الناس ثم قال لي: يا أصمعي ألا تحب أن ترى محمداً وعبد الله بني؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين إني لأحب ذلك، وما أردت القصد إلا إليهما لأسلم عليهما، فقال: يكفي ذلك ثم قال: علي بمحمد وعبد الله، فانطلق الرسول إليهما وقال أجيبا أمير المؤمنين فأقبلا كأنهما قمرا أفق، قد قاربا خطاهما ورميا ببصرهما الأرض، حتى وقفا على أبيهما، فسلما عليه بالخلافة، فأومأ إليهما بالجلوس، فجلس محمد عن يمينه وعبد الله عن يساره، ثم أمرني بمطارحتهما الأدب فكنت لا ألقي عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا فيه، وأصابا فقال: كيف ترى أدبهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة فهمهما وذهنهما، فأطال الله تعالى بقاءهما، ورزق الأمة من رأفتهما ومعطفتهما فضمهما إلى صدره وسبقته عبرته فبكى حتى تحدرت دموعه على لحيته، ثم أذن لهما في القيام فنهضا حتى إذا خرجا قال لي: يا أصمعي كيف بهما إذا ظهر تعاديهما، وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما، حتى تسفك الدماء. ويود كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى؟ قلت: يا أمير المؤمنين هذا شيء قضى به المنجمون عند مولدهما، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟ قال: لا بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما. وكان المأمون يقول في خلافته: كان الرشيد سمع جميع ما يجري بيننا من موسى بن جعفر، ولذلك قال ما قال. وذكر صاحب عيون التواريخ وغيره، أن المأمون مرّ يوماً على زبيدة أم الأمين، فرآها تحرك شفتيها بشيء لا يفهمه، فقال لها: يا أماه أتدعين علي لكوني قتلت ابنك وسلبته ملكه؟ فقالت: لا والله يا أمير المؤمنين. قال فما الذي قلته؟ قالت: يعفيني أمير المؤمنين، فألح عليها وقال لا بد أن تقوليه، قالت: قلت قبح الله الملاحة. قال: وكيف ذلك؟ قالت: لأني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا، فغلبني فأمرني أن أتجرد من أثوابي وأطوف القصر عريانة، فاستعفيته فلم يعفني، فتجردت من أثوابي وطفت القصر عريانة، وأنا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ، فيطأ أقبح جارية وأوشهها خلقة فيه فاستعفاني من ذلك فلم أعفه، فبذل إلى خراج مصر والعراق فأبيت، وقلت: والله لتفعلن ذلك فأبى،فألححت عليه، وأخذت بيده وجئت به للمطبخ، فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل، فأمرته أن يطأها فوطئها، فعلقت منه بك فكنت سبباً لقتل ولدي وسلبه ملكه. فولى المأمون وهو يقول: لعن الله الملاحة أي التي ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر.

وقتل الأمين وهو ابن ثمان وعشرين سنة وقيل سبع وعشرين وكان طويلاً أبيض بديع الحسن. وكانت خلافته أربع سنين وثمان شهور وقيل ثلاثة أعوام وأياماً لأنه خلع في رجب سنة ست. ومن حسب له موته فخلافته خمس سنين خلا أشهراً وكان مبذراً للأموال لعاباً لا يصلح للخلافة وكان مشتغلاً باللهو والقصف والإقبال على اللذات فقال فيه بعضهم من أبيات:

إذا غـدا ملك بـاللهـو مشتغـلاً فـاحكم على ملكـه بالـويل والحـربِ
أمـا ترى الشمس في الميزان هـابـطة لمـا غـدا وهـو بـرج اللهـو والـطرب

## خلافة عبد الله المأمون

ثم قام بالأمر بعده أخوه عبدالله المأمون. بويع له بالخلافة، البيعة العامة، صبيحة الليلة التي قتل فيها الأمين بإجماع من الأمة على ذلك، خلا ما كان من أمير الأندلس فإنه كان والأمراء قبله وبعده لم يتقيدوا بطاعة العباسيين لبعد الديار. قال في الأخبار الطوال: كان المأمون شهماً بعيد الهمة أبي النفس، وكان نجم بني العباس في العلم والحكمة، وكان قد أخذ من العلوم بقسط، وضرب فيها بسهم، وهو الذي استخرج كتاب إقليدس، وأمر بترجمته وتفصيله، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل البصري المعتزلي، الذي يقال له العلاف، وسيأتي الإشارة إليه في باب الباء الموحدة في لفظ البرذون وفي أيامه ظهر القول بخلق القرآن. وقال غيره: إن القول بخلق القرآن ظهر في أيام الرشيد، وكان الناس فيه بين أخذ وترك، إلى زمن المأمون، فحمل الناس على القول بخلق القرآن، وكل من لم يقل بخلق القرآن عاقبه أشد عقوبة. وكان الإمام أحمد[1] رضي الله تعالى عنه إمام أهل السنة من الممتنعين من القول بخلق القرآن، فحمل إلى المأمون مقيداً، فمات المأمون قبل وصوله إليه. وسيأتي ذكر محنته في خلافة المعتصم.

وقالوا: دخل المأمون بلاد الجزيرة والشام، وقام بها مدة طويلة، ثم غزا الروم وفتح فتوحات كثيرة وأبلى بلاء حسناً. وتوفي بنهر بردى لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب، وقيل لثمان مضين منه سنة ثمان عشرة ومائتين، وهو ابن تسع وأربعين سنة وقيل تسع وثلاثين والأول أصح وقيل ثمان وأربعين، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر ودفن بطرسوس.

قال ابن خلكان: كان المأمون عظيم العفوجواداً بالمال، عارفاً بالنجوم والنحو، وغيرهما من أنواع العلوم، خصوصاً علم النجوم، وكان يقول: لو يعلم الناس ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا إلي بالذنوب. وقال غيره: إنه لم يكن في بني العباس أعلم من المأمون وكان يشتغل بعلم النجوم كثيراً وفي ذلك يقول الشاعر:

هـل علوم النجـوم أغنتْ عن المـأ مـون شـيئـاً أو مـلكـه المـأنـوس
خـلفـوه بـسـاحـتي طـرسـوس مـثـلما خـلفـوا أبـاه بـطوس

وكان أبيض مليح الوجه، مربوعاً طويل اللحية، دينا عارفاً بالعلم، فيه دهاء وسياسة.

## خلافة أبي إسحق ابراهيم المعتصم

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو إسحق إبراهيم المعتصم بن هارون الرشيد. بويع له بالخلافة

---

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل صاحب المسند.

يوم موت أخيه بعهد منه فأمر بهدم ما بنوا من طوانة وغزا عمورية وأناخ عليها وحاصرها حصاراً شديداً. ولم يكن في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والإقدام قيل إنه أصبح ذات يوم برد عظيم وثلج فلم يقدر أحد على إخراج يده ولا امساك قوسه فأوتر المعتصم في ذلك اليوم أربعة آلاف قوس، ولم يزل يحاصرها حتى فتحها عنوة واحتوى على ما فيها من الأموال وغيرها، وأخذ أهلها أسرى.

ولما ولي طلب الإمام أحمد، وكان في سجن المأمون كما تقدم، وامتحنه بخلق القرآن كما سنذكره إن شاء الله تعالى. وتلخيص ما كان من أمره أن هارون الرشيد لم يقل بخلق القرآن مدة خلافته، ولهذا السبب كان الفضيل بن عياض يتمنى طول عمر الرشيد، لأنه والله أعلم، كان قد كشف له بأن فتنة تحدث بعد موت الرشيد، ولم تحدث في أيام خلافته فتنة، ولكن كان الأمر في زمن ولايته بين أخذ وترك، كما قدمنا قريباً إلى أن ولي ابنه المأمون، فقال بخلق القرآن، وبقي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في دعواه الناس إلى ذلك، إلى أن قوي عزمه في السنة التي مات فيها، فحمل الناس على القول بخلق القرآن. وكل من لم يقل بخلقه عاقبه أشد عقوبة. وإنه طلب الإمام أحمد بن حنبل، وجماعة فحمل إليه الإمام أحمد فلما كان ببعض الطريق، توفي المأمون وعهد إلى أخيه المعتصم بالخلافة وأوصاه بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن، واستمر الإمام أحمد محبوساً إلى أن بويع المعتصم، فأحضر الإمام أحمد إلى بغداد، وعقد له مجلساً للمناظرة وفيه عبد الرحمن بن إسحاق، والقاضي أحمد بن أبي دؤاد، وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام، ولم يزل معهم في جدال، إلى اليوم الرابع، فأمر بضربه، فضرب بالسياط ولم يزل عن الصراط، إلى أن أغمي عليه، ونخسه عجيف بالسيف، ورمي عليه بارية وديس عليه، ثم حمل وصار إلى منزله وكانت مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهراً، ولم يزلَ بعد ذلك يحضر الجمعة والجماعات ويفتي ويحدث إلى أن مات المعتصم وولي الواثق، فأظهر ما أظهره المأمون والمعتصم من المحنة، وقال للإمام أحمدا: لا تجمعن إليك أحداً ولا تساكني في بلد أنا فيه، فأقام الإمام أحمد مختفياً، لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها، حتى مات الواثق وولي المتوكل، فرفع المحنة وأمر بإحضار الإمام أحمد، وإكرامه وإعزازه وأطلق له مالاً كثيراً فلم يقبله، وفرقه على الفقراء والمساكين. وأجرى المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم، فلم يرضى الإمام أحمد بذلك رحمه الله تعالى وذكر العراقي في مجمع الأخبار وغيره أنه نوظر في الأيام الثلاثة، وأن المعتصم كان يخلو به ويقول له: ويحك يا أحمد أنا والله عليك شفيق، وإني لا شفق عليك مثل شفقتي على ابني هارون يعني الواثق فأجبني فوالله لئن أجبتني لاطلقن غلك بيدي، ولاطأن عتبتك، ولأركبن إليك بجندي. فيقول: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ، فإذا طال به المجلس، ضجر وقام ورد أحمد في الموضع الذي كان فيه. وتتردد إليه رسل المعتصم يقولون: يا أحمد، أمير المؤمنين يقول لك: ما تقول في القرآن؟ فيرد عليهم كما رد أولاً. فلما كان في اليوم الثالث، طلب للمناظرة فأدخل على المعتصم، وعنده محمد بن عبد الملك الزيات، والقاضي أحمد بن أبي دؤاد، فقال المعتصم: كلموه وناظروه فلم يزالوا في جدال إلى أن قالوا: يا أمير المؤمنين اقتله ودمه في أعناقنا. فرفع المعتصم يده ولطم بها وجه الإمام أحمد، فخر مغشياً عليه، فتمعرت وجوه قواد خراسان، وكان عم أحمد فيهم، فخاف الخليفة منهم على نفسه فدعا بماء ورش على وجهه، فلما

أفاق من غشيته، رفع رأسه إلى عمه وقال: يا عم لعل هذا الماء الذي رش على وجهي غضب عليه صاحبه، فقال المعتصم: ويحكم أما ترون ما يتهجم به علي هذا وقرابتي من رسول الله ﷺ؟ لا رفعت السوط عنه حتى يقول القرآن مخلوق. ثم التفت إلى أحمد وأعاد عليه القول، فرد أحمد كالأول. فلم يزل كذلك حتى ضجر وطال المجلس فعند ذلك قال: عليك لعنة الله، لقد كنت طمعت فيك قبل هذا، خذوه اخلعوه اسحبوه فأخذ وسحب ثم خلع. ثم قال المعتصم: السياط. قال الإمام أحمد: وكان عندي شعرات من شعر النبي ﷺ، قد صررتها في كم قميصي فجاء بعض القوم إلى قميصي ليحرقه فقال له المعتصم: لا تحرقوه وانزعوه عنه وإنما درىء عن القميص الحرق ببركة شعر النبي ﷺ. وشدوا يديه فتخلعت. ولم يزل أحمد يتوجع منها حتى مات. ثم قال المعتصم للجلادين: تقدموا ونظر إلى السياط، فقال: ائتوا بغيرها ثم قال لأحدهم: أذمه[1] وأوجع قطع الله يدك: فتقدم وضربه سوطين، ثم تنحى. ثم قال لآخر: أذمه وشد قطع الله يدك، فتقدم وضربه سوطين، ثم تنحى. ولم يزل يدعو رجلاً رجلاً فيضربه كل واحد سوطين ويتنحى. ثم قال المعتصم وجاءه، وهم محدقون به، وقال: يا أحمد تقتل نفسك: أجبني حتى أطلق غلك بيدي وجعل بعضهم يقول له: يا أحمد إمامك على رأسك قائم فاجبه، وعجيف ينخسه بالسيف، ويقول أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم، وبعضهم يقول: يا أمير المؤمنين اجعل دمه في عنقي، فرجع المعتصم إلى الكرسي، ثم قال للجلاد: أذمه قطع الله يدك ثم جاء المعتصم إليه ثانياً، وقال: يا أحمد أجبني: فقال كالأول. فرجع المعتصم وجلس على الكرسي، ثم قال للجلاد: شد عليه قطع الله يدك. قال أحمد: فذهب عقلي فما عقلت إلا وأنا في حجرة مطلق عني. وكل ذلك وهو صائم لم يفطر رضي الله تعالى عنه. وضرب ثمانية عشر سوطاً، فلما كان في أثناء الضرب، انحلت وزرته فهمهم بشفتيه، فخرجت يدان فربطتاها. فسئل عن ذلك بعد اطلاقه. فقال: قلت أللهم إن كنت على الحق فلا تفضحني. ثم وجه المعتصم رجلاً ينظر الضرب والجراحات ويعالجه، فنظر إليه وقال: والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط، فما رأيت ضرباً أشد من هذا. ثم عالجه وبقي أثر الضرب بينا في ظهره إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه. وقال صالح: سمعت أبي يقول: والله لقد أعطيت المجهود من نفسي، ولوددت أني أنجو من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي.

وحكي أن الشافعي رضي الله تعالى عنه، لما كان بمصر، رأى في المنام سيد المرسلين ﷺ، وهو يقول له: بشر أحمد بن حنبل بالجنة، على بلوى تصيبه فإنه يدعى إلى القول بخلق القرآن فلا يجب إلى ذلك، بل يقول هو منزل غير مخلوق. فلما أصبح الشافعي رضي الله تعالى عنه، كتب صورة ما رآه في منامه، وأرسله مع الربيع إلى بغداد إلى أحمد فلما وصل بغداد، قصد منزل أحمد واستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه قال له: هذا كتاب أخيك الشافعي، فقال له: هل تعلم ما فيه؟ قال: لا ففتحه وقرأه وبكى. وقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ثم أخبره بما فيه، فقال: الجائزة، وكان عليه قميصان أحدهما على جسده، والآخر فوقه. فنزع الذي على جسده ودفعه

---

(١) أذمه من قولك ذَمِه: شدّ.

إليه. فأخذه ورجع إلى الشافعي. فقال له الشافعي: ما أجازك؟ قال: أعطاني القميص الذي على جسده. فقال: أما أنا فلا أفجعك فيه، ولكن أغسله وائتني بمائه، فغسله وأتاه بالماء، فأفاضه على سائر جسده.

وقال إبراهيم الحربي: جعل الإمام أحمد بن حنبل جميع من ضربه أو حضره أو ساعد عليه في حل، إلا ابن أبي دؤاد. وقال: لولا أنه ذو بدعة لأحللته، ولو تاب من بدعته لأحللته، وقال أحمد بن سنان: بلغنا أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل، يوم فتح بابل أو فتح عمورية. وقال: هو في حل من ضربي. قال عبد الله بن الورد: رأيت النبي ﷺ، في المنام، فقلت له: يا رسول الله ما شأن أحمد بن حنبل؟ فقال ﷺ: سيأتيك موسى بن عمران، فاسأله فإذا أنا بموسى بن عمران ﷺ، فقلت: يا كليم الله ما شأن أحمد بن حنبل، فقال: أحمد بن حنبل بلي في السراء والضراء، فوجد صابراً صادقاً، فألحق بالصديقين.

والحكمة في إحالة النبي ﷺ على موسى عليه السلام أمور: منها بيان فضيلة أمة محمد ﷺ على الأمم، حتى إن موسى عليه السلام يبين ذلك ويقرره. ومنها بيان فضل الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وما جعل له من الثواب العظيم في المحنة لما جرى عليه، حتى إنه شهد بعظيم فضله وعلو منزلته نبي كريم. ومنها أن محنة الإمام أحمد في كون القرآن مخلوقاً، وهو كلام الله تعالى، وموسى بن عمران عليه السلام كليم الله تعالى، كلمه الله تكليماً، وهو يعلم أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق. فناسب الإحالة ليعرف الناس ذلك، ليزداد يقينهم بأنه منزل غير مخلوق.

وذكر ابن خلكان في ترجمته[1] أنه ولد في سنة أربع وستين ومائة وتوفي في سنة إحدى وأربعين ومائتين. وحزر من حضر جنازته من الرجال، فكانوا ثمانمائة ألف، ومن النساء ستين ألفاً، وأسلم يوم موته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس انتهى.

وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات: إن المتوكل أمر أن يقاس الموضع، الذي وقف الناس فيه للصلاة على الإمام أحمد، فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف ووقع المأتم في أربعة أصناف: في المسلمين واليهود والنصارى والمجوس انتهى. قال محمد بن خزيمة: لما بلغني موت الإمام أحمد بن حنبل اغتممت غماً شديداً، فرأيت من ليلتي في المنام، وهو يتبختر في مشيته، فقلت: يا أبا عبد الله ما هذه المشية؟ فقال: مشية الخدام في دار السلام. فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب، وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي غير مخلوق، ثم قال تبارك وتعالى: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان[2] التي كنت تدعو بهن في دار الدنيا. قال: فقلت يا رب كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء، لا تسألني عن شيء، واغفر لي كل شيء. فقال جل وعلا: يا أحمد هذه الجنة قم فادخلها فدخلتها فإذا أنا بسفيان الثوري له جناحان أخضران، يطير بهما من نخلة إلى نخلة، وهو يقول: الحمد لله الذي

---

(١) وفيات الأعيان: ١/٦٣.

(٢) هو سفيان الثوري الفقيه المتوفى بالبصرة سنة ١٦٠ هـ.

صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين. قال: قلت ما فعل الله بعبد الوهاب الوراق[1]؟ قال: تركته في بحر من نور، في زورق من نور، يزور ربه الملك الغفور. فقلت: فما فعل ببشر[2] بن الحارث فقال لي: بخ بخ، ومن مثل بشر؟ تركته بين يدي الله جل جلاله، وبين يديه مائدة من الطعام، والجليل جل جلاله مقبل عليه، وهو يقول: كُلْ يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم.

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين احتجم المعتصم بسر من رأى، فحم ومات، وذلك لإثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول وهو ابن ثمان أو سبع وأربعين سنة. وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية شهور وثمانية أيام، وهو الثامن من خلفاء بني العباسي. وخلف من الذهب ثمانية آلاف دينار، ومن الدراهم ثمانية عشر ألف درهم، ومن الخيل ثمانية آلاف فرس، ومثلها من الجمال والبغال، ومن المماليك ثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وكان يقال له الثماني لأجل ذلك.

وكان أميا وذلك إنه كان له مملوك صغير، يذهب معه إلى الكتاب فمات فقال له الرشيد: مات مملوكك يا إبراهيم، فقال: استراح من الكتاب يا أمير المؤمنين، فقال: أو بلغ الكتاب منك إلى هذا الحد؟ اتركوا ولدي لا تعلموه. فكان أميا لذلك وكان أبيض أصهب اللحية، مربوعاً وكان شجاعاً مهيباً، قوي البدن إلى الغاية فتح الفتوحات الكبار مثل عمورية من أقصى بلاد الروم ودانت له الأمم، وكان فيه ظلم وعنف وبذلك أرهب الأعداء سامحه الله تعالى

## خلافة هارون الواثق بالله

ثم قام بالأمر بعده ابنه هارون الواثق بالله بويع له بالخلافة بسر من رأى يوم موت أبيه، ونفذت البيعة إلى بغداد، واستقر له الأمر ببغداد وغيرها. ولما ولي قتل أحمد بن نصر[3] الخزاعي، على القول بخلق القرآن ونصب رأسه إلى الشرق، فدار إلى القبلة فأجلس رجلاً معه رمح أو قصبة، فكان كلما دار الرأس إلى القبلة أداره إلى الشرق. وروي أنه رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ورحمني إلا أني كنت مهموماً منذ ثلاث. قيل: ولم؟ قال: لأن النبي ﷺ مر علي مرتين فأعرض بوجهه الكريم عني، فغمني ذلك، فلما مر علي ﷺ الثالثة، قلت له: يا رسول الله ألست على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فما بالك تعرض عني بوجهك الكريم؟ فقال النبي ﷺ: حياء منك إذ قتلك رجل من أهل بيتي.

وقد رأيت حكاية تدل على أن الواثق رجع عن هذا الاعتقاد والامتحان، وذلك فيما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه في ترجمته قال: سمعت طاهر بن خلف يقول: سمعت محمد بن الواثق الذي يقال له المهتدي بالله يقول: كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلاً أحضرنا ذلك المجلس،

---

(١) الوراق هو عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق البغدادي، الإمام الحجة المحدّث. توفي سنة ٢٥١ هـ.

(٢) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام المحدّث المشهور بالحافي. مات سنة ٢٢٧ هـ.

(٣) الخزاعي: أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم من أشراف بغداد، من بني العباس، قبض عليه الواثق وقتله لمخالفته القول بخلق القرآن سنة ٢٣١ هـ.

فبينما نحن ذات يوم عنده إذ أتي بشيخ مصفود مقيد، فقال أبي: ائذنوا لأبي عبد الله يعني ابن أبي دؤاد وأصحابه، وأدخل الشيخ في مصلاه، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له: لا سلم الله عليك. فقال: يا أمير المؤمنين، بئسما أدبك مؤدبك قال الله تعالى: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾[1] والله ما حييتني بها، ولا بأحسن منها، فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين الرجل متكلم، فقال: كلمه فقال: يا شيخ ما تقول في القرآن؟ قال: انصفني في السؤال؟ فقال له: سل. فقال الشيخ: ما تقول أنت في القرآن؟ قال: مخلوق. فقال الشيخ: هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، والخلفاء الراشدون، أم شيء لم يعلموه؟ فقال: شيء لم يعلموه فقال: سبحان الله شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون تعلمه أنت؟ فخجل وقال: أقلني فقال: قد فعلت. والمسألة بحالها قال: نعم قال: فما تقول في القرآن. قال: مخلوق. قال: هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون أم لم يعلموا. قال: علموه ولم يدعوا الناس إليه. فقال أفلا وسعك ما وسعهم؟ قال: ثم قام أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول: هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون، تعلمه أنت! سبحان الله شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم؟ ثم دعا عماراً الحاجب فأمره أن يرفع القيود عنه، ويعطيه أربعمائة دينار، يأذن له في الرجوع وسقط من عينه ابن أبي دؤاد. ولم يمتحن بعد ذلك أحداً، رحمه الله تعالى عليه.

كذا وقع في هذه الرواية، أن المهتدي بالله بن الواثق إسمه محمد وبذلك سماه الحافظ أبو عبد الله الذهبي، في كتاب دول الإسلام، وذكر المؤلف بعد في ترجمته: أن إسمه جعفر، وقد جاء في رواية غير هذه ما يدل على أن إسمه أحمد، وفيها زيادة ونقص ومغايرة في بعض الألفاظ، والمعنى، وذلك فيما ذكره الحافظ أبو نعيم في حليته، قال: قال الحافظ أبو بكر الآجري بلغني عن المهتدي رحمه الله تعالى، أنه قال ما قطع أبي يعني الواثق إلا شيخ جيء به من المصيصة[2] فمكث في السجن مدة، ثم إن أبي ذكره يوماً، فقال: علي بالشيخ فأتي به مقيداً فلما وقف بين يديه، سلم عليه فلم يرد عليه السلام، فقال له الشيخ يا أمير المؤمنين ما استعملت معي أدب الله عز وجل، ولا أدب رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ وأمر النبي ﷺ برد السلام، فقال له أبي: وعليك السلام، ثم قال لابن أبي دؤاد: سله فقال: يا أمير المؤمنين أنا محبوس مقيد أصلي في الحبس وأتيمم للصلاة، فمر لي بحل القيد وبالوضوء، فأمر بحله وأمر بماء فتوضأ وصلى، ثم قال لابن أبي دؤاد: سله، فقال الشيخ: المسألة لي فمره أن يجيبني، فقال سل: فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد، فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ؟ قال: لا قال: فشيء دعا إليه أبو بكر رضي الله تعالى

---

(١) سورة النساء: ٨٦.

(٢) المصِّيصة: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم.

عنـه بعده؟ قـال: لا قال: فشيء دعـا إليه عمـر بن الخطاب رضي الله تعـالى عنه بعـدهما؟ قـال: لا قال: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بعدهم؟ قـال: لا قال: فشيء دعـا إليه عـلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعدهم؟ قـال لا. قال الشيـخ: فشيء لم يدع إليـه رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله تعالى عنهم، تدعو أنت الناس إليه؟ ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه فإن قلت: علموه وسكتوا عنه، وسعني وإياك من السكوت، مـا وسع القوم. وإن قلت: جهلوه وعلمته أنت! فيالكع بن لكع يجهل النبي ﷺ والخلفاء الراشدون رضي الله تعالى عنهم شيئاً وتعلمه أنت وأصحابك؟ قال المهتدي: فرأيت أبي وثب قائماً ودخل الحجرة، وجعل ثوبه في فيه وهو يضحك، ثم جعل يقول: صدق ليس يخلو من أن يقول علموه أو جهلوه فإن قلنا علموه وسكتوا عنه وسعنا من السكوت ما وسع القوم، وإن قلنا جهلوه وعلمته أنت، فيالكع بن لكع يجهل النبي ﷺ شيئاً وأصحابه وتعلمه أنت وأصحابك؟ ثم قال: يا أحمد فقلت: لبيك قال: لست أعنيك إنما أعني المهتدي كان إسمه أحمد لقوله: لست أعنيك لأنه ربما قال قائل: إنما كان استجابة المهتدي لأبيه على طريق الأدب، فقوله إنما أعني ابن أبي دؤاد يبطل، لأن اسمه أحمد وسيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة المهتدي هذه الحكاية بطريقة أخرى، بسياق غير هذا.

وهذا الذي قاله الشيخ إلزام صحيح وبحث لازم للمعتزلة.

وكان الواثق مؤثراً الكثرة الجماع، فقال لطبيبه: اصنع لي دواء للباه، فقال له الـطبيب: يا أمير المؤمنين لا تهدم بدنك بالجماع، واتق الله في نفسك فقال: لا بد من ذلك، فأمره الطبيب أن يأخذ لحم سبع فيغلي عليه سبع غليات بخل خمر، ويتناول منه إذا شرب وزن ثلاثة دراهم ولا يجاوز هذا القدر، فأمر بذبح سبع فذبح وطبخ له من لحمه، وصار يتنقل منه على شرابه فلم يكن إلا قليلاً حتى استسقى فأجمع رأي الأطباء على أن لا دواء له إلا أن يبزل بطنه، ثم يترك في تنور قد سجر بحطب زيتون، حتى يصير جمراً، ثم يجلس فيه ففعل ذلك ومنع الماء ثلاث ساعات، فجعل يستغيث ويطلب الماء، فلم يسقوه فصار في جسده نفاطات مثل البطيخ ثم أخرجوه فجعل يقول ردوني في التنور وإلا مت فردوه، فسكن صياحه، ثم انفجرت تلك النفاطات وقطر منها ماء، فأخرج من التنور وقد أسود جسده، ومات بعد ساعة ولما احتضر جعل يقول:

المـوت فيـه جميـع النـاسُ تشـترك | لا سـوقـة منهم يـبـقـى ولا مـلكُ
مـا ضـر أهـل قليـل في مقـابـرهم | وليس يغني عن المـلاك مـا ملكـوا

ثم أمر بالبسط فطويت، وألصق خده بالأرض، وجعل يقول: يا من لا يـزول ملكه، إرحم من قد زال ملكه. ولما مات سجي بثوب. واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل، فجاء جرذون من البستان، فاستل عينيه وذهب بهما ولم يعلموا به حتى غسلوه وهذا من أغرب ما سمع.

حكي أن ذلك له سبب، وهو أن الواثقي قال: كنت أمرض الواثق إذ لحقته غشية، فلما

شككت أنه قد مات فقال بعضنا لبعض: تقدموا فما جسر أحد منا، فتقدمت أنا، فلما أردت أن أضع إصبعي على أنفه، فتح عينيه فكدت أن أموت فزعاً، وتأخرت إلى خلفي، فتعلقت قبيعة[1] السيف بالعتبة، وعثرت فاندق السيف فكاد أن يدخل في لحمي، فخرجت وطلبت سيفاً غيره، ثم رجعت فوقفت عنده، فوجدته مات بلا شك. فشددت لحييه، وغمضته وسجيته، وأخذ الفراشون تلك الفرش الثمينة، ليردوها إلى الخزانة، وترك وحده في البيت، فقال لي أحمد بن أبي دؤاد القاضي: إنا نشتغل بعقد البيعة، فاحفظه حتى يدفن، فرجعت وجلست عند الباب، فسمعت بعد ساعة حركة أفزعتني، فدخلت فإذا بجرذون قد جاء فاستل عينيه فأكلهما. فقلت: لا إله إلا الله هذه العين التي فتحها من ساعة، فعثرت واندق سيفي هيبة لها.

وتوفي الواثق بسر من رأى في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وكان أبيض مليحاً، يعلوه اصفرار، حسن اللحية، في عينيه نكتة، عالماً أديباً جيد الشعر، شجاعا مهابا حازما، فيه جبروت كأبيه سامحهما الله تعالى.

## خلافة جعفر المتوكل

ثم قام بالأمر بعده أخوه جعفر المتوكل. بويع له بالخلافة بسر من رأى، يوم موت أخيه الواثق، بعهد منه في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، فرفع المحنة بخلق القرآن، وأظهر السنة، وأمر بنشر الآثار النبوية، وذكر[2] ابن خلكان في ترجمته أنه قال: ركبت إلى دار الواثق، في مرضه الذي مات فيه لأعوده، فجلست في الدهليز أنتظر الإذن، فبينما أنا جالس إذ سمعت النياحة عليه، وإذا ايداخ ومحمد بن عبد الملك الزيات[3] يأتمران في أمري، فقال محمد: نقتله في التنور، وقال إيداخ[4]. بل ندعه في الماء البارد حتى يموت، ولا يرى عليه أثر القتل، فبينما هما على ذلك، إذا جاء أحمد بن أبي دؤاد القاضي، فدخل وحدثهما كلاماً لا أعقله، لما داخلني من الخوف، وشغل القلب بإعمال الحيلة في الهرب. فبينما أنا كذلك، وإذا بالغلمان يتعادون ويقولون: انهض يا مولانا، فلم أشك أني داخل لأبايع ولد الواثق ثم ينفذ في ما قدر، فلما دخلت بايعوني فسألت عن الحال فأعلمت أن ابن أبي دؤاد كان سبب ذلك.

ثم إن المتوكل قتل إيداخ بالماء البارد وابن الزيات في التنور. قال: وهذا من أغرب الاتفاق وعجيب الظفر، ومن العجب أيضاً، أن محمد بن عبد الملك الزيات، هو الذي صنع التنور ليعذب فيه الناس، فعذبه الله فيه. وكان التنور من حديد داخله مسامير غير مثنية، وكان يسجر بحطب الزيتون، حتى يصير كالجمر، ثم يدخل الإنسان فيه. نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) قبيعة السيف: ما على طرف مقبضه من فضة أو حديد.
(٢) هو وزير المعتصم ثم الواثق، له معرفة بالأدب والشعر. نكبه المتوكل فمات سنة ٢٣٣ هـ.
(٣) إيداخ أو إيتاخ هو حاجب الواثق.
(٤) وفيات الأعيان: ١/ ٣٥٠ وما بعد.

ولما ولي المتوكل أحيى السنة، وأمات البدعة، وكتب للآفاق برفع المحنة واظهار السنة. وتكلم في مجلسه بالسنة وأعز أهلها، وأخمد المعتزلة، وكانوا في قوة ونماء إلى أيام المتوكل فخمدوا. ولم يكن في هذه الملة الإسلامية أهل بدعة أشر منهم، نعوذ بالله من شر مقالتهم، ونسأل الله السلامة من الزيغ والردى. وكان المتوكل يبغض علياً رضي الله تعالى عنه، وينتقصه، فذكر عليا رضي الله عنه يوماً وغض منه فتمعر وجه ابنه المنتصر لذلك فشتمه المتوكل وأنشد مواجهاً له:

غضب الفتى لابن عمه ... رأس الفتى في حرامه

فحقد عليه، وأغراه ذلك على قتله، لما كان يغلو في بغض علي رضي الله تعالى عنه، ويكثر الوقيعة فيه والاستخفاف به. فبينما المتوكل في قصره، يشرب مع ندمائه، وقد سكر إذ دخل بغا الصغير، وأمر الندماء بالانصراف فانصرفوا، ولم يبق عنده إلا الفتح بن خاقان، فإذا الغلمان الذين عينهم المنتصر لقتل المتوكل قد دخلوا بايديهم السيوف مصلتة، فهجموا عليه فقال الفتح بن خاقان: ويلكم أمير المؤمنين ثم رمى نفسه عليه، فقتلوهما جميعاً ثم خرجوا إلى المنتصر، فسلموا عليه بالخلافة.

وكان قتل المتوكل في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وعمره أربعون سنة. وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وقيل خمس عشرة سنة. وكان أسمر رقيقاً، ملج العينين، خفيف اللحية، ليس بالطويل، فيه قصف وانهماك على اللهو والمكاره، لكنه أحيى السنة، وأمات بدعة القول بخلق القرآن، وله كرم زائد وكان قد عزم على خلع ولده المنتصر من ولاية العهد، وتقديم ابنه المعتز عليه، لفرط محبته لأمه، وأخذ يؤذيه ويتهدده إن لم يخلع نفسه، واتفق مصادرته لوصيف[1] وبغا، فعملوا على قتله، فدخل عليه خمسة نصف الليل وهو في مجلس لهو ففتكوا به وضربوه بسيوفهم وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان كما تقدم.

## خلافة محمد المنتصر بالله

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد المنتصر بالله. بويع له بالخلافة في الليلة التي قتل فيها أبوه، وبويع له من الغد البيعة العامة، فلم تطل دولته، ولم يمتع بالملك. روى إنه بسط بين يديه بساطاً، فرأى عليه شيئاً مكتوباً فلم يعلم ما هو، فأمر بإحضار من قرأه، فإذا كتابته بقلم اليونان، وإذا عليه مكتوب: عمل هذا البساط للملك قباذ بن كسرى قاتل أبيه، وفرش قدامه، فلم يلبث غير ستة أشهر ومات. فتطير المنتصر واغتم لذلك وأمر برفع البساط ومات في آخر الستة أشهر. وكانت خلافته ستة أشهر وأياماً وعمره ست وعشرون سنة وأمه رومية، وكان مربوعاً سميناً أعين أقنى الأنف، مليحاً مهيباً، كامل العقل يحب الخير. قيل إن أمراء الترك خافوه، فلما حم دسوا إلى الطبيب بكيس فيه ألف دينار، ففصده بريشة مسمومة وقيل بل سم في طعامه، فقال لأمه: ذهبت عني الدنيا والآخرة عاجلت أبي فعوجلت.

---

(١) وصيف و بُغا: حاجبا المتوكل وابنه المنتصر من بعده.

## خلافة أحمد المستعين بالله وهو السادس فخُلع وقتل

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أحمد المستعين بالله بن محمد المعتصم. بويع له بالخلافة ليلة الإثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر، وعمره إذ ذاك ثمان وعشرون سنة، وكان كثير الجماع، مغرماً يحب النساء وكان له ابنة عم بديعة الحسن والجمال، فطلبها من أبيها فامتنع فأحضر الأصمعي[1] والرقاشي[2] وأبا نواس[3]، وقال: كل من أنشد لي بطبق مرادي في ابنة عمي أعطيته الجائزة العظمى فانشد أبو نواس:

ما روض ريحانكم الزاهر ... وما شذا نشركم العاطرْ
وحق وجدي والهوى قاهر ... مذغبتمو لم يبق لي ناظر
والقلب لا سال ولا صابرْ ... قالت: ألا لا تلجن دارنا
وكابد الأشواق من أجلنا ... واصبر على مر الجفا والضنا
ولا تمرن على بيتنا ... إن أبانا رجل غائر
فقلت: إني طالب غرة ... يحظى بها القلب ولو مرة
قالت: بعيد ذاك مت حسرة ... قلت سأقضي غرتي جهرة
منك وسيفي صارم باتر ... قالت: فإن البحر من بيننا
فابرح ولا تأت إلى حينا ... واشرب بكأس الموت من هجرنا
قلت ولو كان كثير العنا ... يكفيك إني سابح ماهر
قالت: فإن القصر عالي البنا ... قلت: ولو كان عظيم السنا[4]
أو كان بالجو بلغت المنى ... قالت: منيع في الورى[5] قصرنا
قلت وإني فوقه طائر ... قالت فعندي لبوة والد
فقلت إني أسد شارد ... غشمشم مقتنص صائد
قالت: لها شبل بها لا بد ... قلت: وإني لبشها الكاسر
قالت فعندي إخوة سبعة ... جمعا إذا ما التقوا عصبة
قلت ولي يوم اللقا وثبة ... قالت: لهم يوم الوغى سطوة
قلت: إني قاتل قاهر ... قالت: فإن الله من فوقنا
يعلم ما نبديه من شوقنا ... نمضي إلى الحق غدا كلنا
ونختشي النقمة من ربنا ... قلت: وربي ساتر غافر

---

(١) هو عبد الملك بن قَريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية، إمام في اللغة والشعر وأيام العرب، مات في البصرة سنة ٢١٦ هـ.

(٢) الرقاشي: الفضل بن عبد الصمد بن الفضل، أبو العباس، شاعر مُجيد، مدح البرامكة والخلفاء، مات سنة ٢٠٠ هـ.

(٣) أبو نواس: الحسن بن هانىء الشاعر المتهتك، عاش في البصرة، ثم بغداد كالرقاشي، مات سنة ١٩٨هـ.

(٤) السنا: النور. (٥) الورى: الخَلق.

قالت فكم أعييتنا حجة / تجي بها كاملة بهجة
فيا لها بين الورى خجلة / إن كنت ما تمهلنا ساعة
فائت إذا ما هجّع الساهر / واسقط علينا كسقوط الندى
إياك أن تظهر حرف الندا / يستيقظ الواشي ويأتي الردى
وكن كضيف الطيف مسترصدا / ساعة لا ناه ولا آمر
حاجتها عشرا وصافحتها / على دنان الخمر صافيتها[1]
رامت مواثيقاً فوافيتها / ملتحفا سيفي ولاقيتها
آخر ليلى والدجى عاكر / يا ليلة قضيتها خلوة
مرتشفا من ريقها قهوة / تكر من قد يبتغي سكرة
ظننتها من طيبها لحظة / يا ليت لا كان لها آخر

فلما أنشد ذلك أبو نواس بحضرة الخليفة، أعجبه ذلك وأمر له بالجائزة العظمى، ووفى بما عهد.

ثم إن المستعين أشهد على نفسه أنه قد خلعها من الخلافة، وأنه قد أحل الناس من بيعته بشروط، وخطب للمعتز بن المتوكل.

فنقل المستعين إلى قصر الحسن بن وهب فاعتقل به تسعة أشهر، ووكل به من يحفظه ثم أحضر به إلى واسط ودس عليه المعتز، سعيداً الحاجب فقتله صبرا في أوّل شهر رمضان سنة إثنتين وخمسين ومائتين وجيء برأسه إلى المعتز، وهو يلعب الشطرنج، فقيل له: هذا رأس المخلوع، فقال: دعوه هناك حتى أفرغ من اللعب. فلما فرغ أحضره ونظره، ثم أمر بدفنه. وكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر، وعمره إحدى وثلاثون سنة وكان مربوعاً مليح الوجه به أثر جدري، وكان ألثغ يجعل السين ثاء وكان كريماً مبذراً للأموال رحمه الله تعالى.

## خلافة أبي عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه محمد المعتز بن المتوكل. بويع له بالخلافة لما خلع المستعين نفسه، في أوّل سنة إثنتين وخمسين ومائتين، ثم دبر عليه صالح بن وصيف حاجبه، فجاء إليه ومعه جماعة، وبعثوا إليه أن أخرج، فاعتذر بأنه تناول دواء، فأمر صالح أن يدخل إليه بعضهم، فدخلوا وجروا برجله إلى باب الحجرة، فأقيم في الشمس الحارة، فصار يرفع قدماً ويضع أخرى، وهم يلطمونه ويقولون له: اخلعها وهو يتقي بيديه ويأبى، ثم أجابهم وخلع نفسه. فتسلمه صالح بن وصيف، ومنعه من الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم أنزله إلى سرداب مجصص وأطبقه عليه حتى مات. ثم أخرجه وأشهد عليه أنه لا أثر به. وقيل: إنه بعد خلعه بخمسة أيام أدخله الحمام، ومنعه الماء حتى عاين التلف، ثم أتوه بماء

(١) دنان الخمر: أوعية الخمر.

مالح فشربه فسقط ميتاً. وذلك في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وخلافته أربع سنين وستة أشهر وكان بديع الحسن رحمه الله تعالى.

## خلافة جعفر المهتدي بالله بن هارون

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه، جعفر بن هارون المعتصم. ورأيت في غير هذا الموضع أن المهتدي إسمه محمد بأبي إسحاق. بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز بالله ولما ولي أخرج الملاهي وحرم سماع الغناء والشراب، وأمر بنفي المغنيات وطرد الكلاب، والسباع وألزم نفسه الإشراف على الدواوين، والجلوس للناس، وإزالة المظالم، وتغيير المنكرات. وقال: إني أستحيى من الله أن لا يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية. فتبرم به بابك التركي، وكان ظلوماً غشوماً، فأمر المهتدي بقتله، ولما قتل هاجت الأتراك، ووقعت الحرب بينهم وبين المغاربة، فقتل من الفريقين أربعة آلاف، وخرج المهتدي والمصحف في عنقه، وهو يدعو الناس إلى نصرته، والمغاربة معه وبعض العامة، فحمل عليهم طيبغاً أخو بابك فهزمهم. ومضى المهتدي مهزماً، والسيف في يده، وقد جرح جرحين، حتى دخل دار محمد[1] بن يزداد، فتجمعت الأتراك وهجموا عليه وأخذوه أسيراً. وحمله أحمد بن خاقان على دابة وأردف خلفه سائساً بيده خنجر، فأدخل إلى دار أحمد بن خاقان، وجعلوا يصفعونه ويقولون اخلعها، فأبى عليهم فسلم إلى رجل، فوطىء مذاكيره حتى قتله، وذلك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وهو ابن سبع وثلاثين سنة، وكانت خلافته أحد عشر شهراً، رحمة الله تعالى عليه، وقيل سنة.

وكان أسمر مليح الصورة دينـا ورعا عابداً عاد لا حازماً شجاعاً خليقاً للإمارة،، لكنه لم يجد ناصراً. يقال: إنه كان يسرد الصوم، وربما كان فطوره في بعض الليالي، على خبز وخل وزيت، وقد كان سد باب اللهو والطرب والغناء، وحسم الأمراء عن الظلموكان يجلس لحساب الدواوين بنفسه.

**ومما يحكى**: من محاسنه، ما ذكره الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي، في كتابه قال: إن أبا الفضل صالح بن علي بن يعقوب بن المنصور الهاشمي، وكان من وجوه بني هاشم، وأهل الخلافة والسبق منهم، قال: حضرت المهتدي بالله أمير المؤمنين، وقد جلس ينظر في أمور الناس، في دار العامة، فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه، من أوّلها إلى آخرها، فيأمر بالتوقيع فيها، وإنشاء الكتب لأصحابها، فتختم وتدفع إلى أصحابها بين يديه. فسرني ذلك وجعلت أنظر إليه، ففطن لي ونظر إلي، فغضضت عنه حتى كان ذلك مني ومنه مراراً إذا نظر إلي غضضت، وإذا اشتغل عني نظرت. فقال: يا صالح قلت: لبيك يا أمير المؤمنين،وقمت قائماً فقال: أفي نفسك مني شيء تحب أن تقوله؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال لي: عد إلى موضعك، فعدت وعاد في النظر حتى قام وقال للحاجب: لا يبرح صالح فانصرف الناس. ثم أذن لي وقد أهمتني نفسي، فقمت فدخلت ودعوت له، فقال لي: اجلس فجلست، فقال: يا صالح تقول ما

---

(١) محمد بن يزداد بن سويد المروزي، من كتّاب الإنشاء في الدولة العبّاسية وزر للمأمون. له شعر جيد وقد عاش حتى أيام الواثق ومات سنة ٢٣٠ هـ.

دار في نفسك، أو أقول أنا ما دار في نفسي. أنه دار في نفسك. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما تعزم عليه وتأمر به، أطال الله بقاءك، فقال: كأني بك، وقد استحسنت ما رأيت منا فقلت: أي خليفة خليفتنا، إن لم يكن يقل القرآن مخلوق؟ فورد على قلبي أمر عظيم وأهمتني نفسي، ثم قلت: يا نفس هل تموتين إلا مرة؟ وهل تموتين قبل أجلك؟ وهل يجوز الكذب في جدّ أو هزل؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين ما دار في نفسي إلا ما قلت. ثم أطرق ملياً وقال: ويحك اسمع مني ما أقول: فوالله لتسمعن الحق فسرِّي عني. فقلت: يا سيدي من أولى بقول الحق منك، وأنت أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين، من الأوّلين والآخرين؟ فقال لي: ما زلت أقول القرآن مخلوق صدرا من خلافة الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن أبي دؤاد شيخا من أهل الشام، من أهل أذنة، فأدخل الشيخ على الواثق مقيداً، وهو جميل الوجه، تام القامة، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له، فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه، فسلم الشيخ بأحسن السلام، ودعا بأبلغ الدعاء، وأوجز. فقال له الواثق: اجلس ثم قال له: يا شيخ ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه، قال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن ابن أبي دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة، فغضب الواثق، وعاد مكان الرقة له غضبا، فقال: أبو عبد الله بن أبي دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت؟ فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك، وائذن لي في مناظرته، فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة، فقال الشيخ: يا أحمد بن أبي دؤاد[1] إلام دعوت الناس ودعوتني إليه؟ فقال: إلى أن تقول القرآن مخلوق لأن كل شيء من دون الله مخلوق. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إني رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول. قال: افعل. فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، أواجبة داخلة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملاً حتى يقال فيه ما قلت؟ قال: نعم. قال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله عز وجل هل ستر شيئاً مما أمره الله به في دينه؟ قال: لا قال الشيخ: فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى مقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد. فقال الشيخ له: تكلم، فسكت. فالتفت الشيخ إلى الواثق، وقال: يا أمير المؤمنين واحدة. فقال الواثق: واحدة. فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن آخر ما أنزل الله من القرآن على رسول الله ﷺ؟ فقال: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[2] فقال الشيخ: أكان الله تبارك وتعالى الصادق في اكمال دينه؟ أم أنت الصادق في نقصانه فلا يكون الدين كاملاً، حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد. فقال الشيخ: أجب يا أحمد. فلم يجب فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين اثنتان. فقال الواثق. اثنتان فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله ﷺ، أم جهلها؟ فقال ابن أبي دؤاد: علمها. فقال الشيخ: أدعا الناس إليها فسكت ابن أبي دؤاد. فقال الشيخ: يا أمير المؤمين ثلاث. فقال الواثق: ثلاث. فقال الشيخ: يا أحمد فاتسع لرسول الله ﷺ كما زعمت، فلم يطالب أمته بها؟ قال: نعم فقال الشيخ: واتسع لأبي بكر رضي الله تعالى عنه، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى

---

(١) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي، أبو عبد الله، من قضاة المعتزلة المشهورين، ورأس الفتنة بالقول بخلق القرآن. مات ببغداد سنة ٢٤٠هـ.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

عنهم؟ قال ابن أبي دؤاد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق فقال: يا أمير المؤمنين قد قدمت القول: إن أحمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك. فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم فلا وسع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ، فلما قطعوا قيده ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه، فجذبه الحداد إليه فقال الواثق: دع الشيخ ليأخذه فأخذه الشيخ فوضعه في كمه، فقيل للشيخ: لم جاذبت عليه؟ فقال الشيخ: لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه، إذا أنا مت، أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع أهلي وولدي وإخوتي بلا حق أوجب ذلك علي؟ وبكى الشيخ، وبكى الواثق، وبكيت.

ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله منه، فقال الشيخ، والله يا أمير المؤمنين قد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله ﷺ، إذ كنت رجلا من أهله. فقال الواثق: لي إليك حاجة. فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت. فقال الواثق: تقيم قبلنا فتنتفع بك فتياننا. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم، أنفع لك من مقامي عندك. وأخبرك لم ذلك: أصير إلى أهلي وولدي، فأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك. فقال له الواثق أفتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك؟ فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين لا تحل لي، أنا عنها غني وذو ثروة. فقال له: أتسأل حاجة؟ قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: تخلي سبيلي إلى السفر الساعة، وتأذن لي. قال: قد أذنت لك. فسلم عليه الشيخ وخرج. قال صالح: فقال المهتدي بالله: فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم، وأظن أن الواثق بالله، كان رجع عنها من ذلك الوقت، ولي فيها طرق أخرى، وفيها بعض المغايرة فلهذه وقد سبق في ترجمة الواثق ما يدل على رجوعه والله تعالى أعلم.

## خلافة أبي القاسم أحمد المعتمد على الله بن المتوكل

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أحمد، المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله. بويع له بالخلافة يوم قتل ابن عمه المهتدي بالله بسر من رأى، وكان له إسم الخلافة ولأخيه الموفق بن المتوكل تدبير الملك ولما مات الموفق، قام بتدبير الملك بعده، ابنه أحمد المعتضد بن الموفق وغلب على عمه المعتمد كما كان أبوه غالباً عليه، فكان المعتمد يطلب الشيء الحقير فلا يناله ولم يكن له سوى الإسم فقال في ذلك:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ بإسمه الدنيا جميعاً ... وما من ذاك شيء في يديه

قيل: إنه شرب يوماً على الشط شراباً كثيراً فتغشى ومات. وقيل: إنه اغتم ومات وهو نائم

في بساط. وقيل: إنه سم في لحم وذلك في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين وله خمسون سنة. وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وتوفي ببغداد. وكان أسمر ربعة، رقيقاً مدوّر الوجه مليح العينين، صغير اللحية أسرع إليه الشيب منهمكاً على اللهو واللذات يسكر ويعض يده.

## خلافة أبي العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق

بويع له بالخلافة يوم مات عمه المعتمد، فاستقل بالأمر وكان شجاعاً عادلاً ذا هيبة عظيمة مع سطوة وجبروت وحزم ورأي، وذكاء مفرط في أحكامه، وسيأتي ذكر شيء من ذلك. وكان كثير الجماع فاعتراه فساد مزاج وكان ذلك سبب وفاته. وكان محباً للعدل موثراً له، وله فيه حكايات نادرة توفي سنة تسعين ومائتين، لسبع بقين من شهر ربيع الآخر وهو ابن ست وأربعين سنة، وقيل أربعين سنة. وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وقيل عشر سنين وكان أسمر مهيباً معتدل الشكل.

## خلافة أبي محمد علي المكتفي بالله بن المعتضد

ثم قام بالأمر بعده ابنه علي أبو محمد المكتفي بالله بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بويع له بالخلافة يوم توفي أبوه المعتضد. وتوفي ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وقيل ثلاثين. وخلافته سنتان وثمانية أشهر. هكذا ذكروا وفاته، وعمره وخلافته والذي رأيته في كتب الذهبي[1] أنه كانت وفاته في ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين عن إحدى وثلاثين سنة. وكانت خلافته ست سنين ونصفا. وكان وسيماً جميلاً بديع الحسن، دري اللون معتدل الطول، أسود الشعر، وكان حسن العقيدة، كارهاً لسفك الدماء.

ووطأ له أبوه المعتضد الأمر، وكان المكتفي مائلاً إلى حب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، باراً بأولاده يحكى أن يحيى بن علي[2] الشاعر، أنشده بالرقة قصيدة يذكر فيها فضل أولاد العباس على أولاد علي، فقطع المكتفي عليه إنشاده وقال: يا يحيى كأنهم ليسوا بني عم. ما أحب أن يخاطب أهلنا بشيء من ذلك وإن كانوا خلفاء. ولم يسمع القصيدة ولا أجازه عليها رحمة الله عليه.

## خلافة أبي الفضل جعفر المقتدر بالله وهو السادس فخُلع مرتين كما سيأتي

ثم قام بالأمر بعده، أخوه أبو الفضل جعفر المقتدر بن المعتضد. بويع له بالخلافة ببغداد يوم وفاة أخيه، وهو ابن ثلاث عشرة سنة وأربعين يوماً، ولم يل الخلافة بعده. قيل: ولا قبله أصغر منه وضعف دست الخلافة في أيامه، وذكر صاحب النشوان وغيره، عن صافي مولى المعتضد،

---

(١) الذهبي: هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ.

(٢) علي بن يحيى بن أبي منصور، نديم المتوكل العباسي وكذلك نديم من جاؤوا بعده من الخلفاء العباسيين، وكان شاعراً محسناً توفي بسامراء، سنة ٢٧٥هـ.

أنه قال: مشيت يوماً بين يدي المعتضد وهو يريد دار الحرم، فلما بلغ باب دار المقتدر، وقف وتسمع وتطلع من خلل في الستر، فإذا هو بالمقتدر، وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها، وهو جالس وحوله قدر عشر وصائف، من أترابه في قدر سنه، وبين يديه طبق فضة وفيه عنقود عنب، في وقت فيه العنب عزيز جداً، والصبي يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الجماعة عنبة عنبة على الدور حتى إذا بلغ الدور إليه، أكل واحدة مثل ما أكلوا، حتى فني العنقود، والمعتضد يتمزق غيظاً، ثم رجع ولم يدخل الدار. فرأيته مهموماً، فقلت: يا مولاي ما سبب فعلته؟ فقال: يا صافي والله لولا العار والنار لقتلت هذا الغلام اليوم! يعني المقتدر، فإن في قتله صلاحا للأمة. فقلت: يا مولاي ما شأنه وأي شيء عمل؟ أعيذك بالله يا مولاي من هذا. فقال: ويحك أنا أبصر بما أقوله، أنا رجل قد سست الأمور، وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد، ولا بد من موتي، وأنا أعلم أن الناس بعدي لا يختارون أحداً على ولدي، وإنهم سيجلسون ابني عليا يعني المكتفي وما أظن أن عمره يطول، للعلة التي به، يعني الخنازير التي كانت في حلقه، فيتلف عن قريب ولا يرى الناس اخراجها عن ولدي، ولا يجدون بعده أمثل من جعفر يعني المقتدر وهو صبي وله من الطبع والسخاء هذا الذي قد رأيته من أنه أطعم الوصائف مثلما أكل، وساوى بينه وبينهم في شيء عزيز في العالم، والشح على مثله في طباع الصبيان غالب، فتحتوي عليه النساء لقرب عهده بهن فيقسم ما جمعته من الأموال كما قسم العنب، ويبدد ارتفاع الدنيا فتضيع الثغور، وتعظم الأمور، وتخرج الخوارج، وتحدث الأسباب التي يكون فيها زوال الملك عن بني العباس رأساً. فقلت: يا مولاي يبقيك الله، حتى ينشأ في حياة منك، ويصير كهلاً في أيامك ويتأدب بآدابك، ويتخلق بأخلاقك، ولا يكون هذا الذي ظننت. فقال: ويحك احفظ عني ما أقول لك: فإنه كما قلت: قال: ومكث يومه مغموماً مهموماً.

وضرب الدهر ضرباته، ومات المعتضد وولي المكتفي فلم يطل عمره ومات. وولي المقتدر فكانت الصورة كما قال مولاي المعتضد بعينها، فكنت كلما ذكرت قوله أعجب منه، فوالله لقد وقفت يوماً على رأس المقتدر وهو في مجلس لهوه، فدعا بالأموال فأخرجت إليه ووضعت البدر[١] بين يديه، فجعل يفرقها على الجواري والنساء، ويلعب بها ويمحقها أو يهبها. فذكرت قول مولاي المعتضد ثم إن الجند وثبوا على العباس وزيره فقتلوه، وأحضروا عبد الله بن المعتز وبايعوه وخلعوا المقتدر.

## خلافة عبد الله بن المعتز المرتضي بالله

بويع بالخلافة بعد خلع المقتدر. بعد أن شرط عليهم أن لا يكون في ذلك حرب ولا سفك دم. فلما بويع له كتب إلى المقتدر، يأمره بلزوم دار ابن طاهر[٢] بوالدته وجواريه، وأمر الحسن بن حمدان وابن عمرويه، صاحب الشرطة، أن يصير إلى دار المقتدر، فمضيا فخرج إليهما الغلمان

---

(١) البدر: جمع البدرة وهي الكمية من المال..

(٢) ابن طاهر: عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، صاحب الشرطة في بغداد وكان رفيع المنزلة، أيام المعتضد العباسي. له شعر. مات في بغداد سنة ٣٠٠ هـ.

ورموهما بالحجارة، وجرى بينهم حرب شديد، آخره أن أصحاب المقتدر ظهروا عليهما فانهزما وانهزم المرتضي بالله، وتفرق أصحابه واستتر عند ابن الجصاص، ولم يتم له أمر غير يوم وليلة، ولذلك يعد المؤرخون خلافته في هذه المدة. ثم عاد المقتدر إلى ما كان عليه، ثم ظفر بالمرتضي بالله فقتله خنقاً، وأظهر أنه مات حتف أنفه، وأخرج وهو ميت من دار الخلافة، فدفنوه في خرابة بازاء داره، وكان عمره خمسين سنة.

قال[1] ابن خلكان في ترجمته كان شاعراً ماهراً، فصيحا مجيداً مخالطاً للعلماء والأدباء، وهو صاحب التشبيهات التي أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره، وكان قد اتفق معه جماعة وخلعوا المقتدر وبايعوه ولقبوه بالمرتضي بالله فأقام يوماً وليلة، ثم إن اصحاب المقتدر تحزبوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم، فاستخفى ابن المعتز ثم أخذ ليلاً، فلما ادخل على المقتدر أمر به فطرح على الثلج عرياناً، وحشي سراويله ثلجاً. فلم يزل كذلك والمقتدر يشرب، إلى أن مات، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين رحمه الله.

ليس هو بمعدود في الخلفاء لأنه لم يثبت له أمر. واستمر للمقتدر الأمر إلى أن بلغ مؤنسا الخادم أن المقتدر قد عزم على اغتياله، وكان مؤنس مقدم جيش المقتدر فبلغ المقتدر ما نقل إلى مؤنس فحلف على بطلان ذلك. وأسرها مؤنس في نفسه، ثم جرى بين العامة وبين بعض مماليكه حرب، فظن أن ذلك بأمر المقتدر فوافى مؤنس دار الخلافة في اثني عشر ألف فارس، فدخل إلى المقتدر وقبض عليه وعلى والدته السيدة، وحملهما إلى قصره ونهب الجند دار الخلافة وخلع المقتدر نفسه، من الخلافة وكتب بذلك إلى الآفاق فلما كان ثاني يوم خلعه، شغب الجند وقتلوا صاحب الشرطة، وهرب ابن مقلة الوزير، وهرب الحجاب وجاء المقتدر فجلس، وأحضر أخاه القاهر وأجلسه بين يديه، وقبل ما بين عينيه، وقال: يا أخي لا ذنب لك فجعل القاهر يقول: الله الله في نفسي يا أمير المؤمنين، فقال المقتدر: والله وحق رسول الله ﷺ لا جرى عليك مني سوء أبداً وعاد ابن مقلة الوزير وكتب إلى الآفاق بخلافة المقتدر، ثم جرى بين المقتدر وبين مؤنس الخادم حرب فاقتحم المقتدر نهر السكران[2] فأحاط به جماعة من البربر فقتله رجل منهم، وأخذوا رأسه وسلبه وثيابه، ومضوا إلى مؤنس الخادم، فمر بالمقتدر رجل من الاكراد فستر عورته بحشيش ودفنه، وأخفى أثره.

وكان قتله يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة ست عشرة وثلثمائة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وشهر. وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وإحدى عشر شهراً خلع فيها مرتين ثم قتل كما تقدم.

وحكى الذهبي أن خلافته كانت خمساً وعشرين سنة وانه عاش ثمانياً وثلاثين سنة، وإنه كان مسرفاً مبذراً للمال ناقص الرأي أعطى جارية له الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاثة مثاقيل، وما كانت تقوم وقيل: إنه محق من الذهب ثمانين ألف ألف دينار في أيامه وإنه خلف من الأولاد عدة منهم الرضي بالله المقتفي بالله وإسحاق والمطيع لله.

---

(١) وفيات الأعيان: ١/٧٦ ــ ٨٠.

(٢) واد بمشارف الشام من جهة نجد.

## خلافة محمد القاهر بالله

ثم قام بالأمر بعده، أخوه أبو منصور محمد بن المعتضد بالله. بويع له بالخلافة ببغداد لليلتين بقيتا من شوال ولما ولي قبض على ابن أخيه المكتفي، وأمر به فأقيم في بيت وسد عليه بالآجر والجص حتى مات غماً. وقبض على السيدة أم المقتدر، وطالبها بمال لم تقدر عليه، فتهددها وضربها بيده، وعذبها بأنواع العذاب، وعلقها منكسة حتى كان يجري بولها على وجهها، وهي تقول له: ألست أمك في كتاب الله؟ وخلصتك من ابني في المرة الأولى؟ وأنت تعاقبني بهذه العقوبة! ولم يبق عندي مال. ثم إنها ماتت عقب ذلك.

ثم إن الجند شغبوا عليه، وجاؤوا إلى داره، وهجموا عليه من سائر الأبواب، فهرب إلى سطح حمام واستتر فيه، فأتو إليه وقبضوا عليه وحبسوه وخلعوه من الخلافة، وسملوا عينيه. وذلك في جمادى الأخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة. قال ابن البطريق في تاريخه: كان القاهر قد ارتكب أموراً قبيحة لم يسمع بمثلها في الإسلام، وذكر منها طرفاً طويلاً.

حكي أن رجلاً قال: صليت في جامع المنصور ببغداد فإذا أنا بانسان عليه جبة عنابية، وقد ذهب وجهها وبقي بعض قطن بطانتها، وهو يقول: أيها الناس تصدقوا علي، بالأمس كنت أمير المؤمنين وأنا اليوم من فقراء المسلمين. فسألت عنه فقيل لي إنه القاهر بالله في هذه الحكاية أعظم عبرة. نعوذ بالله من سخطه وزوال نعمه.

وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وسبعة أيام، وكان أهوج طائشاً سفاكاً للدماء يدمن السكر، وكان له حربة يأخذها بيده، فلا يضعها حتى يقتل إنساناً ولولا وجود الحاجب سلامة لأهلك الناس.

## خلافة أبي العباس أحمد الراضي بالله بن المقتدر

ثم قام بالأمر بعده أخوه، أبو العباس أحمد الراضي بالله بن المقتدر بن المعتضد. بويع له بالخلافة يوم خلع عمه القاهر. واستوزر أبا علي بن مقلة، وأطلق كل من كان في حبس القاهر، ثم استدعى بالأمير محمد بن رائق، وكان بواسط متغلباً عليها، لأن الضرورة ألجأته إلى ذلك، لاضطراب الأمور عليه، ولضعف من يلي الوزارة عن القيام بها.

فقدم ابن رائق بغداد فجعله الراضي أمير الأمراء وفوض إليه تدبير المملكة، وخلع عليه وأعطاه اللواء. ومن ذلك اليوم بطل أمر الوزارة ببغداد، ولم يبق إلا إسمها والحكم للأمراء والملوك المتغلبين. وكان قدومه لخمس بقين من ذي الحجة سنة أربع وعشرين وثلثمائة ثم دخلت سنة خمس والدنيا في أيدي المتغلبين، وهم ملوك الأرض، وكل من حصل في يده بلد ملكه ومانع عنه، فالبصرة وواسط والأهواز في يد عبد الله البريدي وأخويه، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه، والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد الأخشيد بن طغج، والمغرب وافريقية في يد المهدي، والأندلس في يد بني أمية، وخراسان وما

والاها في يد نصر بن أحمد الساماني، واليمامة وهجر والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي، وطبرستان وجرجان في يد الديلم. ولم يبق في يد الراضي وابن رائق سوى بغداد وما والاها فبطلت دواوين المملكة، ونقص قدر الخلافة وضعف ملكها. وعم الخراب لذلك.

وتوفي الراضي ليلة السبت خامس عشر ربيع الأول، سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعلة الاستسقاء والتنحنح. وكان أكبر أسباب علته من كثرة الجماع، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر، وخلافته ست سنين وعشرة أشهر. وكان سمحاً جواداً، واسع الصدر أديباً شاعراً، حسن البيان. وقيل: إن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة وخلافته ست سنين وعشرة أيام كان قصيراً أسمر نحيفاً، وله شعر جيد مدون. وخطب بالناس في سامرا فأبلغ وأجاد، ومرض أياماً ثم قاء دماً كثيراً ومات.

## خلافة ابراهيم المتقي بالله

ثم قام بالأمر بعده، أخوه أبو العباس إبراهيم المتقي بالله بن المقتدر بن المعتضد. بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الراضي، فصلى ركعتين وصعد على السرير. وكان ذا دين وورع، ولهذا لقبوه المتقي بالله، فكان تدبير المملكة إلى الأمير حكم التركي وليس للمتقي إلا الإسم. ثم إن نوروز استولى على بغداد وخلع المتقي بالله وسلمه لابن عمه المستكفي بالله، فأخرجه إلى جزيرة بقرب السندية، وأكحله بعد أن أشهد على نفسه بالخلع. وذلك يوم السبت لعشر بقين من صفر، سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة. وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً، وقيل: كانت أربع سنين وتوفي سنة سبع وسبعين وثلثمائة. وكان مولده في سنة سبع وتسعين ومائتين فأبوه أكبر بخمس عشرة سنة. وكان كثير الصوم والتهجد يدمن التلاوة في المصحف ولا يشرب مسكراً وعاش بعد خلعه أربعاً وعشرين سنة.

## خلافة عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي

ثم قام بالأمر بعده، ابن عمه أبو العباس عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي بن المعتضد. بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقي بالله، ولما ولي الخلافة خلع على نوروز وفوض إليه تدبير المملكة. وفي أيامه قدم معز الدولة ابن بويه بغداد، فخلع عليه وفوض إليه ما وراء بابه، وضرب السكة بإسمه، وأمر أن يخطب له على المنابر، ولقبه بمعز الدولة، ولقب أخاه أبا الحسن علياً بعماد الدولة، وهو أكبر بني بوية، له خبر عجيب سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء المهملة، في لفظ الحية. ولقب أخاهم أبا الفتح بركن الدولة، وهو أوسطهم. وله خبر عجيب أيضاً يأتي إن شاء الله تعالى في باب الدال المهملة في لفظ الدابة.

وكان قدوم معز الدولة في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، وفيها كان خلع المستكفي بالله، وسبب ذلك أن معز الدولة بلغه أن المستكفي قد دبر على هلاكه، فدخل على المستكفي وقبل الأرض ثم قبل يديه، فطرح له كرسي فجلس عليه، ثم تقدم لديه جلان من الديلم ومدا أيديهما

إلى المستكفي، فظن أنهما يريدان تقبيل يده، فمدها إليهما، فجذباه من على السرير وجعلا عمامته في عنقه، ثم سحب إلى معز الدولة واعتقل ثم خلع، وسملت عيناه، وانتهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء. وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة. وتوفي في دار معز الدولة في سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وهو ابن ست وأربعين سنة وكانت خلافته سنة وأربعة شهور.

## خلافة أبي الفضل المطيع لله ابن المقتدر وهو السادس فخلع

ثم قام بالأمر بعده، ابن عمه أبو الفضل المطيع لله ابن المقتدر بن المعتضد. بويع له بالخلافة وله يومئذٍ أربع وثلاثون سنة، يوم خلع ابن عمه المستكفي بالله، وتدبير المملكة إلى معز الدولة بن بويه، وفي أيامه توفي معز الدولة ببغداد في سنة ست وخمسين وثلثمائة. وكانت مدة ملكه بالعراق إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً. كان ملكاً شجاعاً مقداماً قوي القلب، إلا أنه كان في أخلاقه شراسة، فما زالت التجارب تحنكه والسعادة تخدمه وترفعه، إلى أن بلغ الغاية التي لم يبلغها قبله أحد في الإسلام، إلا الخلفاء.

ولما توفي قام ولده عز الدولة بختيار بتدبير المملكة، وقلده المطيع لله موضع والده، وخلع عليه واستقل بالأمور. وفي أيامه أيضاً توفي كافور الاخشيدي صاحب مصر، في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة، وفيها قدم جوهر القائد، غلام المعز لدين الله صاحب القيروان، مصر. فأقام الدعوة بها للمعز لدين الله وبايعه بها الناس على ذلك. وانقطعت الخطبة بمصر عن بني العباس، وشرع جوهر القائد في بناء القاهرة لإسكان الجند بها، ثم دخل المعز لدين الله مصر لثمان مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلثمائة. وهو أول الخلفا الفاطميين، بمصر.

ولما تغلب سبكتكين التركي على بغداد، وكان أكبر حجاب معز الدولة، ولم تزل منزلته ترتفع عند معز الدولة، حتى عظم أمره ونفذت كلمته، وخاف المطيع لله منه على نفسه، وانضاف إلى ذلك أنه لازمه مرض، فخلع نفسه من الخلافة طائعاً، وسلمها لولده عبد الكريم وقيل أبي بكر وقيل إنها كنيته، وسماه الطائع لله وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ثم توفي بدير العاقول[1]، سنة أربع وستين وثلثمائة وكان بين خلعه وموته شهران. وكان عمره ثلاثاً وستين سنة وكان وطيء الجانب كثير الصدقات، غير أنه كان مغلوباً على أمره وليس له من الخلافة إلا الإسم وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وأربعة شهور رحمة الله تعالى عليه.

## خلافة أبي بكر عبد الكريم الطائع لله

ثم قام بالأمر بعده، ولده عبد الكريم أبو بكر الطائع لله، بويع له بالخلافة يوم خلع أبوه

---

(١) دير العاقول: دير بين مدائن كسرى والنعمانية بالقرب من بغداد.

نفسه، من الخلافة وعمره سبع وأربعون سنة، ولم يل الخلافة من بني العباس من هو أكبر سنا. قال صاحب رأس مال النديم: إنه لم يتقلد الخلافة مَنْ أبوه حي، سوء الطائع لله والصدِّيق رضي الله تعالى عنه، وكلاهما إسمه أبو بكر. وهو السادس، فخلع كما سيأتي إن شاء الله تعالى وذلك إذا لم يعد ابن المعتز وإن عد فالمطيع هو السادس، وقد خلع نفسه لما حصل له من الفالج، ولما ولي، أعني الطائع خلع على سبكتكين التركي، وولاه ما وراء بابه.

وفي أيام الطائع استولى الملك عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه، على بغداد وملكها، فخلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية، وتوجه وطوقه وسوره. وعقد له لواءين، وولاه ما وراء بابه. وتسلم عضد الدولة الوزير أبا طاهر بن بقية[1] وزير عز الدولة وصلبه، فرثاه أبو الحسن بن الأنباري[2] بمرثيه لم يسمع في مصلوب مثلها فلنأت بها وهي هذه[3]:

| | |
|---|---|
| علو في الحياة وفي الممات | لحق أنت إحدى المعجزات |
| كأن الناس حولك إذ أقاموا | وفود نداك أيام الصِّلات[4] |
| كأنك قائم فيهم خطيباً | وكلهم قيام للصلاة |
| مددت يديك نحوهم احتفاء | كمدكها إليهم بالهبات[5] |
| ولما ضاق بطن الأرض عن أن | يضم علاك من بعد الممات |
| أصاروا الجو قبرك واستعاضوا | عن الأكفان ثوب السافيات |
| لعظمك في النفوس تبيت ترعى | بحراس وحفاظ ثقات[6] |
| وتوقد حولك النيران قدما | كذلك كنت أيام الحياة[7] |
| ركبت مطية من قبل زيد | علاها في السنين الماضيات |
| وتلك قضية فيها تأس | تباعد عنك تعيير العداة[8] |
| ولم أرقبل جذعك قط جذعا | تمكن من عناق المكرمات |
| أسأت إلى النوائب فاستثارت | فأنت قتيل ثأر النائبات |
| وكنت تجيرنا من صرف دهر | فعاد مطالباً لك بالترات[9] |
| وصير دهرك الإحسان فيه | إلينا من عظيم السيئات |
| وكنت لمعشر سعداً فلما | مضيت تفرقوا بالمنحسات |
| غليل باطن لك في فؤادي | حقيق بالدموع الجاريات[10] |

(١) هو الوزير أبو الطاهر محمد بن محمد بن بقية بن علي ولقبه نصير الدولة، قبض عليه عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه، وسمل عينيه سنة ٣٦٦هـ بمدينة واسط. ثم قُتل وصلب أيام عضد الدولة سنة ٣٦٧هـ. ببغداد

(٢) ابن الانباري: أبو الحسن، محمد بن عمر بن يعقوب، من عدول بغداد، شاعر مقل كاتب، صوفي واعظ توفي سنة ٣٩٠ هـ.

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان: ٥/ ١٢٠.

(٤) في الوفيات: «. . . حين أقاموا».

(٥) في الوفيات: «كمدهما إليهم. . .».

(٦) في الوفيات: «بحفاظ وحراس ثقات».

(٧) في الوفيات: «وتشعل عنك النيران ليلاً».

(٨) في الوفيات: «وتلك فضيلة فيها. . .».

(٩) في الوفيات: «من صرف الليالي». والترات: الانتقام.

(١٠) في الوفيات: «يخفق بالدموع. . .».

ولـو أني قـدرت عـلى قـيـام ... بفـرضـك والحقـوق الـواجبـات
مـلأت الأرض مـن نـظم القـوافي ... ونـحت بهـا خـلاف الـنـائحـات
ولـكـني أصـبر عـنـك نـفسي ... مخـافـة أن أعـد مـن الجـنـاة
ومـالـك تـربـة فـأقـول تسقى ... لأنـك نصب هـطل الهـاطـلات
عـليـك تحـيـة الـرحمـن تـترى ... بـرحمـات غـواد رائـحـات

وتوفي الملك عضد الدولة بن بويه في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة، وهو ابن تسع وأربعين سنة وأحد عشر شهراً أو كان له ملك العراق وكرمان وعمان وخوزستان والموصل وديار بكر وحران ومنبج. وكانت مدة ملكه ببغداد خمس سنين. وكان ملكاً فاضلاً، جليلاً عظيماً، مهيباً صارماً، كريماً شجاعاً بطلاً ذكيا، وله في الذكاء أخبار عجيبة ونكت غريبة، ليس هذا موضع ذكره. وهو أول من تسمى بملك في الإسلام. ولما احتضر جعل يقول: ﴿**ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه**﴾[١] ويرددها حتى مات، ولما مات كتم موته ودفن بدار المملكة ببغـداد. ثم ظهر مـوته وأخرج من قبره، وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فدفن به. وكان عضد الدولة قد بنى المشهد قبل موته، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفهد. ومما يحكى أن عضد[٢] الدولة خرج يوماً إلى بستان له متنزهاً فقال: ما أطيب يومنا هذا لوساعـدنا فيه الغيث فجاء المطر في الوقت فقال[٣]:

لـيس شـربُ الـراح إلا في المـطر ... وغـنـاء مـن جـوار في الـسَّحَـر
نـاغـمات سـالـبـات لـلنهـى ... نـاغـمات في تضـاعيف الـوَتَـر[٤]
مـبرزات الـكـأس من مـطلعـهـا ... سـاقيـات الـراحَ من فـاق الـبشرْ
عـضـد الـدولـة وابـن ركـنـهـا ... مـلك الأمـلاك غـلاب القـدر[٥]
سـهـل الله لـه بـغـيـتـه ... في مـلوك الأرض مـا دار الـقـمـر
وأراه الخـير في أولاده ... لـيـسـاس الملك منهم بـالـغـررْ

فلم يفلح بعد هذه الأبيات وعوجل بقوله غلاب القدر، ولما مات عضد الدولة قام بتدبير المملكة بعده ولده بهاء الدولة فخلع عليه الطائع لله وقلده ما كان بيد أبيه.

ثم إن بهاء الدولة أمسك الطائع لله واعتقله، ونهب دار الخلافة ثم أشهد على الطائع بخلع نفسه من الخلافة. وذلك في شهر شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وأقام مخلوعاً معتقلاً إلى أن

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٢٩.

(٢) عضد الدولة، أبو شجاع فَنَاخُسرو، الملقب عضد الدولة بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه الديلمي، تسلم بلاد فارس بعد عمه عماد الدولة، وكان ممدّحاً جواداً.

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان: ٤/٥٤.

(٤) في الوفيات: غانيات سالبات للنهى ناعمات في...».

(٥) في البيت فساد في المعنى، فلا راد لقضاء الله وقدره، والله فعّال لما يريد. ويقال، إن عضد الدولة لم يعش بعد هذه الأبيات إلا أياماً ومات بالصَّرع.

توفي في ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر. وعمره ثمان وسبعون سنة وكان مربوعاً أشقر كبير الأنف شديد القوة في خلقه حدة، كريماً شجاعاً بطلاً جواداً سمحاً إلا أن يده كانت قصيرة مع ملوك بني بويه رحمة الله تعالى عليه.

## خلافة أبي العباس أحمد القادر بالله بن إسحاق

ثم قام بالأمر بعده، أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد. بويع له بالخلافة ليلة خلع الطائع لله وعمره يومئذ أربع وأربعون سنة. وكان كثير البرِّ والصدقات، مريدا للفقراء مؤثراً للتبرك بهم، لكنه كان مقهوراً على أمره. وتوفي في ذي القعدة، ويقال في ليلة الأضحى، ويقال ليلة الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة، وهو ابن ست وثمانين سنة وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وشهوراً قيل: هي ثلاثة، وقيل إنه كان ابن سبع وثمانين سنة.

وكان أبيض طويل اللحية. كبيرها يخضبها لشيبه. وكان دائم التهجد كثير الصدقات من الديانة على عفة اشتهرت عليه. له مصنف في السنة وذم المعتزلة والروافض. وكان يقرإ القرآن في كل جمعة مرة ويحضره الناس.

## خلافة أبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر بالله

ثم قام بالأمر بعده، ابنه أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر. بويع له بالخلافة يوم موت والده. وفي أيامه كان ابتداء دولة السلاطين السلجوقية، وانقراض دولة بني بويه، وكانت مدة ملكهم مائة وسبعاً وعشرين سنة، وذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة. ذكر ذلك ابن البطريق في تاريخه في حوادث سنة ست وأربعين.

وكان القائم بأمر الله أبيض اللون مليح الوجه مشرباً بحمرة، ورعا زاهداً عابداً، مريداً لقضاء حوائج المسلمين موقراً لأهل العلم، معتقداً في الفقراء والصالحين، حسن الطوية. ولم يقم أحد في الخلافة قدر إقامته، وكان كثير الصدقة، له فضل وعلم، من خيار الخلفاء لا سيما بعد عوده للخلافة، في نوبة البساسيري فإنه صار يكثر الصيام والتهجد. وما كان ينام إلا على سجادة وما تجرد من ثيابه لنوم قط. وتوفي القائم بأمر الله في سنة سبع وتسعين وأربعمائة لعشر ليال مضت من شعبان، وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر وقيل خمساً وأربعين سنة وأمه أرمنية رحمه الله تعالى.

## خلافة أبي القاسم المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم

ثم قام بالأمر بعده ولد ولده أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله. بويع له بالخلافة يوم وفاة جده القائم بأمر الله، في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة. وذلك أن جده كان لما مرض افتصد، فانفجر فصاده، وخرج منه دم عظيم، فخارت قوته وعجز. فطلب ابن ابنه وعهد إليه بالأمر ولقبه المقتدي بأمر الله بمحضر من الأئمة والعلماء،

وكان ولد بعد موت أبيه ذخيرة الدين، بستة أشهر وعمرت بغداد في أيامه، وخطب له بالحجاز واليمن والشام.

حكي: أن المقتدي قدم إليه يوماً طعام، فتناول منه وغسل يديه، وهو على أكمل حال وأحسن هيئة في نفسه وجسمه، وبين يديه قهرمانته شمس، فقال لها: ما هذه الأشخاص الذين دخلوا بغير إذن؟ فالتفتت فلم تر أحداً، ثم نظرت إليه فرأته قد تغير وجهه، واسترخت يداه وانحلت قواه وسقط إلى الأرض، فظنت أنه قد غشي عليه، فإذا هو قد مات. فأمسكت نفسها عن البكاء، واستدعت الخادم فاستدعى الوزير أبا منصور، فبكيا وأحضرا أبا العباس أحمد المستظهر بن المقتدي وكان قد عهد إليه أبوه فعزياه وهنآه. وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة. وكانت خلافته تسع عشرة سنة وأشهراً قيل: هي ثلاثة وقيل: إن عمره كان تسعاً وثلاثين سنة وكان موته في المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ويقال: إن جاريته سمته، وقد كان السلطان صمم على إخراجه من بغداد إلى البصرة وكانت حرمته وافرة بخلاف من كان قبله من الخلفاء رحمه الله تعالى.

## خلافة المستظهر بالله أبي العباس أحمد

ثم قام بالأمر بعده، ابنه المستظهر بالله أبو العباس أحمد. بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه. وكان مولده في سنة سبعين وأربعمائة، وكان المستظهر كريم الأخلاق سخي النفس محباً للعلماء، حافظاً للقرآن منكراً للظلم. وكان لين الجانب محباً للخير، جيد الأدب والفضيلة، قوي الكتابة مسارعاً في أعمال البر.

توفي لِسبعٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وخمسمائة. وله إحدى وأربعون سنة. وقيل اثنتان وأربعون أو ثلاث بعلة التراقي وهي الخوانيق وخلف أولاداً عدة، وتوفيت جدته أرجوان بعده بيسير في خلافة ابنه المسترشد وهي سرية محمد الذخيرة. وكانت خلافته أربعاً وقيل خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر رحمه الله تعالى.

## خلافة أبي منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر

ثم قام بالأمر بعده، ابنه أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله، بويع له بالخلافة يوم موت والده بعهد من أبيه، وسنه يومئذٍ سبع وعشرون سنة. وروي أنه ورد إليه رسل، فجلس لهم في جماعة من أهل بيته، فلما أحضروهم بين يديه، هجم عليهم الفداوية بالسكاكين فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه. يقال إن مسعوداً أخا السلطان محمود جهز عليه الفداوية. وذلك في سابع عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة. وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وقيل سبعة أو ستة أشهر وعاش أربعاً وأربعين سنة، وقيل خمساً وأربعين ولم يل الخلافة بعد المعتضد بالله أشهم منه. وكان بطلاً شجاعاً مقداماً شديد الهيبة ذا رأي وفطنة وهمة عالية ضبط الأمور وأحيا مجد بني العباس وجاهد غير مرة.

## خلافة أبي منصور جعفر الراشد بالله

هو السادس، فخلع كما سيأتي هذا إذا لم يعد ابن المعتز، وإلا فالسادس المسترشد، وقد هجم عليه قاعدته أي الباطنة، أرسلهم إليه السلطان سنجر الملقب ذا القرنين، فقتلوه ثم قام بالأمر بعده، يعني المسترشد، ابنه أبو منصور جعفر الراشد بالله بن المسترشد بن المستظهر. بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه، فمكث ما شاء الله ثم وقع بينه وبين السلطان مسعود. فاستخدم الراشد أجناداً كثيرة وتهيأ للقائه، فكاتب السلطان مسعود أتابك زنكي واستماله، وكذلك فعل بأرتقش فأشارا على الراشد بالتوقف، وأقبل السلطان مسعود بجيوشه، فدخل بغداد في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة. فنهب دور الجند، ومنع من نهب البلد. واستمال الرعية وأحضر القضاة والشهود فقدحوا في الراشد بأنه صدرت منه سيرة قبيحة من سفك الدماء المحرمة، وارتكاب المنكرات، وفعل ما لا يجوز فعله، وشهدوا عليه بذلك فحكم قاضي قضاة الممالك وهو ابن الكرخي، والعلم عند الله تعالى بخلعه، فخلعوه لأربع عشرة من ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة.

وكان الراشد قد هرب هو وأتابك زنكي، إلى الموصل فطلبه السلطان مسعود، فهرب إلى فارس ثم دخل أصبهان، فحاصرها وتمرض هناك، فوثب عليه جماعة من الفداوية فقتلوه. وله إحدى وعشرون سنة وقيل ثلاثون سنة. وكانت خلافته إلى أن خلع منها سنة إلا أياماً، وكان قتله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وهو صائم، في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان، وقيل: إنه كان قد سقي أيضاً، ودفن في جامع حيي. وخلف بضعاً وعشرين ولداً ذكراً، وخطب له بولاية العهد أكثر أيام أبيه، وكان شاباً أبيض مليحاً تام الشكل شديد البطش، شجاع النفس حسن السيرة شاعراً فصيحاً جواداً كريماً لم تطل دولته رحمة الله تعالى.

## خلافة أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله

ثم قام بالأمر بعده، عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بن المقتدي. بويع له بالخلافة يوم خلع ابن أخيه. ولقب بالمقتفي لأمر الله، وسبب لقبه بهذا أنه رأى النبي ﷺ في المنام، قبل خلافته بستة أشهر، وقيل بسنة، وهو يقول له: إنه سيصل إليك هذا الأمر فاقتف بي، وكان آدم اللون بوجهه أثر جدري، مليح الشيبة عظيم الهيبة، سيداً عالماً فاضلاً، ديناً حليماً شجاعاً، فصيحاً مهيباً خليقاً للإمارة، كامل السودد عظيم المملكة بيده أزمة الأمور كان لا يجري في خلافته أمر، وإن صغر إلا بتوقيعه. وكانت أمه حبشية، كتب في أيام خلافته ثلاث ربعات. وكانت وفاته بالخوانيق، في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسمائة. وهو ابن ست وستين سنة، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وقيل: خمساً وعشرين سنة وقد جدد باب الكعبة، وعمل لنفسه من العقيق تابوتاً دفن فيه. وقد رأيت فيما نقلته من خط صاحبنا الحافظ صلاح الدين خليل بن محمد الأقفهسي، فيما نقله من خط الصدر عبد الكريم، العلامة ابن العلامة علاء الدين القونوي أن القائم بالأمر بعد المقتفي المستظهر. كذا ذكره ولا أعلم من هذا المستظهر

فليحرر ذلك وقد ذكر الخلفاء كما هنا الذهبي على هذا الترتيب.

## خلافة أبي المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي

ثم قام بالأمر بعده، ابنه أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي، وكان أبوه ولاه العهد في سنة سبع وأربعين وخمسمائة. بويع له بالخلافة بعد موت أبيه بيوم وقيل بل يوم مات أبوه، قال ابن خلكان في ترجمته: وهنا نكتة لطيفة وهي أن المستنجد رأى في منامه، في حياة والده المقتفي أن ملكاً نزل من السماء، فكتب في كفه أربع خاآت، فطلب معبراً وقص عليه مارآه، فقال له: تلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك. وتوفي في سنة ست وسبعين وخمسمائة في ثامن شهر ربيع الثاني وحبس في حمام، وهو ابن ثمان وأربعين سنة وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وكان موصوفاً بالعدل والديانة وأبطل المكوس وقام كل القيام على المفسدين وله شعر وسط وأمه طاوس الكوفية أدركت دولته.

## خلافة المستضيء بنور الله بن المستنجد

ثم قام بالأمر بعده، ابنه أبو الحسن علي المستضيء بنور الله بن المستنجد. بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه، وخطب له بالديار المصرية واليمن، وكانت الدولة العباسية منقطعة منهما، من زمن المطيع، وكان جواداً كريماً مؤثراً للخير كثير الصدقات معظماً للعلم وأهله. وتوفي في سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وعاش تسعاً وثلاثين. وكان سمحاً جواداً محباً للسنة، أمنت البلاد في زمنه، وأبطل مظالم كثيرة، واحتجب عن أكثر الناس ولم يكن يركب إلا مع مماليكه ولم يكن يدخل عليه غير الأمير قيماز(١).

## خلافة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله

ثم قام بالأمر بعده، ابنه أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء. بويع له بالخلافة في بغداد يوم وفاة أبيه، في أول ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وعمره ثلاث وعشرون سنة فبسط العدل وأمر باراقة الخمور وكسر الملاهي وإزالة المكوس والضرائب. فعمرت البلاد، وكثرت الأرزاق،وقصد الناس بغداد، وتبركوا بـه. توفي سنـة اثنتين وعشرين وستمائة، وهـو ابن خمسين سنة وذلك في سلخ شهر رمضان، وحمل على أعناق الرجال إلى البدرية ودفن بها رحمة الله تعالى عليه.

وكانت خلافته سبعاً وعشرين سنة، وكان أبيض تركي الوجه، أقنى الانف مليحاً خفيف العارضين، أشقر اللحية رقيق المحاسن، فيه شهامة وإقدام وله عقل وكان فيه دهاء وفطنة، وتيقظ ونهضة بأعباء الخلافة. وكان في أكثر الليل يشق الدروب والأسواق. وكان الناس يتهيبون

(١) هو أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني، لقبه مجاهد الدين الخادم، وهو من أهل سجستان، وكان كثير الخير والصلاح مات سنة ٥٩٥ هـ.

لقاءه، وكان مستقلاً بالأمور في العراق، متمكناً من الخلافة، يتولى الأمور بنفسه. وما زال في عز وجلالة، واستظهار وسعادة، أظهر القسي والبندق والحمام في أيامه وهو أطول بني العباس خلافة وكان له عيون على كل سلطان، يأتونه بالأخبار. ويحكى أن بعض الكبار كان يعتقد فيه أن له كشفاً، وإطلاعاً على المغيبات وفي آخر أيامه أصابه الفالج بقي معه سنتين وذهب عنه وكان فيه عسف للرعية.

## خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله

ثم قام بالأمر بعده، ابنه محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله. بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، فعمل عزاءه ثلاثة أيام وأحسن إلى الناس وأبطل المكوس وأزال المظالم، وأرسل الخلع إلى أولاد الملك العادل أبي بكر بن أيوب، ثم إن حاجبه قرايغدي بلغه أنه يريد قتله، فهجم عليه وامسكه وأشهد عليه بالخلع، وقتله فعمل له العزاء في البلاد كلها لأجل إحسانه إليهم. وكان ذلك في سنة أربعين وستمائة، وهو ابن ثلاثين سنة. وكانت خلافته ثماني عشرة سنة. هكذا لقيت هذه الترجمة في النسخة التي نقلت منها وفيها تخليط لأنها تحتوي على بعض ترجمة الظاهر بأمر الله وبعض ترجمة المستنصر بالله وأظن أن ذلك من الناسخ. وهذه ترجمة كل واحد منهما على حدتهوالله الموفق.

فالظاهر بأمر الله، هو أبو النصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بنور الله حسن بن أبي الحسن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد العباسي. كان أبوه قد خطب له بولاية العهد، فلما توفي تسلم الخلافة، وبايعه الكبار في يوم موته.

وكان مولد في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ووفاته في ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وله اثنتان أو ثلاث وخمسون سنة، وكانت خلافته تسعة أشهر، وقيل نصفاً.

وكان جميل الصورة أبيض مشرباً بحمرة، حلو الشمائل شديد القوى، فيه دين وعقل ووقار، وخير وعدل، حتى بالغ فيه ابن الأثير فقال: لقد أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين. قيل له: ألا تتفسح وتتنزه؟ فقال لقد يبس الزرع. فقيل له يبارك الله في عمرك. فقال: من فتح دكانه بعد العصرايش يكسب؟ ثم قال: إنه أحسن إلى الرعبة، وبذل الأموال وأزال المظالم، وأبطل المكوس، وكان يقول: الجمع شغل التجار، أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال، اتركوني أفعل الخير فيكم ما بقيت أعيش. وقد فرق ليلة العيد مائة ألف دينار على العلماء والصالحين.

والمستنصر بالله هو أبو جعفر، منصور بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسي، أمه تركية. ولد في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه، بايعه إخوته، وكان أكبرهم، وبنوعمه، وهو إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة. مات في بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الثانية، سنة أربعين وستمائة. وكان مليح الشكل كأبيه، وكان أشقر ضخماً قصيراً، وخطه

الشيب فخضب بالحناء ثم ترك قال ابن الساعي[1]: حضرت بيعته فلما رفعت الستارة وشاهدته وقد كمل الله صورته،ومعناه كان أبيض مشرباً بحمرة أزج[2] الحاجبين، أدعج[3] العينين سهل الخدين، أقنى الأنف رحب الصدر، عليه ثوب أبيض، وقباء أبيض، وطرحة قصب بيضاء، فجلس إلى الظهر.

وبلغني أن عدة الخلع التي خلعها بلغت ثلاثة آلاف خلعة وخمسمائة خلعة وسبعين خلعة. وكانت خلافته وافرة الحشمة، وفيه عدل ودين وقمع للمتمردين، ونهضة بأعباء الخلافة، ووقف المدارس والمساجد وبذل الأموال ودانت له الملوك، وكان جده الناصر يحبه ويسميه القاضي لعقله ومحبته للحق. وأنشأ المدرسة التي لا نظير لها في الدنيا، واستخدم عسكراً عظيماً إلى الغاية حتى إن جريدة جيشه، بلغت نحو مائة ألف فارس استعداداً لحرب التتار، وقد خطب له بالأندلس وبعض بلاد المغرب.

وكانت خلافته سبع عشرة سنة، فالله يتغمده برحمته ومغفرته فلم يخلع هو ولا أبوه. وبهذا انقضت القاعدة إلا أن التتار كان أمرهم قد عظم في أيامها، فأخذوا جملة مستكثرة من بلاد الإسلام، وفقد جلال الدين خوارزم شاه في أيام المستنصر في وقعة كانت بينه وبين التتار، وهذا أعظم وأطم من الخلع. ثم لم ينتظم لبني العباس في العراق أمر بحيث إن من ولي بعد هؤلاء لم يكملوا العدة المشروطة، فإن الذي جاء بعدهم واحد وهو المستعصم بالله بن المستنصر وهوالذي قتله التتار. وانقرضت الدولة العباسية من العراق سنة ست وخمسين وستمائة، فإن المستعصم قتل في الثامن والعشرين من المحرم كما ستراه في ترجمته إن شاء الله تعالى.

## خلافة المستعصم بالله

ثم قام بالأمر بعده، المستعصم بالله وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسي، آخر الخلفاء العراقيين، وكانت دولتهم خمسمائة سنة وأربعاً وعشرين سنة.

وكان مولد أبي أحمد في خلافة جد أبيه، قال المؤلف رحمه الله تعالى: بويع له بالخلافة يوم قتل الظاهر البيعة العامة وذلك في جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة فظهر بهذه العبارة أن المؤلف جعل الترجمة السابقة للظاهر، ولم يجعل للمستنصر ترجمة وإن الناسخ نقل ذلك كما وجده. فالإعتماد على ما ذكرته من ترجمتها، وهو السادس فخلع وقتل، في أيام هولاكو، لما أخذ بغداد، سنة خمس وخمسين وستمائة وكان ذلك بمواطأة وزيره ابن العلقمي، وسوء تدبير المستعصم، واشتغاله بلعب الحمام،وبما لا يليق به. وكان قد خرج إلى هولاكو ومعه الفقهاء والصوفية فقتلوا عن آخرهم. وأخذ المستعصم فخلع ووضع في جوالق وضرب بالمرازب وقيل بمداق الجص إلى أن

---

(١) ابن الساعي: علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله، أبو طالب تاج الدين بن الساعي، مؤرخ ولد ومات في بغداد سنة ٦٧٤ هـ.

(٢) أزج الحاجبين: طويل الحاجبين مع دقتهما. (٣) أدعج العينين: أسود العينين.

مات. ولم ينتظم لبني العباس بعده أمر، وذلك في الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة.

وكان السبب في قتله أن الطاغية هولاكو بن قبلاي خان بن جنكزخان المغلي، لما كان في أوائل سنة ست وخمسين وستمائة قصد بغداد بجيش عرمرم، فخرج إليه الدويدار بالعسكر فالتقوا بطلائع هولاكو، وعليهم تايجو فانكسروا لقلتهم ثم أقبل تايجو فنزل غربي بغداد، ونزل هولاكو على شرقيها فأشار الوزير على الخليفة أن يخرج إلى هولاكو في تقرير الصلح، فخرج الكلب وتوثق لنفسه، ثم رجع فقال: إن هولاكو رغب في أن يزوج ابنته بابنك، وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية، ويرحل عنك فخرج الخليفة في أكابر الوقت، وأعيان دولته ليحضروا العقد، فضربوا رقاب الجميع، وقتل الخليفة. وكان حليماً كريماً سليم الباطن، قليل الرأي حسن الديانة، مبغضاً للبدعة وبالجملة ختم له بخير. فإن الكافر هولاكو أمر به وبولده أبي بكر فرفسا حتى ماتا. وذلك في حدود آخر المحرم، وكان الأمر أشغل من أن يوجد مؤرخ لموته أو لمواراة جسده. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وبقي الوقت بلا خليفة ثلاث سنين فلما كان في شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة بايع المصريون بمصر المستنصر بالله.

## خلافة المستنصر بالله أحمد بن الخليفة الظاهر بالله

هو أحمد بن الخليفة الظاهر بالله بن محمد بن الناصر العباسي الأسود. كانت أمه حبشية وكان بطلاً شجاعاً، قدم مصر فعرفوه، وهو عم المستعصم المقتول. نهض بإقامة دولته ومبايعته السلطان الملك الظاهر(١) ففوض أمر الأمة إليه. ثم خرجا إلى الشام ثم إن الخليفة فارقه من ثم، وسار بعسكر نحو ألف ليملك بغداد فكان القتال بينه وبين التتار في آخر السنة فعدم في الوقعة، وكان في خدمته الحاكم أبو العباس أحمد فانهزم إلى الشام.

## خلافة الحاكم بأمر الله

فلما كان في ثامن المحرم، سنة إحدى وستين وستمائة، عقد مجلس عظيم لعقد البيعة للخليفة، فأحضروا أبا العباس أحمد ابن الأمير أبي علي بن أبي بكر بن المسترشد بالله بن المستظهر بالله العباسي، فأثبت نسبه فعند ذلك مد السلطان الملك الظاهر يده وبايعه بالخلافة، ثم بايعه القضاة والأمراء. ولقب بالحاكم بأمر الله فلما كان من الغد خطب خطبة أولها: الحمد لله الذي أقام لبني العباس ركناً وظهراً، ثم كتب بدعوته وإمامته إلى الأقطار وبقي في الخلافة أربعين سنة وأشهراً وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ودفن عند السيدة نفيسة رحمة الله تعالى عليهما.

---

(١) هو الملك السلطان الظاهر بيبرس، تولى حكم مصر سنة ٦٥٨ هـ. وتوفي سنة ٦٧٦ هـ وله المواقع العظيمة مع الإفرنج والتتار والبطولات والفتوحات والجهاد ويكفيه أنه عزز الخلافة.

## خلافة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله

عهد إليه بالأمر أبوه الحاكم بأمر الله، وقرىء تقليده بعد عزائه بوالده، وخطب له على المنابر في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة واستمر في الخلافة تسعاً وثلاثين سنة. ومات بقوص في شعبان سنة أربعين وسبعمائة، وهو ابن بضع وخمسين سنة رحمة الله تعالى عليه.

## خلافة الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي بالله

كانت خلافته في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بويع للحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسي. وكان ولي عهد أبيه. هكذا ذكره الحسيني في ذيله على العبر، وذكر الذهبي في آخر ذيله عليه في سنة أربعين وسبعمائة أن المستكفي، لما مات بويع لأخيه إبراهيم بغير عهد واستمر الحاكم في الخلافة إلى أن أتاه حمامه وهو بالقاهرة في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

## خلافة المعتضد بالله

بويع له بالخلافة، بعهد من أخيه الحاكم بأمر الله، ولقب بالمعتضد بالله وهو أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي علي بن المسترشد بالله العباسي، فكانت خلافته نحوا من عشرين سنة ومات في رابع جمادي الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالقاهرة.

## خلافة المتوكل على الله

بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه بعهد منه، في سابع جمادى الثانية سنة ثلاث وستين وسبعمائة. وكان مولده في سنة نيف وأربعين وسبعمائة أو قريب منها.

وهو أبو عبد الله محمد وقيل حمزة المتوكل على الله بن المعتضد بالله العباسي، فاستقر في الخلافة إلى أن مات في شعبان سنة ثمان وثمانمائة غير أنه تخلل فيها أعوام خلع فيها، وبويع لقريبه زكريا بن إبراهيم في ثالث عشر صفر، سنة تسع وسبعين وسبعمائة ثم أعيد بعد شهر واستمر إلى شهر رجب سنة خمس وثمانين، فخلع وحبس وبويع لعمر بن المعتضد ولقب بالواثق ثم مات، فبويع لأخيه زكريا ولقب بالمستعصم واستمر المتوكل محبوساً إلى صفر سنة إحدى وتسعين، فأفرج عنه ثم ضيق عليه، ومنع الناس من الدخول إليه فلما كان في سابع عشر شهر ربيع الأول أفرج عنه، فلما كان اليوم الأول من جمادى الأولى بويع ونزل إلى داره وفي خدمته الأمراء القضاء وكان يوماً مشهوداً واستمر إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه.

## خلافة المستعين بالله

هو أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد أبي بكر بن

سليمان بن أحمد العباسي، عهد إليه أبوه بالخلافة، وكان قد عهد قبله لولده الآخر المعتمد على الله أحمد، ثم خلعه وولى هذا واستمر أحمد مخلوعاً إلى أن مات، فلما مات المتوكل، بويع ابنه العباس، في شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة واستمر في الخلافة إلى أن حوصر الملك الناصر فرج[1] بن برقوق بدمشق، وقيل: بويع له بالسلطنة مضافة إلى الخلافة في يوم السبت خامس عشر المحرم، سنة خمس عشرة وثمانمائة، اجتمع أهل الحل والعقد والقضاة والأمراء ومن حضر، فسألوه في ذلك فامتنع واشتد امتناعه وصمم، ثم إنه أجابهم إلى ذلك بعد أن توثق منهم بالأيمان، ولم يغير لقبه.

وضربت سكة الذهب والفضة بإسمه وتصرف بالولاية والعزل وفي الحقيقة إنما كانت إليه العلامة والخطبة فلما توجه العسكر إلى مصر كانت الأمراء كلهم في خدمته على هيئة السلطنة ولكن الحل والعقد للأمير شيخ[2]. فلما كان اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني دخل مصر، فشقها والأمراء بين يديه، وكان يوماً مشهوداً فاستمر إلى القلعة فنزلها ونزل شيخ في الإصطبل بباب السلسلة فلما كان في اليوم الثامن. ()[3] دخل شيخ والأمراء إلى القصر، وجلس الخليفة على تخت المملكة، وخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يعهد مثله، وفوض إليه أمر المملكة، ولقبه بنظام الملك. فكان يدعى لهما على المنابر في الحرمين وغيرهما.

وصار الأمراء إذا فرغوا من الخدمة في القصر، نزلوا إلى خدمة شيخ في الإصطبل، فأعيدت الخدمة عنده ووقع الإبرام والنقض، ثم يتوجه دويداره إلى الخليفة، فيعلم على المناشير والتواقيع، واستمر الأمر على ذلك مدة، وكان شيخ يظن أن الخليفة يتوجه إلى بيته ويستعفي من السلطنة، فلما لم يفعل أعرض عنه، ولم يبق عنده إلا من يخدمه من حاشيته، فلما كان في يوم الإثنين مستهل شعبان أحضر شيخ أهل الحل والعقد والقضاة والأمراء والمباشرين، فبايعوه بالسلطنة ولقبوه بالملك المؤيد أبي النصر ثم إنه صعد القصر وجلس على تخت المملكة فقبل الأمراء الأرض بين يديه وصافحه القضاة وأهل الوظائف، وأرسل إلى الخليفة يسأله أن يشهد عليه بتفويض السلطنة له على عادة من تقدمه، فأجابه بشرط أن يذهب إلى بيته، فلم يوافقه على ذلك أياماً ثم إنه نقله من القصر، وأنزله في دار من دور القلعة، ومعه أهله ووكل به من يمنع الناس من الدخول إليه، فلما كان في ذي القعدة قطع الدعاء للخليفة على المنابر. وكان قبل أن يلي السلطنة يدعى له مع السلطان واستمر في الخلافة إلى أن خلع في سنة ست عشرة فلما خرج المؤيد إلى نيروز[4] أرسله إلى

---

(١) الناصر فرج: هو الملك الناصر فرج بن برقوق بن أنس العثماني من ملوك الجراكسة في مصر بويع له بالسلطنة في مصر سنة ٨٠١ هـ، قُتل سنة ٨١٥ هـ.

(٢) شيخ: هو شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، أبو النصر، من ملوك الجراكسة في مصر. كان عاقلاً شجاعاً يقول الشعر، مشيّداً للعمائر. مات سنة ٨٢٤ هـ.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) نيروز الحافظي: نائب الديار الشامية أيام المؤيد الشيخ السالف الذكر، وقد تمرّد نيروز على المؤيد فجهز إليه جيشاً وقضى عليه سنة ٨١٧ هـ وقتل نيروز.

الإسكندرية فعقل بها، ولم يزل بها إلى أن استقر ططر[1] في المملكة، فأرسل في إطلاقه وأذن له في المجيء إلى القاهرة فاختار الإقامة في الاسكندرية، لأنها لاقت بحاله، واستطابها وحصل له بها مال جزيل، من التجارة فاستمر إلى أن مات فيها شهيداً بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

**فصل:** فيما يجب على من يصحب الخلفاء الراشدين، وأمراء المؤمنين، والملوك والسلاطين. قال الشعبي: قال لي عبد الله بن عباس، قال لي العباس: اي بني إني أرى هذا الرجل، يعني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، يقدمك على كثير من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني أوصيك بكلمات أربع لا تفشين لهم سراً، ولا تحدثنهم كذباً، ولا تطرين عندهم نصيحة، ولا تغتابن لديهم أحدا. قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة منهن خير من ألف، قال: إي والله، ومن عشرة آلاف. قال بعض الحكماء: إذا زادك السلطان إكراماً، فزده إعظاماً وإذا جعلك ولداً فاجعله سيداً، وإذا جعلك أخاً فاجعله والداً، ولا تدمن النظر إليه، ولا تكاسر من الدعاء له، ولا تتغير منه إذا سخط، ولا تغتر به إذا رضي ولا تلح في مسألته وقد قيل في المعنى:

قرب الملوك يا أخا البدر السني حظ جزيل بين شدقي ضيغم

قال الفضل بن الربيع[2]: من كلم الملوك في حاجة في غير وقتها، جهل مقامه وضاع كلامه، وما أشبه ذلك إلا بأوقات الصلاة، التي لا تقبل إلا في وقتها. قال خالد بن صفوان[3]: من صحب السلطان بالنصيحة والأمانة، كان أكبر عدو له، ممن صحبه بالفسق والخيانة، لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه، بالعداوة والحسد، فعدو السلطان يبغضه لنصيحته، وصديقه ينافسه في مرتبته. قال أفلاطون[4] الحكيم: إذا خدمت ملكاً، فلا تطعه في معصية ربك، فإن إحسانه إليك أفضل من إحسانه إليك، وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه بك. وقال رسول الله ﷺ: «من تواضع لغني لأجل غناه، ذهب ثلثا دينه». رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود وأنس بلفظ: «من أصبح حزيناً على الدنيا، أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبته فإنما يشكو ربه، ومن دخل لغني فتضعضع له، ذهب ثلث دينه».

وأخرج الديلمي، من حديث أبي ذر: «لعن الله فقيراً يتواضع لغني من أجل ماله. من فعل ذلك فقد ذهب ثلثا دينه». وقد قال ﷺ: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه».

وروى[5] أحمد عن بعض الصحابة مرفوعاً «إنك لا تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه».

---

(١) ططر: الظاهري الجركسي أبو سعيد، من ملوك الجراكسة في مصر، تقلد السلطنة سنة ٨٢٤ هـ، ومات في السنة ذاتها. وكان ديناً ليناً كريماً.

(٢) الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العبّاس، وزير أديب، على عهد الرشيد العباسي واستقر على الوزارة أيام الأمين. مات سنة ٢٠٨ هـ.

(٣) خالد بن صفوان.

(٤) افلاطون: فيلسوف اليونان الأول، صاحب الجمهورية الفاضلة.

(٥) رواه أحمد: ٥/٧٨، ٧٩.

وقال افلاطون الحكيم: من لم يعتبر بالتجارب، أوقعه الله في المهالك. وقال: كفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الأيام عظة. وقال: الملك كالنهر الأعظم تستمد منه الأنهار الصغار، فإن كان عذباً عذبت، وإن كان مالحاً ملحت. وسئل عن الرجل العاقل فقال: من اجتمعت فيه خصال الأدب، ولا يقهره الغضب، لأن العقل أصله التثبت في الأمور، وثمرته السلامة. وقال: السلطان كالسوق ما راج فيه حمل إليه، وصاحب الملك كراكب الأسد تهابه الناس، وهو لمركوبه أهيب. وقال: من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل. ومن أطلق بصره، طال أسفه، ومن طال أمله ساء عمله. ومن أطلق لسانه، قيد نفسه. ومن أصلح فاسده أرغم حاسده. ومن قاسى الأمور، فهم المستور. ومن أحب المكارم اجتنب المحارم. ومن حسنت به الظنون، رمقته الرجال بالعيون. وقال الأدب ينوب عن الحسب. العفو يفسد اللئيم، بقدر ما يصلح الكريم. من شاور ذوي الألباب، دل على الصواب. من أمل إنساناً هابه، ومن قصر عن شيء عابه. من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر عنها ظلم. ولا يستطيع أن يتقي الله من خاصم. من فرط في الأمانة ضدها عمل. من عرض نفسه لما قصر عنه فعله، فقد نقص في عين غيره. من جاد ساد، ومن ساد قاد، ومن قاد بلغ المراد. ظلم الأيامى واليتامى مفتاح العقر. لا يصلح للصدر إلا من يكون واسع الصدر. ما تاه إلا وضيع، ولا فاخر إلا لقيط، ولا تعصب إلا بخيل، ولا أنصف إلا كريم. الحاجة إلى الأخ المعين، كالحاجة إلى الماء المعين. الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا لوطف. أقرب الناس إلى الله، أكثرهم عفوا عند القدرة. وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه. من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ. من رضي بالقضاء، صبر على البلاء. من عمر دنياه ضيع ماله. ومن عمر آخرته بلغ آماله. القناعة عز المعسر، والصدقة كنز الموسر. من سره فساده ساء معاده. الشقي من جمع لغيره، وبخل على نفسه. الخير أجل بضاعة، والإحسان أفضل صناعة. من استغنى عن الناس، أمن من عوارض الإفلاس. من رفع حاجة إلى الله، استظهر في أمره. ومن رفعها إلى الناس وضع من قدره. من أبدى سر أخيه أبدى الله أسرار مساويه. أعص الجاهل تسلم، وأطع العاقل تغنم. ازدياد الأدب عند الأحمق، كازدياد الماء العذب في أصول الحنظلة، لا يزيدها إلا مرارة. مكتوب في الإنجيل: كما تدين تدان، بالكيل الذي تكيل تكال.

وكان بعض الخلفاء يتلطف في ادخال السرور على إخوانه، فيضع عندهم الصرة فيها ألف درهم، ويقول لبعضهم: امسكها حتى أعود إليك، ثم يرسل إليه بعض غلمانه فيقول له: أنت في حل من ذلك. وقال بعض الحكماء: أحزم الناس: من وقي نفسه بماله، ووفي دينه بنفسه، وأجود الناس: من عاش الناس في فضله. وأفضل اللذات التفضل على الإخوان. وقال: المعروف ذخيرة الأدب، والبر غنيمة الحازم، والخير عطر الأخيار من بذل ماله، استعبد أمثاله. ومن أذل فلسه، أعز نفسه. وإن صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكأ. وقال: إمام عادل خير من مطر وابل. وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم. وقال: فضل الملوك في الإعطاء، وشرفهم في العفو، وعزهم في العدل. والعدل هو نظام العالم.

وقال[1] ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل». فبدأ بالعدل، وقال عليه الصلاة والسلام: «عدل السلطان يوماً يعدل عبادة سبعين سنة». وقال عليه الصلاة والسلام: «عدل ساعة في الحكومة خير من عبادة ستين سنة». وقال ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإن جار كان عليه الإثم وعلى الرعية الصبر».

## خلافة المعتضد بالله أبي الفتح داود

بويع له بالخلافة في سابع عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة، عوضاً عن أخيه المستعين بالله، لما خلعه الملك السلطان المؤيد، فاستدعاه وأجلسه بينه وبين القاضي الشافعي صالح البلقيني وقرره في الخلافة فاستمر فيها إلى أن مات يوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثمانمائة وقد قارب السبعين بعد مرض طويل رحمة الله تعالى عليه.

## خلافة المستكفي بالله

هو سليمان أبو الربيع بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن سليمان بن أحمد العباسي. بويع له بالخلافة يوم مات أخيه شقيقه المعتضد بالله بعهد منه في العشر الأول من شهر ربيع الأول من سنة خمس وأربعين وثمانمائة. قال الشيخ صلاح الدين الصفدي[2] في شرح لامية العجم. قلت: وكذلك العبيديون الذين تسموا بالفاطميين، خلفاء مصر، فأول من ملك منهم بالمغرب المهدي، ثم القائم ثم إبنه المنصور ثم المعز وهو أول من ملك مصر منهم كما تقدم، ثم العزيز ثم كان السادس الحاكم فقتلته أخته. وسيأتي له ذكران شاء الله تعالى في باب الحاء المهملة في لفظ الحمار. ثم قال: وإنها لما قتلته ولت ابنه الظاهر، ثم كان المستنصر ثم المستعلي ثم الآمر ثم الحافظ، ثم كان السادس الظافر، فخلع وقتل، ثم ولي ابنه الفائز، ثم العاضد وهو آخرهم.

قال: وكذلك بنو أيوب في ملك مصر، فأولهم صلاح الدين الملك الناصر، ثم ابنه العزيز ثم أخوه الأفضل بن صلاح الدين ثم العادل الكبير أخو صلاح الدين، ثم الكامل ولده، ثم كان السادس العادل الصغير، فقبض عليه أرباب دولته وخلعوه، وولوا الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم ولده المعظم تورانشاه، وهو آخرهم.

قال: وكذلك دولة الاتراك، فأولهم: المعز عز الدين أيبك الصالحي، ثم ابنه المنصور، ثم المظفر قطز ثم الظاهر بيبرس، ثم ابنه السعيد محمد، ثم كان السادس العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، فخلع. ثم ملك السلطان المنصور قلاوون الألفي انتهى.

---

(١) رواه البخاري في الأذان: ٣٦، والزكاة: ١٦، والرقاق: ٥٤، والحدود ١٩. ورواه مسلم في الزكاة: ٩١، والترمذي في الزهد ٥٣. والنسائي في القضاء ٢.

(٢) الصفدي: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، أديب مؤرخ. توفي سنة ٧٦٤ هـ.

وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى دولة العبيديين، وغيرهم من ملوك مصر، على الإجمال مختصراً. وها أنا أذكرهم مفصلاً مبيناً، وذلك أن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله القداح، وذلك أنه كان يعالج العيون، ويقدحها ابن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قدم إلى سلمية، قبل وفاته، وكان له بها ودائع وأموال، من ودائع جدّه عبد الله القداح، فاتفق أنه جرى بحضرته ذكر النساء، فوصفوا له امرأة يهودي حداد، مات عنها زوجها، وهي في غاية الحسن والجمال، وله منها ولد يماثلها في الجمال، فتزوجها وأحبها وحسن موضعها منه، وأحب ولدها فعلمه فتعلم العلم، وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة، وكان الحسين يدّعي أنه الوصي، وصاحب الأمر، والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه ويراسلونه، ولم يكن له ولد، فعهد إلى ابن اليهودي الحداد، وهو عبيد الله المهدي أول من ملك من العبيديين. ونسبهم إليه، وعرفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأمر الدعاة، وأعطاه الأموال والعلامات، وأمر أصحابه بطاعته وخدمته، وقال: إنه الإمام والوصي، وزوجه بابنة عمه، فوضع حينئذٍ المهدي لنفسه نسباً: وهو عبيد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

بعض الناس يقول: إنه من ولد القداح، فلما توفي الحسين، وقام بعده المهدي، انتشرت دعوته، وأرسل إليه داعية بالمغرب يخبره بما فتح الله عليه من البلاد، وإنهم ينتظرونه فشاع خبره عند الناس، أيام المكتفي، فطلب فهرب هو وولده أبو القاسم نزار الملقب بالقائم، وهو يومئذ غلام ومعهما خاصتهما ومواليهما يريدان المغرب. فلما وصلا إلى افريقية أحضر الأموال منها، واستصحبها معه فوصل إلى رقادة في العشر الأخير من شهر ربيع الآخر، سنة سبع وتسعين ومائتين ونزل في قصر من قصورها، وأمر أن يدعى له في الخطبة يوم الجمعة في جميع تلك البلاد ويلقب بأمير المؤمنين المهدي وجلس للدعاء في يوم الجمعة. فأحضر الناس بالعنف، ودعاهم إلى مذهبه، فمن أجاب أحسن إليه ومن أبي حبسه.

فابتداء دولتهم سنة سبع وتسعين ومائتين، فأولهم المهدي عبيد الله ثم ابنه القائم نزار، ثم ابنه المنصور اسماعيل، ثم ابنه المعز معد، وهو أول من ملك مصر من العبيديين، وكان ذلك في سابع عشر شعبان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة. ودعي له فيها يوم الجمعة العشرين من شعبان على المنابر، وانقطعت خطبة بني العباس من الديار المصرية من يومئذ، وكان الخليفة العباسي إذ ذاك المطيع لله الفضل بن جعفر، وفي يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة، دخل المعز مصر بعد مضي ساعة من اليوم المذكور، وكل هذا جاء بطريق الاستطراد. فإن المقصود خلافه، ثم العزيز بن المعز، ثم ابنه الحاكم أبو العباس أحمد، وهو السادس من العبيديين، فقتل لأنه خرج عشية يوم الإثنين، سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة، وطاف على عادته في البلد، ثم توجه إلى شرقي حلوان، ومعه ركابيان، فردهما، وانتظره الناس إلى ثالث ذي القعدة، ثم خرجوا في طلبه، فبلغوا ذيل القصر، وأمعنوا في الطلب فشاهدوا حماره على ذروة الجبل مضروب اليدين بالسيف، فتتبعوا الأثر فانتهوا إلى بركة هناك، ونزل شخص فيها فوجد سبع حبات مزررة، وفيها أثر السكاكين، فلم يشكوا حينئذ في قتله، ثم ابنه الظاهر أبو الحسن علي ثم

ابنه المستنصر، ثم ابنه المستعلي، ثم ابنه الآمر، ثم الحافظ عبد المجيد بن أبي القاسم محمد بن المستنصر، ثم ابنه الظافر وهو السادس، فقتل، ولم يل الخلافة بعده منهم إلا اثنان: ابنه الفائز، ثم العاضد عبد الله بن يوسف بن الحافظ.

وانقرضت دولة العبيديين في سنة سبع وستين وخمسمائة، وذلك في أيام المستضيء بنور الله أبي محمد الحسن بن المستنجد العباسي.

وخلفهم بمصر السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ثم ابنه الملك العزيز عثمان، ثم أخوه الأفضل، ثم الملك العادل الكبير أبو بكر بن أيوب، ثم ابنه الملك الكامل محمد، ثم ابنه الملك العادل الصغير وهو السادس فخلع، ثم الملك الصالح أيوب بن الكامل، ثم ابنه الملك المعظم تورانشاه، ثم أخوه الأشرف يوسف وهو ابن شجرة الدر، ثم المعز أيبك، ثم ابنه المنصور، علي، ثم المظفر قطز وهو السادس فقتل. ثم الظاهر بيبرس، ثم ابنه السعيد محمد بن بركة خان، ثم أخوه العادل سلامش، ثم المنصور قلاون، ثم ابنه الأشرف خليل، ثم القاهر بيدر وهو السادس أقام نصف يوم وقتل، ثم الناصر بن المنصور فخلع مرة بالعادل كتبغا، وخلع نفسه مرة أخرى فتسلطن مملوك أبيه المظفر بيبرس، ثم العادل كتبغا، ثم المنصور لاجين، ثم المظفر بيبرس، ثم المنصور أبو بكر بن الناصر بن المنصور، ثم أخوه الأشرف كجك فخلع ثم قتل وهو السادس، ثم أخوهم الناصر أحمد، ثم أخوهم الصالح إسماعيل، ثم أخوهم الكامل شعبان، ثم أخوهم المظفر حاجي، ثم أخوهم الملك الناصر حسن، ثم أخوهم الملك الصالح صالح وهو السادس فخلع وسجن، وأعيد الملك لمن كان قبله، وهو الملك الناصر حسن، ثم المنصور علي بن الصالح، ثم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر، ثم المنصور علي بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر، ثم أخوه الصالح حاجي بن الأشرف، ثم الظاهر برقوق، ثم أعيد حاجي ولقب بالمنصور، ثم أعيد برقوق، ثم ولده الناصر فرج، ثم أخوه العزيز، ثم أعيد فرج فخلع وقتل. ثم الخليفة المستعين بالله العباسي، ثم الملك المؤيد أبو النصر شيخ، ثم ابنه الملك المظفر أحمد فخلع، ثم الملك الظاهر ططر، ثم ولده الملك الصالح محمد فخلع، ثم الملك الأشرف برسباي، ثم ابنه الملك العزيز يوسف فخلع، ثم الملك الظاهر جقمق، ثم ولده الملك المنصور عثمان فخلع، ثم الملك الأشرف أينال، ثم ولده الملك المؤيد أحمد فخلع، ثم الملك الظاهر خشقدم، ثم الملك الظاهر بلباي فخلع، ثم الملك الظاهر تمربغا فخلع، ثم الملك الظاهر خايربك فخلع من ليلته، ثم الملك الأشرف قايتباي، ثم ولده الملك الناصر محمد فقتل، ثم الملك الظاهر قانصوه خال الملك الناصر محمد فخلع، ثم الملك الأشرف جانبلاط فخلع وقتل، ثم الملك العادل طومان باي فخلع وقتل، ثم الملك الأشرف قانصوه الغوري، ثم السلطان سليم بن محمد بن بايزيد بن عثمان، ثم ولده السلطان سليمان، ثم ولده السلطان سليم، ثم ولده السلطان مراد، نصره الله نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً، بمحمد وآله ﷺ والحمد لله وحده، وقد أطلنا الكلام في ذلك ولكن لا يخلو من فائدة أو فوائد.

ولنرجع إلى ما قصدنا من الكتاب، والله تعالى الموفق للصواب، فنقول: وهو أي الأوز يجب السباحة في الماء، وفرخة يخرج من البيض، فيسبح في الحال، وإذا حضنت الأنثى، قام الذكر

يحرسها لا يفارقها طرفة عين وتخرج فراخها في أواخر الشهر. وفي المجالسة للدينوري والأذكياء[1] لأبي الفرج بن الجوزي عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء رجل إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فقال: يا نبي الله إن لي جيراناً يسرقون أوزي، فنادى: الصلاة جامعة، ثم خطبهم فقال في خطبته: وأحدكم يسرق أوز جاره، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه، فمسح رجل رأسه بيده، فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم.

وحكمه: حل الأكل بالإجماع.

الخواص: لحم الأوز والبط كثير الحرارة والرطوبة، وبقراط[2] الحكيم يقول: إنه أرطب الطير الحضري، وأجودها المخاليف، وهو يخصب الأبدان، لكنه يملؤها فضولاً ودفعُ ضررها نفخ البورق[3] في حلوقها، قبل الذبح، وهو يولد خلطاً بلغمياً، ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة، ويختار أن يطلى لحمها قبل الشي بالزيت، لتذهب زهومته، وفي طبخه أن يكثر من الأبازير الحارة ليزول غلظه وزهومته، لأنه كثير الفضول غير موافق للمعدة لعسر انهضامه، وهو لتكثيره الفضول يسرع إلى توليد الحميات. قال القزويني: إذا شويت خصية الأوز وأكلها الرجل وجامع زوجته من وقته فإنها تعلق بإذن الله تعالى. وفي جوفه حصاة تمنع من الاستطلاق، إذا شربها المبطون نفعته. ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب، إذا طليا به. وأكل لسانه ينفع من تقطير البول، إذا ديم عليه وغذاؤه جيد إلا أنه بطيء الهضم. وأما بيضه فمعتدل الحرارة، لكنه غليظ وأنفعه النيمبرشت لكنه يضر بأصحاب القولنج[4]، والرياح والدوار، وأكله بالصعتر والملح يدفع ضرره، وهو يولد دماً منتناً، ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة. وهو وبيض النعام غليظان بطيآ الانهضام. فمن أحب أكلها فليقنع بصفرتها ويجب أن يعلم أن الصفرة، من كل بيض، ألطف من البياض، والبياض أرطب من الصفرة، وأغذى البيض وألطفه ذو الصفرة، وأقله غذاء ما كان من دجاج لا ديك لها، وهذا النوع لا يتولد منه حيوان ولا مما يباض في نقصان القمر على الأكثر، لأن البيض من الاستهلال إلى الإبدار يمتلىء، ويرطب فيصلح للكون، وبالضد من الابدار إلى المحاق وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر بيض الحجل والدجاج في أماكنها.

الإلفة: السعلاة، وقيل الذئبة، وسيأتيان إن شاء الله تعالى في باب السين المهملة والذال المعجمة.

الإلق: بالكسر الذئب والأنثى القة وجمعها الق. وربما قالوا للقردة الالقة ولا يقال للذكر الق ولكن قرد ورباح.

الأودع: اليربوع. قاله الجوهري: وسيأتي إن شاء الله في باب الياء آخر الحروف.

الأورق: من الإبل الذي لونه بياض إلى سواد. قاله الجوهري وهو أطيب الإبل لحماً وليس بمحمود عندهم في عمله وسيره.

---

(١) الأذكياء: ١٧. وأبو الفرج هو عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفىّ سنة ٥٩٧ هـ في بغداد.

(٢) بقراط: طبيب وعالم يوناني. (٣) البُورَق: النطرون. (٤) القولنج: ألم الأمعاء.

**الأوس**: الذئب وبه سمي الرجل. وأويس إسم للذئب جاء مصغراً مثل الكُميت واللجين. قال الهذلي:

يـا ليت شعري عنـك والأمـر أمم — مـا فعـل اليـوم أويس بـالـغنم

وقال الكميت[1]:

كـما خـامـرت في حضنهـا أم عـامـر — لـذي الحبل حتى عـال أوس عيـالهـا

لأن الضبع، إذا صيدت ولها ولد من الذئب، لم يزل الذئب يطعم ولدها إلى أن يكبر. قاله الجوهري. قال وقوله: لذي الحبل، أي للصائد الذي يعلق الحبل في عرقوبها. وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في العسبار أيضاً.

روى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى حمزة بن أسد الحارثي، قال: «خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار إلى بقيع الغرقد، فإذا ذئب مفترش ذراعيه، فقال رسول الله ﷺ: هذا أويس فافرضوا له فلم يفعلوا» انتهى. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الذال المعجمة في لفظ الذئب قصة وافد الذئاب على رسول الله ﷺ. وبهذا سمي أويس بن عامر القرني أدرك النبـي ﷺ ولم يره، وسكن الكوفة وهو من أكبر تابعيها.

روى مسلم عن أسيـد بن جابـر عن عمر بن الخـطاب رضي الله تعـالى عنـه، أن رسول الله ﷺ قال: خير التابعين رجل يقال له أويس القرني، يأتي عليكم في أمداد أهل اليمن لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل[2]». فلما قدم على عمر رضي الله تعالى عنه سأله أن يستغفر له فاستغفر له الحديث بطوله. وقتل أويس يوم صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

وروى[3] أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه في الزهد عن الحسن البصري أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر». قال الحسن: هو أويس القرني، وهو منسوب إلى قَرَن بفتح الراء، قبيلة من مراد. وللجوهري رحمه الله في ذلك غلط مشهور.

وخرج ابن السماك عن يحيى بن جعفر، قال: حدثنا شبابة بن سوار قال: حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبيد الرحبي، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي مثل أحد الحيين ربيعة ومضر. قيل: يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟ قال رسول الله ﷺ: إنما أقول ما أقول[4]». قال فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه. وذكر القاضي عياض في الشفاء عن كعب أن لكل رجل من

---

(١) هو الكميت بن زيد الأسدي المتوفّى سنة والبيت في كتاب الحيوان للجاحظ: ١/١٩٨.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة: ٢٢٤. وابن حنبل: ١/٣٨ و٣/٤٨٠.

(٣) ابن حنبل ٤/٢١٢ ورواه مسلم في الزهد: ٣٨.

(٤) رواه الترمذي في القيامة: ١٢ وابن ماجه زهد: ٣٧. والدارمي رفاق: ٨٧، وأحمد: ٣/٦٣، ٤٦٩...

الصحابة شفاعة. وذكر ابن المبارك. قال: أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في أمتي رجل يقال له صلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا».

**ايلس**: قال القزويني[1] إنه نوع من السمك عظيم جداً و حيوانات البحر كلها تصاد سواه. ومن خواصه إنه إذا شوي وأكل منه شخصان معاً بينهما عداوة وخصومة تبدلت ألفة.

**الأيم والأين**: الحية وقال الأزرقي في تاريخ مكة الأيم الحية الذكر ثم روى بإسناده عن طلق بن حبيب قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما في الحجر إذ قلص الظل وقامت المجالس، وإذا نحن ببريق أيم طالع من باب بني شيبة، فأشرأبت له أعين الناس، فطاف بالبيت سبعاً وصلى ركعتين وراء المقام. فقمنا إليه وقلنا له: أيها المعتمر قد قضى الله نسكك وإن بأرضنا عبيداً وسفهاء وإنا نخشى عليك منهم، فمر ذاهباً نحو السماء فلم نره.

وفي الحديث[2]: «إنه أمر بقتل الأيم».

قال ابن السكيت أصله أيم فخفف مثل لين ولين وهين وهين والجمع أيوم وسيأتي إن شاء الله تعالى في الكعيب ما ذكره الأزرقي عقب هذا مما يشابهه.

**الأيّل**: بتشديد الياء المكسورة ذكر الأوعال والأيل لغة فية ويقال هو الذي سمي بالفارسية كوزن. وأكثر أحواله شبيه ببقر الوحش وهو إذا خاف من الصياد يرمي نفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك وعدد سني عمره عدد العقد التي في قرنه وإذا لسعته الحية أكل السرطان. ويصادق السمك فهو يمشي إلى الساحل ليرى السمك. والسمك يقرب من البر ليراه والصيادون يعرفون هذا، فيلبسون جلده ليقصدهم السمك فيصيدوا منه. وهو مولع بأكل الحيات، يطلبها حيث وجدها وربما لسعته فتسيل دموعه إلى نقرتين تحت محاجر عينيه، يدخل الإصبع فيهما فتجمد تلك الدموع، وتصير كالشمس، فيتخذ درياقاً[3] لسم الحيات، وهو الباد زهر الحيواني. وأجوده الأصفر وأماكنه بلاد الهند والسند وفارس. وإذا وضع على لسع الحيات والعقارب نفعها، وإن أمسكه شارب السم في فيه نفعه، وله في دفع السموم خاصية عجيبة. وهذا الحيوان لا تنبت له قرون إلا بعد مضي سنتين عن عمره، فإذا نبتت قرناه، نبتا مستقيمين كالوتدين وفي الثالثة يتشعبان ولا يزال التشعب في زيادة إلى تمام ست سنين، فحينئذ يكونان كالشجرتين في رأسه ثم بعد ذلك يلقي قرنيه في كل سنة مرة، ثم ينبتان فإذا نبتا تعرض بهما للشمس ليصلبا، وقال ارسطو: إن هذا النوع يصاد بالصفير والغناء، ولا ينام ما دام يسمع ذلك، فالصيادون يشغلونه

---

(١) القزويني: زكريا بن محمد بن محمود.

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٤ ومسلم في السلام: ١٢٨، ١٣٠، ١٣٧. وأبو داود في الأدب: ١٦٢ ورواه الترمذي في الصيد: ١٥ وابن ماجه في الطب: ٤٢ وابن حنبل: ٩/٢، ٤٥٢/٣، ٤٥٣.

(٣) الدرياق: علاج.

بذلك ويأتونه من ورائه، فإذا رأوه قد استرخت آذناه أخذوه. وذكره من عصب لا لحم ولا عظم، وقرنه مصمت لا تجويف فيه.

وهو في نفسه جبان دائم الرعب، وهو يأكل الحيات أكلا ذريعاً وإذا أكل الحية بدأ بأكل ذنبها إلى رأسها. وهو يلقي قرونه في كل سنة، وذلك الهام من الله تعالى، لما للناس فيها من المنفعة، لأن الناس يطردون بقرنه كل دابة سوء وييسر عُسر الولادة وينفع الحوامل، ويخرج الدود من البطن إذا أحرق منه جزء ولعق بالعسل، قاله في النعوت، ويسمن هذا الحيوان سمناً كثيراً فإذا اتفق له ذلك هرب خوفاً من أن يصاد.

تتمة: قال الزجاجي سئل ابن دريد[1] عن معنى قول الشاعر:

هجرتك لا قِلى مني ولكن ... رأيت بقاء ودك في الصدودِ
كهجر الحائمات الورد لما ... رأت أن المنية في الورود
تغيظ نفوسها ظمأ وتخشى ... حماماً فهي تنظر من بعيد
تصد بوجه ذي البغضاء عنه ... وترمقه بالحاظ الودود

فقال: الحائم الذي يدور حول الماء ولا يصل إليه. ومعنى الشعر أن الأيايل تأكل الأفاعي في الصيف، فتحمى وتلتهب لحرارتها فتطلب الماء، فإذا رأته امتنعت من شربه، وحامت عليه تتنسمه، لأنها لو شربته في تلك الحالة فصادف الماء السم الذي في أجوافها هلكت، فلا تزال تمتنع من شرب الماء، حتى يطول بها الزمان فيذهب ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها.

فيقول هذا الشاعر: أنا في تركي وصالك مع شدة حاجتي إليه بمثابة الحائمات التي تدع شرب الماء مع شدة حاجتها إليه، إبقاء على حياتها.

والزجاجي هو عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي، إمام النحو صحب أبا إسحاق الزجاج، فعرف به ونسب إليه. وصنف كتاب الجمل وطوله بكثرة الأمثلة ولم يشتغل به أحد إلا انتفع به، لأنه صنفه بمكة المشرفة وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً وسأل الله تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه. ومن كلامه ما حرم الله شيئاً إلا وأحل بازائه خيراً منه: حرم الميتة وأباح المذكي، وحرم الخمر وأباح النبيذ، وحرم السفاح وأباح النكاح، وحرم الربا وأباح البيع. توفي سنة سبع أو تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق، وقيل بطبرية وما أحسن قول أبي منصور موهوب الجواليقي[2] اللغوي:

ورد الورى سلسال جودك فارتووا ... ووقفت حول الورد وقفة حائم
حيران أطلب غفلة من وارد ... والورد لا يزداد غير تزاحم

وكان الجواليقي إماماً في فنون الأدب، وله تصانيف مفيدة وكان إماماً للخليفة المقتفي يصلي به الصلوات الخمس. ولما دخل عليه أول دخلة، قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله

---

(١) ابن دريد: أبو بكر مُحمد بن دريد اللغوي صاحب الجمهرة. المتوفى سنة ٣٢١ هـ.
(٢) البيتان مع ترجمته في وفيات الأعيان: ٣٤٣/٥.

وبركاته، فقال له الطبيب هبة الله بن صاعد بن التلميذ النصراني[1]: ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ! فلم يلتفت إليه الجواليقي، وقال للمقتفي: يا أمير المؤمنين سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية. وروى له خبراً في صورة السلام. ثم قال: يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المعتبر، لما لزمته كفارة الحنث، لأن الله تعالى ختم على قلوبهم، ولن يفك ختمه إلا الإيمان. فقال: صدقت وأحسنت. قال: فكأنما ألقم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه. ووجدت البيتين لابن الخشاب[2] من أبيات. توفي الجواليقي في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد.

الحكم: يحل أكله لأنه مستطاب كالوعل. ولم يذكره الرافعي في باب الأطعمة وإنما ذكره في باب الربا. فقال: وفي لحم الظباء مع الأيل تردد للشيخ أبي محمد، واستقر جوابه على إنهما كالضأن مع المعز، أي فلا يباع أحدهما بالآخر إلا مثلاً بمثل. انتهى.

وحكى المتولي في ذلك وجهين من غير ترجيح.

الخواص: إذا بخر بقرنه طرد الهوام وكل ذي سم، وإذا أحرق قرنه وسحق واستيك به قطع الصفرة والحفر من الأسنان، وشد أصولها، ومن علق عليه شيء من أجزائه لم ينم ما دام عليه وإذا جفف قضيبه وسقي هيج الباه. وإذا شرب دمه فتت الحصاة التي في المثانة والله تعالى أعلم.

ابن آوى: جمعه بنات آوى وكذلك ابن عرس وابن المخاض وابن اللبون تقول بنات عرس وبنات مخاض وبنات لبون وبنات آوى ولا ينصر قال الشاعر[3]:

ان ابن آوى لشديد المقتنص     وهو إذا ما صيد ريح في قفص

وكنيته أبو أيوب وأبو ذئيب وأبو كعب وأبو رائل وسمي ابن آوى لأنه يأوي إلى عواء أبناء الشجرة كقاضيان ويقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور، ولفظه مشتق من البزوان وهو طويل المخالب والأظفار يعدو على غيره، ويأكل مما يصيد من الطيور وغيرها. وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب، لأنه إذا مر تحتها وهي على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عدداً كثيراً.

الحكم: الأصح تحريم أكله، لأنه يعدو بنابه ولو قيل إن نابه ضعيف فيكون كالضبع والثعلب لكان مذهباً. وملخص ما فيه عندنا وجهان: الأصح في المحرر والمنهاج والشرح والحاوي الصغيرين التحريم. والثاني وهو اختيار الشيخ أبي حامد الحل. وسئل الإمام أحمد عنه؟ فقال كل ما نهش بأنيابه فهو من السباع. وبحظره قال أبو حنيفة وصاحباه.

---

(١) ابن صاعد بن التلميذ: هبة الله بن صاعد المتوفى سنة ٥٦٠ هـ.

(٢) ابن الخشّاب: عبد الله بن أحمد، من أهل بغداد، فقيه، مات سنة ٥٦٧ هـ.

(٣) في وفيات الأعيان: ١١٩/٢.

الخواص: إذا ترك لسانه في بيت وقعت الخصومة بين أهله. ولحمه ينفع من الجنون والصرع العارض في أواخر الشهر، وإذا علقت عينه اليمنى على من يخاف العين أمن ولم تضره عين عائن. وقلبه إذا علق على شخص أمن من سائر السباع بإذن الله تعالى والله تعالى أعلم.

## باب الباء الموحدة

**البابوس**: الصغير من أولاد الناس وغيرهم. قال ابن أحمر[1]:

حنّت قلوصي إلى بابوسها طرباً ... وما حنينك بل ما أنت والذّكَرُ

**البازي**: أفصح لغاته بازى مخففة الياء، والثانية باز، والثالثة بازي بتشديد الياء، حكاهما ابن سيده، وهو مذكر لا اختلاف فيه. ويقال في التثنية بازيان، وفي الجمع بزاة كقاضيان وقضاة. ويقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور، ولفظه مشتق من البزوان وهو الوثب. وكنيته أبو الأشعث وأبو البهلول وأبو لاحق، وهو من أشد الحيوانات تكبراً وأضيقها خلقاً. قال القزويني في عجائب المخلوقات: قالوا إنه لا يكون إلا أنثى وذكرها من نوع آخر كالحدا والشواهين، ولهذا اختلفت أشكالها روينا عن عبد الله بن المبارك إنه كان يتجر ويقول: لولا خمسة[2] ما اتجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية أي ليصلهم فقدم سنة فقيل له: قد ولي ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشيء، فأتي إليه ابن علية فلم يرفع رأسه إليه، ثم كتب إليه ابن المبارك يقول[3]:

يا جاعل العلم له بازيا ... يصطاد أموال المساكين
احتلْتَ للدنيا ولذاتها ... بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما ... كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها ... لترك أبواب السلاطين
أين رواياتك فيما مضى ... عن ابن عوف وابن سيرين[4]
إن قلت أكرهت فذا باطل ... زل حمار العلم في الطين

فلما وقف إسماعيل بن علية على الأبيات، ذهب إلى الرشيد ولم يزل به إلى أن استعفاه من القضاء فأعفاه.

وعبد الله بن المبارك إمام جليل زاهد عابد جمع بين العلم والعمل. ذكر ابن خلكان في

---

(١) ابن أحمر: هنيء بن أحمر، شاعر جاهلي من كنانة. والبيت في الشعر والشعراء: ٢٢٤ وفيه: فما حنينك أم ما أنت والذكَر.

(٢) الخمسة هم: سفيان بن سعيد الثوري المتوفى سنة ١٦١ هـ. وسفيان بن عيينة الهلالي المتوفى سنة ١٩٨ هـ. والفضيل بن عياض بن مسعود المتوفى سنة ١٨٧ هـ. وابن علية إسماعيل بن إبراهيم المتوفى سنة ١٩٣. وكلهم محدّثون.

(٣) الأبيات في وفيات الأعيان: ٣/٣٣.

(٤) ابن : محمد بن سيرين البصري، إمام وقته في علم الدين أشهر بالحديث والتعبير وفاته سنة ١١٠ هـ.

ترجمته قال: عطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله عز وجل، فقال له ابن المبارك: أي شيء يقول العاطس إذا عطس؟ قال الحمد لله. فقال ابن المبارك: يرحمك الله. فجعب الحاضرون من حسن أدبه، وقال أيضاً: قدم هارون الرشيد الرقة، فانحفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر الخشب، فلما رأت الناس قالت: من هذا؟ قالوا: عالم من أهل خراسان، يقال له عبد الله بن المبارك. فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَط وأعوان. وذكر غيره أن عبد الله بن المبارك استعار قلما من الشام، فعرض له سفر فسافر إلى انطاكية، وكان قد نسي القلم معه فتذكره هناك فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً حتى رد القلم إلى صاحبه وعاد.

وروي أن عند ذكره تنزل الرحمة توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثمانين ومائة رحمة الله تعالى عليه.

ومن أخبار الرشيد، أنه خرج يوماً إلى الصيد فأرسل بازياً أشهب فلم يزل يحلق حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه، ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان، فيه دواب بيض تفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه.

وهو خمسة أصناف البازي والزرق والباشق والبيدق والصقر. والبازي أحرها مزاجاً لأنه قليل الصبر على العطش، ومأواه مساقط الشجر العادية الملتفة والظل الظليل وهو خفيف الجناح، سريع الطيران وإناثه أجرأ على عظام الطير من ذكوره، وهذا الصنف تصيبه الأمراض وانحطاط اللحم والهزال. وأحسن أنواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما كما قال الناشيء(١):

لو استضاء المرء في ادلاجه ... بعينه كفته عن سراجه

ودونه الأزرق الأحمر العينين والأصفر دونهما ومن صفاته المحمودة: أن يكون طويل العنق، عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين، شديد الانخراط إلى ذنبه، وأن تكون فخذاه طويلتين مسرولتين بريش، وذراعاه غليظتين قصيرتين. وفرخ البازي يسمى غطريفا ويضرب بالبازي المثل في نهاية الشرف كما قال الشاعر:

إذا ما اعتزذوعلم بعلم ... فعلم الفقه أولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك ... وكم طير يطير ولا كباز

قال الشيخ الزاهد أبو العباس القسطلاني: سمعت الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم

---

(١) الناشيء: عبد الله بن محمد، الأنباري، أبو العباس. شاعر مجيد، اصله بغدادي، توفي في مصر سنة ٢٩٣ هـ البيت في وفيات الأعيان ٩٢/٣.

الأصبهاني إمام مقام إبراهيم بمكة يقول: سمعت الشيخ أحمد خادم الشيخ حماد يقول: دخل الشيخ عبد القادر على الشيخ حماد الدباس يزوره فنظر إليه الشيخ، وكان قد رأى أنه قد اصطاد بازيا فأثرت نظرة الشيخ فيه، فخرج من عنده وتجرد عن أسبابه وكان من أكابر أصحابه انتهى. ولهذا كان الشيخ عبد القادر يقول:

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها ... طرباً وفي العلياء باز أشهب

قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقاته: كان ابن شريح يقال له الباز الأشهب. وقال الوعيظي في أول قصيدته:

ليس المقام بدار الذل من شيمي ... ولا معاشرة الأنذال من هممي
ولا مجاورة الأوباش تجمل بي ... كذلك الباز لا يأوي مع الرخم

وأما الباشق بفتح الشين وكسرها فأعجمي معرب، وكنيته أبو الأخذ وهو أيضاً حار المزاج، يغلب عليه القلق والزعارة، يأنس وقتاً ويستوحش وقتاً وهو قوي النفس، فإذا أنس منه الصغير، بلغ صاحبه من صيده المراد وهو خفيف المحمل، ظريف الشمائل، يليق بالملوك أن تخدمه، لأنه يصيد أفخر ما يصيده البازي وهو الدراج والحمام والورشان، وهو كثير الشبق وإذا قوي عليه صيده لا يتركه إلا أن يتلف أحدهما. وأحمد صفاته أن يكون صغيراً في المنظر ثقيلاً في الميزان، طويل الساقين قصير الفخذين.

وأما البيدق فلا يصيد إلا العصافير، وهو قليل الغناء قريب في الطبع من العقصي قال أبو الفتح كشاجم[1] في المعنى:

حسبي من البزاة والبيادق ... ببيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق ... أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق في السرعة كل سابق ... ليس له في صيده من عائق
ربيته وكنت غير واثق ... أن الفرازين من البيادق

وأما العقصي فهو أصغر الجوارح نفساً، وأضعفها حيلة، وأشدها ذعراً، وأيبسها مزاجاً، يصيد العصفور في بعض الأحايين، وربما هرب منه. وهو يشبه الباشق في الشكل إلا أنه أصغر منه.

الحكم: يحرم أكله بجميع أنواعه «لنهيه ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطيور». رواه[2] مسلم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبهذا قال أكثر أهل العلم.

---

(١) كُشَاجِم: أبو الفتح، محمود بن حسين السندي، أديب كاتب شاعر من أهل الرملة بفلسطين. مات سنة ٣٦٠ هـ.

(٢) رواه مسلم في الصيد: ١٢، ١٥. والبخاري في الذبائح: ٢٨، ٢٩، وغيرهما.

وقال مالك والليث والاوزاعي ويحيى بن سعيد لا يحرم من الطير شيء واحتجوا بعموم الآيات المبيحة، ولم يثبت عند مالك حديث النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، فكان على الإباحة. قال الأبهري(١): ليس في ذي المخلب عن النبي ﷺ نهي صحيح. وقال غيره: لم يثبت حديث النهي عن أكل كل ذي مخلب من الطير لأن ميمون بن مهران رواه عن ابن عباس وسقط بينهما سعيد بن جبير، فصار هذا علة تحطه عن رتبة الصحيح. وقال إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه: يكره للمحرم استصحاب البازي، وكل صائد من كلب وغيره لأنه ينفر الصيد وربما انفلت فقتل صيداً، فإن حمله فأرسله على صيد فلم يقتله ولم يؤذه فلا جزاء عليه، لكن يأثم كما لو رماه بسهم فأخطأه فإنه يأثم بالرمي لقصده الحرام. ولا ضمان لعدم الإتلاف قال: وما فيه مضرة ومنفعة لا يستحب قتله لما فيه من المنفعة ولا يكره لعدوانه على الناس كالبازي والفهد والصقر والعقاب، ونحوها. ويصح بيع البازي وإجارته بلا خلاف لأنه طاهر منتفع به روى الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي فقال(٢): «ما أمسك عليك فكل».

**الأمثال**: قالت(٣) العرب: «وهل ينهض البازي بغير جناح». يضرب في الحث على التعاون والوفاق قال الشاعر(٤):

أخاك أخاك إن من لا أخاً له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناح

ومن ملح أمثال أبي أيوب سليمان بن أبي مجالد قال خالد بن يزيد الأرقط: بينما أبو أيوب في أمره ونهيه إذ طلبه المنصور فاصفر وارتعد، فلما خرج من عنده تراجع لونه وكان ذلك دأبه، كلما طلبه، فقيل له: إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه؟ فضرب لذلك مثلاً فقال: زعموا أن بازيا وديكا تناظرا فقال البازي للديك: ما أعرف أقل وفاء منك! فقال: وكيف؟ قال: لأنك تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك، وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا وههنا وصحت، وإن علوت حائط دار، كنت فيها سنين طرت وتركتها وصرت إلى غيرها، وأنا أؤخذ من الجبال، وقد كبر سني فأطعم الشيء القليل، وأونس يوماً أو يومين ثم أطلق، على الصيد فأطير وحدي، فآخذه وأجيء به إلى صاحبي، فقال له الديك: ذهبت عنك الحجة، أما لو رأيت بازيين في سفود ما عدت إليهم أبداً، وأنا كل يوم ووقت أرى السفافيد مملوأة ديوكا، وأقيم معهم فأنا أوفى منك لو كنت مثلك، وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرف، لكنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه إياكم، ثم إنه قتله في سنة

---

(١) الأبهري: هو المفضل بن عمر بن المفضّل الأبهري السمرقندي، نطقي اشتغل بالحكمة والطبيعيات والفلك. توفي سنة ٦٦٣ هـ.
(٢) رواه الترمذي في الصيد: ٣. والموطأ في الصيد: ٨.
(٣) المستقصى: ٣٩٢/٢.
(٤) البيت لمسكين الدارمي. العقد الفريد: ٣٠٤/٢.

أربع وخمسين ومائة، بعد أن عذبه وأخذ أمواله وكان قد تمكن من المنصور، غاية التمكن لاحسان فعله مع المنصور قبل خلافته ثم أبغضه، وهم أن يُوقع به وتطاول ذلك، وكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالماً.

قيل: إنه كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه سحراً فكان يدهن حاجبيه إذا دخل على المنصور، فصار مثلاً في العامة يقولون: دهن أبي أيوب قال في الجواهر الزواهر. وكان المنصور يوده كثيراً ويتبسم إليه وأنشد على ذلك لناصح الدين سعيد بن الدهان[1] سيبويه عصره في النحو قوله:[2]

لا تجعل الهزل دأبا فهو منقصة ... والجد تعلو به بين الورى القيم[3]
ولا يغرنك من ملك تبسمه ... ما سحت السحب إلا حين تبتسمُ

ومن محاسن شعره قوله[4]:

بادر إلى العيش والأيام راقدة ... ولا تكن لصروف الدهر تنتظر
فالعمر كالكأس يبدو في أوائله ... صفو وآخره في قعره كدر

وله أيضاً[5] ويقال إنه لابن طباطبا الطالبي:

تأمل نحولي والهلال إذا بدا ... لليلته في أفقه أينا أضنى
على أنه يزداد في كل ليلة ... نمواً وجسمي بالضنى دائماً يفنى

وله أيضاً:

والله لولا أن يقال تغيرا ... وصبا وإن كان التصابي أجدرا
لا عدت تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا

وكانت وفاته سنة تسع وستين وخمسمائة قال الغزنوي: الترائب جمع تريبة وهو موضع القلادة من الصدر، وزاد الكواشي وقيل: الصدر وقيل: النحر وقيل: أطراف الرجل.

الخواص: مرارته من اكتحل بها أمن من نزول الماء في عينيه. وإن شربت امرأة من زرق البازي مدافاً بماء أعان على الحبل، وإن كانت عاقراً.

وأما الباشق فدماغه ينفع من الخفيقان العارض من السوداء، إذا سقي منه وزن درهم بماء ورد، ومرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالاً.

---

(١) ابن الدهان: أبو محمد سعيد بن المبارك، النحوي البغدادي صاحب التصانيف المتوفى سنة ٥٦٩ هـ.

(٢) الأبيات جميعها في وفيات الأعيان مع ترجمة ابن الدهان: ٢/٣٨٣.

(٣) في الوفيات: «... والجد تغلوبه...». وفي البيت الثاني «... ما تصخب السحب...».

(٤) وفيات الأعيان ٢/٣٨٤.

(٥) وفيات الأعيان: ١/٤٥٥.

**التعبير**: البازي في المنام يدل على سلطان لمن هو من أهل الإمارة، فإن ذهب من يديه وبقي منه ساقه، ذهب ملكه وبقي ذكره. وإن بقي في يده شيء من الريش، بقي في يده شيء من المال. وذبح البازي ظفر بلص، وذبح البزاة يدل على موت الملوك، الذين يأخذون الأموال جهاراً، ولحوم البزاة أموال السلاطين، والبزاة للرجل السوقي رياسة وشرف. والباشق في المنام لص وقيل ولد ذكر.

**البازل**: البعير الذي فطر نابه أي انشق، ذكراً كان أو أنثى، وذلك في السنة الثامنة. والجمع: بزل وبزل وبوازل.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، «أن النبي ﷺ استقرض بكراً فرد بازلاً وقال: خيركم أحسنكم[1] قضاء» وروى الخطابي عن ابن خزيمة قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سئل ابن عيينة عن معنى قول[2] رسول الله ﷺ: «من استجمر فليوتر». فسكت ابن عيينة فقيل: أترضى بما قاله مالك؟ قال: وما قال مالك؟ قال: قال: الاستجمار الاستطابة بالأحجار. قال فقال ابن عيينة إنما مثلي ومثل مالك كما قال الأوّل:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

**الباقعة**: الداهية يقال رجل باقعة، إذا كان ذا دهاء. ونقل الهروي عن أبي عمرو أنه طائر حذر إذا شرب الماء يطير يمنة ويسرة. وفي حديث القبائل أن علياً قال لأبي بكر رضي الله تعالى عنهما: لقد عثرت من الأعراب على باقعة وفي حديث آخر ففاتحته فإذا هو باقعة.

**بالام**: روى البخاري ومسلم عن أبي الخدري عن النبي ﷺ قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة[3]». قال: فأتى رجل من اليهود، فقال: بارك الرحمن فيك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة. كما قال رسول الله ﷺ، قال فنظر رسول الله ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: بلى. قال: بالام ونون. قال: وما هما؟ قال: ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً».

هكذا عند البخاري سبعون بتقديم السين.

وفي صحيح مسلم في كتاب الطهار من حديث ثوبان. قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة، كاد يصدع منها فقال لم تدفعني؟ فقلت لم لا تقول رسول الله فقال اليهودي: إنا ندعوه بإسمه الذي سماه به أهله. فقال

---

(١) رواه ابن ماجه في التجارات: ٦٢ والصدقات: ١٦. ورواه البخاري في الأستقراض: ٤، ٦، ٧ وفي الوكالة: ٥، ٦. ورواه في المساقاة: ١١٨، ١٢٢. ورواه الترمذي في البيوع: ٧٣.

(٢) رواه البخاري في الوضوء: ٢٥، ٢٦. ومسلم في الطهارة: ٢٢، ٢٤ ورواه أبو داود في الطهارة: ١٩ والنسائي في الطهارة: ٧١.

(٣) رواه البخاري في الرفاق: ٤٤. ومسلم في المنافقين: ٣٠.

رسول الله ﷺ: إن إسمي محمد الذي سماني به أهلي. فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟ فقال: أسمع بأذني فنكت رسول الله ﷺ بعود معه وقال: سل. فقال اليهودي أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في «ظلمة دون[1] الحشر». فقال: فمن أول الناس إجازة يوم القيامة؟ قال ﷺ: «فقراء المهاجرين». قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون». قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا». قال: صدقت. وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلانبي أو رجل أو رجلان. قال: «أينفعك إن حدثتك؟ قال: اسمع بأذني. قال: سل. قال: أسألك عن الولد؟ قال ﷺ: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة، كان ذكراً بإذن الله تعالى، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، كان أنثى بإذن الله تعالى[2]». قال: صدقت إنك لنبي، ثم انصرف. فلما ذهب قال رسول الله ﷺ: «قد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله عزّ وجل».

وفي صحيح البخاري من حديث أنس قريب من هذا، وأن اليهودي هو عبد الله بن[3] سلام رضي الله عنه هكذا جاء الحديث مفسراً.

أما النون فهو الحوت وبه سمي يونس عليه السلام ذا النون. وأما بالام، فقد تكلفوا له شرحاً غير مرضي، ولعل اللفظة عبرانية. كذا قال في النهاية، وقال الخطابي: لعل اليهودي أراد التعمية فقطع الهجاء، وقدّم أحد الحرفين على الآخر وهي لام ألف وياء، يريد لأي بوزن لعي، وهو الثور الوحشي فصحف الراوي الياء بالباء، قال: وهذا أقرب ما يقع لي فيه. ا هـ والصحيح أنها لفظة عبرانية. وأما زيادة كبد الحوت، فهي القطعة المنفردة المتعلقة بها، وهي أطيبها وهؤلاء السبعون ألفاً يحتمل أنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ويحتمل أنه عبر بالسبعين ألفاً عن العدد الكثير من غير إرادة حصر ورواه النسائي في عشرة النساء أيضاً.

**البال**: سمكة تكون في البحر الأعظم، يبلغ طولها خمسين ذراعاً يقال لها العنبر، وليست بعربية قال الجواليقي: كأنها عربت. وقال في الصحاح: البال الحوت العظيم، من حيتان البحر ليس بعربي. وقال القزويني: البال سمكة طولها خمسمائة ذراع أو أكثر، تظهر في بعض الأوقات، طرف جناحها كالشراع العظيم وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف، فإذا أحسوا بها ضربوا بالطبول لتنفر عنهم، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تلصق بأذنها، فلا خلاص للبال منها، فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها حتى تموت، وتطفو على الماء كالجبل العظيم. ولها أناس من الزنج يرصدونها، فإذا وجدوها طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل، وشقوا بطنها واستخرجوا العنبر منها وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة ذكر هذا الحيوان وما يتعلق بالعنبر من الأحكام.

---

(١) رواه مسلم في الحيض: ٣٤. (٢) رواه مسلم في الحيض: ٣٤.

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف، صحابي، أسلم عند قدوم النبي ﷺ.

الببر: بباءين موحدتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ضرب من السباع يعادي الأسد من العدو لا من العدوان. ويقال له: البريد، ويقال له الفُرانق بضم الفاء وكسر النون. وهو هندي معرب شبيه بابن آوى، ويقال إنه متولد من الزبرقان واللبوة ومن طبعه أن الأنثى منه تلقح من الريح، ولهذا كان عدوه كالريح ولا يقدر أحد على صيده، وإنما تسرق جراؤه فتجعل في مثل القوارير من زجاج، ويركض بها على الخيول السابقة، فإذا أدركهم أبوها ألقوا إليه قارورة منها فيشتغل بالنظر إليها، والحيلة في إخراج ولده منها فيفوته بقيتها فيربى حينئذ، ويألف الصبيان ويأنس بالأنس، وهو يألف شجرة الكافور كثيراً فإذا كان عندها لم يستطع أحد أن يأخذ منها شيئاً لكنه يفارقها في زمن معلوم، فإذا علم أهل تلك النواحي بذلك أتوا إلى الشجرة وأخذوا منها الكافور.

الحكم: يحرم أكله لأنه يتقوى بنابه.

الخواص: من أصابه سرسام أو برسام، يطلي رأسه بمرارة الببر مضروبة بالماء، ينفعه نفعاً بيناً. وإذا تحملتها المرأة لا تحمل أبداً وإذا كانت حاملاً أسقطت، وكعبه يشد على الزند فلا يتعب حامله أبداً، ولو سار كل يوم عشرين فرسخاً. وجلده يجلس عليه من به حب القرع يزول عنه. وذكر في ربيع الأبرار أن الببر على صورة الأسد الكبير وهو أبيض يلمع بصفرة وخطوط سود وقال ارسطو: الببر سبع مهيب يكون بأرض الحبشة خاصة لا بغيرها.

الببغاء: بثلاث باآت موحدات أولاهنّ وثالثتهنّ مفتوحتان والثانية ساكنة وبالغين المعجمة وهي هذا الطائر الأخضر المسمي بالدرة، بدال مهملة مضمومة، قاله في العباب وضبطها ابن السمعاني[1] في الأنساب بباءين بفتح الأولى وبإسكان الثانية. وقال: لقب بها أبو الفرج[2] الشاعر لفصاحته، وقال القضاعي: للثغة كانت في لسانه، وهي في قدر الحمام يتخذها الناس للانتفاع بصوتها، كما يتخذون الطاووس للانتفاع بصوته ولونه. ومن الببغاء، نوع أبيض وقد أهدي لمعز[3] الدولة بن بويه درة بيضاء اللون، سوداء المنقار والرجلين على رأسها ذؤابة فستقية، وجميع أنواعها معدوم سوى الأخضر فهو الموجود الآن.

وهو حيوان دمث الخلق، ثاقب الفهم، له قوة على حكاية الأصوات وقبول التلقين، يتخذه الملوك والأكابر لينم بما يسمع من الأخبار، ويتناول مأكوله برجله، كما يتناول الإنسان الشيء بيده. والناس يحتالون في تعليمه بطرق عدة: قال أرسطاطاليس: إذا أردت تعليم الببغاء الكلام، فخذ مرآة واجعلها أمامها، فترى صورتها أي صورة نفسها، ثم تكلم من ظاهر المرآة وتعاودها،

= المدينة وفاته سنة ٤٣ هـ بالمدينة.

(١) ابن السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور، مؤرخ، رحّالة، محدّث. توفي سنة ٥٦٢ هـ.

(٢) ابو الفرج الببغاء: عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي. شاعر وكاتب من اهل نصيبين. له منادمات مع الملوك. مات سنة ٣٩٨ هـ.

(٣) معز الدولة: أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام، من سلالة سابور ذي الأكتاف الساساني، ويقال له الأقطع، تولى كرمان وسجستان والأهواز وبغداد لفترة مات في بغداد سنة ٣٥٦ هـ.

فإنها تعيد الكلام. وقال ابن الفقيه[1]: رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال ورأيت فيها صنفاً من الببغاء أحمر وأبيض وأصفر، يعيد الكلام بأي لغة كانت قال أبو إسحاق الصابي[2] في وصفها:

أنعتها صبيحة مليحة ... ناطقة باللغة الفصيحة
عدت من الأطيار واللسان ... يوهمني بأنها إنسان
تنهي إلى صاحبها الاخبارا ... وتكشف الاسرار والاستارا
بكماء إلا أنها سميعه ... تعيد ما تسمعه طبيعة
زارتك من بلادها البعيدة ... واستوطنت عندك كالقعيدة
ضيف قراه الجوز والارز ... والضيف في اتيانه يعز
تراه في منقارها الخلوقي ... كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين ... في النور والظلمة بصاصين
تميس في حلتها الخضراء ... مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الأقفاص ... ليس لها من حبسها خلاص
نحبسها وما لها من ذنب ... وإنما ذاك لفرط الحب
تلك التي قلبي بها مشغوف ... كنيت عنها واسمها معروف
يشرك فيها شاعر الزمان ... الكاتب المعروف بالبيان
ذلك عبد الواحد بن نصر ... تقيه نفسي حادثات الدهر

فأجابه أبو الفرج بقوله:

من منصفي من محكم الكتاب ... شمس العلوم قمر الآداب
أمسى لأصناف العلوم محرزا ... وسام أن يلحق لما برزا
وهل يجارى السابق المقصر ... أو هل يبارى المدرك المغرزْ

إلى أن قال في وصفها:

ذات شغا تحسبه ياقوتا ... لا ترتضي غير الأرزقوتا
كأنما الحبة في منقارها ... حبابة تطفو على عقارها

وقال[3] القاضي ابن خلكان في ترجمة الفضل بن الربيع: إن أحمد بن يوسف الكاتب كتب إلى بعض إخوانه وقد ماتت له ببغاء، وله أخ كثير التخلف يسمى عبد الحميد:

أنت تبقى ونحن طراً فداكا ... أحسن الله ذو الجلال عزاكا

---

(١) ابن الفقيه: عبد الواحد بن ابراهيم بن الحسن، شاعر، فاضل موصللي مات سنة ٦٣٦ هـ.

(٢) الصابىء: ابراهيم بن هلال بن زهرون الحرّاني، أبو إسحاق الصابىء اديب من المقدمين تقلد دواوين الرسائل والمظالم للمطيع العباسي. ومات سنة ٣٨٤ هـ. ولم يسلم وبقي على صابئيته. الأعلام: ١/٧٨.

(٣) وفيات الأعيان: ٤/٣٧.

فلقد جل خطب دهر أتاكا بمقادير أتلفت ببغاكا
عجباً للمنون كيف أتتها وتخطت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أجمل للمو ت من الببغا وأولى بذاكا[1]
شملتنا المصيبتان جميعا فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال الزمخشري: إن الببغاء تقول: ويل لمن كانت الدنيا همه.

**الحكم**: يحرم أكلها على الأصح في الرافعي، ونقله في البحر عن الصيمري[2]، وأقره وعلل ذلك بخبث لحمها، وقيل: حلال لأنها تأكل من الطيبات، وليست من ذوات السموم ولا من ذوات المخلب، ولا أمر بقتلها ولا نهي عنه. وقطع المتولي بجواز استئجارها للأنس بصوتها. وحكى البغوي في ذلك وجهين. وكذا كل ما يستأنس بصوته كالعندليب وغيره.

**الخواص**: من أكل لسان الببغاء، صار فصيحاً جريئاً في الكلام. ومرارتها تثقل اللسان أكلا. ودمها يجفف ويسحق وينثر بين الصديقين، تظهر بينهما العداوة. وذرقها بخلط بماء الحصرم، ينفع من الظلمة والرمد اكتحالاً.

**التعبير**: الببغاء في المنام رجل نحس كذاب. وقيل رجل فيلسوف، وفرخه ولد فيلسوف وقيل: وهي جارية أو غلام يتيم.

**البج**: من طير الماء وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الجنس أجمع في باب الطاء المهملة.

**البجع**: الحوصل. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء وقد أحسن الشاعر حيث قال فيه ملغزا:

ما طائر في قلبه يلوح للناس عجب
منقاره في بطنه والعين منه في الذنب

قال التميمي[3] في منافع القرآن: من كتب على جلد حوصلة البجع بماء ورد أو بماء مطر قوله[4] تعالى: ﴿**وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون**﴾ ثم جعل ذلك على صدر النائم من رجل أو امرأة فإنه يخبر بكل ما عمل.

**البخزج**: بالباء الموحدة والزاي والجيم ولد البقرة الوحشية.

**البجاق**: كغراب الذئب الذكر.

---

(١) الأبيات جميعاً في وفيات الأعيان: ٤/ ٤٠. وفيه: «كان عبد الحميد أصلح للموت».
(٢) الصيمري: الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله، قاض فقيه، وكان شيخ الحنفية في بغداد. مات في بغداد سنة ٤٣٦ هـ.
(٣) التميمي: عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث فقيه حنبلي مات سنة ٣٧١ هـ.
(٤) سورة القصص: الآية ٦٩.

**البخت**: من الإبل معرب. وبعضهم يقول: هو عربي الواحد الذكر بختي، والأنثى بختية، وجمعه بخاتي، غير مصروف لأنه بزنة جمع الجمع، ولك أن تخفف الياء فتقول البخاتي. وكذا كل ما أشبهها مما واحده مشدد يجوز في جمعه التشديد والتخفيف: كالعواري والسواري والعلالي والأواني والأثافي والكراسي والمهاري وشبهها. وممن ذكر هذه القاعدة ابن السكيت[1] في إصلاحه والجوهري[2] في صحاحه، قال ابن السكيت: والأثفية بثاء مثلثة مفرد الأثافي وهي الأعمدة الثلاثة تتخذ لوضع القدر عليها حال الطبخ ومن كلام العرب رماه الله بثالثة الأثافي يعني الجبل لأن الإنسان إذا لم يجد إلا إثنتين جعل الثالثة الجبل، فعبروا بثالثة الأثافي عن الجبل. والبخاتي جمال طوال الأعناق.

روى أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد من حديث جنادة بن أبي أمية قال: كنا مع بسر بن أرطاة في البحر فأتي بسارق قد سرق بختية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول[3]: «لا تقطع الأيدي في السفر ولولا ذلك لقطعته».

وفي صحيح مسلم من حديث زهير عن جرير بن سهل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[4] في صفة النساء، اللائي يأتين في آخر الزمان: «رؤوسهن كأسنمة البخت لا يجدن ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام».

وفي المستدرك، من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «سيكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر[5]، حتى يأتوا أبواب مساجدهم نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات».

وفي الكامل في ترجمة فضل بن مختار البصري عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي». قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: إنها لناعمة يا رسول الله ﷺ: «أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر[6]».

**البدنة**: جمعها. بدن بضم الدال وإسكانها جاء القرآن وممن ذكر الضم الجوهري رحمه الله. وهو ما أشعر من ناقة أو بقرة. سميت بذلك لأنها تبدن أي تسمن. وقال النووي: هي البعير ذكراً كان أو أنثى وشرطها أن تكون في سن الأضحية عند الفقهاء وعند اللغويين، أو أكثرهم، تطلق على الإبل والبقر. وقال الأزهري: تكون في الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم أبدانها ويشهد لاختصاصها بالإبل، ما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

---

(١) ابن السِّكِّيت: يعقوب بن إسحاق أبو يوسف إمام في اللغة والأدب. مات سنة ٢٤٤ هـ.

(٢) الجوهري: إسماعيل بن حمّاد، أبو نصر، لغوي خطاط. نحوي، وقد حاول الطيران ومات في سبيل ذلك سنة ٣٩٣ هـ. أهم كتبه «الصحاح» معجم لغوي.

(٣) رواه أبو داود: في الحدود ١٩، والنسائي: سارق ١٦.

(٤) رواه مسلم في اللباس: ١٢٥ وفي الجنة: ٥٢، ورواه أحمد: ٢/٢٢٣، ٣٥٦.

(٥) المياثر: الفرش.

(٦) رواه أحمد: ٣/٢٢١.

قال[1] : «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة».

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه، «في الساعة الرابعة بطة، وفي الخامسة دجاجة، وفي السادسة بيضة».

ووصف الكبش بالقرن لأنه أكمل وأحسن صورة وجمع البدنة بدن. قال[2] تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ أي من أعلام دين الله، لكم فيها خير. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي نفع في الدنيا وأجر في الآخرة.

حج صفوان بن سليم وليس معه إلا سبعة دنانير، فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال: إني سمعت الله تعالى يقول[3]: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾ وأول من أهدى البدن إلى البيت الحرام الياس بن مضر، وهو أول من وضع مقام إبراهيم عليه السلام للناس بعد غرق البيت وانهدامه، زمن نوح عليه السلام. فكان الياس أوّل من ظفر به فوضعه في زاوية البيت ولم تزل العرب تعظم الياس بن مضر إلى أن مات. ولما مات أسفت عليه زوجته خندف أسفاً شديداً وحرمت الرجال، والطيب ونذرت أن لا تقيم ببلدة مات فيها ولا يأويها بيت، فلم تزل سائحة حتى هلكت حزناً. وكانت وفاته يوم الخميس، فنذرت أن تبكيه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس. قال السهيلي: ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمناً». وذكر أن الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج.

وروى مسلم عن موسى بن سلمة الهذلي قال: انطلقت أنا وسنان بن سلمة معتمرين، قال وانطلق سنان ومعه بدنة يسوقها فأرجفت عليه بالطريق فغمني شأنها إذ هي أبدعت أي كلّت، فأتينا إلى ابن عباس نسأله فقال: على الخبير سقطت بعث رسول الله ﷺ بست عشرة بدنة، مع رجل وأمره فيها فقال: يا رسول الله وما أصنع بما أبدع علي منها قال[3] ﷺ: «انحرها ثم اصبغ نعلها في دمها ثم اجعله على صفحتها، ولا تأكل منها أنت ولا أحد من رفقتك». وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء الكلام على الهدى.

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له[4]: «اركبها قال: يا رسول الله إنها بدنة قال: اركبها،

---

(١) رواه البخاري في الجمعة: ٤،٣١. ورواه مسلم في الجمعة: ١٠، ٢٤. ورواه أبو داود في الطهارة: ١٢٧. والترمذي في الجمعة، والنسائي في الجمعة: ١٣، ١٤ والدارمي في الصلاة: ١٩٣.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٦.

(٣) رواه مسلم في الحج: ٣٤٨ و٣٤. والبخاري في الحج: ١٢٠،١٢١. وأبو داود في المناسك: ٢٠. وابن ماجة في المناسك: ٩٧.

(٤) رواه النسائي في الحج: ٧٣، ٧٤. وابن ماجه في المناسك: ١٠٠. وأحمد في: ٣/٢٤٥، ٢٥٤، ٢٧٨ والموطأ في الحج: ١٣٥.

قال: إنها بدنة، قال: اركبها ويلك في الثانية أو في الثالثة وفي رواية ويلك اركبها ويلك اركبها».

وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال إذا أردت أن تنحر البدنة فأقمها، ثم قل الله أكبر أللهم منك وإليك ثم سم وانحرها وكذلك في الأضحية.

وفي الصحيحين[١] عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها فقال: ابعثها قائمة مقيدة سنة محمد ﷺ. وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال[٢]: «أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القرو قرب إلى رسول الله ﷺ خمس بدنات أو ست ينحرهن فطفقن يزدلفن إليه أيتهن يبدأ بها».

وفي ركوب البدنة مذاهب للعلماء: فذهب الشافعي إلى أنه يركبها إذا احتاج ولا يركبها من غير حاجة وإنما يركبها بالمعروف من غير اضرار بها. وبهذا قال ابن المبارك وابن المنذر وجماعة. وقال مالك وأحمد: له ركوبها من غير حاجة. وبه قال عروة بن الزبير وإسحاق بن راهويه. وقال أبو حنيفة: لا يركبها إلا أن لا يجد منه بدا. وحكى القاضي عن بعض العلماء أنه يجب ركوبها لظاهر الأمر ودليل الجمهور أن النبي ﷺ «أهدي ولم يركب هديه، ولم يأمر الناس بركوب الهدايا». وقول النبي ﷺ: «ويلك» هذه الكلمة أصلها لمن وقع في هلكة فقال له ذلك لأنه كان محتاجاً قد وقع في جهد وتعب وقيل: هذه الكلمة تجري على اللسان وتستعمل من غير قصد إلى ما وضعت له أولاً وهي كقولهم لا أم له، لا أب له، تربت يداه، قاتله الله عِقري حلقي وما أشبه ذلك.

**البذج**: بالذال المعجمة من أولاد الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز وجمعه بدجان قال الشاعر:

قد هلكت جارتنا من الهمج ... وإن تجع تأكل عتوداً أو بذجْ

قال الجوهري ومراده بالهمج، سوء التدبير في المعاش. وفي الحديث «يخرج رجل من النار كأنه بذج ترعد أوصاله» وروى ابن المبارك عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ[٣]: قال: «يجاء برجل يوم القيامة كأنه بذج من الذل، فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول له: أعطيتك وخوّلتك وأنعمت عليك، فماذا صنعت؟ فيقول: رب جمعته ونميته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به، فيقول الله تعالى: أرني ما قدمت فإذا هو عبد لم يقدم خيراً فيمضي به إلى النار». خرجه ابن العربي المالكي في سراج المريدين. وقال: حديث صحيح من مراسيل الحسن. قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، رواه الترمذي عن إسماعيل بن مسلم المكي، وهو رواه عن الحسن، والبذج بباء موحدة مفتوحة وذال معجمة ساكنة ثم جيم من أولاد الضأن شبه به هذا لما يأتي به من الذل والحقارة انتهى.

---

(١) رواه البخاري في الحج: ١١٨ ومسلم في الحج: ٣٥٨.

(٢) رواه أبو داود في المناسك: ١٩.

(٣) رواه الترمذي في القيامة: ٦ ورواه أحمد: ٢/١٠٥. ولفظه: «يُجاء بابن آدم.»

وفي مسند أبي يعلى الموصلي، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بابن آدم يوم القيامة، كأنه بذج من الذل فيقول الله تعالى: أنا خير قسيم يا ابن آدم انظر إلى عملك الذي عملت لي فأنا أجزيك به، وانظر إلى عملك الذي عملت لغيري فإن جزاءك على الذي عملت له». ورواه[1] الحافظ أبو نعيم في ترجمة الربيع بن صبيح مرفوعاً.

والبذج كلمة فارسية تكلمت بها العرب وعن بعض الأعراب أنه وجد متعلقاً باستار الكعبة وهو يقول أللهم أمتني ميتة أبي خارجة فقيل له: وكيف مات أبو خارجة؟ قال: أكل بذجاً وشرب مشعلاً ونام شامساً فلقي الله تعالى شبعان ريان دفآن. المشعل أناء ينبذ فيه.

**الأمثال**: قالوا[2]: «فلان أذل من بذج» لأنه أضعف ما يكون من الحملان.

**البراق**: الدابة التي ركبها سيد المرسلين ﷺ ليلة الاسراء وركبها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. مشتقة من البرق الذي يلمع في الغيم. كما روي في حديث[3] المرور على الصراط. «فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم من يمر كالفرس الجواد».

وفي الصحيح أنه دابة دون البغل وفوق الحمار، أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه، ويؤخذ من هذا أنه أخذ من الأرض إلى السماء في خطوة وإلى السموات السبع في سبع خطوات. وبه يرد على من استبعد من المتكلمين احضار عرش بلقيس في لحظة واحدة، وقال: إنه أعدم ثم أوجد وعلله بأن المسافة البعيدة لا يمكن قطعها في هذه اللحظة، وهذا أوضح دليل في الرد عليه. قال السهيلي: ومما يسأل عنه شماس البراق حين ركبه ﷺ فقال له جبريل عليه السلام: أما تستحي يا براق فما ركبك عبد قبل محمد أكرم على الله منه؟ قال ابن بطال: إنما كان ذلك لبعد عهده بالأنبياء، وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. ونقل النووي عن الزبيدي في مختصر العين وعن صاحب التحرير، أنها دابة كان الأنبياء عليهم السلام يركبونها. ثم قال: وهذا الذي قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح. وقال صاحب المقتفي: والحكمة في كونه على هيئة بغل ولم يكن على هيئة فرس، التنبيه على أن الركوب كان في سلم وأمن لا في حرب وخوف، أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب في دابة لا يوصف شكلها بالإسراع فإن قيل: ركب ﷺ البغلة في الحرب، فالجواب أن ذلك كان لتحقيق نبوّته وشجاعته ﷺ.

قال: وكان البراق أبيض وكانت بغلته شهباء، وهي التي أكثرها بياض إشارة إلى تخصيصه بأشرف الألوان قال: واختلف الناس هل ركب جبريل عليه السلام معه ﷺ؟ فقيل: نعم، كان رديفه ﷺ. قال: والظاهر عندي أنه لم يركب معه لأنه ﷺ هو المخصوص بشرف الإسراء، لكن روي أن إبراهيم عليه السلام كان يزور ولده إسماعيل على البراق وأنه ركبه هو وإسماعيل وهاجر، حين أتى بهما البيت الحرام. وفي أواخر المستدرك عن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

---

(١) رواه الترمذي في القيامة: ٦ وابن حنبل: ٢/١٠٥.
(٢) جمهره الأمثال: ١/٣٨٢.
(٣) رواه أحمد: ٣/١٧٨.

«أتيت بالبراق فركبت خلف جبريل[1]». إلى أن قال: تفرد به أبو حمزة ميمون الأعور، وقد اختلفوا فيه، وفيه في ذكر مناقب فاطمة الزهراء رضي الله عنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تبعث الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة على الدواب ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر، ويبعث صالح على ناقته، وأبعث على البراق خطوها عند أقصى طرفها، وتبعث فاطمة أمامي» وقال أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصفهاني، في كتاب الحجة إلى بيان المحجة: إن قيل لم عرج البراق به ﷺ إلى السماء ولم ينزل عند منصرفه عليه؟ فالجواب أنه عُرج به عليه إظهاراً لكرامته، ولم ينزل عليه إظهاراً لقدرة الله تعالى. وقيل: دل بالصعود على النزول به عليه كقوله[2] تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ يعني: والبرد وكقوله: بيده الخير أي والشر. وقال حذيفة: ما زايل ظهر البراق حتى رجع.

ثم إن البراق يوم القيامة يركبه النبي ﷺ دون سائر الأنبياء يدل لذلك ما رواه الحاكم قريباً وما رواه أبو الربيع بن سبع السبتي في شفاء الصدور عن سويد بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «حوضي أشرب منه يوم القيامة أنا ومن استسقاني من الأنبياء عليهم السلام، ويبعث الله تعالى لصالح ناقته يحلبها ويشرب هو والذين آمنوا معه، ثم يركبها حتى يوافي بها الموقف ولها رغاء» فقال له رجل يا رسول الله وأنت يومئذ على العضباء؟ قال ﷺ: «تلك تحشر عليها ابنتي فاطمة، وأنا أحشر على البراق، أخص به دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».

واختلف الناس في تاريخ الإسراء، فقال ابن الاثير: الصحيح عندي إنه كان ليلة الإثنين لسبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وبهذا جزم شيخ الإسلام محي الدين النووي في شرح مسلم وجزم في فتاويه في كتاب الصلاة بأنه كان في شهر ربيع الآخر. وفي سير الروضة أنه كان في رجب وإنما كان ليلاً لتظهر الخصوصية بين جليس الملك نهار أو جليسه ليلاً.

قال أهل التاريخ: ولد النبي ﷺ عام الفيل، وأقام في بني سعد خمس سنين ثم توفيت أمه بالأبواء، وهو ابن ست سنين، وكفله جده عبد المطلب. ثم توفي وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب، وخرج معه إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم خرج ﷺ في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة، ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث ﷺ وهو ابن أربعين سنة. وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً. وتوفيت خديجة رضي الله تعالى عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام، ثم خرج ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضي الله عنها، فأقام به شهراً ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدي. فلما أتت له خمسون سنة قدم عليه جن نصيبين[3] فأسلموا. فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسرى به ﷺ.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان: ٢٥٩ والنسائي في الصلاة: ١٠.

(٢) سورة النحل: الآية ٨١.

(٣) نصيبين قاعدة ديار ربيعة.

وهاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وهي السنة الثالثة عشرة من بعثته ﷺ، وقيل هاجر في الرابعة عشرة من بعثته ﷺ، ومعه أبـو بكر الصـديق ومولاه عـامر بن فهـيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط. وهذه السنة عليها مبني التاريخ الإسلامي وهي سنة أحد.

وفيها آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة رضي الله عنهم واتخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخا. وفيها أتمت صلاة الحضر، وقصرت صلاة السفر، وفيها تزوج علي فاطمة رضي الله تعالى عنها وفي سنة اثنتين كانت غزوة ودان وهو إسم مكان، وغزوة بواط وهي من ناحية رضوى، وغزوة العشيرة، وغزوة بدر الأولى وكانت في جمادى الآخرة، وغزوة بدر الكبرى وهي التي قتل فيها صناديد قريش، وأعز الله تعالى بها الدين، وكانت يوم الجمعة ثالث عشر رمضان، وغزوة بني سليم، وكانت في ذي الحجة، خرج ﷺ يريد أبا سفيان فلم يلفه، وفي سنة ثلاث كانت غزوة بني غطفان وغزوة نجران، وغزوة قينقاع وغزوة أحد وغزوة حمراء الأسد. وفي سنة أربع كانت غزوة بني النضير وغزوة ذات الرقاع وفي سنة خمس كانت غزوة دومة الجندل وغزوة الخنـدق وغزوة بني قريظة، وفي سنة ست كانت غزوة بني لحيان وغزوة بني المصطلق، وفي سنة سبع اتخذ النبـي ﷺ المنبر وغزا غزوة خيبر، وفيها كانت قصة فدك وهي مشهورة وكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة. وفي سنة ثمان كانت غزوة مؤتة وفتح مكة المشرفة، وغزوة حنين وغزوة الطائف، وقسمة أموال هوازن. وفي سنة تسع كانت غزوة تبوك، وفي سنة عشر كانت حجة الوداع، ونحر فيها بيده الشريفة ﷺ ثلاثاً وستين بدنة، وأعتق ثلاثاً وستين رقبة هي عدد سني عمره. وفي سنة إحدى عشرة كانت وفاته ﷺ، وكان ابتداء الوجع في مستهل شهر ربيع الأل وتوفي في الثاني عشر منه.

وعاش ﷺ ثلاثاً وستين سنة وكانت مدة مقامه في المدينة عشر سنين، وقد تقدم ذكر ذلك في باب الهمزة في الكلام على الاوز. وكان أولاده ﷺ كلهم من خديجة رضي الله تعالى عنها، إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية وهم: الطيب والطاهر والقاسم وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وإبراهيم سلام الله ورضوانه عليهم أجمعين. فأما الذكور فماتوا كلهم أطفالاً. ولم يتزوج ﷺ في حياة خديجة غيرها، فلما ماتت تزوج سودة بنت زمعة رضي الله عنها وعائشة رضي الله تعالى عنها. ولم يتزوج ﷺ بكراً غيرها وماتت رضي الله تعالى عنها في أيام معاوية رضي الله تعالى عنه، سنة ثمان وخمسين عن سبع وستين سنة. وتزوج ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما سنة ثلاث وتوفيت في أيـام عثمان رضي الله تعـالى عنه. وتـزوج ﷺ زينب بنت خزيمـة وتوفيت في حياته ﷺ لم يمت عنده من نسائه غيرها، وغير خديجة رضي الله تعالى عنها. وتزوج ﷺ أم سلمة رضي الله تعالى عنها سنة أربع، وأمها عاتكة عمة رسول الله ﷺ، وتوفيت سنة تسع وخمسين في أيام معاوية أيضاً رضي الله تعالى عنده، وقيل توفيت سنة إحدى وستين في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين رضي الله تعالى عنه. وتزوج ﷺ زينب بنت جحش في سنة خمس وتوفيت في سنة عشرين في أيام عمر رضي الله عنهما، وهي أول أزواجه ﷺ لحوقاً به. وتزوج أم حبيبة وإسمها رملة بنت أبي سفيان وتوفيت سنة أربع وأربعين في أيام أخيها معاوية رضي الله تعالى

عنها. وتزوج جويرية بنت الحارث المصطلقية، وتوفيت سنة ست وخمسين في أيام معاوية. وتزوج ميمونة بنت الحارث في سنة سبع، وتوفيت سنة أربعين ومات عليه الصلاة والسلام عن تسع.

**البرذون**: بكسر الباء وبالذال المعجمة، والجمع براذين والأنثى برذونة وكنيته أبو الأخطل. كني به لخطل أذنيه وهو استرخاؤهما، بخلاف أذن الفرس العربي، وهو الذي أبو أعجميان، والأعجمي من الناس الذي لا يفصح الكلام عجمياً كان أو عربياً ألا تراهم قالوا زياد[1] الأعجم، لعجمة كانت في لسانه، وهو عربي قال ﷺ: «صلاة النهار عجماء لإخفاء القراءة فيها». لكن قال النووي إنه حديث باطل ويطلق العجمي والأعجمي على من ليس من أهل الكلام، قال ﷺ: «العجماء جرحها جُبار» وهي[2] الدابة المنفلتة. وإلا فالإجماع على تضمين السائق والقائد. وقال صاحب منطق الطيران: البرذون يقول كل يوم: أللهم إني أسألك قوت يوم بيوم.

وروى الحاكم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «كأني بالترك وقد أتتكم على براذين مجدّعة الآذان حتى تربطها بشط الفرات». وروي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه مر بمروان وهو يبني في داره بالمدينة، قال: فجلست إليه، والعمال يعملون فقلت ابنوا مشيداً وأملوا بعيداً وموتوا قريباً. فقال مروان إن أبا هريرة يحدث العمال فماذا تقول لهم يا أبا هريرة؟ قال: قلت ابنوا مشيداً وأملوا بعيداً وموتوا قريباً، يا معشر قريش ثلاث مرات اذكروا كيف كنتم أمس، وكيف أصبحتم اليوم تخدمون، أرقاؤكم فارس والروم، كلوا خبز السميذ واللحم السمين، لا يأكل بعضهم بعضاً، ولا تكادموا تكادم البراذين، وكونوا اليوم صغاراً تكونوا غداً كباراً، والله لا يرتفع رجل منكم في الدنيا درجة إلا وضعه الله يوم القيامة درجة وانشد السراج الوراق في مناهج الفكر في أوصاف الخيل المذمومة:

لصاحب الأحباس برذونة ... بعيدة العهد عن القرط
إذا رأت خيلاً على مربط ... تقول سبحانك يا معطي
تمشي إلى خلف إذا ما مشت ... كأنما تكتب بالقبطي

قال الجاحظ: سألت بعض الأعراب أي الدواب آكل؟ قال: برذونة رغوث.

وفي أواخر الجزء الخامس من الغيلانيات، وفي المستدرك في كتاب اللباس عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أتي رجل إلى رسول الله ﷺ على برذون وعليه عمامة وقد أرخى طرفها

---

(١) زياد الأعجم: هو زياد بن سليمان، أبو أمامة العبدي من شعراء الدولة الأموية جزل الشعر، مات في خراسان سنة ١٠٠ هـ.

(٢) رواه البخاري في الديات: ٢٨، ٢٩ والزكاة: ٦٦. ورواه مسلم في الحدود: ٤٥، ٤٦. وأبو داود في الديات: ٢٧. والترمذي في الزكاة: ١٦ والنسائي في الزكاة: ٢٨، ٤٠.

بين كتفيه، فسألت رسول الله ﷺ عنه؟ فقال: «هل رأيته»؟ قلت نعم. قال[1]: «ذاك جبريل أمرني أن أمضي إلى بني قريظة». وقال في الكامل، في حوادث سنة خمس عشرة. لما افتتح عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس، وقدم إلى الشام أربع مرات: الأولى على فرس، والثانية على بعير، والثالثة رجع لأجل الطاعون، والرابعة على حمار، وكتب إلى امراء الأجناد أن يوافوه بالجابية[2]، فركب فرسه فرأى به عرجاً فنزل عنه، وأتى ببرذون فركبه، فجعل يتجلجل به أي يزهو في مشيته، فنزل عنه وصرف عنه وجهه، وقال: لا علّم الله من علّمك هذه الخيلاء. ثم ركب ناقته ولم يركب برذوناً بعده ولا قبله أبداً.

وكان عمر رضي الله تعالى عنه لما أراد الخروج إلى الشام، استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فقال له علي: أنت تخرج بنفسك إلى هذا العدوّ الكلب؟ فقال عمر رضي الله تعالى عنه: أبادر بالجهاد قبل موت العباس رضي الله تعالى عنه، إنكم إذا فقدتم العباس رضي الله تعالى عنه انتقض بكم الشر، كما ينتقض الحبل، فمات العباس رضي الله تعالى عنه لست سنين من خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه وانتقض بالناس الشر كما قال عمر رضي الله تعالى عنه.

وفي وفيات الأعيان في ترجمة[3] أبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري شيخ البصريين في الاعتزال، قال: خرجت من البصرة على برذون أريد المأمون ببغداد، فسرت إلى دير هرقل، فإذا رجل مشدود في حائط الدير، فسلمت عليه فرد علي السلام، وحملق إلي وقال: أمعتزلي أنت؟ قلت: نعم. قال: وأمامي أنت؟ قلت: نعم. قال: أنت إذن أبو الهذيل العلاف! قلت: أنا ذاك. قال: فهل للنوم لذة؟ قلت: نعم. قال: ومتى يجدها صاحبها؟ فقلت لقلبي: إن قلت مع النوم أخطأت، فإنه ذاهب العقل، وإن قلت قبل النوم أخطأت أيضاً، لأنك أحلت على عدم، وإن قلت بعد النوم غلطت، لأنه شيء قد انقضى، قال: فتحير فهمي، وجال في الخاطر وهمي، وقلت له: قل أنت حتى أسمع منك وأنقل عنك؟ فقال: بشرط أن تسأل امرأة صاحب هذا الدير أن لا تضر بني يومي هذا. فسألتها فاجابت. فقال: إعلم أن النعاس داء يحل بالبدن ودواؤه النوم. فاستحسنت ذلك منه، وهممت بالإنصراف، فقال: يا أبا الهذيل قف وإسمع مسألة عظمى، قال: ما تقول في رسول الله ﷺ أمين هو في السماء والأرض؟ قلت: نعم. قال: أتحب أن يكون الخلاف في أمته أم الوفاق؟ قلت: بل الوفاق والاتفاق: فقال: قال تعالى[4]: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فما باله ﷺ حين مرض مرض موته ما قال: هذا خليفتكم من بعدي؟ وقد نص ﷺ على الوصية وحث عليها وحرض. قال أبو الهذيل: فلم أحر جواباً. وسألته الجواب فتنكرت حاله، ففتلت عنان برذوني وانصرفت عنه. فوصلت إلى المأمون فاستخبرني عن طريقي،

---

(١) رواه ابن حنبل: ٦/١٤٨، ١٥٢.

(٢) الجابية: موضع بالشام.

(٣) وفيات الأعيان: ٤/٢٦٥. وتوفي أبو الهذيل سنة ٢٢٧ هـ.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

فأخبرته بما جرى، فأمر بإحضاره على حالته التي هو عليها، فأحضر فقال له المأمون، أعد السؤال الذي سألت عنه أبا الهذيل؟ فاعاده، وكان في المجلس جماعة من العلماء الأفاضل فما منهم من أجاب، فقال له المأمون: ما الجواب؟ فقال: سبحان الله أكون سائلاً ومجيباً في حالة واحدة؟ فقال المأمون: وما عليك أن تفيدنا؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، إعلم أن الله عز وجل حكم في سالف أزله، وقضى وقدر في سابق علمه، وأطلع نبيه ﷺ من ذلك على حكمه، فلم يكن له أن يتعداه ولا أن يتخطاه، فترك الأمر على ما قدره الله تعالى وقضاه إذ لاراد لأمره، ولا معقب لحكمه، فاستحسن المأمون ذلك، وعرض له شغل فقام داخلاً إلى داره فقال له المجنون: يا ابن اللخناء أخذت منفوعنا وفررت منا! فعاد المأمون وقال له: ما تشتهي؟ فقال: ألف دينار. وقال: وما تصنع بها؟ قال: آكل بها كسباً وتمراً، فأمر له بها وحمله إلى أهله وهو على حاله، وتوفي أبو الهذيل العلاف سنة سبع وعشرين ومائتين وذكروا أن السِّنة في الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب، وهو غشية ثقيلة تقع على القلب، تمنعه المعرفة بالأشياء. وقد نفى الله ذلك عن نفسه، بقوله[1] تعالى: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ لأنه آفة، وهو سبحانه وتعالى منزه عن الآفات. ولأنه تغير ولا يجوز عليه تبارك وتعالى.

وذكر[2] الإمام أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الأذكياء، عن خالد بن صفوان التيمي، أنه دخل على أبي العباس السفاح، وليس عنده أحد فقال: يا أمير المؤمنين إني والله ما زلت منذ قلدك الله الخلافة، أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في الخلوة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب، حتى أفرغ فليفعل فأمر الحاجب بذلك، فقال: يا أمير المؤمنين إني فكرت في أمرك، وأجلت الفكر فيك، فلم أر أحداً له قدرة واتساع على الاستمتاع بالنساء مثلك، ولا أضيق فيهن عيشاً منك، إنك ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين، فاقتصرت عليها، فإن مرضت مرضت، وإن غابت غبت، وإن عركت عركت، وحرمت نفسك يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراق الجواري، ومعرفة اختلاف أحوالهن، والتلذذ بما يشتهى منهنّ، فإن منهنّ الطويلة التي تشتهى لجسمها، والبيضاء التي تحب لرؤيتها، والسمراء اللعساء، والصفراء الذهبية، ومولدات المدينة، والطائف واليمامة، ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر، وبنات سائر الملوك، وما يشتهى من نضارتهنّ ونظافتهنّ. وتخلل خالد بلسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوقه إليهن، فلما فرغ من كلامه قال له السفاح: ويحك ملأت مسامعي بما شغل خاطري، والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا، فأعد علي كلامك فقد وقع مني موقعاً فأعاد إليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه، ثم قال له انصرف فانصرف.

وبقي أبو العباس مفكراً فدخلت عليه أم سلمة زوجته، وكان قد حلف لها أن لا يتخذ عليها زوجة ولا سرية، ووفى لها بذلك، فلما رأته على تلك الحالة قالت له: إني لأنكرك يا أمير

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) كتاب الأذكياء ١١٦.

المؤمنين، فهل حدث شيء تكرهه؟ أو أتاك خبراً رتعت له؟ قال لا فلم تزل حتى أخبرها بمقالة خالد، فقالت: وما قلت لابن الفاعلة؟ فقال لها: أينصحني وتشتمينه؟ فخرجت إلى مواليها وأمرتهم بضرب خالد.

قال خالد: فخرجت من الدار مسروراً بما ألقيت إلى أمير المؤمنين، ولم أشك في الصلة، فبينما أناواقف، إذ أقبلوا يسألون عني فحققت أنه أمر لي بالجائزة، فقلت لهم: ها أناذا، فاستبق إلي أحدهم بخشبة فغمزت برذوني، فلحقني وضرب كفل البرذون، فركضت ففتهم، واستخفيت في منزلي أياماً ووقع في قلبي أني أتيت من أم سلمة. فبينما أنا ذات يوم جالس في المجلس، فلم أشعر إلا بقوم قد هموا علي وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فسبق إلى قلبي أنه الموت، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لم أر دم شيخ أضيع من دمي، فركبت إلى دار أمير المؤمنين فأصبته جالساً، ولحظت في المجلس بيتاً عليه ستور رقاق، وسمعت حساً من خلف الستر فأجلسني، ثم قال: ويحك يا خالد وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، أعلمتك أن العرب إنما اشتقت إسم الضرتين من الضرر، وإن أحداً يكون عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان في ضر وتنغيص! فقال السفاح: لم يكن هذا كلامك أولاً. قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤوس، ويشبن الرؤوس! فقال السفاح: برئت من رسول الله ﷺ، إن كنت سمعت هذا منك أومر في حديثك. قلت: بلى يا أمير المؤمنين، وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجموع لصاحبهن، يشيبنه ويهرمنه. قال: والله ما سمعت هذا منك أولاً. قلت: بلى والله. قال: أتكذبني؟ قلت: أفتقتلني؟ نعم والله يا أمير المؤمنين إن أبكار الإماء رجال، إلا أنهن ليس لهن خصى، قال خالد: فسمعت ضحكاً من خلف الستر ثم قلت: والله وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش، وأنت تطمح بعينيك إلى النساء والجواري؟ فقيل لي من وراء الستر: صدقت والله يا عماه، بهذا حدثته، ولكنه غير حديثك، ونطق بما في خاطره عن لسانك، فقال له السفاح: قاتلك الله. قال خالد: فانسللت وخرجت. فبعثت إلي أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب.

**الحكم**: هو كعموم الخيل.

**الخواص**: إذا شربت امرأة دم برذون لم تحمل أبداً وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت لخاصية فيه. وإذا جفف، وذر منه في الأنف حبس الرعاف. وإذا ذر على الجراحات حبس الدم.

**التعبير**: البرذون في المنام خصومة، وقيل غلام، ويعبر أيضاً برجل عجمي. والبراذين رجال أعاجم، ويعبر أيضاً بامرأة فمن سرق برذونه طلق زوجته وضياعه فجور المرأة والله أعلم.

**البرغش**: بفتح الباء والغين المعجمة نوع من البعوض. وأنشد الحافظ زكي الدين عبد العظيم لشيخه الحافظ أبي الحسن المقدسي شيخ والد الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ووفاته في مستهل شعبان سنة إحدى وعشرين وستمائة بالقاهرة:

ثلاث بلآت بلينا بها ... البق والبرغوث والبرغش[1]

(١) البيتان في وفيات الأعيان: ٣/٢٩١.

ثلاثة أوحش ما في الورى يا ليت شعري أيها أوحش[١]

**البرغن**: بفتح الباء والغين المعجمة وضمها ولد البقرة الوحشية.

**البرغوث**: بالثاء المثلثة واحد البراغيث. وضم بائه أشهر من كسرها وقولهم: أكلوني البراغيث لغة طيىء، وهي لغة ثابتة خرجوا عليها قوله[٢] تعالى: ﴿**وأسروا النجوى الذين ظلموا**﴾ على أحد المذاهب وقوله[٣] عز وجل ﴿**خشعا أبصارهم**﴾ ومثل: يتعاقبون فيكم ملائكة، وقوله في صحيح مسلم وغيره: «حتى احمرتا عيناه» واشباهه كثيرة معروفة. وقال سيبويه: لغة أكلوني البراغيث ليست في القرآن قال والضمير في وأسروا النجوى فاعل والذين بدل منه. وكنية البرغوث أبو طافر وأبو عدي وأبو الوثاب، ويقال له طامر بن طامر. وهو من الحيوان الذي له الوثب الشديد ومن لطف الله تعالى به، أنه يثب إلى ورائه ليرى من يصيده، لأنه لو وثب إلى أمامه، لكان ذلك أسرع إلى حمامه. وحكى الجاحظ[٤] عن يحيى[٥] البرمكي، أن البرغوث من الخلق الذي يعرض له الطيران، كما يعرض للنمل. وهو يطيل السفاد، ويبيض ويفرخ بعد أن يتولد، وهو ينشأ أولاً من التراب، لا سيما في الأماكن المظلمة، وسلطانه في أواخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع، وهو أحدب نزاء. ويقال: إنه على صورة الفيل له أنياب يعض بها وخرطوم يمص به.

**وحكمه**: تحريم الأكل واستحباب قتله للحلال والمحرم، ولا يسب لما روى الإمام أحمد والبزار والبخاري في الأدب والطبراني في الدعوات عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يسب برغوثاً. فقال: لا تسبه فإنه أيقظ نبياً لصلاة الفجر.

وفي معجم الطبراني عن أنس رضي الله تعالى عنه. قال: ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ فقال: «إنها توقظ للصلاة أي لصلاة الفجر». وفيه عن علي رضي الله تعالى عنه قال: نزلنا منزلاً فآذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوها فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله تعالى».

ويعفى عن قليل دمها في الثوب والبدن لعموم البلوى به وعسر الاحتراز. وقال أبو عمر بن عبد البر: أجمع العلماء على التجاوز والعفو عن دم البراغيث، ما لم يتفاحش. قال أصحابنا: ولا خلاف في العفو عن قليله إلا إذا حصل بفعله كما إذا قتله في ثوبه أو بدنه ففي العفو عنه وجهان: أصحهما العفو أيضاً. وكذلك كل ما ليس له نفس سائلة كالبق والبعوض وشبههما. وسئل شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام عن ثوب فيه دم البراغيث هل يجوز للإنسان أن يلبسه رطباً ثم يصلي فيه؟ وإذا عرق فيه هل يصلي فيه؟ وهل يتنجس بذلك بدنه أو يعفي عنه؟ وهل يندب له غسله قبل وقته المعتاد؟ فأجاب نعم ينجس الثوب والبدن بذلك ولا يؤمر بغسله إلا في الأوقات المعتادة وغسله في غير ذلك ورع خارج عما كان السلف عليه. وكانوا أحرص على حفظ أديانهم من غيرهم. وأما الكثير من دم البراغيث فالأصح عند المحققين، كما قاله النووي، العفو عنه مطلقاً

---

(١) في الوفيات «... لست أدري أيها...». (٢) سورة الأنبياء: الآية ٣. (٣) سورة القمر: الآية ٧.

(٤) الأديب الكبير عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان المتوفى سنة ٢٥٥ هـ.

(٥) البرمكي: يحيى بن خالد، وزير هارون الرشيد، أبو الفضل، وكان من العقلاء البلغاء. مات في سجنه سنة ١٩٠ هـ بعد نكبة البرامكة.

سواء انتشر بعرق أم لا.

**فائدة**: مجربة صحيحة، للبراغيث وهو أن تأخذ قصبة فارسية، وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها في وسط الدار ثم تقول ٢٥ مرة: أقسمت عليكم أيها البراغيث، إنكم جند من جنود الله من عهد عاد وثمود، وأقسمت عليكم بخالق الوجود، الفرد الصمد المعبود، أن تجتمعوا إلى هذا العود، ولكم علي المواثيق والعهود، إن لا أقتل منكم والداً ولا مولود، فإنها تجتمع فإذا اجتمعت إلى العود فخذها وارمها إلى مكان آخر ولا تقتل منها أحداً يبطل السر ثم تكنس البيت وتقول عليه ٤٠ مرة ﴿**وما لناأن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون**[١]﴾ فإن فعل ذلك، لم يدخل البيت برغوث أبداً وهو سر لطيف مجرب.

**فائدة**: سئل مالك رحمة الله عليه، عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق ملياً، ثم قال ألها نفس؟ قالوا: نعم. قال: ملك الموت يقبض أرواحها. ثم قرأ قوله[٢] تعالى: ﴿**الله يتوفي الأنفس حين موتها**﴾ الآية. ويدل له ما يأتي في البعوض.

**الأمثال**: قالوا[٣]: «أطمر من برغوث». «وأطير من برغوث».

**وخاصيته**: اللسع والأذى. قال بعض[٤] الأعراب يصف البراغيث وقد سكن مصر:

تطاول في الفسطاط ليلي ولم يكن ... بأرض الفضا ليل علّيّ يطولُ
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... وليس لبرغوث عليّ سبيل

وقد أجاد مجد الدين أبوالميمون الكناني حيث قال ملغزافي البراغيث:

ومعشر يستحل الناس قتلهم ... كما استحلوا دم الحجاج في الحرم
إذا سفكت دماً منهم فما سفكت ... يداي من دمه المسفوك غير دمي

وقال أبو الحسن بن سكرة الهاشمي في مليح يعرف بابن برغوث:

بليت ولا أقول بمن لاني ... متى ما قلت من هو يعشقوه
حبيب قد نفى عني رقادي ... فإن أغمضت أيقظني أبوه

ومن محاسن شعره:

كأن خالا لاح في خده ... للعين في سلسلة من عذار
أسود يستخدم في جنة ... قيده مولاه خوف الفرار

وله[٥] أيضاً:

وما عشقي له وحشاً لأني ... كرهت الحسن واخترت القبيحا
ولكن غرت أن أهوى مليحا ... وكل الناس يهوون المليحا

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١٢. (٢) سورة الزمر: الآية ٤٢. (٣) مجمع الأمثال: ٤٤١/١.

(٤) هو أبو الرمّاح الأسدي. والبيتان في الحيوان للجاحظ: ٣٨٩/٥.

(٥) وفيات اللأعيان: ٣٨٩/٣ ونسبته إلى ابن أفلح الشاعر المتوفى سنة ٥٣٧ هـ.

وله[1] أيضاً:

تحمّل عظيم الذنب ممن تحبه		وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تغفر الذنب في الهوى		يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقيل: إن هذين البيتين للعباس بن الأحنف. توفي ابن سكرة سنة خمس وثمانين وثلثمائة.

**فائدة:** روى ابن أبي الدنيا في كتاب التوكل إن عامل افريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو إليه الهوام والعقارب. فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول ﴿**وما لنا أن لا نتوكل على الله**﴾ الآية. قال: زرعة عبد الله أحد رواته. وينفع من البراغيث وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الهاء آية أخرى نظير هذه، ذكرها في فردوس الحكمة.

وفي كتاب الدعوات للمستغفري عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، وشرح المقامات للمسعودي عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «إذا آذاك البرغوث، فخذ قدحاً من ماء، واقرأ عليه سبع مرات ﴿**وما لنا أن لا نتوكل على الله**﴾[2] الآية. ثم تقول إن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا، ثم ترشه حول فراشك، فإنك تبيت آمنا من شرها. وقال حسين بن إسحاق: والحيلة في طرد البراغيث أن يؤخذ شيء من الكبريت والرواند، فيدخن بهما في البيت، فإنهن يهربن أو يمتن، أو يحفر في البيت حفيرة، ويلقي فيها ورق الدفلى، فإنهن يأوين إليها كلهن فيقعن فيها. وقال الرازي: يرش البيت بطبيخ الشونيز فإنه يقتل براغيثه. وقال غيره: إذا نقع السذاب في ماء ورش في بيت ماتت براغيثه. وإذا بخر البيت بمشاق الكتان القديم وقشور النارنج لا تعود البراغيث إليه أبداً. وإذا دخل البرغوث في أذن الإنسان اليمنى، فليمسك بيده اليمنى خصية نفسه اليسرى، وإذا دخل في أذنه اليسرى فليسمك بيده اليسرى خصية نفسه اليمنى، فإنه يخرج سريعاً.

**التعبير:** البراغيث في المنام اعداء ضعاف طعانون، وتعبر أيضاً بأوباش الناس، وقال جاماسب: من قرصه برغوث نال مالاً.

**البرا:** بضم الباء طائر يسمى السمويل وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين المهملة.

**البرقانة:** الجرادة المتلونة وجمعها برقان قاله ابن سيده.

**البرقش:** بكسر الباء الموحدة ثم راء مهملة فقاف فشين معجمة، طائر صغير مثل العصفور، ويسميه أهل الحجاز الشرشور وأما أبو براقش، فسيأتي في آخر الباب إن شاء الله تعالى. وبراقش إسم كلبة ضرب بها المثل فقالوا «على أهلها دلت براقش». لأنها سمعت وقع حوافر الدواب، فنبحت فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم.

---

(١) وفيات الأعيان: ٧/٢٤٠ ونسبته إلى العباس بن الأحنف الشاعر المتغزل المتوفى سنة ١٩٢ هـ.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١٢ وتمامها: ﴿وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾.

البركة: بالضم طائر من طيور الماء والجمع برك. قال زهير[1] يصف قطاة فرت من صقر إلى ماء مجار على وجه الأرض:

حتى استغاثت بماء لا رشاء له ... بين الأباطح في حافاته البركُ

قال ابن سيده: البركة من طير المساء، والجمع برك وأبراك وبركان. وعندي إن ابراكا وبركانا جمع الجمع، والبركة أيضاً الضفدع، وقد فسر به بعضهم قول زهير في حافاته البرك انتهى كلامه. قال: والبرك: جماعة الإبل الباركة الواحد بارك والأنثى باركة قاله في العباب.

البشر: الإنسان الواحد والجمع والمذكر والمؤنث في ذلك سواء. وقد يثنى وفي التنزيل أنؤمن لبشرين مثلنا والجمع أبشر.

البط: طائر الماء الواحدة بطة، وليست الهاء للتأنيث وإنما هي للواحد من الجنس يقال: هذه بطة للذكر والأنثى جميعاً مثل حمامة ودجاجة وليس بعربي محض والبط عند العرب صغاره وكباره اوز وحكمه، وخواصه كالاوز.

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن رويس، قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في يوم نحر فقرب إلينا خزيرة، فقلنا: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط. يعنون الأوز فإن الله تعالى قد أكثر الخير. فقال: يا ابن رويس سمعت رسول الله ﷺ يقول[2]: «لا يحل لخليفة من مال الله تعالى إلا قصعتان: قصعة يأكلها، وقصعة يضعها بين أيدي الناس».

وفي كامل ابن عدي في ترجمة علي بن زيد بن جدعان قال سفيان بن عيينة: سمعت علي بن زيد بن جدعان سنة سبع وستين يقول: مثل النساء إذا اجتمعن بمنزلة البط إذا صاحت واحدة صحن جميعاً.

فرع: قال الماوردي: البط الذي لا يطير من الاوز لا جزاء فيه إذا قتله المحرم، لأنه ليس بصيد، وقال غيره: الطيور المائية التي تغوص في الماء، وتخرج منه محرمة على المحرم، ومثلوه بالبط. أما الذي لا يعيش إلا في الماء كالسمك فلا يحرم صيده. ولا جزاء فيه والجراد من صيد البر يجب الجزاء بقتله على الصحيح.

ومن الأمثال الساشرة بين العامة: «أو للبط تهددين بالشط» قلت: وقد أذكرني هذا ما حكاه القاضي أحمد بن خلكان رحمه الله في ترجمة[3] السلطان نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله، وكان بينه وبين أبي الحسن سنان بن سنان بن سليمان بن محمد الملقب براشد الدين صاحب القلاع الاسماعيلية مكاتبات، فكتب السلطان إليه كتاباً يهدده فيه فكتب سنان جوابه أبياتاً ورسالة وهما:

يا للرجال لأمر هال مفظعه ... ما مر قط على سمعي توقعهُ

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي الحكيم. والبيت في ديوانه: ٥٠. وفيه: «... من الأباطح ...».

(٢) رواه أحمد: ١/ ٧٨.

(٣) وفيات الأعيان: ٥/ ١٨٦ ـ ١٨٧.

يا ذا الذي بقراع السيف هدّدنا	لاقام قائم جنبي حين تصرعه[1]
قام الحمام إلى البازي يهدده	واستيقظت لأسود الغاب اضبعه[2]
أضحى يسد فم الأفعى بإصبعه	يكفيه ما قد تُلاقي منه إصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله، وعلمنا ما تهددنا به من قوله وعمله، فيالله العجب من ذبابة تطن في إذن فيل، وبعوضه تعد في التماثيل، ولقد قالها قبلك آخرون، فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون، أو للحق تدحضون، وللباطل تنصرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وأما ما صدرت به من قولك من قطع راسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي، فتلك أماني كاذبة، وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض. كم بين قوي وضعيف، ودني وشريف؟ وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات، وعدلنا عن البواطن والمعقولات، قلنا اسوة برسول الله ﷺ في قوله[3] «ما أوذي نبي ما أوذيت».

وقد علمتم ما جرى على عترته، وأهل بيته وشيعته، والحال ما حال والأمر ما زال، ولله الحمد في الآخرة والأولى، إذ نحن مظلومون لا ظالمون، ومغصوبون لا غاصبون. وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وقد علمتم ظاهر حالنا، وكيف قتال رجالنا، وما يتمنونه من الفوت، ويتقربون به إلى حياض الموت، قال: **﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾**[4].

وفي أمثال العامة السائرة: «أو للبط تهددين بالشط».

فهيء للبلايا جلباباً، وتدرع للرزايا أثواباً، فلأظهرن عليك منك، ولأفنينهم فيك عنك، ولا تكونن كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه، وإذا وقفت على كتابنا فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، واقرأ أوّل النحل وآخر صاد، ثم اختتمها بهذين البيتين[5].

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت	بيوتُك فيه واستقرّ عمودُها
فأصبحتَ ترمينا بنبل بنا استوى	مغارسها قد ما وفينا جديدُها

ويشبه هذا ما حكاه أيضاً في ترجمة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب، وكان بينه وبين الأدفونش صاحب طليطلة، مكاتبات قال: بعث الأدفونش رسولاً إلى الأمير يعقوب يتوعده ويتهدده، ويطلب منه بعض الحصون، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزيره ابن النجار وهي:

---

(١) في الوفيات: «لاقام مصرع».	(٢) في الوفيات: «لأسود البر».
(٣) رواه الترمذي في القيامة: ٣٤. وابن ماجه في المقدمة: ١١. ورواه ابن حنبل: ٣/١٢٠، ٢٨٦.
(٤) سورة الجمعة: الآية ٦ ـ ٧.
(٥) وفيات الأعيان: ٥/١٨٧. وفي البيت الأول: «بيوتك فيها واشمخر...» وفي البيت الثاني «... مغارسها منا وفينا حديدها».

بإسمك أللهم فاطر السموات والأرض، وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح.

أما بعد: فإنه لا يخفي على ذي ذهن ثاقب، ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملة الحنيفية، كما أني أمير الملة النصرانية، وقد عملت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل، والتواكل والتكاسل، واهمالهم أمر الرعية، واخلادهم إلى الراحة والأمنية، وأنـا أسوسهم بحكم القهـر وجلاء الديار، وأسبي الذراري وامثل بالرجال، وأذيقهم عذاب الهون وشديد النكال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم إذا أمكنتك يد القدرة، وساعدك من عساكرك وجنـودك ذو رأي وخبـرة، وأنتم تزعمـون أن الله تعالى قـد فرض عليكم قتـال عشرة منا بـواحد منكم، والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا رحمة منه ومنا، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً، ولا تملكون امتناعاً، وقد حدثنا عنك إنك أخذت في الاحتفال، وأشرفت على ربوة القتال، وتماطل نفسك سنة بعد أخرى، وتقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك، أم التكذيب بوعد ربك؟ ثم قيل لي: إنك لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً، ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه سبيلاً، وها أنا أقول لك، ما فيه الراحة لك، واعتذر عنك ولك، على أن تفي بالعهود والمواثيق، والاستكثار من الرهان، وترسل إلي جملة من عبيدك بالمراكب والشواني، والطرائد والمسطحات، وإلا جُزت بجملتي إليك، فأقاتلك في أعز الأماكن لديك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك، وهدية عظيمة مثلت بين يديك وإن كانت لي كانت لي اليد العليا عليك، واستحقيت إمارة الملتين، والحكم على البرين، والله يوفق للسعادة، ويسهل الإرادة لا رب غيره، ولا خير إلا خيره.

فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾[1] الجواب ما ترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبي:

ولا كـتْـبَ إلا المشرفـيّـةُ عـنـدَه ... ولا رسلُه إلا الخميسُ العـرمـرمُ[2]

ثم أمر بكتب الاستنفار، واستدعى الجيوش من الأمصار، وضربت السرادقات من يومه بظاهر البلد، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبته فعبر فيه إلى الأندلس، ودخل بلاد الفرنج فكسرهم كسرة شنيعة، وعاد بغنائمهم. وكان الأمير يعقوب متمسكاً بالشرع يأمر بالمعـروف، ويقيم الحدود في أهل بيته، كما يقيمها في الناس أجمعين وأمر برفض فروع الفقه، وأن الفقهاء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية، ولا يقلدون أحداً، وأن تكون أحكامهم بما يؤدّي إليه اجتهادهم، من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث، والإجماع والقياس.

وقد وصل إلينا من المغرب جماعة على تلك الطريقة منهم: أبو عمرو وأبو الخطاب ابنا دحية ومحيي الدين بن عـربي الصوفي، «صاحب الفصوص». «والفتـوحات المكيـة». «وعنقاء مغرب». وغيرهم. وتوفي الأمير يعقوب في سنة تسع أو عشر وستمائة رحمة الله تعالى عليه.

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٧.

(٢) البيت في ديوان المتنبي: ٣٥٢/٢ وفيه: «ولا رسُّ...»

ولنعد إلى ذكر السلطان محمود، قال ابن الأثير: بلغ من عدل نور الدين الشهيد، أنه أوّل من بنى داراً لكشف الظلامات، وسماها دار العدل، وسببه أنه لما أقام بدمشق بأمرائه وفيهم أسد الدين[١] شيركوه، تعدى كل منهم على من جاوره، فكثرت الشكاوي إلى القاضي كمال الدين الشهرزوري[٢]، فأنصف بعضهم من بعض، ولم يقدر على الإنصاف من شيركوه، لأنه كان أكبر الأمراء فبلغ ذلك نور الدين الشهيد، فأمر ببناء دار العدل، فلما سمع شيركوه قال لنوّابه: ما بنى نور الدين هذه الدار إلا بسببي، وإلا فمن يمتنع على القاضي كمال الدين؟ والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبنه! فامضوا إلى كل من كان بينكم وبينه شيء فافصلوا الحال معه، وأرضوه، ولو أتى على جميع ما بيدي. قال: فظلم رجل بعد موت نور الدين الشهيد فشق ثوبه واستغاث: يا نور الدين فاتصل خبره بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فأزال ظلامته فبكى الرجل أشد من الأول، فسئل عن ذلك فقال: أبكي على سلطان عدل فينا بعد موته.

وتوفي نور الدين الشهيد في شوّال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق بعلة الخوانيق، وكان الأطباء قد أشاروا عليه بالفصد فامتنع، وكان مهيباً فما روجع ودفن بالقلعة. ثم نقل إلى تربته بمدرسته التي أنشأها عند باب سوق الخوّاصين. والدعاء عند قبره مستجاب وقد جرب، وكان رحمه الله، ملكاً عادلاً عابداً ورعا متمسكاً بالشريعة، مائلاً إلى أهل الخير مجاهداً، كثير الصدقات بنى المدارس بجميع بلاد الشأم، والمارستان بدمشق، ودار الحديث بها وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري، وبحماة الجامع الذي على نهر العاصي، وبني الرباطات للصوفية والفنادق في المنازل، وأثر في الإسلام آثاراً حسنة لم يسبق إليها وانتزع من أيدي الكفار نيفاً وخمسين مدينة، ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى.

وتوفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بها، قال[٣] ابن خلكان: ولما مات كتب القاضي الفاضل[٤] ساعة موته بطاقة إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب، مضمونها: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة إن زلزلة الساعة شيء عظيم، كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه، وجبر مصابه، وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً وقد حفرت الدموع المحاجر، وبلغت القلوب الحناجر، وقد ودّعت أباك مخدومي وداعاً لا تلاقي بعده وقبلت عني وعنك خده وأسلمته إلى الله عز وجل مغلوب الحيلة، ضعيف القوّة راضياً عن الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وبالباب من الأجناد المجندة والأسلحة والأعمدة ما لا يردّ البلاء، ولا يملك دفع القضاء وتدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب وإنا عليك لمحزونون يا يوسف، وأما الوصايا فلا

---

(١) هو أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان ولقبه أسد الدين الملك المنصور وهو عم صلاح الدين الأيوبي تولى الوزارة في مصر ومات سنة ٥٦٤ هـ بالقاهرة.

(٢) الشهرزوري: يحيى بن حَبَش بن أميرك، أبو الفتوح، قُتل في حلب سنة ٥٨٧ هـ.

(٣) وفيات الأعيان: ٧/١٣٩.

(٤) القاضي الفاضل، أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين، اللخمي العسقلاني وزر للسلطان الناصر صلاح الدين، وبرز في صناعة الإنشاء وله شعر. مات سنة ٥٩٦ هـ.

يحتاج إليها، والآراء فقد شغلتني المصائب عنها، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع الاتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم. وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهونها موته، وهو البلاء العظيم، والسلام. وكان رحمه الله مع سعة ملكه كثير التواضع، قريباً من الناس، رحيم القلب، كثير الاحتمال والمداراة يميل لأهل الفضل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجلسه وكان كثيراً ما ينشد قول محمد بن الحسين الحميري[1]:

وزارني طيفُ من أهوى على حذر ... من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا[2]
فكدت أوقظ من حولي به فرحا ... وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي ... نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وكان رحمه الله كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين وهما[3]:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللمشتري دنياه بالدين أعجبُ
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

وعمر رحمه الله ستاً وخمسين سنة وشهوراً.

**البطس**: أنواع من السمك لها مرارات يكتب بها الكتب فإذا جففت قرئت في الظلام كما نقرأ بالنهار في ضوء الشمس ذكر ذلك صاحب المعطار.

**البعوض**: دويبة. قال الجوهري: إنه البق الواحدة بعوضة وهو وهم والحق أنه صنفان، وهو يشبه القراد لكن أرجله خفيفة، ورطوبته ظاهرة ويسمى بالعراق والشأم الجرجس. قال الجوهري: وهو لغة في القرقس، وهو البعوض الصغار، والبعوض على خلقة الفيل إلا أنه أكثر أعضاء من الفيل فإن للفيل أربع أرجل وخرطوماً وذنباً. وله مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان، وأربعة أجنحة وخرطوم الفيل مصمت، وخرطومه مجوّف نافذ للجوف، فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم، ولذلك اشتد عضها وقويت على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز:

مثل السّفاة دائماً طنينها ... رُكّب في خرطومها سكينُها[4]

ومما ألهمه الله تعالى إنه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان، لا يزال يتوخى بخرطومه المسام التي يخرج منها العرق، لأنها أرق بشرة من جلدة الإنسان فإذا وجدها وضع خرطومه فيها، وفيه من الشره أن يمص الدم إلى أن ينشق ويموت أو إلى أن يعجز عن الطيران، فيكون ذلك سبب هلاكه. ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره، من ذوات الأربع، فيبقى طريحاً في

---

(١) هو محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميري.
(٢) الأبيات الثلاثة في وفيات الأعيان: ٧/٢٠٧.
(٣) وفيات الأعيان: ٦/١٧٠ دون عزو لأحد.
(٤) الأمالي: ٣/١٢٩. وفيه: «مثل السفاة دائم..» والبيت عن ابن الأعرابي.

الصحراء، فتجتمع السباع حوله والطير التي تأكل الجيف فمن أكل منها شيئاً مات لوقته. وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذب بالبعوض، فيأخذ من يريد قتله فيخرجه مجرداً إلى بعض الآجام التي بالبطائح ويتركه فيها مكتوفاً، فيقتل في أسرع وقت، وأقرب زمان وما أحسن قول أبي الفتح البستي[1] في هذا المعنى:

لا تستخفن الفتى بعداوة ... أبداً وإن كان العدو ضئيلاً
إن القذى يؤذي العيون قليله ... ولربما جرح البعوضُ الفيلا

وما ألطف ما قال بعضهم:

لا تحقرن صغيراً في عداوته ... إن البعوضة تدمي مقلة الأسد

ونحوه قول أبي نصر السعدي[2]:

ولا تحقرن عدواً رماك ... وإن كان في ساعديه قصر
فإن الحسام يحز الرقاب ... ويعجز عما تنال الإبر

وله أيضاً وقيل إنه لجمال الدين بن مطروح[3]:

يا من لبست عليه أثواب الضنا ... صفراً موشحة بحمر الأدمع[4]
أدرك بقية مهجة لو لم تذب ... أسفا عليك رميتها عن أضلعي

ومن محاسن شعره أيضاً قوله[5]:

لما وقفنا للوداع وصارما ... كنا نظن من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا ... ونثرت من ورق البهار عقيقا[6]

ونحوه قول إبراهيم علي القيراوني صاحب[7] زهر الأدب وغيره وكان كلفاً بالمعذرين:

ومعذرين كأن نبت خدودهم ... أقلام مسك تستمد خلوقا

---

(١) أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي الشاعر. صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس، مات سنة ٤٠٠ هـ في بخارى.

(٢) أبو النصر السعدني، هو عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نُباتة السعدي الشاعر المدّاح ومن أهم ممدوحيه سيف الدولة الحمداني. مات ببغداد سنة ٤٠٥ هـ.

(٣) ابن مطروح: هو أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن الحسين، الملقب جمال الدين من أهل صعيد مصر، اتصل بنجم الدين أيوب سلطان مصر. مات سنة ٦٤٩ هـ.

(٤) في الوفيات: «... صُفراً موشقةً...» و«أسفاً عليك نفيتها...».

(٥) وفيات الأعيان: ٥١/٧.

(٦) في الوفيات: ونثرت من فوق.

(٧) وصاحب زهر الآداب هو إبراهيم الحصري بن علي بن تميم، أبو إسحاق القيرواني الشاعر المتوفى سنة ٤٥٣ هـ.

نظموا البنفسج بالشقيق ونضدوا تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا[1]

وروى[2] الترمذي، وقال حديث حسن صحيح عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافرا شربة ماء». وكذلك رواه الحاكم وصححه.

وقال الشاعر في ذلك:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه جناح بعوض عند من كنت عبده
وأشغل جزء منه كلك ما الذي يكون على ذا الحال قدرك عنده

ومعنى هوان الدنيا على الله تعالى أنه سبحانه لم يجعلها مقصودة لنفسها، بل جعلها طريقاً موصلة إلى ما هو المقصود بنفسه. وإنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء إنما جعلها دار محنة وبلاء وإنه ملكها في الغالب الجهلة والكفرة، وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال. وحسبك بها هواناً على الله أنه سبحانه وتعالى، صغرها وحقرها وأبغضها، وأبغض أهلها ومحبيها، ولم يرض لعاقل فيها، إلا بالتزود منها، والتأهب للإرتحال عنها.

ويكفي في ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه أو عالم أو متعلم». وهو[3] حديث حسن غريب. ولا يفهم من هذا اباحة لعن الدنيا وسبها مطلقاً. لما روى أبو موسى الأشعري، رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر، إن العبد إذا قال: لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه». خرجه الشريف أبو القاسم زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمي وهذا يقتضي المنع من سب الدنيا ولعنها. ووجه الجمع بينهما أن المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعداً عن ذكر الله وشاغلاً عنه، كما قال بعض السلف كل ما يشغلك عن ذكر الله من مال وولد فهو مشؤوم عليك، وهو الذي نبه عليه الله تعالى بقوله[4] : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ وأما ماكان من الدنيا، يقرب من الله ويعين على عبادته، فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل إنسان، فمثل هذا لا يسب، بل يرغب فيه ويحب، وإليه الإشارة بالاستثناء حيث قال: إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم، وهو المصرح به في قوله «نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر»، وبهذا يرتفع التعارض بين الحديثين وفي الإحياء للغزالي في الباب السادس من أبواب العلم أن النبي ﷺ قال[5] : «إن العبد لينشر له من الثناء ما بين

(١) البيتان في وفيات الأعيان: ٧/ ٥٠ وفيه: «قرنوا البنفسج...»

(٢) رواه الترمذي في الزهد: ١٣. وابن ماجه من الزهد: ٣.

(٣) رواه الترمذي في الزهد: ١٤. وابن ماجه في الزهد: ٣.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٥) رواه البخاري في تفسير سورة: ١٨ ـ ٦. ومسلم في صفات المنافقين: ١٨. ورواه الترمذي في الزهد: ١٣، وابن ماجه في الزهد: ٣.

المشرق والمغرب ولا يزن عند الله جناح بعوضة». وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال[1] : «ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً». رواه البخاري في التفسير، ومثله في التوبة. قال العلماء: معنى هذا الحديث أنهم لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار. وقال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن عند الله شيئاً، وقيل: المراد المجاز والاستعارة كأنه قال لا قدر لهم عندنا يوم القيامة وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك من تكلف المطاعم الزائدة على قدر الكفاية وقد قال ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين». قال وهب بن منبه لما أرسل الله تعالى البعوض على النمروذ، اجتمع منه في عسكره ما لا يحصى عدداً، فلما عاين النمروذ ذلك، انفرد عن جيشه ودخل بيته وأغلق الأبواب وأرخى الستور ونام على قفاه مفكراً، فدخلت بعوضة في أنفه وصعدت إلى دماغه فعذب بها أربعين يوماً حتى إنه كان يضرب برأسه الأرض وكان أعز الناس عنده من يضرب رأسه ثم سقطت منه كالفرخ وهي تقول كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عباده ثم هلك حينئذٍ. وقال محمد بن العباس[2] الخوارزمي الطبرخزي في الوزير أبي القاسم المزني لما قبض عليه:

لا تعجبوا من صيد صعوبازيا ... إن الأسود تصاد بالخرفان

قد غرقت أملاك حمير فارة ... وبعوضة قتلت بني كنعان

وروى جعفر[3] الصادق بن محمد الباقر، عن أبيه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عليه السلام، عند رأس رجل من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ: «ارفق بصاحبي فإنه مؤمن». قال: «إني بكل مؤمن رفيق وما من أهل بيت إلا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات ولو أني أردت قبض روح بعوضة ما قدرت حتى يكون من الله تعالى الأمر بقبضها». قال جعفر بن محمد بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة انتهى.

ومن هذا وما تقدم عن مالك في البراغيث، يعلم أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذي روح والبعوضة على صغر جرمها قد أودع الله تعالى في دماغها قوة الحفظ وفي وسطه قوة الفكر وفي مؤخره قوة الذكر. وخلق لها حاسة البصر وحاسة اللمس وحاسة الشم، وخلق لها منفذاً للغذاء ومخرجاً للفضلة، وخلق لها جوفاً وأمعاء وعظاماً. فسبحان من قدر فهدى ولم يخلق شيئاً من المخلوقات سدى وأنشد الزمخشري[4] في تفسير سورة البقرة:

---

(١) رواه البخاري في تفسير السورة: ١٨ ــ ٦. ورواه مسلم في المنافقين: ١٨.

(٢) هو محمد بن العباسي الخوارزمي، أبو بكر، كاتب شاعر عالم، توفي في نيسابور سنة ٣٨٣ هـ.

(٣) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، مات سنة ١٤٨ هـ.

(٤) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله أبو القاسم، عالم مفسّر لغوي أديب، من مؤلفاته اللغوية «أساس البلاغة» وفي التفسير «الكشّاف». توفي سنة ٥٣٨ هـ. والأبيات في وفيات الأعيان: ٥/١٧٢.

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل[1]
امنن علي بتوبة تمحو بها ما كان مني في الزمان الأول[2]

ونقل ابن خلكان عن بعض الفضلاء، أن الزمخشري أوصى أن تكتب هذه الأبيات على قبره. ويروي عوض امنن علي بتوبة كما قال بعضهم:

اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول

وفي تاريخ[3] ابن خلكان وغيره أن الزمخشري كان يعتقد الاعتزال ويتظاهر به، وكان إذا استأذن على صاحب له بالدخول، يقول: أبو القاسم المعتزلي بالباب. وأول ما صنف من الكتب الكشاف فكتب في أول خطبته: الحمد لله الذي خلق القرآن فقيل له: إن تركته على هذه الهيئة، هجره الناس فغيره، وقال: الحمد لله الذي جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق. ويوجد في كثير من النسخ الحمد لله الذي أنزل القرآن وهو من إصلاح الناس لا من إصلاح المصنف فافهم. توفي الزمخشري ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقد تكلم في الإحياء في باب المحبة على خلق البعوضة وصفتها وما أودعه الله تعالى فيها من الأسرار.

فائدة: رأيت في كتاب الدعاء للشيخ الإمام العلامة أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي[4]، ويعرف بابن أبي رنده بالراء المهملة المفتوحة وتسكين النون، وهو إمام ورع أديب متقلل، وفاته بالأسكندرية سنة اثنتين وخمسمائة، عن مطرف بن عبد الله بن أبي مصعب المدني أنه قال: دخلت على المنصور فوجدته مغموماً حزيناً قد امتنع من الكلام، لفقد بعض أحبته فقال لي: يا مطرف طرقني من الهم ما لا يكشفه إلا الله الذي بلا به، فهل من دعاء أدعو به عسى يكشفه الله عني؟ فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن ثابت عن عمر بن ثابت البصري قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخه فأنصبته وأسهرته ليله ونهاره، فقال له رجل من أصحاب الحسن البصري: يا هذا ادع بدعاء العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ الذي دعا به في المفازة وفي البحر فخلصه الله تعالى. فقال له الرجل: وما هو رحمك الله؟ فقال قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: بعث العلاء بن الحضرمي في جيش، كنت فيهم، إلى البحرين فسلكنا مفازة فعطشنا عطشاً شديداً حتى خفنا الهلاك، فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم اسقنا، فجاءت سحابة كأنها جناح طائر، فقعقعت علينا وأمطرتنا حتى ملأنا الآنية، وسقينا الركاب ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر، ما خيض قبل ذلك اليوم، ولا خيض بعده، فلم نجد سفناً فصلى العلاء ركعتين، ثم

---

(١) في الوفيات: «ويرى عروق نياطها في نحرها».
(٢) في الوفيات: «اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه . . .»
(٣) وفيات الأعيان: ١٧٢/٥.
(٤) هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي، أديب فقيه مالكي من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس. مات سنة ٥٠٢ هـ.

قال: يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجرنا، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال بسم الله جوزوا. قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر. وكان الجيش أربعة آلاف. قال فدعا الرجل بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه لها طنين، حتى صكت الحائط وبرأ الرجل.

قال: فاستقبل المنصور القبلة ودعا بهذا الدعاء ساعة ثم أقبل بوجهه إلي وقال: يا مطرف قد كشف الله عني ما كنت أجده من الهم، ودعا بالطعام فأجلسني فأكلت معه. ويقرب من هذا ما حكاه ابن خلكان في ترجمة موسى[1] الكاظم بن جعفر الصادق أن هارون الرشيد حبسه في بغداد ثم دعا صاحب شرطته ذات يوم فقال له: رأيت في منامي حبشياً أتاني، ومعه حربة، وقال: إن لم تخل عن موسى بن جعفر وإلا نحرتك بهذه الحربة فإذهب فخلّ عنه وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له إن أحببت المقام عندنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة فامض. قال صاحب الشرطة: ففعلت ذلك وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً فقال: أنا أخبرك بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله ﷺ فقال: يا موسى حبست مظلوماً، فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في السجن، قل: يا سامع كل صوت ويا سابق كل فوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك العظام وبإسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليماً ذا أناة لا يقدر على اناته ياذا المعروف الذي لا ينقطع معروفه أبداً، ولا نحصي له عدداً، فرّج عني. فكان ما ترى.

وتوفي موسى الكاظم في رجب سنة ثلاث وقيل سنة سبع وثمانين ومائة ببغداد مسموماً، وقيل إنه توفي في الحبس وكان الشافعي يقول قبر موسى الكاظم الترياق المجرب، وقد أذكرتني هذه الحكاية ما حكاه الخطيب أبو بكر في تاريخه وابن خلكان أيضاً في ترجمة يعقوب[2] بن داود أن المهدي حبسه في بئر و بنى عليها قبة فمكث فيها خمس عشرة سنة وكان يدلي له فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء، ويؤذن بأوقات الصلاة قال فلما كان في رأس ثلاث عشرة سنة أتاني آت في منامي فقال:

قد حن يوسف إلى رب فأخرجه      من قعر جب وبيت حوله غمَمٌ[3]

قال: فحمدت الله تعالى وقلت: أتاني الفرج، فمكثت حولاً لا أرى شيئاً، ففي رأس الحول أتاني ذلك الآتي فأنشدني:

عسى فرج يأتي به الله إنه      له كل يوم خليقته أمرُ

---

(١) هو أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر. وكان يُدعى العبد الصالح كان يقيم بالمدينة حتى أيام الرشيد حيث حبسه في بغداد ومات في حبسه سنة ١٨٣ هـ. قاله ابن خلكان في ترجمته في وفيات الأعيان: ٣٠٨/٥.

(٢) يعقوب بن داود أبو عبد الله وزير المهدي العباسي. مات سنة ١٨٧ هـ.

(٣) البيت وما يليه في ترجمة يعقوب. وفيات الأعيان: ٢٥/٧. وفيه: «حسنّ علي يوسف ربُّ فأخرجه.

قال: ثم أقمت حولا آخر لا أرى شيئاً، ثم أتاني ذلك الآتي في رأس الحول فأنشدني:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريبُ
فيأمن خائف ويفك عان ... ويأتي أهله النائي الغريب

قال: فلما أصبحت نوديت فظننت أني أوذن بالصلاة فأدلي لي حبل، فربطت نفسي به ونشلت من البئر فانطلق بي، فأدخلت على الرشيد فقيل لي: سلم على أمير المؤمنين، فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي فقال لي: لست به. فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي. فقال لي: لست به. فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: الرشيد، فقلت الرشيد. فقال: يا يعقوب، ما شفع فيه إلى أحد غير أني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك، فرثيت لك وأخرجتك. وكان يعقوب يحمل الرشيد على عنقه وهو صغير يلاعبه ثم أمر له بجائزة وصرفه.

**الحكم**: يحرم أكلها لاستقذارها.

**فائدة**: روى البخاري في الأدب والترمذي في مناقب الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما، من حديث عبد الرحمن بن أبي نعيم قال: كنت عند ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، فسأله رجل عن دم البعوض فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل العراق. فقال ابن عمر رضي الله عنهما أنظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت الرسول الله ﷺ، وسمعته ﷺ يقول[1]: «هما ريحانتاي من الدنيا». قال: ولم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ، من الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما. وروى ابن حبان والترمذي عن علي رضي الله تعالى عنه، قال: «كان الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر والرأس والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك[2]».

**فائدة أخرى**: ذكر في الروض الزاهر عن الشعبي، قال: لما بلغ الحجاج أن يحيى بن يعمر يقول: إن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما من ذرية رسول الله ﷺ، وكان يحيى[3] بن يعمر بخراسان. فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم والي خراسان أن ابعث إلي يحيى بن يعمر، فبعث به إليه قال الشعبي: وكنت عند الحجاج حين أتي به إليه، فقال له الحجاج: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ! قال: أجل يا حجاج. قال الشعبي: فعجبت من جراءته بقوله يا حجاج! فقال له الحجاج: والله إن لم تخرج منها، وتأتني بها مبينة واضحة من كتاب الله تعالى، لألقين الأكثر منك شعرا. ولا تأتني بهذه الآية ﴿**ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم**﴾[4] قال: فإن خرجت من ذلك، وأتيتك بها واضحة مبينة من كتاب الله تعالى، فهو أماني؟ قال: نعم. فقال: قال الله تعالى: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا**

---

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة: ٢٢ والأدب: ١٨، ورواه الترمذي في المناقب: ٣٠.
(٢) رواه الترمذي في المناقب: ٣٠.
(٣) يحيى بن يعمر الوشقي العدواني، أبو سليمان تابعي عالم بالحديث والفقه واللغة وكان تلميذاً لأبي الأسود الدؤلي. مات سنة ١٢٩ هـ.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٦١.

من قبل ومن ذُريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا وعيسى والياس﴾[1] ثم قال يحيى بن يعمر: فمن كان أبا عيسى وقد ألحقه الله بذرية إبراهيم؟ وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين. ومحمد صلوات الله عليه وسلامه. فقال له الحجاج: ما أراك إلا قد خرجت، وأتيت بها مبينة واضحة، والله لقد قرأتها وما علمت بها قط، وهذا من الاستنباطات البديعة. ثم قال له الحجاج: أخبرني عني هل ألحن؟ فسكت. فقال: أقسمت عليك. فقال: أما إذ أقسمت علي أيها الأمير، فإنك ترفع ما يُخفض وتخفض ما يُرفع. فقال: ذاك والله اللحن السيء. ثم كتب إلى قتيبة بن مسلم: إذا جاءك كتابي هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام. وقيل: إن الحجاج قال ليحيى: أسمعتني ألحن؟ قال: في حرف واحد. قال: في أي؟ قال: في القرآن. قال: ذلك أشنع ما هو! قال: تقول ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾[2] إلى قوله: ﴿أحب إليكم﴾ فتقرأها بالرفع. فقال له الحجاج: لا جرم تسمع لي لحناً. وألحقه بخراسان. قال الشعبي: كان الحجاج لما طال عليه الكلام نسي ما ابتدأ به. وذكره ابن خلكان في ترجمة يحيى بن يعمر[3]، وفيه بعض مخالفة. قلت: في كلام يحيى تصريح بأن الضمير في ومن ذريته، يعود على إبراهيم والذي في الكواشي والبغوي وغيرهما أن الضمير يعود إلى نوح، لأن الله تعالى ذكر من جملتهم يونس ولوطاً فقال: ﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين[4]﴾ ويونس ولوط من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم، لكن استدلاله صحيح على القول الثاني أيضاً. قال ابن خلكان: كان يحيى بن يعمر تابعياً عالماً بالقرآن والنحو، وكان شيعياً من الشيعة الأول، يتشيع تشيعاً حسناً، يقول بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لأحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. قال ابن خلكان: خطب أمير بالبصرة فقال: اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هوارة عليه. فلم يدروا ما قال الأمير فسألوا أبا سعيد يحيى بن يعمر العدواني، فقال: الهوارة الضياع، كأنه قال من اتقى الله فلا ضياع عليه. والهورات المهالك واحدها هورة. وحدث الأصمعي بهذا الحديث، فقال: إن الغريب لواسع، لم أسمع بهذا قط. وتوفي يحيى بن يعمر سنة تسع وعشرين ومائة ويَعمَر بفتح الياء والميم بينهما عين مهملة ساكنة وقيل بضم الميم والأول أصح انتهى.

تتمة: قال نصر الله بن يحيى، وكان من الثقات وأهل السنة: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في المنام، فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال لي: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟ فقلت: لا. فقال: إسمعها منه. ثم انتبهت فبادرت إلى حيص بيص، فذكرت له الرؤيا. فشهق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فمه ولا خطه إلى أحد وما نظمها إلا في ليلته ثم أنشدني قوله[5]:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٨٤ ـ ٨٥ ـ ٨٦.
(٢) سورة التوبة: الآية ٢٤.
(٣) وفيات الأعيان: ١٧٣/٦.
(٤) سورة الأنعام: الآية ٨٥.
(٥) الأبيات مع ترجمة حيص بيص: ٣٦٥/٢.

وحللتمـو قتـل الأسـارى وطـالمـا | عدونا على الأسرى فنعفو ونصفحُ[1]
وحسبكمـو هـذا التفـاوت بينـنـا | وكـل إناء بـالـذي فيـه ينضح[2]

وإسم الحيص بيص سعد بن محمد أبو الفوارس التميمي شاعر مشهور، ويعرف بابن الصيفي ولقب بالحيص بيص لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد، فقال: ما للناس في حيص بيص؟ فبقي عليه هذا اللقب. ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط، وتفقه على مذهب الإمام الشافعي وغلب عليه الأدب ونظم الشعر وكان مجيداً فيه وكان إذا سئل عن عمره يقول: أنا أعيش في الدنيا مجازفة لأنه كان لا يحفظ مولده وتوفي سنة أربع وسبعين وخمسمائة. ومن محاسن شعره:

يـا طـالب الرزق في الآفـاق مجتهـدا | أقصر عنـاك فـإن الـرزق مقسـومُ
الــرزق يسعى إلى من ليس يـطلبـه | وطـالب الـرزق يسعى وهــو محـروم

وله أيضاً:

يـا طـالب الـطب من داء أصيب بـه | إن الـطبيب الـذي أبـلاك بـالـداء
هـو الـطبيب الـذي يـرجى لعـافيـة | لا من يـذيب لـك الـتريـاق في المـاء

وله أيضاً:

إلــه عـــما اســتـــأثـــر الله بـــه | أيهـــا الـقـلب ودع عــنــك الحــرق
فــقــضـــاء الله لا يـــدفـعـــه | حـــول محـتـــال إذا الأمـــر ســبــق

وله أيضاً:

أنفق ولا تخش إقــلالاً فقـد قسمت | عــلى الـعـبــاد مــن الــرحمـن ارزاقُ
لا ينفـع البخـل مـع دنيـا مـوليـة | ولا يضر مــع الإقـبــال إنـفــاق

**الأمثال**: قالوا[3]: «أعز من مخ البعوض» وقالوا[4]: «كلفتني مخ البعوض»، يضرب لمن يكلف الأمور الشاقة. «وأضعف من بعوضة[5]».

**فائدة**: قوله تعالى: **﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾**[6]. قال الحسن وغيره: سبب نزولها أن الكفار أنكروا ضرب الأمثال، في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت، وقيل لما ضرب الله تعالى المثلين، في أول السورة للمنافقين، يعني قوله[7] تعالى: **﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾** وقوله تعالى: **﴿أو كصيب من السماء﴾**[8] قالوا: والله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال. فأنزل الله تعالى هذه الآية. قال الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما:

---

(١) في الوفيات: «.. نعف ونصفحُ..».
(٢) «فحسبكم هذا...».
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٥٦.
(٤) مجمع الأمثال: ٢/١٤٧.
(٥) جمهرة الأمثال: ٢/٨.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٦.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٧.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٩.

المعنى فما فوقها في الصغر. وقال قتادة وابن جريج وغيرهما: المعنى في الكبر. قال ابن عطية: الكل محتمل والله أعلم.

البعير: سمي بعيراً لأنه يبعر، يقال: بعر البعير بفتح العين فيهما بعراً بإسكان العين كذبح يذبح ذبحاً، قاله ابن السكيت وهو إسم على الذكروالأنثى وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس، فالجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والقعود بمنزلة الفتى، والقلوص بمنزلة الجارية، وحكي عن بعض العرب: صرعتني بعيري، أي ناقتي، وشربت من لبن بعيري. وإنما يقال له بعيراً إذا أجذع، والجمع أبعرة وأباعرو بعران. قال مجاهد في قوله[1] تعالى: ﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾ أراد بالبعير الحمار، لأن بعض العرب يقول للحمارا بعير، وهذا شاذ، ولو أوصى ببعير تناول الناقة على الأصح. وهو كالخلاف في تناول الشاة الذكر، وإن كان عكسه في الصورة. والوجه الثاني عدم التناول. وهو المحكي عن النص، والمعروف في كلام الناس خلاف كلام العرب تنزيلاً للبعير منزلة الجمل. قال الرافعي: وربما أفهمَك كلامهم توسطا بين تنزيل النص، على ما إذا عم العرف باستعمال البعير بمعنى الجمل، والعمل بما تقتضيه اللغة إذا لم يعم لا جرم. قال الشيخ الإمام السبكي: إن تصحيح خلاف النص في مثل هذه المسائل بعيد، لأن الشافعي رضي الله عنه اعرف باللغة، فلا يخرج عنها إلا لعرف مطرد، فإن صح عرف بخلاف قوله اتبع، وإلا فالأولى اتباع قوله.

فرع: لو وقع بعيران في بئر، أحدهما فوق الآخر، فطعن الأعلى ومات الأسفل بثقله، حرم الأسفل لأن الطعنة لم تصبه، فإن أصابتها حلا جميعاً. فإذا شك هل مات بالثقل أم بالطعنة النافذة، وقد علم أنها اصابته قبل مفارقة الروح حل. وإن شك هل أصابته قبل مفارقة الروح أم بعدها؟ قال البغوي في الفتاوى: يحتمل وجهين، بناء على أن العبد الغائب المنقطع خبره هل يجزيء اعتاقه عن الكفارة أم لا؟ ومن ذلك ما لو رمى غير مقدور عليه، فصار مقدوراً عليه، ثم أصاب غير مذبحه لم يحل. ولو رمى مقدوراً عليه فصار غير مقدور عليه، فأصاب غير مذبحه لم يحل. فإن أصاب مذبحه حل. وفي سنن أبي داود النسائي وابن ماجه، عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى جارية أو غلاماً أو دابة، فليأخذ بناصيتها وليقل: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه، وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه. وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليدع بالبركة وليقل مثل[2] ذلك».

فائدة: قال ابن الأثير: «خرج خلاد بن رافع وأخوه رضي الله عنهما إلى بدر على بعير أعجف، فلما انتهيا إلى قرب الروحاء، برك البعير. قال فقلنا: اللهم لك علينا، إن انتهينا إلى بدر، أن ننحره فرآنا النبي ﷺ فقال: «ما بالكما». فأخبرناه، فنزل النبي ﷺ فتوضأ ثم بزق في وضوئه ثم أمرهما ففتحا فم البعير فصب في جوفه، ثم على رأسه، ثم على عنقه، ثم على غاربه، ثم على سنامه، ثم على عجزه، ثم على ذنبه، ثم قال ﷺ: «أللهم احمل رفاعة وخلادا». فقمنا نرحل،

(١) سورة يوسف: الآية ٧٢.

(٢) رواه أبو داود في النكاح: ٤٥. وابن ماجه في النكاح: ٢٧. والموطأ في النكاح: ٥٢.

فأدركنا أول الركب فلما انتهينا إلى بدر برك فنحرناه وتصدقنا بلحمه.

**فائدة أخرى:** روى أبو القاسم الطبراني، في كتاب الدعوات، عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، قال: غزونا غزوة مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا في مجمع طرق المدينة، فبصرنا بأعرابي أخذ بخطام بعير حتى وقف على رسول الله ﷺ، ونحن حوله فقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد النبي ﷺ عليه السلام، وقال: «كيف أصبحت»؟ فجاء رجل كأنه حرسي فقال: يا رسول الله هذا الأعرابي سرق بعيري هذا، فرغا البعير وحن ساعة، فأنصت له النبي ﷺ يسمع رغاءه وحنينه، فلما هدأ البعير أقبل النبي ﷺ على الحرسي وقال: «انصرف عنه، فإن البعير يشهد عليك أنك كاذب». فانصرف الحرسي وأقبل النبي ﷺ على الأعرابي، وقال: «أي شيء قلت حين جئتني»؟ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قلت: اللهم صلِّ على محمد حتى لا تبقى صلاة، اللهم وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة، اللهم وسلم على محمد حتى لا يبقى سلام، اللهم وارحم محمداً حتى لا تبقى رحمة. فقال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى أبداها لي، والبعير ينطق بقدرته، وإن الملائكة قد سدوا أفق السماء». وفيه أيضاً عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «جاؤوا برجل إلى النبي ﷺ، فشهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم فأمر النبي ﷺ أن يقطع، فولى الرجل وهو يقول: اللهم صلِّ على محمد حتى لا يبقى من صلواتك شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء، وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء. فتكلم البعير وقال يا محمد إنه بريء من سرقتي. فقال النبي ﷺ: «من يأتي بالرجل فابتدر إليه سبعون من أهل بدر، فجاؤوا به إلى النبي ﷺ، فقال: يا هذا ما قلت آنفاً؟ فأخبره بما قال، فقال النبي ﷺ: «لأجل ذلك رأيت الملائكة يخترقون سكك المدينة، حتى كادوا يحولون بيني وبينك، ثم قال ﷺ: لتردن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر». اهـ. وسيأتي، إن شاء الله تعالى، في الناقة حديث رواه الحاكم في هذا المعنى.

وروى[1] ابن ماجه عن تميم الداري رضي الله تعالى عنه قال: «كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل علينا بعير يعدو حتى وقف على هامة رسول الله ﷺ ورغا، فقال رسول الله ﷺ: «أيها البعير اسكن فإن تك صادقاً فلك صدقك، وإن تك كاذباً فعليك كذبك، مع أن الله قد أمن عائذنا، وليس بخائب لائذنا». فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ فقال ﷺ: «هذا بعير قد هم أهله بنحره وأكل لحمه، فهرب منهم واستغاث بنبيكم». فبينما نحن كذلك، إذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير، عاد إلى هامة رسول الله ﷺ فلاذ بها، فقالوا: يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه يشكو إلي ويبث الشكاية» فقالوا: يا رسول الله ما يقول؟ قال: يقول: «إنه ربي في أمنكم أحوالاً، وكنتم تحملون عليه في الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء، حملتم عليه إلى موضع الدفء فلما كبر استفحلتموه، فرزقكم الله تعالى منه إبلاً سائمة، فلما أدركته هذه السنة الخصبة هممتم بنحره وأكل لحمه». فقالوا: يا رسول الله قد والله كان ذلك: فقال

---

(١) الحديث بتمامه رواه ابن حنبل: ٤/١٧٢، ١٧٣.

عليه الصلاة والسلام: «ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه». فقالوا: يا رسول الله فإنا لا نبيعه ولا ننحره. فقال النبي ﷺ: «كذبتم فقد استغاث بكم فلم تغيثوه، وأنا أولى بالرحمة منكم، فإن الله تعالى قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين، وأسكنها في قلوب المؤمنين» فاشتراه عليه الصلاة والسلام منهم بمائة درهم، وقال: «أيها البعير انطلق فأنت حر لوجه الله تعالى». قال: فرغا البعير على هامة رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام. «آمين»، ثم رغا الثانية فقال: «آمين» ثم رغا الثالثة فقال: «آمين» ثم رغا الرابعة فبكى عليه الصلاة والسلام. فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال ﷺ: «قال جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيراً فقلت: آمين. ثم قال: سكن الله رعب أمتك إلى يوم القيامة كما سكنت رعبي، فقلت: آمين. ثم قال: حقن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمي. فقلت: آمين. ثم قال: لا جعل الله بأسها بينها، فبكيت. فإن هذه الخصال سألتها ربي فأعطانيها، ومنعني هذه وأخبرني جبريل عليه السلام، عن الله عزّ وجلّ، أن فناء أمتي بالسيف جرى القلم بما هو كائن».

تتمة: قال الطرطوشي في سراج الملوك، وابن بلبان[1]، والمقدسي في شرح الأسماء الحسنى، وغيرهم عن الفضل بن الربيع قال: حج الرشيد، فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ سمعت قرع الباب فقلت: من هذا؟ قيل: أجب أمير المؤمنين. فخرجت مسرعاً فوجدت الرشيد، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك. فقال: ويحك قد حاك في نفسي أمر لا يخرجه إلا عالم، فانظر لي رجلاً اسأله عنه. فقلت: يا أمير المؤمنين، ههنا سفيان بن عيينة، قال: فامض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا عليه الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً وقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي أتيتك. قال: جد لما جئنا له، فحادثه ساعة، ثم قال له: أعليك دين؟ قال: نعم. قال: يا عباس اقض دينه. ثم انصرفنا فقال: ما أغنى عني صاحبك هذا شيئاً. فانظر لي رجلاً أسأله. قال: فقلت: ههنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه. فأتيناه فإذا هو قائم يصلي، يتلو آية من كتاب الله عزّ وجلّ ويرددها فقرعت الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أما تجب عليك طاعته؟ فقال: أو ليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس لمؤمن أن يذل نفسه[2]». وفتح الباب ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة مسرعاً، فأطفأ السراج والتجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد إليه فقال: أواه ما ألينها من يدٍ، إن نجت غداً من عذاب الله! فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، فقال: جد لما جئنا له، قال: وفيم جئت حملت على نفسك، وجميع من معك حملوا عليك، حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم، أن يحملوا عنك شقصاً من ذنب ما فعلوا، ولكان أشدهم حباً لك، أشدهم هرباً منك. ثم قال: إن عمر بن عبد العزيز، لما ولي

---

(١) هو علي بن عبد الله علاء الدين الفارسي فقيه حنفي سكن القاهرة، له مصنفات منها «الأحاديث العوالي» توفي سنة ٧٣٩ هـ.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن ٢١، والترمذي في الفتن ٦٦، وابن حنبل: ٤٠٥/٥. ولفظه: «لا ينبغي لمؤمن. . .».

الخلافة، دعا سالم[1] بن عبد الله بن عمرو محمد بن كعب القرظي[2] ورجاء بن[3] حيَوة، وقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علي؟ فعد الخلافة بلاءً وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها على الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين لك أباً، وأوسطهم لك أخاً، وأصغرهم لك ولداً، فبر أباك، وارحم أخاك، وتحنن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غداً، من عذاب الله، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم متى شئت مت، وإني لأقول لك هذا، وإني لأخاف عليك أشد الخوف، يوم تزل الاقدام، فهل معك، يرحمك الله، مثل هؤلاء القوم، من يأمرك بمثل هذا؟ قال: فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً حتى غشي عليه. فقلت: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه السهر، فكتب إليه عمر يقول: يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار، وخلود الآباد فيها، فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائماً ويقظان، وإياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل، فيكون آخر العهد بك، ومنقطع الرجاء منك، والسلام. فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال له عمر: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا وليت لك ولاية أبداً حتى ألقى الله سبحانه وتعالى. فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: زدني يرحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن جدك العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ جاءه، فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة، فقال له النبي ﷺ: «يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من إمارة تحصيها إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل[4]». فبكى هارون بكاءً شديداً. ثم قال: زدني يرحمك الله، فقال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عزّ وجلّ يوم القيامة عن هذا الخلق، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لرعيتك، فقد قال النبي ﷺ: «من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة[5]». فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال: أعليك دين؟ قال: نعم دين لربي يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن لم يلهمني حجتي. فقال: هارون إنما أعني دين العباد. فقال: إن ربي لم يأمرني بهذا، وإنما أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال[6] تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾** فقال له الرشيد: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادة ربك. فقال فضيل: سبحان الله أنا أدلك على النجاة

---

(١) رواه البخاري في الأحكام: ٧. والنسائي في البيعة ٣٩، والقضاة: ٥ وابن حنبل: ٢/٤٤٨، ٤٧٦.

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، من فقهاء المدينة السبعة. توفي بالمدينة سنة ١٠٦ هـ.

(٣) محمد بن كعب بن سُليم القرظي، عالم بتفسير القرآن مات سنة ١٠٨ هـ. وقيل سنة ١١٧ هـ.

(٤) رجاء بن حيوة بن جرول الكندي أبو المقدام، شيخ أهل الشام في عصره، لازم عمر بن عبد العزيز وكتب لسليمان بن عبد الملك. مات سنة ١١٢ هـ.

(٥) رواه البخاري في الجزية: ٥، والديات ٣٠، والأحكام ٨، ورواه أبو داود في الترجل: ٢٠ ورواه الترمذي في الطلاق: ١١، والديات: ١١، ورواه النسائي في الزينة: ١٥.

(٦) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

وتكافئني بمثل هذا سلمك الله! ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فقال لي الرشيد: إذا دللتني على رجل فدلّني على مثل هذا فإن هذا سيد المؤمنين اليوم. ويروى أن امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال لانفرجنا به. فقال: إن مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير، يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه. موتوا يا أهلي جوعاً ولا تنحروا فضيلاً. فلما سمع الرشيد ذلك، قال: ادخل بنا فعسى أن يقبل المال. قال: فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج فجلس على السطح، فوق التراب. فجاء هارون الرشيد فجلس إلى جنبه، فكلمه فلم يرد عليه، فبينما نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد أذيت الشيخ منذ أتيته، فانصرف يرحمك الله راشداً. فانصرفنا. وقال القاضي ابن خلكان في ترجمة(1) الفضيل رحمه الله: فبلغ ذلك سفيان الثوري، فجاء إليه وقال له: يا أبا علي قد أخطأت في ردك البدرة ألا أخذتها وصرفتها في وجوه البر. فأخذ بلحيته وقال: يا أبا محمد أنت فقيه بالبلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط! لو طابت لأولئك لطابت لي. ا هـ.

ولعل المذكور إنما كان سفيان بن عيينة لاسفيان الثوري والله أعلم.

وقال الرشيد لفضيل بن عياض: يرحمك الله ما أزهدك! فقال: أنت أزهد مني لأني أزهد في الدنيا وأنت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية! وقيل إن الفضيل، كانت له ابنة صغيرة، فوجع كفها فسألها يوماً وقال: يا بنية ما حال كفك؟ فقالت: يا أبت بخير والله لئن كان الله تعالى ابتلى مني قليلاً، فلقد عافى مني كثيراً ابتلى كفي وعافى سائر بدني فله الحمد على ذلك. فقال: يا بنية أريني كفك فأرته فقبّله، فقالت: يا أبت أناشدك الله هل تحبني؟ قال: اللهم نعم. فقالت: سوأة لك من الله، والله ما ظننت أنك تحب مع الله سواه. فصاح الفضيل وقال: يا سيدي صبية صغيرة، تعاتبني في حبي لغيرك. وعزتك وجلالك لا أحببت معك سواك. وشكا رجل إلى الفضيل بن عياض حاله فقال له: يا أخي هل من مدبر غير الله تعالى؟ فقال: لا. قال: فارض به مدبراً. وقال: إني لأعصى الله تعالى، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي. وقال: إذا أحب الله تعالى عبداً أكثر غمه. وإذا أبغضه وسع عليه دنياه. وقال النووي في أذكاره: قال السيد الجليل فضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وسئل الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه عن المحبة فقال: هي أن تؤثر الله عزّ وجلّ على ما سواه وقال رضي الله تعالى عنه: لو كان لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا للإمام لأن الله تعالى إذا أصلح الإمام، أمن البلاد والعباد. وقال رضي الله تعالى عنه: لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه، ويحسن خلقه معهم، خير له من قيام ليله وصيام نهاره. وقال رضي الله تعالى عنه: ربما قال الرجل: لا إله إلا الله، أو سبحان الله، فأخشى عليه النار. فقيل له: كيف ذلك؟ قال: يغتاب بين يديه أحد فيعجبه ذلك، فيقول: لا إله إلا الله، أو سبحان الله، وليس هذا موضعها، وإنما هو موضع أن ينصح له في نفسه، ويقول: اتق الله. وبلغه رضي الله تعالى عنه أن ابنه علياً قال: وددت أن أكون بمكان أرى فيه الناس ولا

---

(1) وفيات الأعيان: ٤/٤٧.

يروني. فقال: ويح علي لو أتمها فقال: بمكان لا أرى فيه الناس، ولا يروني. وكان رضي الله تعالى عنه، قد جاور بمكة وأقام بها وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة.

وفي تاريخ ابن خلكان أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج إلى ملتقاه فلقيه بذي طوى، فحل سفيان خطام بعيره من القطار ووضعه على رقبته، فكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ. والأوزاعي اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام. قيل: إنه أجاب في سبعين ألف مسألة. وكان يسكن بيروت ويُحمد بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة. وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: بضم الياء المثنات تحت وكسر الميم. والأوزاعي من تابع التابعين. قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. قلت: بفضلك يا رب. ثم قلت: يا رب أمتني على الإسلام. فقال عزّ وجلّ: وعلى السنة أيضاً. وتوفي رحمه الله، في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة، وكان سبب موته أنه دخل حمام بيروت، وكان لصاحب الحمام شغل، فأغلق الباب عليه، وذهب ثم جاء وفتح الباب، فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده، وهو مستقبل القبلة. وقيل: إن امرأته فعلت ذلك به ولم تكن عامدة لذلك. والأوزاع قرية بدمشق، ولم يكن أبو عمرو منهم، وإنما نزل فيهم، فنسب إليهم. وهو من سبي اليمن. وقال النووي: إنه ولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين، وهو مدفون في قبلة مسجد قرية حنتوس، وهي على باب بيروت. وأهل القرية لا يعرفونه، بل يقولون: ههنا قبر رجل صالح ينزل عليه النور، ولا يعرفه إلا الخواص من الناس رحمة الله عليه.

**الحكم**: البعير تقدم حكمه في الإبل. ويستحب عند ركوب الإبل، أن يذكر اسم الله تعالى عليها، لما روى أحمد والطبراني عن أبي لاس الخزاعي قال: حملنا رسول الله ﷺ على إبل من الصدقة ضعاف للحج، فقلنا: يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه! فقال[1]: «ما من بعير إلا وفي ذروته شيطان، فإذا ركبتموها، فاذكروا اسم الله عليها كما أمركم الله، ثم امتهنوها لأنفسكم، فإنما يحمل الله عزّ وجلّ». وقد أشار البخاري، في صحيحه في أبواب الزكاة، إلى بعض هذا الحديث ولم يذكره بتمامه.

**الأمثال**: قالوا[2]: «أخف حلماً من بعير». وقالوا[3]: «هما كركبتي بعير» إشارة إلى الاستواء. كما قالوا[4]: «هما كفرسي رهان». والمثل لهرم بن قطبة الفزاري، وقد أطال فيه الميداني

---

(١) رواه البخاري في الاستئذان: ٣٨، وابن حنبل: ٣/٤٩٤. ٤/٢٢١.

(٢) جمهرة الأمثال: ١/٣٤٧.

(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٢٨١.

جمهرة الأمثال: ٢/٢٨٩.

وغيره. وقالوا[١] «كالحادي وليس له بعير». يضرب للمتشبع بما لم يعط، وأحسن من هذا وأوجز قوله[٢] ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور».

وقال بعض المعمرين:

أصبحت لا أحمل السلاحَ ولا ... أملك رأس البعير إذ نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعدما قوة أصيب بها ... أصبحت شيخاً أعالج الكبرا

تذنيب: قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي، في الأذكياء[٣] وغيره، روي أن الحسن بن هانىء، الشهير بأبي نواس، قال استقبلتني امرأة في هودج على بعير، ولم تكن تعرفني، فأسفرت عن وجهها، فإذا هو في غاية الحسن والجمال، فقالت: ما اسمك؟ فقلت: وجهك. فقالت: الحسن إذن. ومما يشبه هذا الذكاء، ما نقل أن المأمون غضب على عبد الله بن طاهر، وشاور أصحابه في الإيقاع به، وكان قد حضر ذلك المجلس صديق له، فكتب له كتاباً فيه «بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى»، فلما فضه ووجد ذلك فعجب وبقي يطيل النظر إليه ولا يفهم معناه، وكانت له جارية واقفة على رأسه، فقالت له: يا سيدي إني أفهم معنى هذا. فقال: وما هو؟ فقالت: إنه أراد قوله[٤] تعالى: ﴿يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون، فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون في عدم الحضور. فكان ذلك سبب سلامته. وأحسن من هذا ما ذكره ابن خلكان فقال: إن بعض الملوك غضب على بعض عماله، فأمر وزيره أن يكتب إليه كتاباً يشخصه به، وكان للوزير بالعامل عناية فكتب إليه كتاباً، وكتب في آخره إن شاء الله تعالى، وجعل في صدر النون شدة، فتعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير، إذ من عادة الكتاب أن لا يشكلوا كتبهم، ففكر في ذلك فظهر له أنه أراد ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾، فكشط الشدة وجعل مكانها ألفاً، وختم الكتاب وأعاده للوزير. فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم أنه أراد: ﴿إنا لن ندخلها أبداً ما داموا[٥] فيها﴾ والله تعالى أعلم.

البغاث: بفتح الباء الموحدة وكسرها وضمها ثلاث لغات، وبالغين المعجمة، طائر أغبر دون الرخمة بطيء الطيران، وهو من شرار الطير، ومما لا يصيد منها، وقال يونس: من جعل البغاث واحداً فجمعه بغثان مثل غزال وغزلان. ومن قال للذكر والأنثى بغاثة فالجمع بغاث مثل نعامة ونعام. وبغاث الطير شرارها وما لا يصيد منها. قال الشيخ أبو إسحق في المهذب في باب

(١) جمهرة الأمثال: ٢/١٢٤.

(٢) رواه مسلم في اللباس: ١٢٧. وأبو داود في الأدب: ٨٣، وابن حنبل: ٦/٩٠، ١٦٧، ٣٤٥.

(٣) الأذكياء: ٢١٩.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٠.

(٥) سورة المائدة: الآية ٢٤.

الحجر: لا يسافر الولي بمال المحجور عليه، لما روي أن المسافر وماله لعلي. قلت أي هلاك. ومنه قول العباس بن مرداس السُّلمي[1]:

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور

وقوله مِقلات بكسر الميم، والمقلات من النساء التي لا يعيش لها ولد، ومن النوق من تلد ولداً واحداً ولا تلد بعده. وقيل: المقلات التي تعمل وكرهاً في المهالك. والنزور بفتح النون القليلة الأولاد والنزر القليل.

الحكم: تحريم الأكل لخبثه.

**الأمثال**: قالت العرب: «البغاث بأرضنا يستنسر[2]» أي من جاورنا عز بنا. وقيل: معناه إن الضعيف يستضعفنا، ويظهر قوته علينا.

**البغل**: معروف، وكنيته أبو الأشحج وأبو الحرون وأبو الصقر وأبو قضاعة وأبو قموص وأبو كعب وأبو مختار وأبو ملعون. ويقال له ابن ناهق وهو مركب من الفرس والحمار، ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل. وكذلك شحيجه أي صوته مولد من صهيل الفرس ونهيق الحمار، وهو عقيم لا يولد له، لكن في تاريخ ابن البطريق، في حوادث سنة أربع وأربعين وأربعمائة، أن بغلة بنابلس ولدت في بطن حجرة سوداء بغلاً أبيض. قال: وهذا أعجب ما سمع. اهـ.

وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة، والأخلاق المتباينة، والعناصر المتباعدة، وإذا كان الذكر حماراً، يكون شديد الشبه بالفرس، وإذا كان الذكر فرساً، يكون شديد الشبه بالحمار. ومن العجب أن كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس والحمار، وكذلك أخلاقه ليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار. ويقال: إن أول من أنتجها قارون وله صبر الحمار وقوة الفرس، ويوصف برداءة الأخلاق والتلون لأجل التركيب وينشد في ذلك قوله:

خلق جديد كل يوم مثل أخلاق البغال

لكنه، مع ذلك، يوصف بالهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة، وهو مع ذلك مركب الملوك في أسفارها، وقعيدة الصعاليك[3] في قضاء أوطارها، مع احتماله للأثقال، وصبره على طول الإيغال، وفي ذلك يقال:

---

(١) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، أبو الهيثم، شاعر فارسي أمه الخنساء الشاعرة، أدرك الجاهلية والإسلام. مات سنة ١٨ هـ.

(٢) جمهرة الأمثال: ١٨٨/١.

(٣) الصعاليك: جمع الصعلوك: الفقير.

مـركـب قـاض وإمـام عـدل وعـالم وسـيـد وكـهـل

يصلح للرحل وغير الرحل.

وفي الكامل لأبي العباس المبرد، قال العباس بن الفرج: نظر إلى عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وهو على بغلة قد شمط وجهها هرماً، فقيل له: أتركب هذه وأنت على أكرم باحرة بمصر؟ فقال: إنه لا ملل عندي لدابتي ما حملت رجلي، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفظ سري. إن الملل من كواذب الأخلاق وفيه أيضاً أن رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة، لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه فقيل لي: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، فأتيته، وقد امتلأ قلبي له بغضاً، فقلت له: أنت ابن أبي طالب؟ فقال لي بل أنا ابن ابنه. فقلت: بك وبأبيك أسب علياً، فلما انقضى كلامي، قال: أحسبك غريباً قلت: أجل قال: فمل بنا إلى الدار فإن احتجت إلى منزل أنزلناك، أو إلى مال واسيناك، أو إلى حاجة عاوناك على قضائها، فانصرفت من عنده وما على وجه الأرض أحب إلي منه. ا هـ.

قلت: وكان علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما، يلقب بزين العابدين، وأمه سلامة، وكان له أخ أكبر منه يسمى علياً أيضاً، قتل مع أبيه بكر بلاء، روى الحديث عن أبيه وعن عمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة، أمهات المؤمنين رضي الله عنهم. قال ابن خلكان: كانت أمه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار، أن يزدجرد كان له ثلاث بنات، سبين في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فحصلت واحدة منهن لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، فأولدها سالماً. والأخرى لمحمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، فأولدها قاسماً. والأخرى للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما فأولدها علياً زين العابدين رضي الله تعالى عنهم، فكلهم بنو خالة. وكان زين العابدين مع أبيه بكر بلاء فاستبقي لصغر سنه، لأنهم قتلوا كل من أنبت، كما يفعل بالكفار قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ولعنه، وكان قد هم عبيدالله بن زياد بقتله ثم صرفه الله تعالى عنه. وأشار بعض الفجرة، على يزيد بن معاوية بقتله أيضاً، فحماه الله منه. ثم إن يزيد بن معاوية صار يكرمه ويعظمه ويجلسه معه، ولا يأكل إلا وهو معه ثم بعثه إلى المدينة، فكان بها محترماً معظماً. قال ابن عساكر ومسجده بدمشق معروف، وهو الذي يقال له مشهد علي بجامع دمشق. قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه. وقال محمد بن سعد: كان زين العابدين ثقة مؤمونا، كثير الحديث عن رسول الله ﷺ، عالماً، ولم يكن في أهل البيت مثله. وقال الأصمعي: لم يكن للحسين رضي الله عنه عقب إلا من ابنه زين العابدين، ولم يكن لزين العابدين نسل إلا من ابنة عمه الحسن رضي الله تعالى عنه، فجميع الحسينيين من نسله. وكان إذا توضأ يصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة أرعد من الفرق أي الخوف، فقيل له في ذلك فقال: أتدرون بين يدي من أقوم ولم أناجي؟ ويروى أنه احترق البيت الذي هو فيه، وهو قائم يصلي، فلما انصرف، قيل له: ما بالك لم تنصرف حين وقعت النار؟ فقال: إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى ويروى أنه لما حج، وأراد أن يلبي أرعد واصفر وخر مغشياً عليه، فلما أفاق، سئل عن ذلك فقال: إني لأخشى أن

أقول لبيك اللهم لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك، فشجعوه قالوا: لا بد من التلبية، فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن راحلته. وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، وكان كثير الصدقات، وكان أكثر صدقته بالليل، وكان يقول: «صدقة الليل تطفىء غضب الرب» وكان كثير البكاء، فقيل له في ذلك فقال: إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف، ولم يتحقق موته، فكيف لا أبكي وقد رأيت بضعة عشر رجلاً يذبحون من أهلي في غداة واحدة؟ وكان إذا خرج من منزله قال: اللهم إني أتصدق اليوم أو أهب عرضي اليوم لمن يغتابني. ومات لرجل ولد مسرف على نفسه، فجزع عليه، فقال له علي بن الحسين إن من وراء ولدك خلالاً ثلاثة: شهادة أن لا إله إلا الله، وشفاعة رسول الله، ورحمة الله. واختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها زين العابدين والمشهور عند الجمهور أنه توفي سنة أربع وتسعين في أولها. وقال ابن الفلاس: وفيها مات سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن. وقال بعضهم: توفي في سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين. وأغرب المدائني في قوله إنه توفي سنة مائة وقيل توفي في سنة تسع وتسعين. وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة، ودفن في قبر عمه الحسن رضي الله عنهما، وعن آبائهم الكرام، وعن أصحاب رسول الله أجمعين. وفي وفيات الأعيان في ترجمة جلال الدولة ملك شاه أن المقتدي بأمر الله، جهز الشيخ أبا إسحاق الشيرازي الفيروز أبادي، صاحب التنبيه والمهذب وغيرهما، إلى نيسابور سفيراً له، في خطبة ابنة الملك جلال الدولة فنجز الشغل، وناظر إمام الحرمين هناك، فلما أراد الانصراف من نيسابور، خرج إمام الحرمين إلى وداعه، وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحاق بغلته، وظهر له في خراسان منزلة عظيمة، وكانوا يأخذون التراب الذي وطئته بغلته فيتبركون به. وكان رحمه الله إماماً عالماً عاملاً ورعاً زاهداً عابداً. توفي في سنة ست وسبعين وأربعمائة، وتوفي إمام الحرمين في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وغلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره بالجامع، وكانت تلامذته قريباً من أربعمائة نفر، فكسروا محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عاماً كاملاً. وفي تاريخ بغداد ووفيات الأعيان أن أبا حنيفة كان له جار اسكافي يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلاً تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه أنشد يغني ويقول:(1)

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت، حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة. وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه فقيل له: أخذه العسس منذ ليال، فصلى أبو حنيفة الفجر من غده، ثم ركب بغلته وأتى دار الأمير، فاستأذن عليه فقال: ائذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط، ففعل به ذلك، فوسع له الأمير من مجلسه، وقال له: ما حاجتك؟ فشفع في جاره. فقال الأمير: اطلقوه وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا فأطلقوهم أيضاً فذهبوا فركب أبو حنيفة بغلته، وخرج والإسكافي معه يمشي وراءه، فقال له أبو حنيفة: يا فتى هل أضعناك؟ فقال: بل حفظت ورعيت، فجزاك الله خيراً عن حرمة الجوار. ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل. واسم أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن

(1) البيت في الأغاني: ١/٤١٣ وهو للعرجي.

ماه، وكان عالماً عاملاً. قال الشافعي: قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً، لقام بحجته! وكان الشافعي يقول: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه، وعلى زهير بن أبي سلمى[1] في الشعر، وعلى محمد بن إسحاق[2] في المغازي، وعلى الكسائي[3] في النحو، وعلى مقاتل بن سليمان[4] في التفسير. وكان أبو حنيفة إماماً في القياس، وداوم على صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. وكان عامة ليله يقرأ القرآن في ركعة واحدة، وكان يبكي في الليل حتى يرحمه جيرانه. وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. ولم يفطر منذ ثلاثين سنة، ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية. حكي أن أبا عمرو بن العلاء، سأله عن القتل بالمثقل، هل يوجب القود؟ قال: لا، على قاعدة مذهبه خلافاً للشافعي. فقال له أبو عمرو: لو قتله بحجر المنجنيق؟ فقال: ولو قتله بأبا قبيس: يعني الجبل المطل على مكة. وقد اعتذر عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يعرب الأسماء الستة بالألف في الأحوال الثلاثة وأنشدوا على ذلك:

إن أباها وأبا أباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين، وأبو حنيفة من أهل الكوفة. وتوفي أبو حنيفة في السجن ببغداد سنة خمسين ومائة، وقيل غير ذلك، وقيل لم يمت في السجن، وقيل مات في اليوم الذي ولد فيه الشافعي، وقيل في العام لا في اليوم كما تقدم. وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: توفي في سنة إحدى وقيل ثلاث وخمسين ومائة والله أعلم قلت: البيت المذكور في حكاية الإسكافي المتقدمة، للعرجي عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم. وقد استشهد به النضر بن شميل على المأمون، قال ابن خلكان: دخل النضر[5] بن شميل على المأمون ليلة، فتفاوضا الحديث فروى المأمون عن هشيم بسنده إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: قال[6] رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان فيه سداد من عوز» بفتح السين. فقال النضر: يا أمير المؤمنين صدق هشيم حدثنا فلان عن فلان إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قال: قال[6] رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها، فهو سداد من عوز» بكسر السين. قال: وكان المأمون متكئاً، فاستوى جالساً وقال: كيف قلت

---

(١) زهير بن أبي سلمى المزني. الشاعر الجاهلي الحكيم.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو بكر، إمام في المغازي والسير وثقة في الحديث، توفي ببغداد سنة ١٥١ هـ.

(٣) الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن، أحد القراء السبعة، إمام في النحو واللغة والقراءات. مات بطوس سنة ١٨٣ هـ وقيل سنة ١٨٩ هـ بالري.

(٤) مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن، الأزدي بالولاء، المفسِّر المشهور والمحدث في بغداد. وقد ساق ابن خلكان الخبر بتمامه في ترجمته لمقاتل. توفي مقاتل سنة ١٥٠ هـ في البصرة. وفيات الأعيان: ٥/٢٥٥.

(٥) النضر بن شميل بن خَرَشَة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير السُّكب، الشاعر النحوي، له دراية في الفقه واللغة وأيام العرب. توفي سنة ٢٠٣ هـ بمرو. والخبر في ترجمته في وفيات الأعيان: ٥/٣٩٩.

(٦) رواه مسلم في الرضاع ٥٤، والترمذي في النكاح ٤. وابن ماجه في النكاح ٦.

سداد؟ قال: قلت لأن السداد ههنا لحن. فقال المأمون: أتلحنني قلت إنما لحن هشيم، فتبع أمير المؤمنين لفظه. فقال ما الفرق بينهما؟ قلت: السَّداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسِّداد بالكسر البُلغة وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد. فقال المأمون: أو تعرف العرب ذلك؟ قال: قلت: نعم هذا العرجي يقول:(1):

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغرِ

فأخذ المأمون القرطاسي وكتب فيه، ثم قال لخادمه: ابلغ معه إلى الفضل(2) بن سهل فلما قرأ الفضل الرقعة قال: يا نضر قد أمر لك أمير المؤمنين بخمسين ألف درهم، فما كان السبب؟ فأخبرته فأمر لي بثلاثين ألف درهم أخرى. فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد استفيد مني. وتوفي النضر بن شمبل في سنة أربع ومائتين بمرو رحمه الله تعالى. وفي تاريخ بغداد عن أبي يوسف(3) صاحب أبي حنيفة واسمه يعقوب أنه قال: أويت ذات ليلة إلى فراشي وإذا بالباب يدق دقاً عنيفاً، فخرجت فإذا هرثمة بن أعين(4) فقال: أجب أمير المؤمنين. فركبن بغلتي ومضيت خائفاً، إلى أن وصلت دار أمير المؤمنين، فإذا أنا بمسرور فسألته من عند أمير المؤمنين؟ فقال: عيسى بن(5) جعفر فدخلت فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت عليه، وجلست فقال الرشيد: أظن أننا روّعناك؟ فقلت: أي والله ومن خلفي كذلك. فسكت ساعة ثم قال: أتدري يا يعقوب لم دعوتك؟ قلت: لا، قال: دعوتك لأشهدك على هذا، أن عنده جارية، وقد سألته أن يهبها لي، فأبى ووالله لئن لم يفعل لأقتله! قال: فالتفت إلى عيسى وقلت له ما بلغ من قدر الجارية حتى إنك تمنعها من أمير المؤمين، وتنزل نفسك هذه المنزلة من أجلها؟ ثم هي ذاهبة من يدك على كل حال؟ فقال: عجلت علي بالتوبيخ من قبل أن تعرف ما عندي، قلت: وما هو؟ قال: إن علي يميناً بالطلاق والعتاق، وصدقة ما أملكه لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها. فالتفت إليّ الرشيد وقال: هل لك في هذه من مخرج؟ قلت: نعم: وما هو؟ قلت: يهبك نصفها ويبيعك نصفها، فيكون لم يهبها ولم يبعها قال عيسى أو يجوز ذلك؟ قلت: نعم. قال فاشهد، أني وهبته نصفها، وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار. فقال الرشيد: قد قبلت الهبة، واشتريت النصف بمائة ألف دينار. ثم قال: علي بالجارية والمال فأتي بالجارية والمال. فقال: خذها يا أمير المؤمنين، بارك الله لك فيها. فقال الرشيد: يا يعقوب بقيت واحدة؟ فقلت: وما هي؟ قال: إنها مملوكة ولا

---

(1) الأغاني: 1/413.

(2) الفضل بن سهل السَّرخسي، وزير المأمون، لقبه ذو الرياستين، الوزارة والسيف، قُتل سنة 203 هـ بسَرَخس.

(3) أبو يوسف القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد ابن حبتة الأنصاري، صاحب أبي حنيفة النعمان، حافظ محدث فقيه عالم بالسير. توفي سنة 172 هـ.

(4) ابن أعين هـرثمة بن أعين، أمير من القادة، تولى مصر أيام الرشيد، وشمالي افريقية، ثم خراسان، أخلص للمأمون، وقُتل في الحبس سنة 200 هـ.

(5) عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي، أمير عباسي ابن عم هارون الرشيد. قُتل سنة 185 هـ.

بد أن تستبرأ ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه، أظن أن نفسي تخرج! فقلتّ: يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوّجها، فإن الحرة لا تستبرأ. قال: فإني قد أعتقتها. فمن يزوّجنيها؟ قلت له: أنا. فدعا بمسرور وحسين، فخطبت وحمدت الله تعالى، وزوّجته بها على عشرين ألف دينار، ثم قال: علي بالمال، فجيء به فدفعه إليها ثم قال لي: يا يعقوب انصرف، وقال لمسرور: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم، وعشرين تختاً من الثياب فحمل ذلك إليه. ا هـ.

وكان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب فمضى يوماً ليسمع المغازي، وأخل بمجلس أبي حنيفة اياماً فلما أتاه قال له: يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت؟ فقال له أبو يوسف: إنك إمام، وإن لم تمسك عن هذا سألتك على رؤوس الناس، أيما كان أول وقعة بدر أو أحد؟ فإنك لا تدري ذلك، وهي أهون مسائل التاريخ، فأمسك عنه. قيل: كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت ولا يتكلم فقال له أبو يوسف يوماً: ألا تتكلم؟ فقال: بلى. متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس. قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل كيف يصنع؟ فضحك أبو يوسف وقال له: أصبت في صمتك، وأخطأت أنا في استدعائي نطقك وأنشد[1]:

عجبت لإزراء الغبي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للغبي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

وروي أن رجلاً كان يجلس إلى بعض العلماء ولا يتكلم، فقيل له يوماً: ألا تتكلم؟ قال: نعم أخبرني لأي شيء يستحب صيام الأيام البيض من كل شهر؟ فقال: لا أدري: فقال الرجل: لكني أدري. قال: وما هو؟ قال لأن القمر لا ينكسف إلا فيهن، فأحب الله تعالى أن لا يحدث في السماء آية، إلا حدث في الأرض مثلها. وهذا أحسن ما قيل فيه. وذكر[2] ابن خلكان أن رجلاً كان يجالس الشعبي ويطيل الصمت فقال له الشعبي يوماً ألا تتكلم؟ فقال: أصمت فأسلم، وأسمع فأعلم، إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره. وتكلم شاب يوماً عند الشعبي بكلام، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا. فقال الشاب: أكل العلم سمعت؟ قال: لا. قال فشطره؟ قال: نعم. قال: فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه. فأفحم الشعبي. وأبو يوسف هو أول من دُعي بقاضي القضاة، وأول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها إلى هذا الزمان، وكان ملبوس الناس قبل ذلك، شيئاً واحداً لا يتميز أحد عن أحد بلباسه وحكي أن عبد الرحمن بن مسهر، كان قاضياً على بليدة، بين بغداد وواسط، يقال لها المبارك، فبلغه خروج الرشيد إلى البصرة، ومعه أبو يوسف القاضي في الحراقة. فقال عبد الرحمن لأهل المبارك: اثنوا علي عندهما، فأبوا عليه. فلبس ثيابه وتلقاهما، وقال نعم القاضي قاضينا، ثم مضى إلى موضع آخر وأعاد عليهما هذا القول فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف وقال: يا يعقوب قاض في موضع لا

---

(١) البيتان في وفيات الأعيان: ٣٨٣/٦ دون عزو.

(٢) وفيات الأعيان: ١٤/٣، والشعبي هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، يمني الأصل، من حمير وهو كوفي تابعي عالم بالمغازي والسير والحديث. مات سنة ١٠٥ هـ بالكوفة.

يثني عليه إلا رجل واحد بئس القاضي. فقال أبو يوسف: والعجب يا أمير المؤمنين أنه هو القاضي، وهو يثني على نفسه. فضحك الرشيد وقال: هذا أظرف الناس هذا لا يعزل أبداً توفي أبو يوسف في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة، وقيل غير ذلك. وأنشد أبو السعادات[(١)] المبارك بن الأثير لصاحب الموصل وقد زلت به بغلته:

إنْ زلتِ البغلة من تحته فإنّ في زلتها عذراً
حملها من علمه شاهقاً ومن ندى راحتيه بحراً

وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أن البغال كانت تتناسل، وكانت من أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم، خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، فدعا عليها فقطع الله نسلها.

**فائدة غريبة**: روي عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، قال: كان عندنا طحان رافضي، له بغلان، سمي أحدهما أبا بكر والآخر عمر، فرمحه أحدهما فقتله. فأخبر جدي أبو حنيفة بذلك، فقال: انظروا الذي رمحه فإنه الذي سماه عمر فنظروا فوجدوه كذلك. وفي كامل ابن عدي في ترجمة خالد بن يزيد العمري المكي، عن سفيان بن أبان، عن أنس رضي الله تعالى عنه «أن النبي ﷺ ركب بغلة فحادت به، فحبسها» وأمر[(٢)] رجلا أن يقرأ عليها ﴿قل أعوذ برب الفلق[(٣)]﴾ فسكنت وسيأتي، إن شاء الله تعالى، هذا في الدابة. وفيه عنه أيضاً أنه روى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «من ولد له ثلاثة ولم يسم أحدهم محمداً فهو من الجفاء، وإذا سميتموه محمداً فلا تسبوه ولا تعيبوه ولا تضربوه وشرفوه وكرموه وعظموه وبروا قسمه».

**فائدة**: روى أبو داود والنسائي، عن عبد الله بن زرير الغافقي المصري، عن علي رضي الله تعالى عنه قال: «أهديت لرسول الله ﷺ بغلة، فركبها فقالوا: لو حملنا الحمير على الخيل لكان لنا مثل هذه. فقال رسول الله ﷺ: «إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون[(٤)]» قال ابن حبان: معناه الذين لا يعلمون النهي عنه وقال الخطابي: يشبه أن يكون ا لمعنى في ذلك، والله أعلم، أن الحمير، إذا حملت على الخيل، تعطلت منافع الخيل وقل عددها، وانقطع نماؤها، والخيل يحتاج إليها للركوب والعدو والركض والطلب، وعليها يجاهد العدوّ، وبها تحرز الغنائم. ولحمها مأكول، ويسهم للفرس كما يسهم للرجل. وليس للبغل شيء من هذه الفضائل، فأحب النبي ﷺ، أن ينمو عدد الخيل ويكثر نسلها، لما فيها من النفع والصلاح، فإذا كانت الفحول خيلاً، والأمهات حميراً فيحتمل أن لا يكون داخلاً في النهي إلا أن يتأوّل متأوّل أن المراد بالحديث

---

(١) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات المحدث اللغوي الأصولي. توفي في قريةبالموصل سنة ٦٠٦ هـ.

(٢) رواه ابن حنبل: ١/٤٥٣، ٥/١٩٠. ورواه مسلم في الجنة: ٦٧.

(٣) سورة الفلق: الآية ١.

(٤) رواه ابن حنبل: ١/٧٨، ١٠٠، ١٥٨. وأبو داود في الجهاد: ٥٣. والنسائي في الطهارة: ١٠٥.

صيانة الخيل عن مزاوجة الحمير، وكراهة اختلاط مائها بمائها لئلا يكـون منها الحيوان المركب من نوعين مختلفين. فإن أكثر الحيوانات المركبة من نوعين من الحيوان أخبث طبعاً من أصولها التي تتولد منها، وأشد شراسة كالسِّمع والعسبار ونحوهما. ثم إن البغل حيوان عقيم ليس له نسل ولا نماء ولا يذكى ولا يزكى ثم قال: ولا أرى لهذا الرأي طائلا، فإن الله تعالى قال: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾.(١) فذكر البغال وامتن علينـا بها، كامتنانه بالخيـل والحمير، وأفـرد ذكرها بالاسم الخاص الموضوع لها، ونبه على مـا فيها من الأرب والمنفعة. والمكروه من الأشياء مذموم، لا يستحق المدح ولا يقع الامتنان به، وقد استعمل ﷺ البغـل واقتناه وركبـه حضراً وسفراً، ولو كان مكروهاً لم يقتنه ولم يستعمله، انتهى.

وروى مسلم عن يزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة، ونحن معه، إذ حادت به فكادت أن تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال ﷺ: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر» فقال رجل: أنا فقال: «متى مات هؤلاء»؟ قال: ماتوا على الإشراك. فقال ﷺ: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورهـا، فلولا أن لا تدافنـوا لدعـوت الله عزّ وجلّ أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمـع منـه». ثم أقبل النبي ﷺ علينـا بوجهـه الكريم، فقال: «تعوّذوا بالله من عذاب القبر». فقالوا: نعوذ بالله من عـذاب القبر. فقـال: «تعوّذوا بالله من عذاب النار». فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «تعوّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن». فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. فقال: «تعوّذوا بالله من فتنة الدجال».(٢) فقالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

**فائدة أخرى:** كانت بغلـة رسول الله ﷺ الدلدل، التي يركبها في الأسفار، أنثى كما أجاب به ابن الصلاح وغيره. وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أضراسها، فكان يحش لها الشعير إلى أن ماتت بالبقيع، في زمن معاوية رضي الله تعالى عنه، وكانت شهباء، ونقل الحافظ قطب الدين في شرح السيرة، عن شرح الجامع الكبير، أنه لو حلف لا يركب بغلاً فركب ذكراً أو أنثى يحنث، لأنه اسم جنس. وكذلك البغلة والهاء فيها للإفراد، وهاء الإفـراد تقع عـلى الذكـر والأنثى، كالجرادة والتمرة. وكذا لو حلف لا يركب بغلة فركب ذكراً أو أنثى حنث أيضاً. ثم قال: وأجمع أهل الحديث على أن بغلة رسول الله ﷺ كانت ذكراً لا أنثى ثم عد للنبي ﷺ، خمس بغال. وقال السهيلي: ومما ذكر في غزوة حنين، أن النبي ﷺ، «أخذ وهو على بغلته حفنة من البطحاء، فرمى بها في وجوه الكفار، وقال: شاهت الوجوه فانهزموا». وكانت البغلة ضربت ببطنها الأرض، حتى أخذ الحفنة، ثم قامت. قال: وتلك البغلة هي التي تسمى البيضاء. وهي التي أهداها له فروة بن نعامة وفي معجم الطبراني الأوسط، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، قال: لما انهزم المسلمون

---

(١) سورة النحل: الآية ٨.

(٢) الحديث بتمامه رواه البخاري في الوضوء: ٣٧، والأذان: ١٤٩، والكسوف: ١٠، وتفسير سورة: ١٦ ــ ١ والدعوات ٣٧، والفتن: ٢٦، ورواه مسلم في المساجد: ٣٣، ١٢٧، والمسافرين: ٢٥١ والكسوف: ٨، ١١، ١٢، ٢٢. ورواه أبو داود في الفتن: ١٤٩/٢٤. كما رواه آخرون.

يوم حنين، ورسول الله ﷺ، على بغلته الشهباء، التي يقال لها الدلدل، فقال لها رسول الله ﷺ: «دلدل أسدي فألصقت بطنها بالأرض حتى أخذ النبي ﷺ حفنة من تراب، فرمى بها وجوههم وقال: ﴿حم﴾[1] لا ينصرون قال: فانهزم القوم وما رميناهم بسهم، ولا طعناهم برمح، ولا ضربناهم بسيف». وفيه من حديث شيبة بن عثمان أن النبي ﷺ قال يوم حنين لعمه العباس: «ناولني من البطحاء»، فأفقه الله تعالى البغلة كلامه فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض، فتناول رسول الله ﷺ من الحصباء، فنفخ في وجوههم، وقال: «شاهت الوجوه حم لا ينصرون».

تتمة: روى الطبراني وأبو نعيم من طرق صحيحه عن خزيمة بن أوس، قال: هاجرت إلى النبي ﷺ، فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فأسلمت، فسمعته يقول[2]: «هذه الحيرة قد رفعت لي وإنكم ستفتحونها، وهذه الشيماء بنت نفيل الأزدية، على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود». فقلت: يا رسول الله إنْ نحن دخلنا الحيرة، فوجدناها على هذه الصفة، فهي لي. قال عليه الصلاة والسلام: «هي لك» فأقبلنا مع خالد بن الوليد نريد الحيرة، فلما دخلناها كان أول من تلقاناالشيماء بنت نفيل، كما قال رسول الله ﷺ: «على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود» فتعلقت بها، وقلت هذه وهبها لي رسول الله ﷺ. فطلب مني خالد عليها البينة فأتيته بها، فسلمها لي، ونزل إلينا أخوها عبد المسيح فقال لي: أتبيعينها؟ فقلت: نعم، فقال: احتكم ما شئت فقلت: والله لا أنقصها عن ألف درهم. فدفع لي ألف درهم. فقيل لي: لو قلت مائة ألف درهم لدفعها إليك فقلت: لا أحسب مالاً أكثر من ألف درهم. قال الطبراني: وبلغني أن الشاهدين كانا محمد ابن مسلمة وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم.

الحكم: يحرم أكل المتولد منها بين الحمار الأهلي والفرس، لما روى جابر قال: «ذبحنا يوم حنين البغال والحمير والخيل فنهانا رسول الله ﷺ عن الحمير والبغال، ولم ينهنا عن الخيل ولأنه متولد بين ما يحل وما يحرم»[3]. فغلب جانب التحريم، فإن تولد بين حمار وحشي وفرس حل. وأما الحديث الذي رواه البزار، بإسناد صحيح، عن أبي واقد «أن قوماً لهم بغل، ولم يكن لهم شيء غيره، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، «فرخص لهم فيه» فهذا محمول على أنهم كانوا مضطرين، يحل لهم أكل الميتة.

فرع: وإذا أوصى لزيد ببغلة، لا تتناول الذكر على الأصح. كما لا تتناول البقرة الثور والثاني تتناوله والهاء للوحدة كبقرة وزبيبة.

**الأمثال**: «قيل للبغل: من أبوك؟ قال الفرس خالي[4]». يضرب للمخلط في أمره. وقالوا:

---

(١) حم من افتتاحيات السور: الشورى، فصلت، غافر، الزخرف، الدخان الجاثية، الأحقاف.

(٢) رواه البخاري في المدينة: ٥. والموطأ: مدينة ٧. ولفظه: «وتفتح العراق».

(٣) رواه الترمذي في الصيد: ١١. وأبو داود في الأطعمة: ٢٥ ــ ٣٢. والنسائي في الصيد: ٦٩، ٧١، ورواه ابن ماجه في الذبائح: ١٤. وابن حنبل: ٣/٣٢٣، ٣٥٦، ٣٦٢.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٨٧.

«أعقر من بغل وأعقم من[1] بغلة». وقالوا: «أعيب من بغلة أبي دلامة»، واسمه زند بن الجون كوفي أسود، كانَ مولى لبني أسد، وكان صاحب نوادر: فمنها أنه مرض له ولد، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جعلا معلوماً، فلما برىء ولده، قال له: والله ما عندنا شيء نعطيك إياه، ولكن إدّع على فلان اليهودي بمقدار الجعل، وكان ذا مال كثير، وأنا وولدي نشهد لك بذلك. فمضى الطبيب إلى محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وحمل إليه اليهودي وادعى عليه بذلك المبلغ، فأنكر. فقيل: ألك بينة؟ قال: نعم، قال: أحضرها، فدخل أبو دلامة وهو ينشد والقاضي يسمع شعره[2]:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم ... وإنْ بحثوا عني ففيهم مباحثُ
وإن نبثوا بئري نبثتُ بئارهم ... ليعلم قوم كيف تلك النبائثُ

فلما شهدا عند القاضي، قال لهما: شهادتكما مقبولة وكلامكما مسموع. ثم غرم المبلغ من عنده وجمع بين المصلحتين. ومنها أنه خاصم رجلاً إلى عافية بن يزيد القاضي فقال:

لقد خاصمتني غواةُ الرجال ... وخاصمتهم سنة وافية
فما أدحض الله لي حجة ... وما خيّب الله لي قافية
فمن كنت من جوره خائفاً ... فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية: لأشكونك لأمير المؤمنين، قال ولم؟ قال: لأنك هجوتني. قال: أبو دلامة إن شكوتني ليعزلنك قال: ولم؟ قال: لأنك لا تعرف الهجاء من المدح. ومنها ما قاله الإمام أبو الفرج ابن الجوزي: روي أن أبادلامة دخل على المهدي، فأنشده قصيدة فقال له: سلني حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي كلباً، فغضب المهدي وقال: أقول لك سلني حاجتك، فتقول: هب لي كلباً!. فقال: يا أمير المؤمنين الحاجة لي أم لك؟ قال: بل لك قال: فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد، فأمر له بكلب. فقال: يا أمير المؤمنين هبني خرجت إلى الصيد، أفأعدو على رجلي؟ فأمر له بدابة. فقال: يا أمير المؤمنين فمن يقوم عليها؟ فأمر له بغلام. فقال يا أمير المؤمنين هبني صدت صيداً فأتيت به المنزل فمن يطبخه لي؟ فأمر له بجارية. فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أين يبيتون؟ فأمر له بدار. فقال: يا أمير المؤمنين قد صار في عنقي جماعة من العيال، فمن أين لي ما يقوت هؤلاء؟ قال: فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً. فقال: أما العامر فقد عرفت. فما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا شيء فيه. فقال: أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب غامرة بالبدو، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً. قال: من أين؟ قال: من بيت المال. فقال المهدي حوّلوا المال وأعطوه جريباً. فقال: يا أمير المؤمنين إذا حوّلوا منه المال صار غامراً فضحك المهدي منه وأرضاه.

قلت: وقد أذكرتني هذه الحكاية ما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في الأذكياء، بسنده عن محمد بن إسحاق السراج، قال: أنبأنا داود بن رشيد قال: قلت للهيثم بن عدي: بأي شيء استحق سعيد بن عبد الرحمن أن ولاه المهدي القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة؟ قال: إن

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٤٤، وفيه: أعقر من بغلة.

(٢) البيتان في وفيات الأعيان: ٢/٣٢٥.

خبره لظريف، فإن أحببت شرحته لك؟ قلت: قد والله أحببت ذلك. قال: اعلم أنه وافى الربيع(١) الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي، فقال: استأذن لي علي أمير المؤمنين فقال له الربيع: من أنت؟ وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحببت أن تذكرني له. فقال له الربيع: يا هذا إن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم، فكيف ما يراه لهم غيرهم؟ فاحتل بحيلة غير هذه، تكون أدر عليك من هذه. فقال: إن لم تخبره بمكاني وإلا سألت من يوصلني إليه وأخبره إني سألتك الإذن عليه فلم تفعل. فدخل الربيع على المهدي وقال له: يا أمير المؤمنين إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم وقد احتالوا لكم بكل ضرب. فقال له المهدي: هكذا صنع الملوك فماذا؟ قال: رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، وقد أحب أن يقصها على أمير المؤمنين، فقال له المهدي: ويحك يا ربيع إني والله قد أرى الرؤيا لنفسي فلا تصح لي، فكيف إذا ادعاها لي من لعله افتعلها؟ قال: قد قلت له والله مثل هذا فلم يقبل: قال فهات الرجل. فأدخل عليه سعيد بن عبد الرحمن، وكان له رواء وجمال وثروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق، فقال له المهدي: هات بارك الله عليك ما رأيت قال: يا أمير المؤمنين، رأيت كأن آتياً أتاني في منامي، فقال لي أخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أن يرى في ليلته هذه في منامه، كأنه يقلب ياقوتاً فيعده فيجده ثلاثين ياقوتة، كأنها قد وهبت له. فقال له المهدي: ما أحسن ما رأيت! ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة، على ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر كما ذكرته أعطيناك ما تريد، وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلقت. فقال له سعيد: يا أمير المؤمنين فماذا أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلي وعيالي، وأخبرتهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفر اليدين. فقال له المهدي: فكيف نصنع؟ فقال: تعجل لي يا أمير المؤمنين ما أحب، وأحلف لك بالطلاق أني صادق في رؤياي فأمر له بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يؤخذ منه كفيل فمد عينيه فرأى خادماً واقفاً على رأس المهدي، حسن الوجه والزي، فقال: هذا يكفلني. فقال له المهدي: أتتكفل به؟ فاحمر وجهه وخجل، وقال: نعم أتكفله. وانصرف سعيد بالمال. فلما كان في تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفاً بحرف. وأصبح سعيد فوافى الباب قائماً واستأذن فأذن له، فلما وقعت عين المهدي عليه، قال له: أين مصداق ما قلت؟ فقال له سعيد: أوما رأى أمير المؤمنين شيئاً؟ فتلجلج في جوابه فقال له سعيد امرأته طالق أن لم تكن رأيت شيئاً، فقال له المهدي: ويحك ما أجرأك على الحلف بالطلاق، قال لأني أحلف على صدق. فقال المهدي: قد والله رأيت ذلك بيناً. فقال سعيد: الله أكبر أنجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني. فقال له: حباً وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخوت ثياب، وثلاثة مراكب من أنفس دوابه. وقال غيره: ثلاث بغال شهب. فأخذ ذلك وانصرف، فلحقه الخادم الذي كان تكفل به، وقال له: سألتك بالله الذي لا إله إلا هو هل كان لتلك الرؤيا التي ذكرت حقيقة؟ فقال له سعيد: لا والله. فقال له: وكيف ذلك وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته؟ فقال: هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لها أمثالكم، وذلك أني لما

(١) الربيع: هو أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة وإسمه كيسان، كان حاجباً لأبي جعفر المنصور ثم للمهدي، مات سنة ١٧٠ هـ.

ألقيت إليه هذا الكلام، خطر بباله وحدث به نفسه واشرأب به قلبه، واشتغل به فكره، فساعة ما نام خيل له ما كان في قلبه، مما شغل به فكره، فرآه في منامه. فقال له الخادم: فقد حلفت بالطلاق قال: طلقت واحدة وبقيت معي على اثنتين فأزيد في المهر عشرة دراهم وأحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب وثلاثة مراكب. فبهت الخادم في وجهه وتعجب من أمره فقال له سعيد: قد والله صدقتك، وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك لي، فاستر ذلك علي ففعل. ثم إن المهدي طلبه لمنادمته، فجعل ينادمه وحظي عنده وقلده القضاء على عسكره، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي ثم قال ابن الجوزي: هكذا رويت لنا هذه الحكاية وإني لمرتاب من صحتها وما أبعد هذا أن يحكى عن قاض من القضاة.

قلت: وقد سئل الإمام أحمد عن سعيد بن عبد الرحمن هذا فقال: ليس به بأس. وقال يحيى بن معين: هو ثقة، وإنما اتهم بهذا الهيثم بن عدي، فقد قال يحيى بن معين: الهيثم ليس بثقة، كان يكذب. وقال علي بن المديني: لا أرضاه في شيء. وقال أبو داود العجلي: الهيثم كذاب. وقال إبراهيم بن يعقوب الجرجاني: الهيثم ساقط قد كشف قناعه. وقال أبو زرعة: ليس بشيء. وفي كتاب الفرج بعد الشدة، عن رجل من الجند قال: خرجت من بعض بلدان الشأم، أريد قرية من قراها، فلما صرت في بعض الطريق، وقد سرت عدة فراسخ، لحقني التعب وكان معي بغلة عليها خرجي وقماشي، وكان قد قرب المساء، فإذا بدير عظيم، وفيه راهب في صومعة، فنزل إلي واستقبلني وسألني المبيت عنده، وأن يضيفني ففعلت فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيره، فأخذ بغلتي وطرح لها شعيراً، وعزل رحلي في بيت، وجاءني بماء حار، وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط، وأوقد بين يدي ناراً عظيمة، وجاء بطعام طيب فأكلت ومضت قطعة من الليل، فأردت النوم، فسألته عن طريق المستراح، فدلني عليه، وكنا في غرفة، فنزلت ومشيت، فلما صرت على باب المستراح، إذا بارية عظيمة، فلما صارت رجلاي عليها، سقطت فإذا أنا بالصحراء، وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف، وكان الثلج يسقط سقوطاً عظيماً، فصحت بالراهب، فلم يكلمني. فقمت وقد تجرح بدني إلا أني سالم، فجئت فاستظللت بطق باب الدير من الثلج. فإذا حجارة قد أتتني لو تمكنت من دماغي لطحنته. فخرجت أعدو وأصيح فشتمني. فعلمت أني أتيت من جانبه، وأنه طمع في رحلي فلما خرجت من ظل الدير، وقع الثلج عليّ وبل ثيابي، فنظرت فإذا أنا تالف من البرد والثلج، فولد لي الفكر أن أخذت حجراً قريباً من الثلاثين رطلاً، فوضعته على عاتقي وجعلت أعدو به في الصحراء شوطاً طويلاً، حتى يأخذني التعب، فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر، وجلست أستريح، فإذا سكنت وأخذني البرد تناولت الحجر وعدوت به فلم أزل على تلك الحالة إلى الصبح. فلما كان قبل طلوع الشمس، وأنا خلف الدير، إذ سمعت حس باب الدير وقد فتح وإذا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذي سقطت منه فلم يرني، فقال: يا قوم ما فعل؟ وأنا أسمعه، ثم مشى فخالفته إلى باب الدير، ودخلت الدير وهو دائر يطلبني حول الدير، ووقفت خلف الباب، وكان في وسطي خنجر لم يشعر به الراهب، فطاف حول الدير فلما لم يقف لي على علم ولا خبر، ولا عرف لي أثراً، عاد ودخل الدير وأغلق الباب،

فجئت عليه ووجأته بالخنجر، فصرعته وذبحته، وأغلقت باب الدير وصعدت إلى الغرفة، واصطليت بنار كانت موقودة هناك، وطرحت عليّ من رحلي ثياباً كثيرة، وأخذت كساء الراهب فنمت فيه، فما أفقت إلا قرب العصر، فلما انتبهت طفت الدير حتى وقفت على طعام فأكلت منه، وسكنت نفسي. ووقعت بمفاتيح بيوت الدير، فوقفت أفتح بيتاً بيتاً، فإذا أموال عظيمة، من عين وورق، وأمتعة وثياب، وآلات ورحال قوم، وأخراجهم وحمولاتهم، وإذا الراهب كان من عادته ذلك، مع كل من يجتاز به وحيداً ويتمكن منه. قال: فتحيرت في نفسي ولم أدر كيف أعمل في نقل المال فلبست من ثياب الراهب شيئاً، وأقمت في صومعته أياماً، أتراءى لمن يجتاز بي من بعيد لئلا يشكوا أني أنا هو فإذا قربوا مني لم أبرز إليهم وجهي إلى أن خفي أثري، فنزعت ثياب الراهب، وأخذت جوالقين كانا في الدير من تلك الأمتعة، وجعلتهما على ظهر البغلة وذهبت إلى قرية قريبة من الدير فاكتريت بها منزلاً ولم أزل أنقل إليه على البغلة حتى أخذت الصامت كله مما خف حمله وكثرت قيمته ولم أدع فيه إلا الأمتعة الثقيلة، فاكتريت عدة دواب ورجال، وجئت بهم دفعة واحدة، وحملت كل ما قدرت عليه، وسرت في قافلة عظيمة بغنيمة هائلة حتى قدمت على بلدي، وقد حصلت على مال عظيم. وقد ذكر هذه الحكاية الحافظ ابن شاكر في تاريخه عن أبي محمد البطال وفيها بعض مخالفة.

الخواص: إذا جفف قلب البغل ونحت وسقي من نحاتته امرأة لم تحبل أبداً. وكذلك وسخ أذنه إذا تحملت به المرأة لم تحبل أبداً. وإن علقته في جلد بغل عليها لم تحبل أبداً ما دام عليها. ورماد حافره إذا سحق وعجن بدهن الآس، وجعل على رأس الأقرع أو الموضع الذي لا ينبت فيه شعر، نبت الشعر. وإذا دفن حافر البغلة السوداء، أو دمها تحت عتبة باب لم يقربه فار. وإذا بخر البيت بحافر بغلة ذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام. ونقل ابن زهر عن سقراطيس أن من كان عاشقاً وأحب أن يزول عشقه، فليتمرغ في مراغة بغل ذكر إن كان عشقه من ذكر، وإن كان عشقه من أنثى ففي مراغة بغل أنثى. وزبله إذا شمه المزكوم وتفل عليه ورماه على الطريق، فمن تخطاه انتقل الزكام إليه وبرىء التافل عليه. وقال هرمس: إذا أخذ وسخ أذن البغل في بندقة من فضة، وعلق على الحبالى منعهن الولادة ما دام عليهن. وإذا سقي منه إنسان في نبيذ، سكر من وقته. وإن شربت امرأة من بول بغل مقدار ثلاثين درهماً لم تحبل أبداً. وإن سقيت المرأة الحامل من دماغ بغل شيئاً جاء ولدها مجنوناً. وقال ابن بختيشوع: عرق البغلة إذا تحملت به امرأة في قطنة لم تحبل أبداً.

التعبير: البغل في المنام يدل على السفر براكبه، وعلى طول العمر، ويعبر أيضاً بولد زنا لا أصل له. فمن ركب بغلا ولم يكن من المسافرين، فإنه يقهر رجلاً شديداً. والبغلة مرتبة. وقيل امرأة عاقر فالسوداء ذات مال والبيضاء ذات حسب. وقيل: البغلة سفر، فمن نزل عن بغلته نزول مفارقة نزل عن مرتبته أو فارق زوجته التي هي مركبه أو يطول سفره والله أعلم.

البغيبغ: تيس الظباء السمين. وسيأتي إن شاء الله تعالى ما فيه في الظبي في حرف الظاء.

البقر الأهلي: اسم جنس يقع على الذكر والأنثى وإنما دخلته الهاء للوحدة والجمع

بقرات. قال[1] الله تعالى: ﴿سبع بقرات سمان﴾ قال المبرد في الكامل: إذا أردت التمييز قلت: هذا بقرة للذكر وهذه بقرة للأنثى كما تقول: هذا بطة للذكر وهذه بطة للأنثى. والبقير والبقران والباقر جماعة البقر. مع رعاتها. والبيقور الجماعة. قال[2] الشاعر:

أجاعلٌ أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطرِ

وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة. كتب النبي ﷺ إليهم كتاب الصدقة: «في كل ثلاثين باقورة بقرة[3]» واشتق هذا الإسم من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحراثة ومنه قيل لمحمد بن علي زين العابدين بن الحسين الباقر، لأنه بقر العلم أي شقه ودخل فيه مدخلاً بليغاً. وفي الحديث «أنه عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة كوجوه[4] البقر». أي يشبه بعضها بعضا ذهبوا إلى قوله[5] تعالى: ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ وفيه أيضاً «رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس[6]».

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول[7]: «إن طابت بك حياة يوشك أن ترى قوماً يغدون في سخط الله، ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر». وفيه أيضاً «بينما رجل يسوق بقرة، إذ تكلمت فقالوا سبحان الله بقرة تتكلم! قال: آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر».

وفي سنن أبي داود الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة[8]». قال الترمذي: حديث حسن وهو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه، ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفاً.

وفي سنن أبي داود من حديث عطاء الخراساني، عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم[9]». وفي نهاية الغريب في باب السين المهملة في الحديث: «ما دخلت السكة دار قوم إلا ذلوا». والسكة هي التي يحرث بها

---

(١) سورة يوسف: الآية ٤٣ وتمامها: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان﴾.
(٢) الحيوان للجاحظ: ٤/٤٦٨، ونسبته فيه إلى وَرَل الطائي.
(٣) رواه أبو داود في الزكاة: ٥، ١٢ والنسائي في الزكاة: ٨. وأحمد: ٥، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٤٠.
(٤) رواه أحمد: ٥، ٣٩١.
(٥) سورة البقرة: الآية ٧٠.
(٦) رواه مسلم في الجنة: ٥، ٥٤ وأحمد: ٢، ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٥٦، ٤٤٠، ٥، ٢٥٠.
(٧) رواه مسلم في الفضائل: ٩. الموطأ سوا: ٢ أحمد: ٢، ٢٩٨، ٢٩٩، ٥، ٢٣٨.
(٨) رواه الترمذي في الأدب: ٧٢.
(٩) رواه أبو داود في البيوع: ٥٤. والملاحم: ١٠، ورواه أحمد: ٢، ٤٢.

الأرض أي إن المسلمين إذا أقبلوا على الزراعة شغلوا عن الغزو، فيأخذهم السلطان بالمطالبات والجبايات. وقريب من هذا الحديث قوله ﷺ: «العز في نواصي الخيل والذل في أذناب البقر[1]». والبقر حيوان شديد القوة كثير المنفعة، خلقه الله ذلولاً ولم يخلق له سلاحاً شديداً كما للسباع، لأنه في رعاية الإنسان، فالإنسان يدفع عنه ضرر عدوه فلو كان له سلاح لصعب على الإنسان ضبطه. والبقر الأجم يعلم أن سلاحه في رأسه فيستعمله في محل القرن كما يرى في العجاجيل قبل نبات قرونها، تنطح برؤوسها تفعل ذلك طبعاً وهي أجناس: فمنها الجواميس وهي أكثرها ألباناً وأعظمها أجساماً، قال الجاحظ: الجواميس ضأن البقر وهذا يقتضي أنها أطيب وأفضل من العراب، حتى إنها تكون مقدمة عليها في الأضحية، كما يقدم الضأن فيها على المعز وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: أشراف السباع ثلاثة: الأسد والنمر والببر وأشراف البهائم ثلاثة: الفيل والكركدنّ والجاموس. ومنها العراب وهي جرد ملس الألوان. ومنها نوع آخر يقال له الدربانة بدال مهملة ثم راء ثم باء موحدة ثم نون وهي التي تنقل عليها الأحمال، وربما كانت لها أسنمة. والبقر ينزو ذكورها على إناثها، إذا تم لها سنة من عمرها في الغالب. وهي كثيرة المني. وكل الحيوان إناثه أرق صوتاً من ذكوره إلا البقر، فإن الأنثى أفخم وأجهر، وهي تقلق إذا ضربها الذكر وتتلوى تحته لا سيما إذا أخطأ المجرى لصلابة ذكره، وهي إذا اشتاقت للذكر، نفرت وأتعبت الرعاة. وبأرض مصر بقر يقال لها بقر الخيس، طوال الرقاب قرونها كالأهلة، وهي كثيرة اللبن. وقال المسعودي: رأيت بالري بقراً تبرك كما تبرك الإبل، وتثور بحملها كما تثور. وليس لجنس البقر ثنايا علياً فهي تقطع الحشيش بالسفلى.

**فائدة**: في آخر كتاب المجالسة لأحمد بن مروان المالكي[2] الدينوري بإسناده إلى عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «مر عيسى عليه السلام ببقرة قد اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة الله ادع الله أن يخلصني، فقال: يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها فألقت ما في بطنها» قال: فإذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها هذا. وأسند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون. قلت: وهذا بعض حديث رواه الطبراني عن أنس أن النبي ﷺ[3] قال: «إذا طلبت حاجة وأحببت أن تنجح فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم، لا

---

(1) رواه البخاري في الجهاد: ٤٣ ومسلم في الإمامة: ١٠٠، والنسائي في الخيل: ٦، وابن ماجه في التجارات: ٦٩. وأحمد: ٣، ١١٤، ١٢٧، ١٧١، ٤، ١٨٤، ١٨٨ وفيه: «البركة في نواصي...».

(2) الدِّينَوَرّي: أحمد بن مروان، المالكي أبو بكر، قاضي محدّث. مات بالقاهرة سنة ٣٣٣ هـ.

(3) رواه مسلم في الإيمان: ٤٦، وفي الطهارة: ١٧ والجمعة: ٤٦. ورواه البخاري في الأذان: ١٥٥. وفي التهجد: ٢١، والعمرة: ١٢ والقدر: ١٢ والاعتصام: ٣ والآحاد: ٥ والجهاد ١٥٨ والديات ١٧. ورواه الترمذي في الصلاة: ٤٢، ١٠٨ ورواه النسائي في السهو: ٨٣، ٨٦.

إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب السموات والأرض ورب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا هما إلا فرّجته، ولا حاجة هي لك رضا إلى قضيتها، برحمتك يا أرحم الراحمين». ومما جرب لعسر الولادة، أن يكتب ويسقى للمطلقة وهو: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها. بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد إلى آخرها. بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق إلى آخرها. بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس إلى آخرها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذاالأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت[1]﴾ اللهم يا مخلص النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس، يا عليم يا قدير، خلص فلانة مما في بطنها من ولدها، خلاصاً في عافية إنك أرحم الراحمين.

**فائدة أخرى**: روى صاحب[2] الترغيب والترهيب والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ملكاً من الملوك خرج من بلده يسير في مملكته وهو مستخف من الناس، فنزل على رجل له بقرة، فراحت عليه تلك الليلة البقرة، فحلبت مقدار ثلاثين بقرة، فعجب الملك من ذلك، وحدث نفسه بأخذها، فلما كان من الغد غدت البقرة إلى مرعاها، ثم راحت فحلبت نصف ذلك، فدعا الملك صاحبها وقال له: أخبرني عن بقرتك هذه لم نقص حلابها؟ ألم يكن مرعاها اليوم مرعاها بالأمس؟ قال: بلى، ولكن أرى الملك أضمر لبعض رعيته سوءًا فنقص لبنها فإن الملك إذا ظلم أو همّ بظلم ذهبت البركة قال: فعاهد الملك ربه أن لا يأخذها ولا يظلم أحداً. قال: فغدت فرعت ثم راحت فحلبت حلابها في اليوم الأول فاعتبر الملك بذلك وعدل، وقال: إن الملك إذا ظلم أو هم بظلم ذهبت البركة. لا جرم لأعدلن ولأكونن على أفضل الحالات.

وذكرها ابن الجوزي في كتاب مواعظ الملوك والسلاطين، على غير هذا الوجه، فقال: خرج كسرى في بعض الأيام للصيد فانقطع عن أصحابه وأظلته سحابة فأمطرت مطراً شديداً، حال بينه وبين جنده فمضى لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى كوخ فيه عجوز، فنزل عندها وأدخلت العجوز فرسه، فأقبلت ابنتها ببقرة قد رعتها فاحتلبتها، ورأى كسرى لبنها كثيراً فقال: ينبغي أن نجعل على كل بقرة خراجاً فهذا حلاب كثير، ثم قامت البنت في آخر الليل لتحلبها، فوجدتها لا لبن فيها، فنادت: يا أماه قد أضمر الملك لرعيته سوءًا. قالت أمها: وكيف ذلك؟ قالت: إن البقرة ما تبز بقطرة من لبن، فقالت لها أمها: اسكتي فإن عليك ليلاً فأضمر كسرى في نفسه

---

(١) سورة الأنشقاق: الآية ١ ــ ٤.

(٢) صاحب الترغيب والترهيب هو الإمام المحدّث أبو محمد، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشامي ثم المصري، له تصانيف كثيرة. مات سنة ٦٥٦ هـ.

العدل والرجوع عن ذلك العزم. فلما كان آخر الليل، قالت لها أمها: قومي احلبي، فقامت فوجدت البقرة حافلاً، فقالت: يا أماه قد والله ذهب ما في نفس الملك من السوء. فلما ارتفع النهار، جاء أصحاب كسرى فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه، فأحسن إليهما، وقال: كيف علمتما ذلك؟ فقالت العجوز: أنا بهذا المكان منذ كذا وكذا ما عمل فينا بعدل إلا أخصبت أرضنا، واتسع عيشنا، وما عمل فينا بجور إلا ضاق عيشنا، وانقطعت مواد النفع عنا. وذكر الإمام الطرطوشي، في سراج الملوك، أنه كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمراً ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان، فلم تحمل في ذلك العام ولا تمرة واحدة. قال الطرطوشي: وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد: أعرف هذه النخلة في الغربية تجني عشرة أرادب ستين ويبة، وكان صاحبها يبيع في سني الغلاء كل ويبة بدينار. وذكر ابن خلكان، في ترجمة جلال[1] الدولة ملك شاه السلجوقي، أن واعظاً دخل عليه، فكان من جملة ما وعظه به أن بعض الأكاسرة اجتاز منفرداً عن عسكره، على باب بستان، فتقدّم إلى الباب وطلب ماءً يشربه، فخرجت له صبية بإناء، فيه ماء قصب السكر والثلج، فشربه فاستطابه فقال لها: هذا كيف يعمل؟ فقالت: إن القصب يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا فيخرج منه هذا الماء. فقال: ارجعي واعصري شيئاً آخر، وكانت الصبية غير عارفة به، فلما ولت قال في نفسه: الصواب أن أعوضهم غير هذا المكان واصطفيه لنفسي، فما كان بأسرع من خروجها باكية وقالت: إن نية سلطاننا قد تغيرت: قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: كنت آخذ من هذا ما أريد بغير تعب، والآن قد اجتهدت في عصره فلم أستطع، فرجع عن تلك النية، ثم قال لها: ارجعي الآن فإنك تبلغين الغرض، وعقد في نفسه، أن لا يفعل ما نواه. فذهبت ثم جاءت ومعها ما شاءت من ماء القصب، وهي مستبشرة. قال: وكان ملك شاه من أحسن الملوك سيرة، حتى لقب بالملك العادل، وكان قد أبطل المكوس والخفارات في جميع البلاد فكثر الأمن في زمانه، وكان قد ملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام. وكان لهجاً بالصيد، قيل إنه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة آلاف، فتصدق بعشرة آلاف دينار وقال: إني خائف من الله تعالى من إزهاق الأرواح لغير مأكله، وكان كلما اصطاد صيداً يتصدق بدينار. وقيل إنه خرج مرة من الكوفة، فاصطاد في طريقه وحشاً كثيراً فبنى هناك منارة من حوافر حمر الوحش وقرون الظباء التي صادها في تلك الطريق. قال: يعني ابن خلكان والمنارة باقية إلى الآن تعرف بمنارة القرون.

وكانت وفاته ببغداد سادس عشر شوّال سنة خمس وثمانين وأربعمائة. ومن عجيب الإتفاق أنه المقتدي بالله كان قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد من بعده، فلما دخل ملك شاه بغداد المرة الثالثة ألزم المقتدي أن يعزل ولده المستظهر ويجعل ولده جعفر، الذي رزقه من ابنته ولي العهد ويخرج المقتدي إلى البصرة. فشق ذلك على المقتدي، وبالغ في استنزال ملك شاه عن هذا الرأي فلم يفعل، فسأله المهلة عشرة أيام ليتجهز، فأمهله فجعل المقتدي يصوم ويطوى، وإذا

(١) ملكشاه السلجوقي، جلال الدولة، أبو الفتح بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، اتسعت مملكته حتى خطب له في جميع بلاد ما وراء النهر وباب الأبواب والروم وديار بكر والجزيرة والشام، وكان حسن السيرة ويلقب بالعادل. مات في بغداد سنة ٤٨٥ هـ. وفيات الأعيان: ٥/٢٨٣.

أفطر جلس على الرماد للإفطار، وهو يدعو على السلطان، ملك شاه فمرض ملك شاه ومات في تلك الأيام، ولم تشهد له جنازة، ولا صلّى عليه أحد في الصورة الظاهرة، وحمل في تابوته إلى أصبهان ودفن بها.

أما البقرة التي أمر الله تعالى بني إسرائيل بذبحها، فقصتها مشهورة وستأتي الإشارة إلى شيء منها في باب العين في لفظ العجل إن شاء الله تعالى، فسبحان من فاوت بين الخلق. قيل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام: اذبح ولدك، فتله للجبين. وقيل لبني إسرائيل: اذبحوا بقرة ﴿**فذبحوها، وما كادوا يفعلون**[1]﴾. وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه من جميع ماله. وبخل ثعلبة بن حاطب بالزكاة، وجاد حاتم في حضره وأسفاره. وبخل الحباحب بضوء ناره، وكذلك فاوت بين الفهوم، فسبحان أنطق متكلم، وباقل أعجز من أخرس. وفاوت بين الأماكن فزرود تشكو العطش، والبطائح تشكو الغرق.

**غريبة**: كانت العرب إذا أرادت الاستسقاء في السنة الأزمة جعلت النيران في أذناب البقر وأطلقوها فتمطر السماء لأن الله تعالى يرحمها بسبب ذلك قال[2] الشاعر في ذلك:

أجاعل أنت بيقورا مُسلَّعة ذريعة لك بين الله والمطر

وقال أمية بن أبي الصلت[3] الثقفي يذكر ذلك:

سنة أزمة تخيل بالنا من ترى للعضاه فيها صريرا[4]
لا على كوكب ينوء ولا ريـ ـح جنوب ولا ترى طُخرورا[5]
ويسوقون باقراً لسهل للطو دمها زيلَ خشية أن تبورا[6]
عاقدين النيران في هلب الأذ ناب منها لكي تهيج البحورا[7]
سلع مّا ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا[8]

وحكى في الإحياء أن شخصاً كانت له بقرة يحلبها ويخلط في لبنها الماء ويبيعه، فجاء سيل فغرق البقرة فقال له بعض أولاده: إن تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة. وروى الخلال، في المجلس التاسع من مجالسه، عن جابر بن عبد الله

(١) سورة البقرة: الآية ٧١.
(٢) البيت في الحيوان: ٤/٤٦٨. ونسبته لوَرَل الطائي.
(٣) أمية بن أبي الصلت، شاعر جاهلي حكيم أدرك النبي ﷺ. مات بالطائف سنة ٥ هـ.
(٤) البيت في الحيوان للجاحظ: ٤/٤٦٦. وفيه: «تخيل بالنا..» العضاة: شجر له شوك.
(٥) هذا البيت لم يرد في الحيوان. الطخرور: السحاب القليل.
(٦) في الحيوان: «ويسوقون باقراً يطرد السهد».
(٧) في الحيوان: «في شكر الأذناب عمداً كيما...».
(٨) في الحيوان: «... وعالت البنقورا».

رضي الله تعالى عنهما أن بقرة انفلتت على خمر، فشربت منه فذبحوها. ثم أتوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال: «كلوها أولا بأس بها».

الحكم: يحل أكلها وشرب ألبانها إجماعاً. وفي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: «سمن البقر وألبانها شفاء ولحمها داء». ورواه[1] ابن عدي في ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بمعناه. وفي الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ «ضحى عن نسائه بالبقر». وروى[2] الطبراني عن زهير قال: حدثتني امرأة من أهلي، عن مليكة بنت عمرو الزيدية من ولد زيد بن عبد الله بن سعد، قالت: اشتكيت وجعافي حلقي فأتيتها تعني مليكة بنت عمرو فوصفت لي سمن بقر، وقالت: إن رسول الله ﷺ قال: «ألبانها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء». والمرأة التابعية لم تسم وبقية رجاله ثقات. وفي المستدرك من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[3] «عليكم بألبان البقر وأسمانها، وإياكم ولحومها، فإن ألبانها وأسمانها دواء ولحومها داء». ثم قال: صحيح الإسناد. وروى الحاكم أيضاً وابن حبان عن ابن مسعود أيضاً أن النبي ﷺ قال[4]: «ما أنزل الله داء إلا وأنزل له دواء، جهله من جهله، وعلمه من علمه، وفي ألبان البقر شفاء من كل داء، فعليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر؟ أي تأكل وفي رواية ترتم، وهي بمعناها. ورواه ابن ماجه عن أبي موسى خلا ذكر ألبان البقر ورواه بتمامه البزار وفيه محمد بن جابر بن سيار وهو صدوق عند الأكثرين، وضعيف عند غيرهم وبقية رجاله ثقات. ورواه الحاكم أيضاً في تاريخ نيسابور من حديث عبد الله بن المبارك عن أبي حنيفة، عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود.

وفي كتاب ابن السني عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: لم يستشف الناس بشيء أفضل من السمن وإذا أوصى ببقرة لم يتناول الثور على الأصح. لأن لفظها موضوع للأنثى، والثاني يتناوله والهاء للوحدة. قال الرافعي: وقياس تكميل البقر بالجواميس في الزكاة، دخولها هنا وفي العمدة والكفاية لا تدخل إلا إذا قال من بقري وليس له إلا الجواميس ولو لم يكن إلا بقرات وحش فوجهان كما ذكرنا في الظباء والإيل. وأما زكاتها ففي كل ثلاثين منها سائمة تبيع ابن سنة. وفي كل أربعين مسنة لها سنتان. لما روى مالك عن طاوس، أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أخذها كذلك وأتى بما دون ذلك، فلم يأخذ منها شيئاً.وسمي تبيعاً لأنه يتبع أمه في المسرح وقيل لأن قرنه يتبع أذنه ولو أخرج تبيعة أجزأته، بل هي أولى للأنوثة، وسميت مسنة لتكامل سنها.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي: ٢١٤١/٦.

(٢) رواه مسلم في الحج: ٣٥٦، ٣٥٧، ورواه الدارمي في المناسك: ٦٢. وابن حنبل: ٣، ٣٧٨، ٦، ١٦٥، ١٦٤، ٢١٩، ٢٧٣.

(٣) رواه أحمد: ٢١٥/٤.

(٤) رواه مسلم في السلام: ٦٩، وفي فضائل الصحابة: ٩٢. ورواه البخاري في الطب. ورواه أبوداود في الطب: ١، ١١. وابن ماجه في الطب: ١ وأحمد: ٣٧٧/١، ٤١٣، ٤٤٣، ٤٤٦.

فلو أخرج عن أربعين تبيعين أجزأه على الصحيح. وقال البغوي: لا، لأن العدد لا يقوم مقام السن.

**فائدة**: في الحلية، ترجمة عكرمة، قال: كانت القضاة في بني إسرائيل، ثلاثة: فمات أحدهم، فولّى غيره مكانه، ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا، ثم بعث الله لهم ملكاً يمتحنهم فوجد رجلاً يسقي بقرة على ماء، وخلفها عجلة فدعاها الملك وهو راكب فرساً، فتبعتها العجلة فتخاصما فجاء إلى القاضي الأوّل فدفع إليه الملك درة كانت معه، وقال له: احكم بأن العجلة لي، قال: بماذا أحكم؟ قال ارسل الفرس والبقرة والعجلة فإن تبعت الفرس فهي لي فأرسلها فتبعت الفرس فحكم له بها. وأتيا القاضي الثاني فحكم كذلك. وأخذ درة وأما القاضي الثالث فدفع له الملك درة وقال: احكم بيننا قال: إني حائض. قال الملك سبحان الله أيحيض الذكر؟ قال: سبحان الله أتلد الفرس بقرة؟ وحكم بها لصاحبها. قلت: هؤلاء كما قال نبينا ﷺ: «قاضيان في النار وقاض في الجنة[1]».

**الأمثال**: قالوا: «تركت زيداً بملاحس البقر أولادها[2]» أي بحيث تلحس البقر أولادها، يعنون المكان القفر. وقالوا: «الكلاب على البقر[3]». وسيأتي معناه في باب الكاف إن شاء الله تعالى.

**الخواص**: شحم البقر إذا بخر به البيت مع زرنيخ أحمر طرد العقارب والحيات وسائر الهوام. وإذا طلي به إناء اجتمعت إليه البراغيث. وقرنه إذا سحق وجعل في طعام صاحب حمى الربع زالت عنه. وإذا شرب زاد في الإنعاظ. ودمه يحبس الدم السائل وإذا طلي بمرارتها مع ماء الكراث البواسير نفعها وسكنها وأزال وجعها. وإذا طلي به الآثار السود من البدن قلعها وأزالها. وإذا خلطت مع العسل واكتحل بها أزالت الظلمة. وإذا طلي بها مع النطرون والعسل وشحم الحنظل المقعد نفعه. وقال أرسطو: مرارة البقر السوداء إذا اكتحل بها أحدَّت البصر وقال كيماس: إذا فقئت عين البقرة، أو قلعت وكتب بمائها على كاغد لم تبن بالنهار وتقرأ بالليل. وشعورها إذا أحرقت وشربت نفعت من وجع الأسنان. وإذا شربت بالسكنجبين، أزالت الطحال. وإن شربت بالعسل أخرجت حب القرع من البطن. وقال يونس: إذا طليت التواكيل بخثى البقر تناثرت وبرئت من وقتها. وإذا طليت به الأورام الصلبة لينها وإن بخربه قرية النمل، قبل ظهورها لم تظهر. وإن وضع على النقرس نفع صاحبه. وإن بخر به الحامل سهل الولادة، وأخرج الجنين حياً وميتاً والمشيمة وإن أحرق في بيت طرد هوامه. وإن سحق المحرق منه ونفخ في الأنف حبس الرعاف. وإن طلي به على البدن مراراً وترك حتى يجف أخرج السهم والشوكة منه. وإن طلي به مع الكبريت، على خرقة كتان، وبسطت على جميع البطن نشف الماء الأصفر. وقال هرمس: إذا طليت منخر البقرة بدهن ورد دهشت وشردت.

---

(١) رواه أبو داود في الأقضية: ٢. وابن ماجه في الأحكام: ٣.

(٢) مجمع الأمثال: ١/١٣٥ ولفظه: تركته بملاحس البقر أولادها.

(٣) جمهرة الأمثال: ٢/١٤١.

**التعبير**: البقر في المنام يعبر بالسنين، كما عبرها يوسف الصديق ﷺ، فالسمان خصب، والضعاف جدب، هذا إذا كانت بيضاً أو سوداً. وإذا كانت صفراً أو حمراً وهي تنطح الشجر بقرونها فتقلعها أو الأبنية فتسقطها، فإنها فتن تحل بذلك المكان الذي دخلته لقوله[1] عليه الصلاة والسلام: «إن الفتن تكون في آخر الزمان كصياصي البقر وكعيون البقر» والبقرة الصفراء سنة فيها سرور. والغبرة في البقر شدة في أوّل السنة والبلقة في أعجازها شدة في آخر السنة. والنصف من البقرة مصيبة في أخت أو بنت. وكذلك كل سهم ينسب إلى من يرثه كالربع والثمن. ومن حلب بقرة غيره فإنه يخون رجلاً في امرأته. ومهما رأى الإنسان ببقرته فذلك عائد إلى زوجته أو بنته. وحليب البقرة مال حلال جزيل وأصواتها تدل على ناس معروفين بالأدب. وخدشها مرض. ومن وثب عليه بقرة أو ثور ولم يفلته فإنه يموت في تلك السنة، والبقرة في المنام للفلاحين خير وانسب البقر في ألوانها إلى ما تنسب إليه الخيل. ويأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في باب الخاء المعجمة.

ومن رأى بقرة دخلت داره ونطحته فإنه يرى خسراناً في ماله. وقالت النصارى: من أكل لحم بقر في نومه تقدم إلى حاكم. والشحم مال لمن حواه خالص لا يغادره منه شيء وهو بلا تعب. وأما شواء البقر فهو أمن للخائف. ومن كانت له زوجة وهي حامل بشر بولد ذكر. والشواء بشارة في معيشته فإن كان غير ناضج فهو هم من قبل امرأة. وقيل لحم البقر رزق وخصب لمن أكله مطبوخاً أو مشوياً. ومن الرؤيا المعبرة قول عائشة رضي الله تعالى عنها: رأيت كأني على تل وحولي بقر ينحر، فقصصتها على مسروق، فقال: إن صدقت رؤياك فإنه يكون حولك ملحمة قتال. فكان كذلك يوم الجمل. ومن رأى بقرة تمص لبن عجلها فإن امرأته تقود على ابنتها. ومن رأى عبداً يحلب بقرة مولاه فإنه يتزوّج امرأة المولى والله تعالى أعلم.

## البقر الوحشي

هذا النوع أربعة أصناف: المها والأيل واليحمور والثيتل. وكلها تشرب الماء في الصيف إذا وجدته، وإذا عدمته صبرت عنه، وقنعت باستنشاق الريح، وفي هذا الوصف يشاركها الذئب والثعلب وابن آوى والحمر الوحشية والغزلان والأرانب. فأما الأيل فتقدم ذكره واليحمور وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الياء آخر الحروف.

والكلام الآن في المها فمن طبعه الشبق والشهوة، فلذلك إذا حملت الأنثى هربت من الذكر خوفاً من عبثه بها وهي حامل. ولفرط شهوته يركب الذكر ذكراً آخر، وإذا ركب واحد منها شم الباقي منه رائحة الماء فيثبن عليه. وقرون البقر الوحشي مصمتة بخلاف قرون سائر الحيوانات فإنها مجوّفة كما تقدم والبقر الوحشي أشبه شيء بالمعز الأهلية وقرونها صلاب جداً تمنع بها عن نفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التي تطيف بها.

**فائدة**: لما أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل، وهو أكيدر[2] بن

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥/٣٩١.

(٢) أُكَيدر الكندي، ملك دومة الجندل المعروف اليوم بالجوف، عاهد النبي ﷺ، ونقض من بعده فقتله خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ.

عبد الملك رجل من كندة، كان ملكاً عليها، وكان نصرانياً، قال رسول الله ﷺ لخالد: «إنك تجده يصيد بقر الوحش[1]». فلما وصل إليه كان في ليلة مقمرة، فأذن الله تعالى للبقر الوحشية أن تأتيه من كل جانب، تحك قصره بقرونها، فأشرف عليها وقال: ما رأيت أكثر منها الليلة ولقد كنت أكمن لها اليومين والثلاثة ولا أجدها. ولكن قدر الله وما شاء فعله. ثم أمر بفرسه فأسرج وركب هو وأخوه حسان، وعليه قباء من الديباج المخوص بالذهب. فلما نزل وافته خيل رسول الله ﷺ فأخذته أسيراً وأرسلوه بقبائه إلى رسول الله ﷺ، فتعجب منه بعض أصحابه فقال رسول الله ﷺ: المناديل سعد في الجنة خير من هذا ثم إن النبي ﷺ عرض عليه الإسلام فأبى، فأقره بالجزية في أرضه في شهر رجب سنة تسع من الهجرة. وأشار إلى هذه البقرات الوحشية بجير بن بجرة الطائي بقوله:

تبارك سائق البقرات إني ... رأيت الله يهدي كل هادي
فمن يك حائداً عن ذي تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد

وسيأتي مزيد كلام في المها في باب الميم إن شاء الله تعالى.

**الحكم**: يحل أكلها بجميع أنواعها بالإجماع لأنها من الطيبات.

**الأمثال**: قالت العرب: «تتابعي[2] بقر». زعموا أن بشر بن الحارث الأسدي خرج في سنة جهد فيها قومه، فمروا ببقر فنفرت منهم، فقام على رأس جبل فرماها بقوسه، فجعلت تلقي نفسها وهو يقول: «تتابعي بقر» حتى تكسرت ثم رجع إلى قومه، فدعاهم لأكلها. يضرب عند تتابع الأمر وسرعته.

**الخواص**: مخه يطعم لصاحب الفالج، ينفعه نفعاً شديداً. ومن استصحب معه شعبة من قرونه نفرت منه السباع وإذا دخن بقرنه أو جلده أو ظلفه في بيت نفرت منه الحيات. ورماده يذر على السن المتأكلة المتألمة يسكن وجعها. وشعره يبخر به البيت يهرب منه الفأر والخنافس. وقرنه يحرق ويجعل في طعام صاحب حمى الربع تزول عنه. ويشرب في شيء من الأشربة يزيد في الباه ويقوي العصب ويزيد في الإنعاظ. وينفخ في أنف الراعف يقطع دمه ويحرق قرناه حتى يصيرا رماداً. ويداف في الخل، ويطلى به موضع البرص مستقبلاً به الشمس، فإنه يزول ويسف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحداً إلا غلبه.

**بقر الماء**: قال القزويني: زعموا أن بقراً يطلع من الماء يرعى الزرع وروثها العنبر، والله أعلم بصحة ذلك، فإن الناس ذكروا أن العنبر نبت بقعر البحر فإن صح ما قالوه فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب والله أعلم.

**بقرة بني إسرائيل**: هي التي يقال لها أم قيس وأم عويف وهي دابة صغيرة لها قرنان تكون

---

(١) رواه البخاري في الهبة: ٢٨، وبدء الخلق ٨، واللباس: ٢٥، والإسكان: ٣ ومسلم في فضائل الصحابة: ١٢٦، ١٢٧، ورواه الترمذي في اللباس: ٣ وفي المناقب: ٥٠ وابن ماجه في المقدمة: ١١.

(٢) مجمع الأمثال: ١٢٧/١.

في الرمل فإذا أردت أن تخرجها فاطرح في موضعها قملة فتخرج فتأخذها فإذا صارت في يدك فشق ظهرها، وأدخل فيه ميلاً واكحل به من بعينيه بياض ثلاث مرات، فإنه يذهب وإذا دلك بهذه الدابة موضع القرع نبت فيه الشعر.

البق: قال الجوهري: البقة البعوضة والجمع البق. وأنشد في باب العين والياء واللام لزفر بن الحارث[1] الكلابي:

ألا إنما قيس بن عيلان بقة    إذا وجدت ريح العصير تغنت

والبق المعروف هو الفسافس الآتي في باب الفاء إن شاء الله تعالى. يقال إنه يتولد من النفس الحار، ولشدة رغبته في الإنسان، لا يتمالك إذا شم رائحته إلا رمى نفسه عليه، وهو كثير بمصر وما شاكلها من البلاد.

وحكمه: تحريم الأكل لاستقذاره كالبعوض. وهو من الحيوان الذي لا نفس له سائلة أصلاً، كما قاله الرافعي رحمه الله في الدم. والدم الذي فيه يمتصه من بني آدم، كما يمتصه القمل والبرغوث. ووقع في كلام الرافعي والنووي وغيرهما تمثيل ما لا نفس له سائلة، بالبعوض والبق. قال الشيخ: وفي ذكر البق المعروف في بلادنا فيما لا نفس له سائلة نظر. وقد رأيت بعض الناس يذكر أنه في كثير من البلاد اسم للبعوض فلعل من أطلقه أراد به البعوض.

الخواص: قال القزويني في عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: إذا بخر البيت بالقلقند والشونيز[2] لم يدخله البق بالكلية، وكذلك إذا بخر بنشارة الصنوبر طرده أيضاً. وقال حنين[3] بن إسحاق: إذا بخر البيت بحب المحلب هرب منه البق أجمع. وكذلك إذا بخر بالعلق أو العاج أو بجلد جاموس أو بأغصان شجر السرو. وقال غيره. إذا نقع ورق الحرمل في خل ونضح به البيت هرب منه، وإذا وضع الحرمل[4] عند رأس الإنسان أو رجليه لم يقرب منه البق. وإذا نقع السداب[4] في خل ونضح به البيت هرب منه. وإذا أخذ كندر وكبريت ودقا وديفا بماء وطلي بذلك قضيب قنب ووضعه إنسان عند رأسه حيث ينام لم يقربه بق البتة. وقال ابن جميع في الإرشاد: دخان الكمون والآس اليابس والترمس يطرد البق والبعوض. ومما جرب فوجد نافعاً لطرد البق أن يكتب على أربع ورقات ويلصق في الحيطان الأربع ما صورته ٢ ١ ٢ ١ ١ ١ ١.

تذنيب: قد ذكر النبي ﷺ البق في حديث رواه الطبراني، بإسناد جيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه

---

(١) زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي، أبو الهذيل، تابعي، كان زعيم قيس في زمانه، شهد وقعة مرج راهط. مات سنة ٧٥ هـ.

(٢) الشونيز: الحبة السوداء.

(٣) حنين بن إسحاق العبّادي، كنيته أبو زيد، والعباد نصارى الحيرة وكان فاضلاً في صناعة الطب فصيحاً في اليونانية والسريانية والعربية. مات سنة ٢٦٠ هـ. له كتب من تأليفه، غير ذلك التي نقلها.

(٤) الحرمل والسذاب: من النباتات.

جميعاً حسناً أو حسيناً وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ وهو يقول: « حزقة حزقة، ترق عين بقة» فيرقى الغلام فيضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ. ثم قال ﷺ: «افتح فاك» ثم قبله ثم قال: «اللهم من أحبه فإني أحبه[1]» ورواه البزار ببعض هذا اللفظ. والحزقة الضعيف المتقارب الخطو ذكر ذلك له على سبيل المداعبة والتأنيس. وترق معناه اصعد وعين بقة كناية عن صغر العين مرفوع على أنه خبر مبتدإ محذوف. وفي كامل ابن عدي وتاريخ ابن النجار في ترجمة محمد بن علي بن الحسين بن محمد عن الأصبغ بن نباتة الحنظلي قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول في خطبته: ابن آدم وما ابن آدم تؤلمه بقه، وتنتنه عرقه، وتقتله شرقه. والأصبغ بن نباتة الحنظلي المذكور يروي عن علي رضي الله تعالى عنه أشياء لم يتابعه عليها أحد فاستحق من أجلها الترك روى له ابن ماجه حديثاً واحداً: «نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بحجامة الأخد عين والكاهل[2]».

**الحكم**: يحرم أكل البق لاستقذاره كالبعوض.

**الأمثال**: قالوا: «أضعف من بقة[3]».

**التعبير**: البق في المنام أعداء ضعاف طعانون، وهم جندلا وفاء لهم ولا جلد. ويدل أيضاً على الهم والحزن لأن البق يمنع النوم والهم والحزن يمنعان النوم والله أعلم.

**البكر**: الفتى من الإبل والأنثى بكرة. والجمع بكار مثل فرخ وفراخ وقد يجمع في القلة على ابكر. قال أبو عبيدة: البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس، والبكرة بمنزلة الفتاة والقلوص بمنزلة الجارية، والبعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة.

روى مسلم عن أبي رافع أن النبي ﷺ استلف من رجل بكر، فلما جاءت إبل الصدقة أمرني أن أقضي الرجل بكراً فقلت: لم أجد في الإبل إلا جملاً خياراً رباعياً، فقال[4] ﷺ: «أعطه فإن خياركم أحسنكم قضاء». وفي رواية بازلاً بدل رباعياً. وروى الحاكم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: بعت من رسول الله ﷺ بكراً فجئت أتقاضاه فقلت: يا رسول الله اقضني ثمن بكري. قال: «نعم ثم قضاني فأحسن قضائي». ثم جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله اقضني بكري فقضاه بعيراً مسناً، فقال يا رسول الله هذا أفضل من بكري! فقال ﷺ: «هو لك إن خير القوم خيرهم[5] قضاء». ثم قال صحيح الإسناد.

---

(١) رواه الترمذي في المناقب ٣٠، وابن ماجه في المقدمة ١١، وابن حنبل: ١٧٣/٤.

(٢) رواه ابن ماجه في الطب: ٢١.

(٣) جمهرة الأمثال: ٨/٢.

(٤) رواه البخاري في الوكالة: ٥، ٦. وفي الاستقراض: ٤، ٦، ٧. وفي الهبة: ٢٣، ٢٥. ورواه مسلم في المساقاة: ١١٨، ١٢٢. وأبو داود في البيوع: ١١ والترمذي بيوع: ٧٣، ٧٥ والنسائي بيوع: ٦٤، ١٠٣ وابن ماجه صدقات: ١٦.

(٥) رواه أحمد: ٣٧٧/٢، ٣٩٣، ٤١٦، ٤٣١، ٤٥٦، ٤٧٦، الموطأ بيوع: ٨٩. ورواه الدارمي في البيوع: ٣١.

وروى الحافظ أبو يعلى بإسناده إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: حج رسول الله ﷺ فلما أتى وادي عسفان قال: «يا أبا بكر أي واد هذا»؟ قال وادي عسفان. قال ﷺ: «لقد مرّ بهذا الوادي نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر خطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق(١)». وروى مسلم عن سيرين بن معبد الجهني رضي الله تعالى عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ في فتح مكة قال: «فأذن لنا رسول الله ﷺ في المتعة». فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكرة عيطاء أي شابة طويلة العنق في اعتدال فعرضنا عليها أنفسنا فقالت ما تعطيني؟ فقلت: ردائي. وقال صاحبي ردائي. وكان رداء صاحبي أجود من ردائي وكنت أشب منه، فكانت إذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها، وإذا نظرت إلي أعجبتها، ثم قالت: أنت ورداؤك تكفيني. فمكثت معها ثلاثاً ثم إن رسول الله ﷺ قال: «من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع بهن فليخل سبيلها»(٢). وفي رواية فلم أخرج عنها حتى حرمها رسول الله ﷺ.

وروى أبو داود والنسائي والترمذي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً أهدى لرسول الله ﷺ ناقة، فعوّضه منها ست بكرات فتسخطها، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن فلاناً أهدى إلي ناقة فعوضته منها ست بكرات، فظل ساخطاً لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي(٣)». وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه «صدقني سن بكره». وهو مثل تضربه العرب للصادق في خبره. ويقوله الإنسان على نفسه وإن كان ضاراً له وأصله أن رجلاً ساوم رجلاً في بكر يشتريه، فسأل صاحبه عن سنه فأخبره بالحق، فقال المشتري: «صدقني سن بكره». وفي مسند الشافعي عن مولى لعثمان قال: بينما أنا مع عثمان رضي الله تعالى عنه في يوم صائف إذ رأى رجلاً يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح. فدنا الرجل فقال: انظر فنظرت، فإذا هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. فقلت: هذا أمير المؤمنين، فقام عثمان رضي الله تعالى عنه فأخرج رأسه من الباب فآذاه نفح السموم، فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال: ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مضى بإبل الصدقة فأردت أن ألحقهما بالحمى خشية أن يضيعا فيسألني الله عنهما فقال عثمان: هلم إلى الماء والظل فقال: عد إلى ظلك، فقال: عندنا من يكفيك فقال: عد إلى ظلك ثم مضى. فقال عثمان: من أحب أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا.

**الأمثال**: في الحديث(٤): «جاءت هوازن على بكرة أبيها» وقالوا(٥): «جاؤوا على بكرة أبيهم» يصفونهم بالقلة أي جاؤوا بحيث تحملهم بكرة أبيهم قلت: وأصله أن قوماً قتلوا وحملوا

---

(١) رواه أحمد: ١/٢٣٢.
(٢) رواه أبو داود في النكاح: ١٣، ورواه الترمذي في النكاح: ٢٨. وأحمد: ٣/٤٠٤.
(٣) رواه الترمذي في المناقب: ٧٣. وأحمد: ٢/٢٩٢.
(٤) رواه أبو داود في الجهاد: ١٦. (٥) مجمع الأمثال: ١/١٧٦.

على بكرة أبيهم، فقيل فيهم ذلك، ثم صار مثلاً لقوم جاؤوا مجتمعين. وقال أبو عبيدة: معناه جاؤوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد، وليس هناك بكرة في الحقيقة. وقال بعضهم: البكرة ههنا هي التي يستقى عليها أي جاؤوا بعضهم في إثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد. وقال قوم أراد بالبكرة الطريقة، أراد أنهم جاؤوا على طريقة أبيهم أي يقتفون أثره وقيل: هو ذم ووصف بالقلة والذلة أي يكفيهم للركوب بكرة واحدة وذكر الأب احتقار وتصغير لهم.

وحكمه وخواصه وتعبيره كالإبل.

**البلبل**: من أنواع العصافير. ويقال له الكعيت والجميل مصغرات، وهو النغر وسيأتي في بابه وقد أحسن من ألغز فيه بقوله:

وما طائر نصفه كله ... له في ذرا الدوح سير ولبثُ
رأينا ثلاثة أرباعه ... إذا صحفوها غدت وهي ثلثُ

وقد أجاد علي بن المظفر أبو الفضل الآمدي[1] قاضي واسط حيث قال:

وأهاله ذكر الحمى فتأوّها ... ودعابه داعي الصبا فتولّها
هاجت بلابلَه البلابلُ فانثلت ... أشجانُه تثني عن الحلم النهى[2]
فشكا جواً وبكى أسى وتنبه الـ ... ـوجد القديم ولم يزل متنبهاً
لا تكرهوه على السلو فطالما ... حملَ الغرام فكيف يسلو مكرها[3]
لا عبتُ يا سعدى عليك فسامحي ... وصلي فقد بلغ السقامُ المنتهى[4]

وما أحسن قول يوسف[5] بن لؤلؤ حيث يقول:

باكر إلى الروضة تستجلها ... فثغرها في الصبح بسامُ
والنرجسُ الغض اعتراه الحيا ... فغض طرفاً فيه أسقامُ
وبلبلُ الدوح فصيحٌ ... على الأيكة والشحرور تمتامُ
ونسمةُ الصبح على ضعفها ... لها بنا مرٌّ وإلمام
فعاطني الصهباء، مشمولةً ... عذراءَ فالواشون نوّام
واكتمْ أحاديثَ الهوى بيننا ... ففي خلال الروض نمّامُ

---

(١) الآمدي: أبو الفضائل علي بن أبي المظفر يوسف بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسين، وهو من بيت معروف بواسط بالصلاح والرواية والعدالة مات سنة ٦٠٨ هـ. والأبيات مع ترجمته في وفيات الأعيان: ٣٩٧/٣.

(٢) في الوفيات: «... البلابلُ فانثنت».

(٣) في الوفيات: «... السلوَّ فطائعاً..».

(٤) في الوفيات: «يا عُتبُ لا عَتْبٌ...».

(٥) يوسف بن لؤلؤ بدر الدين الدمشقي الشاعر مات سنة ٦٨٠ هـ. والأبيات مع ترجمته في فوات الوفيات: ٣٧٨/٤.

ومن محاسن شعره أيضاً قوله:

سقي الله أرضاً نور وجهك شمسها ... وأحيا بلاداً أنت في افقها بدرُ
وروّى بقاعاً جود كفك غيثها ... ففي كل قطر من نداك بها قطر

وله أيضاً:

تسلسل دمعي وهو لا شك مطلق ... وصح حقيقاً حين قالوا: تكسرا
وفي قلب مائي للقلوب مسرة ... وقالوا سيجزى بالهنا وكذا جرى

وله أيضاً:

بعيني رأيت الماء ألقى بنفسه ... على رأسه من شاهق فتكسرا
وقام على إثر التكسر جارياً ... ألا فاعجبوا ممن تكسر قد جرى

وله أيضاً:

أنفقت كنز مدائحي في ثغره ... وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة ... فأبى وراح تغزلي في البارد

والعرب تقول: البلبل يعندل، أي يصوّت وروى الحافظ أبو نعيم وصاحب الترغيب والترهيب من حديث مالك بن دينار أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم، مر على بلبل فوق شجرة يصفر ويحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. وهو بالمد أي على الدنيا الدروس، وذهاب الأثر. وقيل: العفاء التراب. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين في لفظ العقعق. عن الزمخشري أنه ذكر في تفسير قوله(١) تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها﴾ عن بعضهم أن البلبل يحتكر القوت. حكى البويطي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه كان في مجلس مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وهو غلام، فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه، فقال: إني حلفت بالطلاق الثلاث إن هذا البلبل لا يهدأ من الصياح. فقال له مالك: قد حنثت. فمضى الرجل، فالتفت الشافعي رضي الله تعالى عنه إلى بعض أصحاب مالك فقال: إن هذه الفتيا خطأ فأخبر مالك بذلك، وكان مالك رضي الله تعالى عنه مهيب المجلس لا يجسر أحد أن يراده، وربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس في مجلسه، فقالوا لمالك: إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ! فقال له مالك: من أين قلت هذا؟ فقال له الشافعي أليس أنت الذي رويت لنا عن النبي ﷺ، في قصة فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها، أنها قالت للنبي ﷺ أن «أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال ﷺ: «أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له(٢)». فهل كانت عصا أبي جهم دائماً على عاتقه؟ وإنما أراد من ذلك الأغلب. فعرف مالك

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٠.
(٢) رواه: أبو داود في الطلاق: ٣٩. ومسلم في الرضاع: ١٠١. والموطأ طلاق: ٦٧. وأحمد: ٤١٢/٦.

محل الشافعي ومقداره. قال الشافعي: فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودّعته، فقال لي مالك حين فارقته: يا غلام اتق الله تعالى ولا تطفىء هذا النور الذي أعطاكه الله بالمعاصي يعني بالنور: العلم، وهو قوله[1] تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور﴾ هكذا جاء في هذه الرواية: البلبل. وجاء في رواية أخرى: القمري. وسيأتي إن شاء الله تعالى.

**التعبير**: هو في الرؤيا رجل موسر، وقيل امرأة موسرة وقيل ولد قارىء لكتاب الله لا يلحق.

**البلح**: بضم الباء وفتح اللام قال ابن سيده: إنه طائر أغبر اللون أعظم من النسر محترق الريش لا تقع ريشة منه وسط ريش طائر آخر إلا أحرقته وقيل: هو النسر القديم الهرم والجمع بلحان.

**البلشون**: هو مالك الحزين. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم.

**البلّصوص**: بضم الباء واللام المشددة طائر وجمعه البلنصي على غير قياس. وقال سيبويه النون زائدة لأنك تقول للواحد البلصوص. والعامة تسمية أبو لصيص. قال البطليوسي في الشرح: وقد اختلف اللغويون في هذين الإسمين أيهما الواحد وأيهما الجمع. فقال قوم: البلصوص هو الواحد والبلنصي هو الجمع وعكس ذلك آخرون وقال قوم: البلصوص الذكر والبلنصي الأنثى ذكره ابن ولاد[2] وأنشد:

والبلصوص يتبع البلنصي.

قال: وقياس جمع البلصوص بلا صيص. ولم أدر ما حكم هذا الطائر.

**بنات الماء**: قال ابن أبي الأشعث: هي سمك ببحر الروم، شبيهة بالنساء ذوات شعر سبط، ألوانهن إلى السمرة، ذوات فروج عظام وثدي، وكلام لا يكاد يفهم، ويضحكن ويقهقهن. وربما وقعن في أيدي بعض أهل المراكب، فينكحونهن ثم يعيدونهن إلى البحر. وحكي عن الروياني صاحب البحر، أنه كان إذا أتاه صياد بسمكة على هيئة المرأة، حلفه أنه لم يطأها. وذكر القزويني أنه صيد لبعض الملوك رجل إذا تكلم، لا يفهم ما يقول، فزوجه بامرأة فرزق منها ولداً فصار يتكلم بلغة أبيه ولغة أمه. وقد تقدم هذا في باب الهمزة في إنسان الماء.

**بنات وردان**: يأتي ذكرها في آخر باب الواو إن شاء الله تعالى.

**البهار**: بضم الباء حوت أبيض طيب من حيتان البحر، قال الجوهري: والبهار بالضم شيء يوزن به، وهو ثلثمائة رطل وقال عمرو بن العاص: إن ابن الصعبة يعني طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير ذهب فجعله وعاء. قال أبو عبيد القاسم بن سلام والبهار في كلامهم ثلثمائة رطل وأحسبها غير عربية وأراها قبطية.

---

(١) سورة النور: الآية ٤٠.

(٢) ابن ولّاد: أحمد بن محمد بن ولّاد التميمي أبو العباس، نحوي مصري. مات سنة ٣٣٢ هـ.

**البهثة**: بالضم، البقرة الوحشية وقد تقدم ذكرها.

**البهرمان**: ضرب من العصفور قاله ابن سيده.

**البهمة**: بفتح الباء، الصغير من أولاد الغنم والبقر والوحش وغيرها. الذكر والأنثى فيه سواء والجمع بهم وبهم وبهام وبها مات. قال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر: أما أسنان الغنم فساعة تضعها أمها من الضأن والمعز، ذكراً كان أو أنثى سخلة، وجمعها سخال، ثم هي بهمة فإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، فما كان من أولاد المعز فهو جفار واحدها جفر. فإذا رعى وقوي فهو عريض وعتود وجمعها عرضان وعتدان. وهو في كل ذلك جدي، والأنثى عناق ما لم يأت عليها الحول، وجمعها عنق والذكر تيس إذا أتى عليه الحول والأنثى عنز ثم نجذع في السنة الثانية فالذكر جذع والأنثى جذعة فعلم منه أن ما نقله النووي رحمه الله، عنه في عناق فيه نوع خلل، والله أعلم. وروى الشافعي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأصحاب السنن الأربعة، من حديث لقيط بن صبرة، واللفظ لأبي داود، قال: كنت وافد بني المنتفق، أو في وفد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ، فلما قدمنا عليه لم نجده في منزله، فصادفنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فأمرت لنا بحريرة، أو قال بعصيدة، فصنعت لنا وأتينا بقناع، والقناع طبق فيه تمر ثم جاء رسول الله ﷺ فقال[(١)]: «هل أصبتم شيئاً أو آمر لكم بشيء: قلنا: نعم يا رسول الله. قال: فبينما نحن مع رسول الله ﷺ، إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح، ومعه سخلة تبعر، فقال ﷺ: ما ولدت يا غلام»؟ قال بهمة قال: فاذبح لنا مكانها شاة». ثم قال ﷺ: «لا تحسبن أنا من أجلك ذبحناها، لنا غنم مائة ما نريد أن تزيد فإذا ولدت لنا بهمة ذبحنا مكانها شاة». قلت: يا رسول الله إن لي امرأة وإن في لسانها شيئاً يعني البذاءة. قال: فطلقها إذن». قلت: يا رسول الله إن لها صحبة وإن لي منها ولداً. قال: «فعظها فإن يك فيها خير فستفعل، ولا تضرب ظعينتك ضربك لأمتك». قال: قلت: يا رسول الله أخبرني عن الوضوء، قال: أسبغ الوضوء وخلل الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً».

وفي سنن أبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: إن النبي ﷺ صلى إلى جدار اتخذه قبلة ونحن خلفه، فجاءت بهمة تمر بين يديه، فما زال[(٢)] ﷺ «يدرؤها حتى لصق بطنه بالجدار، فمرت من ورائه». وسيأتي في الجدي نحو ذلك. وفي صحيح[(٢)] مسلم وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث يزيد بن الأصم عن ميمونة «أن النبي ﷺ كان إذا سجد جافى بين يديه، حتى لو أن بهمة أرادت أن تمر بين يديه مرت».

**البهيمة**: كل ذات أربع من دواب البر والبحر. قاله ابن سيده. والجمع بهائم. قال[(٣)] ﷺ: «إن هذه البهائم أوابد كأوابد الوحش». سميت بهيمة لإبهامها، من جهة نقص

---

(١) الحديث بتمامه رواه أحمد: ٤، ٣٣.

(٢) رواه مسلم في الصلاة: ٢٣٧. وأبو داود في الصلاة: ١١٠، ١٥٤. والنسائي تطبيق: ٥٢. ورواه ابن ماجه في الإقامة: ١٩. والدارمي في الصلاة: ٧٩ وأحمد: ٦/٣٣١.

(٣) رواه البخاري في الجهاد: ١٩١، والشركة: ٣، ١٦ والذبائح: ١٥، ٣٦، ورواه أبو داود في الأضاحي: ٧، =

نطقها وفهمها، وعدم تمييزها وعقلها. ومنه باب مبهم أي مغلق، وليل بهيم. قال[1] الله تعالى: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ فأضاف الجنس إلى ما هو أخص منه، وذلك أن الأنعام هي الثمانية الأزواج وما أضيف إليها من سائر الحيوان. يقال له أنعام مجموعة معها وكأن المفترس كالأسد وكل ذي ناب خارج عن حد الأنعام فبهيمة الأنعام هي الراعي من ذوات الأربع.

وروي عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: بهيمة الأنعام الأجنة التي تخرج عند الذبح من بطون الأمهات، فهي تؤكل من غير ذكاة. ونقل عن ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما أيضاً، وفيه بعد: لأن الله تعالى قال[2]: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ وليس في الأجنة ما يستثنى. وحل بهيمة الأنعام من حكم الله تعالى، إذ لولا الليل ما عرف قدر النهار، ولولا المرض لم يتنعم الأصحاء بالصحة، ولولا النار ما عرف أهل الجنة قدر النعمة. كما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم، وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم، بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل. وكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان، بتعظيم العقوبة على أهل النيران، فداء لأهل الإيمان بأهل الكفر هو عين العدل. وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل، فلولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنسان.

روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه دخل دار الحكم بن أيوب، فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها، فقال[3] أنس: «نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم وهو أن يمسك من ذوات الروح شيء حي ثم يرمي بشيء حتى يموت».

وفي الصحيحين[3] وغيرهما: «أن النبي ﷺ لعن فاعل ذلك». ولأنه تعذيب للحيوان، وإتلاف لنفسه، وتضييع لماليته، وتفويت لذكاته، إن كان يذكى. وفي الحديث[4] أنه ﷺ «نهى عن المجثمة» وهي كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل. إلا أنها تكثر في الطير والأرانب ونحو ذلك مما يجثم في الأرض أي يلزمها ويلتصق بها. وجثم الطائر جثوماً، وهو بمنزلة البروك للإبل. وروى أبو داود والترمذي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ «نهى عن التحريش بين البهائم[5]». وفي شفاء الصدور، لابن سبع، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «أجل البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب والبقر وما سوى ذلك في التسبيح، فإذا انقضى تسبيحها قبض الله عزّ وجلّ أرواحها».

**فائدة**: قال ابن دحية، في كتاب الآيات البينات: اختلف الناس في حشر البهائم، وفي جريان القصاص بينها فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: لا يجري القصاص بين البهائم لأنها غير مكلفة وما ورد في ذلك من الأخبار نحو قوله ﷺ: «يقتص للجماء من القرناء ويسأل العود لم

= ١٥. والترمذي في الصيد: ١٩ والنسائي الصيد: ١٧ والدارمي أضاحي: ١٥، أحمد: ٤/١٤٠.

(١) سورة المائدة: الآية ١.

(٢) سورة المائدة: الآية ١.

(٣) رواه البخاري في الذبائح: ٢٥. ومسلم في الصيد: ٥٨، والأضاحي: ١٢. والنسائي ضحايا: ٤١ وابن ماجه ذبائح: ١٠ وابن حنبل: ٢، ٩٤، ٦٠، ٣، ١١٧، ١٨٠، ١٩١.

(٤) رواه النسائي في الصيد: ١٢٨، والضحايا: ٤١، ٤٤. والبخاري في الذبائح: ٢٥، ورواه أبو داود في الأشربة: ١٤. والترمذي صيد: ٩ وأطعمة: ٢٤. والدارمي أضاحي: ١٣، ١٨، ٢٧. وأحمد: ١/٢٢٦.

(٥) رواه أبو داود في الجهاد: ٥١. والترمذي في الجهاد: ٣٠.

خدش العود[1]» فعلى سبيل المثل والإخبار عن شدة التقصي في الحساب. وأنه لا بد من أن يقتص للمظلوم من الظالم وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني: يجري القصاص بينها، ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر في دار الدنيا. قال ابن دحية وهذا جار على مقتضى العقل والنقل لأن البهيمة تعرف النفع والضر، فتنفر من العصا وتقبل للعلف، وينزجر الكلب إذا انزجر وإذا أشلى استشلى. والطير والوحش تفر من الجوارح، استدفاعاً لشرها. فإن قيل: القصاص انتقام والبهائم ليست بمكلفة فالجواب أنها غير مكلفة، إلا أن الله يفعل في ملكه، ما أراد كما سلط عليها في الدنيا التسخير لبني آدم، والذبح لما يؤكل منها فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى. وأيضاً فإن البهائم إنما يقتص منها لبعضها من بعض إلا أنها لا تطالب بارتكاب نهي ولا بمخالفة أمر لأن هذا مما خص الله به العقلاء، ولما كثر التنازع رجعنا لما أمرنا به ربنا بقوله: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾[2] ووجدنا القرآن العظيم يدل على الإعادة في الجملة: قال[3] الله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ إلى قوله: ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ وقال[4] وقال تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ والحشر في اللغة الجمع. وفي الصحيحين. عن رسول الله ﷺ: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين، وراهبين، وإثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا. فهذا يدل على حشر الإبل مع الناس. وروى الإمام أحمد بسند صحيح إلى أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «يقتص للخلق بعضهم من بعض، حتى للجماء من القرناء، حتى للذرة من[5] الذرة» فإذا كانت البهائم والذر يقتص منها فكيف يغفل من هو مكلف مأمور؟ ونسأل الله السلامة من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أيضاً أن رسول ﷺ قال: «لتؤدين الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة[5] القرناء». وفيه أيضاً وفي غيره: «ما من صاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر. ثم يؤتى بها أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيل واحد تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها». الحديث[6] بطوله.

وفي صحيح البخاري: «ليأتين أحدكم يوم القيامة بشاة، يحملها على رقبته لها ثغاء، فيقول: يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت». وصح عنه ﷺ أيضاً أنه قال[7]: «ما

---

(١) رواه أحمد: ٢/٢٣٥، ٣٢٣، ٣٦٣، ٤٤٢، ١/٧٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٤) سورة التكوير: الآية ٥.

(٥) رواه أحمد: ٢/٣٥، ٣٢٣، ٣٦٣، ٤٤٢، ١/٧٢.

(٦) رواه مسلم في الزكاة: ٢٤٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨. وأبو داود في الزكاة: ٣٢٥. والنسائي في الزكاة: ٢/٩، والدارمي في الزكاة: ٣. وأحمد: ٢/٢٦٢، ٣٨٣، ٤٩٠، ٣/٣٢١.

(٧) الموطأ في الجمعة: ١٦. والنسائي الجمعة: ٤٥.

من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة فرقاً من قيام الساعة إلا الجن والإنس». وإصاختها بإلهام الله إياها في ذلك اليوم، محمول على ما جبلها الله تعالى عليه من توقيها لما يضرها، وانقيادها إلى ما ينفعها جبلة لا عقلاً وإحساساً حيوانياً، لا إدراكاً فهمياً. وإذا جبل الله النملة على حمل قوتها وإدّخاره لزمن الشتاء فجبله البهيمة على الإصاخة محاذرة يوم القيامة أولى. ومن استقرى أحوال الحيوانات، رأى حكمة الله فيها لما سلبها العقل جعل لها حساً تفرق به بين الضار لها والنافع، وجبلها على أشاء وألهمها إياها لا توجد في الإنسان إلا بعد التعلم وتدقيق النظر فمنها النحلة المحكمة لتسديس مخزن قوتها، حينَ يتعجب منه أهل الهندسة. والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتناسب دوائرها. وكذلك السرفة في إحكام بيتها مربعاً من عيدان وقد ظهرت من البهائم الصنائع العجيبة، والأفاعيل الغريبة، ولم يسلبها رب العالمين سوى العبارة عن ذلك، والنطق به ولو شاء أنطقها كما أنطق النملة في عهد سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. والبهيم من الخيل الذي لا شية فيه الذكر والأنثى فيه سواء. والبهم من النعاج السود التي لا بياض فيها وأما قوله ﷺ في الحديث[1]: «يحشر الناس يوم القيامة بهما» فمعناه أنه ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو البرص والعرج والعمى والعور وغير ذلك. وإنما هي أجساد مصححة لخلود الأبد في الجنة أو النار. وقيل: بل عراة ليس عليهم من متاع الدنيا شيء وهذا يخالف الأول من حيث المعنى ومن شعر مسعر بن[2] كِدام أحد الأعلام:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازمُ
وتتعب فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

فرع: اختلف أصحابنا في نقض الوضوء بمس فرج البهيمة على وجهين: أحدهما ينقض لعموم النقض بمس الفرج. والأصح أنه لا ينقض، إذ لا حرمة لها ولا تعبد عليها. وأما دبرها فلا ينقض قطعاً، قال الدارمي: ولا فرق في الخلاف بين البهائم والطير.

**الأمثال**: قالوا: «ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة» يضرب في مدح القدرة على الكلام.

**البوم والبومة**: بضم الباء طائر يقع على الذكر والأنثى حتى تقول: صدى أو فياد فيختص بالذكر وكنية الأنثى أم الخراب وأم الصبيان ويقال لها أيضاً غراب الليل. قال[3] الجاحظ: وأنواعها الهامة والصدى والضوع والخفاش وغراب الليل والبومة. وهذه الأسماء كلها مشتركة أي تقع على كل طائر من طير الليل يخرج من بيته ليلاً قال وبعض هذه الطيور يصيد الفار وسام أبرص والعصافير وصغار الحشرات وبعضها يصيد البعوض. ومن طبعها أن تدخل على كل طائر

---

(١) رواه أحمد ٣/٤٩٥:

(٢) هو مسعر بن كِدام بن ظهير الهلالي العامري الرواسي، أبو سَلمة، محدّث كوفي، كان من المرجئة. توفي بمكة سنة ١٥٢ هـ.

(٣) كتاب الحيوان: ٢/٢٩٨.

في وكره وتخرجه منه وتأكل فراخه وبيضه. وهي قوية السلطان بالليل لا يحتملها شيء من الطير ولا تنام بالليل، فإذا رآها الطير بالنهار قتلنها ونتفن ريشها، للعداوة التي بينهن، وبينها ومن أجل ذلك صار الصيادون يجعلونها تحت شباكهم ليقع لهم الطير. ونقل المسعودي عن الجاحظ أن البومة لا تظهر بالنهار، خوفاً من أن تصاب بالعين لحسنها وجمالها ولما تصور في نفسها أنها أحسن الحيوان لم تظهر إلا بالليل. وتزعم العرب في أكاذيبهم أن الإنسان إذا مات أو قتل، تتصور نفسه في صورة طائر، تصرخ على قبره، مستوحشة لجسدها، والطائر ذكر البوم وهو الصدى. وفي ذلك يقول توبة الحميري[1] أحد عشاق العرب:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائحُ
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... إليها صدى من جانب القبر صائحُ

فيقال: إنها مرت بقبره فأنشدت ذلك فارتفع شيء من القبر كالطائر، نفرت منه ناقتها فسقطت ميتة ودفنت إلى جانبه. والبوم أصناف وكلها تحب الخلوة بأنفسها والتفرد وفي أصل طبعها عداوة الغربان. وفي تاريخ ابن النجار أن كسرى قال لعامل له: صد لي شر الطير، واشوه بشر الوقود، وأطعمه شر الناس، فصاد بومة وشواها بحطب الدفلى وأطعمها ساعياً. وفي سراج الملوك للإمام أبي بكر الطرطوشي، في الباب السابع والأربعين أن عبد الملك بن مروان، أرق ليلة فاستدعى سميراً له يحدثه، فكان فيما حدثه به أن قال: يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها، فقالت بومة البصرة: لا أفعل إلا أن تجعلي لي صداقها مائة ضيعة خراب. فقالت بومة الموصل: لا أقدر على ذلك الآن ولكن إن دام والينا، سلمه الله علينا، سنة واحدة فعلت لك ذلك. قال: فاستيقظ لها عبد الملك، وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض، وتفقد أمور الولاة. ورأيت في بعض المجاميع، بخط بعض العلماء الأكابر، أن المأمون أشرف يوماً من قصره فرأى رجلاً قائماً وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره، فقال المأمون لبعض خدمه: اذهب إلى ذلك الرجل، وانظر ما يكتب وائتني به. فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً وقبض عليه وتأمل ما كتبه فإذا هو:

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم ... متى يعشش في أركانك البومُ
يوم يعشش فيك البوم من فرحي ... يكون أول من ينعيك مرغوم

ثم إن الخادم قال له: أجب أمير المؤمنين: فقال له الرجل: سألتك بالله لا تذهب بي إليه. فقال الخادم: لا بد من ذلك. ثم ذهب به فلما مثل بين يدي المأمون، أعلمه الخادم بما كتب. فقال المأمون: ويلك ماحملك على هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه لن يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والأواني والأمتعة والجواري والخدم وغير ذلك، مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي، وإني يا أمير المؤمنين قد مررت الآن

---

(١) توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة العقيلي العامري أبو حرب: شاعر من عشاق العرب، كان يهوى ليلى الأخيلية ولم يتزوجها، وتغزل بها، قُتل سنة ٨٥ هـ. والبيتان في الحيوان للجاحظ: ٢/ ٢٩٩.

عليه وأنا في غاية من الجوع والفاقة، فوقفت مفكراً في أمري، وقلت في نفسي: هذا القصر عامر عال، وأنا جائع ولا فائدة لي فيه، فلو كان خراباً ومررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه، وأتقوت بثمنه أو ما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر؟ قال: وما قال الشاعر؟ قال:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرىء ... نصيب ولاحظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير أنه ... يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون: اعطه يا غلام ألف دينار. ثم قال له: هي لك في كل سنة ما دام قصرنا عامراً بأهله وأنشدوا في معنى ذلك:

إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً ... فعما قليل أنت ماض وتاركه
فكم دحت الأيام أرباب دولة ... وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

**الحكم**: يحرم أكل جميع أنواعها. قال الرافعي: ذكر أبو عاصم العبادي أن البوم حرام كالرخم، وكذلك الضوع. وعن الشافعي رحمه الله قول إنه حلال، وهذا يقتضي أن الضوع غير البوم. لكن في الصحاح أن الضوع طائر من طير الليل من جنس الهام. وقال المفضل: إنه ذكر البوم فعلى هذا إذا كان في الضوع قول، لزم إجراؤه في البوم لأن الأنثى والذكر من الجنس الواحد لا يختلفان في الحل والحرمة اهـ. وقال في الروضة: الأشهر أن الضوع من جنس الهام فنحكم بتحريمه.

**فائدة**: روى ابن السني عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان[1]». وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يفعله. واختلف في أم الصبيان فقيل البومة كما تقدم، وقيل: التابعة من الجن.

**الخواص**: إذا ذبح البوم بقيت إحدى عينيه مفتوحة والأخرى مضمومة، فالمفتوحة إذا جعلت تحت فص خاتم، من لبسه سهر ما دام عليه، والأخرى بالعكس. قال الطبري: فإذا اشتبه عليك المنومة من المسهرة فاجعلهما في الماء فالتي ترتفع على الماء هي المسهرة، والتي ترسب هي المنومة. وقال هرمس: إذا أخذ قلب بومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة في حال نومها تكلمت بكل ما فعلته في يومها. والاكتحال بمرارتها ينفع من ظلمة البصر. وقلب البومة الكبيرة إذا قلع وشد في جلد ذئب وعلق على العضد أمن حامل ذلك من اللصوص وسائر الهوام ولم يخف أحداً من الناس. وإن اكتحل بمذاب شحمها فأي مكان دخله بالليل رآه ميضأ. وهي تبيض بيضتين إحداهما تخلق والأخرى لا تخلق، فإن أردت معرفة التي تخلق من التي لا تخلق فأدخل فيها ريشة فالتي تخلق تبين لك تخلقها الريشة.

**التعبير**: البوم في المنام لص مكار، وقيل ملك مهيب تشق مرائر الرعية هيبته. ويدل على البطالة وذهاب الخوف لأنه من طيور الليل والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق: ١١. والترمذي في النكاح: ٨. والدارمي في النكاح: ٢٩.

البوّة: بضم الباء وتشديد الواو طائر يشبه البوم إلا أنه أصغر منه والأنثى بوهة ويشبه بها الرجل الأحمق قال امرؤ القيس:

أيا هند لا تنكحي بوهة عليه عقيقته أحسبا[1]

الأحسب من الناس الذي في شعره شقرة وصفه باللؤم والشح، يقول كأنه لم تخلق عقيقته في صغره حتى شاخ. وقيل: إنه الرجل الضعيف الطائش. والبوهة ما أطارته الريح والبوه ذكر البوم وقيل البوه الكبير من اليوم قال[2] رؤبة يذكر كبره:

كالبوة تحت الظلمة المرشوش.

وقيل: البوه طائر يشبه البوم وقيل: الأحسب الذي ابيض جلده من داء ففسدت شعرته فصار أحمر وأبيض ويكون ذلك في الناس والإبل. وقيل الأحسب الأبرص. وحكمه وخواصه وتعبيره كالبوم في جميع ما تقدم.

بوقير: قال القزويني: إنه طائر أبيض تجيء منه طائفة كل سنة، في وقت معلوم، إلى جبل يقال له جبل الطير بصعيد مصر بقرب انصنا بلدة مارية أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، فتتعلق على هذا الجبل، وفيه كوة يأتي كل واحد منها ويدخل رأسه فيها ثم يخرجه ويلقي نفسه في النيل ثم يخرج ويذهب من حيث جاء. ولم تزل هكذا حتى يدخل واحد منها رأسه فيها فيقبض عليه شيء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقاً حتى يتلف ثم يسقط بعد مدة فإذا تعلق ذلك الطائر انصرف الباقون في الحال فلا يرى شيء من ذلك الطير في ذلك الجبل إلى مثل ذلك الزمان من العام المقبل. قال أبو بكر الصولي[3]: سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصباً قبضت تلك الكوة على طائرين وإن كان متوسطاً قبضت على طائر واحد وإن كان مجدباً لم تقبض على شيء.

البينيب: على وزن فيعيل سمك بحري معروف عند أهل البحر.

البياح: بكسر الباء مخففاً ضرب من السمك وربما فتح وشدد قاله الجوهري.

أبو براقش: طائر كالعصفور يتلون ألواناً قال الشاعر:

كأبي براقش كل يوم لونه يتخيل

يضرب به المثل في التنقل والتحول. وقال القزويني: إنه طائر حسن الصوت، طويل الرقبة والرجلين، أحمر المنقار في حجم اللقلق، يتلون في كل ساعة يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر. قال: ولم يحضرني شيء من خواصه.

---

(١) ديوان امرىء القيس: ٧٤.

(٢) ديوانه: ٧٩. وشطره: في هبريات الكرسف المنقوش.

(٣) محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي، الشطر نجي، عالم أديب، نادم ثلاثة من الخلفاء العباسيين. له مصنفات كثيرة. مات سنة ٣٣٥ هـ.

أبو برا: طائر يسمى السموأل وسيأتي في باب السين المهملة إن شاء الله تعالى.

أبو بريص: بفتح الباء هو الوزغ الذي يسمى سام أبرص. وسيأتي الكلام عليه في باب السين والواو في لفظ الوزغ وسام أبرص إن شاء الله تعالى.

## باب التاء المثناة

**التالب**: الوعل والأنثى تالبة حكاه ابن سيده. وسيأتي الكلام عليه في باب الواو وفي لفظ الوعل إن شاء الله تعالى.

**التبيع**: ولد البقرة أول سنة. وبقرة تبيع معها ولدها والأنثى تبيعة والجمع تباع وتبائع مثل أفيل وافال وأفائل. وقد تقدم في باب الهمزة روى الإمام مالك في الموطأ وأبو داود الترمذي والنسائي وآخرون عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ من كل أربعين بقرة بقرة، ومن كل ثلاثين مسنة تبيعاً أو تبيعة[1]». قال الترمذي: حديث حسن، وروي مُرسلاً وهو أصح. والمسنة: ما استكملت سنتين ودخلت في الثالثة. والتبيع هو الذي يتبع أمه، وإن كان له دون سنة. قال الرافعي: وحكى جماعة أن التبيع الذي له ستة أشهر والمسنة التي لها سنة وهذا غلط ليس معدوداً من المذهب.

**التبشر**: في أدب الكاتب لابن قتيبة أنه بفتح التاء المثناة من فوق وبالباء الموحدة ثم بالشين المعجمة وقيل بضم التاء وفتح الباء الموحدة وتشديد الشين المعجمة طائر يقال له الصفارية، والتاء فيه زائدة وسيأتي الكلام عليه في باب الصاد المهملة إن شاء الله تعالى.

**التتفل**: بضم التاء أوله وسكون الثاء المثلثة كقنفذ ولد الثعلب والتاء فيه زائدة.

**التدرج**: كحبرج طائر كالدراج، يغرد في البساتين بأصوات طيبة، يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال، ويهزل عند، كدورته وهبوب الجنوب. يتخذ داره في التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا يتعرض للآفات. وقال ابن زهر هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس.

**وحكمه**: الحل لعدم استخباثه، وإن كان نوعاً من الدراج وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

**الخواص**: لحمه من أفضل لحوم الطير يزيد في الفهم والباه. وإذا أخذت مرارته وسعط بها من به خبل أو وسواس نفعه وإن شوي لحمه وأطعم منه وهو حار ثلاثة أيام أبرأه.

**التخس**: كصرد الدلفين وسيأتي في باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى.

**التفلق**: كزبرج طائر من طير الماء قاله في العباب.

---

(١) رواه مالك في الموطأ: زكاة ٢٤ ــ والنسائي زكاة ٨ ــ والدارمي زكاة ٥.

التفه: ويسمى عناق الأرض، والغنجل: نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد، وصيده في غاية الجودة والملاحة، وربما واثب الإنسان فيعقره ولا يطعم غير اللحوم. وربما صاد الكركي وما قاربه من الطير، فيفعل به فعلاً حسناً. وقد وصفه الناشيء[1] في أبيات منها:

حلو الشمائل في أجفانه وطف ... صافي الأديم هضيم الكشح ممسود[2]

فيه من البدر أشباه توافقه ... منها له سفع في وجهه سود

كوجه ذا وجه هذا في تدوره ... كأنه منه في الأجفان معدود

له من الليث ناباه ومخلبه ... ومن غرير الظباء النحر والجيد[3]

إذا رأى الصيد أخفى شخصه أدبا ... وقلبه باقتناص الطير مزؤود[4]

الحكم: يحرم أكله لعموم النهي عن أكل كل ذي ناب ومخلب من السباع. وقال بعض أصحابنا: إنه السنور البري وإنه قريب من الثعلب وإنه على شكل السنور الأهلي وفي حكمه وجهان: أصحهما التحريم لأنه يأكل الفأر.

الأمثال: قالت[5] العرب: «أغنى من التفه عن الرفه». والرفه التبن. والأصل فيهما رفهة وتفهة قال حمزة: وجمعهما تفات ورفات قال الشاعر:

غنينا عن حديثكم قديما ... كما غنى التفات عن الرفات

ويقال[5] أيضاً: «استغنت التفه عن الرفه». وذلك أن التفه سبع لا يقتات الرفه أصلاً، وإنما يغتذي باللحم فهو يستغني عن التبن، والمعروف في التفه والرفه تخفيف الفاء وقال الأستاذ أبو بكر: هما مشددتان. وقد أوردهما الجوهري في باب الهاء فقال: التفه والرفه، وفي الجامع مثله، إلا أنه قال: ويخففان. وأما الأزهري[6] فإنه أورد الرفه في باب الرفت، بمعنى الكسر. وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: الرفت التبن: وفي المثل: «أغنى من التفه عن الرفت» قال الأزهري: والتفه تكتب بالهاء، والرفت بالتاء قال الميداني: وهذا من أصح الأقوال لأن التبن مرفوت أي مكسور.

التم: طائر نحو الإوز في منقاره طول وعنقه أطول من عنق الأوز.

وحكمه: الحل لأنه من الطيبات.

---

(١) عبد الله بن محمد، الناشيء الأنباري أبو العباس سكن مصر ومات فيها سنة ٢٩٣ هـ.
(٢) هضيم الكشح: ضامر البطن.
(٣) غرير الظباء: الظباء الصغار. النحر: الصدر.
(٤) مزؤود: فزع.
(٥) جمهرة الأمثال: ٢/ ٧٥.
(٦) الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور. إمام في اللغة والأدب مولده ووفاته بخراسان سنة ٣٧٠ هـ. من مؤلفاته تهذيب اللغة وغريب الألفاظ.

**التمساح**: اسم مشترك بين الحيوان المعروف والرجل الكذاب، قال القزويني: وهذا الحيوان على صورة الضب وهو من أعجب حيوان الماء، له فم واسع وستون ناباً في فكه الأعلى وأربعون في فكه الأسفل، وبين كل نابين سن صغيرة مربعة ويدخل بعضها في بعض عند الانطباق. وله لسان طويل، وظهر كظهر السلحفاة لا يعمل الحديد فيه، وله أربع أرجل وذنب طويل، وهذا الحيوان لا يكون إلا في نيل مصر خاصة. وزعم قوم أنه في بحر السند أيضاً، وهو شديد البطش في الماء لا يقتل إلا من إبطيه، ويعظم حتى يكون طوله عشرة أذرع في عرض ذراعين وأكثر. ويفترس الفرس. وإذا أراد ألسفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقي الأنثى على ظهرها ويستبطها فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الإنقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها. وهو إذا تركها على تلك الحال، لم تزل كذلك حتى تقلب. وتبيض في البر، فما وقع من ذلك في الماء صار تمساحاً وما بقي صار سقنقوراً.

ومن عجائب أمره أنه ليس له مخرج فإذا امتلأ جوفه بالطعام خرج إلى البر وفتح فاه، فيجيء طائر يقال له القطقاط فيلقط ذلك من فيه. وهو طائر أرقط صغير يأتي لطلب المطعم، فيكون في ذلك غذاء له وراحة للتمساح، ولهذا الطائر في رأسه شوكة، فإذا أغلق التمساح فمهُ عليه نخسه بها فيفتحه. وسيأتي ذكر هذا الطائر إن شاء الله تعالى. وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان، أن للتمساح ستين سناً وستين عرقاً. ويسفد ستين مرة، وتبيض الأنثى ستين بيضة ويعيش ستين سنة. وقال أبو حامد الأندلسي: إن له ثمانين ناباً أربعون ناباً في الفك الأعلى وأربعون في الفك الأسفل وهو أبداً يحرك فكه الأعلى وفكه الأسفل. عظمه متصل بصدره وليس له دبر وله فرج ينسل منه. وهو شر من كل سبع في الماء. ومن شأنه أنه يغيب في باطن الماء أربعة أشهر، مدة الشتاء كله ولا يظهر. والكلب البحري عدوه فإذا نام فتح فاه فيطرح كلب الماء نفسه في الطين ويتجفف ثم يأتيه مفاجأة فيدخل فاه ويأكل أمعاءه ويخرج من مراق بطنه بعد أن يقتله وكذلك يفعل معه ابن عرس أيضاً.

**وحكمه**: تحريم الأكل للعدو بنابه كذا علله جماعة من الأصحاب. وقال الشيخ محب الدين الطبري، في شرح التنبيه: القرش حلال. ثم قال: فإن قلت أليس هو مما يتقوى بنابه؟ فهو كالتمساح. والصحيح تحريم التمساح. قلت لا نسلم أن ما يتقوى بنابه من حيوان البحر حرام. وإنما حرم التمساح كما قال الرافعي في الشرح للخبث والضرر نعم كلام التنبيه يقتضي أن تحريمه لكونه مما يتقوى بنابه ولا ينبغي تعليل تحريمه بذلك فإن في البحر حيوانا كثيرا يفترس بنابه كالقرش وغيره وهو حلال ولا ريب في أن البحري مخالف للبري. اهـ وهو الظاهر والله أعلم.

**الأمثال**: قالوا[1] «أظلم من تمساح» و«كافأه مكافأة التمساح».

**الخواص**: عينه تشد على صاحب الرمد، يسكن وجعه في الحال، اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى. وإذا عجن شحمه بشمع وجعل فتيلة وأسرج في نهر لم تصح ضفادعه. وإذا

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢٨.

قطر شحمه في الأذن الوجعة شفاها. وإذا أدمن تقطيره في الأذن نفع الصمم. ومرارته يكتحل بها للبياض الذي في العين فيذهب. وإذا علق شيء من أسنانه التي في الجانب الأيمن على الرجل، زاد جماعه. وقال القزويني، في عجائب المخلوقات: أول سن من الجانب الأيسر يشد على صاحب القشعريرة يذهبها. وكبده يبخر به صاحب الصرع يزول صرعه. وقطعة من جلده تشد على جبهة الكبش يغلب الكباش. وزبله الذي يوجد في بطنه يزيل البياض الحادث والقديم اكتحالاً، ورائحته كرائحة المسك وتقول القبط إنه المسك إلا أنه فيه سهوكة.

**التعبير**: التمساح في المنام عدوّ مسلط وهو نظير الأسد وقيل: التمساح لص مكابر ذو مكر وغدر وخديعة.

**التميلة**: دويبة بالحجاز على قدر الهرة والجمع تملان قاله ابن سيده.

**التنوّط**: في الكفاية لابن الرفعة أنه بضم التاء وكسر الواو ويجوز فتح التاء المشددة وفتح النون وضم الواو المشددة. وقال غيره: هو طائر يجوز في واوه الضم والفتح قال الأصمعي: إنما سمي بذلك لأنه يدلي خيطاً من شجرة يفرخ فيها الواحدة تنوطة. ومن شأن هذا الطائر أنه إذا أقبل عليه الليل يتنقل في زوايا بيته ويدور فيها ولا يأخذه قرار إلى الصبح خوفاً على نفسه وهذا الطائر هو الصفا. وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

**وحكمه**: الحل لأنه من نوع العصافير.

**الخواص**: قال القزويني في عجائب المخلوقات: يذبح التنوط بسكين ويسقى دمه لمن يعربد في سكره فلا يعود إلى ذلك أبداً ومرارته تطبخ بالسكر وتسقى لصبي فيحسن خلقه. وعظمه يعلق على الصبي وقت زيادة القمر فيبقى محبوباً إلى الناس ولو كان كريه اللقاء.

**التنين**: ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها وكنيته أبو مرداس وهو أيضاً نوع من السمك. وقال القزويني في عجائب المخلوقات: إنه شر من الكوسج، في فمه أنياب مثل أسنة الرماح. وهو طويل كالنخلة السحوق، أحمر العينين مثل الدم، واسع الفم والجوف، براق العينين يبتلع كثيراً من الحيوان، يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى، فإذا كثر فسادها، احتملها ملك وألقاها في البحر، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر، فيعظم بدنها فيبعث الله إليها ملكاً يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج. روي عن بعضهم أنه رأى تنينا طوله نحو من فرسخين، ولونه مثل لون النمر مفلساً مثل فلوس السمك بجناحين عظيمين، على هيئة جناحي السمك، ورأسه كرأس الإنسان لكنه كالتل العظيم، وأذناه طويلتان وعيناه مدورتان كبيرتان جداً. روى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه، حتى تقوم الساعة لو أن تنيناً منها نفخ على الأرض ما نبتت خضرا». ورواه[1] الترمذي عنه مطولاً. قال: دخل رسول الله ﷺ يوم مصلاه، فرأى ناساً كأنهم يكشرون

---

(١) رواه الدارمي في الرفاق: ٩٤، وابن حنبل: ٣/٣٨.

فقال: أما أنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى، أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، أنا بيت الوحدة، أنا بيت التراب، أنا بيت الدود والهوام. فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحباً وأهلاً، أما إن كنت لمن أحب من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك قال: فيتسع له قبره مد بصره، ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر، يقول له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً أما إن كنت لمن أبغض من يمشي على ظهري إلي فمذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك، فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه. قال: وقال رسول الله ﷺ: بأصابع يديه هكذا وشبكها. ثم يقيض له تسعون تنيناً أو تسعة وتسعون تنيناً لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب(1)». قال: وقال(2) رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». وروى الأئمة أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قال لشعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿أيما الأجلين﴾(3) الآية. أمره لما جن الليل أن يدخل بيتاًعينه له، ويأخذ منه عصا من العصي التي فيه دخل موسى البيت، وأخذ العصا التي أخرجها آدم معه من الجنة، وكانت من آس الجنة، فتوارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى صارت إلى شعيب عليه السلام، فأمره أن يلقيها في البيت ويدخل ويأخذ عصا أخرى فدخل وأخرجها، كذلك سبع مرات فعلم شعيب أن لموسى شأناً، فلما أصبح قال له سق الأغنام إلى مفرق الطريق، ثم خذ عن يمينك، وليس بها عشب كثير، ولا تأخذ عن يسارك فإنها وإن كان بها عشب كثير، ففيها تنين كبير يقتل المواشي فساق موسى الأغنام إلى مفرق الطريق، فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ردها فسرحها في الكلأ، ثم نام فخرج التنين فحاربته العصا حتى قتلته فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولاً، فعاد إلى شعيب فأخبره الخبر فسر بذلك، وقال: كل ما ولدت هذه المواشي ذا لونين في هذه السنة فهو لك. فقدر الله تعالى أن ولدت كلها في تلك السنة ذا لونين. فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة، فأقام عنده ثمانياً وعشرين سنة إلى أن تمت له أربعون سنة ثم خرج عنه بأهله.

**وأما حكمه**: فعلى ما قال القزويني أكله حرام لكونه من جنس الحيات وعلى أنه سمك يؤذي بنابه فالظاهر التحريم أيضاً كالتمساح.

**الخواص**: زعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ودمه إذا طلي به على الذكر وجامع امرأته حصل لها لذة عظيمة.

**التعبير**: التنين في المنام ملك فإن كان له رأسان أو ثلاثة فهو أشد لشره. والمريض إذا رأى تنيناً دل على موته. ومن الرؤيا المعبرة أن امرأة رأت في منامها كأنها وضعت تنيناً فولدت ولداً زمناً وذلك لأن التنين يجر نفسه إذا مشى وكذلك الزمن يجر نفسه.

---

(1) رواه الترمذي في القيامة:٢٦، والدارمي في الرفاق: ٩٤، وأحمد: ٣، ٣٨.

(2) رواه الترمذي في القيامة: ٢٦.

(3) سورة القصص: الآية ٢٨. وتمامها: أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ.

التورم: القطقاط: قال ابن بختيشوع: هو على شكل الحمامة، ويقال له طير التمساح قال: وفي جناحه شوكتان هما سلاحه إذا أطبق عليه التمساح فمه تخسه، فيفتح فاه فيخرج كما تقدم قال: ومن خواصه إذا أخذتا يعني الشوكتين أو إحداهما وصيرتا في موضع قد بال فيه إنسان مرض ذلك الإنسان، ولم يزل مريضاً حتى تنزع الشوكة من ذلك المكان الذي بال فيه، وإذا علق قلبه على من به وجع المعدة أبرأه الله تعالى.

التولب: الجحش قالوا[1] «أطوع من تولب». قال سيبويه: هو مصروف لأنه فوعل. ويقال للأتان أم تولب وسيأتي حكمه في باب الحاء المهملة إن شاء الله تعالى.

التيس: الذكر من المعز والوعول والجمع تيوس وأتياس قال الهذلي:

من فوقه أنسر سود وأغربة ... وتحته أعنز كلف وأتياسُ

والتياس الذي يمسكه، ويقال: في فلان تيسية وناس يقولون تيوسية. قال الجوهري: ولا أعرف صحتها. ويقال للذكر من الضباء أيضاً تيس ويقال نب التيس ينب نبيباً إذا صاح وهاج وقد مثل النبي ﷺ بذلك فيما روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال[2]: «أتي رسول الله ﷺ برجل قصير أشعث، ذي عضلات عليه إزار قد زنى فرده مرتين ثم أمر به فرجم فقال رسول الله ﷺ كلما نفرنا غازين في سبيل الله تخلف أحدكم ينب نبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة إن الله لا يمكنني من أحد منهم إلا جعلته نكالاً أو نكلته». وفي كامل ابن عدي في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ بعث إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه بقطيع من غنم يقسمها بين أصحابه فبقي منها تيس فضحي به. وفيه في ترجمة أبي صالح كاتب الليث بن سعد واسمه عبد الله بن صالح عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بالتيس المستعار هو المحلل». ثم قال: «لعن الله المحلل والمحلل له».[3] والحديث المذكور رواه الدارقطني وابن ماجه عن كاتب الليث بن سعد عن مشرح بن هاعان المصري عن عقبة بن عامر بإسناد حسن. وكذلك رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. قيل: إنما لعنه النبي ﷺ مع حصول التحليل لأن التماس ذلك هتك للمروءة والملتمس ذلك هو المحلل له، وإعارة التيس للوطء. لغرض الغير أيضاً رذيلة. ولذلك شبهه بالتيس المستعار وإنما يكون كالتيس المستعار إذا سبق التماس من المطلق، والعرب تعير بإعارة التيس قال الشاعر:

وشر منيحة تيس معارُ.

وفي آخر شفاء الصدور لابن سبع السبتي عن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى

(١) جمهرة الأمثال: ١/ ١٥٠، ولفظه: «أتبع من تولب».

(٢) رواه مسلم في الحدود: ١٧، ١٨، ٢٠. وأبو داود في الحدود: ٢٣، والدارمي في الحدود: ١٢ ورواه ابن حنبل: ٥، ٨٦، ٨٧، ١٠٢، ١٠٣.

(٣) رواه ابن ماجه في النكاح: ٣٣. وأبو داود في النكاح: ١٥. والترمذي في النكاح: ٢٨ ورواه النسائي في الطلاق: ١٣، والدارمي في النكاح: ٥٣.

عنهم قال: كنت مع أبي بعدما كف بصره وهو بمكة فمررنا على قوم من أهل الشام في صفة زمزم، فسبوا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقال لسعيد بن جبير وهو يقوده: ردني إليهم فرده فقال: أيكم الساب لله ولرسوله فقالوا: سبحان الله ما فينا أحد سب الله ورسوله. فقال: أيكم الساب لعلي؟ قالوا: أما هذا فقد كان. فقال ابن عباس إني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول[1]: «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله تعالى على منخريه في النار». ثم ولى عنهم فقال: يا بني ما رأيتهم صنعوا فقلت يا أبت:

نظروا إليك بأعين محمرة … نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال زدني يا بني فقلت:

شزر العيون منكسي أذقانهم … نظر الذليل إلى العزيز القاهر

اهـ وفي تهذيب الكمال، في ترجمة عبد العزيز بن منيب القرشي، وكان طويل اللحية أن علي بن حجر السعدي نظر إليه وقال:

ليس بطول اللحى تستوجبون القضا … إن كان هذا كذا فالتيس عدل رضا

قال: ومكتوب في التوراة لا يغرنك طول اللحى فإن التيس له لحية. وسيأتي في المعز بيان حكمه. وفي تاريخ الإسلام للعلامة الذهبي أن في سنة تسع وتسعين ومائتين وردت هدايا مصر على المقتدر فيها خمسمائة ألف دينار وتيس له ضرع يحلب لبناً وضلع إنسان عرض شبر في طول أربعة عشر شبراً، وفي كتاب الترغيب والترهيب في باب ذم الحاسد من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «يأتي على أمتي زمان يحسد فيه الفقهاء بعضهم بعضاً ويغار بعضهم على بعض كتغاير التيوس بعضها على بعض» وفي الحلية عن مالك بن دينار أنه قال: تجوز شهادة القراء في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسداً من التيوس في الزرب. اهـ. قال الجوهري: الزرب والزريبة حظيرة الغنم من خشب. وفي مروج الذهب للمسعودي وشرح السيرة للحافظ قطب الدين وغيرهما أن أم الحجاج بن يوسف، وهي الفارعة بنت همام، كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفي[2]، حكيم العرب، فدخل عليها ليلة في السحر فوجدها، تتخلل فطلقها، فسألته عن سبب ذلك؟ فقال: دخلت عليك في السحر فوجدتك تتخللين، فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة، وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة. فقالت: كل ذلك لم يكن، لكني تخللت من شظايا السواك. فتزوجها بعده يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فأولدها الحجاج وكان الحجاج مشوهاً لا دبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل ثدي أمه وغيرها فأعياهم أمره فيقال: إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة فقال: ما خبركم

---

(١) رواه أحمد: ٦/٣٢٣.

(٢) الحارث بن كَلَدة الثقفي: طبيب، حكيم، من الطائف. اختلف في إسلامه. مات سنة ٥٠ هـ.

فقالوا: لنا ولد ليوسف من الفارعة، وقد أبى أن يقبل ثدي أمه. فقال: اذبحوا له تيساً أسود والعقوه دمه. ثم ذبحوا له أسود سالخاً وأولغوه من دمه، وأطلوا به وجهه ثلاثة أيام فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع. ففعلوا به كذلك فقبل الثدي. وكان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء. وارتكب أموراً لا يقدر عليها غيره. وفي تاريخ[1] ابن خلكان أن عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج كتاباً يتهدده في آخره بهذه الأبيات:

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها ... وتطلب رضاي بالذي أنا طالبه[2]
وتخش الذي يخشاه مثلك هارباً ... إليّ فهما قد ضيع الدر جالبه
فإن ترمني غفلة قرشية ... فيا ربما قد غصّ بالماء شاربُه
وإن ترمني وثبة أموية ... فهذا وهذا كله أنا صاحبُه
فلا تأمنني والحوادث جمة ... فإنك تجزي بالذي أنت كاسبه[3]

فأجابه الحجاج وقال في آخر جوابه: وأما ما أتاني من أمريك فألينهما غرة، وأصعبهما محنة، وقد عبأت للغرة الجلد وللمحنة الصبر، فلما قرأ عبد الملك كتابه قال: خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره. وكان الحجاج كثيراً ما يسأل القراء، فدخل عليه يوماً رجل فقال له الحجاج: ما قبل قوله تعالى: ﴿من هو قانت﴾[4]؟ فقال له الآخر: قوله تعالى[5] ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾ فما سأل أحداً بعدها. وقال الحجاج لرجل من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث[6]: والله إني لأبغضك. فقال الرجل: أدخل الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة. وكان أول ما ظهر من كفاءة الحجاج أنه كان في شرطة روح بن زنباع[7] وزير عبد الملك بن مروان، وكان عسكر عبد الملك لا يرحل برحيله ولا ينزل بنزوله. فشكا عبد الملك ذلك لروح بن زنباع فقال له: يا أمير المؤمنين في شرطتي رجل يقال له الحجاج بن يوسف، لو ولاه أمير المؤمنين أمر العسكر، لأرحل الناس برحيل أمير المؤمنين وأنزلهم بنزوله. فولاه عبد الملك أمر العسكر فأرحل الناس برحيل عبد الملك وأنزلهم بنزوله. فرحل يوماً عبد الملك ورحل الناس، وتأخر أصحاب روح بن زنباع عن الرحيل، فمرّ عليهم الحجاج وهم يأكلون، فقال لهم: ما بالكم لن ترحلوا مع العسكر؟ فقالوا له: انزل وتغد ودع عنك هذا الكلام يا ابن اللخناء. فقال: هيهات ذهب ما هناك ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، وبخيل روح فعرقبت، وبالفساطيط فأحرقت فبلغ ذلك

(١) وفيات الأعيان: ٢/٣٥.

(٢) في الوفيات: «... طلبت رضاي بالذي أنت طالبه».

(٣) في الوفيات: «... فإنك مجزي....».

(٤) سورة الزمر: الآية ٩.

(٥) سورة الزمر: الآية ٨.

(٦) ابن الأشعث: عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير من القادة الدهاة، سيره الحجاج إلى سجستان فافتتح بعض قلاعها ولم يتوغل إلى داخلها، فاتهمه الحجاج بالضعف، فعاد إليه وقاتل جيشه وظفر، ولكن، وبعد مواقع كثيرة قضي على ثورته وقُتل سنة ٨٥ هـ.

(٧) رَوح بن زِنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة، أمير فلسطين لعبد الملك بن مروان. مات سنة ٨٤ هـ.

روحاً، فدخل على عبد الملك وقال: يا أمير المؤمنين انظر ماذا جرى علي اليوم من الحجاج! فقال: وما ذاك؟ قال: قتل غلماني وعرقب خيلي وأحرق فساطيطي فأمر بإحضار الحجاج، فلما حضر قال له عبد الملك: ويلك ماذا فعلت اليوم مع سيدك روح بن زنباع؟ فقال له: يا أمير المؤمنين إن يدي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الغلام غلامين، والفرس فرسين، والفسطاط فسطاطين، ولا يكسرني في العسكر. فقال له: افعل، فتم للحجاج ما يريد وقوي من ذلك اليوم أمره، وعظم شره. وكان هذا أول ما عرف من كفاءته. وللحجاج أخبار كثيرة وخطب بليغة: قال المبرد في الكامل: حدثني التوزي بإسناده عن عبد الملك بن عمير الليثي قال: بينما أنا في المسجد الجامع بالكوفة، وأهل الكوفة يومئذٍ ذوو حالة حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ قيل: قدم الحجاج أميراً على العراق، فنظرت فإذا به قد دخل المسجد معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلداً سيفاً متنكباً قوساً، يؤم المنبر فمال الناس نحوه، فصعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض: قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق! فقال عمير بن ضابىء البرجمي(١): ألا أحصبه لكم؟ فقيل: أمهل حتى ننظر. فلما رأى الحجاج أعين الناس ترمقه، حسر اللثام عن وجهه ونهض قائما ثم حمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ ثم قال(٢):

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال يا أهل الكوفة إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى.

هذا أوانُ الشر فاشتدي زيمْ ... قد لفها الليل بسواق حطمْ(٣)
ليس براعي إبل ولا غنم ... ولا بجزار على ظهر وضمْ

ثم قال:

قد لفها الليلُ بعُصلُبي ... أروع خراج من الدوي(٤)
مهاجر ليس بأعرابي ... معاود للطعن بالخطّي(٥)

ثم قال أيضاً:

قد شمرت عن ساقها فشدوا ... وجدّت الحرب بكم فجدّوا
والقوس فيها وترعردّ ... مثل ذراع البكر أو أشد

---

(١) هو عُمير بن ضابىء بن الحارث البرجمي، شاعر، من سكان الكوفة، وكان من الذين حاصروا عثمان بن عفان، وعلم الحجاج ذلك فأمر به فقُتل سنة ٧٥ هـ.

(٢) البيت في وفيات الأعيان: ١/١٦٥ ونسبته إلى سحيم بن وثيل الرياحي.

(٣) الزَيَم: الغارة. وإسم فرس. والشطر الأول يجري مجرى المثل. جمهرة الأمثال: ٢/٢٨٤.

(٤) عُصلبي: من العصلوب وهو القوي.

(٥) الخطي: الرمح.

إني والله يا أهل العراق، مما يقعقع لي بالشنان، ولا يغمز جانبي كتغماز التنين، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وإن أمير المؤمنين نثل كنانته، فعجم عيدانها عوداً عوداً فوجدني أمرها عوداً، وأصلبها مكسراً، وأبعدها مرمي، فرماكم بي، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم السلمة، ولأضربنكم ضرب غرابيب الإبل، فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. وإني والله ما أقول إلا وفيت، ولا أهم إلا أمضيت، ولا أحلف إلا بريت وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم لمحاربة عدوّكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أن أخذ عطائه ثلاثة أيام، إلا ضربت عنقه. يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئاً فقال الحجاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس، فقال: أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردّوا سلامه؟ هذا أدب ابن سمية، أما والله لأودّبنكم غير هذا الأدب، أو لتستقيمن. اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق في المسجد أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام. ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون، حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال: أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى مني على الأسفار أفتقبله مني بدلاً فقال له الحجاج: نفعل أيها الشيخ. فلما ولى، قال له قائل: أتدري من هذا أيها الأمير؟ قال: لا، قال: هذا عمير بن ضابىء البرجمي الذي يقول[1] أبوه:

همـمت ولم أفعــل وكــدت وليتـني ... تــركت عـلى عثـمان تبكي حـلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله تعالى عنه، يوم الدار وهو مقتول، فوطىء بطنه وكَسر ضلعين من أضلاعه، فقال: ردّوه، فلما ردّ قال له الحجاج: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان بديلاً يوم الدار. إن في قتلك إصلاحاً للمسلمين: يا حرسي اضرب عنقه.

تفسير ما في خطبة الحجاج من الكلام: قوله: أنا ابن جلا إنما أراد المنكشف الأمر، ولم يصرف جلا لأنه أراد الفعل فحكى. والفعل إذا كان فيه فاعله مضمراً أو مظهراً لم يكن إلا حكاية. كقولك قرأت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر[2]﴾ لأنك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت: ﴿الحمد لله رب العالمين[3]﴾ قال الشاعر:

والله ما زيد بنام صاحبه.

وهذه الكلمة لسحيم بن وثيل الرياحي، وإنما قالها الحجاج متمثلاً وقوله طلاع الثنايا جمع ثنية والثنية الطريق في الجبل والطريق في الرمل، يقال لها: الجلد وإنما أراد جلد يطلع الثنايا في

---

(١) الخبر والبيت في وفيات الأعيان: ٢/ ٣٤.

(٢) سورة القمر: الآية ١.    (٣) سورة الفاتحة: الآية ١.

ارتفاعها وصعوبتها. كما قال دريد[1] بن الصمة يرثي أخاه عبد الله:

كميش الإزار خارج نصف ساقه ... بعيد من السوآت طلاع أنجد[2]

والنجد ما ارتفع من الأرض وقوله: إني لأرى رؤوساً، قد أينعت، يريد أدركت يقال أينعت الثمرة إيناعاً وينعت ينعاً وينعا ويقرأ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه وينعه، وكلاهما جائز قال أبو عبيدة وهذا الشعر مختلف فيه فبعضهم ينسبه إلى الأحوص[3] وبعضهم إلى يزيد بن معاوية[4] وهو:

ولها بالماطرون إذا ... أكل النمل الذي جمعا
حرقة حتى إذا ارتفعت ... سكنت من جلق نبعا
في قباب عند دسكرة ... حولها الزيتون قد ينعا

وقوله: هذا أوان الشر فاشتدي زيم، يعني فرساً أو ناقة، والشعر للحطيم القيسي. وقوله: قد لفها الليل بسواق حطم. الحطم الذي لا يبقي من الخبز شيئاً، يقال: رجل حطم إذا كان يأتي على الزاد لشدة أكله. ويقال للنار التي لا تبقي على شيء حطمة. وقوله: على ظهر وضم الوضم كل ما قطع عليه اللحم قال الشاعر:

وفتيان صدق حسان الوجوه ... لا يجدون لشيء ألم
من آل المغيرة لا يشهدو ... ن عند المجازرِ لحم الوضم

وقوله قد لفها الليل بعصلبي: أي شديد أروع أي ذكي. وقوله خراج من الدوي: يقول خراج عن كل غماء وشدة، ويقال للصحراء دوية وهي التي تنسب للدو، والدو صحراء ملساء لا علم بها ولا إمارة قال الحطيئة[5]:

وأني اهتدتْ والدو بيني وبينها ... وما خلت ساري الدو بالليل يهتدي[6]

والداوية الفلاة المتسعة التي يسمع لها دوي بالليل، وإنما ذلك الدوي من أخفاف الإبل تنفسخ أصواتها فيها وجهلة الأعراب تقول: إن ذلك عزيف الجن. وقوله: والقوس فيها وترعردّ أي شديد ويقال عرند. وقوله: إني والله ما يقعقع لي بالشنان واحدها شن. وهي الجلد اليابس فإذا

---

(١) دريد بن الصمة الجشحي البكري، من هوازن، شاعر سيد فارس أدرك الإسلام ولم يسلم، قُتل في حنين سنة ٨ هـ.

(٢) كميش الإزار: مشمَّره. والبيت في ديوان دريد: ٤٩.

(٣) الأحوص: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، شاعر هجاء، نفاه الوليد بن عبد الملك، وعاد إلى دمشق أيام يزيد بن عبد الملك ومات فيها سنة ١٠٥ هـ.

(٤) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي المتوفى سنة ٦٤ هـ.

(٥) الحطيئة: حرول بن أوس بن مالك العبسي، أبو مُليكة، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم، وكان سليط اللسان هجاءً. مات سنة ٤٥ هـ.

(٦) ديوان الحطيئة: ٤٧.

قعقع به نفرت الإبل منه فضرب ذلك مثلاً لنفسه، قال النابغة الذبياني[1]:

كـأنـك مـن جمـال بـني أقـيش ... يـقـعـقـع بـين رجليه بـشـن

وقوله: ولقد فررت عن ذكاء يعني عن تمام سن. والذكاء على ضربين: أحدهما تمام السن والآخر حدّة القلب، فما جاء في تمام السن قول قيس[2] بن زهير العبسي جرى المذ كيات غلاب وقول زهير[3]:

يـفـضـله إذا اجـتـهـدا عـلـيـه ... تمـام الـسـن مـنـه والـذكـاء

وقوله: فعجم عيدانها عوداً عوداً: أي مضغها لينظر أيها أصلب. يقال: عجمت العود إذا مضغته وعضضته والمصدر العجم. يقال: عجمه عجماً، ويقال لنوى كل شيء عجم بفتح الجيم ومن سكن فقد أخطأ قال الأعشى:

وجذعانها كلقيط العجم

وقوله: طالما أوضعتم في الفتنة: الإيضاع ضرب من السير وله أخبار كثيرة تركناها كراهية التطويل. قال ابن خلكان: ولما حضرته الوفاة أحضر منجماً وقال: هل ترى في علمك أن ملكاً يموت؟ قال: نعم، ولست هو. قال وكيف ذلك؟ قال: لأن الملك الذي يموت اسمه كليب. فقال الحجاج: أنا هو والله بذلك الاسم سمتني أمي فأوصى عند ذلك وكان ينشد في مرضه:

يـا رب قد حلف الأعـداء واجتهـدوا ... أيمـانهم أنـي مـن سـاكـني الـنـار
أيحـلـفون عـلى عـمـيـاء ويحـهـم ... مـا ظنهم بعـظيم العفـو غفـار[4]

وتوفي الحجاج سنة خمس وتسعين في خلافة الوليد بواسط، ودفن بها، وعفا قبره وأجري عليه الماء ولما مات لم يعلم بموته، حتى خرجت جارية من قصره وهي تقول:

الـيـوم يـرحمـنـا من كـان يغبـطـنـا ... والـيـوم نتبـع من كـانـوا لـنـا تبعـا

فعلم بموته. وقال الحافظ الذهبي وابن خلكان وغيرهما: أحصي من قتله الحجاج صبراً، سوى من قتل في حروبه، فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً. وكذا رواه الترمذي في جامعه. ومات في حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستة عشر ألفاً مجردات. وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد. وعرضت سجونه بعده، فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفاً لم يجب على أحد منهم لا قطع ولا صلب. وقال الحافظ ابن عساكر: إن سليمان بن عبد الملك، أخرج من كان في سجن الحجاج من المظلومين. ويقال: إنه أخرج في يوم واحد ثمانين ألفاً. ويقال: إنه

---

(١) النابغة الذبياني: زياد بن معاوية شاعر جاهلي فحل. والبيت في ديوانه: ١٩٠.

(٢) قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، من العقلاء، مات سنة ١٠ هـ.

(٣) زهير هو الشاعر زهير بن أبي سُلمى، الحكيم الجاهلي. والبيت في ديوانه ١٦.

(٤) البيت وما قبله في وفيات الأعيان: ٢/٥٣ منسوبان إلى عبيد بن سفيان العكلي. وفي البيت الثاني: «ما ظنهم بقديم...».

أخرج من سجونه ثلثمائة ألف. وقال ابن خلكان: ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الشمس في الصيف، ولا من المطر في الشتاء، بل كان حوشاً مبنياً بالرخام. وكان له غير ذلك من أنواع العذاب. وقيل: إنه سأل كاتبه يوماً فقال: كم عدة من قتلنا في التهمة؟ فقال ثمانون ألفاً.

وكانت مدة ولايته على العراق عشرين سنة، ومات وله ثلاث وخمسون سنة. روي أنه ركب يوم جمعة، فسمع ضجة، فقال: ما هذا؟ فقيل: المحبوسون يضجون ويشكون مما هم فيه، من الجوع والعذاب. فالتفت إلى ناحيتهم وقال: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾[1]. فما صلى جمعة بعدها. ورأيت على حاشية تاريخ ابن خلكان بخط بعض المشايخ أن بعض العلماء كفره بهذا الكلام وغيره مما وقع منه. وفي الكامل للمبرد: ومما كفر به الفقهاء الحجاج أنه رأى الناس يطوفون حول حجرة رسول الله ﷺ فقال: إنما تطوفون بأعواد ورمة. قلت: وإنما كفروه بهذا لأن في هذا الكلام تكذيباً لرسول الله ﷺ نعوذ بالله من اعتقاد ذلك. فإنه صح عنه ﷺ أنه قال: «إن الله عزّ وجلّ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» أخرجه[2] أبو داود وذكر أبو جعفر الداودي هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين. وهي زيادة غريبة. قال السهيلي: الداودي من أهل الفقه والعلم. ولكن روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أنه رأى الحجاج في المنام بعد موته وهو جيفة منتنة، فقال له: ما فعل الله بك قال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة واحدة إلا سعيد بن جبير[3] فإنه قتلني به سبعين قتلة. فقال له: ما أنت منتظر؟ فقال ما ينتظره الموحدون فهذا مما ينفي عنه الكفر. ويثبت أنه مات على التوحيد وعند الله علم حاله وهو أعلم بحقيقة أمره.

تنبيه: فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتله قتلة واحدة إلا سعيد بن جبير رحمه الله تعالى؟ وهو قد قتل عبد الله بن الزبير[4] رضي الله تعالى عنهما، وهو صحابي وسعيد بن جبير تابعي؟ والصحابي أفضل من التابعيّ فالجواب أن الحكمة في ذلك، أن الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما كان له نظراء في العلم كثيرون كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة، ولما قتل سعيد بن جبير لم يكن له نظير في العلم في وقته. وذكر غير واحد من المصنفين أن الحسن البصري رحمه الله لما بلغه قتل سعيد بن جبير، قال: والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه. فمن هذا المعنى ضوعف العذاب على الحجاج بقتله. والله أعلم. وسيأتي حديث قتل سعيد بن جبير في باب اللام في اللبوة. وقتل عبد الله بن الزبير تقدم في باب الهمزة في الأوز.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية: ١٠٨.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة: ٢٠١. وتر: ٢٦. والنسائي في الجمعة: ٥، ورواه ابن ماجه في الإقامة: ٧٩. والجنائز: ٦٥. والدارمي في الصلاة: ٢٠٦ وابن حنبل: ٤، ٨.

(٣) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، تابعي كان أعلمهم إطلاقاً، وهو حبشي الأصل. قتله الحجّاج، وكان أهل الأرض في حاجة إلى علمه، سنة ٩٥ هـ.

(٤) ابن الزبير: عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو بكر، أول مولود في المدينة بعد الهجرة، بويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، حاربه بنو أمية، فحاصره أخيراً الحجاج في البيت الحرام وقتله سنة ٧٣ هـ.

**الأمثال**: قالوا[1]: «أغلم من تيس بني حمان» بكسر الحاء المهملة، وذلك أن بني حمان تزعم أن تيسهم سفد سبعين عنـزاً بعد ما فريت أوداجه، ففخروا بذلك والله أعلم. ويقال للتيس قفط وسفد. وفي الأذكياء[2] لابن الجوزي أن مزينةأسرت أبا حسان الأنصاري، وقالوا لا نأخذ فداءه إلا تيساً، فغضب قومه، وقالوا: لا نفعل هذا فأرسل إليهم: أعطوهم ما طلبوا فلما جاؤوا بالتيس، قال أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم فسموا مزينة التيس، وصار لهم لقباً وعيباً.

**الخواص**: جميع بدنه منتن كالإبط، ولحيته تشد على صاحب حمى الربع، وعلى من به صداع فيزولان. وطحاله يقطعه صاحب الطحال بيده، ويعلقه في بيت هو فيه، فإذا جف الطحال زال ألم المطحول. ورطوبة كبده حال شقها تقطر في الأذن الوجيعة يزول وجعها. وكعبه إذا سحق وشرب هيج الباه وبوله يغلى حتى يغلظ ويخلط بمثله سكراً ويطلى به الجرب في الحمام فإنه يذهب. وبعره إذا وضع تحت رأس صبي يبكي كثيراً يزول عنه. وسيأتي له منافع أخرى في خواص المعز والله أعلم.

## باب الثاء المثلثة

**الثاغية**: النعجة قالوا: ما له ثاغية ولا راغية، أي لا نعجة ولا ناقة أي ما له شيء ومثله ما له دقيقة ولا جليلة فالدقيقة الشاة والجليلة الناقة.

**الثرملة**: بالضم أنثى الثعالب وسيأتي إن شاء الله تعالى ما في الثعلب في هذا الباب.

**الثعبان**: الكبير من الحيات ذكراً كان أو أنثى. والجمع الثعابين والثعبة ضرب من الوزغ وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الواو. وقال الجاحظ، في كتاب الأمصار: وتفاضل البلدان والثعابين بمصر وليست هي في بلد غيرها، وإليها حول الله عصا موسى ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين**[3]﴾ يعني أنه حولها ثعباناً عظيماً ومما يتعلق بخبر الثعبان: أن عبد الله بن جدعان[4]، كان في ابتداء أمره صعلوكاً ترب اليدين، وكان مع ذلك شريراً فاتكاً لا يزال يجني الجنايات، فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته، ونفاه أبوه وحلف لا يؤويه أبداً. فخرج في شعاب مكة حائراً ثائراً، يـتمـنـى المـوت أن ينزل به، فرأى شقاً في جبل، فظن أن فيه حية فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله فيستريح، فلم ير شيئاً فدخل فيه فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين، فحمل عليه الثعبان. فأفرج له فانساب عنه مستديراً بدارة عند بيت ثم خطا خطوة أخرى، فصفر به الثعبان، فأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه، فوقف ينظر إليه يفكر في أمره، فوقع في نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيديه فإذا هو مصنوع من ذهب، وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت، فإذاجثث طوال على سرر لم ير مثلهم طولاً وعظماً، وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم، وإذا هم رجال من ملوك جرهم،

---

(1) جمهرة الأمثال: ٧٨/٢.

(2) الأذكياء: ١١٣.

(3) سورة الأعراف: الآية ١٠٧.

(4) عبد الله بن جُدعان التيمي، من الأجواد في الجاهلية.

وآخرهم موتاً الحارث بن[1] مضاض صاحب العذبة الطويلة، وإذا عليهم ثياب من وشي لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان مكتوب في اللوح عظات. قال ابن هشام: كان اللوح من رخام وكان فيه أنا نفيلة[2] بن عبد المدان بن خشرم بن عبديا ليل بن جرهم بن قحطان ابن نبي الله هود عليه السلام عشت من العمر خمسمائة عام وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجيني من الموت وتحته مكتوب:

قد قطعت البلاد في طلب الثر ... وة والمجد قالص الأثوابِ
وسريت البلاد قفر القفر ... بقناة وقوة واكتسابِ
فأصاب الردى بنات فؤادي ... بسهام من المنايا صيابِ
فانقضت مدتي وأقصر جهلي ... واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما ... نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع ... رد في الضرع ما قرى في الحلاب

وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ، ثم علم على الشق بعلامة. وأغلق بابه بالحجارة، وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به منه يسترضيه ويستعطفه، ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز، ويطعم الناس ويفعل المعروف وكانت جفنته، يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فغرق ومات وفي غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله ﷺ قال: «كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي». يعني في الهاجرة. وسميت الهاجرة صكة عمي لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنوار، وهو أن عميا رجل من عدوان، وقيل: من إياد وكان فقيه العرب في الجاهلية فقدم في قومه، معتمراً أو حاجاً، فلما كان على مرحلتين من مكة، قال لقومه، وهم في وسط الظهيرة: من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين! فصكوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغداة. وعمي تصير أعمى على الترخيم فسميت الظهيرة صكة عمي. وعبد الله بن جدعان تيمي يكنى أبا زهير، وهو ابن عم عائشة رضي الله تعالى عنها. ولذلك قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ قال ﷺ: «لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين[3]». كذا قاله السهيلي في الروض الأنف. وفي كتاب ري العاطش وأنس الواحش، لأحمد بن عمار[4] أن ابن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية، بعد أن كان بها مغرى، وذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه، فأخبر بذلك حين صحا. فحلف أن لا يشربها أبداً. فلما كبر وهرم، أراد بنو تيم أن

---

(١) ابن مضاض، الحارث، من ملوك الجاهلية من بني جرهم من قحطان.

(٢) نُفيلة الجرهمي بن عبد المدان من ملوك مكة والطائف في الجاهلية.

(٣) رواه البخاري في الدعوات: ٦١. ومسلم في الإيمان: ٣٦٥، والذكر: ٧٠ وأحمد: ٤١٧/٤، ٥٠، ٢٧٠، ٦، ٩٣.

(٤) ابن عمار: أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدوي التميمي مقرىء أندلسي مات سنة ٤٤٠ هـ.

يمنعون من تبذير ماله، ولاموه في العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه، لطمه لطمة خفيفة، ثم يقول له: قم فانشد لطمتك واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان. ولقد أجاد أبو الفتح علي بن محمد البستي، صاحب النظم والنثر، في هذه القصيدة، وهي قصيدة طويلة طنانة تشتمل على مواعظ وحكم فلنأت بها بتمامها وبما ذيل عليها أهل الفضل. ويقال: إنها لأمير المؤمنين الراضي[1] بالله وهي هذه:

زيادة المرء في دنياه نقصانُ ... وربحه غير محض الخير خسرانُ
وكل وجدان حظ لا ثبات له ... فإن معناه في التحقيق فقدانُ
يا عامرا لخراب الدهر مجتهداً ... بالله هل لخراب العمر عمرانُ
ويا حريصاً على الأموال يجمعها ... أنسيت أن سرور المال أحزانُ
زع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجرانُ
وأوع سمعك أمثالاً أفصلها ... كما يفصل ياقوت ومرجانُ
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان، إحسانُ
وكن على الدهر معواناً لذي أمل ... يرجو نداك فإن الحر معوانُ
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... إليه والمال للإنسان فتانُ
من كان للخير منّاعاً فليس له ... عند الحقيقة إخوان وأخدان[2]
لا تخدشن بمطلٍ وجهَ عارفةٍ ... فالبر يخدشه مطل وليانُ
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسرانُ
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ
من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
حسبُ الفتى عقله خلا يعاشره ... إذا تحاماه إخوان وخلانُ
لا تستشر غير ندب حازم فطن ... قد استوى منه إسرار وإعلانُ
فللتدابير فرسان إذا ركضوا ... فيها أبروا كما للحرب فرسانُ
وللأمور مواقيت مقدرة ... وكل أمر له حد وميزانُ
من رافق الرفق في كل الأمور فلم ... يندم عليه ولم يذممه إنسانُ
ولا تكن عجلاً في الأمر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحرانُ
وذو القناعة راض في معيشته ... وصاحب الحرص ان أثرى فغضبانُ
كفى من العيش ما قد سد من رمق ... ففيه للحران حققت غنيانُ
هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيانُ
من مد طرفاً بفرط الجهل نحو هوى ... أغضى عن الحق يوماً وهو خزيانُ
من استشار صروف الدهر قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهانُ
من عاشر الناس لاقى منهم نصباً ... لأن طبعهم بغي وعدوان[3]

---

(١) الراضي: الخليفة العباسي محمد بن جعفر بن المعتضد بالله أحمد. مولوده سنة ٢٩٧ هـ. ووفاته سنة ٣٢٩ هـ.
(٢) أخدان: جمع خدن أي خليل وصاحب.
(٣) النصَب: التعب.

ومن يفتش على الإخوان مجتهداً فجل إخوان هذا الدهر خوانُ
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ندامة ولحصد الزرع إبان
من استنام إلى الأشرار نام وفي قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جذلانُ
من كان للعقل سلطان عليه غدا وما على نفسه للحرص سلطانُ
وإن أساء مسيء فليكن لك في عروض زلته صفح وغفران
إذا نبا بكريم موطن فله وراءه في بسيط الأرض أوطان
لا تحسبن سروراً دائماً أبداً من سره زمن ساءته أزمان
يا ظالماً فرحاً بالعز ساعده إن كنت في سنة فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضي سيرته أبشر فأنت بغير الماء ريانُ
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج فأنت ما بينها لا شك ظمآنُ
دع التكاسل في الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلانُ
صن حر وجهك لا تهتك غلالَته فكل حر لحر الوجه صوانُ
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم غرائز لست تحصيها وألوان
ما كل ماء كصداء لوارده نعم ولا كل نبت فهو سعدان
من استعان بغير الله في طلب فإن ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان
لا ظل للمرء يغني عن تقى ورضا وإن أظلته أوراق وأفنان
سحبان من غير مال باقل حصر وباقل في ثراء المال سحبان[1]
والناس إخوان من والته دولته وهم عليه إذا عادته أعوان
يا رافلاً في الشباب الرحب منتشياً من كأسه هل أصاب الرشد نشوان
لا تغترر بشباب ناعم خضل فكم تقدم قبل الشيب شبانُ
ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم يكن لمثلك في الإسراف إمعان
هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فإن الله يغفرها إن شيع المرء إخلاص وإيمان
وكل كسر فإن الله يجبره وما لكسر قناة الدين جبران
أحسن إذا كان إمكان ومقدرة فلا يدوم على الإنسان إمكان
فالروض يزدان بالأنوار فاغمة والحر بالعدل والإحسان يزدان
خذها سرائر أمثال مهذبة فيها لمن يبتغي التبيان تبيانُ
ماضر حسابها والطبع صائغها إنْ لم يصغها قريع الشعر حسانُ

(١) سحبان بن زُفر بن إياس الوائلي الباهلي، خطيب يضرب به المثل في البلاغة مات سنة ٥٤ هـ. وباقل: علم يضرب به المثل في العي.

ومن هنا ذيل من ذيل عليها فقال:

وكن لسنة خير الخلق متبعا فإنها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق أنعمه وعمهم منه في الدارين إحسانُ
جبينه قمر قد زانه خفر وثغره درر غر ومرجانُ
والبدر يخجل من أنوار طلعته والشمس من حسنه الوضاح تزدانُ
به توسلنا في محو زلتنا لربنا أنه ذو الجود منانُ
ومذ أتى أبصرت عمي القلوب به سبلَ الهدى ووعت للحق آذان
يا رب صل عليه ما همي مطر فأينعت منه أوراق وأغصانُ
وابعث إليه سلاماً زاكياً عطراً والآل والصحب لا تفنيه أزمانُ

ومن نثره، يعني أبا القاسم البستي: من أصلح فاسده، أرغم حاسده. ومن أطاع غضبه، أضاع أدبه عادات السادات سادات العادات. من سعادة جدك، وقوفك عند حدك. الرشوة رشاء الحاجات. أجهل الناس من كان للإخوان مذلاً، وعلى السلطان مدلاً. الفهم شعاع العقل. المنية تضحك من الأمنية. حد العفاف الرضا بالكفاف.

توفي البستي رحمه الله سنة أربعمائة.

**ثعالة**: كنخالة وزبالة وفضالة ثلاثة أخوة يشبه بعضهم بعضاً: اسم للثعلب وهو معرفة وأرض مثعلة بالفتح، أي كثيرة الثعالب كما قالوا: معقرة للأرض من الكثيرة العقارب.

**الأمثال**: قالوا[1]: «أروغ من ثعالة». قال الشاعر:

فاحتلت حين صرمتني والمرء يعجز لا محاله
والدهر يلعب بالفتى والدهر أروغ من ثعاله
والمرء يكسب ماله والشيخ يورثه الفساله
والعبد يقرع بالعصا والحر تكفيه المقاله

وقالوا: «أعطش من ثعالة».[2] واختلفوا في تفسيره، فزعم محمد بن حبيب أنه الثعلب، وخالفه ابن الأعرابي فزعم أن ثعالة رجل من بني مجاشع شرب بول رفيق له في مفازة فمات عطشاً.

**الثعبة**: ضرب من الوزغ قاله الجوهري.

**الثعلب**: معروف، والأنثى ثعلبة، والجمع ثعالب وأثعل. روى ابن قانع في معجمه عن وابصة بن معبد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «شر السباع هذه الأثعل». يعني الثعالب. وكنية الثعلب أبو الحصين وأبو النجم وأبو نوفل وأبو الوثاب وأبو الحنبص. والأنثى أم عويل والذكر ثعلبان. وأنشد الكسائي عليه:

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٠٦.
(٢) جمهرة الأمثال: ٢/٦١.

أربٌ[1] يبول الثعلبان برأسه		لقد ذل من بالت عليه الثعالبُ

هكذا أنشده جماعة، وهو وهم. فقد رواه أبو حاتم الرازي: الثعلبان، بالفتح على أنه تثنية ثعلب، وذكر أن بني ثعلب كان لهم صنم يعبدونه، فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدان فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم، وكان للصنم سادن يقال غاوي بن ظالم. فقال البيت المتقدم، ثم كسر الصنم، وأتى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «ما اسمك قال: غاوي بن ظالم. قال: لا، بل أنت راشد بن عبد ربه». وفي نهاية الغريب أنه كان لرجل صنم، وكان يأتي بالخبز والزبد، فيضعه عند رأسه، ويقول له: أطعم فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد، ثم عصل على رأس الصنم، أي بال. والثعلبان ذكر الثعالب. وفي كتاب الهروي: فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد، . أراد تثنية ثعلب. قال الحافظ بن ناصر: أخطأ الهروي في تفسيره، وصحف في روايته. وإنما الحديث فجاء ثعلبان، وهو الذكر من الثعالب، اسم له معروف لا مثنى، فأكل الخبز والزبد ثم عصل، بالعين والصاد، على رأس الصنم. فقام الرجل فضرب الصنم فكسره ثم جاء إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك وقال فيه شعراً وهو:

لقد خاب قوم أملوك لشدة		أرادوا نزالا أن تكون تحاربُ
فلا أنت تغني عن أمور تواترت		ولا أنت دفاع إذا حل نائبُ
أربٌ يبول الثعلبان برأسه		لقد ذل من بالت عليه الثعالبُ

والحديث مذكور في معجم البغوي وابن شاهين وغيرهما. والرجل المذكور راشد بن عبد ربه. وحديثه مشروح في كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني. وأهل اللغة يستشهدون بهذا البيت في أسماء الحيوان والفرق في ذلك بين الذكر والأنثى كما قالوا لأفعوان ذكر الأفاعي والعقربان ذكر العقارب والثعلب سبع جبان مستضعف ذو مكر وخديعة، لكنه لفرط الخبث والخديعة، يجري مع كبار السباع. ومن حيلته في طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه، ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده. وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد. قيل للثعلب: ما لك تعدو أكثر من الكلب؟ فقال: لأني أعدو ولنفسي والكلب يعدو لغيره. قال الجاحظ: ومن أشد سلاح الثعلب عندهم الروغان والتماوت وسلاحه سلحه، فإن سلاحه أنتن وألزج وأكثر من سلاح الحبارى. قالت العرب:

أدهى وأنتن من سلاح الثعلب.

والجاحظ اسمه عمرو بن بحر الكناني الليثي وقيل له الجاحظ، لأن عينيه كانتا جاحظتين، ويقال له الحدقي أيضاً، لذلك أصابه الفالج في آخر عمره، فكان يطلي نصفه بالصندل والكافور لشدة حرارته، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض لما أحس به من خدره وشدة برده. وكان يقول: أنا من جانبي الأيمن مفلوج، فلو قرض بالمقاريض ما علمت. ومن جانبي الأيسر منقرس، فلو مر به الذباب تألمت. وقال: اصطلحت على جسدي الأضداد فإن أكلت بارداً أخذ

---

(1) الحيوان للجاحظ: ٣٠٣/٦ وفيه: «إله بدل رب». ولم يعزه. وفي الاصابة: ٥٢١٣ هو لغاوي بن ظالم.

برجلي، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي وكان ينشد:

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشبابِ
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب دريس كالجديد من الثيابِ

وله التصانيف في كل فن وهو من رؤوس المعتزلة، وإليه تنسب الطائفة الجاحظية من المعتزلة. ومن أحسن تصانيفه كتاب الحيوان. توفي سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة. قال: ومن العجب في قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى تصيد العصفور فتأكله، والعصفور يصيد الجراد فيأكله، والجراد يلتمس فراخ الزنابير فيأكلها، والزنبور يصيد النحلة فيأكلها، والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها، والذبابة تصيد البعوضة فتأكلها. روى صاحب الغيلانيات، في الجزء الأول، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله، قال: جاء رجل إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقال: رأيت كأني أجري مع الثعلب أحسن جري. فقال: أجريت ما لا يجري، أنت رجل في لسانك كذب فاتق الله عزّ وجلّ! ومن شأن الثعلب، إذا دخل برج حمام، وكان شبعان، قتلها ورمى بها لعلمه أنه إذا جاع عاد إليها وأكلها. وهو من الحيوان الذي سلاحه سلاحه، وهو أنتن من سلاح الحبارى كما تقدم. فإذا تعرض للقنفذ ولقيه كالكرة وتحصن بشوكه سلح عليه فينبسط، فعندها يقبض على مراق بطنه. ومن ظريف ما يحكى عنه، أن البراغيث، إذا كثرت في صوفه، تناول صوفة منه بفيه، ثم يدخل النهر قليلاً قليلاً، والبراغيث تصعد فراراً من الماء حتى تجتمع في الصوفة التي في فيه، فيلقيها في الماء ثم يهرب. والذئب يطلب أولاد الثعلب فإذا ولد له ولد، وضع أوراق العنصل على باب وجاره، ليهرب الذئب منها. وفروه أفضل الفراء ومنه: الأبيض والأسود والخلنجي وقال القزويني في عجائب المخلوقات: إنه أهدي إلى نوح بن منصور الساماني[1] ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الإنسان منه نشرهما، وإذا بعد عنه ألصقهما بجانبيه. ثم قال: وكانت الثعالب تطير في الزمن الأول. وفي آخر[2] كتاب الأذكياء لأبي الفرج بن الجوزي عن المعافى بن زكريا قال زعموا أن أسداً وثعلباً وذئباً اصطحبوا، فخرجوا يتصيدون فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا، فقال: الأمر أبين من ذلك الحمار لك، والأرنب لأبي معاوية يعني الثعلب، والظبي لي. فخبطه الأسد فأطاح رأسه. ثم أقبل على الثعلب، وقال: قاتله الله ما أجهله بالقسمة! هات أنت يا أبا معاوية. فقال الثعلب: يا أبا الحارث، الأمر أوضح من ذلك الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك. فقال له الأسد: قاتلك الله ما أقضاك! من علمك هذه الأقضية؟ قال: رأس الذئب الطائح عن جثته، وفي رواية عن الشعبي فقال له الأسد: قاتلك الله ما أبصرك بالقضاء والقسمة؟ من أين تعلمت هذا؟ قال: مما رأيت من أمر الذئب. ومما يروى من حيل الثعلب ما ذكره الشافعي قال: كنا في سفر في أرض اليمن، فوضعنا سفرتنا لنتعشى، وحضرت صلاة المغرب، فقمنا نصلي ثم نتعشى، فتركنا السفرة كما هي، وقمنا إلى الصلاة، وكان فيها دجاجتان،

---

(١) هو نوح بن منصور بن نوح بن نصر الساماني، أمير ما وراء النهر مات في بخارى سنة ٣٨٧ هـ.
(٢) الأذكياء: ٢٤٢.

فجاء الثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين فلما قضينا الصلاة، أسفنا عليها، وقلنا حرمنا طعامنا فبينما نحن كذلك، إذ جاء الثعلب وفي فمه شيء كأنه الدجاجة فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه ونحن نحسبه الدجاجة. قد ردها، فلما قمنا جاء إلى الأخرى وأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه فإذا هو ليف قد هيأه مثل الدجاجة. ومما وقع من فطنة البهائم مما يقارب هذا ما يحكى عن القاسم بن أبي طالب التنوخي الأنباري قال: كنت ماضياً إلى انبار في رفقة فيها بازدارية السلطان قد خرجوا يروضونها فأطلقوا بازياً على دراج، فطار الدراج إلى غيضة فدخل فيها، وألقى نفسه بين شوك كان فيها، فأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين في رجليه، ونام على قفاه ورفع رجليه، فاستتر بذلك من الباز، فلما قرب منه البازداري طار فصاده البازي. فقالوا: ما رأينا قط دراجاً أحذق من هذا! وقد أورد هذه الحكاية القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي أيضاً في كتاب أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة بألفاظ مخالفة لما سيق هنا فقال وحدثني أبو القاسم بن أبي طالب التنوخي الأنباري قال: كنت ماضياً إلى الأنبار مع رفقة بازدارية للسلطان، فأطلقوا بازياً على دراج لاح لهم، فطار الدراج ولحقه الباز فأخذوا يهللون ويكبرون ويعجبون، فلحقتهم وسألتهم فإذا بالدراج قد دخل غيضة فألقى نفسه بين شوك كان فيها، وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين بين رجليه، ونام على قفاه وشال رجليه وفيهما الشوك، ليختفي به عن الباز، والباز قد طلبه طويلاً فلم يره، وقد خفي عليه أمره بذلك الشوك الذي شاله في رجليه حتى ستربه نفسه، إلى أن جاء البازدارية فرأوا الدراج فقصدوه، وقربوا منه فطار، وأحس به الباز فاصطاده، فسمعتهم يقولون: ما رأينا قط دراجاً أمكر من هذا، ولا أحذق منه بالتوقي ولا سمعنا بمثل هذا وأسرفوا في التعجب منه. وهذه أخبار تقارب ما تقدم في فطنة الطير وذكائه وقال القاضي أبو علي التنوخي حدثني أبو الفتح البصروي قال: حدثني بعض أهل الموصل ممن كان مغرى بالصيد، وطلب الجوارح، أن صياداً من أهل أرمينية وتلك النواحي حدثه قال: خرجت إلى الصحراء يوماً، فنصبت شبكتي وجعلت فيها طائراً مستأنساً، ودخلت في كوخ تحت الأرض يسترني، وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى إذا وقع فيها شيء من البزاة أو الصقورة أو الشواهين أو غير ذلك من الجوارح، أخذته فلما كان قريباً من الظهر، وإذا بزمجة لطيفة قد طارت على الشبكة، فلما رأتها نفرت وترجلت قريباً منها، فجلست على الأرض ساعة، فإذا بعقاب جائر فلما رآها ترجل معها وجلسا جميعاً، وإذا بطائر يطير في الجو فنهضت الزمجة قبل العقاب وطارت خلف الطائر، فلم تزايله إلى أن صادته وجاءت به فنسرته وصار لحماً، وأقبلت تأكل فجاء العقاب وأكل معها، فلما فني اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها، فزاف ثانية فضربته أشد من الأولى، فزاف الثالثة فضربته أشد من ذلك، ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته وطارت، فتعجبت من نفورها من الشبكة وقلت هي كرزة ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة، ومما سوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته. ثم إنها منعت العقاب من سفادها وأنها أطعمته من صيدها ثم لم ترض بذلك حتى قتلته لما ألح عليها، وطمعت في أن أصيدها لأصيد بها ما لا قيمة له فبت ليلتي في ذلك الكوخ، فلما كان من الغد فإذا هي قد ترجلت قريباً من الشبكة في مثل ذلك الوقت فنزل إليها عقاب فجلس معها وعن لهما صيد فجرت صورتها مع العقاب الثاني كما جرت مع العقاب الأول سواء بلا اختلاف البتة. وطارت فزاد تعجبي وحرصي عليها. وبت ليلتي الثانية في

الكوخ، فلما كان في اليوم الثالث فإذا بها قد ترجلت على الصورة والرسم وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف وحشي الريش، قد ترجل فما مضت ساعة حتى عن لهما صيد، فهمت الزمجة بالنهوض فضربها العقاب بجناحه ضربة كاد يقتلها ونهض مسرعاً إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء بـه فنسره وطرحه بين يديها، ولم يذق منه شيئاً حتى أكلت الزمجة واستوفت، ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقي وفني. فزاف عليها فزافت له، ولم تمنعه فزاف الثانية فركبها فمكنته حتى سفدها ثم طارا معاً.

وحكى: القاضي أبو علي التنوخي أيضاً قال: حدثني فارس بن مشغف أحد الجند القدماء المولدين وقد صار بوّاباً لأبي محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال: كنت أصحب قائداً من قواد السلطان يعرف بأبي إسحاق بن أبي مسعود الأزدي، وكانت إليه إمارة المدائن اسبانين والمدينة العتيقة، وكانت إذ ذاك عامرة آهلة والسلاطين ينزلون بها، وكنت مقيماً فيها معه، وكان لهجاً بالصيد، فخرج ذات يوم وأنا معه، إلى المدينة المعروفة بالرومية، المقابلة للمدينة العتيقة، وهي إذ ذاك خراب، ومعه صقارته وآلة صيده وجنده حتى مل وسلك الطريق راجعاً، وكان معه صقر له فاره وقد شبع مما أطعمه من صيده، فمسح الصقار صدره وحمله على يده وهو يسير إذ اضطرب الصقر اضطراباً شديداً فقال له ابن أبي مسعود: قد شاهد الصقر طريدة، وهذا الاضطراب لأجلها فأرسله، فقال: يا سيدي هو صقر شره واضطرابـه ليس لهذا، وقد شبع ولا آمن أن أرسله على طريدة وهو شبعان فيتيه. فزاد اضطراب الصقر فقال: أرسله وليس عليك منه شيء فأرسله فطار وتراكضنا خلفه حتى جاء إلى أجمة صغيرة تستره، ونحن نراه فرفرف عليها وإذا بشيء قد صعد منها مثل النشاب في مقـدار زج النشابة فقط فحاص عنه الصقر ثم انحط في الأجمة فدخلنا خلفه فإذا هو قد ترجل على حبارى واصطادها، وإذا هو طلع على يد الصقار. ومن عادة الحبارى أن تذرق على الجارح الذي يصيدها لتجرح جناحه وتعقره بذرقها لحماه وحدته وينسلخ جلده والصقر عارف بذلك، فاحتال عليها الصقر فرفرف عليها كأنه يريد صيدها، فذرقت الحبارى إلى فوق حتى صعدت، ذرقتها فلما أخطأت الصقر انحط عليها في الحال فاصطادها، وكان الصقارون، ومن حضر من الجند والمتصيدين المدنيين يعجبون من ذلك، ويعدونه من غرائب ما شاهدوه من أفعال الجوارح. وذكر القاضي التنوخي عن فارس هذا قال: كنت مع هارن بن غريب الحبال، من جملة عسكره ورجاله، ونحن قيام بين يدي حلوان، والجند سائرون وهو يتصيد في طريقه، إذ عن له غزال فأرسل عليه صقراً كان بحضرته، ولم يكن الكلابون بالقرب منه، فيرسلون معه كلباً لأن العادة أن الصقر لا يصيد غزالاً إلا إذا كان معه كلب، وذلك أن الصقر يطير فيقع على رأسه فيعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه، فيمنعه من شدة العدو فيلحقه الكلب فيصيده. هكذا جرت العادة في صيد الغزلان بالصقور، إلا أن ابن الحبال، لما لاح له الغزال، أطلق الصقر لئلا يفوته الغزال، وغرر به لحوق الكلاب في الحال، وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو، فتلحقه خيلنا ورماحنا فطار الصقر، وتراكضنا خلفه، وأنا ممن ركض، وجرى الغزال فوافى إلى منحدر في الصحراء، فانحدر فيه، فلما حصل منحدراً سقط الصقر على خده وعنقه، فأنشب مخلبيه فيهما وحمله الغزال. فرأينا الصقر قد سدل أحد مخلبيه حتى إنه يخط في الأرض، حتى إذا وصل إلى وضع من الصحراء فيه شوك فعلق بأصل شوك عظيم، ثم جذب

عنق الغزال بالمخلب الآخر الذي كان أمسكه به في خده وأصل عنقه. وإذا به قد دق عنقه وصرعه، فلحقناه وذكيناه ووقعت البشارة فقال ابن الحبال ومن معه: ما رأينا قط صقراً أفره من هذا وخلع على الصقار خلعة حسنة.

**وحكى**: القاضي أبو علي التنوخي، قال: أخبرني أبو القاسم البصري قال: أخبرني بعض الجمدارية من الجند أنه كان مع قائد من قوادهم في الصيد ومعه عقاب يتصيد به وقد اصطاد واستكفى، إذ اضطرب العقاب، على يد العقاب اضطراباً شديداً فخاف على نفسه، لأن العقاب ربما أتلف عقابه، إذا منعه من إرادته وليس يجري مجرى غيره من الجوارح فأرسله العقاب فطار، وطرد وراءه فإذا به قد سقط على شيخ ضعيف، كان يجر شوكاً، وهو يمشي على أربعة فنسره ودق عنقه وأتلفه، وولغ في دمه وأكل من لحمه. وإذا بالعقاب قد جاء إلى القائد فقال له: ما الخبر؟ فقال له: يا سيدي اصطاد العقاب شيخاً وحشياً برياً، وكان يسمعنا نقول اصطد لنا وحشياً وسنوراً برياً فقد رأن شيخاً برياً وحشياً مثله، ولم يفكر أن العقاب أتلف رجلاً مسلماً. فقال القائد: ويحك ما تقول؟ وحرك فحركنا وراءه فوجدنا الشيخ فاغتم لذلك غماً شديداً وعجبنا من أمر العقاب.

**وحكى**: القاضي التنوخي في كتابه أيضاً، قال: حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان ابن فهد قال: حدثني بعض المتصيدين. وقد تجارينا عجائب ما يجري فيه، فقال: من أحسن وأظرف ما رأينا منه أن بازياً كان لفلان، وسماه أرسله فاصطاد دراجاً، وقبض عليه بإحدى يديه، وترجل كما جرت به العادة وأمسكه ينتظر البازداري فيذبحه ويطعمه منه، كما جرت العادة في مثل ذلك. وهو على جانبه إذ أبصر دراجاً آخر يطير، فطار والدراج الأول في إحدى يديه حتى قبض على الدراج الآخر فاصطاده وترجل، وقد أمسكهما بيديه جميعاً، فاجتمعنا وشاهدناه على هذه الحالة، فاستظرفناه ثم أخذناهما من يديه. وذكر[1] ابن الجوزي في آخر كتاب الأذكياء، والحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء، عن الشعبي، أنه قال: مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب، فنم عليه الذئب، فقال الأسد: إذا حضر فأعلمني. فلما حضر أعلمه فعاتبه في ذلك فقال: كنت في طلب الدواء لك. قال: فأي شيء أصبت؟ قال: خرزة في ساق الذئب ينبغي أن تخرج! فضرب الأسد بمخالبه في ساق الذئب، وانسل الثعلب. فمر به الذئب بعد ذلك، ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك. قال الحافظ أبو نعيم: لم يقصد الشعبي من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلاء وتنبيه الناس، وتأكيد الوصية في حفظ اللسان، وتهذيب الأخلاق والتأدب بكل طريق. وفي مثل ذلك قيل:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلي ... إن البلاء موكل بالمنطق

وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أنه[2] قال: «نهانا رسول الله ﷺ في الصلاة عن ثلاثة نقرة كنقرة الديك، وإقعاء كإقعاء الكلب، والتفات كالتفات الثعلب». وقيل للشعبي: يقال: في المثل إن «شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل»: فما هذا؟ فقال: خرج شريح أيام

---

(١) كتاب الأذكياء: ٢٤١.

(٢) رواه أحمد: ٢/٣١١.

الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب، فيقف تجاهه ويحاكيه، ويخيل بين يديه، ويشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة، وأخرج كميه وجعل قلنسوته عليها. فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه وأخذه بغتة فلذلك يقال: «سريح أدهى من الثعلب وأحيل». ويقال: ضغا الثعلب والسنو يضغو ضغواً وضغاء، أي صاح وكذلك صوت كل ذليل مقهور. ويقال للإمام العلامة أبي منصور عبد الملك[1] بن محمد النيسابوري، رأس المؤلفين، وإمام المصنفين صاحب التصانيف الفائقة، والآداب الرائقة، كثمار القلوب، وفقه اللغة، ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وغير ذلك من التصانيف، الثعالبي منسوب إلى خياطة جلود الثعالب لأنه كان فراء، ويتيمة الدهر أكبر كتبه وأحسنها، وفيها يقول أبو الفتح نصر الله بن قلاقس الإسكندراني[2]:

أبيات أشعار اليتيمة ... أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سميت اليتيمة

ومن شعر أبي منصور الثعالبي:

ياسيدا بالمكرمات ارتدى ... وانتعل العيوق والفرقدا
مالك لا تجري على مقتضى ... مودة طال عليها المدى
إن غبت لم أطلب وهذا سليمـ ... ـان بن داود نبي الهدى
تفقد الطير على شغله ... فقال ما لي لا أرى الهدهدا

وله في غلام مسافر:

فديت مسافراً ركب الفيافي ... فأثر في محاسنه السفارُ
فمسك ورد خديه السواقي ... وغبر مسك صدغيه الغبار

توفي سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاثين وأربعمائة.

**الحكم**: نص إمامنا الشافعي رحمه الله، على حل أكله. وقال ابن الصلاح: ليس في حله حديث عن رسول الله ﷺ وفي تحريمه حديثان في إسنادهما ضعف واعتمد الشافعي في ذلك على عادة العرب في أكله فيندرج في عموم قوله[3] تعالى: ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾ وبحله قال طاوس وعطاء وغيره ونقل في فوائد رحلته عن أبي سعيد الدارمي، الإمام في الحديث والفقه تلميذ البويطي رحمه الله أن الثعلب حرام. وكره أبو حنيفة ومالك أكله وأكثر الروايات عن أحمد تحريمه لأنه سبع.

**الأمثال**: قالوا[4] «أروغ من ثعلب»[5]. قال الشاعر:

---

(١) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، لغوي أديب عالم توفي سنة ٤٢٩ هـ. له تصانيف كثيرة.

(٢) نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي، أبو الفتوح المعروف بابن قلاقس الاسكندري شاعر كاتب. مات سنة ٥٦٧ هـ.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤ (٤) جمهرة الأمثال: ١/٤٠٦. (٥) البيتان لطرفة عيون الأخبار: ٢/٥.

كـل خـلـيـل كـنـت خـالـلـتـه لا تـرك الله لـه واضـحـه
كـلهـم أروغ مـن ثـعـلـب مـا أشـبـه الـلـيـلـة بـالـبـارحـة

وفي المجالسة للدينوري، أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قال: وهو على المنبر: إن الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا ولم يروغوا روغان الثعالب. وفي رواية الثعلب وفي شعب البيهقي وأمثال العسكري عن الحسن بن سمرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يفر من الموت كالثعلب تطلبه الأرض بدين فجعل يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل حجره فقالت له الأرض: يا ثعلب ديني ديني، فخرج فلم يزل كذلك حتى انقطعت عنقه فمات». وقالوا: «أذل ممن بالت عليه الثعالب». يضرب لمن يستذل كما تقدم. «وأدهى من ثعلب». «وأعطش من ثعالة[1]. قال حميد بن ثور[2]:

ألم تـر مـا بيني وبـين ابن عـامـر من الـود قـد بـالت عليه الثعـالب
وأصبـح صـافي الـود بيني وبينـه كـأن لم يكن والـدهـر فيـه عجـائب

الخواص: رأسه إذا ترك في برج حمام هربت كلها. ونابه يشد على الصبي الذي به ريح الصبيان يذهب عنه، ولا يفزع في نومه، وتحسن أخلاقه. ومرارته إذا نفخت في أنف المصروع لا يصرع أبداً. ولحمه ينفع من اللقوة والجذام. وشحمه يذاب ويطلى به من به النقرس يزول وجعه في الحال. وخصيته تشد على الصبي فتنبت أسنانه بغير ألم. وفروه أنفع شيء للمرطوبين بخوراً ولبساً. ودمه إذا طلي به رأس صبي نبت شعره، وإن كان أقرع. وإذا استصحب دمه إنسان، لا تؤثر فيه حيلة محتال. ورئته إذا سحقت وشربت، نفعت من الربح. وأنيابه إذا علقت على المصروع برىء. وطحاله له إذا شد على ذي الطحال الوجع أبرأه. وقال هرمس: من أمسك كليتي الثعلب بيده لم يخف الكلاب ولم تنبح عليه. وأذنه إذا علقت على الخنازير، التي في العنق أبرأتها. وشحمه إذا أذيب وقطر في الأذن الوجعة سكن وجعها. وذكره ينفع من الصداع إذا علق على الرأس. ومرارته إذا طلي بها الذهب يصير لونه لون النحاس. وخصيته تنفع من الورم الكائن عند الأذنين إذا دلك بها. وكبده إذا سقي منه وزن مثقال بشراب، من به وجع الطحال، أبرأه من ساعته. وشحمه إذا طلي به أطراف اليدين والرجلين أمنت مضرة البرد ودماغه إذا خلط بورس وطلي به الرأس أذهب القرع والحزاز والبثور وسقوط الشعر. وقضيبه إذا علق على الصبي الذي يبكي بالليل ويفزع يذهب ذلك عنه. وكذلك يفعل الناب. وشحمه تجتمع عليه البراغيث حيث كان. وخصيته إذا جففت، وسقي منها رجل وزن درهم زاد في الجماع والإنعاظ. وزبله يسحق بدهن ورد ويطلى به الإحليل وقت الجماع يزيد فيه ما شاء. وفي كتاب الإبدال: إن طلبت شحم الثعلب فلم تجده فبدله شحم الذئب.

التعبير: الثعلب في المنام امرأة فمن رأى أنه يلاعب ثعلباً فإن له امرأة يحبها وتحبه. وقيل الثعلب رجل ذو مكر وخديعة، فمن نازعه فإنه ينازع غريماً كذلك وأكل لحمه يدل على وجع

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٦١.
(٢) هو حُميد بن ثور بن حزن الهلالي شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم توفي سنة ٣٠ هـ.

يصيب الآكل من الرياح ويبرأ وقيل إنه عدو من قبل سلطان وقالت اليهود إنه يدل على الطبيب أو المنجم. وقالت النصارى: من قبل ثعلباً فإنه يصيب امرأة غزيرة. وقيل: من قتل ثعلباً قتل ولد رجل شريف، ومن شرب لبن ثعلب شفي من مرض. وقيل: من نازع ثعلباً في نومه، خاصم بعض أهله أو أصدقائه. والله تعالى أعلم.

**الثفا**: بالثاء المثلثة وبالفاء والألف في آخره: السنور البري وهو قريب من الثعلب على شكل السنور الأهلي وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى.

**الثقلان**: الإنس والجن، سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض وقيل: لشرفهما، وكل شريف يقال له ثقيل وقيل لأنهما مثقلان بالذنوب.

**الثلج**: فرخ العقاب قاله ابن سيده.

**الثني**: الذي يلقي ثنيته ويكون ذلك في ذوات الظلف والحافر في السنة الثالثة وفي ذي الخف في السنة السادسة والجمع ثنيان وثنايا والأنثى ثنية والجمع ثنيات.

**الثور**: الذكر من البقر. وكنيته أبو عجل. والأنثى ثورة والجمع ثورة وثيران وثيرة. قال سيبويه: قلبوا الواو ياء حيث كانت بعد كسرة، قال: وليس هذا بمطرد. وقال المبرد: إنما قلبوا ثيرة ليفرقوا بينه وبين ثورة الإقط وبنوه على فعلة ثم حركوه. وسمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض، كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها، قال في الإحياء: نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في قرن فوقف أحدهما يحك جسمه، فوقف له الآخر فبكى أبو الدرداء رضي الله عنه. وقال: هكذا الإخوان في الله عزّ وجلّ يعملان لله تعالى، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر، وبالموافقة يتم الإخلاص. ومن لم يكن مخلصاً في إخائه فهو منافق. والإخلاص استواء الغيب والشهادة والقلب واللسان.

فائدة: قال وهب بن منبه: كانت الأرض كالسفينة تذهب وتجيء، فخلق الله تعالى ملكاً في غاية العظم والقوة، وأمره أن يدخل تحتها، ويجعلها على منكبيه ففعل، وأخرج يداً من المشرق ويداً من المغرب، وقبض على أطراف الأرض وأمسكها. ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقبة يخرج من كل ثقبة بحر لا يعلم عظمه إلا الله عزّ وجلّ. ثم أمر الصخرة فدخلت تحت قدمي الملك، ثم لم يكن للصخرة قرار، فخلق الله عزّ وجلّ ثوراً عظيماً له أربعة آلاف عين، ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم، ما بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام. وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرنه. واسم هذا الثور كيوثا، ثم لم يكن للثور قرار. فخلق الله تعالى حوتاً عظيماً لا يقدر أحد أن ينظر إليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما، حتى إنه لو وضعت البحار كلها في إحدى مناخره لكانت كخردلة في فلاة، فأمر الله تعالى ذلك الحوت أن يكون قراراً لقوائم هذا الثور، واسم هذا الحوت يهموت. ثم جعل قراره الماء، وتحت الماء هواء، وتحت الهواء ماء، وتحت

الماء ظلمات. ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمات. هكذا نقله القاضي شهاب الدين بن فضل، في كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأبصار في الجزء الثالث والعشرين منه.

**فائدة أخرى**: روى مسلم في كتاب الظهار والنسائي في عشرة النساء، عن ثوبان: «إن أهل الجنة، حين يدخلونها، ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، ويأكلون من زيادة كبد الحوت[1]» وروى هناد بن السري وابن إسحاق بإسناد حسن: «إن الشهداء حين يدخلون الجنة يخرج عليهم حوت وثور من الجنة لغدائهم فيلعبان حتى إذا كثر عجبهم منهما طعن الثور الحوت بقرنه فبقره لهم كما يذبحون، ثم يروحان عليهم أيضاً لعشائهم فيلعبان فيضرب الحوت الثور بذنبه فيبقره كما يذبحون». قال السهيلي: وفي هذا الحديث من باب التفكر والاعتبار، أن الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض وهو حيوان سابح استشعر أهل هذه الدار أنهم في منزل قلعة وبوار، وليست بدار قرار. فإذا نحر لهم قبل أن يدخلوا الجنة فأكلوا من كبده كان في ذلك أشعار لهم بالراحة من دار الزوال وإنهم قد صاروا إلى دار القرار كما يذبح لهم الكبش الأملح على الصراط، ليعلموا أنه لا موت ولا فناء. وأما الثور فهو آلة الحرث وأهل الدنيا لا يخلون من أحد هذين الحرثين: حرث لدنياهم وحرث لأخراهم. ففي نحر الثور هنالك إشعار براحتهم من الكدين وترفيههم من نصب الحرثين.

**فائدة أخرى**: روى[2] البخاري في بدء الخلق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة».

انفرد به البخاري وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق فقال: حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري، في هذا المسجد، مسجد الكوفة، وجاء الحسن فجلس إليه فحدث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة». فقال الحسن: وما ذنبهما؟ فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول وما ذنبهما؟! ثم قال البزار: ولا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث. وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي من طريق درست بن زياد، عن يزيد الرقاشي، وهما ضعيفان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الشمس والقمر ثوران عقيران في النار». وقال كعب الأحبار:[3]: يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم ليراهما من عبدهما. كما قال[4] تعالى: ﴿**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم**﴾ الآية. وخرج أبو داود الطيالسي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار». وفي نهاية الغريب، قيل لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله[5] تعالى: ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى على بجعلهما في

---

(1) رواه مسلم في الحيض: ٣٤.
(2) رواه البخاري في بدء الخلاق: ٤ ـ ٤٥.
(3) كعب الأحبار، هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، تابعي، أسلم زمن أبي بكر، مات سنة ٣٢ هـ.
(4) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.
(5) سورة يس: الآية ٤٠.

النار يهذب بهما أهلها بحيث لا يبرحان بها صار كأنهما ثوران عقيران لا يبرحان. كذلك ذكر ذلك أبو موسى وهو كما تراه. وقيل: إنما يجمعان في جهنم لأنهما عبدا من دون الله عزّ وجلّ ولا يكون لهما عذاب لأنهما جماد وإنما يفعل ذلك بهما زيادة على تبكيت الكافرين وخزيهم. وردّ ابن عباس قول كعب الأحبار، وقال: الله أجلّ وأكرم من أن يعذب الشمس والقمر، وإنما يخلقهما يوم القيامة أسودين مكوّرين، فإذا كانا حيال العرش خرّا ساجدين لله تعالى، ويقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا لك وسرعتنا في المضي في أمرك أيام الدنيا، فلا تعذبنا في عبادة الكافرين إيانا. فيقول الرب تعالى: صدقتما إني قضيت على نفسي أن أبدىء وأعيد وأني أعيدكما إلى ما بدأتكما منه، وإني خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه فيختلطان بنور العرش. فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إنّه هو يبدىء ويعيد﴾[1]. وروى أبو نعيم في ترجمة سعيد بن جبير أنه قال: أهبط الله تعالى إلى آدم ثوراً أحمر، فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾[2] فكان ذلك شقاءه وكان عليه السلام يقول لحواء: أنت عملت بي هذا فليس أحد من ولد آدم يعمل على ثور إلاّ قال: حو دخلت عليه من قبل آدم. وكانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشرب إما لكدر الماء، أو لقلة العطش، ضربوا الثور فيقتحم الماء لأن البقرة تتبعه. وقال في ذلك أنس بن مدركة[3] في قتله سليك ابن سلكة[4]:

إني وقتلي سليكاً ثم أعقله ... كالثور يضرب لما عافت البقر[5]

**الأمثال**: قالوا[6]: «الثور يحمي أنفه بروقه» والروق القرن. يضرب في الحث على حفظ الحريم. وفي سنن النسائي وسيرة ابن هشام، أما الصديق رضي الله تعالى عنه، لما قدم المدينة مع رسول الله ﷺ، أخذته الحمى وعامر بن فهيرة وبلالاً قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فدخلت عليهم، وهم في بيت واحد، فقلت: كيف أصبحت يا أبت؟ فقال:

كل امرىءٍ مصبحٍ في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

فقلت إنّا لله وإنا إليه راجعون إن أبي ليهذي ثم قلت لعامر كيف تجدك؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ... والمرء يأتي حتفه من فوقه
كل امرىءٍ مجاهدٍ بطوقه ... كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت: والله هذا ما يدري ما يقول. ثم قلت لبلال: كيف أصبحت؟ فقال:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً ... بفخ وحولي أذخرٌ وجليل

---

(١) سورة البروج: الآية ١٣. (٢) سورة طه: الآية ١١٧.
(٣) ذكر صاحب الشعر والشعراء أن قاتل السليك هو أنس بن مدرك الخثعمي.
(٤) والسُّليك هو ابن عمير بن يتربي بن سنان، والسُّلكة أمه، شاعر أسود صعلوك من صعاليك الجاهلية قُتل في نحو ١٧ ق. هـ.
(٥) البيت في ترجمة السليك. الشعر والشعراء: ٢٣٢.
(٦) مجمع الأمثال: ١/١٥٣.

وهـل أردن يـومـاً مـيـاه مجـنـة          وهـل يبـدون لي شـامـة وطَفيـل

قالت: ثم إني دخلت على رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «اللهم حبّب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، اللهم انقل حماها إلى مهيعة»[1] قول عامر: بطوقه الطوق الطاقة. وقول بلال بفخ هو واد بمكة، ومجنة سوق بأسفل مكة وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة. وقوله ﷺ مهيعة الجحفة وقالت العرب: «أرعى من ثور». وقالوا: «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض»[2]. روي عن علي رضي الله تعالى عنه، أنه قال: إنما مثلي ومثل عثمان، كمثل ثلاثة أثوار كانت في أجمة: أبيض وأسود وأحمر، ومعها فيها أسد فكان لا يقدر منها على شيء لاجتماعها عليه، فقال الأسد للثور الأسود وللثور الأحمر إنه لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإن لونه مشهور ولوني على لونكما فلو تركتماني آكله خلت لكما الأجمة وصفت! فقالا: دونك وإياه فكله. فأكله ومضت مدة على ذلك، ثم إن الأسد قال للثور الأحمر: لوني على لونك فدعني آكل الثور الأسود! فقال له: شأنك به. فأكله. ثم بعد أيام قال للثور الأحمر: إني آكلك لا محال فقال: دعني أنادي ثلاثة أصوات، فقال: إفعل فنادى: «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض». قالها ثلاثاً، ثم قال علي كرّم الله وجهه: إنما هنت يوم قتل عثمان رضي الله عنه يرفع بها صوته.

ومن خواصه: إنه إذا نزل الثور على البقرة، ثم بال بعد نزوله فمن أخذ من ذلك الطين، وطلى به إحليله هيج الباه وانعظ. ومثانته إذا أخذت وجففت وسحقت وسقيت لمن يبول في فراشه بخل وماء بارد نفعه وأبرأه. وإذا وقف الثور عن السير فاربط خصيتيه فإنه يسير بنشاط وينساق سريعاً. وإذا طرح في أذن الثور زئبق مات مكانه. وإن طلي منخره بدهن ورد صرع. وإن كتب ببوله على الحديد أثر فيه حتى يقرأ. وقد تقدم له خواص في باب الباء الموحدة في البقرة.

وأما تعبيره: فإنه يدل على سيد شديد البأس، كثير النفع والعون، موافق مطواع، وربما دل على الشباب الجميل لأنه من أسمائه. وتدل رؤيته أيضاً على ثوران الفتنة، أو العون على ما يذلل الأمور الصعاب، خصوصاً لأرباب الحرف والزراعة والإنشاء. وربما دلت رؤيته على البلادة والذهول. ورؤية الثور الأبلق فرح وسرور والأسود سؤدد أو شفاء للمريض وربما دل الثور على الجنون لأنه من أسمائه.

الثول: بفتح الثاء وسكون الواو ذكر النحل وقيل جماعة النحل وعلى هذا قال الأصمعي: لا واحد له من لفظه. والثول بالتحريك جنون يصيب الشاة فلا تتبع الغنم وتستدبر مرتعها وشاة ثولاء وتيس أثول.

الثيتل: الذكر المسن من الأوعال. وفي حديث النخعي: «في الثيتل بقرة». يعني إذا صاده المحرم أو في الحرم.

---

(١) الخبر والأبيات في العقد الفريد: ٥/٢٨٨ والحديث أيضاً.

(٢) مجمع الأمثال: ١/٢٥.

# باب الجيم

**الجأب**: الأسد والحمار الوحشي الغليظ والجمع جؤب.

**الجارف**: ولد الحية.

**الجارحة**: ما تعلم الاصطياد من كلب أو فهد أو باز أو نحو ذلك. والجمع الجوارح. قال الله تعالى: ﴿**وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله**﴾[1] سمي جارحة لأنه يكسب لصاحبه والجوارح الكواسب قال تعالى: ﴿**ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم**﴾[2].

**الجاموس**: واحد الجواميس، فارسي معرب، وهو حيوان عنده شجاعة وشدة بأس، وهو مع ذلك أجزع خلق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء والأسد يخافه وهو مع شدته وغلظه ذكي ينادي راعيه الإناث: يا فلانة يا فلانة فتأتي إليه المناداة ومن طبعه كثرة الحنين إلى وطنه ويقال: إنه لا ينام أصلاً لكثرة حراسته لنفسه وأولاده. وإذا اجتمع ضرب دائرة وتجعل رؤوسها خارج الدائرة وأذنابها إلى داخلها، والرعاة وأولادها من داخل، فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصيها، والذكر منها يناطح ذكر آخر، فإذا غلب أحدهما، دخل أجمة فيقيم فيها حتى يعلم أنه قوي، فيخرج ويطلب ذلك الفحل الذي غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده. وهو ينغمس في الماء غالباً إلى خرطومه.

**حكمه وخواصه**: كالبقر، لكن إذا بخر البيت بجلد الجاموس طرد منه البق وأكل لحمه يورث القمل وشحمه إذا خلط بملح أندراني وطلي به الكلف والجرب والبرص أزالها وأبرأها. وقال ابن زهر، نقلاً عن ارسطاطاليس: في دماغ الجاموس دود من أخذ منه شيئاً وعلقه عليه أو على غيره لم ينم مادام عليه.

**التعبير**: الجاموس في المنام رجل شجاع جلد لا يخاف أحداً يحتمل أذى الناس فوق طاقته، فإن رأت امرأة أن لها قرن جاموس، فإنها تتزوج ملكاً وإلا كان ذلك قوة ومنعة لقيمها والله أعلم.

**الجان**: حية بيضاء، وقيل: الحية الصغيرة قال الله تعالى: ﴿**فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً**﴾[3] وقال تعالى في آية أخرى: ﴿**وما تلك بيمينك يا موسى**﴾ إلى قوله: ﴿**فإذا هي حية تسعى**﴾[4] وقال تعالى: ﴿**فإذا هي ثعبان مبين**﴾ . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: صارت حية صفراء، لها عرف كعرف الفرس، وصارت تتورم حتى صارت ثعباناً، وهو أعظم ما يكون من الحيات. قال تعالى: ﴿**فإذا هي ثعبان مبين**﴾[5]. فلما ألقى موسى العصا، صارت جاناً في الابتداء، ثم صارت ثعباناً في الانتهاء. ويقال: وصف الله تعالى العصا بثلاثة أوصاف: بالحية والجان والثعبان، لأنها كانت كالحية لعدوها، وكالثعبان لابتلاعها، وكالجان لتحركها. قال فرقد السنجي: كان بين لحييها أربعون ذراعاً. قال ابن عباس والسدي: إنه لما ألقى العصا، صارت

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤:

(٢) سورة الأنعام: الآية ٦٠.

(٣) سورة النحل: الآية ١٠.

(٤) سورة طه: الآية ١٧ ـ ٢٠.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٠٧.

حية عظيمة صفراء شقراء فاغرة فاها، بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه. وروي أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها، فوثب فرعون من سريره هارباً، وأخذته قبل أخذه البطن في ذلك اليوم أربعمائة مرة، وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا، ومات منهم خمسة وعشرون ألفاً، قتل بعضهم بعضاً. ويقال: كانت العصا حية لموسى، وثعباناً لفرعون، وجاناً للسحرة. وأما قوله: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾(1) فكان يحمل عليها زاده وسقاءه وكانت تماشيه وتحادثه، وكان يضرب بها الأرض فيخرج منها ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وكان يرد بها غنمه، وكانت تقيه الهوام بإذن الله تعالى، وإذا ظهر له عدو حاربته وناضلت عنه، وإذا أراد الاستقاء من البئر، صارت شعبتاها كالدلو يستقي به. وكان يظهر على شعبتيها نور كالشمعتين تضيء له ويهتدي بها، وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها في الأرض فتغصن أغصان تلك الشجرة، وتورق ورقها وتثمر ثمرها. قاله ابن عباس. والله أعلم، وقد تقدم في باب التاء المثناة أن العصا كانت من آس الجنة أهبطت مع آدم إلى الأرض.

**الجبهة**: الخيل وهو المراد بقوله ﷺ في حديث(2) الزكاة: «ليس في الجبهة ولا في النخة ولا في الكسعة صدقة». وقيل للخيل ذلك لأنها خيار البهائم كما يقال. وجه السلعة لخيارها، ووجه القوم وجبهتهم سيدهم. والنخة البقر العوامل، مأخوذ من النخ، وهو السوق الشديد، والكسعة الحمير، مأخوذ من الكسع وهو ضرب الادبار. قاله الزمخشري وغيره والله تعالى أعلم.

**الجثلة**: النملة السوداء وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب النون في لفظ النملة ما فيه.

**الجحل**: بتقديم الجيم على الحاء الحبارى. وستأتي إن شاء الله تعالى وقيل: هو الحرباء، وقيل: هو الجعل، وقيل هو الضب الكبير المسن. وقيل: هو اليعسوب العظيم كالجراد إذا سقط لا يضم جناحه. والجمع جحول وجحلان.

**الجحمرش**: الأرنب المرضع والعجوز الكبيرة، والمرأة الثقيلة السمجة. والجمع جحامر والتصغير جحيمر.

**الجحش**: ولد الحمار الوحشي والأهلي قيل: وإنما يسمى بذلك قبل أن يعظم، والجمع جحاش وجحشان. والأنثى جحشة. وربما سمي المهر جحشاً تشبيهاً بولد الحمار، والجحش ولد الظبية في لغة هذيل. ويقال للرجل، إذا كان مستبداً برأيه: «جحيش وحده»(3)، كما قالوا: «عيير وحده»(3) يشبهونه في ذلك بالجحش والعير، وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان عمر أجودنا «نسيج وحده»(3) وقد أعد للأمور أقرانها. وروى الدارقطني أن زينب بنت جحش أم المؤمنين،

---

(1) سورة طه: الآية ١٨.

(2) رواه مسلم في الزكاة: ٩. وأبو داود في الزكاة: ١١ والنسائي في الزكاة: ١٦، ١٧. وابن ماجه في الزكاة: ١٥. والدارمي في الزكاة: ١٠.، والموطأ في الزكاة: ٣٧. وأحمد: ٢/٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٤.

(3) مجمع الأمثال: ٢/١٣.

رضي الله عنها، كان اسم أبيها برة، وقيل كان اسمه بُرة بالضم. وقال النبي ﷺ «لو كان أبوك مؤمناً لسميته باسم رجل منا أهل البيت، ولكني قد سميته جحشاً» والجحش أكبر من البرة.

الجخدب: بضم الجيم وبالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وجمعه جخادب. ضرب من الجنادب وهو الأخضر الطويل الرجلين وقيل: هو دويبة نحو من العظاءة ويقال له أبو جخادب.

الجدجد: بالضم صرار الليل، قاله الجوهري، وهو قفاز وفيه شبه بالجراد، والجمع الجداجد وقال الميداني: الجدجد ضرب من الخنافس، يصوت في الصحارى من أول الليل إلى الصبح فإذا طلبه طالب لم يره، ولذلك قالوا: «أكمن من جدجد»[1]. وفي حديث عطاء في الجدجد: يموت في الوضوء قال: لا بأس به. والوضوء بفتح الواو اسم للماء الذي يتوضأ به. وبالضم اسم للفعل. وسيأتي ذكر الجدجد في باب الصاد المهملة في الكلام على الصرار.

الجداية: بكسر الجيم وفتحها الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة، وخص بعضهم به الذكر منها. قال الأصمعي: الجداية بمنزلة العناق من الغنم. وفي سنن أبي داود الترمذي عن كلدة بن حنبل الغساني، وليس له في الكتب الستة سواه، قال: بعثني صفوان بن أمية إلى رسول الله ﷺ بلبن وجداية وضغابيس، والنبي ﷺ بأعلى مكة، فدخلت ولم أسلم فقال[2]: «ارجع وقل السلام عليكم». وذلك بعدما أسلم صفوان، الضغابيس صغار القثاء، والجداية الصغير من الظباء ذكراً كان أو أنثى.

الجدي: الذكر من أولاد المعز، وثلاثة أجد، فإذا كثرت فهي الجداء. روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «أن النبي ﷺ كان يصلي فذهب جدي يمرّ بين يديه فجعل يتقيه[3]» وروى الطبراني والبزار بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «كان جدي في غنم كثيرة ترضعه أمه فترويه، فانفلت يوماً فرضع الغنم كلها ثم لم يشبع فقيل: إن مثل هذا، مثل قوم يأتون من بعدكم فيعطى الرجل منهم ما يكفي القبيلة أو الأمة ثم لم يشبع[4]». وفي صفة الصفوة وغيرها عن مجاهد، قال كان عمر رضي الله عنه يقول: «لو مات جدي بطف الفرات لخشيت أن يطالب الله به عمر». الطف اسم موضع بناحية الكوفة، وأضيف إلى الفرات لقربه منه.

**الأمثال**: قالوا تغد بالجدي قبل أن يتعشى بك يضرب للأخذ بالحزم.

**الخواص**: لحم الجدي أقل حرارة ورطوبة من الخروف وأسرع المعز هضماً وأجوده الجدي

(١) مجمع الأمثال: ٢/١٧١.
(٢) رواه أبو داود في الأدب: ١٢٧، والترمذي في الاستئذان: ١٨ وأحمد: ٤/٤١٤.
(٣) رواه أبو داود في الصلاة: ١١٠. وابن ماجه في الإقامة: ٣٩، وابن حنبل: ١/٢٤٧، ٢٩١، ٣٠٨، ٣٤١، ٣٤٣.
(٤) رواه البخاري في الجهاد: ٣٧، وفي الوصايا ٩، والرفاق ٧، ١١، والزكاة: ٤٧ ـ ٥٠ ورواه مسلم في الزكاة: ٩٦، ٩٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣. الترمذي قيامه: ٢٩. النسائي زكاة: ٥٠ ـ ٨١ ـ ٩٣ ـ وابن ماجه فتن: ١٨، الدارمي زكاة: ٢٠.

الأحمر والأزرق ولحمه سريع الانهضام، لكنه يضر بأصحاب القولنج، والعسل يذهب مضرته وهو جيد الغذاء ويكره السمين من ذكورها وإناثها لعسر انهضامها، ورداءة غذائها. ولحوم المعز بالجملة نافعة لمن به الدماميل والبثور، ولحومها في الشتاء رديئة وفي الصيف جيدة وفي باقي الفصول متوسطة.

**التعبير**: الجدي في المنام ولد فمن رأى جدياً مذبوحاً فهو موت ولد. وأكل الجدي المشوي يدل على موت ولد ذكر، فإن أكل منه ذراعه نجا من الهلكة، وإن أكل منه الجنب اليسار، فإنه يدل على هم وحزن. والنصف مما يلي الرأس إلى السرة يعبر بالمرأة والبنات والنصف مما يلي السرة إلى الرجلين يعبر بالبنين. والذراع المشوي في المنام إذا كان ناضجاً فهو رزق من امرأة يمكر بها. وإذا كان غير ناضج فهو غيبة ونميمة ويأتي القول فيه في باب الخروف فإنه مثله.

**الأجدل**: الصقر صفة غالبة عليه، وأصله من الجدل الذي هو الشدة. وهي الأجادل كسروه تكسير الأسماء، لغلبة الصفة، ولذلك جعله سيبويه مما يكون صفة في بعض الكلام، واسماً في بعض اللغات. وقد يقال للأجدل أجدلي، ونظيره أعجم وأعجمي. وهو ممنوع من الصرف كأخيل عند قليل، والأكثر أنهما مصروفان.

**الأمثال**: قالوا(١): «بيض القطا يحضنه الأجدل» يضرب للشريف يأوي إليه الوضيع.

**الجذع**: بفتح الجيم والذال المعجمة، وهو من الضأن ما له سنة تامة، هذا هو الأصح عند أصحابنا، وهو الأشهر عند أهل اللغة وغيرهم وقيل: ما له ستة أشهر. وقيل: ما له سبعة وقيل ثمانية وقيل عشرة حكاه القاضي عياض. وهو غريب وقيل: إن كان متولداً بين شابين فستة أشهر، وإن كان بين هرمين، فثمانية أشهر. قال بعض أهل البادية: الأجذاع هو أن تكون الصوفة على الظهر قائمة. وإذا أجذع نامت، والجذع من المعز ما له سنتان على الأصح، وقيل سنة قال: الجوهري: الجذع قبل الثني، والجمع جذعان وجذاع، والأنثى جذعة والجمع جذعات. تقول لولد الشاة في السنة الثانية ولولد المعز والحافر في السنة الثالثة وللإبل في السنة الخامسة أجذع. والجذع اسم له في زمن وليس لسن تنبت ولا تسقط. روى زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر، وقد نفرا من المشركين فقالا: «يا غلام هل عندك من لبن تسقينا فقلت: إني مؤتمن ولست بساقيكما» فقال(٢) النبي ﷺ: «هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل». قلت: نعم قال: فائتني بها. قال: فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ﷺ، ومسح الضرع ودعا، فجعل الضرع يحفل، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها وشرب رسول الله ﷺ، وشرب أبو بكر ثم شربت. ثم قال ﷺ للضرع: «أقلص» فقلص أي اجتمع. قال: فأتيته بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول قال: إنك عليم معلم. قال: فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد. وفي حديث المبعث أن ورقة بن نوفل قال: يا ليتني فيها جذعاً. الضمير في فيها للنبوّة. أي ليتني كنت شاباً عند ظهورها، حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها وجذعاً منصوب على الحال من الضمير في فيها تقديره

(١) مجمع الأمثال: ١/١٠٩.
(٢) رواه أحمد: ١/٤٦٢.

ليتني مستقر فيها جذعاً أي شاباً وقيل: هو منصوب بإضمار كان وضعف ذلك لأن كان الناقصة لا تضمر إلا إذا كان في الكلام لفظ ظاهر يقتضيها كقولهم: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر أي إن كان خيراً فخير وروى الحافظ الدمياطي عن علي بن صالح، قال: كان ولد عبد المطلب عشرة، كل منهم يأكل جذعة. وروى أبو عمر بن عبد البر، في التمهيد، من طريق صحيح، أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن شجرة طوبى، فقال له: «هل أتيت الشأم؟ فإن فيها شجرة يقال لها الجوزة». ثم وصفها. ثم إن الأعرابي سأل عن عظم أصلها فقال له لو ركبت جذعة من ابل أهلك، ثم طفت بها أو قال درت بها، حتى تندق ترقوتها هرماً ما قطعتها»[1] وذكر السهيلي في التعريف والاعلام أن أصلها في قصر النبي ﷺ في الجنة، ثم تنقسم فروعها على منازل أهل الجنة كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا وهذه الشجرة من شجرة الجوز.

**الجراد**: معروف الواحدة جرادة الذكر والأنثى فيه سواء. يقال: هذا جرادة ذكر وهذه جرادة أنثى كنملة وحمامة. قال أهل اللغة: وهو مشتق من الجرد. قال: والاشتقاق في أسماء الأجناس قليل جداً. يقال ثوب جرد أي أملس. وثوب جرد إذا ذهب زئيره. وهو بري وبحري. والكلام الآن في البري. قال[2] الله تعالى: **﴿يخرجون من الأجداث، كأنهم جراد منتشر﴾** أي في كل مكان. وقيل: وجه التشبيه أنهم حيارى فزعون لا يهتدون ولا جهة لأحد منهم يقصدها. والجراد لا جهة له فيكون أبدا بعضه على بعض. وقد شبههم في آية أخرى بالفراش المبثوث. وفيهم من كل هذا شبه، وقيل: إنهم أولاً كالفراش حين يموج بعضهم في بعض ثم كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعي. والجرادة تكنى بأم عوف قال أبو عطاء السندي[3]:

وما صفراء تكنى أم عوف ... كأن رجيلتيها منجلان

والجراد أصناف مختلفة: فبعضه كبير الجثة، وبعضه صغيرُها، وبعضه أحمر وبعضه أصفر وبعضه أبيض. وكان مسلمة بن عبد الملك بن مروان يلقب بالجرادة الصفراء، وكان موصوفاً بالشجاعة والاقدام والرأي والدهاء. ولي أرمينية وأذربيجان غير مرة، وإمرة العراقين وسار في مائة وعشرين ألفاً وغزا القسطنطينية في خلافة سليمان أخيه. وروى عن عمر بن عبد العزيز، وهو مذكور في سنن أبي داود وكانت وفاته سنة احدى وعشرين ومائة.

**ومن الفوائد عنه** أنه لما حضر عمورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال أهل عمورية للمسلمين: ما بال أميركم لم يركب اليوم فقالوا: حصل له صداع، فأخرجوا لهم برنساً وقالوا ألبسوه إياه ليزول عنه ما يجد. فلبسه مسلمة فشفي، ففتقوه فلم يجدوا فيه شيئاً ثم فتقوا أزراره فإذا فيه بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾**[4] بسم الله الرحمن الرحيم **﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾**[5] بسم الله الرحمن الرحيم **﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً﴾**[6] بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) رواه أحمد: ٤/١٨٤.
(٢) سورة القمر: الآية ٧.
(٣) أبو عطاء السندي.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٨.
(٥) سورة الأنفال: الآية ٦٦.
(٦) سورة النساء: الآية ٢٨.

﴿حم عسق﴾[1] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾[2] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً﴾[3] بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾[4] فقال المسلمون: من أين لكم هذا وإنما أنزل على نبينا محمد ﷺ؟ قالوا: وجدناه منقوشاً في حجر في كنيسة قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام. قال الحافظ ابن عساكر: ويكتب للصداع أيضاً بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفياً قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾[5] ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل . ولو شاء لجعله ساكناً﴾[6] ﴿كهيعص﴾[7] حم ﴿عسق﴾[8] كم لله من نعمة على كل عبد شاكر وغير شاكر. وكم لله من نعمة في كل قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من نعمة في كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب أيها الصداع بعز عز الله وبنور وجه الله ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾[9] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. قال: يكتب ويجعل على الرأس فإنه نافع. قلت: وهو عجيب مجرب. قال: ومما جرب أيضاً للصداع أن تكتب هذه الأحرف الآتية على دف خشب وتدق فيه مسماراً على حرف بعد حرف إلى أن يكن الصداع، وتقرأ وأنت تدق ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾[10] ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾[11] وهي هذه الأحرف: ا ح ا ك ك ح ع ح ا م ح. وذكر لها خبراً اتفق لهارون الرشيد مع بعض ملوك الروم، وسيأتي إن شاء الله تعالى في السوس شيء يتعلق بهذا. والجراد إذا خرج من بيضه يقال له الدبى، فإذا طلعت أجنحته وكبرت فهو الغوغاء الواحدة غوغاة وذلك حين يموج بعضه في بعض، فإذا بدت فيه الألوان واصفرت الذكور واسودت الإناث سمي جراداً حينئذ وهو إذا أراد أن يبيض، التمس لبيضه المواضع الصلدة والصخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول، فيضربها بذنبه فتفرج له فيلقي بيضه في ذلك الصدع، فيكون له كالأفحوص ويكون حاضناً له ومربياً. وللجرادة ست أرجل: يدان في صدرها، وقائمتان في وسطها، ورجلان في مؤخرها، وطرفا رجليها منشاران. وهو من الحيوان الذي ينقاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر إذا ظعن أوله تتابع جميعه ظاعناً وإذا نزل أوله نزل جميعه. ولعابه سم ناقع للنبات، لا يقع على شيء إلا أهلكه. وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ، قال[12]: «بينما أيوب عليه الصلاة والسلام يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه الله تعالى: يا أيوب ألم أكن

---

(1) سورة الشورى: الآية ١ و٢.
(2) سورة البقرة: الآية ١٨٦.
(3) سورة الفرقان: الآية ٤٥.
(4) سورة الأنعام: الآية ١٣.
(5) سورة مريم: الآية ١ ــ ٤.
(6) سورة الفرقان: الآية ٤٥.
(7) سورة مريم: الآية ١.
(8) سورة الشورى: الآية ١ ــ ٢.
(9) سورة الأنعام: الآية ١٣.
(10) سورة الفرقان: الآية ٤٥.
(11) سورة الأنعام: الآية ١٣.
(12) رواه البخاري في الغسل: ٢٠ والتوحيد: ٣٥ والأنبياء: ٢٠، ورواه النسائي في الغسل: ٧. ورواه ابن حنبل: ٢/٢٤٣، ٣٠٤، ٣١٤، ٤٩٠، ٥١١.

أغنيك عما ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك» قال الشافعي: في هذا الحديث نعم المال الصالح مع العبد الصالح. وروى الطبراني والبيهقي عن شعبة عن أبي زهير النميري قال[1]: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم». قلت هذا، وإن صح، أراد به ما لم يتعرض لإفساد الزرع وغيره، فإن تعرض لذلك، جاز دفعه بالقتل وغيره. والجند العسكر والجمع أجناد وجنود. وفي الحديث: «الأرواح جنود مجندة» أي مجموعة، كما يقال ألوف مؤلفة، وقناطير مقنطرة. ثم أسند عن ابن عمر: أن جرادة وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فإذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية: نحن جند الله الأكبر ولنا تسع وتسعون بيضة ولو تمت المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال[2] رسول الله ﷺ: «اللهم أهلك الجراد اقتل كبارها، وأمت صغارها، وأفسد بيضها، وسد أفواهها عن مزارع المسلمين ومعايشهم، إنك سميع الدعاء. فجاءه جبريل عليه السلام وقال: إنه قد استجيب لك في بعضه». وكذلك أسنده الحاكم في تاريخ نيسابور أيضاً ثم أسند الطبراني أيضاً عن الحسن بن علي قال: كنا على مائدة نأكل أنا وأخي محمد بن الحنفية وبنو عمي عبد الله وقثم والفضل أولاد العباس، فوقعت جرادة على المائدة فأخذها عبد الله وقال لي: ما مكتوب على هذه فقلت سألت أبي أمير المؤمنين عن ذلك؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ عنه فقال لي: «مكتوب عليها: أنا الله لا إله إلا أنا رب الجراد ورازقها إن شئت بعثتها رزقاً لقوم، وإن شئت بعثتها بلاء على قوم». فقال عبد الله: هذا من العلم المكنون. ثم أسند أيضاً هووأبو يعلى الموصلي عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة من سني خلافته فقد الجراد فاهتم لذلك هماً شديداً فبعث إلى اليمن راكباً، وإلى الشام راكباً وإلى العراق راكباً، كل يسأل هل رأوا الجراد؟ فأتاه الراكب الذي سار إلى اليمن بقبضة منه فنثرها بين يديه فلما رأى عمر الجراد، كبر وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول؛ «إن الله عز وجل خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر، وأربعمائة في البر. وإن أوّل هلاك هذه الأمم الجراد، فإذا هلك الجراد، تتابعت الأمم مثل النظام إذاقطع سلكه[3]». ورواه ابن عدي في ترجمة محمد بن عيسى العبدي وذكره الحكيم الترمذي في نوادره وقال: إنما صار الجراد أول هذه الأمم هلاكاً، لأنه خلق من الطينة التي فضلت من خلق آدم عليه الصلاة والسلام. وإنما تهلك الأمم بهلاك الآدميين لأنها سخرت لهم وهو في الكامل والميزان في ترجمة محمد بن عيسى بن كيسان. وفي الحلية في ترجمة حسان بن عطية. قال الأوزاعي حدثني حسان قال: «إنما مثل الشياطين في كثرتهم كمثل رجل دخل زرعاً فيه جراد كثير، فكلما وضع رجله تطاير الجراد يميناً وشمالاً ولولا أن الله عز وجل غض البصر عنهم، ما رؤي شيء إلا وعليه شيطان». وفيها في ترجمة يزيد بن ميسرة قال: كان طعام يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر، وكان يقول: من أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر: وفي الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفه وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذا جمل ورجلا نعامة وذنب حية.

(١) رواه النسائي في الصيد: ٣٧.

(٢) رواه الترمذي في الأطعمة: ٢٣، وابن ماجه في الصيد: ٩.

(٣) الكامل لابن عدي: ٦/٢٢٤٩.

وقد أحسن القاضي محيي الدين الشهرزوري[1]في وصف الجراد بذلك في قوله:

لها فخذا بكر وساقا نعامة ... وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم[2]
حبتها أفاعي الأرض بطناً وأنعمت ... عليها جياد الخيل بالرأس والفم

وما يستحسن ويستجاد من شعره قوله يصف نزول الثلج من الغيم:

ولما شاب رأس الدهر غيظاً ... لما قاساه من فقد الكرام
أقام يُميط عنه الشيب غيظاً ... وينثر ما أماط على الأنام[3]

توفي الشهرزوري في سنة ست وثمانين وخمسمائة وليس في الحيوان أكثر افساداً لما يقتاته الانسان من الجراد. قال الأصمعي: أتيت البادية، فإذا أعرابي زرع براً له، فلما قام على سوقه وجاد سنبله أتاه رجل جراد فجعل الرجل ينظر إليه ولا يدري كيف الحيلة فيه فأنشأ يقول:

مر الجراد على زرعي فقلت له ... لا تأكلنّ ولا تشغل بإفساد
فقام منهم خطيب فوق سنبلة ... أنا على سفر لا بد من زاد

وقيل لأعرابي: ألك زرع؟ فقال: نعم. ولكن أتانا رجل من جراد، بمثل مناجل الحصاد، فسبحان من يهلك القوي الأكول بالضعيف المأكول.

**فائدة**: تكتب هذه الكلمات وتجعل في أنبوبة قصب وتدمن في الزرع أو في الكرم فإنه لا يؤذيه الجراد بإذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وسلم، اللهم أهلك صغارهم، واقتل كبارهم، وأفسد بيضهم، وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم. اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد وسلم، واستجب منا يا أرحم الراحمين. وهو عجيب مجرب. ومما يفعل لطرد الجراد أيضاً، وقد جرب وفعل، فصرفه الله به وأخبرني به الشيخ يحيى بن عبد الله القرشي، وأنه فعل ذلك غير مرة، فصرفه الله سبحانه وتعالى عن البلاد التي هو فيها، وكفاهم شره وأن بعض العلماء أفاده ذلك، وقد سماه لي وذهب عني اسمه الآن، انه إذا وقع الجراد بأرض وأردت أن الله سبحانه وتعالى يصرفه، فخذ منه أربع جرادات، واكتب على أجنحتها أربع آيات من كتاب الله تعالى، في جناح كل جرادة آية، ثم توجه بها إلى أي بلد تسميها وتقول لهم: انصرفوا إليها. على الأولى: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾[4]وعلى الثانية ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾[5] وعلى.

---

(١) الشهرزوري هو أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين بن الشهرزوري الملقب محي الدين. دخل بغداد ثم قصد الشام وولي قضاء دمشق ومات سنة ٥٨٦ هـ.

(٢) الأبيات الأربعة مع ترجمته: وفيات الأعيان: ٤/٢٤٦.

(٣) في الوفيات: «... يميط هذا الشيب عنه».

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

(٥) سورة سبأ: الآية ٥٤.

الثالثة ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾[1] وعلى الرابعة ﴿فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين﴾[2].

الحكم: أجمع المسلمون على إباحة أكله وقد قال عبد الله بن أبي أوفى: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد»[3] رواه أبو داود والبخاري والحافظ أبو نعيم. وفيه ويأكله رسول الله ﷺ معنا.

وروى ابن ماجه عن أنس قال: «كن أزواج النبي ﷺ يتهادين الجراد في الأطباق[4]». وفي الموطأ من حديث ابن عمر سئل عن الجراد فقال: وددت أن عندي قفة آكل منها. وروى البيهقي عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له فأطعمها الجراد فقالت: الله أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع» قلت: يا أبا الفضل ما الشياع؟ قال: الصوت. وتقدم أن يحيى بن زكريا كان يأكل الجراد وقلوب الشجر، يعني الذي ينبت في وسطها غضاً طرياً قبل أن يقوى ويصلب، واحدها قلب بالضم للفرق. وكذلك قلب النخلة. وقالت الأئمة الأربعة: يحل أكله سواء مات حتف أنفه، أو بذكاة أو باصطياد مجوسي أو مسلم قطع منه شيء أم لا. وعن أحمد رحمه الله أنه إذا قتله البرد لم يؤكل، وملخص مذهب مالك أنه إن قطع رأسه حل، وإلا فلا. والدليل على عموم حله، قوله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان: الكبد والطحال والسمك والجراد»[5] رواه الإمام الشافعي والإمام أحمد والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً. قال البيهقي.

وروي عن ابن عمر موقوفاً وهو الأصح واختلف أصحابنا وغيرهم في الجراد هل هو صيد بري أو بحري فقيل: بحري لما روى ابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ دعا على الجراد فقال: «اللهم أهلك كباره، وأفسد صغاره، واقطع دابره، وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء[6]». فقال رجل: يا رسول الله كيف تدعو على جند من أجناد الله تعالى بقطع دابره؟ فقال ﷺ: «إن الجراد نثرة الحوت من البحر[7]». أي عطسته والمراد أن الجراد من صيد البحر يحل للمحرم أن يصيده. وفيه عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد، فجعلنا نضربهن بنعالنا وأسواطنا. فقال ﷺ: «كلوه فإنه صيد البحر[8]». والصحيح أنه بري لأن المحرم يجب عليه فيه الجزاء إذا أتلفه عندنا وبه قال عمر وعثمان

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٧. (٢) سورة الأحقاف: الآية ١٢٩.

(٣) رواه البخاري في الذبائح: ١٣، ومسلم في الصيد: ٥٢، والترمذي في الأطعمة ٢٢. والنسائي في الصيد: ٣٧. والدارمي في الصيد: ٥. وابن حنبل: ٤/٣٥٣، ٣٥٧، ٣٨٥.

(٤) رواه ابن ماجه في الصيد: ٩.

(٥) رواه ابن ماجه في الصيد: ٩، والأطعمة: ٣١، وأبو داود في الأطعمة: ٣٤. والموطأ صفة النبي: ٣٠، وابن حنبل: ٢/٩٧.

(٦) رواه الترمذي في الأطعمة: ٢٣، وابن ماجه في الصيد: ٩.

(٧) رواه ابن ماجه في الصيد: ٩. (٨) رواه أبو داود في المناسك: ٤١. وابن ماجه في الصيد: ٩.

وابن عمر وابن عباس وعطاء. قال العبدري: وهو قول أهل العلم كافة إلا أبا سعيد الخدري فإنه قال: لا جزاء فيه وحكاه ابن المنذر عن كعب الأحبار، وعروة بن الزبير فإنهم قالوا: هو من صيد البحر لا جزاء فيه. واحتج لهم بحديث أبي المهزم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: أصبنا رجلاً من جراد فكان الرجل منا يضربه بسوطه، وهو محرم، فقيل: ان هذا لا يصلح. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «إنما هو من صيد البحر» رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، واتفقوا على ضعفه لضعف، أبي المهزم وهو بضم الميم وكسر الزاي وفتح الهاء بينهما. واسمه يزيد ابن سفيان وسيأتي ذكره في حكم النعامة. واحتج الجمهور بما رواه الإمام الشافعي بإسناده الصحيح أو الحسن، عند عبد الله بن أبي عمار، أنه قال: أقبلت مع معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وكعب الأحبار في أناس محرمين من بيت المقدس بعمرة، حتى إذا كنا ببعض الطريق، وكعب على نار يصطلي «فمرت به رجل من جراد، فأخذ جرادتين فقتلهما، وكان قد نسي إحرامه ثم ذكر إحرامه، فألقاهما». فلما قدمنا المدينة دخل القوم على عمر رضي الله عنه ودخلت معهم فقص كعب قصة الجرادتين على عمر، فقال: «ما جعلت على نفسك يا كعب؟ فقال: درهمين فقال: بخ بخ درهمان خير من مائة جرادة اجعل ما جعلت على نفسك»[1] وبإسناد الشافعي والبيهقي الصحيح عن القاسم بن محمد قال: كنت جالساً عند ابن عباس فسأله رجل عن جرادة قتلها، وهو محرم فقال ابن عباس: فيها قبضة من طعام ولتأخذن بقبضة جرادات. قال الإمام الشافعي رحمه الله: أشار بذلك إلى أن فيها القيمة فالجراد وبيضه مضمونان بالقيمة على المحرم، وفي الحرم فلو وطئه عامداً أو جاهلاً ضمن، ولو عم الجراد المسالك ولم يجد بداً من وطئه فالأظهر أنه لا ضمان. وقيل: لا ضمان قطعاً. ويجوز السلم في الجراد والسمك حياً وميتاً عند عموم وجودهما. ويوصف كل جنس بما يليق به وحكى الرافعي في باب الربا ثلاثة أوجه: أحدها: أنه ليس من جنس اللحوم، قال في الروضة وهو الأصح. والثاني أنه من اللحوم البريات. والثالث أنه من اللحوم البحريات. ويظهر أثر الخلاف في جواز بيعه بلحم بحري أو بري وفيما لو حلف لا يأكل لحماً. وحكى الموفق بن طاهر قولاً غريباً أنه من صيد البحر لأنه يتولد من روث السمك وهو شاذ.

**الأمثال**: قالت العرب: «تمرة خير من جرادة وأطيب من جرادة». «وجاء القوم كالجراد المنتشر[2]». أي متفرقين. «وأجرد من الجراد[3]». «وأغوى من غوغاء[4] الجراد». وقالوا: «كالجراد لا يبقي ولا يذر[5]». يضرب في اشتداد الأمر واستئصال القوم. وقالوا: «أحمى من مجير الجراد[6]». وهو مدلج بن سويد الطائي، وكان من حديثه فيما ذكر ابن الأعرابي، عن الكلبي أنه خلا ذات يوم في خيمته فإذا هو بقوم من طيء، ومعهم أوعيتهم، فقال: ما خطبكم؟ قالوا: جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه. فركب فرسه وأخذ رمحه وقال: والله لا يتعرض له أحد منكم إلا قتلته

---

(١) الحديث بتمامه في الموطأ حج: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
(٢) مجمع الأمثال: ١/١٦٥.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٢٧١.
(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٧٦.
(٥) مجمع الأمثال: ١/١٦٢.
(٦) جمهرة الأمثال: ١/٣٣٠.

أيكون في جواري ثم تريدون أخذه! ولم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس فطار. فقال: شأنكم الآن به فقد تحول عن جواري.

**الخواص:** إذا تبخر الإنسان بالجراد البري نفعه من عسر البول. وقال ابن سينا: إذا أخذ منه اثنتا عشرة جرادة، ونزعت رؤوسها وأطرافها، وجعل معها قليل من الآس اليابس، وشربه صاحب الاستسقاء نفعه. والجراد الطويل العنق، إذا علق على من به حمى الربع نفعه. وإذا طلي ببيضه وجوفه الكلف أبرأه.

**التعبير:** الجراد في الرؤيا جند الله لأنه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام. وهو عذاب، والدبى منه ناس سيئة أخلاقهم قبيحة سيرتهم. وإذا وقع في موضع يؤخذ ويؤكل فإنه خير ونعمة وإذا رأى أنه جعله في جرة أو قدر فإنه ينال دراهم ودنانير. وروي أن رجلاً جاء إلى ابن سيرين رحمه الله فقال: رأيت كأني أخذت جراداً فجعلته في جرة فقال ابن سيرين: دراهم توصلها إلى امرأة فكان كذلك ومن رأى أنه يمطر عليه جراد من ذهب عوضه الله ما ذهب منه لقصة أيوب عليه السلام.

**الجراد البحري:** قال الشريف: هو حيوان له رأس مربع، وله مما يلي رأسه صدف خزفي، ونصفه الثاني لا خزف عليه، وله في كلا الجانبين عشرة أيد طوال شبيهة بأيدي العناكب، إلا أنها كبار جداً منها ما هو قدر الرغيف، ومنها ما هو دون ذلك. وهو كثير بساحل البحر ببلاد الغرب، ويأكلونه كثيراً مشوياً ومطبوخاً. وله قرنان دقيقان أحمران، وعينان بارزتان متدليتان من رأسه، وهذا الجراد حار يابس وأجود ما يؤكل منه مشوياً في الفرن وهو داخل في عموم أنواع الصدف وخاصية لحمه النفع من الجذام.

**الجرارة:** نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين. وهي عقارب صغار صفر على مقدار ورق الانجذان. وتكون بعسكر مكرم. وأكثر ما توجد في كهارات السكروفي الطين الذي هو قوالب السكر. قاله في كامل الصناعة. وقال موسى بن عبد الله الاسرائيلي القرطبي: الجرارة نوع من العقارب صغير الجسم لا يقوم ذنبه على جسمه كما تفعل العقارب بل يجره على الأرض وكذلك توجد ببلاد المشرق قال الجاحظ: وهي تكون بعسكر مكرم وجنديسابور إذا لسعت أحداً قتلته. وربما تناثر لحمه، وربما يعفن وينتن، حتى لا يدنو منه أحد إلا وهو مخمر الوجه مخافة أعدائه. وهذا النوع يألف الحشوش والمواضع النادية وسمها حار محرق. وقال ابن جميع، في كتابه الارشاد: والجرارة نوع من العقارب، وسمها حار يابس يعرض للبدن منه التهاب وكرب، وليس يجد لموضع لسعها ألماً قال: ومن الأشربة النافعة لها ماء الشعير وماء الجبن وسويق التفاح بالماء البارد. ا هـ وقال القزويني والجاحظ: وهذا النوع يقتل غالباً ا هـ.

**الجرذ:** بضم الجيم وفتح الراء المهملة وبالذال المعجمة ذكر الفيران وقيل: هو ضرب من الفأر أعظم من اليربوع أكدر في ذنبه سواد حكاه ابن سيده قال الجاحظ: والفرق بين الجرذ والفأر كالفرق بين الجواميس والبقر والبخاتي والعراب، قال: وجرذان انطاكية لا تقوى عليها السنانير

لعظمها إلا للواحد بعد الواحد. قال: وهي ببلاد خراسان قوية جداً وربما عضت النائم فقطعت أذنه وأنا رأيت جرذاً قاتل سنوراً ففقأ عين السنور وهرب منه. وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: الجرذ إذا خصي أكل جميع الفأر. والجرذ لا يقوم له شيء منها. قال: وزعموا أن الخصي من كل جنس أضعف من الفحل إلا الجرذان فإن الخصاء يحدث فيه شجاعة وجراءة والجمع جرذان، كصرد وصردان. وأرض جرذة أي ذات جرذان. وكنيته أبو جوال وأبو راشد وأبو العدرج وسيأتي في باب الفاء إن شاء الله تعالى. وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن ضباعة بنت الزبير زوج المقداد بن الأسود[1] قالت: ذهب المقداد بن الأسود لحاجة ببقيع الخبخبة وهو بفتح الخاءين المعجمتين وسكون الباء الأولى، موضع بنواحي المدينة، فدخل خربة فإذا الجرذ يخرج من حجر ديناراً ديناراً، حتى أخرج سبعة عشر ديناراً، ثم أخرج طرف خرقة خضراء، قال المقداد: فقمت فمددت طرف الخرقة، فوجدت فيها ديناراً فكانت ثمانية عشر ديناراً. قالت: فذهب بها المقداد فاستأذن على رسول الله ﷺ، فلما دخل عليه أخبره بذلك، وقال: خذ صدقتها يا رسول الله فقال: رسول الله ﷺ: «هل أهويت بيدك إلى الحجر؟» قال المقداد لا والذي بعثك بالحق. فقال رسول الله ﷺ بعد ذلك للمقداد «خذها بارك الله لك فيها» وفي رواية: «هذا رزق ساقه الله إليك[2]». وفي صحيح مسلم من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: إن ناساً من عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا حي من ربيعة فذكر الحديث إلى أن قالوا يا رسول الله فيم نشرب؟ قال رسول الله ﷺ «في أسقية الأدم» فقالوا: يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان ولا نبقى فيها أسقية الأدم. فقال[3] رسول الله ﷺ: «وإن أكلتها الجرذان وإن أكلتها الجرذان».

وحكي: أن امرأة جاءت إلى قيس بن سعد[4] بن عبادة بن دليم، وكان حليماً جواداً، فقالت له: مشت جرذان بيتي على العصا قال: لادعهن يثبن وثب الأسود ثم ملأ بيتها طعاماً وودكاً وإداماً. وروي إنه كان له ديون كثيرة فمرض فاستبطأ عوّاده فقيل له: إنهم يستحيون من أجل دينك عليهم. فأمر منادياً ينادي من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو بريء منه! فأتى الناس حتى هدموا درجة كان يُصعد عليها إليه. قال عروة وكان قيس بن سعد يقول: اللهم ارزقني مالاً فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال. قال: وكان أبوه سعد بن عبادة يقول: اللهم هب لي حمداً وهب لي مجداً فإنه لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم إن القليل لا يصلحني ولا أصلح عليه. وقال يحيى بن أبي كثير: كان قيس بن سعد، إذا انصرف من صلاة مكتوبة، قال: اللهم ارزقني مالاً استعين به على الفعال، فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال. قال الجوهري: الفَعل بالفتح مصدر فعل يفعل. وقرأ بعضهم ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾[5] والفعل بالكسر

---

(١) هو المقداد بن عمرو ويعرف بابن الأسود الكندي صحابي توفي سنة ٣٣ هـ.

(٢) رواه أبو داود في الإمارة: ٤٠، وابن ماجه لقطة: ٣.

(٣) رواه مسلم في الإيمان: ٢٦، وأحمد ٣، ٢٣.

(٤) قيس بن سعد بن عُبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني صحابي من الدهاة الأجواد توفي سنة ٦٠ هـ.

(٥) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

الاسم، والجمع الفعال، مثل قدح وقداح وبئر وبئار والفعال بالفتح الكرم قال هدبة[1]:

ضروباً بلحييه على عظمِ زورِه إذا القومُ هشّوا للفعالَ تقنّعا

انتهى. وقال ابن سيده: الفعال بالفتح اسم للفعل الحسن انتهى توفي قيس بن سعد سنة ستين وقيل سنة تسع وخمسين للهجرة النبوية.

**وحكمه وخواصه**: كالفأر وسيأتي في باب الفاء إنْ شاء الله تعالى.

**التعبير**: الجرذ في المنام تدل رؤيته على الفسق والأذى والاجتماع، وربما دلت رؤيته على الذل والمقت، وربما دلت على نساء جفاة. ومن أكل لحمه في المنام نال رزقاً من حرام. وقال بعض أهل التعبير يدل على النقلة من أخذه أو دخل إلى منزله لقوله[2] تعالى ﴿**فأرسلنا عليهم سيل العرم**﴾. وكان سببه الجرذ فوقعت النقلة من تلك الأرض وأكل لحمه يدل على غيبة رجل فاسق والله أعلم.

**الجرجس**: لغة في القرقس وهو البعوض الصغار وسيأتي في باب القاف إن شاء الله تعالى.

**الجوارس**: النحل وجرست النحل العرفط تجرس جرساً إذا أكلته والجرس في الأصل الصوت الخفي. والعرفط بالضم شجرة الطلح وله صمغ كريه الرائحة. فإذا أكلته النحلة حصل في عسلها شيء من ريحه.

**الجرو**: بكسر الجيم وفتحها وضمها ثلاث لغات مشهورات الصغير من أولاد الكلب وسائر السباع وفي المثل لا تقتن من كلب سوء جرواً قال الشاعر:

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابُ

وقال ابن سيده: الجرو الصغير من كل شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقثاء والرمان. روى مسلم في صحيحه عن ميمونة رضي الله تعالى عنها «أن النبي ﷺ أصبح يوماً واجماً، فقالت ميمونة: يا رسول الله إني قد استنكرت هيئتك فقال رسول الله ﷺ: إن جبريل وعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني أما والله ما أخلفني قط قالت: فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك الحال، ثم وقع في نفسه أن جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ ﷺ بيده ماء فنضح مكانه. فلما أمسى لقيه جبريل، فقال له ﷺ: قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة فقال: أجل ولكنا معشر الملائكة لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة. فأصبح رسول الله ﷺ يومئذ فأمر بقتل الكلاب حتى إنه أمر بقتل كلب الحائط الصغير وبترك كلب الحائط الكبير[3]». ورواه الطبراني عن خولة خادم النبي ﷺ بزيادة على ذلك، ولفظها إن جرواً دخل البيت، ودخل تحت السرير ومات. «فمكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه الوحي، فقال: «يا خولة ما حدث في بيت رسول الله فإن جبريل

---

(١) هُدبة: هو هُدبة بن خَشرم بن كُرز من عُذرة، مات سنة ٥٠ هـ. والبيت مع ترجمته في الشعر والشعراء ٤٦٢.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٦.

(٣) رواه أبو داود في اللباس: ٤٥.

لا يأتيني؟ فهل حدث في بيت رسول الله حدث؟» ثم خرج إلى المسجد قالت: فقمت فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شيء تحت المكنسة ثقيل فلم أزل حتى أخرجته، فإذا هو جرو كلب ميت فأخذته بيدي وألقيته خلف الدار فجاء رسول الله ﷺ ترعد لحيته وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة فقال: يا خولة دثريني فأنزل الله عز وجل ﴿**والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى**﴾[1] قال ابن عبد البر: وليس إسناد حديثها هذا مما يحتج به. والصحيح أن هذه السورة، نزلت في أول ما نزل من القرآن، لما انقطع عنه الوحي فقال المشركون إن محمداً قد ودّعه ربه أي هجره فأنزل الله هذه السورة. وروى البيهقي في أواخر الباب السابع والأربعين من الشعب عن معاذ بن جبل قال: كان في بني إسرائيل رجل عقيم لا يولد له، وكان يخرج فإذا رأى غلاماً من غلمان بني اسرائيل عليه حلي يخدعه، حتى يدخله بيته، فيقتله ويلقيه في مطمورة له، فبينما هو كذلك إذ لقي غلامين أخوين عليهما حلي فأدخلهما بيته وقتلهما وطرحهما في مطمورته. وكانت له امرأة مسلمة تنهاه عن ذلك، وتقول له إني أحذرك النقمة من الله عز وجل. فيقول: لو أن الله يأخذني على شيء لأخذني يوم فعلت كذا وكذا فتقول له المرأة: إن صاعك لم يمتلىء ولو امتلأ صاعك لأخذت فلما قتل الغلامين، خرج أبوهما في طلبهما فلم يجد أحداً يخبره عنهما، فأتى نبياً من أنبياء اسرائيل، وذكر ذلك له فقال له ذلك النبي: هل كان معهما لعبة يلعبان بها؟ فقال أبوهما: نعم كان لهما جرو. قال فائتني به فأتاه به فوضع النبي خاتمه بين عينيه ثم خلى سبيله، ثم قال: أول دار يدخلها من دور بني اسرائيل فيها بيان ذلك. فأقبل الجرو يتخلل الدور حتى دخل دار من دور بني اسرائيل، فدخلوا خلفه فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان كثيرة قد قتلهم وطرحهم في المطمورة. فانطلقوا به إلى ذلك النبي عليه السلام فأمر به أن يصلب، فلما رفع إلى الخشبة أتته امرأته وقالت: قد كنت أحذرك هذا اليوم، وأخبرك أن الله غير تاركك، وأنت تقول: لو أن الله يأخذني على شيء لأخذني يوم فعلت كذا وكذا. فأخبرك أن صاعك لم يمتلىء بعد. ألا وإن صاعك قد امتلأ. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الكاف في لفظ الكلب الحديث الذي في مسند الإمام أحمد الطبراني والبزار في الكلبة التي عوى جروها في بطنها. وروى الحاكم في المناقب من حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة وكثرت التجارة وكثر المال وعظم رب المال بماله وكثرت الفاحشة وكثرت النساء، وكانت امارة الصبيان، وجار السلطان وطفق في المكيال الميزان، ويربي الرجل جرو كلب خير له من أن يربي ولداً. ولا يوقر كبير ولا يرحم صغير، ويكثر الزنا حتى إن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق فيقول أمثلهم في ذلك الزمان: لو اعتزلتم عن الطريق. ويلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أمثلهم في ذلك الزمان المداهن»[2] وكذلك رواه الطبراني في معجمه الأوسط وفيه سيف ابن مسكين وهو ضعيف.

**الجريث**: بكسر الجيم بالراء المهملة والثاء المثلثة، وهو هذا السمك الذي يشبه الثعبان. وجمعه جراثي. ويقال له أيضاً الجريء بالكسر والتشديد وهو نوع من السمك يشبه الحية ويسمى

---

(١) سورة الضحى: الآية ١ ــ ٣.

(٢) رواه الدرامي في فضائل القرآن: ٤.

بالفارسية مارماهي وقد تقدم في باب الهمزة أنه الأنكليس. قال الجاحظ: إنه يأكل الجرذان وهو حية الماء.

وحكمه: الحل قال البغوي عند قوله[1] تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه﴾ إن الجريث حلال بالاتفاق، وهو قول أبي بكر وعمر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم وبه قال شريح والحسن وعطاء، وهو مذهب مالك وظاهر مذهب الشافعي. والمراد هذه الثعابين التي لا تعيش إلا في الماء. وأما الحيات التي تعيش في البر والبحر، فتلك من ذوات السموم، وأكلها حرام. وسئل ابن عباس عن الجري فقال: هو شيء حرمته اليهود ونحن لا نحرمه.

الخواص: مرارته يسعط بها الفرس المجنون يذهب جنونه. ولحمه يجوّد الصوت. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الصاد المهملة في لفظ الصيد ما ذكره البخاري في صحيحه في الجري.

الجزور: من الإبل يقع على الذكر والأنثى، وهو مؤنث، والجمع جزر. وكذا قاله الجوهري، وقال ابن سيده: الجزور الناقة التي تجزر والجمع جزائر وجزر وجزرات جمع الجمع كطرق وطرقات. قالت خرنق بنت هفان[2]:

لا يبعدنْ قومي الذين همُ سم العداة وآفة الجُزرِ
النازلون بكل معترك والطيبين معاقد الأزرِ

وبها سميت المجزرة وهي الموضع الذي يذبح فيه. وفي كتاب العين الجزور من الضأن والمعز خاصة مأخوذ من الجزر، وهو القطع. وفي صحيح مسلم، من حديث عبد الرحمن بن شماسة أن عمرو بن العاص قال عند موته: إذا دفنتموني فسنوا عليّ التراب سنائم، أقيموا حول قبري قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي. قلت: وإنما ضرب المثل بنحر الجزور وتقسيم لحمها، لأنه كان في أول أمره جزاراً بمكة، فألف نحر الجزائر، وضرب به المثل، وكونه كان جزاراً جزم به ابن قتيبة في المعارف، ونقله ابن دريد في كتاب الوشاح وكذلك ابن الجوزي في التلقيح، وأضاف إليه الزبير بن العوام بن كرير فقال: هؤلاء كانوا جزارين وذكر التوحيدي في كتاب «بصائر القدماء وسرائر الحكماء» صناعة كل من علمت صناعته من قريش فقال: كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بزازا، وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم، وكان عمر رضي الله تعالى عنه دلالاً يسعى بين البائع والمشتري، وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل. وكان الوليد بن المغيرة[3] حداداً،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٦.

(٢) الخرنق بنت بدر بن هفّان بن مالك من بني ضبيعة شاعرة جاهلية وهي أخت طرفة بن العبد. ماتت في نحو سنة ٥٠ ق. هـ. والبيتان في ديوانها ٤٣. وفي الديوان: «. . والطيبين معاقد الأزر».

(٣) الوليد بن المغيرة، من القضاة في الجاهلية، كان يكسو الكعبة وحده، أدرك الإسلام كبيراً ولم يسلم. مات سنة ١ هـ.

وكذلك أبو العاص[1] أخو أبي جهل[2] وكان عقبة[3] بن أبي معيط خماراً، وكان أبو سفيان[4] بن حزب يبيع الزيت والأدم، وكان عبد الله بن جدعان نخاساً يبيع الجواري، وكان النضر[5] بن الحارث عواداً يضرب بالعود، وكان الحكم بن أبي العاص[6] خصاء يخصي الغنم. وكذلك حريث ابن عمرو والضحاك بن قيس الفهري[7] وابن سيرين[8]. وكان العاص[9] بن وائل السهمي بيطاراً يعالج الخيل، وكان ابنه عمرو بن العاص جزاراً. وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأي والقياس وكان الزبير بن العوام خياطاً، وكذلك عثمان بن طلحة الذي دفع له النبي ﷺ مفتاح الكعبة، وقيس[10] بن مخرمة وكان مالك بن دينار[11] وراقاً، وكان المهلب[12] بن أبي صفرة بستانياً، وكان قتيبة بن مسلم[13] الذي فتح بلاد العجم إلى ما وراء النهر جمالاً، وكان سفيان[14] بن عيينة معلماً، وكذلك الضحاك[15] بن مزاحم، وعطاء[16] بن أبي رباح، والكميت الشاعر[17]، والحجاج ابن يوسف الثقفي، وعبد الحميد[18] بن يحيى صاحب الرسائل، وأبو عبيد الله القاسم بن

---

(١) أبو العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. أخو أبي جهل قتل في بدر سنة ٢ هـ.

(٢) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، من قادة قريش في الجاهلية قتل وأخوه مشركاً في بدر.

(٣) عقبة بن أبي معيط: من مقدمي قريش في الجاهلية قُتل مشركاً في بدر سنة ٢ هـ.

(٤) أبو سفيان بن حرب: صخر بن حرب بن أمية، صحابي، وهو والد معاوية. أسلم يوم فتح مكة ومات سنة ٣١ هـ.

(٥) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، وهو أول من غنى على العود ألحان الفُرس، وهو ابن خالة النبي ﷺ، من أسرى بدر، أسره المسلمون وقتلوه سنة ٢ هـ.

(٦) الحكم بن أبي العاص، صحابي أسلم يوم الفتح. مات سنة ٣٢ هـ.

(٧) الضحّاك بن قيس بن خالد الفهري، شهد صفين مع معاوية تولى الكوفة لمعاوية. مات سنة ٦٥ هـ.

(٨) ابن سيرين: محمد بن سيرين البصري الأنصاري، إمام عصره في العلوم الدينية في البصرة تابعي كاتب، توفي سنة ١١٠ هـ. اشتهر في تعبير الرؤيا.

(٩) العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي أحد الحكام في الجاهلية، أدرك الإسلام وظل على الشرك مات سنة ٣ ق. هـ.

(١٠) قيس بن مخرمة.

(١١) مالك بن دينار البصري، من رواة الحديث. مات سنة ١٣١ هـ.

(١٢) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي، أمير جواد، قاتل الأزارقة وظفر بهم، تولى خراسان. مات سنة ٨٣ هـ.

(١٣) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي فاتح بلاد خوارزم وسجستان وسمرقند غزا أطراف الصين، ومات سنة ٩٦ هـ.

(١٤) سفيان بن عيينة بن ميمون، محدث الحرم المكي. مات سنة ١٩٨ هـ.

(١٥) الضحاك بن مزاحم، كان مفسراً مؤدباً للأولاد. مات بخراسان سنة ١٠٥ هـ.

(١٦) عطاء بن أسلم بن صفون، تابعي فقيه، محدث. مات سنة ١١٤ هـ.

(١٧) الكميت بن زيد بن خُنيس الأسدي، شاعر الهاشميين كوفي من شعراء العصر الأموي مات سنة ١٢٦ هـ.

(١٨) عبد الحميد بن يحيى العامري، الكاتب من ائمة الكتاب مات سنة ١٣٢ هـ.

سلام[١] والكسائي[٢] هذه صناعة الأشراف.

قال وأما أديان العرب فإن النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة واليهودية كانت في حمير وكنانة وكندة وبني الحارث بن كعب والمجوسية في تميم ومنهم الحاجب[٣] بن زَرارة الذي رهن قوسه عند كسرى، ووفى به حتى ضرب المثل به فقالوا: «أوفى من قوس حاجب» وفكت أيام النبي ﷺ، وأهديت إليه والزندقة كانت في قريش انتهى. وما ذكره من كون الزبير بن العوام كان خياطاً، فيه نظر، والصواب أنه كان جزاراً. ذكره ابن الجوزي وغيره كما تقدم. ولأن عمرو بن العاص يومئذ كان كبير مصر وعظيم أهلها، فأشبه الجزور بالنسبة إلى غيرها، من بهيمة الأنعام ونحرها موته، وتفرقة لحمها قسمة أمواله بعد موته. وكان من جملة تركته تسعة أرادب ذهباً. وأما الوضوء من أكل لحم الجزور فقد تقدم في باب الهمزة في لفظ الإبل ذكر من ذهب إليه من الأئمة وأنه المختار المنصور من جهة الدليل ففي صحيح مسلم وغيره عن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً سأل النبي ﷺ أنتوضأ من لحوم الغنم فقال: «إن شئت توضأ وإن شئت فلا تتوضأ» فقال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم توضأ من لحوم الإبل»[٤]. وروى أحمد وأبو داود وغيرهما عن البراء بن عازب قال: سئل النبي ﷺ عن الوضوء من لحوم الإبل فقال: «توضؤا منها». وسئل عن لحوم الغنم فقال: «لا تتوضؤا منها»[٥]. قال النووي رحمه الله هذان حديثان صحيحان ليس عنهما جواب شاف وقد اختاره جماعة من محققي أصحابنا المحدثين ا هـ.

وروى البخاري ومسلم وأبو داود النسائي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: بينما النبي ﷺ ساجد إذ جاءه عقبة بن أبي معيط بسلى جزور فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرجع رأسه حتى جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فأخذته من على ظهره، ودعت على من صنع ذلك. فقال[٦] النبي ﷺ: «اللهم عليك بالملأ من قريش اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف أو أبي بن خلف». قال: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر، غير أمية أو أبي فإنه كان ضخماً فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى في البئر.

الجساسة: بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى. قال ابن سيده: هي دابة في جزائر البحر تجس الأخبار وتأتي بها الدجال. وكذا قال أبو داود السجستاني: سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال. وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص انها دابة الأرض المذكورة في القرآن

---

(١) القاسم بن سلام الهروي، عالم محدث أديب فقيه مؤدب مات سنة ٢٢٤ هـ.

(٢) الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، الكوفي اللغوي النحوي. مات سنة ١٨٩ هـ. كان مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين.

(٣) الحاجب بن زرارة بن عُدس الدارمي، من سادات العرب في الجاهلية، أسلم ثم مات سنة ٣ هـ.

(٤) رواه مسلم في الحيض: ٩٧ والبخاري في الصلاة: ٥٠.

(٥) رواه أحمد: ٤، ٣٥٢.

(٦) رواه البخاري في الجزية: ٢١ والوضوء ٦٩ والصلاة ١٠٩، ومناقب الأنصار: ٢٩، ورواه مسلم في الجهاد: ١٠٧، ١٠٨، والنسائي في الطهارة: ١٩١ وابن حنبل: ٣٩٣/١ ـ ٤١٧.

وهي بجزيرة ببحر القلزم. وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن فاطمة بنت قيس، قالت: خرج علينا رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال: «إني لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن لحديث حدثنيه تميم الداري، حدثني أنه ركب سفينة بحرية في ثلاثين رجلاً من لخم وجذام فألجأهم ريح عاصف إلى جزيرة، فإذا هم بدابة فقالوا لها: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة. قالوا: أخبرينا الخبر. قالت: إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير، فإن فيه رجلاً بالأشواق إليكم»[1]. قال: فأتيناه فذكر الحديث. وتميم الداري هذا هو تميم بن أوس بن خارجة بن سويد أبو رقية أسلم سنة تسع من الهجرة وروي له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثاً. روى مسلم منها حديث[2] «الدين النصيحة» ومن مناقبه العظيمة التي لا يشاركه فيها غيره أن النبي ﷺ روى عنه قصة الجساسة. وروى عنه جماعة من الصحابة كابن عباس وأنس وأبي هريرة وجماعة من التابعين. وكان بالمدينة ثم انتقل إلى بيت المقدس، بعد قتل عثمان. وكان كثير التهجد وهو أول من قص على الناس، وأول من أسرج المسجد. قال الحافظ أبو نعيم. وكذلك رواه أبو داود الطيالسي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه. قال: أول من أسرج المسجد تميم الداري وتوفي سنة أربعين وأما تميم الداري المذكور في صحيح البخاري في قصة الجام فذاك نصراني من أهل دارين قاله مقاتل بن حيان وغيره.

**جعار**: الضبع وفي المثل «أعيث من جعار»[3]. أي أفسد والعيث الفساد. قال الشاعر:

فقلت لها عيثي جعار وجرري ... بلحم امرىء لم يشهد النوم ناظرُه

**الجعدة**: الشاة وستأتي في كنى الذئب إن شاء الله تعالى في باب الذال المعجمة.

**الجعل**: كصردورطب جمعه جعلان بكسر الجيم والعين ساكنة. والناس يسمونه أبا جعران لأنه يجمع الجعر اليابس ويدخره في بيته. وهو دويبة معروفة يسمى الزعقوق، تعض البهائم في فروجها فتهرب، وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد، في بطنه لون حمرة، للذكر قرنان، يوجد كثيراً في مراح البقر والجواميس ومواضع الروث، ويتولد غالباً من أخثاء البقر، ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها كما تقدم. ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب، فإذا أعيد إلى الروث عاش. قال أبو الطيب يصفه في شعره:

كما تضر رياح الورد بالجعل.

وله جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جداً، وهو يمشي القهقرى أي يمشي إلى خلف وهو مع هذه المشية يهتدي إلى بيته، ويسمى الكبرتل وإذا أراد الطيران تنفش فيظهر جناحاه فيطير. ومن عادته أن يحرس النيام فمن قام لقضاء حاجته تبعه،

---

(١) رواه مسلم في الفتن: ١١٩. ورواه أبو داود في الملاحم: ١٤ ــ ١٥. والترمذي في الفتن: ٦٦. وابن ماجه في الفتن: ٣٣ وأحمد: ٦ ــ ٣٧٣ ــ ٤١٣ ــ ٤١٧ ــ ٤١٨.

(٢) رواه أبو داود في الأدب: ٥٩. والنسائي: ٣١. وأحمد: ٤ ــ ١٠٢ ــ ١٠٣.

(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٦٣.

وذلك من شهوته للغائط لأنه قوته. روى الطبراني وابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات، والبيهقي في شعب الايمان، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أنه قال: إن ذنوب بني آدم لتقتل الجعل في حجره. وروى الحاكم عن أبي الأحوص عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى**﴾(١) ثم قال: كاد الجعل يعذب في جحره بذنب بني آدم. ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿**ويلعنهم اللاعنون**﴾(٢) إنهم دواب الأرض: الخنافس والجعلان، يمنعون القطر بخطاياهم. وروى أبو داود والترمذي وحسنه وهو آخر حديث في جامعه، قبل العلل، وابن حيان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «ان الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء إما مؤمن تقي أو فاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليسد عن رجال فخرهم بأقوام ما هم إلا فحم من فحم جهنم، أو ليكونن على الله أهون من الجعل الذي يدفع بأنفه النتن»(٣) وفي رواية: أهون على الله من الجعل يدفع الخراء بأنفه»(٤) وفي مسند أبي داود الطيالسي، وشعب الايمان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تفخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية»(٣). وروى البزار في مسنده عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلكم بنو آدم وآدم من تراب، لينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»(٥). وكان عامر بن مسعود الجمحي الصحابي رضي الله تعالى عنه يلقب دحروجة الجعل لقصره وهو راوي حديث الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة وروى الرياشي عن الأصمعي قال: مر بنا أعرابي ينشد ابناً له فقلنا له: صفه لنا فقال: كأنه دنينير. فقلنا له لم نره فذهب فلم نلبث أن جاء بصغير أسود كأنه جعل قد حمله على عنقه، فقلت له: لو سألتنا عن هذا لأرشدناك. فإنه لم يزل عامة يومه بين أيدينا ثم أنشد الأصمعي:

زينها الله في الفؤاد كما ... زين في عين والد ولده

**الحكم**: يحرم أكله لاستقذاره.

**الأمثال**: قالوا(٦): «ألصق من جعل» لأنه يتبع الإنسان إلى الغائط كما تقدم. قال الشاعر:

إذا أتيت سليمى شب لي جعل ... إن الشقي الذي يغري به الجعلْ

وهو يضرب للرجل يلصق به من يكرهه فلا يزال يهرب منه.

**الخواص**: إذا أخذ الجعل غير مطبوخ، ولا مملوح وجفف وشرب، من غير إضافة إلى غيره، نفع من لسع العقرب نفعاً عظيماً.

**التعبير**: الجعل في المنام عدو بغيض ثقيل، وربما دل على رجل مسافر، ينقل الأموال من

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٩.
(٣) رواه أحمد: ١/٣٠١.
(٤) رواه الترمذي في المناقب: ٧٤.
(٥) رواه أبو داود في الأدب: ١١١. والترمذي في المناقب: ٧٣.
(٦) المستقصى: ١/٣٢٣.

بلد إلى بلد، وماله حرام أو فيه شبهة. والله أعلم.

**الجعول**: ولد النعامة لغة يمانية. قاله ابن سيده. وسيأتي لفظ النعامة في باب النون.

**الجفرة**: بفتح الجيم ما بلغت أربعة أشهر من أولاد المعز وفصلت عن أمها والذكر جفر سمي بذلك لأنه جفر جنباه أي عظما. والجمع أجفار وجفار.

**فائدة**: قال ابن قتيبة، في كتابه أدب الكاتب، وكتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق لآل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري[1] بقوله:

لقد عجبوا لأهل البيت لما ... أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى ... أرته كل عامرة وقفر

والمسك الجلد وقيل: إن ابن تومرت[2] المعروف بالمهدي ظفر بكتاب الجفر فرأى فيه ما يكون على يد عبد[3] المؤمن صاحب المغرب، وقصته وحليته واسمه. فأقام ابن تومرت مدة يتطلبه حتى وجده وصحبه، وكان يكرمه ويقدمه على سائر أصحابه وينشد[4] إذا أبصره:

تكاملت فيك أوصاف خُصصت بها ... فكلنا بك مسرور ومغتبطُ
السن ضاحكة والكف مانحة ... والنفس واسعة والوجه منبسطُ

ولم يصح أن ابن تومرت استخلف عبد المؤمن عند موته، وإنما راعى أصحابه إشارته في تقديمه وإكرامه فتم له الأمر. وعبد المؤمن هو الذي حمل الناس في المغرب حين تم له الأمر على مذهب مالك رحمه الله في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله في الأصول. وكان عبد المؤمن ملكاً حازماً عاقلاً سفاكاً للدماء يقتل على الذنب الصغير. توفي في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ومدة ولايته ثلاث وثلاثون سنة وأشهر.

**وحكمها**: الحل يفدى بها اليربوع إذا قتله المحرم.

**وخواصها**: وتعبيرها كالمعز والله أعلم.

**جلكى**: كمرطى نوع متولد بين الحية والسمك إذا ذبح لا يخرج منه دم وعظمه رخو يؤكل مع لحمه يسمن النساء إذا أكل وهو نعم العلاج لذلك والله أعلم.

**الجلالة**: من الحيوان الذي يأكل الجلة والعذرة. والجلة البعر يوضع موضع العذرة يقال: جلت الدابة الجلة واجتلتها فهي جالة وجلالة إذا التقطتها. روى أبو داود وغيره من حديث نافع

---

(١) المعري: أحمد بن عبد الله بن سليمان، اللغوي النحوي الشاعر المتفلسف. مات بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ.
(٢) ابن تومرت: محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب.
(٣) وكان ابن تومرت أديباً فصيحاً. مات سنة ٥٢٤ هـ. وعبد المؤمن بن علي توفي سنة ٥٥٨ هـ.
(٤) البيتان لأبي الشيعي. ديوانه ٨٣. وفي وفيات الأعيان: ٣/ ٢٣٠.

عن ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم «أن النبي ﷺ نهى عن ركوب الجلالة[1]». وروى الحاكم، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحم الجلالة»، وشرب لبنها وأن لا يحمل عليها ولا يركبها الناس حتى تعلف أربعين ليلة» وروى البيهقي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ «نهى عن الشرب من في السقاء عن ركوب الجلالة وعن المجثمة»[2] وهي كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل إلا أنها تكثر في الطيور والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم بالأرض أي يلزمها ويلتصق بها وجثم الطائر جثوماً وهو بمنزلة البروك للابل وسيأتي الكلام على الجلالة في فرع في الكلام على السخلة.

**الجلم**: اليؤيؤ وهو نوع من الصقور وسيأتي ذكره فيها إن شاء الله تعالى وفي باب الياء أيضاً.

**الجمل**: الذكر من الإبل قال الفراء هو زوج الناقة. وكذا قال ابن مسعود لما سئل عن الجمل كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعاً وجمع الجمل جمال وأجمال وجمائل وجمالات. قال الله تعالى: ﴿كأنهم جمالات صفر﴾[3] قال أكثر المفسرين: هي جمع جمال على تصحيح البناء، كرِجال ورجالات وقال ابن عباس وابن جبير لجمالات قلوس السفن وهي حبالها العظام إذا جمعت مستديرة بعضها إلى بعض جاء منها أجرام عظام وقال ابن عباس أيضاً: الجمالات قطع النحاس العظام وإنما يسمى البعير جملاً إذا أربع.

**فائدة**: كان اسم الجمل الذي ركبته عائشة رضي الله تعالى عنها يوم وقعته عسكر اشتراه لها يعلى بن أمية بأربعمائة درهم، وقيل بمائتي درهم، وهو الصحيح. قال ابن الأثير: مر مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي، وكان من الأبطال المشهورة، وكان من أصحاب علي يوم الجمل، بعبد الله بن الزبير، وكان مع عائشة رضي الله تعالى عنها وكان من الأبطال فتماسكا فصار كل واحد منهما إذا قوي على صاحبه، جعله تحته وركب على صدره فعلا ذلك مراراً، وابن الزبير يصيح[4] بأعلى صوته:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

يريد بذلك الاشتر النخعي قال ابن الزبير: أمسيت يوم الجمل وفيّ سبع وثلاثون جراحة ما بين طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم قال: ولا ينهزم من الفر يقين أحد وما أخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل فأخذت الخطام فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: من أنت؟ قلت: ابن

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد: ٤٧. وفي الأطعمة: ٢٤ ـ ٣٣. والأشربة: ١٤. ورواه الترمذي في الأطعمة: ٢٤، والنسائي في الضحايا: ٤٣ ـ ٤٤، وابن ماجه في الذبائح: ١١ والموطأ أضاحي: ٢٨ وأحمد: ١ ـ ٢١٩ ـ ٢٢٦.

(٢) رواه البخاري في الأشربة: ٢٤. وأبو داود في الأشربة: ١٤، النسائي في الضحايا: ٤٤...

(٣) سورة المرسلات: الآية ٣٣.

(٤) وفيات الأعيان: ١٩٥/٧. وفي: «أقتلاني.. وأقتلا».

الزبير. فقالت: واثكل أسماء ومر بي الأشتر فعرفته فاقتتلنا فوالله ما ضربته ضربة إلا ضربني بها ستاً أو سبعاً فجعلت أنادي:

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

وضاع الخطام مني ثم أخذ مالك برجلي فرماني في الخندق، وقال: لولا قرابتك من رسول الله ﷺ ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبداً. وفي رواية فجاء أناس منا ومنهم، وتقاتلوا حتى تحاجزنا، وضاع مني الخطام وسمعت عليا رضي الله عنه يقول: اعقروا الجمل، فإنه إن عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط. فما سمعت قط أشد من عجيج الجمل، ثم أمر علي بحمل الهودج من بين القتلى، فاحتمله محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، فأدخل محمد بن أبي بكر يده في الهودج. فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله ﷺ؟ أحرقه الله بالنار! فقال: يا أختاه قولي بنار الدنيا فقالت: بنار الدنيا. وقتل طلحة رضي الله تعالى عنه في الوقعة، وكان من حزب عائشة. ورجع الزبير فقتله عمرو بن جرموز بوادي السباع وهو نائم، وعاد بسيفه إلى علي، فلما رآه قال: إنه لسيف طالما جلا الكرب عن رسول الله ﷺ. وأحيط بعائشة ودخل علي البصرة فبايعه أهلها، وأطلق عثمان بن حنيف وجهز عائشة وأخرج أخاها محمداً معها وشيعها علي بنفسه أميالاً وسرح بنيه معها يوماً وقيل: إن عدة المقتولين من أصحاب الجمل ثمانية آلاف وقيل سبعة عشر ألفاً. ومن أصحاب علي نحو ألف وقطع علي خطام الجمل يومئذ نحو ثمانين كفاً معظمهم من بني ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الخطام آخر وفي ذلك يقول الضبي(1):

نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننازل الموت إذا الموت نزل
والموت أحلى عندنا من العسل(2)

وكانوا قد ألبسوه الأدراع إلى أن عقر. ونصب نبي، عند النحويين على المدح والتخصيص، وكانت وقعة الجمل يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى أو الآخرة وقيل في خامس عشرة سنة ست وثلاثين من ارتفاع الشمس إلى قريب العصر. ويروى أن عائشة أعطت الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الأشتر عشرة آلاف درهم.

وذكر: ابن خلكان وغيره أن الأشتر دخل على عائشة رضي الله تعالى عنها، بعد وقعة الجمل، فقالت له: يا أشتر أنت الذي أردت قتل ابن أختي يوم الجمل؟ فأنشدها:

أعائش لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادي والرماح تنوشه بآخر صوت اقتلوني ومالكا
فنجاه مني أكله وشبابه وخلوة جوف لم يكن متماسكا

ونقل أنه كان في رأس ابن الزبير رضي الله عنه ضربة عظيمة من الأشتر لو صب فيها قارورة دهن لاستقر. وروى الحاكم من حديث قيس بن أبي حازم وابن أبي شيبة، من حديث ابن

(1) الضبي: في هامش العقد الفريد هو الحارث الضبي. العقد: ٤/٣٢٧.
(2) العقد الفريد: ٤/٣٢٧.

عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن صاحبة الجمل الأديب تسير، أو تخرج حتى ينبحها كلاب الحوأب؟» والحوأب نهر بقرب البصرة والأديب الأزب وهو الكثير شعر الوجه. قال ابن دحية والعجب من ابن العربي كيف أنكر هذا الحديث في كتاب الغوامض والعواصم له! وذكر أنه لا يوجد له أصل وهو أشهر من فلق الصبح. وروي أن عائشة لما خرجت، مرت بماء يقال له الحوأب فنبحتها الكلاب، فقالت: ردوني ردوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب»[1]. وهذا الحديث مما أنكر على قيس بن أبي حازم. وأما قول الشاعر:

شكا إلى جملي طول السرى    يا جملي ليس إلى المشتكى
صبرا جميلا فكلانا مبتلى

فمعلوم أن الجمل لا ينطق، وإنما أراد التجوز ومقابلة الكلام بمثله كقوله[2] تعالى: **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** وكقول عمرو بن كلثوم[3]:

ألا لا يجهلن أحد علينا    فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقول الآخر:

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم    ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمي فإني مقوم    ومن رام تعويجي فإني معوج

يريد: أكافىء الجاهل والمعوج لا أنه امتدح بالجهل والاعوجاج. وأما قوله تعالى: **﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾**[4] فأراد به الحيوان المعروف لأنه أعظم الحيوانات المتداولة للإنسان جثة فلا يلج إلا في باب واسع كأنه قال لا يدخلون الجنة أبداً قال الشاعر:

لقد عظم البعير بغير لب    فلم يستغن بالعظم البعير

وقرأ ابن عباس ومجاهد الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وفسر بحبل السفينة الغليظ. وسم الخياط هو بخش الإبرة أي ثقبها وقد ألغز فيها الشاعر فقال:

سعت ذات سم في قميصي فغادرت    به أثراً والله يشفي من السم
كست قيصراً ثوب الجمال وتبعا    وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وكنية الجمل أبو أيوب وأبو صفوان. وفي حديث أم زرع زوجي «لحم جمل غث على رأس جبل وعر». وفي سنن أبي داود عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ «أهدى عام

---

(١) رواه ابن حنبل: ٩٧/٥٢/٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٤.
(٣) عمرو بن كلثوم، شاعر جاهلي، فارس شجاع من أصحاب المعلقات من تغلب والبيت في معلقته، انظر المعلقات السبع الزوزني: والعقد الفريد: ٨٧/٥.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٠.

الحديبية في هداياه جملاً كان لأبي جهل بن هشام في أنفه برة من فضة يغيظ بذلك المشركين»[1]. قال الخطابي وفيه من الفقه أن الذكران في الهدي جائزة. وقد روي عن ابن عمر أنه كان يكره ذلك في الإبل ويرى أن تهدى الإناث منها. وفيه دليل أيضاً على جواز استعمال اليسير من الفضة في لجم المراكب من الخيل وغيرها وقوله: يغيظ بذلك المشركين، معناه أن هذا الجمل كان معروفاً لأبي جهل، فحازه النبي ﷺ، فكان يغيظهم أن يروه في يده ﷺ، وصاحبه قتيل سليب. وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا: يا رسول الله هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ فقال ﷺ: «قد تركتكم على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، واياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد»[2]. والأنف الجمل المخزوم الأنف الذي لا يمتنع على قائده. وقيل: الأنف الذلول ويروى كالجمل الآنف بالمد وهو بمعناه: وفيه أن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ» والنواجذ بالذال المعجمة الأشهر أنها أقصى الأسنان أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه. وفي الحديث أنه ﷺ «ضحك حتى بدت نواجذه»[3]. والمراد ههنا الضواحك وهي التي تبدو عند الضحك لأنه ﷺ كان ضحكه تبسماً. وروى الإمام أحمد أبو داود النسائي عن أبي هريرة أنه ﷺ قال[4]: «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك الجمل، وليضع يديه ثم ركبتيه». قال الخطابي: حديث وائل بن حجر أثبت من هذا وهو ما رواه الأربعة عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه، وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه. وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أنه كان مع النبي ﷺ على جمل فأعيا، فنخسه النبي ﷺ ودعا له وقال: اركب فركب فكان أمام القوم قال فقال لي النبي ﷺ: كيف ترى بعيرك؟ فقلت: قد أصابته بركتك قال: أفتبيعنيه؟ فاستحييت ولم يكن لي ناضح غيره، فقلت: نعم. فمازال ﷺ يزيدني ويقول: والله يغفر لك حتى بعته بأوقية من ذهب، على أن لي ركوبه حتى أبلغ المدينة. فلما بلغتها، قال ﷺ لبلال: اعطه الثمن وزده. ثم رد ﷺ علي الجمل»[5]. وفي كتاب ابن حيان من حديث حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: «استغفر لي رسول الله ﷺ، ليلة البعير، خمساً

---

(١) رواه ابن ماجه في المناسك: ٨٤ ـ ٩٨. وابن حنبل: ١/٢٣٤ ـ ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧٣.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة: ٦.

(٣) رواه البخاري في تفسير سورة: ٣٩ ـ ٢. والتوحيد: ١٩. والكفارات: ٣. وورواه مسلم في المنافقين: ٢٠ ـ ٢١ ـ ٣٠. وفي الإيمان: ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٤. والجهاد ١٣٢ ـ ٥٥. وأبو داود في الطلاق: ٣٢. وفي الاستسقاء ٢.

(٤) رواه أبو داود في الصلاة: ١٣٧. والترمذي في الصلاة ٨٥، والنسائي في التطبيق: ٣٨، وابن حنبل: ٢-٣٨١.

(٥) رواه البخاري في البيوع: ٣٤، والجهاد: ٤٩، والشروط: ٤. ومسلم في المساقاة: ١٠٩، ١١١، ١١٤. والرضاع ٥٩. والنسائي في البيوع: ٧٧.

وعشرين مرة»[1]. وبهذا استدل على جواز بيع وشرط. والخلاف فيه مقرر في كتب الفقه، قال السهيلي: والحكمة في شرائه الجمل، ورده عليه وإعطائه الثمن بزيادة، أنه عليه الصلاة والسلام كان أخبره بأن الله تعالى أحيا أباه ورد عليه روحه. فاشترى الجمل منه. وهو مطيته كما اشترى الله أنفس الشهداء، بثمن هو الجنة. ونفس الإنسان مطيته ثم زادهم فقال[2] ﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ وزيادة ثم رد عليهم أنفسهم التي اشترى منهم فقال[3]﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ الآية. فأشار ﷺ بالشراء ورد الثمن والزيادة ثم رد الجمل إليه إلى تأكيد الخبر الذي أخبر به عن الله عز وجل فتشاكل الفعل والخبر. وفي مسند الإمام أحمد والحاكم، عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ «دخل حائطاً لبعض الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رأى النبي ﷺ ذرفت عيناه، فمسح النبي ﷺ سنامه، وفي رواية فمسح ذفريه، فسكن. ثم قال ﷺ: من رب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله فقال ﷺ: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه» وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه، قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ذات الرقاع، حتى إذا كنا بحرة واقم، إذ أقبل جمل يرقل حتى دنا من النبي ﷺ، فجعل يرغو على هامته، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا الجمل يستعديني على صاحبه، يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين، حتى إذا أعجزه وأعجفه وكبر سنه، أراد نحره، إذهب يا جابر إلى صاحبه فائت به. قلت: ما أعرفه. فقال: إنه سيدلك عليه، قال فخرج الجمل بين يدي معنقاً حتى وقف بي في مجلس بني خطمة. فقلت أين رب هذا الجمل؟ فقالوا: هذا لفلان بن فلان، فجئته فقلت له: أجب رسول الله ﷺ، فخرج معي حتى جاء رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: إن جملك يزعم أنك حرثت عليه زماناً حتى إذا أعجزته وأعجفته وكبر سنه أردت أن تنحره، فقال: والذي بعثك بالحق إن ذلك لكذلك، فقال ﷺ: ما هكذا جزاء المملوك الصالح. ثم قال ﷺ: تبيعه؟ قال: نعم فابتاعه منه ثم أرسله ﷺ في الشجر حتى نصب سنامه». فكان إذا اعتل على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم شيء أعطاه إياه، فمكث كذلك زماناً.

وحكى: القشيري في رسالته وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن عن أحمد بن عطاء الروذباري، أنه قال: كنت راكباً جملاً فغاصت رجلا الجمل في الرمل فقلت: جل الله، فقال الجمل: جل الله.

وحكى: القشيري عنه أيضاً في باب كرامات الأولياء، قال: كلمني رجل في طريق مكة، فقال: إني رأيت جمالاً والمحامل عليها وقد مدت أعناقها في الليل، فقلت سبحان الله سبحان من يحمل عنها ما هي فيه، فالتفت إلي جمل، وقال: قل جل الله. فقلت: جل الله.

غريبة: رأيت بخط بعض العلماء المتقدمين المبرزين، أنه كان بخراسان رجل عائن، فجلس يوماً إلى جماعة فمر بهم قطار جمال فقال العائن: من أي جمل تريدون أن أطعمكم من

---

(١) رواه الترمذي في المناقب: ٥٢.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

(٤) رواه أحمد: ١/٢٠٤ ـ ٢٠٥. وأبو داود في الجهاد: ٤٤.

لحمه؟ فأشاروا إلى جمل من أحسنها، فنظر إليه العائن فوقع الجمل لساعته. وكان صاحب الجمل حكيماً، فقال: من ربط جملي فليحله، وليقل: بسم الله عظيم الشان شديد البرهان ما شاء الله، كان حبس حابس من حجر يابس وشهاب قابس، اللهم إني رددت عين العائن عليه، وفي أحب الناس إليه وفي كبده وكليتيه لحم رقيق، وعظم دقيق فيما له يليق ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾[1]. فوقف الجمل لساعته كأن لم يكن به بأس وندرت عين العائن.

**فائدة**: العائن إذا اعترف أنه قتل غيره بالعين فلا قود عليه، ولا دية ولا كفارة، وإن كانت العين حقاً، لأنه لا يفضي إلى القتل غالباً، ويندب للعائن أن يدعو له بالبركة فيقول اللهم بارك فيه ولا تضره وأن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وذكر القاضي حسين أن نبياً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام استكثر قومه ذات يوم فأمات الله تعالى منهم مائة ألف في ليلة واحدة، فلما أصبح شكا إلى الله من ذلك، فقال الله تعالى له: إنك لما استكثرتهم عنتهم فهلا حصنتهم! فقال: يا رب فكيف أحصنهم؟ قال: تقول حصنتكم بالحي القيوم الذي لا يموت أبداً، ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال القاضي: وهكذا السنة في الرجل إذا رأى نفسه سليمة وأحواله معتدلة، يقول في نفسه ذلك. وكان القاضي يحصن تلامذته بذلك إذا استكثرهم. وذكر الإمام فخر الدين الرازي في بعض كتبه أن العين لا تؤثر ممن له نفس شريفة لأنها استعظام للشيء وما ذكره القاضي حسين يرد ذلك.

وحكى القشيري في رسالته عن محمد بن سعيد البصري أنه قال: بينما أنا أمشي في بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابياً يسوق جملاً، ثم التفت فإذا الجمل قد وقع ميتاً، ووقع الرجل والقتب، فمشيت قليلاً ثم التفت، فإذا الأعرابي يقول يا مسبب كل سبب يا مؤمل كل من طلب رد على ما ذهب، يحمل الرجل والقتب، فقام الجمل وعليه الرجل والقتب. واحياء الموتى كرامة فهو وإن كان عظيماً إلا أنه جائز على القول الصحيح المختار، عند المحققين المعتمدين من أئمة الأصول، إذ ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، بشرط أن لا يدعي التحدي كالنبوة. وإحياء الموتى كرامة للأولياء كثير لا ينحصر وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر طرف من ذلك في أماكنه من هذا الكتاب.

**فائدة**: قال شيخنا اليافعي رحمه الله: لا يلزم أن يكون من له كرامة من الأولياء أفضل ممن ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض، من له كرامة، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها، وكمال المعرفة بالله. ولهذا قال قطب العلوم وتاج العارفين وقرة أعين الصديقين أبو القاسم الجنيد[2] قدس الله سره: قد مشى رجال باليقين على الماء، ومات بالعطش رجال أفضل منهم. وقال أيضاً: اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب وقال أيضاً: اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير وقال: (يعني اليافعي)، قلت: ولأن الكرامة قد تقع لكثير من المحبين والزهاد، ولا تقع لكثير من العارفين، والمعرفة أفضل من

---

(١) سورة الملك: الآية ٤.

(٢) الجنيد.

المحبة عند الأكثرين، وأفضل من الزهد عند الكل. اهـ قلت: وهذا هو المختار عند المحققين والله أعلم.

وفي كتاب خبر البشر بخير البشر، للإمام العلامة محمد بن ظفر[1] أنه كان على باب من أبواب الاسكندرية، صورة جمل من نحاس، عليه راكب من نحاس، في هيئة العرب متزر مرتد، وعليه عمامة وفي رجليه نعلان، كل ذلك من نحاس. وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم: أعطني حقي قبل أن يخرج هذا فيأخذ بحقي منك شئت أو أبيت! ولم يزل الصنم على ذلك حتى افتتح عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أرض مصر، فغيبوا الصنم وفي ذلك إشارة إلى البشارة بمحمد ﷺ.

وحكمه وخواصه: تقدما في الإبل.

الأمثال: قالوا: «الجمل من جوفه يجتر»[2]. يضرب لمن يأكل من كسبه، أو ينتفع بشيء يعود عليه منه ضرر. وقالوا[3]: أخلف من بول الجمل». وهو من الخلف لا من الخلاف، لأنه يبول إلى خلف. وقالوا: «وقع القوم في سلى جمل»[4]. يضرب لمن بلغ في الشدة منتهى غاياتها. كما قالوا: «بلغ السكين العظم»[5] وذلك أن الجمل لا يكون له سلى فأرادوا أنهم وقعوا في أمر صعب. والسلى الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة ما يولد إلا قتلته. وهذا كقولهم: «أعز من الأبلق العقوق»[6] وقالوا: «الثمر في البئر وعلى ظهر الجمل»[7]. وأصله أن منادياً، كان في الجاهلية، يقف على أطم من آطام المدينة حين يدرك الثمر، ينادي بذلك. أي من سقى ماء البئر على ظهر الجمل بالسانية وجد عاقبة سقيه في ثمره. وهذا قريب من قولهم: «عند الصباح يحمد القوم السرى»[8]. وقريب من قول الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن الزرع

وقول الآخر:

تسألني أم الوليد جملا يمشي رويداً ويكون أولاً

يضرب في طلب ما لا يكون، هذا إذا ذكر البيت كله. وأما قولهم: «يمشي رويداً ويكون أولاً»[9] فيضرب للرجل يدرك حاجته في تؤدة ودعة. وأما قولهم[10]: «لا ناقتي فيها ولا جملي»، فسيأتي إن شاء الله تعالى في باب النون في الكلام على الناقة.

التعبير: الجمل في المنام حج لقول النبي ﷺ: «والجمل الأعرابي يدل على الحج» لقوله[11]

---

(١) محمد بن ظفر.
(٢) مجمع الأمثال: ١/١٧٥.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٣٥١.
(٤) المستقصى: ٢/٣٧٧.
(٥) المستقصى: ٢/١٣.
(٦) جمهرة الأمثال: ٢/٥٦.
(٧) مجمع الأمثال: ١/١٣٧.
(٨) جمهرة الأمثال: ٢/٣٨.
(٩) مجمع الأمثال: ٢/٤٢١.
(١٠) جمهرة الأمثال: ٢/٣٠٥.
(١١) سورة النحل: الآية ٧.

تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد﴾ الآية. والجمل البختي رجل أعجمي. ومن رأى جملاً يصول عليه فإنه يخاصم سفيهاً. ومن قاد جملاً بخاطمه، فإنه يهدي رجلاً ضالاً ومن أكل رأس جمل، اغتاب رجلاً رئيساً. ومن رأى جمالاً عرباً، ولي على قوم من الأعراب. ومن رأى جملين يقتتلان، فإنهما ملكان. ومن رأى أنه يجر جملاً فإنه يقهر عدواً. وقال ارطاميدورس: رؤية الجمل تدل على مجاديف السفينة وعلى سرعة سيرها والجمال تدل على أقوام جهال، لا معرفة لهم ولا رأي. والغالب عليهم الذلة ومن رأى أنه سقط من ظهر جمل خشي عليه الفقر. ومن رأى أنه رمحه جمل مرض. والقطار من الجمال إذا كان يتلو بعضها بعضاً أمطار لأن المطر يتلو بعضه بعضاً، وهي تحمل الأثقال كما تحمل السحب الأمطار. وإذا ذبحت الجمال ولم يكن في ذلك المكان رجل فتاك فإنها دعوة لكرام. ومن رأى كأنه صار جملاً فإنه يحمل أثقالاً من تبعات الناس. والبخت سفر بعيد لراكبها بلا عناء. وربما دل الجمل على المسكن، وعلى السفينة، لأنه من سفن البر. وربما دل على الموت، لأنه يظعن بالأحباب إلى الأمكنة البعيدة. وربما دل على الزوجة ويدل الجمل على الحقد وأخذ الثأر ولو بعد حين. وربما دل على الرجل الصبور. وربما دل على البطء في الأحوال لمن يريد الاستعجال. وربما دل الجمل على الجمال، لأنه مشتق من لفظها. وللآية وتدل رؤيا الجمال على الجان، لأنها خلقت من أعين الجان. وتدل الجمال على الأرزاق والفوائد لامتهانها وملكها قال ابن المقري: ورؤية الجمال البخت تدل على الأجلاء من الناس وأرباب الأسفار كالتجار في البر والبحر. وربما دلت على الأعجام والغرباء. وربما تدل رؤيتها على الهموم والأنكاد والسبي وسلب المال. والله سبحانه وتعالى أعلم.

**جمل البحر**: سمكة طولها ثلاثون ذراعاً كذا قاله ابن سيده. وللعجاج[1] فيه رجز حسن، قاله الجاحظ في كتاب البيان والتبيين. وفي حديث أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه أنه أذن في أكل جمل البحر، وهو سمك شبيه بالجمل.

**جمل الماء**: البجع وهو الحوصل وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء المهملة.

**جمل اليهود**: الحرباء وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الحاء المهملة.

**الجمعليلة**: بفتح الجيم والميم الضبع وسيأتي إن شاء الله في باب الضاد المعجمة.

**جميل وجميل**: طائر جاء مصغراً والجمع جملان مثل كعيب وكعبان قال سيبويه: وهو البلبل.

**الجنبر**: كمقعد فرخ الحبارى مثل به سيبويه وفسره السيرافي كذا قاله ابن سيده.

**الجندب**: ضرب من الجراد، وقيل: ذكر الجراد مثلث الدال. والجمع جنادب. قال سيبويه: نونه زائدة. وقال الجاحظ: إنه يحفر بذراعيه ويغوص في الطين وفي الأرض إذا اشتد الحر وربما يطير في شدة الحر أيضاً. وفي الحديث[2] «إن مثل ما بعثني الله تعالى به كمثل رجل أوقد ناراً

---

(١) العجاج: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعثاء، الراجز. مات سنة ٩٠ هـ.
(٢) رواه مسلم في الفضائل: ١٩. وابن حنبل: ٣ ـ ٣٦١ ـ ٣٩٢.

فجعل الجنادب يقعن فيها» الحديث رواه مسلم والترمذي كلاهما عن قتيبة بن سعيد، عن المغيرة ابن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الاعراج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ. وفي حديث ابن مسعود «كان يصلي الظهر والجنادب ينفزْن من الرمضاء» أي تثب من شدة حرارة الأرض.

الجندع: كقنفذ جندب أسود له قرنان طويلان، وهو أثخن الجنادب ولا يؤكل قاله ابن سيده. وقال أبو حنيفة الجندع جندب صغير.

الجن: أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة. وهم خلاف الإنس. الواحد جني ويقال: إنما سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى وجن الرجل جنوناً، وأجنه الله فهو مجنون، ولا تقل مجن وقولهم في المجنون: ما أجنه شاذ لا يقاس عليه، لأنه لا يقال في المضروب: ما أضربه، ولا في المشكوك ما أشكه. روى الطبراني بإسناد حسن، عن أبي ثعلبة الخشني، أن النبي ﷺ قال[1]: «الجن ثلاثة أصناف، فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وصنف يحلون ويظعنون». وكذلك رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب الخاء المعجمة في الكلام على الخشاش، حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال[1]: خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب، وخلق الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم قال الله عز وجل ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[2] وقال تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[3] وصنف أجسادهم كأجساد بني آدم، وأرواحهم كأرواح الشياطين. وصنف في ظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله». قال ابن حبان رواه يزيد بن سفيان الرهاوي، عن أبي المنيب عن يحيى بن كثير، عن أبي سلمة عن أبي الدرداء رضي الله عنه، ويزيد بن سفيان ضعفه يحيى بن معين والامام أحمد بن حنبل وابن المديني.

الحكم: أجمع المسلمون قاطبة على أن نبينا محمداً ﷺ مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس قال الله تعالى ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به﴾[4] ومن بلغ، والجن بلغهم القرآن. وقال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن﴾[5] الآية. وقال[6] تبارك وتعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ وقال عز وجل ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[7] وقال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾[8] قال الجوهري: الناس قد تكون من الإنس والجن، وقال تعالى خطاباً للفريقين: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما

---

(١) رواه أحمد: ١٢٨/٤.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٤٤.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٩.
(٥) سورة الأحقاف: الآية ٢٩.
(٦) سورة الفرقان: الآية ١.
(٧) سورة لأنبياء: الآية ١٠٧.
(٨) سورة سبأ: الآية ٢٨.

تكذبان﴾[1] والثقلان: الإنس والجن، سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض وقيل: لأنهما مثقلان بالذنوب. وقال[2] تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ ولذلك قيل: إن من الجن مقربين وأبراراً، كما أن من الإنس كذلك. وبهذه الآية استدل الجمهور، على أن الجن المؤمنين، يدخلون الجنة ويثابون، كما يثاب الإنس. وخالف أبو حنيفة والليث في ذلك، فقالا ثواب المؤمنين منهم أن يجاروا من النار. وخالفهما الأكثرون حتى أبو يوسف ومحمد وليس لأبي حنيفة والليث حجة سوى قوله[3] تعالى: ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ وقوله[4] تعالى: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾قالا: فلم يذكر في الآيتين ثواباً سوى النجاة من العذاب. والجواب من وجهين أحدهما أن الثواب مسكوت عنه، والثاني أن ذلك من قول الجن ويجوز أن يكونوا لم يطلعوا إلا على ذلك، وخفي عليهم ما أعد الله لهم من الثواب وقيل: إنهم إذا دخلوا الجنة لا يكونون مع الإنس، بل يكونون في ربضها. وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الخلق كلهم أربعة أصناف: فخلق في الجنة كلهم وهم الملائكة، وخلق كلهم في النار وهم الشياطين وخلق في الجنة والنار وهم الجن، والإنس لهم الثواب وعليهم العقاب». وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه شيء وهو أن الملائكة لا يثابون بنعيم الجنة. ومن المستغربات، ما رواه أحمد بن مروان المالكي الدينوري في أوائل الجزء التاسع من المجالسة عن مجاهد، أنه سئل عن الجن المؤمنين أيدخلون الجنة؟ فقال: يدخلونها ولكن لا يأكلون فيها ولا يشربون بل يلهمون التسبيح والتقديس، فيجدون فيهما ما يجد أهل الجنة من لذيذ الطعام والشراب، ويدل لعموم بعثته ﷺ من السنة أحاديث منها ما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[5]: أعطيت جوامع الكلم، وأرسلت إلى الناس كافة» وفيه من حديث جابر رضي الله عنه «وبعثت إلى كل أحمر وأسود»[6] وفي كتاب «خير البشر بخير البشر» للامام العلامة محمد بن ظفر، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه، وهو بمكة: «من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فلينطلق معي فانطلقت معه، حتى إذا كنا بأعلى مكة خط إلي خطا، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فغشيه اسودة كثيرة وحالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته ثم انطلقوا يتقطعون كما يتقطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط، ثم أتى النبي ﷺ فقال: ما فعل الرهط؟ قلت: هم أولئك يا رسول الله. قال: فأخذ عظماً وروثاً فأعطاهم إياه ونهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث»[7] وفي اسناده ضعف، وفيه أيضاً عن بلال بن الحارث رضي الله عنه، قال: نزلنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره بالعرج، فتوجهت نحوه فلما قاربته سمعت لغطاً وخصومة رجال، لم أسمع لغة أحد من ألسنتهم، فوقفت حتى جاء النبي ﷺ وهو يضحك،

---

(1) سورة الرحمن: الآية ٣١ ــ ٣٢.

(2) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

(3) سورة الأحقاف: الآية ٣١.

(4) سورة الجن: الآية ١٣.

(5) رواه البخاري في التعبير: ١١، ومسلم في المساجد: ٥ وابن حنبل: ٢، ٢٥٠، ٤١٢، ٤٤٢، ٥٠١.

(6) رواه الدارمي في السير: ٢٨. ومسلم في المساجد: ٣.

(7) رواه النسائي في الطهارة: ٣٤، ٣٥. ورواه البخاري في الوضوء: ٢١ ــ ٢٠. ورواه مسلم في الطهارة: ٥٨. وأبو داود في الطهارة: ٤٥، والترمذي في الطهارة: ٦٤ وغيرهم.

فقال: «اختصم إلي الجن المسلمون والجن المشركون، وسألوني أن أسكنهم فأسكنت المسلمين الجلس، وأسكنت المشركين الغور». وكل مرتفع من الأرض جلس ونجد وكل منخفض غور. وفيه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وخبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. فقالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فالتقى الذين أخذوا نحو تهامة النبي ﷺ وأصحابه وهم بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، «وهو ﷺ يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن أنصتوا له، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، ورجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبًا﴾(١) الآيتين(٢). وهذا الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما أول ما كان من أمر الجن مع النبي ﷺ ولم يكن النبي ﷺ رآهم إذ ذاك، إنما أوحي إليه بما كان منهم. وفيه أيضاً، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ، ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه، في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم! فقال(٣) ﷺ: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال: فانطلق بنا فأرانا آثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه، تأخذونه فيقع في أيديكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعر علف لدوابكم». ثم قال(٤) ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم».

وروى الطبراني بإسناد حسن، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة الصبح، في مسجد المدينة، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة» فسكت القوم ولم يتكلم منهم أحد. قال ذلك ثلاثاً، فمر بي يمشي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتى تباعدت عنا جبال المدينة كلها، وأفضينا إلى أرض براز وإذا رجال طوال كأنهم الرماح متذثري ثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم، غشيتني رعدة شديدة، حتى ما تمسكني رجلاي، من الفرق، فلما دنونا منهم خط لي رسول الله ﷺ بابهام رجله في الأرض خطا وقال لي «اقعد في وسطه» فلما جلست ذهب عني كل شيء كنت أجده من ريبة، ومضى رسول الله ﷺ بيني وبينهم فتلا قرآناً رفيعاً، حتى طلع الفجر، ثم أقبل ﷺ حتى مر بي فقال: «الحق بي» فجعلت أمشي معه فمضينا غير بعيد، فقال ﷺ لي: «التفت فانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد؟» فالتفت فقلت: يا رسول الله سواداً كثيراً فخفض رسول الله ﷺ رأسه إلى الأرض فنظر عظماً وروثة «فرمى بهما إليهم» ثم قال(٥) ﷺ: «هؤلاء وفد جن نصيبين سألوني الزاد فجعلت لهم كل

---

(١) سورة الجن: الآية ١.

(٢) رواه البخاري في الأذان: ١٠٥. وفي تفسير سورة ٧٢. ورواه مسلم في الصلاة: ١٤٩. والترمذي في تفسير سورة: ٧٢.

(٣) رواه مسلم في الصلاة: ١٥٠.

(٤) رواه مسلم: طهارة ١٤٥. الدارمي: وضوء ١٢. أحمد: ٣ ـ ٤٨٧.

(٥) رواه البخاري في مناقب الأنصار: ٣٢.

عظم وروثة». قال الزبير رضي الله عنه: فلا يحل لأحد أن يستنجي بعظم ولا روثة. وروي أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: استبعني رسول الله ﷺ ليلة فقال: «إن نفراً من الجن خمسة عشر، بنو اخوة وبنو عم، يأتون الليلة فأقرأ عليهم القرآن». فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فجعل لي خطاً ثم أجلسني فيه، وقال: «لا تخرج من هذا» فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر، وفي يده عظم حائل وروثة وحمة. فقال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت الخلاء فلا تستنج بشيء من هذا» قال: فلما أصبحت قلت: لأعلمن حيث كان رسول الله ﷺ، فذهبت فرأيت موضع سبعين بعيراً. وروى الشافعي والبيهقي أن رجلاً من الأنصار رضي الله عنهم، خرج يصلي العشاء فسبته الجن وفقد أعواماً، وتزوجت زوجته. ثم أتى المدينة فسأله عمر رضي الله عنه، عن ذلك، فقال: اختطفتني الجن، فلبثت فيهم زماناً طويلاً، فغزاهم جن مؤمنون وقاتلوهم، فأظفرهم الله عليهم، وسبوا منهم سبايا وسبوني معهم، فقالوا: نراك رجلاً مسلماً، ولا يحل لنا سباؤك، فخيروني بين المقام عندهم والقفول إلى أهلي؟ فاخترت أهلي فأتوا بي إلى المدينة فقال له عمر رضي الله عنه: ما كان طعامهم؟ قال: الفول وكل ما لم يذكر اسم الله عليه. قال: فما كان شرابهم؟ قال: الجدف. وهو الرغوة، لأنها تجدف عن الماء، وقيل: نبات يقطع ويؤكل، وقيل كل إناء كشف عنه غطاؤه. وأما الاجماع فنقل ابن عطية وغيره الاتفاق على أن الجن متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص، وأن نبينا محمداً ﷺ مبعوث إلى الثقلين، فإن قيل: لو كانت الأحكام بجملتها لازمة لهم لكانوا يترددون إلى النبي ﷺ، حتى يتعلموها، ولم ينقل أنهم أتوه إلا مرتين بمكة، وقد تجدد بعد ذلك أكثر الشريعة قلنا: لا يلزم من عدم النقل عدم اجتماعهم به، وحضوره مجلسه وسماعهم كلامه، من غير أن يراهم المؤمنون، ويكون هو ﷺ يراهم، ولا يراهم أصحابه، فإنه تعالى يقول[1] عن رأس الجن: ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ فقد يراهم ﷺ بقوة يعطيها الله له زائدة على قوة أصحابه، وقد يراهم بعض الصحابة في بعض الأحوال كما رأى أبو هريرة رضي الله عنه الشيطان الذي أتاه ليسرق من زكاة رمضان. كما رواه البخاري فإن قيل: ما تقول فيما حكي عن بعض المعتزلة انه ينكر وجود الجن؟ قلنا عجيب أن يثبت ذلك عمن يصدق بالقرآن، وهو ناطق بوجودهم. وروى البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال[2]: «ان عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة، يريد أن يقطع عليّ صلاتي فذعته، بالذال المعجمة والعين المهملة، أي خنقته، وأردت أن أربطه في سارية من سواري المسجد، فذكرت قول أخي سليمان، وقال[3] ﷺ: «إن بالمدينة جناً قد أسلموا وقال: لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة». وروى مسلم عن سالم بن عبد الله بن أبي الجعد وليس له في الكتب الستة سواه عن ابن مسعود

---

(١) سورة الأعراف: آية ٢٧.

(٢) رواه البخاري في الصلاة: ٧٥، الأنبياء: ٤٠، تفسير سورة: ٣٨. ورواه مسلم في المساجد: ٣٩. وأحمد: ٢٩٨/٢.

(٣) رواه البخاري في الأذان: ٥، وبدء الخلق: ١٢، والتوحيد: ٥٢. والنسائي أذان: ١٤، وابن ماجه أذان: ٥ والموطأ نداء: ٥. وابن حنبل: ٣، ٦، ٣٥، ٤٣.

رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»[1]. روي فأسلم بفتح الميم وضمها وصحح الخطابي الرفع ورجح القاضي عياض والنووي الفتح وهو المختار. وأجمعت الأمة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان، وإنما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا أنه معنا لنحترز منه، بحسب الإمكان. وأما عصمته ﷺ من الكبائر، فمجتمع عليها وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وفي الصغائر خلاف ليس هذا موضع ذكره. والصحيح أنهم صلى الله عليهم وسلم معصومون من الكبائر والصغائر. وكذلك الملائكة عليهم السلام كما قاله القاضي وغيره من المحققين. فإذا علم هذا فاعلم أن الأحاديث في وجود الجن والشياطين لا تحصى وكذلك أشعار العرب وأخبارها، فالنزاع في ذلك مكابرة فيما هو معلوم بالتواتر ثم إنه أمر لا يحيله العقل، ولا يكذبه الحس ولذلك جرت التكاليف عليهم. ومما اشتهر أن سعد بن عبادة رضي الله عنه لما لم يبايعه الناس وبايعوا أبا بكر رضي الله عنه، سار إلى الشام فنزل حوران وأقام بها إلى أن مات في سنة خمس عشرة ولم يختلف أنه وجد ميتاً في مغتسله بحوران وأنهم لم يشعروا بموته بالمدينة حتى سمعوا قائلاً يقول في بئر:

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة
فرميناه بسهمين ولم نخط فؤاده

فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه. ووقع في صحيح مسلم أن سعداً شهد بدراً. وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس: والصحيح أنه لم يشهد بدراً. كذا رواه الطبراني من حديث محمد بن سيرين وقتادة وكلاهما أدرك سعد أو روى عن حجاج بن علاط السلمي وهو والد نصر بن حجاج الذي قيل[2] فيه:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

انه قدم مكة في ركب فأجنهم الليل بواد مخيف موحش، فقال له أهل الركب: قم فخذ لنفسك أماناً ولأصحابك فجعل يطوف بالركب ويقول:

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي ... من كل جني بهذا النقب
حتى أعود سالما وركبي

فسمع قائلاً يقول: ﴿يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾[3] الآية فلما قدم مكة أخبر كفار قريش بما سمع، فقالوا: صبأت يا أبا كلاب. إن هذا الذي قلته يزعم محمد أنه أنزل عليه، فقال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي. ثم أسلم وحسن إسلامه، وهاجر إلى المدينة، وابتنى بها مسجداً يعرف به. وعند ابن سعدو الطبراني

---

(١) رواه مسلم في المنافقين: ٦٩، والدارمي في الرفاق ٢٥. وابن حنبل: ١ ـ ٣٨٥ ـ ٣٩٧ ـ ٤٠١ ـ ٤٦٠.

(٢) عيون الأخبار: ٢٤/٤. وفيه: «ألا سبيل... أم هل سبيل».

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

والحافظ أبي موسى وغيرهم عمرو بن جابر الجني في الصحابة فرووا بأسانيدهم عن صفوان بن المعطل السلمي أنه قال خرجنا حجاجاً فلما كنا بالعرج، إذا نحن بحية تضطرب فلم نلبث أن ماتت، فأخرج لها رجل منا خرقة فلفها فيها ثم حفر لها في الأرض. ثم قدمنا مكة فأتينا المسجد الحرام فوقف علينا رجل فقال: أيكم صاحب عمرو بن جابر؟ قلنا: ما نعرفه. قال: أيكم صاحب الجان[1]؟ قالوا: هذا. قال: جزاك الله عنا خيراً. أما انه كان آخر التسعة من الجن الذين سمعوا القرآن من النبي ﷺ. وكذلك رواه الحاكم في المستدرك في ترجمة صفوان بن المعطل وذكر ابن أبي الدنيا عن رجل من التابعين أن حية دخلت عليه في خبائه تلهث عطشاً فسقاها ثم إنها ماتت فدفنها فأتى من الليل فسلم عليه وشكر، وأخبر أن تلك الحية كان رجلاً صالحاً من جن نصيبين، اسمه زوبعة، قال: وبلغنا من فضائل عمر بن عبد العزيز الأموي أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنه أنه كان يمشي بأرض فلاة فإذا بحية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فإذا قائل يقول: يا سرق اشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول لك: ستموت بأرض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح فقال: ومن أنت يرحمك الله؟ فقال: من الجن الذين استمعوا القرآن من رسول الله ﷺ ولم يبق منهم، إلا أنا وسرق هذا الذي قد مات. وفي كتاب خير البشر بخير البشر، عن عبيد المكتب، عن ابراهيم، قال: خرج نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، وأنا معهم يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا حية بيضاء تنثنى على الطريق، يفوح منها ريح المسك قال: فقلت لأصحابي امضوا فلست ببارح حتى أنظر ماذا يصير إليه أمرها فما لبثت أن ماتت، فظننت بها الخير لمكان الرائحة الطيبة فكفنتها في خرقة ثم نحيتها عن الطريق ودفنتها. وأدركت أصحابي في المتعشى قال فوالله انا لقعود، إذا أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقال واحدة منهن: أيكم دفن عمراً؟ فقلنا من عمر؟ فقالت: أيكم دفن الحية؟ قال: فقلت: أنا. قالت أما والله لقد دفنت صوّاماً قوّاماً يؤمن بما أنزل الله عز وجل، ولقد آمن بنبيكم محمد ﷺ وسمع صفته في السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة. قال: فحمدت الله تعالى ثم قضينا حجنا ثم مررت بعمر رضي الله تعالى عنه فأخبرته خبر الحية والمرأة، فقال: صدقت، سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه هذا. وفيه أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت عند أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، إذ جاءه رجل فقال: ألا أحدثك بعجيب يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى قال: بينا أنا بفلاة من الأرض لقيت عصابتين قد التفتا ثم افترقتا، قال: فجئت معتركهما فإذا من الحيات شيء ما رأيت مثله قط، وإذا ريح المسك أجده من حية منها صفراء دقيقة، فظننت أن تلك الرائحة لخير فيها فأخذتها، ولففتها في عمامتي ثم دفنتها. فبينما أنا أمشي إذ أنا بمناد ينادي هداك الله ان هذين حيان من الجن كان بينهما قتال فاستشهد الحية التي دفنتها وهو من الذين استمعوا الوحي من رسول الله ﷺ. وفيه أيضاً أن فاطمة بنت النعمان النجارية قالت: قد كان لي تابع من الجن فكان إذا جاء اقتحم البيت الذي أنا فيه اقتحاماً، فجاءني يوماً فوقف على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع، فقلت له، ما بالك لم تصنع ما كنت تصنع صنيعك قبل؟ فقال: انه قد بعث اليوم نبي يحرم الزنا. وروى البيهقي في دلائله عن الحسن أن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قاتلت مع

(١) رواه أحمد: ٥ ــ ٣١٢.

رسول الله ﷺ الجن والإنس فسئل عن قتال الجن، فقال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى بئر أستقي منها، فرأيت الشيطان في صورته فصارعني فصرعته، ثم جعلت أدمي أنفه بفهر كان معي أو حجر. فقال ﷺ لأصحابه إن عماراً لقي الشيطان عند البئر فقاتله، فلما رجعت سألني فأخبرته الأمر فكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: إن عمار بن ياسر أجاره الله من الشيطان على لسان رسوله ﷺ. وقد أشار إليه البخاري، فيما رواه، عن ابراهيم النخعي قال: «ذهب علقمة إلى الشأم، فلما دخل المسجد، قال: اللهم يسر لي جليساً صالحاً فجلس إلى أبي الدرداء فقال أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أوليس فيكم أو منكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة، قلت: بلى. قال: أوليس فيكم أو منكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه محمد ﷺ؟ يعني عماراً، قلت: بلى. قال: أوليس فيكم أو منكم صاحب السواك والوساد؟ قلت: بلى. قال: كيف كان عبد الله يقرأ ﴿والليل إذا يغشى، والنهار إذا تجلى﴾[1] قلت: والذكر والأنثى» وذكر الحديث[2]. وروى أبو بكر في رباعياته، والقاضي أبو يعلى عن عبد الله بن حسين المصيصي، قال: دخلت طرسوس، فقيل لي: ههنا امرأة يقال لها نهوس رأت الجن الذين وفدوا على رسول الله ﷺ فأتيتها فإذا هي امرأة مستلقية على قفاها فقلت: أرأيت أحداً من الجن الذين وفدوا على رسول الله ﷺ قالت: نعم حدثني سمحج وسماه النبي ﷺ عبد الله قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل خلق السموات والأرض؟ قال على حوت من نور يتلجلج في النور قالت: قال: تعني سمحج. وسمعته ﷺ يقول: «ما من مريض يقرأ عنده سورة يس إلا مات ريان ودخل قبره ريان وحشر يوم القيام ريان».

وأغرب من هذا ما في أسد الغابة تبعاً لأبي موسى باسنادهما عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ خارجاً من جبال مكة، إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازه فقال النبي ﷺ مشية جني ونغمته، قال: أجل فقال النبي ﷺ: من أي الجن؟ قال أنا هامة بن الهيم أو ابن هيم بن لاقيس بن ابليس. فقال: لا أرى بينك وبينه إلا أبوين قال: أجل. قال كم أتى عليك؟ قال أكلت الدنيا إلا أقلها، كنت ليالي قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنت أتشوف على الآكام وأورش بين الأنام. فقال رسول الله ﷺ: بئس العمل؟ فقال يا رسول الله دعني من العتب فإني ممن آمن بنوح وتبت على يديه وإني عاتبته في دعوته فبكى وأبكاني وقال: إني والله لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت هوداً وآمنت به، ولقيت ابراهيم وكنت معه في النار إذ ألقي فيها، وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب، فسبقته إلى قعره ولقيت شعيباً وموسى، ولقيت عيسى بن مريم، فقال لي: إن لقيت محمداً فاقرئه مني السلام وقد بلغت رسالته، وآمنت بك فقال النبي ﷺ: على عيسى وعليك السلام، ما حاجتك يا هامة قال: إن موسى علمني التوراة، وعيسى علمني الإنجيل، فعلمني القرآن. فعلمه». وفي رواية أنه ﷺ علمه عشر سور من القرآن وقبض رسول الله ﷺ ولم ينعه إلينا فلا نراه، والله أعلم، إلا حياً.

---

(١) سورة الليل: الآية ١ ــ ٢.

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة: ٣٠ ــ ٢٧، والترمذي في المناقب: ٣. والنسائي في الصلاة: ٩. وابن حنبل: ٥ ــ ١٩٤. ٦ ــ ٤٤٤ ــ ٤٤٩ ــ ٤٥٠ ــ ٤٥١.

وفيه أيضاً عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أنه قال ذات يوم لابن عباس: حدثني بحديث تعجبني به، قال: حدثني أبو خزيم بن فاتك الأسدي أنه خرج يوماً في الجاهلية في طلب إبل له قد ضلت فأصابها في ابرق العزاف. وسمي بذلك لأنه يسمع فيه عزيف الجن. قال: فعقلتها وتوسدت ذراع بكر منها ثم قلت: أعوذ بعظيم هذا المكان. وفي رواية بكبير هذا الوادي وإذا بهاتف يهتف بي ويقول:

ويحك عذ بالله ذي الجلال ... منزل الحرام والحلال
ووحد الله ولا تبال ... ما هول ذا الجني من الأهوال

فقلت:

يا أيها الداعي فما تخيل ... أرشد عندك أم تضليل

فقال:

هذا رسول الله ذو الخيرات ... جاء بياسين وحاميمات
وسور بعد مفصلات ... يدعو إلى الجنة والنجاة
يأمر بالصوم والصلاة ... ويزجر الناس عند الهنات

قال: فقلت: من أنت أيها الهاتف يرحمك الله؟ قال: أنا مالك بن مالك بعثني رسول الله ﷺ إلى جن أهل نجد. قال: فقلت: لو كان لي من يكفيني إبلي هذه لأتيته حتى أؤمن به فقال: إن أردت الأسلام فأنا أكفيكها حتى أردها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى. قال: فامتطيت راحلتي وقصدت المدينة فقدمتها في يوم جمعة فأتيت المسجد فإذا رسول الله ﷺ يخطب فأنخت راحلتي بباب المسجد وقلت ألبث حتى يفرغ من خطبته، فإذا أبو ذر قد خرج فقال: إن رسول الله ﷺ قد أرسلني إليك وهو يقول لك: مرحباً بك قد بلغني إسلامك فادخل فصل مع الناس. قال: فتطهرت ودخلت فصليت. ثم دعاني. قال: ما فعل الشيخ الذي ضمن أن يرد إبلك إلى أهلك؟. أما إنه قد ردها إلى أهلك سالمة؟ فقلت: جزاه الله خيراً ورحمه الله فقال رسول الله ﷺ: أجل رحمه الله، فأسلم وحسن إسلامه. وفي مسند الدارمي عن الشعبي، قال: قال: عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلاً من الجن فصارعه فصرعه الإنسي، فقال له الإنسي: إني أراك ضئيلاً شخيتاً، كأن ذراعيك ذراعا كلب فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم كذلك؟ قال: «لا والله إنني من بينهم لضليع ولكن عاودني الثانية فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك. قال: نعم فعاوده فصرعه. فقال له: أتقرأ الله لا إله إلا هو الحي القيوم؟ قال: نعم. قال: فإنك لا تقرؤها في بيت إلا خرج منه الشيطان له حجج كحجج الحمار، ثم لا يدخله حتى يصبح»[1] قال الدارمي: الضئيل الدقيق. والشخيت المهزول، والضليع جيد الأضلاع. والحجج الريح. وقال أبو عبيدة الحجج الضراط وسيأتي في

---

(١) رواه الدارمي في فضائل القرآن: ١٤.

باب الغين المعجمة في لفظ الغول حديث أبي هريرة وحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنهما في ذلك إن شاء الله تعالى.

**مسألة**: يصح انعقاد الجمعة بأربعين مكلفاً سواء كانوا من الجن أو من الإنس أو منهما قاله القمولي. لكن نقل الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري في مناقب الشافعي رضي الله تعالى عنه التي ألفها عن الربيع أنه قال: سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول: من زعم، من أهل العدالة، أنه يرى الجن، ردت شهادته وعزر، لمخالفته لقوله(١) تعالى **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾** إلا أن يكون الزاعم نبياً ونظير هذا قول الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في الفتاوى: من منع التفضيل بين الأنبياء يعزر لمخالفته القرآن. ويحمل قول الشافعي رحمه الله على من ادعى رؤيتهم على ما خلقوا عليه ويحمل كلام القمولي على ما إذا تصوروا في صورة بني آدم، كما تقدم قريباً.

واعلم أن المشهور أن جميع الجن من ذرية ابليس، وبذلك يستدل على أنه ليس من الملائكة لأن الملائكة لا يتناسلون، لأنهم ليس فيهم إناث. وقيل: الجن جنس، وابليس واحد منهم ولا شك أن الجن ذريته، بنص القرآن، ومن كفر من الجن يقال له شيطان. وفي الحديث: «لما أراد الله أن يخلق لأبليس نسلاً وزوجة ألقى عليه الغضب، فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته». ونقل ابن خلكان في تاريخه في ترجمة الشعبي واسمه عامر أنه قال: إني لقاعد يوماً إذ أقبل حمال ومعه دن، فوضعه ثم جاءني فقال: أنت الشعبي؟ فقلت: نعم. قال: أخبرني هل لأبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك العرس ما شهدته! قال: ثم ذكرت قوله(٢) تعالى: **﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾** فقلت: إنه لا تكون ذرية إلا من زوجة، فقلت: نعم. فأخذ دنه وانطلق، قال: فرأيت أنه مجتاز بي وروى أن الله تعالى قال لأبليس: لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها، فليس من ولد آدم أحد إلا وله شيطان قد قرن به، وقيل: إن الشياطين فيهم الذكور والإناث، فيتوالدون من ذلك، وأما ابليس فإن الله تعالى خلق له في فخذه اليمنى ذكراً وفي اليسرى فرجاً فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات، يخرج من كل بيضة سبعون شيطاناً وشيطانة، وذكر مجاهد أن من ذرية إبليس لاقيس وولهان، وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف. وهو صاحب الصحارى ومرة وبه يكنى وزلنبور، وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب، ومدح السلعة، وبثر وهو صاحب المصائب، يزين خمش الوجوه ولطم الخدود ودوشق الجيوب، والأبيض وهو الذي يوسوس للأنبياء عليهم السلام، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المرأة، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى دخل معه ووسوس له فألقى الشر بينه وبين أهله، فإن أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه، فإذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى ورأى شيئاً يكرهه وخاصم أهله فليقل داسم داسم أعوذ بالله منه، ومطوس وهو صاحب الأخبار يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس، ولا يكون لها أصل ولا حقيقة، والاقنص وأمهم طرطبة، وقال النقاش: بل هي حاضنتهم

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥٠.

ويقال: إنه باض ثلاثين بيضة عشر في المغرب وعشر في المشرق وعشر في وسط الأرض وانه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين كالغيلان والعقارب والقطارب والجان وأسماء أخرى مختلفة. ثم كلهم عدو لبني آدم لقوله[1] تعالى ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ وهم لكم عدوّ إلا من آمن منهم قال النووي رحمه الله: ابليس كنيته أبو مرة واختلف العلماء في أنه هل هو من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن؟ أم ليس من الملائكة وفي اسمه هل هو اسم أعجمي أم عربي؟ قال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جرير والزجاج وابن الأنباري: كان ابليس من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن وكان اسمه بالعبرانية عزازيل وبالعربية الحارث وكان من خزان الجنة وكان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً وكان يسوس ما بين السماء والأرض فرأى بذلك لنفسه شرفاً عظيماً وعظمة فذاك الذي دعاه إلى الكبر فعصى وكفر فمسخه الله شيطاناً رجيماً ملعوناً نعوذ بالله من خذلانه ومقته ونسأله العافية والسلامة في الدين والدنيا والآخرة. ولذلك قيل: إذا كانت خطيئة الإنسان في كبر فلا ترجه، وإن كانت خطيئته في معصية فارجه. قالوا: وقوله تعالى: ﴿كان من الجـن﴾ أي من طائفة من الملائكة، يقال لهم: الجن، وقال سعيد بن جبير والحسن البصري: لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس. وقال عبد الرحمن بن زيد وشهر ابن حوشب ما كان من الملائكة قط. والاستثناء منقطع زاد شهر بن حوشب، وإنما كان من الجن الذين ظفر بهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء. وقال أكثر أهل اللغة والتفسير: إنما سمي ابليس لأنه أبلس من رحمة الله. والصحيح كما قاله الإمام النووي وغيره من الأئمة الأعلام أنه من الملائكة وأن اسمه أعجمي وأن الاستثناء متصل لأنه لم ينقل أن غيرهم أمر بالسجود والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه، وقال القاضي عياض: الأكثر على أنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب. قال الله تعالى: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾[2] والصحيح المختار ما سبق عن النووي ومن وافقه وعن محمد بن كعب القرظي أنه قال: الجن مؤمنون والشياطين كفار وأصلهم واحد. وسئل وهب بن منبه عن الجن ما هم وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون؟ فقال: هم أجناس فأما الصميم الخالص من الجن فإنهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون في الدنيا ولا يتوالدون. ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالي والغيلان، والقطارب وأشباه ذلك وستأتي في أبوابها إن شاء الله.

**فائدة:** قال القرافي: اتفق الناس على تكفير ابليس بقصته مع آدم عليه الصلاة والسلام، وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود وإلا لكان كل من أمر بالسجود فامتنع منه كافراً، وليس كذلك ولا كان كفره لكونه حسد آدم على منزلته من الله تعالى، وإلا لكان كل حاسد كافراً، وليس كذلك، ولا كان كفره لعصيانه وفسوقه وإلا لكان كل عاص وفاسق كافراً. وقد أشكل ذلك على جماعة من متأخري الفقهاء فضلاً عن غيرهم، وينبغي أن يعلم أنه إنما كفر لنسبته

---

(١) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

الحق جل جلاله إلى الجور، والتصرف الذي ليس بمرضي، وظهر ذلك فحوى قوله: ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾[1] ومراده على ما قاله الأئمة المحققون، من المفسرين وغيرهم، أن الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم فهذا وجه كفره لعنه الله. وقد أجمع المسلمون قاطبة على أن من نسب ذلك للحق تعالى كان كافراً. واختلف هل كان قبل ابليس كافر أو لا فقيل: لا وإنه أول من كفر. وقيل: كان قبله قوم كفار وهم الجن الذين كانوا في الأرض إنتهى وقد اختلف أيضاً في كفر ابليس، هل كان جهلاً أو عناداً؟ على قولين لأهل السنة والجماعة ولا خلاف، أنه كان عالماً بالله تعالى قبل كفره فمن قال: انه كفر جهلاً، قال: انه سلب العلم الذي كان عنده عند كفره ومن قال: إنه كفر عناداً قال: إنه كفر ومعه علمه. قال ابن عطية: والكفر مع بقاء العلم مستبعد إلا أنه عندي جائز لا يستحيل مع خذلان الله تعالى لمن يشاء وروى البيهقي في شرح الأسماء الحسنى في آخر باب قوله تعالى: ﴿**وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله**﴾[2] عن عمر بن ذر قال: سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق ابليس. وقد بين ذلك في آية من كتابه وفصلها، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وهي قوله[3] تعالى: ﴿**ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم**﴾ ثم روى من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: يا أبا بكر لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق ابليس إنتهى وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد أينام ابليس؟ فقال: لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن منه إلا بتقوى الله تعالى. وقال في الإحياء قبيل بيان دواء الصبر: من غفل عن ذكر الله تعالى، ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان. قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾[4] وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ» لأن الشاب إذا لم يشغل ظاهره بمباح يستعين به على دينه عشش الشيطان في قلبه وباض وفرخ، ثم تزدوج أفراخه أيضاً ويبيض ويفرخ مرة أخرى وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار والنار، إذا وجدت الحلفاء اليابسة، كثر توالدها فلاتزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة، فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار ولذلك قال الحسين الحلاج: هي نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

**فائدة**: ذكر بعض العلماء العاملين أن الله تعالى افترض على خلقه فريضتين في آية واحدة، والخلق عنها غافلون فقيل له: وما هي؟ فقال: قال الجليل جل جلاله ﴿**ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً**﴾[5] فهذا أمر منه سبحانه لنا بأن نتخذه عدواً فقيل له: كيف نتخذه عدواً ونتخلص منه؟ فقال: اعلم ان الله تعالى جعل لكل مؤمن سبعة حصون. فالحصن الأول من ذهب، وهو معرفة الله تعالى، وحوله حصن من فضة وهو الايمان به تعالى وحوله حصن من حديد وهو التوكل عليه جل وعلا، وحوله حصن من حجارة، وهو الشكر والرضا عنه عز شأنه، وحوله حصن من

(١) سورة ص: الآية ٥٦.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١١١.
(٣) سورة الصافات: الآية ١٦٣.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٣٦.
(٥) سورة فاطر: الآية ٦.

فخار وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بهما، وحوله حصن من زمرد، وهو الصدق والاخلاص له تعالى، وحوله حصن من لؤلؤ رطب، وهو أدب النفس. فالمؤمن من داخل هذه الحصون، وابليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب، والمؤمن لا يبالي به لأنه قد تحصن بهذه الحصون. فينبغي للمؤمن أن لا يترك أدب النفس في جميع أحواله ويتهاون به في كل ما يأتي، فإن من ترك أدب النفس وتهاون به، فإنه يأتيه الخذلان لتركه حسن الأدب مع الله تعالى، ولايزال ابليس يعالجه، ويطمع فيه ويأتيه حتى يأخذ منه جميع الحصون، ويرده إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك. انتهى وما ذكره من الفريضتين في الآية قد يشكل، فيقال: ليس فيها إلا فريضة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿فاتخذوه عدواً﴾[1] إذ الأمر يقتضي الوجوب عند عدم قرينة تدل على خلافه. وقد سألت شيخنا الإمام اليافعي رحمه الله عن الفريضة الثانية، أين هي من الآية؟ فأجاب قدّس الله روحه، بأن فيها فريضة علمية وفريضة عملية، فالأولى العلم بكونه عدوّاً والثانية العمل في اتخاذ العداوة له انتهى وأما ما تقدم من ذكر الحصون فهو في نهاية الحسن والتحقيق، لكن قد يستولي الشيطان على بعض الحصون المذكورة دون بعض فيرد العبد إلى الفسق دون الكفر، فيستحق النار من غير تخليد، وقد لا يرده إلى الفسق، ولكن يردّه إلى ضعف الايمان، فلا يستحق النار ولكن يستحق النزول عن رتبة أهل الايمان الكامل، وكلّ هذا التفاوت بسبب تفاوت الحصون المذكورة، إذ ليس أخذ حصن المعرفة والإيمان كأخذ بقية الحصون المذكورة، وبقية الحصون تتفاوت أيضاً، فليس أخذ حصن الصدق والإخلاص، كأخذ حصن الأمر والنهي وكذلك سائر الحصون، والكلام في ذلك يطول ولكن مهما بقي حصن الايمان وحصن التوكل كاملين للعبد لم يقدر عليه الشيطان، لقوله تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾[2] وهؤلاء المتصفون بالعبودية الكاملة لقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[3] وهم المؤمنون حقاً لقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾[4] ثم قال في آخر وصفهم: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾[5] وقد يكون أخذ حصن واحد مؤدّياً إلى الكفر، وموجباً للتخليد في النار، كحصن الإيمان بالله. ونعوذ بالله من ذلك، ولكن لا يقدر على أخذ حصن الايمان، حتى يأخذ الحصون التي حوله نسأل الله الكريم الهدى والسلامة من الزيغ والردى. واعلم أن أوّل الواجبات المعرفة، وقال الاستاذ: النظر وقال ابن فورك وإمام الحرمين: القصد إلى النظر وقد بسطنا الكلام على ذلك، في كتابنا الجوهر الفريد في علم التوحيد، وما قاله في ذلك علماء الشريعة ومشايخ الصوفية رحمهم الله تعالى. فليراجع ذلك في الجزء السابع من الكتاب المذكور، وبالله التوفيق. واختلفوا هل بعث الله تعالى من الجن إليهم رسلاً قبل بعثة نبينا محمد ﷺ؟ فقال الضحاك: كان منهم رسل لظاهر قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم﴾[6] وقال المحققون: لم يرسل إليهم منهم رسول ولم يكن ذلك في الجن قط وإنما الرسل من الإنس خاصة، وهذا هو الصحيح

---

(١) سورة فاطر: الآية ٦.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٩.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٦٥.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٢.
(٥) سورة الأنفال: الآية ٤.
(٦) سورة الأنعام: الآية ٣٠.

المشهور. وأما الجن ففيهم النذر. وأما الآية فمعناها من أحد الفريقين، كقوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[1] وإنما يخرجان من الملح دون العذب. وقال منذر بن سعيد البلوطي: قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: إن الذين لقوا النبي ﷺ من الجن، كانوا رسلاً إلى قومهم، وقال مجاهد: النذر من الجن، والرسل من الإنس ولا شك أن الجن مكلفون في الأمم الماضية كما هم مكلفون في هذه الأمة لقوله تعالى: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[3] وقيل المراد: مؤمنو الفريقين. فما خلق أهل الطاعة منهم إلا لعبادته، وما خلق الأشقياء إلا للشقاوة، ولا مانع من اطلاق العام وإرادة الخاص. وقيل: معناه إلا لآمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها وقيل: إلا ليوحدون، فإن قيل: لم اقتصر على الفريقين ولم يذكر الملائكة؟ فالجواب أن ذلك لكثرة من كفر من الفريقين، بخلاف الملائكة فإن الله قد عصمهم كما تقدم، فإن قيل: لم قدّم الجن على الإنس في هذه الآية؟ فالجواب أن لفظ الإنس أخف لمكان النون الخفيفة والسين المهموسة، فكان الأثقل أولى بأوّل الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وراحته.

فرع: كان الشيخ عماد الدين بن يونس رحمه الله، يجعل من موانع النكاح اختلاف الجنس، ويقول: لا يجوز للإنسي أن يتزوج جنية لقوله[4] تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ وقال[5] تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة﴾ فالمودة الجماع والرحمة الولد. ونص على منعه جماعة من أئمة الحنابلة. وفي الفتاوى السراجية: لا يجوز ذلك لاختلاف الجنس. وفي القنية سئل الحسن البصري عنه؟ فقال: يجوز بحضرة شاهدين. وفي مسائل ابن حرب، عن الحسن وقتادة أنهما كرها ذلك. ثم روي بسند فيه ابن لهيعة، أن النبي ﷺ «نهى عن نكاح الجن». وعن زيد العمى، أنه كان يقول: اللهم ارزقني جنية أتزوج بها تصاحبني حيثما كنت. وروى ابن عدي في ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن الطحاوي قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال: قدم علينا نعيم بن سالم مصر فسمعته يقول: تزوجت امرأة من الجن. فلم أرجع إليه. وروى في ترجمة سعيد بن بشير، عن قتادة، عن النضر بن أنس، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحد أبوي بلقيس كان جنياً». وقال الشيخ نجم الدين القمولي: وفي المنع من التزوج نظر، لأن التكليف يعم الفريقين، قال: وقد رأيت شيخاً كبيراً صالحاً أخبرني أنه تزوج جنية. انتهى قلت: وقد رأيت أنا رجلاً من أهل القرآن والعلم، أخبرني أنه تزوج أربعاً من الجن، واحدة بعد واحدة. لكن يبقى النظر في حكم طلاقها، ولعانها، والإيلاء منها، وعدتها، ونفقتها، وكسوتها، والجمع بينها وبين أربع سواها، وما يتعلق بذلك. وكل هذا فيه نظر لا يخفى. قال شيخ الإسلام شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى: رأيت بخط الشيخ فتح الدين اليعمري، وحدثني عنه عثمان المقاتلي قال: سمعت الشيخ أبا الفتح القشيري

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٢.
(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٨.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٤) سورة النحل: الآية ٧٢.
(٥) سورة الروم: الآية ٢١.

يقول: سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: وقد سئل عن ابن عربي فقال: شيخ سوء كذاب. فقيل له: وكذاب أيضاً؟ قال: نعم. تذاكرنا يوماً نكاح الجن، فقال: الجن روح لطيف والإنس جسم كثيف فكيف يجتمعان؟ ثم غاب عنا مدة وجاء في رأسه شجة، فقيل له في ذلك، فقال: تزوجت امرأة من الجن فحصل بيني وبينها شيء فشجتني هذه الشجة! قال الشيخ الذهبي بعد ذلك: وما أظن ابن عربي تعمد هذه الكذبة وإنما هي من خرافات الرياضة.

فرع: روى أبو عبيدة في كتاب الأموال والبيهقي عن الزهري عن النبي ﷺ، أنه «نهى عن ذبائح الجن». قال: وذبائح الجن أن يشتري الرجل الدار، أو يستخرج العين أو ما أشبه ذلك، فيذبح لها ذبيحة للطيرة. وكانوا في الجاهلية يقولون إذا فعل ذلك: لم يضر أهلها الجن فأبطل ﷺ ذلك ونهى عنه.

تتمة: في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني[1] قدس الله سره، أنه جاءه بعض أهل بغداد، وذكر أن له بنتاً اختطفت من سطح داره، وهي بكر. فقال له الشيخ: اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ، واجلس عند التل الخامس وخط عليك دائرة في الأرض، وقل وأنت تخطها: بسم الله على نية عبد القادر، فإذا كانت فحمة العشاء، مرت بك طوائف من الجن، على صور شتى، فلا يروعك منظرهم، فإذا كان السحر مر بك ملكهم في محفل منهم، فيسألك عن حاجتك فقل: قد بعثني إليك عبد القادر واذكر له شأن ابنتك. قال: فذهبت وفعلت ما أمرني به الشيخ فمر بي صور مزعجة المنظر ولم يقدر أحد منهم على الدنو من الدائرة التي أنا فيها، ومازالوا يمرون زمراً زمراً إلى أن جاء ملكهم، راكباً فرساً، وبين يديه أمم منهم، فوقف بازاء الدائرة وقال: يا انسي ما حاجتك؟ قلت: قد بعثني إليك الشيخ عبد القادر، فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة، وجلس من معه ثم قال لي: ما شأنك؟ فذكرت له قصة ابنتي، فقال لمن حوله: علي بمن فعل هذا فأتى بمارد ومعه ابنتي. فقيل له: إن هذا مارد من مردة الصين، فقال له: ما حملك على أن اختطفت من تحت ركاب القطب؟ فقال: إنها وقعت في نفسي، فأمر به فضربت عنقه، وأعطاني ابنتي فقلت: ما رأيت كالليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر! قال: نعم. إنه لينظر من داره إلى مردة الجن وهم بأقصى الأرض فينفرون من هيبته وأن الله تعالى إذا أقام قطباً مكنه من الجن والإنس. وروي عن أبي القاسم الجنيد أنه قال: سمعت سرياً السقطي رحمه الله، يقول: كنت يوماً ماراً في البادية، فآواني الليل إلى جبل لا أنيس فيه، فبينا أنا في جوف الليل ناداني مناد فقال: لا تدور القلوب في الغيوب حتى تذوب النفوس من مخافة فوت المحبوب. فعجبت وقلت: أجني ينادي أم إنسي؟ فقال: بل جني مؤمن بالله سبحانه، ومع إخواني، فقلت: وهل عندهم ما عندك؟ قال: نعم وزيادة. قال فناداني الثاني منهم، فقال: لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الفكرة. قال: فقلت في نفسي: ما أنفع كلام هؤلاء؟ فناداني الثالث فقال: من أنس به في الظلام نشرت له غداً الأعلام. قال فصعقت. فلما أفقت إذا أنا بنرجسة على صدري

---

(١) الكيلاني: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، مؤسس الطريقة القادرية زاهد متصوف. توفي سنة ٥٦١ هـ.

فشممتها فذهب عني ما كان بي من الوحشة، واعتراني الأنس. فقلت: وصية رحمكم الله، فقالوا: أبى الله أن يحيا بذكره ويأنس به إلا قلوب المتقين، فمن طمع في غير ذلك فقد طمع في غير مطمع، وفقنا الله وإياك. ثم ودعوني ومضوا وقد أتى علي حين، وأنا أرى برد كلامهم في خاطري. وفي كفاية المعتقد ونكاية المنتقد، لشيخنا اليافعي عن السري أيضاً أنه قال: كنت أطلب رجلاً صديقاً مدة من الأوقات، فمررت يوماً في بعض الجبال، فإذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى، فسألت عن حالهم فقالوا: ههنا رجل يخرج في السنة مرة فيدعو لهم فيجدون الشفاء، قال: فمكثت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء فقفوت أثره فأدركته، وتعلقت به، وقلت له: بي علة باطنة فما دواؤها؟ فقال يا سري خل عني. فإنه غيور وإياك أن يراك تأنس إلى غيره، فتسقط من عينه، ثم تركني وذهب. وفي كتاب التوحيد للإمام محمد بن أبي بكر الرازي، عن الجنيد أنه قال: كنت أسمع السري يقول يبلغ العبد من الهيبة والانس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به. قال: وكان في نفسي منه شيء حتى بان لي أن الأمر كذلك. انتهى قلت: وذلك لأن الهيبة والأنس فوق القبض والبسط، والقبض والبسط فوق الخوف والرجاء، فالهيبة مقتضاها الغيبة والدهش، فكل هائب غائب حتى لو قطع قطعاً لم يحضر من غيبته، إلا بزوال الهيبة عنه. والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة، ثم إنهم يتفاوتون في الهيبة والأنس، فأدنى مرتبة في الأنس أنه لو ألقي في لظى ما تكدر أنسه، لأنه لا يشهد إلا هو، ولا يعرف إلا هو، ألا ترى إلى قول السري رحمه الله: يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به! وذلك لأن الأنس يتولد من السرور بالله، ومن صح له الأنس بالله، استوحش مما سواه، فهو باق بالله فان عن السوى لم ير غيره. ولم يشهد لسواه فعلاً فلم ير في الكونين إلا إياه فلا يقع نظره إلا عليه، ولا بصره إلا على فعله، وخلقه لأن العارف عرف الصنعة بالصانع، ولم يعرف الصانع بالصنعة، فلم ير إلا فعله وخلقه. ولذلك قال الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله تعالى عنه: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله. وهذا هو المقام الشريف من التوحيد. واعلم أن العبد لا يذوق حلاوة الأنس بالله تعالى، إلا إذا قطع العلائق، ورفض الخلائق، وغاص في الدقائق، مطلعاً على الحقائق. ولا ينبئك مثل خبير. واعلم أن حالتي الهيبة والأنس، وإن جلتا، فأهل الحقيقة يعدونهما نقصاً لتضمنهما تغير العبد، فإن أهل التوحيد المتمكنين سمت أحوالهم عن التغير، فلهم كمال في المحو، ووجود في العين ولا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس، وارتقاؤهم عن هذا المقام بالجود والفيض الإلهي. فسبحان من خص برحمته من شاء من عباده. وقال السري رحمه الله: صحبت رجلاً يقال له الوالد سنة لم أسأله عن مسألة، فقلت له يوماً: ما المعرفة التي ليس فوقها معرفة؟ فقال: أن تجد الله أقرب إليك من كل شيء، وأن ينمحي عن سرائرك وظواهرك كل شيء غيره. فقلت له: بأي شيء أصل إلى هذا؟ فقال: بزهدك فيك ورغبتك فيه سبحانه وتعالى. قال: فكان كلامه سبب انتفاعي بهذا الأمر. * توفي السري لست خلون من رمضان، سنة ثلاث وخمسين ومائتين. وقيل غير ذلك والله أعلم بالصواب.

الخواص: لا تدخل الجن بيتاً فيه الأترج[1]. روينا عن الإمام أبي الحسن، علي بن الحسن،

(١) الأترج: ضرب من الحمضيات.

بن الحسن، بن محمد الخلعي، نسبة إلى بيع الخلع، وهو من أصحاب الشافعي، وقبره معروف بالقرافة، والدعاء عنده مستجاب. وكان يقال له قاضي الجن أنه أخبر أنهم كانوا يأتون إليه، ويقرؤون عليه، وأنهم أبطؤا عنه جمعة ثم أتوه فسألهم عن ذلك فقالوا: كان في بيتك شيء من الأترج وإنا لا ندخل بيتاً هو فيه. قال الحافظ أبو طاهر السلفي: وكان الخلعي إذا سمع عليه الحديث يختم مجلسه بهذا الدعاء: اللهم ما مننت به فتممه، وما أنعمت به فلا تسلبه، وما سترته فلا تهتكه، وما علمته فاغفره. توفي في شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة. قلت: ولهذا ضرب النبي ﷺ المثل للمؤمن الذي يقرأ القرآن بالأترجة، لأن الشيطان يهرب عن قلب المؤمن القارىء للقرآن، كما يهرب عن مكان فيه الأترج، فناسب ضرب المثل به، بخلاف سائر الفواكه. وفي المستدرك في تراجم الصحابة من حديث أحمد بن حنبل عن عبد القدوس بن بكير بإسناده إلى مسلم بن صبيح، قال[1]: دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها وعندها رجل مكفوف، وهي تقطع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل، فقالت: إن هذا ابن أم مكتوم الذي عاتب الله فيه نبيه ﷺ، مازال هذا له من آل محمد. قلت: وفي تخصيصه بالأترج والعسل ما لا يخفى على متأمل. وفي معجم الطبراني، عن حبيب بن عبد الله عن أبي كبشة عن أبيه عن جده، قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر والأترج. وسيأتي في باب الفاء حديث سليمان بن موسى أن النبي ﷺ قال: إن الجن لا يدخلون داراً فيها فرس عتيق.

**التعبير**: الجن في المنام دهاة الناس أصحاب، مكر وحيل، لما كانوا يصنعون لسليمان عليه الصلاة والسلام من المحاريب والتماثيل، فمن عالج أحداً من الجن في المنام، فإنه ينازع قوماً أصحاب مكر وحيل، ومن رأى أنه يعلم الجن القرآن فإنه ينال رياسة وولاية لقوله[2] تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ والجن في الرؤيا بمنزلة اللصوص، فمن دخلت الجن داره فليحذر اللصوص، والجنون في المنام على وجوه: فمن رأى أنه قد جن فإنه ينال غنى كما قال الشاعر:

جن له الدهر فنال الغنى يا ويحه إن عقل الدهر

وقيل: الجنون دال على أكل الربا لقوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾[3] وربما دل على دخول الجنة لقوله عليه الصلاة والسلام: «اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله والمجانين» فانسب الجنون إلى الرائي بما يليق به، وإن رأت امرأة أنها قد جنت وعولجت بالرقى، فإنها تحمل بولد يكون له دهاء فيكون الجنون جنيناً تحمل به والله تعالى أعلم.

**جنان البيوت**: بجيم مكسورة ونون مفتوحة مشددة، وهي الحيات جمع جان وهي الحية الصغيرة وقيل الدقيقة الصغيرة، وقيل الدقيقة البيضاء. روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي لبابة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «نهى عن قتل الجنان التي في البيوت إلا الابتر وذا الطفيتين،

(1) رواه النسائي في الطلاق: ٧٣.
(2) سورة الجن: الآية ١.
(3) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

فإنهما اللذان يخطفان البصر ويطرحان أولاد النساء»[1]. والطفيتان بضم الطاء الخطان الأبيضان على ظهر الحية والأبتر قصير الذنب. وقال النضر بن شميل: هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما في بطنها وفي كتاب الحشرات قال ابن خالويه: سمعت ابن عرفة يقول: الجنان حيات إذا مشت رفعت رأسها عند المشي وأنشد يقول[2]:

رفعن بالليل إذا ما أسدفا     أعناق جنان وهاما رجفا

الجندبادستر: حيوان كهيئة الكلب ليس ككلب الماء ويسمى القندر، وسيأتي في باب القاف، ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها، ويسمى السمور أيضاً، وهو على هيئة الثعلب، أحمر اللون ليس له يدان، وله رجلان وذنب طويل ورأس كرأس الإنسان ووجه مدوّر وهو يمسي متكفياً على صدره كأنه يمشي على أربع، وله أربع خصيات: اثنتان ظاهرتان، واثنتان باطنتان. ومن شأنه أنه إذا رأى الصيادين له لأخذ الجندبادستر وهو الموجود في خصيتيه البارزتين، هرب فإذا جدوا في طلبه قطعهما بفيه، ورمى بهما إليهم إذ لا حاجة لهم إلا بهما. فإذا لم يبصرهما الصيادون وداموا في طلبه استلقى على ظهره حتى يريهم الدم فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه وهو إذا قطع الظاهرتين أبرز الباطنتين عوضاً عنهما. وفي باطن الخصية شبه الدم أو العمل زهم الرائحة، سريع التفرك إذا جف. وهذا الحيوان يهرب إلى الماء ويمكث فيه زماناً حابساً نفسه، ثم يخرج وهو حيوان يصلح أن يحيا في الماء وخارج الماء، وأكثر أوقاته في الماء ويغتذي فيه بالسمك والسرطان، وخصاه تنفع من نهش الهوام وتصلح لأشياء كثيرة، وهو دواء محمود يسخن الأعضاء الباردة ويجفف الرطبة، وليس له مضرة أصلاً في شيء من الأعضاء وله خاصية في جميع العلل الباردة الرطبة التي تحدث في الرئة، وفي الدماغ، وينفع من الصمم البارد، ولا شيء أنفع للريح في الأذن منه. وينفع من لدغ العقرب إذا طلي به موضعها، وإذا طلي به الرأس مدرفاً[3] بأحد الأدهان نفع المصروعين، وينفع من الفالج واسترخاء الأعضاء والنقرس البارد منفعة عظيمة وإذا شرب كان ترياقاً للسموم الباردة كلها، حيوانية ونباتية، لا سيما الأفيون وهو يلطف الأخلاط، ويذهب البلغم حيث كان، وينفع الخفقان المتولد من أسباب باردة، وجلده غليظ الشعر، يصلح لبسه للمشايخ والمبرودين، ولحمه نافع للمفلوجين وأصحاب الرطوبات، وإذا شرب الإنسان من الجندبادستر الأسود وزن درهم هلك بعد يوم.

الجنين: هو ما يوجد في بطن البهيمة بعد ذبحها، فإن وجد ميتاً بعد ذبحها فهو حلال بإجماع الصحابة، كما نقله الماوردي في الحاوي، وبه قال مالك والأوزاعي والثوري، وأبو سيف، ومحمد، واسحق والإمام أحمد، وتفرد أبو حنيفة بتحريم أكله محتجاً بقوله[4] تعالى: ﴿حرمت

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٥، والمغازي: ١٢. ومسلم في السلام: ١٣١، ١٣٤، ١٣٦. ورواه أبو داود في الأدب: ١٦٣، والنسائي في الحج: ٨٧. والموطأ في الاستئذان: ٣١ ــ ٣٢. ورواه أحمد: ٢، ١٤٦، ٣ ــ ٤٣٠، ٦ ــ ٨٣.

(٢) الحيوان للجاحظ: ١٧٣/٦ ونسبه للخطفي. وفيه: «يرفعن بالليل».

(٣) مدرف: ممزوج.     (٤) سورة المائدة: الآية ٣.

عليكم الميتة والدم﴾ وبقوله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان: السمك والجراد والكبد والطحال»[1]. وهذه ميتة ثالثة لم تذكر. ودليل الجمهور أحلت لكم بهيمة الأنعام قال ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم: بهيمة الأنعام أجنتها توجد ميتة في بطن الأم يحل أكلها بذكاة الأمهات. وهو من أحكام هذه السورة وفيه بعد لأن الله تعالى قال: ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾[2] وليس في الأجنة ما يستثنى وقد تقدم ذلك في باب الباء الموحدة. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذكاة الجنين ذكاة أمه». فجعل إحدى الذكاتين نائبة عن الأخرى، وقائمة مقامها. فإن قيل: إنما أراد التشبيه دون النيابة، فيكون المعنى ذكاة الجنين كذكاة أمه، لأنه قدم الجنين على الأم فصار تشبيهاً بالأم، ولو أراد النيابة لقدم الأم على الجنين إنما يطلق عليه مادام مستجناً في بطن أمه، فأما إذا انفصل، فإن الاسم يزول عنه ويسمى ولداً قال الله تعالى: ﴿وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾[3] وهو في بطن الأم لا يقدر عليه، فوجب حمله على النيابة دون التشبيه. الثاني أنه لو أراد التشبيه دون النيابة، لساوى الأم غيرها، ولم يكن لخصوصية التشبيه بالأم فائدة. الثالث أنه لو أراد التشبيه لنصب ذكاة الأم بحذف كاف التشبيه والروايتان إنما هما برفع ذكاة أمه فثبت أنه أراد النيابة دون التشبيه، فإن قيل: فقد روي ذكاة أمه بالنصب ومعناها كذكاة أمه، فالجواب أن هذه الرواية غير صحيحة ولو سلمت كانت محمولة على نصبها بحذف الياء الموحدة دون الكاف. ويكون معناه ذكاة الجنين بذكاة أمه، ولو احتمل الأمرين لكانتا مستعملتين فتستعمل الرواية المرفوعة في النيابة، إذا خرج ميتاً، والرواية المنصوبة في التشبيه إذا خرج حياً فيكون أولى من استعمال إحدى الروايتين وترك الأخرى. ويدل عليه أيضاً نص لا يحتمل التأويل، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري قال: قلت: يا رسول الله إنا ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة وفي بطونها الجنين أنلقيه أم نأكله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «كلوه إن شئتم فإن ذكاة الجنين ذكاة أمه»[4]. واستدل الشيخ أبو محمد كما قال الرافعي بأنه لو لم يحل الجنين بذكاة الأم، لما جاز ذبح الأم مع ظهور الحمل. كما لا تقتل الحامل قصاصاً ولا حداً. فألزم عليه ذبح رمكة في بطنها بغلة، فمنع ذبحها. والرمكة أنثى الخيل، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وهي مأكولة، والبغل لا يؤكل، إذا ثبت هذا فاعلم أن للجنين ثلاثة أحوال ذكرها الماوردي: أحدها أن يكون كاملاً كما سبق، ثانيها أن يكون علقة فهذا غير مأكول، لأن العلقة دم، ثالثها أن يكون مضغة، قد انعقد لحمه ولم تبن صورته، ولم تتشكل أعضاؤه، ففي إباحة أكله وجهان: من اختلاف قوليه في وجوب الغرة كونها أم ولد، قال الماوردي، وقال بعض أصحابنا: إذا نفخ فيه الروح لم يؤكل، وإلا أكل، وهذا مما لا سبيل إلى إدراكه ولو خرج الجنين وبه حياة مستقرة، اشترط ذبحه أو غير مستقرة حل بغير ذكاة. ولو خرج رأسه ثم ذكيت الأم قال القاضي والبغوي:

---

(١) رواه ابن ماجه في الأطعمة: ٣١، وابن حنبل: ٢ ــ ٩٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ١.

(٣) سورة النجم: الآية ٣٢.

(٤) رواه أبو داود في الأضاحي: ١٨. والترمذي في الصيد: ١٠. وابن ماجه في الذبائح: ١٥. ورواه الدارمي في الأضاحي: ١٨، وابن حنبل: ٣ ــ ٣١.

لم يحل إلا بذكاة لأنه مقدور عليه. وقال القفال: يحل لأن خروج بعض الولد كعدم خروجه في العدة وغيرها، قال في الروضة قول القفال أصح. والله أعلم. وذكر ابن خلكان في تاريخه ان الامام صائن الدين أبا بكر القرطبي[1] كان كثيراً ما ينشد هذين البيتين متمثلاً:

جرى قلم القضاء بما يكون    فسيان التحرك والسكونُ
جنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ    ويرزقُ في غشاوته الجنينُ

هما لأبي الخير الكاتب الواسطي رحمة الله عليه.

جهبر: كجعفر أنثى الدب، وهي إذا أرادت الولادة، استقبلت بنات نعش الصغرى، فتسهل ولادتها. وإذا ولدت يكون ولدها قطعة لحم تخاف عليه من النمل، فتنقله من موضع إلى موضع خوفاً من النمل، وربما تركت أولادها وأرضعت ولد الضبع. ولهذا قالت العرب «أحمق من جهبر».

الجواد: الفرس الجيد العدو سمي بذلك لأنه يجود بجريه والأنثى جواد أيضاً قال الشاعر:

نمته جواد لا يباع جنينها

والجمع جود وجياد كثوب وكثياب. وأجياد جبل بمكة، سمي بذلك لموضع خيل تبع. ويسمى قعيقعان لموضع سلاحه، وروى جعفر الفريابي، في كتابه فضل الذكر، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لأن أصلي الصبح ثم أجلس في مجلسي فأذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، أحب إليّ من شد على جياد الخيل في سبيل الله عز وجل». وروى النسائي والحاكم وابن السني والبخاري في تاريخه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه، قال: ان رجلاً جاء إلى الصلاة ورسول الله ﷺ يصلي فقال، حين انتهى إلى الصف الأول: اللهم آتني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين. فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «من المتكلم آنفاً؟ قال: أنا يا رسول الله. قال: إذن يعقر جوادك وتستشهد في سبيل الله تعالى». وفي سنن ابن ماجه من حديث عمرو بن عبسة رضي الله تعالى عنه قال: «أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ فقال ﷺ: من أهريق دمه وعقر جواده»[2]. وفي كتاب النصائح لابن ظفر، أن أمة لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، اسمها زائدة، وكان النبي ﷺ يقول: «يا زائدة انك لموفقة». فأتته يوماً فقالت: يا رسول الله إني عجنت عجيناً لأهلي ثم ذهبت أحتطب، فاحتطبت وأكثرت، فرأيت فارساً على جواد لم أرقط أحسن منه وجهاً وملبساً وجواداً، ولا أطيب منه ريحاً، فأتاني وسلم علي وقال: كيف أنت يا زائدة؟ قلت: بخير والحمد لله. قال: وكيف محمد؟ قلت:

---

(١) القرطبي: أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، إمام في القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة. مات سنة ٥٦٧ هـ. والبيتان في وفيات الأعيان: ١٧٢/٦.

(٢) رواه أبو داود في الوتر: ١٢، والتطوع: ١١، ورواه النسائي في الزكاة: ٤٩. وابن ماجه في الجهاد: ١٥، ورواه الدارمي في الصلاة: ١٣٥، والجهاد: ٣. وأحمد: ١٩١/٢ ـ ٣٠٠ ـ ٣٠٢ ـ ٣٤٦ ـ ٣٩١ ـ ٤١٢ ـ ١١٤/٤ ـ ٣٨٥ ـ ٢٦٥/٥.

بخير، وينذر الناس بأمر الله. قال: إذا أتيت محمد فأقرئيه مني السلام، وقولي له رضوان خازن الجنة يقرئك السلام، ويقول لك: ما فرح أحد بمبعثك ما فرحت به، فإن الله جعل أمتك ثلاث فرق: فرقة يدخلون الجنة بغير حساب، وفرقة يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنة وفرقة تشفع لهم فتشفع فيهم فيدخلون الجنة. قلت: نعم. ثم ولى عني فأخذت في رفع حطبي فثقل عليّ فالتفت إلي وقال: يا زائدة أثقل عليك حطبك؟ قلت: نعم بأبي وأمي. فعطف عليّ وغمز الحزمة بقضيب أحمر في يده فرفعها، ونظر فإذا هو بصخرة عظيمة فوضع الحزمة بالقضيب عليها، وقال: اذهبي يا صخرة بالحطب معها، فجعلت الصخرة تدهده بين يدي بالحطب، حتى أتيت «فسجد النبي ﷺ شكراً وحمداً لله تعالى على بشرى رضوان. ثم قال لأصحابه: قوموا لننظر فقاموا وانطلقوا إلى الصخرة فرأوها وعاينوا آثارها». ويقرب من هذه البشرى ما روي عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: إن رجلاً من أهل اليمن جاء إلى كعب الأحبار فقال له: إن فلاناً الحبر اليهودي أرسلني إليك برسالة فقال له كعب: هاتها فقال له الرجل: إنه يقول لك: ألم تكن فينا سيداً شريفاً مطاعاً فما الذي أخرجك من دينك إلى أمة محمد؟ فقال له كعب: أتراك راجعاً إليه؟ قال: نعم. قال: فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك، وقل له: يقول لك كعب: أسألك بالله الذي فلق البحر لموسى، وأسألك بالله الذي ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شيء، ألست تجد في كلمات الله تعالى، أن أمة محمد ثلاثة أثلاث: فثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة، وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحمد، فإنه سيقول لك: نعم. فقل له: يقول لك كعب: اجعلني في أي هذه الأثلاث شئت. وفي كتاب خير البشر بخير البشر لمحمد بن ظفر أيضاً، قال: روي أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة فوفد عليه زعماء العرب، وشعراؤها وخطباؤها، يهنؤنه، فرفع الحجاب عن الوافدين، وأوسعهم عطاء، واشتد سروره بهم، فبينما هو على ذلك، إذ نام يوماً فرأى رؤيا في المنام أخافته وأذعرته وأهالته في حال منامه، فلما انتبه أنسيها حتى لم يذكر منها شيئاً، وثبت ارتياعه في نفسه بها فانقلب سروره حزناً واحتجب عن الوفود حتى أساء به الوفود الظن، ثم إنه حشر الكهان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول له اخبرني عما أريد أن أسألك عنه، فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي، حتى لم يدع كاهناً علمه إلا كان إليه منه ذلك. فتضاعف قلقه، وطال أرقه، وكانت أمه قد تكهنت، فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك، إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه لأن أتباع الكواهن من الجان، ألطف وأظرف من أتباع الكهان! فأمر بحشر الكواهن إليه، وسألهن كما سأل الكهان فلم يجد عند واحدة منهن علماً مما أراد علمه. ولما يئس من طلبته، سلا عنها.

ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد فأوغل في طلب الصيد، وانفرد عن أصحابه فرفعت له أبيات في ذرى جبل وكان قد لفحه الهجير، فعدل إلى الأبيات وقصد بيتاً منها، كان منفرداً عنها فبرزت إليه منه عجوز، فقالت له انزل بالرحب والسعة والأمن والدعة، والجفنة المدعدعة، والعلبة المترعة، فنزل عن جواده ودخل البيت، فلما احتجب عن الشمس، وخفقت عليه الأرواح نام، فلم يستيقظ حتى تصرم الهجير، فجلس يمسح عينيه، فإذا بين يديه فتاة، لم ير مثلها قواماً

ولا جمالاً، فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك الهمام، هل لك في الطعام؟ فاشتد اشفاقه وخاف على نفسه، لما رأى أنها عرفته وتصامم عن كلمتها، فقالت له: لاحذر فداك البشر، فجدك الأكبر، وحظنا بك الأوفر، ثم قربت إليه ثريداً وقديداً وحيساً. وقامت تذب عنه، حتى انتهى أكله. ثم سقته لبناً صريفاً وضريباً. فشرب ما شاء وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة، فملأت عينيه حسناً وقلبه هوى، فقال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمي عفيراء. فقال لها: يا عفيراء من الذي دعوته بالملك الهمام؟ قالت: مرثد العظيم الشان، حاشر الكواهن والكهان، لمعضلة بعد عنها الجان. فقال: يا عفيراء أتعلمين تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك إنها رؤيا منام، ليست بأضغاث أحلام. قال الملك: أصبت يا عفيراء، فما تلك الرؤيا؟ قالت: رأيت أعاصير زوابع، بعضها لبعض تابع، فيها لهب لامع، ولها دخان ساطع، يقفوها نهر متدافع، وسمعت فيما أنت سامع، دعاء ذي جرس صادع، هلموا إلى المشارع، فروي جارع، وغرق كارع. فقال الملك: أجل هذه رؤياي. فما تأويلها يا عفيراء؟ قالت: الأعاصير الزوابع ملوك تبابع، والنهر علم واسع، والداعي نبي شافع، والجارع ولي تابع، والكارع عدوّ منازع. فقال الملك: يا عفيراء أسلم هذا النبي أم حرب؟ فقالت: أقسم برافع السماء، ومنزل الماء من العماء، إنه لمطل الدماء، ومنطق العقائل نطق الإماء. فقال الملك: الام يدعو يا عفيراء؟ قالت إلى صلاة وصيام، وصلة أرحام، وكسر أصنام، وتعطيل أزلام، واجتناب آثام. فقال الملك: يا عفيراء من قومه؟ قالت مضر بن نزار، ولهم منه نقع مثار، ينجلي عن ذبح وآثار. فقال الملك: يا عفيراء إذا ذبح قومه فمن أعضاده؟ قالت أعضاده غطاريف يمانون، طائرهم به ميمون، يغزيهم فيغزون، ويدمث بهم الحزون[1] وإلى نصره يعتزون. فأطرق الملك يؤامر نفسه في خطبتها، فقالت: أبيت اللعن أيها الملك، إن تابعي غيور، ولأمري صبور، وناكحي مثبور، والكلف بي ثبور، فنهض الملك وجال في صهوة جواده، وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوماء. قال محمد بن ظفر: أوغل في طلب الصيد أي بالغ في ذلك وأمعن، والوغول الدخول في الشيء بقوة.

وذرجبل بفتح الذال المعجمة الكن والمدعدعة هي التي ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص ما فيها ثم ملئت بعد ذلك. والعلبة بضم العين المهملة واسكان اللام اناء من جلد. والأرواح هي الرياح. وصريفا اللبن المحض بحدثان الحلاب يصرف عن الضرع إلى الشارب وضريباً اللبن الرائب. وبعد عنها الجان أي جبنوا عنها ولم يطيقوها. وأعاصير زوابع هي من الرياح ما يثير التراب فيعليه في الجوّ، ويديره وساطع أي مرتفع. ودعاء ذي جرس صادع. الجرس الصوت والمشارع المداخل إلى النهر. وجارع أي من شرب جرعاً أمن وكارع أي من أمعن غرق. وتبابع جمع تبع، وهذا لقب لملوك اليمن، وهو من الأتباع لأن بعضهم كان يتبع في الملك بعضاً. والعماء هو الغيم والغمام، ومنطق العقائل هن الكرائم من النساء، أي يسبيهن فيشددن النطق على أوساطهن، كالإماء للمهنة والخدمة. ونقع مثار: النقع الغبار يثيره المتحاربون. والأعضاد الأنصار. والغطاريف السادة والتغطرف التكبر. ويدمث أي يسهل ويؤامر نفسه يراد به تعارض

---

(١) الحزون: جمع الحزن: الأرض الغليظة.

الرأيين المتضادين في النفس وجال في صهوة جواده: جال أي وثب، والصهوة مقعد الفارس من ظهر فرسه. والكوماء الناقة العظيمة السنام.

ونظير هذا من الرؤيا المنسية، وليست من أخبار الكهان، وإنما هو خبر نبوي، رؤيا بختنصر، وذلك أن بختنصر، لما غزا بيت المقدس، اختار من سبي بني اسرائل مائة ألف صبي، فكان منهم دانيال عليه السلام، فرأى بختنصر رؤيا ارتاع لها، وحدث له في المنام ما أنساه الرؤيا، فسأل الكهان والسحرة والمنجمين عن ذلك، فقالوا له: إن أخبرتنا عن رؤياك أخبرناك عن تأويلها، فقال: إني قد أنسيتها، ولئن لم تخبروني بها لأنزعن أكتافكم. فخرجوا من عنده مذعورين ثم رجع إليه أحدهم فقال له: أيها الملك، إن لم يكن أحد عنده علم بالرؤيا، فهو دانيال الغلام الإسرائيلي، فأحضره وسأله فقال له دانيال: إن لي رباً عنده علم ذلك، فأجلني فأجله ثلاثاً، فخرج دانيال فأقبل على الصلاة والدعاء، فأوحى الله إليه بالرؤيا وبتأويلها، فأتى إلى بختنصر وقال له: إنك رأيت صنماً قدماه وساقاه من فخار، وركبتاه وفخذاه من نحاس، وبطنه من فضة، وصدره من ذهب، وعنقه ورأسه من حديد. قال: صدقت: قال دانيال: فبينما أنت تنظر إليه وتتعجب منه، إذ أرسل الله عليه صخرة من السماء فهشمته، فصار رفاتاً، ثم عظمت تلك الصخرة، حتى ملأت الدنيا، فهي التي أنستك الرؤيا. قال: صدقت. فما تأويلها؟ قال دانيال: أما الصنم فهو مثل للملوك الدنيا، وكان بعضهم ألين ملكاً من بعض، فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه، ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد، ثم كان فوقه الفضة وهي أفضل وأحسن، ثم كان فوقه الذهب وهو أفضل منها وأحسن من ذلك كله، ثم كان الحديد من فوقه وهو أشد منه، وهو ملكك فهو أشد ملك، وأعز مما كان قبله. وأما الصخرة التي أرسلها الله من السماء، فنبي يبعثه الله في آخر الزمان، فيدق ذلك كله أجمع، وتمتلىء الدنيا بدينه، ويصير الأمر إليه ويقيم له ملكاً لا يزول أبداً ما بقي الدهر. فعجب بختنصر مما سمع، وأحسن إلى دانيال وقربه وأعلى منزلته.

وذكر ابن خلكان في ترجمة ابن القرية[1] واسمه أيوب بن زيد بن القرية، بكسر القاف وتشديد الراء المهملة وكسرها بالياء المثناة تحت. وكان أعرابياً مقرباً عند الحجاج، أن الحجاج بعثه إلى عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي لما خرج على عبد الملك بن مروان، وخلعه ودعا إلى نفسه، فقال ابن الأشعث: لتقومن خطيباً، ولتخلعن ابن مروان، ولتسبن الحجاج، أو لأضربن عنقك. ففعل ابن القرية ذلك وأقام عند ابن الأشعث، فلما قتل ابن الأشعث بدير الجماجم، في الوقعة التي كانت بينه وبين الحجاج، جيء بابن القرية إلى الحجاج فسأله عن أشياء، فمن كلامه في جواب الحجاج ملخصاً: أهل العراق أعلم الناس بحق وباطل. أهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم فيها. أهل الشأم أطوع الناس لخلفائهم. أهل مصر عبيد من غلب. أهل اليمن أهل طاعة ولزوم جماعة. أرض الهند بحرها در وجبلها ياقوت، وشجرها عود، وورقها عطر. اليمن أصل العرب وأصل البيوتان والحسب. مكة رجالها علماء حفاة، ونساءها كساة عراة.

(١) وفيات الأعيان: ١/٢٥٠.

المدينة رسخ العلم فيها وظهر منها. البصرة شتاؤها جليد، وحرها شديد، وماؤها ملح، وحربها صلح. الكوفة ارتفعت عن حر البحر، وسفلت عن برد الشأم. واسط جنة بين حمأة وكنة. قال وما حمأتها وكنتها؟ قال: البصرة والكوفة يحسدانها وما يضرها، ودجلة والفرات يتجاريان بإضافة الخير عليها. الشأم عروس بين نسوة جلوس. ثم قال في أثناء كلامه «لكل جواد كبوة»[1]، «ولكل صام نبوة»[2]، «ولكل حليم هفوة»[3]. فقال الحجاج: إن العرب تزعم أن لكل شيء آفة. قال: صدقت العرب، أصلح الله الأمير، آفة الحلم الغضب، وآفة العقل العجب، وآفة العلم النسيان، وآفة السخاء المن عند البذل، وآفة العبادة الفترة، وآفة الكرم مجاورة اللئام، وآفة الشجاعة البغي، وآفة الماء سوء التدبير، وآفة الكامل من الرجال العدم. قال: فما آفة الحجاج؟ قال: لا آفة لمن كرم حسبه، وطاب نسبه، وزكا فرعه. فقال الحجاج: امتلأت شقاقاً، وأظهرت نفاقاً. اضربوا عنقه. فلما رآه قتيلاً ندم على قتله. وكان قتله في سنة أربع وثمانين وقد ذكرت هذه الحكاية بطولها في كتاب «غاية الارب في كلام حكماء العرب». وهو في ثلاثة مجلدات. ومن أمثال العرب المشهورة «ان الجواد عينه[4] فراره». أي يغنيك شخصه ومنظره، عن أن تخبره وأن تفر أسنانه.

وحكى صاحب ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، أنه عرض على أبي مسلم الخراساني، صاحب الدعوة جواد لم ير مثله، فقال لقواده: لماذا يصلح هذا الجواد؟ قالوا: للغزو في سبيل الله. قال: لا. قالوا: فيطلب عليه العدوّ. قال: لا. قالوا: فلماذا يصلح أصلح الله الأمير؟ قال: ليركبه الرجل، ويفر به من المرأة السوء، والجار السوء. ومن أحسن أوصاف الخيل الصافنات قال الله تعالى: ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾[5]قال أهل التفسير: إنها كانت ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام، وإنما عقرها لأنها كانت سبباً في فوت الصلاة. قال بعض العلماء: لما ترك الخيل لله، عوضه الله عنها، ما هو خير له منها، وهو الريح التي كان غدوها شهراً ورواحها شهراً. وروى الإمام أحمد قال: حدثنا اسماعيل قال: حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة وأبي الدهماء، وكانا يكثران السفر نحو هذا البيت قالا: أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ، فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل، فكان من كلامه: «إنك لا تدع شيئاً اتقاء الله عز وجل إلا أعطاك الله خيراً منه». وأخرجه[6] النسائي من حديث ابن المبارك عن سليمان بن الحسين. وأبو الدهماء اسمه قرفة بن بهيس، وقيل بن بيهس. روى له الجماعة إلا البخاري. وقال الثعلبي: كانت بالناس مجاعة، ولحوم الخيل لهم حلال، وإنما عقرها لتؤكل، على وجه القربة بها، كالهدي عندنا، ونظير هذا ما فعله أبو طلحة الأنصاري بحائطه، إذ تصدق به لما دخل عليه الدبسي، وهو في الصلاة فشغله.

والصافن الذي يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله، وهي

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/١٧٣.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/٢٤٩.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٢٤٩.
(٤) مجمع الأمثال: ١/٩.
(٥) سورة ص: الآية ٣١.
(٦) رواه أحمد: ٥، ٧٨.

علامة الفراسة كما قال في حقه العجّاج(١):

ألف الصفون فلا يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسير

وقال بعضهم: الخير في الآية الخيل. والعرب تسمي الخيل خيراً. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل: «أنت زيد الخير». وكان رضي الله عنه، إذا ركب الخيل، خطت رجلاه الأرض واسمه زيد بن مهلهل بن زيد الطائي، وكان كثير الخيل، لم يكن لأحد من قومه، ولا لكثير من العرب إلا الفرس أو الفرسان، وكان له الخيل الكثيرة منها الهطال والكميت والورد والكامل ولاحق ودموك قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيء سنة تسع فأسلم وقال له النبي ﷺ: «ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيته في الإسلام إلا رأيته بدون تلك الصفة إلا أنت، فإنك فوق ما قيل لي إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الأناة والحلم». وفي رواية الحياء والحلم. فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب اللهورسوله. مات بعد رجوعه من عند النبي ﷺ محموماً عند قومه. وكان ﷺ يقول: «إنه نعم الفتى إن لم تدركه أم مبدم». وروي أنه ﷺ قال له: «يا زيد الخير تقتلك أم كلبة» يعني الحمى. فلما رجع إلى أهله حم ومات، رضي الله تعالى عنه.

وقال ابن عباس والزهري: مسح سليمان ﷺ بالسوق والأعناق، لم يكن بالسيف بل بيده تكريماً لها ومحبة. ورجحه الطبري وقال بعضهم: بل غسلها بالماء وذكر الثعلبي أن هذا المسح إنما كان وسماً بالتحبيس في سبيل الله تعالى. وجمهور المفسرين على أنها كانت خيلاً موروثة. وقال بعضهم: قتلها حتى لم يبق منها أكثر من مائة فرس. فمن نسل تلك المائة كل ما يوجد من الخيل، وهذا بعيد. وقال بعضهم: كانت عشرين فرساً أخرجها الشيطان له من البحر، وكانت ذوات أجنحة. وأما قوله(٢) ﴿وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فقال الجمهور أراد أن يفرده من بين البشر ليكون خاصة له وكرامة وهذا هو الظاهر من خبر العفريت الذي ظهر للنبي ﷺ في صلاته فأخذه وأراد أن يوثقه بسارية من سواري المسجد كما تقدم. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة أيضاً.

وروى النسائي وابن ماجه، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام، لما فرغ من بنيان بيت المقدس سأل الله تعالى حكماً يصادف حكمه وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأن لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه. قال رسول الله ﷺ أما الاثنتان، فقد أعطيهما، وأنا أرجو أن يكون قد أعطي الثالثة؟؟. انتهى فقد دعا نبي ورجا نبي. وأما صفة كرسيه عليه الصلاة والسلام، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: كان يوضع لسليمان ستمائة كرسي ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم يجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس، ثم يدعو الطير فتظلهم، ثم يدعو الريح فتقلهم، وتسير مسيرة شهر غدواً ورواحاً، وذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما ملك بعد أبيه، أمر باتخاذ كرسي، يجلس عليه للقضاء،

---

(١) العجّاج: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي، راجز مجيد توفي سنة: ٩٠ هـ.

(٢) سورة ص: الآية ٣٥.

وأمر بأن يعمل عملاً بديعاً مهولاً بحيث إذا رآه مبطل أو شاهد زور، ارتدع وبهت، فأمر أن يجعل من أنياب الفيلة مرصعاً بالدر والياقوت والزبرجد، وأن يحف بأربع نخلات من ذهب شماريخها[1] الياقوت منها عمود من الزبرجد الأخضر. على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب، وعلى رأس نخلتين نسران من ذهب، بعضها يقابل بعضاً. وجعل بجانب الكرسي أسدين من ذهب، وعلى رأس كل واحد منهما عمود من الزبرجد الأخضر. وقد عقد على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر وعناقيدها من الياقوت الأحمر، بحيث تظل عروش الكروم والنخل الكرسي. وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرحا المسرعة وتنشر تلك الطيور والنسور أجنحتها، ويبسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما، فإذا استوى على أعلاه أخذ النسران، اللذان في النخلتين، تاج سليمان فوضعاه على رأسه، ثم يستدير الكرسي بما فيه فيدور معه النسران والطاووسان والأسدان مائلات برؤوسها إلى سليمان، وينضحن عليه من أجوافهن المسك والعنبر، ثم تناوله حمامة من ذهب، قائمة على عمود، من أعمدة الجواهر، فوق الكرسي، التوراة فيفتحها سليمان ويقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء. ويجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب المرصعة بالجوهر، وهي ألف كرسي عن يمينه، ويجلس عظماء الجن على كراسي الفضة عن يساره، وهي ألف كرسي، ثم تحف بهم الطيور فتظلهم. ويتقدم الناس لفصل الخصومات، فإذا تقدمت الشهود لأداء الشهادات، دار الكرسي بما فيه وعليه، دوران الرحا المسرعة، ويبسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما، وينشر النسران والطاووسان أجنحتها، فيفزع الشهود فلا يشهدون إلا بالحق. فلما توفي سليمان عليه الصلاة والسلام، وغزا بختنصر بيت المقدس، حمل الكرسي إلى انطاكية وأراد أن يصعد عليه فلم يقدر، وضرب الأسدان رجله فكسراها. ثم لما هلك بختنصر حمل الكرسي إلى بيت المقدس، فلم يستطع ملك قط أن يجلس عليه. ولم يدر أحد ما آل إليه عاقبة أمره، ولعله رفع. وإنما ذكرت صفته هنا لأنه من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده. وزعم الطبري أن بختنصر، ليس من الملوك الأربعة الذين ملكوا الأقاليم كلها، كما قاله العتبي ومن تقدمه إلى هذا القول. قال: ولكنه كان عاملاً على العراق للملك المالك للأقاليم في ذلك الحين وهو كيلهراسب. والصحيح ما قاله العتبي وغيره.

وذكر أهل التاريخ وأصحاب السير أن رجلاً من بني إسرائيل إسمه إسحاق في زمن عيسى بن مريم عليهما السلام، كان له ابنة عم من أجمل أهل زمانها وكان مغرماً بها، فماتت فلزم قبرها ومكث زماناً لا يفتر عن زيارته، فمرّ به عيسى يوماً وهو على قبرها يبكي، فقال له عيسى عليه السلام: ما يبكيك يا إسحق؟ فقال له: يا روح الله كانت لي ابنة عم وهي زوجتي، وكنت أحبها حباً شديداً وإنها قد توفيت، وهذا قبرها وإني لا أستطيع الصبر عنها وقد قتلني فراقها، فقال له عيسى: أتحب أن أحييها لك بإذن الله؟ قال: نعم يا روح الله فوقف عيسى على القبر، وقال: قم يا صاحب هذا القبر بإذن الله: فانشق القبر وخرج منه عبداً أسود، والنار خارجة من مناخره وعينيه، ومنافذ وجهه، وهو يقول:

---

(1) الشماريخ: جمع الشمراخ: الطرف.

لا إلـه إلاّ الله عيسى روح الله وكلمتـه وعبـده ورسـولـه، فـقـال إسحـاق: يـا روح الله: وكلمتـه مـا هـذا القبر الـذي فيـه زوجتي، وإنمـا هـو هـذا وأشار إلى قـبر آخـر، فقـال عيسى لـلأسـود: ارجـع إلى مـا كنت فيـه فسقط ميتـاً فـواراه في قـبره. ثـم وقف عـلى القـبر الآخـر وقـال: قم يـا سـاكن هـذا القـبر بـإذن الله، فقـامت المرأة وهي تنـثر الـتراب عن وجهها، فقال عيسى: هذه زوجتك؟ قال: نعم يا روح الله. قال: خذ بيدها وانصرف. فأخذها ومضى فأدركه النوم فقال لها: إنه قد قتلني السهر على قبرك، وأريد أن آخذ لي راحة. قالت: افعل فوضع رأسه على فخذها ونام. فبينما هو نائم إذ مر عليها ابن الملك، وكان ذا حسن وجمال وهيئة عظيمة، راكباً على جواد حسن، فلما رأته هويته، وقامت إليه مسرعة، فلما نظرها وقعت في قلبه، فأتت إليه وقالت: خذني. فأردفها على جواده وسار فاستيقظ زوجها ونظر فلم يرها فقام يطلبها، وقص أثر الجواد فـأدركهما، وقـال لابن الملك: اعطني زوجتي وابنـة عمي، فأنكـرته وقالت: أنا جارية ابن الملك فقال: بل أنت زوجتـي وابنة عمي. فقالت: ما أعرفك! وما أنا إلا جارية ابن الملك! فقال له ابن الملك: أفتريد أن تفسد جاريتي؟ فقال: والله إنها لزوجتي وإن عيسى بن مريم أحياها لي بإذن الله، بعد أن كانت ميتة، فبينما هم في المنازعة إذ مر عيسى ﷺ فقال إسحاق: يا روح الله أما هذه زوجتي التي أحييتها لي بإذن الله؟ قال: نعم. فقالت: يا روح الله إنه يكذب وإني جارية ابن الملك. وقال ابن الملك: هذه جاريتي. قال عيسى: ألست التي أحييتك بإذن الله؟ قالت: لا والله يا روح الله. قال: فردي علينا ما أعطيناك. فسقطت ميتة. فقال عيسى: من أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله كافراً ثم أحياه وأماته مسلماً، فلينظر إلى ذلك الأسود. ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتها الله مؤمنة، ثم أحياها وأماتها كافرة، فلينظر إلى هذه. وإن إسحاق الإسرائيلي، عاهد الله تعالى أن لا يتزوج أبداً، وهام على وجهه في البراري باكياً. وفي هذه الحكاية أعظم عبرة لأولي الألباب وهي من أعجب ما يسمع في التوفيق والخذلان، نسأل الله تعالى السلامة، وحسن الخاتمة، بجاه سيدنا محمد وآله. وقد أحببت أن أذكر هنا ما أخبرني به بعض العلماء العارفين وهو أن عيسى ﷺ اجتاز في بعض الأيام بجبل، فرأى فيه صومعة فدنا منها فرأى فيها متعبداً قد انحنى ظهره، ونحل جسمه، وبلغ به الاجتهاد أقصى غاياته، فسلم عليه وقال له: منذ كم أنت في هذه الصومعة؟ فقال: منذ سبعين سنة أسأله حاجة واحدة وما قضاها لي بعد! فعساك يا روح الله أن تكون شفيعاً لي فيها فعساها تقضى! فقال له عيسى: وما حاجتك؟ قال: أن يذيقني مثقال ذرة من خالص محبته. فقال عيسى: ها أنا أدعو الله لك في ذلك فدعا له عيسى في تلك الليلة فأوحى الله إليه إني قد قبلت شفاعتك، وأجبت دعوتك. فعاد عيسى بعد أيام إلى ذلك الموضع فرأى الصومعة قد وقعت والأرض التي تحتها قد شقت، فنزل عيسى ذلك الشق إلى منتهاه فرأى العابد في مغارة تحت ذلك الجبل، واقفاً شاخصاً مثقال ذرة من خالص محبتنا فعلمنا أنه لا يطيق ذلك، فوهبناه جزءًا من سبعين ألف جزء من ذرة، فهو فيها حائر كما ترى فكيف لو وهبناه أكثر من ذلك؟! اهـ قلت: فمحبة الخواص من هذه المعادن رشحت، وبهذه الأوصاف عرفت، واعلم أن المحبة هي أوّل أودية الفناء، والعقبة التي تنحدر منها إلى منازل المحو. وقد اختلفت إشارات أهل التحقيق في العبارة عنها، فكل نطق بحسب ذوقه، وافصح

بمقدار شوقه. ليس هذا موضع حكاية أقوالهم، واختلاف عباراتهم فيها، وقد بسّطنا الكلام في ذلك في كتابنا الجوهر الفريد في أواخر الجزء الثامن، ولنذكر لمعة يستأنس بها الناظر، في هذا الكتاب. فاعلم أن المحبة على الإجمال موافقة المحبوب فيما شاء سواء فيها حزن أو سر، نفع أو ضر، وقد أشار بعضهم إلى ذلك بقوله(١):

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدمُ
أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوّمُ
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم ... إذ كان حظي منك حظي منهم
فأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ... ما من يهون عليك ممن يكرم(٢)

واعلم أن الغيرة من أوصاف المحبة، والغيرة تأبى الستر والإخفاء، فكل من بسط لسانه في العبارة عنها والكشف عن سرها فليس له منها ذوق، وإنما حركه وجدان الرائحة، ولو ذاق منها شيئاً لغاب عن الشرح والوصف. فالمحبة الصادقة لا تظهر على المحب بلفظه، وإنما تظهر بشمائله ولحظه، ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب، لموضع امتزاج الأسرار من القلوب، وقد قيل في ذلك:

تشير فأدري ما تقول بطرفها ... وأطرق طرفي عند ذاك فتفهمُ
تكلم منا في الوجوه عيوننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلمُ

وأما محبة العوام، فهي محبة تنبت من مطالعة المنة، وتثبت باتباع السنة، وتنمو على الإجابة للغاية، وهي محبة تقطع الوساوس، وتلذذ الخدمة، وتسلي عن المصائب، وهي في طريق العوام عمدة الإيمان فعند القوم كل ما كان من العبد، فهو علة تليق بعجز العبد وفاقته. وإنما عين الحقيقة أن يكون العبد قائماً بإقامة الحق له، محباً بمحبته له نظاراً بنظره إليه من غير أن تبقى فيه بقية تقف على رسم، أو تناط باسم، أو تتعلق بأثر، أو توصف بنعت، أو تنسب إلى وقت، صم بكم عمي لدينا محضرون.

وروي: عن إبراهيم الخواص، رحمة الله عليه، أنه قال: عطشت، في بعض سياحاتي، عطشاً شديداً، حتى سقطت من شدة العطش، فإذا أنا بماء قد سقط على وجهي، فأحسست ببرده على فؤادي، ففتحت عيني فإذا أنا برجل ما رأيت أحسن منه على جواد أشهب، عليه ثياب خضر وعمامة صفراء، وبيده قدح، فسقاني منه شربة، وقال لي: ارتدف خلفي فارتدفت، فلم يبرح حتى قال لي: ما ترى؟ قلت: المدينة. قال: انزل واقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام وقل له: رضوان خازن الجنة يقرأ عليه السلام. وهذه كرامة عظيمة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. قال شيخنا اليافعي: من رأيتموه يزدري بالأولياء، أو ينكر مواهب الأصفياء، فاعلموا أنه محارب لله مبعد من رحمته مطرود عن حقيقة قربه به والله أعلم.

---

(١) في العقد الفريد: ٥/٣٧٤ لأبي الشيص، انظر ديوانه ١٠١. (٢) وفي الديوان: «نفسي جاهداً».

الجواف: بالضم والتخفيف ضرب من السمك وليس من جيده ومنه قول مالك بن دينار: أكلت رغيفاً ورأس جوافه، فعلى الدنيا العفاء. أي الدروس، وذهاب الأثر وقيل العفاء التراب.

الجوذر: بفتح الذال المعجمة وضمها، والجؤذر بالهمزة أيضاً مع الواو: ولد البقرة الوحشية قال الشاعر:

أن من يدخل الكنيسة يوماً ... يلق فيها جآذرا وظباء[1]؟

ولقد أجاد علي بن إسحاق الزاهي حيث يقول[2]:

وبيض بألحاظ العيون كأنما ... هززن سيوفاً واستللن خناجرا
تصدين لي يوماً بمنعرج اللوى ... فغادرن قلبي بالتصبر غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة ... ومسن غصوناً والتفتن جآذرا
واطلعن في الأجياد بالدر أنجما ... جعلن لحبات القلوب ضرائرا

ومما يستجاد من شعره:

الريح تعصف والأغصان تعتنق ... والمزن باكية والزهر مغتبقُ
كأنما الليل جفن والبروق له ... عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

وله أيضاً وأجاد[3]:

تبدت فهذا البدر من خجل بها ... وحقك مثلي في دجى الليل حائر[4]
وماست فشق الغصن غيظاً جيوبه ... ألست ترى أوراقه تتناثر

فأجيز على ذلك:

وفاحت فألقى العود في النار جسمه ... كذا نقلت عنه الحديث المجامر[5]
وقالت فغار الدر واصفر لونه ... كذلك ما زالت تغار الضرائر

وله أيضاً وقيل لغيره:

بادر إذا حاجة في وقتها عرضت ... فللحوائج أوقات وساعات
إن أمكنت فرصة فانهض لها عجلا ... ولا تأخر فللتأخير آفات

---

(١) الجآذر: جمع الجؤذر: البقرة الوحشية.
(٢) ابن إسحاق: علي بن إسحاق بن خلف، أبو الحسن القطان المعروف بالزاهي شاعر من أهل بغداد. توفي سنة ٣٥٢ هـ. والأبيات في وفيات الأعيان: ٣/٣٧٢.
(٣) فوات الوفيات: ٢/٣٠٥.
(٤) في فوات الوفيات: «... من كلف بها...» ونسبتها إلى زكي الدين القوصي.
(٥) البيتان لابن المرصص، وفي الأول: «... في النار نفسه...» فوات الوفيات: ٢/٣٠٥.

وله وأحسن:

أما ترى الغيث كلما ضحكت … كمائم الزهر في الرياض بكى
كالحب يبكي لديه عاشقه … وكلما فاض دمعه ضحكا

وله أيضاً:

لحى الله أمرءًا أولا لسرا … فبحت به وفض الله فاه
لأنك بالذي استودعت منه … أنم من الزجاج بما وعاه

وقد قيل في المعنى وأجاد قائله:

ينم بسر مستوعبه سراً … كما نم الظلام بسر نار
أتم من النصول على مشيب … ومن صافي الزجاج على عقار

توفي الزاهي سنة ستين وثلثمائة وهو شاعر ماهر رحمه الله تعالى.

**الجوزل**: بفتح الجيم، فرخ الحمام والقطا وأنواعهما. وسيأتي ذكره في لفظ القطا والجمع جوازل قال الشاعر:

يا ابنة عمي لا أحب الجوزلا … ولا أحب قرصك المفلفلا
وإنما أحب ظبيا أعبلا … وربما سمي الشاب جوزلا

**جيال**: كجبال، اسم للضبع على فعال، وهي معرفة بلا ألف ولام.

وحكمها يأتي في باب الضاد المعجمة.

**الأمثال**: قالوا: «أنبش من جيال»(١) لأنها تنبش القبور، وتخرج جيف الموتى من باطن الأرض إلى ظاهرها.

**أبو جرادة**: هو الطائر الذي يسميه أهل العراق الباذنجان، ويسميه أهل الشأم البصير، يؤخذ لحمه فيذوب ويتمسح به من كانت البواسير به ظاهرة ينفعه نفعاً بيناً والله أعلم.

## باب الحاء المهملة

**حائم**: هو الغراب الأسود لأنه يحوم عندهم بالفراق قال المرقش(٢):

ولقد غدوت وكنت لا … أغدو على واق وحائم(٣)
فإذا الأشائم كالأيا … من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا … شر على أحد بدائم

---

(١) المستقصى: ١/٣٧٨.
(٢) المرقش: عوف بن سعد بن مالك، شاعر جاهلي متين وهو المرقش الأكبر أبو عمرو. مات سنة ٧٥ ق. هـ.
(٣) البيت في الحيوان للجاحظ: ٣/٤٣٦. وفيه: «على واق أتم».

وستأتي، إن شاء الله تعالى، هذه الأبيات في أول باب الواو. ويسمى غراب البين وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة.

**الحارية**: نوع من الأفعى وقد تقدم في باب الهمزة.

**الحباب**: الحية قال الجوهري: وإنما قيل لها ذلك لأن الحبائب اسم شيطان، والحية يقال لها شيطان. روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: «بلغني أن النبي ﷺ غير اسم رجل من الأنصار، كان اسمه الحباب. وقال: «الحباب اسم شيطان». وقال أبو داود في باب تغيير الاسم القبيح. وغير النبي ﷺ اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وهشاب وحباب. والرجل الذي غير النبي ﷺ اسمه هو عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول. كان اسمه الحباب «فسماه النبي ﷺ عبد الله». وأبوه كان يكنى أبا الحباب.

**الحبتر**: الثعلب وقد تقدم ذكره في باب الثاء المثلثة.

**الحبث**: حية بتراء ذات سم قاتل. وسيأتي إن شاء الله تعالى لفظ الحية في آخر هذا الباب.

**حباحب**: كهداهد حيوان له جناحان كالذباب يضيء بالليل كأنه نار وقد ضربت العرب به المثل فقالوا: «أضعف من نار الحباحب»[1] وقيل: الحباحب اسم رجل من محارب بن خصفة، مشهور بالبخل، كانت له نار ضعيفة يوقدها مخافة الضيفان، فضربوا به المثل لذلك. قال الجوهري: وربما قيل نار أبي الحباحب، وهو ذباب. وقال في المرصع: يقال للنار القليلة التي لا ينتفع بها، وللذباب الطائر في الليل أبو حباحب. غير مصروف قلت: وهذا الطائر يسمى القطرب ذكره ابن البيطار وغيره وقال في الصحاح: القطرب طائر.

**وحكمه**: تحريم الأكل لأنه من الحشرات.

**الحبارى**: بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة: طائر معروف وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى. واحده وجمعه سواء، وإن شئت قلت في الجمع: حباريات. قال الجوهري: وألف حبارى ليست للتأنيث ولا للإلحاق وإنما بني الاسم عليها، فصارت كأنها من نفس الكلمة، لا تنصرف في معرفة ولا نكرة، أي لا تنون. قلت: وهذا سهو منه بل ألفها للتأنيث كسماني ولو لم تكن له لانصرفت. وأهل مصر يسمون الحبارى الحبرج. وهي من أشد الطير طيراناً، وأبعدها شوطاً، وذلك أنها تصاد بالبصرة، وفيوجد في حواصلها الحبة الخضراء، التي شجرها البطم، ومنابتها تخوم بلاد الشأم. ولذلك قالوا في المثل «أطلب من الحبارى». وإذا نتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمداً. والكمد الحزن المكتوم. وهو طائر طويل العنق رمادي اللون في منقاره بعض طول وقال الجاحظ: الحبارى لها خزانة في دبرها وأمعائها لها أبداً فيها سلحٌ رقيق. فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فينتف ريشه كله، وفي ذلك هلاكه. وقد جعل الله تعالى سلحها سلاحاً لها قال الشاعر[2]:

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢٤٥.

(٢) البيت في الحيوان للجاحظ: ٥/٤٤٨. وهو منسوب إلى أوس بن غلفاء الهجيمي، وهو شاعر جاهلي.

وهم يتركوك أسلح من حبارى رأت صقرا وأشرد من نعام

ومن شأنها أنها تصاد ولا تصيد. روى البيهقي في الشعب من حديث يحيى بن أبي كثير عن سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال أبو هريرة: كذب والذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت هزالاً من خطايا بني آدم، وهو كذلك في تفسير الثعلبي في آخر سورة فاطر يعني إذا كثرت الخطايا، منع الله القطر عن أهل الأرض. وإنما يصيب الطير من الحب والثمرة على قدر المطر قال الشاعر:

يسقط الطير حيث يلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء[1]

وهي من أكثر الطير حيلة في تحصيل الرزق، ومع ذلك تموت جوعاً لهذا السبب فسبحان القادر على ما يشاء وولدها يقال له نهار، وفرخ الكروان يقال له ليل ولذلك قال الشاعر:

ونهاراً رأيت منتصف الليل وليلاً رأيت وسط النهار

الحكم: يحل أكلها لأنها من الطيبات. روى أبو داود والترمذي عن يزيد بن عمر بن سفينة مولى رسول الله ﷺ، عن أبيه عن جده أنه قال: «أكلت مع رسول الله ﷺ حبارى».[2] قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

الأمثال: قالوا: «أنكد من الحبارى» كما تقدم. وقال عثمان: «كل شيء يحب ولده حتى الحبارى».[3] وإنما خصها بالذكر لأنها يضرب بها المثل في الحمق، فهي، على حمقها، تحب ولدها فتطعمه وتعلمه الطيران كغيرها من الحيوان. وقالوا: «أسلح من الحبارى»[4] حالة الخوف «وأسلح من الدجاج»[5] حالة الأمن. وقالوا: «الحبارى خالة الكروان»[6] وقالوا:[7] «أقصر من إبهام الحبارى» و«من إبهام القطاة».

الخواص: لحم الحبارى بين لحم الدجاج ولحم البط في الغلظ، وهو أخف من لحم البط لأنه بري وهو حار ورطب جداً. وأجوده المخاليف المكدودة قبل الذبح وهو نافع لتسكين الرياح، لكنه يضر بالمفاصل والقولنج. ويدفع ضرره الدارصيني والزيت والخل، ويتولد منه دم بلغمي ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة من الشبان، لا سيما إذا أكل في الشتاء وفي البلاد الباردة. وقال صاحب تقويم الصحة: يكره لحم الحبارى لغلظه وعسر انهضامه وأجوده ما طبخ بعد أن يمضي عليه يومان ثم يغرز في صدره وأفخاذه الثوم الكثير والفلفل، ويعمل بالأبازير وهو إذا انهضم ولد غذاء كثيراً. وما كان منه مخلفاً خير مما كان عتيقاً، ويجب أن يتناول بعده حلواء العسل انتهى.

وقال القزويني: يوجد في حوصلته حجر إذا علق على الإنسان لا يحتلم ما دام عليه وإن

---

(١) البيت لبشار بن برد وهو في الحيوان للجاحظ: ٥/٤٤٥. وفيه: «.. حيث ينتشر...».

(٢) رواه أبو داود في الأطعمة: ٢٨. والترمذي في الأطعمة: ٦٢.

(٣) المستقصى: ٢/٢٢٧.

(٤) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٦.

(٥) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٦.

(٦) مجمع الأمثال: ١/٢١٥.

(٧) جمهرة الأمثال: ٢/١٠٩.

كان به إسهال حبس بطنه. وإذا علق قلبه على من يكثر النوم قل نومه. وقال أرسطاطاليس في النعوت: بيض الحبارى ما كان منه ذكراً يسود الشعر، ويبقى صبغه سنة لا ينصل وما كان منه أنثى لا يسود الشعر، ويعرف ما يسود بأن يؤخذ خيط فيدخل في إبرة ويدخل في بيضة فإذا اسود الخيط صبغ بها وإلا فلا.

**التعبير**: الحبارى في المنام رجل سخي صاحب دخل وخرج بلا منفعة كثير الأكل والتعب لا يفتر ليلاً ولا نهاراً.

**الحبرج**: ذكر الحبارى واليحبور ولدها وقيل اليحبور من طير الماء.

**الحبركى**: القراد قالت[1] الخنساء:

فلست بمرضع ثديي حبركى أبوه من بني جشم بن بكرِ

والأنثى حبركاة وقال أبو عمرو الجرمي: قد جعل بعضهم الألف في حبركى للتأنيث، فلم يصرفه. وربما شبه به الرجل الغليظ الطويل الظهر القصير اليدين.

**حبلق**: كعملس غنم صغار لا تكبر وقيل قصار الغنم ودقاقها.

**حبيش**: قال الجوهري هو طائر جاء مصغراً كالكميت والكعيب انتهى. والكعيب البلبل كما تقدم.

**الحجر**: الأنثى من الخيل لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر. والجمع أحجار وحجور وقيل: أحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل، وليس بقوي. وفي كامل ابن عدي في ترجمة محمد بن عبد الله العرزمي، عن عمر بن شعيب، عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ قال[2]: «ليس في حجرة ولا بغلة زكاة» وهذا يدل على أنه يقال لها حجرة بالهاء. لكن في المستدرك، من حديث أبي حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يسمي الأنثى من الخيل فرساً.

**وحكمها**: وخواصها كالخيل وسيأتي ذكر ذلك في باب الخاء المعجمة والفاء.

**التعبير**: الحجرة في المنام امرأة شريفة مباركة لقوله ﷺ: «ظهورها عز وبطونها كنز».[3] فمن ركب حجرة في منامه بآلة الركوب، فإنه ينكح امرأة شريفة مباركة في عقد صحيح. ومن ركب حجرة بلا سرج ولا لجام، فإنه ينكح امرأة في غير عصمه، أو يركب أمراً لا يثبت عليه. وربما دلت الحجرة البيضاء على امرأة ذات حسب ونسب والحمراء على امرأة ذات زينة. والصفراء على امرأة ذات مرض. والسوداء على امرأة ذات ملك وسودد والدهماء كذلك. وربما دلت الحجرة على السنة فالسمينة خصب، والضعيفة جدب. وقد تكون ضعف الجاه والقوى والحيل والله تعالى أعلم.

---

(١) ديوان الخنساء: ٧٧.

(٢) الكامل لابن عدي: ٢١١٢/٦. ورواه النسائي في الزكاة: ١٦.

(٣) رواه البخاري: مناقب ٢٨. ومسلم: زكاة ٢٥ وإمارة: ٩٦ ــ ٩٩. وأبو داود في الجهاد: ٤١. وابن ماجه في التجارات: ٢٩. والجهاد: ١٤. والدارمي في الجهاد: ٣٣. والموطأ في الجهاد: ٤٤. وأحمد: ٣٩/٣. وفي البخاري: . . الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة.

**الحجروف**: دويبة طويلة القوائم أعظم من النمل حكاه ابن سيده.

**الحجل**: بالفتح الذكر من القبج الواحدة حجلة واسم جمعه حجلى. ولم يأتي جمع على فعلى بكسر الفاء. الاحرفان حجلى وظربي جمع ظربان وهو دويبة منتنة الريح وستأتي في باب الظاء المشالة إن شاء الله تعالى. والحجل طائر على قدر الحمام، كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر، وهو صنفان: نجدي وتهامي، فالنجدي أخضر اللون أحمر الرجلين، والتهامي فيه بياض وخضرة. وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية، ومن شأنها إذا لم تلقح أن تتمرغ في التراب، وتصبه على أصول ريشها فتلقح. ويقال إنها تبيض من سماع صوت الذكر أو بريح تهب من قبله، وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها، فحضنها وهي تحضن الإناث وهما كذلك في التربية. قال التوحيدي: ويعيش الحجل عشر سنين ويصنع عشين يجلس الذكر على واحد، والأنثى على واحد، ومن طبع الحجل أنه يأتي أعشاش نظرائه، فيأخذ بيضها ويحضنه. فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التي باضتها وفي تركيبه قوّة الطيران حتى إن الإنسان، إذا لم يره يظنه حجراً خرج من مقلاع. والذكر شديد الغيرة على الأنثى، فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى فأيهما غلب ذل الآخر. وتبعت الأنثى الغالب منهما. وفي طبع الذكر أن يخدع أمثاله بقرقرته، ولهذا يتخذه الصيادون في أشراكهم ليكثر القرقرة فيجتمع إليه أبناء جنسه فيقعن معه. وهو يفعل ذلك كالحاسد لها والمنتقم منها والأنثى إذا أصيب بيضها قصدت عش غيرها، وغلبتها على بيضها أو تسرقه وتحضنه.

فائدة: ذكر في كتاب النشوان، وتاريخ ابن النجار عن أبي نصر محمد بن مروان الجعدي، أنه أكل بعض مقدمي الأكراد على سماط فيه حجلتان مشويتان، فأخذ الكردي بيده واحدة وضحك، فسأله عن ذلك فقال: قطعت الطريق في عنفوان شبابي على تاجر، فلما أردت قتله تضرع إلي فلم أقبل تضرعه، ولم أفلته فلما رأى الجد مني، التفت إلى حجلتين كانتا في جبل وقال اشهدا لي عليه إنه قاتلي ظلماً فقتلته. فلما رأيت هاتين الحجلتين، تذكرت حمقه في استشهادهما علي. فقال ابن مروان لما سمع ذلك منه قد شهدتا والله عليك عند من يفيدك عند من يقيدك بالرجل ثم أمر بضرب عنقه.

الحكم: أكلها حلال اتفاقاً. وسيأتي إن شاء الله تعالى، في النحام، في باب النون عن كامل ابن عدي أن الطير المشوي الذي أهدي للنبي ﷺ، كان حجلاً. وقيل: كان نحاماً. وصح أنه ﷺ كان بين كتفيه خاتم مثل زر الحجلة. قال الترمذي: المراد بالحجلة هذا الطائر وزرها بيضها قلت: والصواب إنها حجلة السرير واحدة الحجال، وزرها الذي يدخل في عروتها. وروى البيهقي في دلائل النبوّة عن الواقدي عن شيوخه أنهم قالوا: لما شك في موت النبي ﷺ قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت، فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه. ثم قالت: توفي رسول الله ﷺ، قد رفع الخاتم من بين كتفيه. فكان هذا هو الذي عرف به موته ﷺ. وأسماء بنت عميس كانت زوجة جعفر بن أبي طالب ثم تزوّجها الصديق، فأولدها محمداً ثم تزوّجها علي بن أبي طالب، بعد وفاة الصديق. وكان محمد بن أبي بكر صغيراً فرباه علي

فهو ربيب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

**فائدة أخرى:** في المستدرك، عن وهب بن منبه، أنه قال: «لم يبعث الله نبياً إلا وقد كان عليه شامة النبوة في يده اليمنى، إلا نبينا محمداً ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه».[1] وقال علي رضي الله تعالى عنه: لأهل العراق يا أشباه الرجال ولا رجال، يا عقول ربات الحجال! وقال كثير عزة:

وأنت الذي حببت كل قصيرة إلي فلا تدرك نداك القصائرُ
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الخطاشر النساء البحاتر[2]

وسيأتي الكلام على خاتم النبوة في باب الكاف في لفظ الكركي.

**الأمثال:** ضرب النبي ﷺ المثل بالحجل فقال[3]: «اللهم إني أدعو قريشاً وقد جعلوا طعامي طعام الحجل». يريد أنه يأكل الحبة بعد الحبة لا يجد في الأكل. وقال الأزهري: أراد إنهم غير جادين في إجابتي فلا يدخل منهم في دين الله إلا النادر القليل. وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب، عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[4] «أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله». قال وكان يقول: «حاذوا المناكب في الصلاة فإن الشيطان يتخلل الصفوف كما يتخلل الحجل والصف الأيمن خير من الصف الأيسر» قال قوله: حاذوا من الحذاء وهو أن يجعل المنكب بجنب المنكب.

**الخواص:** لحمها معتدل جيد سريع الهضم إذا ابتلع من كبدها وهي حارة قدر نصف مثقال نفع من الفزع، ومرارتها تنفع الغشاوة المظلمة في العين اكتحالاً. وإذا سعط بمرارتها إنسان في كل شهر مرة احتد ذهنه، وقل نسيانه، وقوي بصره. وقال المختار بن عبدون: بيض الحجل ألطف من بيض الدجاج، وهو نافع للمترفهين وضار بأصحاب الكد، ويولد غذاء معتدلاً، ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة، وهو أجود هضماً من بيض الدجاج، وأجود ما يعمل أن يلقى في الماء وهو يغلي وفيه ملح أو خل، ويكون الماء متساوياً عليه. وكذلك كل بيض، وأما المطجن من كل بيض فرديء جداً يولد حجارة في المثانة، ويحدث غماً وقولنجاً. والمغلي في الماء أهضم منه وأنفع ومن المقلي في الأدهان أيضاً انتهى. وقال غيره: بيض الحجل إذا طبخ في الماء المغلي في الكمون والملح أو بخل اعنصل وأكل نفع من المغص وسائر أوجاع البطن.

**وأما رؤيته في المنام:** فالحجلة تدل على امرأة غير الفة وربما تدل رؤيتها على محبة الأولاد.

**الحدأة:** بكسر الحاء المهملة، أخس الطير، كنيته أبو الخطاف، وأبو الصلت، ولا تقل

---

(١) رواه البخاري في الوضوء: ٤٠، والمرضى: ١٨، والدعوات: ٣١. ورواه مسلم في الفضائل: ١١٢.
(٢) البحاتر: القصار.
(٣) رواه أحمد: ١/١٠٤.
(٤) مختصر الترغيب والترهيب ص ٢٦. ورواه الترمذي في الصلاة: ١٨٨. والنسائي صلاة٩.

حدأة بفتح الحاء، لأنها الفاس التي لها رأسان وقد جاء في الحديث الحديا على وزن الثريا، كذا قيده الأصيلي. وقد جاء الحدياة بغير همز وفي بعض الروايات الحديئة بالهمزة كأنه تصغير. ذكره الصاغاني قال: وصواب تصغيره الحديئة بالهمز وإن ألقيت حركة الهمزة على الياء شددتها، وقلت: الحدية على مثال عليه. وفي الحديث لا بأس بقتل الحدو والإفعو، قال الأزهري: هي لغة فيهما. وقال ابن السراج: بل هي على مذهب الوقف لا على هذه اللغة قلب الألف واواً على لغة من قال حداً وكذا أفعى انتهى. وقال الأصمعي: جمع الحدأة حدأ كلبأ وزاد ابن قتيبة وحدآن. قال الجوهري: هي مثل عنبة وعنب وقد قال في ع ن ب الحبسة من العنب عنبة وهو بناء نادر لأن الأغلب على هذا البناء الجمع نحو قرد وقردة وفيل وفيلة وثور وثورة. إلا أنه قد جاء للواحد، وهو قليل نحو العنبة والتولة والطيبة والخيرة والطيرة ولا أعرف غيره انتهى. وهو قد ذكر ذلك في حدأة كما تقدم والطيبة المغنم الهنيء والتولة ما تحبب به المرأة لزوجها، والخيرة والطيرة معروفتان. قلت: وقد يرد عليه ثومة جمعه ثوم وذبحة وهو وجع في الحلق ومنة وهو العنكبوت، ورمخة وهي البلحة وضمخة وهي السمينة وهننة وهي نوع من القنافذ وتيمة وهي شجرة بوادي إبراهيم بالحجاز، والحدأة تبيض بيضتين، وربما باضت ثلاثاً، وخرج منها ثلاثة أفراخ، وتحضن عشرين يوماً، ومن ألوانها السود والرمد وهي لا تصيد وإنما تخطف. ومن طبعها أنها تقف في الطيران، وليس ذلك لغيرها من الكواسر. وزعم ابن وحشية وابن زهر أن العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقاباً. وفي نسخة الغراب بدل العقاب فسبحان القادر على ما يشاء. ويقال: إنها أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير، فلو ماتت جوعاً لا تعدو على فراخ جارها وتزعم رواة الأخبار ونقلة الآثار أنها كانت من جوارح سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وإنما امتنعت من أن تؤلف أو تملك لأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده.

والسبب في صياحها عند سفادها أن زوجها قد جحد ولدها منه، فقالت: يا نبي الله قد سفدني حتى إذا حضنت بيضي وخرج منه ولدي جحدني. فقال سليمان عليه السلام للذكر: ما تقول؟ فقال: يا نبي الله إنها تحوم البراري ولا تمتنع من الطير فلا أدري أهو مني أو من غيري! قال: فأمر سليمان عليه السلام بإحضار الولد فوجده شبه والده فألحقه به. ثم قال لها سليمان عليه السلام: لا تمكنه أبداً حتى تشهدي عليه ذلك الطير لئلا يجحد بعدها. فصارت إذا سفدها صاحت وقالت: يا طيور اشهدوا فإنه سفدني اهـ. وتقول في صياحها كل شيء هالك إلا وجهه وهي طرشاء ولو كانت مما يصاد بها لما كان من الكواسر أحسن صيداً منها، ولا أجل ثمناً. ومن طبعها أنها لا تخطف إلا من يمين من تخطف منه، دون شماله، حتى إن بعض الناس يقول: إنها عسراء لأنها لا تأخذ من شمال إنسان شيئاً. وقال القزويني: إنها سنة ذكر وسنة أنثى. وفي صحيح البخاري وغيره أن أعرابية كانت تخدم نساء النبي ﷺ وكانت كثيراً ما تتمثل بهذا البيت[1].

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا ... على أنه من ظلمة الكفر نجاني

---

(١) البيت في كتاب الحيوان للجاحظ: ١٥٣/٥. وفيه:

ويوم السِّخاب من تعاجيب ابنا ... كما أنه من بلدة الكفر نجاني

فقالت لها عائشة رضي الله تعالى عنها: ما هذا البيت الذي أسمعه منك: فقالت شهدت عروساً لنا تجلى، إذ دخلت مغتسلاً لنا وعليها وشاح، فوضعته فجاءت الحديا فأبصرت حمرته فأخذته، ففقدوا الوشاح فاتهموني به ففتشوني حتى قبلي فدعوت الله أن يبرئني «فجاءت الحديا بالوشاح حتى ألقته بينهم»[1]. كذا قيده الأصيلي الحديـا على وزن الـثريا. وروي من طـريق الصاغاني وغيره: الحدياة بغير همزة والحديئة بالهمز. وفي رواية فرفعت رأسي وقلت يا غيـاث المستغيثين فما أتممتهن،حتى جاء غراب فرمى الوشاح، أو قالت فألقى الوشاح بيننا فلو رأيتني يا أم المؤمنين وهن حولي يقلن: اجعلينا في حل، فنظمت ذلك في بيت، فأنا أنشده لئلا أنسى النعمة فأترك شكرها. وروى الحافظ النسفي في كتاب فضائل الأعمال بإسناده إلى حماد بن سلمة، أن عاصم بن أبي النجود، شيخ القراء، في زمانه قال: أصابتني خصاصة[2] فجئت إلى بعض إخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلى الجبانة فصليت ما شاء الله، ثم وضعت وجهي على الأرض، وقلت: يا مسبب الأسباب، يا مفتح الأبواب، يا سامع الأصوات، يا مجيب الدعوات، يا قاضي الحاجـات اكفني بحلالـك عن حرامـك، وأغنني بفضلك عمن سواك. قال: فو الله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فرفعت رأسي فإذا حدأة طرحت كيساً أحمر فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون ديناراً جوهرة ملفوفة في قطنة مندوفة. قال: فبعت الجوهرة بمال عظيم وفضلت الدنانير فاشتريت بها عقاراً وحمدت الله على ذلك انتهى. وحكى القشيري في الرسالة، في آخر باب كرامات الأولياء، عن شبل المروزي أنه اشترى لحماً بنصف درهم فاستلبته منه حدأة فدخل شبل مسجداً يصلي فيه، فلما رجع إلى منزله قدمت له زوجته لحماً، فقال لها من أين لكم هذا؟ فقالت: تنازع حدأتان فسقط هذا منهما! فقال شبل: الحمد لله الذي لم ينس شبلاً، وإن كان شبل ينساه. وفي كتاب المجالسـة للدينوري، في الجـزء الثالث، عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، قال: كان سعد بن أبي وقاص بين يديه لحم، فجاءت حدأة فأخذتـه فدعا عليها سعد فاعترض عظم في حلقها فوقعت ميتة انتهى. وروينا بالسند الصحيح أن الشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله روحه، جلس يوماً يعظ الناس، وكانت الريح عاصفة، فمرت على مجلسه حدأة طائرة، فصاحت فشوشت على الحاضرين ما هم فيه، فقال الشيخ: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة فوقعـت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية فنزل الشيخ عن الكرسي وأخذها بيده، وأمر يده الأخرى عليها. وقال: بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك.

الحكم: يحرم أكلها لأنها من الفواسق الخمس المأمور بقتلها. قال الخطابي: المراد بفسقها تحريم أكلها. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفأر بيان ذلك. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وعائشة وحفصة رضي الله تعالى عنهم أجمعـين، أن النبي ﷺ قال[3]: «خمس

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار: ٢٦.

(٢) الخصاصة: الفقر.

(٣) رواه مسلم في الحج: ٦٧، ٦٨، ٦٩. والنسائي في المناسك ١١٣، ١١٤، ١١٨، ١١٩. وابن ماجه في المناسك: ٩١، وفي الموطأ: حج ٩٠، وأحمد: ٣٣/٦ ـ ٨٧ ـ ٩٧ ـ ١٢٢ ـ ١٦٤ ـ ٢٥٩.

فواسق يقتلن في الحل والحرم». وفي رواية «ليس على المحرم في قتلهن جناح الحدأة والغراب الأبقع والعقرب والفأرة والكلب والعقور». نبه ﷺ بذكر هذه الخمسة على جواز قتل كل مضر فيجوز له أن يقتل الفهد والنمر والذئب والصقر والشاهين والباشق والزنبور والبرغوث والبق والبعوض والوزغ والذباب والنمل إذا آذاه. قال الرافعي: وفي معنى هذه الخمسة: الفحية الذئب والأسد والنمر والنسر والعقاب، فهذه الأنواع يستحب قتلها للمحرم وغيره. وقال في باب الأطعمة ما يخالف ذلك وهو أن قتلها على سبيل الوجوب وسيأتي بيان هذا إن شاء الله تعالى، في باب الصاد في الكلام على الصيد.

**الأمثال**: قالوا[1]: «حدأة حدأة وراءك بندقة» قال أبو عبيدة: يراد بذلك هذه الحدأة التي تطير، والبندقة ما يرمي به يضرب للتحذير.

**الخواص**: مرارتها تجفف في الظل وتنقع في إناء زجاج، فمن لسعه شيء من الهوام، قطر منه في الموضع الذي لسع فيه، واكتحل مخالفاً إن لسع في الجانب الأيمن، اكتحل في العين اليسرى، وإن لسع في الجانب الأيسر اكتحل في العين اليمنى ثلاثة أميال، فإنه ينجيه. وإن سحقت وطرحت في سلة الحاوي، ماتت الحيات كلها. ودمها إذا خلط بقليل مسك وماء ورد شرب على الريق نفع من ضيق النفس. وإن علقت وهي حية في بيت لم يدخله حية ولا عقرب.

**التعبير**: الحدأة تدل رؤيتها على الحرب والقتال، لما قيل «حدأة حدأة وراءك بندقة» قال بعض أهل اللغة: إن حدأة وبندقة كانتا قبيلتين من سعد العشيرة، فأغارت حدأة وتغلبت، وكانت تنزل بالكوفة على بندقة، وكانت تنزل باليمن، فنالت منهم، ثم كسرت بندقة حدأة وتغلبت عليهم. وقيل: هي الطائر المعروف، وبندقة الرامي كما تقدم. وربما دلت على الرجل المتجرم أو المرأة الزانية. وجماعة الحدأ تدل على قطاع الطريق، وربما دلت رؤيتها على من يحل قتاله لكفره وشركه، فإن قتلهم مباح في الحل والحرم، وكذلك الحدأة قاله ابن الدقاق. وقال غيره: الحدأة في المنام ملك خامل الذكر ظالم، وذلك لقوة سلاحه وقربه من الأرض. ومن أصاب حدأة ولد له غلام وينال قبل البلوغ ملكاً، فإن طارت منه مات الولد. وقال أراطميدورس: الحدأة في المنام تدل على اللصوص والخطافين وتدل على النساء والله أعلم.

**الحذف**: بفتح الحاء والذال المعجمة غنم سود صغار من غنم الحجاز، الواحد حذفة وفي حديث الصلاة «لا يتخللكم الشياطين كأنها حذف». وفي رواية[2] كأولاد الحذف قيل: «يا رسول الله وما أولاد الحذف؟ قال: ضأن سود جرد صغار تكون باليمن».

**الحر**: الفرس العتيق وفرخ الحمامة وقيل الذكر منها وولد الظبية وولد الحية والصقر البازي وقال ابن سيده: الحر طائر صغير أنمر أصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس. وقيل إنه يضرب إلى الخضرة وهو يصيد.

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٣٠٥.

(٢) رواه ابن حنبل: ٤ — ٢٩٧، ٣ - ٢٦٠ - ٢٨٣ - ٥ - ٢٦٦ وأبو داؤد في الصلاة: ٩٣. والنسائي إمامة: ٢٨.

الحرباء: كنيته أبو خجادب وأبو الزنديق وأبو الشقيق وأبو قادم. ويقال له جمل اليهود كما تقدم. قال الإمام القزويني في كتاب عجائب المخلوقات: لما كان الحرباء خلقاً بطيء النهضة وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات، حتى يدرك صيده من غير حركة في يديه، ولا قصد إليه، ويبقى كأنه جامد، أو كأنه ليس من الحيوان. ثم أعطي مع السكون خاصية أخرى، وهو أنه يتشكل بلون الشجرة التي يكون عليها، حتى يكاد يختلط لونه بلونها، ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره، أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة، كلحوق البرق، ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة، وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها، يصطاد به على هذه المسافة، وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتكوّن على هيئة وشكل، يفر منه كل من يريد من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون. انتهى.

والحرباء أكبر من العظاية، وهي تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت، وتتلون بحر الشمس كما قال الإمام الغزالي ألواناً مختلفة، فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت. وهو ذكر أم حبين والجمع الحرابي والأنثى حرباءة. قال رجل: خاصمت ابن أخي إلى معاوية فجعلت أحجه، فقال: أنت كما قال الشاعر(1):

إني أتيح له حرباء تنضبة ... لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجرة. والمعنى: أنه لا تنقضي له حجة حتى يتمسك بأخرى، تشبيه بالحرباء. قال الجوهري: ويقال حرباء تنضب كما يقال ذئب غضى. والتنضب شجر يتخذ منه السهام والتاء زائدة لأنه ليس في الكلام فعلل، وفي الكلام تفعل مثل تقتل وتخرج، والواحدة تنضبة، ويقال لها أيضاً حرباء الظهيرة. وهي دويبة غبراء ما دامت فرخاً، ثم تصفو وهي أبداً تطلب الشمس، فحين تبدو تنحرف بوجهها إليها حتى إذا استوت الشمس، علت رأس شجرة وما يجري مجراها، فإذا صار قرص الشمس فوق رأسها، بحيث لا تراها أصابها مثل الجنون، فلا تزال طالبة لها، ولا تفتر إلى أن تتصوّب إلى جهة المغرب، فترجع بوجهها إليها مستقبلة لها، ولا تنحرف عنها إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس، طلب هذا الحيوان معاشه ليله كله إلى أن يصبح. حتى إن طائفة من المتكلمين على طبائع الحيوان، يقولون: إنه مجوسي ولسانه طويل جداً مقدار ذراع كما تقدم، وذلك دليل على أنه يكون مطوياً في حلقه، وهو يبلغ به ما بعد عنه من الذباب والأنثى من هذا النوع تسمى أم حبين. وستأتي في آخر الباب. وقد سمي أبو النجم في بعض شعره الحرباء بالشقي، وليس الشقي باسم للحرباء، وإنما سماه به لاستقباله الشمس، كذا ذكره في المحكم في العين والنون والباء.

وهذا الحيوان يوصف بالحزم لأنه، مع تقلبه مع الشمس، لا يرسل يده من غصن حتى يمسك غيره، وهويشبه رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة، وله أربعة أرجل كسام أبرص. وذكر الشيخ جمال الدين بن هشام، في شرح بانت سعاد، أن للحرباء سناماً كسنام البعير وإنه يتلون ألواناً، ويكنى أبا قرة، وهي تتلون بلون الشجرة، التي تكون عليها، حتى تكاد تختلط بلونها، فإذا

---

(1) هو أبو داود الأيادي والبيت في الحيوان: ٦/٣٦٧. وفيه: «... لا يترك الساق...».

قرب منها الذباب ونحوه اختطفته بلسانها، وقد تقدم عن القزويني نظير ذلك.

**الحكم**: قال في الروضة إنها نوع من الوزغ غير مأكولة لكن مقتضى ما قاله الجاحظ والجوهري من أنها ذكر أم حبين، أنها تؤكل، لأن أم حبين مأكولة كما سيأتي إن شاء الله تعالى. لكن قالوا: إن الحرباء من ذوات السموم، فيكون هذا علة تحريمها إلا إنها نوع من الوزغ.

**الأمثال**: قالوا: «فلان يتلون تلون الحرباء»، يضرب لمن لا يثبت على حالة، وقالوا: «أجود من عين الحرباء» «وأحزم من الحرباء» لما[1] تقدم. والحزم الاحتراس والنظر في الأمر قبل الإقدام عليه.

**الخواص**: دمها إذا نتف الشعر النابت في أجفان العين وجعل في أصوله لم ينبت أبداً ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر. وشحمها إذا جعل على حديدة وأحرق بالنار وخلط بالدم، مع شيء يسير من الماء وجدد عليه الدم والشحم، وطلي به قروح الرأس والأبثار، فإنه يبرئها من أول طلية.

**التعبير**: الحرباء في المنام وزير ملك أو خليفته، لا يكاد يفارقه لأنها تدور أبداً مع الشمس، ولا تفارقها كما تقدم. وربما دلت على الخدمة للسلطان، أو الفتنة في الدين أو المرأة المجوسية وربما دلت على الحرب والندب وعلى الميت والله أعلم.

**الحرذون**: بكسر الحاء وبالذال المعجمة دويبة شبيهة بالضب، وقيل: هو ذكر الضب لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم يوجد في العمران المهجورة كثيراً له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأنامل، وجلده لا برص فيه، بخلاف سام أبرص، والحق أنه غير الورل خلافاً لعبد اللطيف البغدادي.

**وحكمه**: تحريم الأكل لأنه من ذوات السموم.

**الخواص**: قال أرسطو: من اطّلى بشحم الحرذون، وألقى نفسه على التمساح لم يضره التمساح، وإذا شم رائحته خدر وانقلب على ظهره. وإن أحرق جلده واطلى به إنسان لم يحس بألم الضرب والقطع، ولو فرق بين رأسه وجسده، والعيارون يفعلون ذلك، فيظهر منهم الثبات على الضرب وغيره، والحرذون يقتل العقرب وإذا علق شحمه على صاحب حمى الربع في خرقة سوداء أبرأه وأزالها، وقال مهراريس: إنما يعلق قلبه على الوصف الذي تقدم.

**ورؤيته في المنام**: تدل على الطمع والشره في الكسب واختلاف المزاج والذهول والنسيان والله تعالى أعلم.

**الحرشاف أو الحرشوف**: الجراد المهزول الكثير الأكل الواحدة حرشافة. وفي حديث خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت رضي الله عنهما، لما قال لها: أنت كظهر أمي، وجاءت تستفتي له رسول الله ﷺ وتشتكي إلى الله، فأنزل الله عزّ وعلا فيها: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٣٢٩.

زوجها وتشتكي إلى الله﴾[1] إلى آخر الآيات. قال لها النبي ﷺ: «مريه أن يعتق رقبة[2]. قالت: والله ما يجد رقبة وماله خادم غيري. قال: مريه فليصم شهرين متتابعين. قالت: والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك، إنه ليشرب في اليوم كذا كذا مرة قد ذهب بصره مع ضعف بدنه، وإنما هو كالحرشافة» شبهته بالجراد المهزول الكثير الأكل.

الحرقوص: بضم الحاء المهملة وبالقاف المضمومة وبالصاد المهملة في آخره وبالسين في لغة عوض الصاد دويبة كالبرغوث صغير أرقط بحمرة أو صفرة، ولونه الغالب عليه السواد. وربما نبت له جناحان فطار قال الراجز:

ما لقى البيض من الحرقوص   يدخل تحت الحلق المرصوص
من مارد لص من اللصوص   بمهر لا غال ولا رخيص

أراد بلا مهر أصلاً. وقيل هي دويبة مثل القراد وأنشدوا:

مثل الحراقيص على حمار

وفي ربيع الأبرار للزمخشري: أنها دويبة أكبر من البرغوث، وعضها أشد من عضه، وهي مولعة بفروج النساء تولع النمل بالمذاكير، وينبت لها جناحان كما ينبت للنملة، وقيل الحرقوص البرغوث بعينه، واحتج له بقول الطرماح:[3]

ولو أن حرقوصاً على ظهر قملة   يكر على صفي تميم لولت[4]

ويقال له النهيك وقالت أعرابية:

يا أيها الحرقوص مهلاً مهلاً   أإبلا أعطيتني أم نحلا
أم أنت شيء لا تبالي الجهلا

وقال ابن سيده: الحرقوص دويبة مخزمة لها حمة كحمة الزنبور تلدغ بها كأطراف السياط، ولذلك يقال لمن ضرب بأطراف السياط أخذته الحراقيص.

**فائدة**: الحرقوص السعدي رجل من الصحابة وهو ذو الخويصرة التميمي، الذي بال في المسجد وهو القائل للنبي ﷺ، وهو يقسم: اعدل. فقال: «ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل» قد «خبت وخسرت إن لم أعدل»[5]. وهو الذي خاصم الزبير في شراج الحرة، وقال أن كان ابن عمتك «فأمر النبي ﷺ الزبير باستيفاء حقه».

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١.
(٢) الموطأ طلاق: ٢٣. وابن حنبل: ٦ ـ ٤١٠.
(٣) الطرماح بن حكيم بن الحكم، من طيء شاعر إسلامي فحل، كان يدافع عن المعتزلة مات سنة ١٢٥.
(٤) الشعر والشعراء: ٣٨٩. وفيه: «ولو أن برغوثاً».
(٥) رواه البخاري في المناقب: ٢٥، والأدب: ٩٥. ورواه ابن ماجه في المقدمة: ١٢. ورواه مسلم في الزكاة: ١٤٢ ـ ١٤٨ وابن حنبل: ٣ ـ ٥٦ ـ ٦٥ ـ ٣٥٣ ـ ٣٥٥.

وقال ابن الأثير، في أسد الغابة: الحرقوص بن زهير السعدي من الصحابة ذكره الطبري وقال: إن الهرمز أن الفارسي، كفر ومنع ما قبله واستعان بالأكراد وكثر جمعه فكتب عتبة بن غروان إلى عمر رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر يأمره بقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير. وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ، وأمره بالقتال فاقتتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان. وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها. وله أثر كبير في قتال الهرمزان. وبقي حرقوص إلى أيام علي رضي الله تعالى عنه وشهد معه صفين ثم صار مع الخوارج ومن أشدهم على علي. وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي فقتل حرقوص يومئذٍ سنة سبع وثلاثين.

**وحكمه**: تحريم الأكل لأنه من الحشرات.

**الحريش**: نوع من الحيات أرقط. كذا قاله الجوهري بعد هذا: الحريش دابة لها مخالب كمخالب الأسد، ولها قرن واحد في هامتها ويسميها الناس بالكركدن. وقال أبو حيان التوحيدي: هي دابة صغيرة في جرم الجدي ساكنة جداً. غير أن لها من قوّة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القناص ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم، تناطح به جميع الحيوان، فلا يغلبها شيء ويحتال لصيدها بأن تتعرض لها فتاة عذراء أو صبية فإذا رأتها وثبت إلى حجرها كأنها تريد الرضاع، وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة فإذا هي صارت في حجرة الفتاة، أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها، حتى تصير كالنشوان من الخمر، فيأتيها القناص على تلك الحالة، فيشدها وثاقاً على سكون منها، بهذه الحيلة. وقال القزويني في الأشكال: الحريش حيوان في حجم الجدي ذو عدوٍ شديد، وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدن، وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شيء في عدوه، ويوجد في غياض بلغار وسجستان انتهى.

**وحكمه**: التحريم سواء كان من نوع الحيات أو الحيوان الموصوف لعموم النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع.

**الخواص**: دمه يشربه من به خناق ينفتح في الحال، ولحمه يبرىء صاحب القولنج أكلاً. وكعبه يجعل على العرق المدمي يسكن ألمه.

**الحسبان**: الجراد واحده حسبانة وكذلك النملة الصغيرة.

**الحساس**: جنس من السمك صغار وهو الهف.

**الحسل**: ولد الضب. والجمع أحسال وحسول وحسلان وحسلة. يقال ذلك لولد الضب حين يخرج من بيضته وكنية الضب أبو حسل.

**وحكمه**: كأبيه.

**الأمثال**: قالوا[1]: «لا آتيك سن الحسل». أي أبداً لأن سنها لا تسقط حتى تموت وأنشد العجاج يقول[2]:

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٣٣٦.

(٢) البيتان لرؤية بن العجّاج وهو في ديوانه: ١٢٨.

إنـك لـو عمـرت عمـر الحِسْـل ... أو عمـر نـوح زمن الفِـطَحْـل[1]
والصخـر مبتـل كـطين الـوحـل ... كـنـت رهـين هـرم وقـتـل[2]

الفطحل على وزن الهزبرز من لم يخلق فيه الناس وكانت الحجارة فيه رطبة.

الحسيل: ولد البقرة الأهلية لا واحد له من لفظه. والأنثى حسيلة. كذا قاله الجوهري وهو وهم والصواب الحسيل أولاد البقر واحده حسيلة لأنه سمع لـه واحد من لفـظه. وفي كفاية المتحفظ: الحسيلة البقرة وجمعها حسائل.

حسون: عصفور ذو ألوان، بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة، يسميه أهل الأندلس أبا الحسن، والمصريون أبا زقاية وربما أبدلوا الزاي سينا، وهو يقبل التعليم فيعلم أخذ الشيء من يد الإنسان المتباعد ويأتي به إلى مالكه. وهو داخل في عموم العصافير. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة.

الحشرات: صغار دواب الأرض وصغار هوامها. الواحدة حشرة بالتحريـك. وابن أبي الأشعث يسمي جميع هذا الحيوان الأرضي، لأنه لا يفارقها إلى الهواء، ولا إلى الماء وهو يأوي في حجرته، ويركز في بطنها ولا يحتاج إلى شرب الماء، ولا إلى شم النسيم. وهو قرين الأفـاعي والحيات والجرذان الأهلية والبرية، واليربـوع والضب والحرذون والقنفـذ والعقرب والخنفسـاء والوزغ والنمل والحلم، وأنواع أخرى، سيأتي منها ما لم يتقدم له ذكر.

فائدة: قوله[3] تعالى: ﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ قال مجاهـد: اللاعنـون الحشرات والبهائم، يصيبهم الجدب بذنوب علماء الـسـوء الكاتمين، فيلعنونهم. رواه ابن ماجه مرفوعاً إلى النبي ﷺ. فإن قيل: كيف جمع ما لا يعقل جمع من يعقل؟ فالجواب أنه أسند إليهم فعل من يعقل كما قال: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾[4]. ولم يقـل ساجـدات. وكقولـه[5] تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ وقـال ابن عباس رضي الله تعـالى عنهما. الـلاعنون كـل المخلوقات ما عدا الجن والإنس. وقيل ما عدا الملائكة فقط.

الحكم: يحرم أكل الحشرات، ولا يصح بيعها لعـدم النفع بها. وبه قـال الإمام أحمـد وأبو حنيفة وداود. وقال مالك: إنها حلال لقوله[6] تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتـة﴾ الآية. ولحـديث التلب بن ثعلبة بن ربيعـة التميمي قال: «صحبت النبي ﷺ فلم أسمع لحشرة الأرض تحريماً». رواه أبو داود والتلب بتاء مثناة من فوق مفتوحة ثم لام مكسورة ثم باء ثالثة الحروف. وقال شعبة الثلب بثاء مثلثة وفي سنن أبي داود، في كتاب العتاق، عن أحمد أنه قال: كان شعبة ألثغ لم يبين التاء من الثاء. وكذلك قال الإمـام الحافظ أبو عمر بن عبد البر، ثم قال: وكان التلب يكنى أبا الملقام، روى عنه ابنه ملقام أنه أتى

---

(١) في الديوان: «فقلت: لو عمرت سن الحِسْل.
(٢) في الديوان: «. . . كنت رهين. . .».
(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٩.
(٤) سورة يوسف: الآية ٤.
(٥) سورة فصلت: الآية ٢١.
(٦) سورة الأنعام: الآية ١٤٥.

النبي ﷺ فقال: «استغفر لي يا رسول الله، فقال: اللهم اغفر للتلب وارحمه». ثلاثاً. واحتج الشافعي والأصحاب بقوله(١) تعالى: ﴿ويحرم علينا الخبائث﴾ وهو ما تستخبثه العرب. وبقوله(٢) ﷺ: «خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور». رواه البخاري ومسلم من رواية عائشة وحفصة وابن عمر رضي الله عنهم وعن أم شريك أنه ﷺ «أمر بقتل الأوزاغ». رواه (٣) الشيخان. وأما قوله تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلى محرما﴾(٤) الآية: فقد قال الشافعي وغيره من العلماء: معناه مما كنتم تأكلونه وتستطيبونه. وقال الغزالي، في الوسيط: لا يؤكل من الحشرات إلا الضب. وقد استدرك عليه اليربوع وابن عرس وأم حبين والقنفذ والدلدل. وسيأتي الكلام عليهن في أماكنهن إن شاء الله تعالى.

**الحشو والحاشية**: صغار الإبل التي لا كبار فيها وكذلك من الناس.

**الحصان**: بكسر الحاء المهملة الذكر من الخيل. قيل: إنما سمي حصاناً لأنه حصن ماء فلم ينز إلا على كريمة. روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط، فغشيته سحابة فجعلت تدنو وتدنو فجعل فرسه ينفر، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن»(٥). والرجل المذكور أسيد بن حضير.

وفي الخبر أن فرعون هاب دخول البحر، وكان على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون أنثى، فجاءه جبريل على فرس وديق أي تشتهي الفحل على صورة هامان، وقال له: تقدم فخاض للبحر، فتبعها حصان فرعون وميكائيل يسوقهم لا يشرد منهم أحد، فلما صار آخرهم في البحر، وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم فأغرقهم أجمعين. وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفاً. وقال عمرو بن ميمون: كانوا ستمائة ألف. وقيل: خرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره. وكانوا يوم دخول مصر مع يعقوب اثنين وسبعين ألفاً، ما بين رجل وامرأة. فلما أراد المسير، ضرب الله عليهم التيه، فلم يدروا أين يذهبون، فدعا موسى مشيخة

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) رواه مسلم في الحج: ٦٦-٦٩ ــ ٧١ ــ ٧٧ ــ ٧٩ ــ والبخاري في الصيد: ٧. وبدء الخلق: ١٦، وأبو داود في المناسك: ٣٩، والترمذي في الحج: ٢١، والنسائي في الحج: ٨٢ ــ ٨٤ ــ ٨٦ ــ ٨٨ وابن ماجه مناسك: ٩١. والدارمي مناسك: ١٩. الموطأ حج: ٨٨ ــ ٩٠. أحمد: ٢ ــ ٣ ــ ٨ ــ ٣٠ ــ ٣٢.

(٣) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٥، أنبياء: ٨. ورواه مسلم في السلام: ١٤٢ ــ ١٤٤. وأبو داود في الأدب: ١٦٣. النسائي مناسك: ١١٥. وابن ماجه صيد: ١٢. الدارمي أضاحي: ٢٧. أحمد: ١ ــ ١٧٦.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٤٥.

(٥) رواه البخاري في المناقب: ٢٥، وفضائل القرآن: ١١، ورواه مسلم في المسافرين: ٢٤٠ ــ ٢٤١. ورواه الترمذي في ثواب القرآن: ٦. وابن حنبل: ٤/٢٨١ ــ ٢٩٣ ــ ٢٩٨.

بني إسرائيل، وسألهم عن ذلك؟ فقالوا: إن يوسف عليه الصلاة والسلام، لما حضره الموت أخذ على إخوته عهداً أن لا يخرجوا من مصرحتى يخرجوه معهم، فلذلك أنسد علينا الطريق. فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرني به، ومن لم يعلم فصمت أذنه عن قولي، فكان يمر بين الرجلين وهو ينادي فلا يسمعان صوته، حتى سمعته عجوز من بني إسرائيل فقالت: أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك؟ فأبى عليها، وقال: حتى أسأل ربي عزّ وجلّ. فأمره الله أن يعطيها سؤالها. فقالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة في الجنة إلا نزلتها معك. قال: نعم. قالت: إنه في جوف الماء في النيل، فادع الله حتى يحسر عنه الماء. فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء. ودعا الله تعالى أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف، فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق مرمر، وحمله معه حتى دفنه بالشام. ففتح لهم الطريق فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم. ونذر بهم فرعون فجمع قومه، وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل، حتى تصيح الديكة. قال عمرو بن ميمون: فوالله ما صاح ديك تلك الليلة. فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل، وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف، وكان فيهم سبعون ألفاً من دهم الخيل، سوى سائر الشيات.

وقال شيخ التفسير محمد بن جرير الطبري: كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم، وكان فرعون في سبعة آلاف وكان في الدهم، وكان بين يديه مائة ألف ناشب، ومائة ألف أصحاب حراب، ومائة ألف أصحاب أعمدة. وكان الماء في غاية زيادته، وكان قد أشرف على بني إسرائيل حين أشرقت الشمس، فتحير أصحاب موسى فأوحى الله تعالى إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، فضرب به فلم يطعه فأوحى الله تعالى إليه أن كنه فضربه وقال انفلق أبا خالد بإذن الله تعالى فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم، وظهر فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق، وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل. وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبساً فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق، وعن جانبهم الماء كالجبل الضخم فصار لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا. وقال كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى الماء أن يشبك فصار الماء شبكات كالطاقات يرى بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم كلام بعض، حتى عبروا البحر سالمين. فذلك قوله(١) تعالى: ﴿**فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون**﴾ وذلك أن فرعون، لما وصل إلى البحر، ورآه متقطعاً قال لقومه: انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتي، حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا! ادخلوا البحر، فهاب قومه أن يدخلوه، وقالوا له: إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل. يعني موسى. وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى، فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق، فتقدمهم وخاض البحر. فلما شم أدهم فرعون ريحها، اقتحم البحر في أثرها، ولم يملك فرعون من أمره شيئاً، وهو لا يرى فرس جبريل عليه السلام، فاقتحمت الخيول خلفه البحر، وجاء ميكائيل عليه السلام على فرس، خلف القوم يسوقهم، حتى لم يبق رجل، وهو يقول لهم: الحقوا بأصحابكم، حتى إذا خاضوا كلهم البحر، وخرج

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٠.

جبريل عليه السلام من البحر، وهم أولهم بالخروج، أمر الله عزّ وجلّ، البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم أجمعين. وكان بين طرفي البحر أربعة فراسخ. وذلك بمرأى من بني إسرائيل. وذلك قوله تعالى: ﴿وأنتم تنظرون﴾ أي إلى مصارعهم. وقيل: إلى هلاكهم. والبحر هو القلزم طرف من بحر فارس انتهى. وقال قتادة: هو بحر وراء مصر، يقال له أساف.

ولا خلاف أن فرعون مات كافراً، ولا التفات إلى قول من قال خلاف ذلك، ولا تعريج عليه. والنزاع في أنه مات مسلماً مكابرة وخرق للإجماع، والله أعلم. وذكر[1] ابن خلكان أن عبد الملك بن مروان، لما عزم على الخروج لمحاربة مصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية، أن لا يخرج بنفسه، وأن يستنيب غيره، وألحت عليه في المسألة، فلما لم يسمع منها بكت وبكى من حولها من حشمها. فقال عبد الملك: قاتل الله كُثيراً كأنه رأى موقفنا هذا حين قال:

إذا ما أراد الغزو لم يثنِ همّه ... حَصان عليها نظم دريزينُها[2]

نهتْه فلما لم ترَ النهيَ عاقه ... بكت فبكى مما شجاها قَطينُها

ثم عزم عليها أن تقصر، وخرج. ويضاهي هذه الحكاية في طرفة اتفاقها وملحة مساقها ما حكي أن المأمون حين بنى على بوران بنت الحسن بن سهل، فرش له حصير منسوج بالذهب، ثم نثر على قدميه لآلىء كثيرة، فلما رأى المأمون تساقط اللآلىء المختلفة، على الحصير المنسوج بالذهب، قال: قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين شبه حباب كأسه بقول[3]:

كأن كبرى وصغرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهبِ

وقد عيب ذلك على أبي نواس وقد اعتذر عنه بأنه جعل من في البيت زائدة على ما أجازه أبو الحسن الأخفش من زيادتها في الكلام الموجب، وأول عليه قوله[4] تعالى: ﴿من جبال فيها من برد﴾ وقيل: تقديره فيها برد والله أعلم.

**الحصور**: الناقة الضيقة الإحليل والحصور من الرجال الذي لا يقرب النساء.

**فائدة أجنبية**: ذكرها الصاغاني في العباب قال: سألني والدي تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه بحبوحة جنته بعزته، قبل سنة تسعين وخمسمائة وأنا إذ ذاك أسحب مطارف الشباب، في رغد العيش اللباب، وهو يفيدني غرر الفوائد ويزقني درر الفرائد. وكان رحمه الله ريان من الفضائل، ظعاناً عن الرذائل، عن معنى قولهم: قد أثر حصير الحصير في حصير الحصير، فلم أدر ما أقول فقال: الحصير الأول البارية، والثاني السجن، والثالث الجنب، والرابع الملك. انتهى.

**خضاجر**: اسم للذكر والأنثى من الضباع سميت بذلك لسعة بطنها وعظمه وهو معرفة. قال الحطيئة:

---

(١) وفيات الأعيان: ١٠٨. وفيه: «.. لم يثن عزمَه..».

(٢) الحَصان: المرأة العفيفة.

(٣) البيت في ديوان أبي نواس: ٣٩. وفيه: «كأن صغري وكبري...».

(٤) سورة النور: الآية ٤٣.

هــلا غــضــبــت لــرحــل جــا    رك إذ تــنــبــذه حــضــاجــر[1]

كذا أنشده ابن سيده وأنشده الجوهري:

هــلا غضبت لجار بيتــك

قال السيرافي: وإنما جعل اسما لها على لفظ الجمع إرادة للمبالغة وقال سيبويه: سمعنا العرب تقول: وطب حضجر، وأوطب حضاجر. ولذلك لا ينصرف في معرفة ولا نكرة لأنه اسم لواحد على بنية الجمع. وقال ابن الحاجب في كافيته: وحضاجر اسم علم للضبع غير منصرف لأنه منقول عن الجمع. قلت وهو الأوجه والله أعلم.

**الحضب**: الذكر الضخم من الحيات. وقيل حية دقيقة وقيل الأبيض من الحيات.

**الحفان**: فراخ النعام واحدها حفانة، الذكر والأنثى فيه سواء وربما سموا صغار الإبل حفانا.

**الحفص**: ولد الأسد وبه سمي الرجل حفصاً.

**الحقم**: ضرب من الطير يشبه الحمام ويقال إنه الحمام نفسه.

**الحلزون**: دود في جوف أنبوبة حجرية يوجد في سواحل البحار وشطوط الأنهار. وهذه الدودة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية، وتمشي يمنة ويسرة تطلب مادة تغتذي بها فإذا أحست بلين ورطوبة انبسطت إليها، وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت في جوف الأنبوبة الصدفية، حذراً من المؤذي لجسمها، وإذا انسابت جرت بيتها معها.

**وحكمه**: التحريم لاستخباثه. وقد قال الرافعي في السرطان أنه يحرم لما فيه من الضرر ولأنه داخل في عموم تحريم الصدف. وسيأتي الكلام عليه في باب السين المهملة. وأما المحار الذي يسمى الدنيلس فسيأتي الكلام عليه في باب الدال المهملة.

**الخواص**: قال ابن سينا: طلي الجبهة بالحلزون يمنع انصباب المواد إلى العين والله أعلم.

**الحلكة والحلكاء والحلكي**: بفتح الحاء المهملة وضمها وكسرها دويبة شبيهة بالعظاية تغوص في الرمل.

الحلم: القراد العظيم، الواحدة حلمة. وقال الجوهري: هو مثل القمل وسيأتي أنه القراد المهزول. قال: والحلم أيضاً دود يقع في جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل. فإذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقاً يقال: حلم الأديم بكسر اللام يحلم بفتحها حلماً إذا أكله قال الشاعر وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط:

فــإنــك والــكــتــاب إلى عــلى    كــدابــغــة وقــد حــلــم الأديــم

قال ابن السكيت: وهذه الدويبة هي التي تأكل الكتب وتمزق الأوراق. وفي الحديث أن

---

(١) ديوان الحطيئة: ٣٣. تنبّذه: تفرقه. حضاجر: اسم من أسماء الضبع.

ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، كان ينهى أن تنزع الحلمة من أذن دابته وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ صلى بأصحابه يوماً «فنزع نعليه، ووضعهما على يساره»، فلما رأى ذلك القوم، ألقوا نعالهم فلما انقضت الصلاة، قال: «مالكم خلعتم نعالكم»؟ قالوا: يا نبي الله رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا. فقال عليه الصلاة والسلام: «إنما نزعتهما لأن جبريل أخبرني أن فيهما دم حلمة». انتهى[1] قلت والمراد به الدم اليسير المعفو عنه. وإنما فعله النبي ﷺ تنزهاً عن النجاسة، وإن كان معفواً عنها، وقد أطلق أصحابنا العفو عن اليسير من سائر الدماء إلا المتولي فإنه استثنى من ذلك دم الكلب والخنزير واحتج بغلظ نجاستهما. وأما الدم الباقي على اللحم وعظامه، فإنه مما تعم به البلوى، وقيل من أصحابنا من تعرض له. وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبي المفسر من أئمة أصحابنا، عن جماعة كثيرة من التابعين، أنه لا بأس به. ونقله عن جماعة من أصحابنا لمشقة الاحتراز. وصرح الإمام أحمد وأصحابه بأن ما يبقى من الدم في اللحم معفو عنه، ولو غلبت حمرة الدم في القدر لعسر الاحتراز عنه، وحكوه عن عائشة وعكرمة والثوري. وبه قال إسحاق لقوله[2] تعالى: ﴿إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾ فلم ينه عن كل دم بل نهى عن المسفوح خاصة. وهو السائل والله تعالى أعلم قال الأصمعي ويقال للقراد: أول ما يكون صغيراً قمقامة، ثم يصير حمنانة، ثم يصير قُراداً، ثم يصير حلماً. وأنشد أبو علي الفارسي[3]:

وما ذكر فإن يكبر فأنثى ... شديداً لازم ليس له ضروسُ

والأكثر أن يجمع ضرس على أضراس. والأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب.

**وحكمه**: تحريم الأكل لاستخباثه. وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب القاف في لفظ القراد.

**الأمثال**: قالت العرب: «القردان فما بال الحلم[4]»وهو قريب من قولهم: «استنت الفصال حتى القرعى». وسيأتي[5] في بابه.

**الحمار الأهلي**: الحمار جمعه حمير وحمر وأحمرة. وربما قالوا للأتان: حمارة وتصغيره حمير، ومنه توبة[6] بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية[7]. الذي تقدم ذكره. وكنية الحمار أبو صابر وأبو زياد قال الشاعر:

زياد لست أدري من أبوه ... ولكن الحمار أبو زياد

(١) رواه ابن حنبل: ٣ ــ ٩٢.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٥.
(٣) الفارسي: الحسن بن أحمد، أبو علي، لغوي نحوي. مات سنة ٣٧٧ هـ.
(٤) مجمع الأمثال: ٢/٩٧.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٩١.
(٦) توبة بن الحمَيِّر بن حزم العامري، شاعر من العشاق أحب ليلى الأخيلية. قُتل سنة ٨٥ هـ.
(٧) ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد، الأخيلية العامرية، شاعرة فصيحة. جميلة ماتت سنة ٨٠ هـ.

ويقال للحمارة: أم محمود وأم تولب وأم جحش وأم نافع وأم وهب. وليس في الحيوان ما ينزو على غير جنسه ويلقح إلا الحمار والفرس. وهو ينزو إذا تم له ثلاثون شهراً ومنه نوع يصلح لحمل الأثقال ونوع لين الأعطاف سريع العدو، ويسبق براذين الخيل. ومن عجيب أمره أنه إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف يريد بذلك الفرار منه. قال حبيب بن أوس الطائي[1]، يخاطب عبد الصمد[2] بن المعذل وقد هجاه:

أقدمت ويحك من هجوي على خطر  والعَير يقدم من خوف على الأسدِ[3]

ويوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات التي مشى فيها، ولو مرة واحدة، وبحدة السمع وللناس في مدحه وذمه أقوال متباينة، بحسب الأغراض. فمن ذلك أن خالد بن صفوان[4] والفضل بن عيسى[5] الرقاشي كانا يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين، فأما خالد فلقيه بعض الأشراف بالبصرة على حمار، فقال: ما هذا يا ابن صفوان؟ فقال: عير من نسل الكداد، يحمل الرحلة، ويبلغني العقبة، ويقل داؤه، ويخف دواؤه، ويمنعني من أن أكون جباراً في الأرض، وأن أكون من المفسدين. وأما الفضل فإنه سئل عن ركوبه الحمار؟ فقال: إنه من أقل الدواب مؤنة، وأكثرها معونة، وأخفضها مهوى، وأقربها مرتقى. فسمع أعرابي كلامه، فعارضه بقوله: الحمار شنار، والعير عار، منكر الصوت لا ترقأ به، ولا تمهر به النساء، وصوته أنكر الأصوات. قال الزمخشري: الحمار مثل في الذم الشنيع والشتيمة، ومن استحياشهم لذكر اسمه أنهم يكنون عنه، ويرغبون عن التصريح به، فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنون عن الشيء المستقذر. وقد عد من مساوي الآداب، أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم ذوي مروأة، ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً، وإن بلغت به الرحلة الجهد. انتهى. والمروأة بالهمز وتركه، قال الجوهري: هي الإنسانية. وقال ابن فارس هي الرجولية وقيل: إن ذا المروأة من يصون نفسه عن الإدناس، ولا يشينها عند الناس. وقيل: من يسير بسيرة أمثاله، في زمانه ومكانه. قال الدارمي قيل المروأة في الحرفة. وقيل في آداب الدين، كالأكل والصياح في الجم الغفير وانتهار السائل، وقلة فعل الخير مع القدرة عليه. وكثرة الاستهزاء والضحك، ونحو ذلك انتهى. وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله صورته صورة حمار أو يحول رأسه رأس حمار»[6]. ومعنى ذلك، والله أعلم، أن يمسخ صورته كلها فيجعل رأسه رأس حمار، وبدنه بدن حمار، وفيه دليل على جواز وقوع المسخ أعاذنا الله منه. وهو لا يكون إلا من شدة الغضب. قال الله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله

---

(١) الطائي: حبيب بن أوس الشاعر المشهور أبو تمّام، من كبار شعراء العصر العباسي، توفي سنة ٢٣١ هـ.

(٢) ابن المعذل: عبد الصمد بن المعذل بن غيلان، أبو القاسم من شعراء العصر العباسي. توفي سنة ٢٤٠ هـ.

(٣) ديوان أبي تمام: ٥١٣. وفيه: أطلعت روعك حتى صرت لي غرضاً. قد يقدم العير من ذعر على الأسد.

(٤) خالد بن صفوان: من الفصحاء الأثرياء في العصر الأموي له أخبار مع الخلفاء. مات سنة ١٣٣ هـ.

(٥) الرقاشي: أبو العباس، الفضل بن عبد الصمد، شاعر مجيد من أهل البصرة توفي سنة ٢٠٠ هـ.

(٦) البخاري في الأذان: ٥٣. ومسلم في الصلاة: ١١٥ ــ ١١٦ ــ ١١٩. الترمذي جمعه: ٥٦.

وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾[1] الآية. وهذا الحديث صريح في تحريم مسابقة الإمام بالركوع والسجود، وغيرهما من أركان الصلاة. وبه صرح البغوي والمتولي وصححه النووي، في شرح المهذب. وهو ظاهراً يراد الكفاية. وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذ بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً، وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً»[2]. وسيأتي في باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى.

غريبة: رأيت في كتاب النصائح لابن ظفر قال: دخلت ثغراً من ثغور الأندلس فألفيت به شاباً متفقهاً من أهل قرطبة فآنسني بحديثه وذاكرني طرفاً من العلم ثم إني دعوت فقلت: يا من قال واسألوا الله من فضله. فقال: ألا أحدثك عن هذه الآية بعجب؟ قلت: بلى. فحدثني عن بعض سلفه أنه قال: قدم علينا من طليطلة راهبان، كانا عظيمي القدر بها، وكانا يعرفان اللسان العربي، فأظهرا الإسلام وتعلما القرآن والفقه، فظن الناس بهما الظنون. قال: فضممتهما إلي وقمت بأمرهما، وتجسست عليهما فإذا هما على بصيرة من أمرهما، وكانا شيخين فقلما لبث أحدهما حتى توفي. وأقام الآخر أعواماً ثم مرض، فقلت له يوماً: ما سبب إسلامكما؟ فكره مسألتي فرفقت به فقال: إن أسيراً من أهل القرآن، كان يخدم كنيسة نحن في صومعة منها، فاختصصنا به لخدمتنا، وطالت صحبته لنا، حتى فقهنا اللسان العربي، وحفظنا آيات كثيرة من القرآن، لكثرة تلاوته له، فقرأ يوماً: ﴿واسألوا الله من فضله﴾[3] فقلت لصاحبي، وكان أشد مني رأياً وأحسن فهماً: أما تسمع دعاوى هذه الآية؟ فزجرني. ثم إن الأسير قرأ يوماً: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[4] فقلت لصاحبي: هذه أشد من تلك. فقال: ما أحسب الأمر إلا على ما يقولون. وما بشر عيسى إلا بصاحبهم. قال: واتفق يوماً أني غصصت بلقمة، والأسير قائم علينا، يسقينا الخمر على طعامنا، فأخذت الكأس منه فلم أنتفع بها فقلت في نفسي: يا رب إن محمداً قال عنك إنك قلت: ﴿واسألوا الله من فضله﴾[5] وإنك قلت: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[4] فإن كان صادقاً فاسقني فإذا صخرة يتفجر منها الماء فبادرت فشربت منه، فلما قضيت حاجتي انقطع وورائي ذلك الأسير فشك في الإسلام ورغبت أنا فيه وأطلعت صاحبي على أمري، فأسلمنا معاً. وغدا علينا الأسير يرغب في أن نعمده وننصره فانتهرناه وصرفناه عن خدمتنا. ثم إنه فارق دينه وتنصر فحرنا في أمرنا، ولم نهتد لوجه الخلاص. فقال صاحبي: وكان أشد مني رأياً: لم لا ندعو بتلك الدعوة؟ فدعونا بها في التماس الفرج، ونمنا القائلة، فأريت في المنام أن ثلاثة أشخاص نورانية، دخلوا معبدنا، فأشاروا إلى صور فيه فانمحت، وأتوا بكرسي فنصبوه، ثم أتى جماعة مثلهم في النور والبهجة، وبينهم رجل ما رأيت أحسن خلقاً منه، فجلس على الكرسي، فقمت إليه فقلت له: أنت السيد المسيح؟ فقال: لا بل أنا أخوه أحمد، أسلم فأسلمت، ثم قلت: يا رسول الله كيف لنا بالخروج إلى بلاد أمتك؟ فقال لشخص قائم بين

(١) سورة المائدة: الآية ٦٠.

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٥، ومسلم في الذكر: ٨٢. والترمذي دعوات: ٥٦، وأحمد: ٢ ـ ٣٠٦.

(٣) سورة النساء: الآية ٣٢. (٤) سورة غافر: الآية ٦٠. (٥) سورة النساء: الآية ٣٢.

يديه: إذهب إلى ملكهم، وقل له يحملهما مكرمين، إلى حيث أحبا من بلاد المسلمين، وأن يحضر الأسير فلاناً، ويعرض عليه العود إلى دينه، فإن فعل يخلى سبيله، وإن لم يفعل فليقتله، قال: فاستيقظت من منامي وأيقظت صاحبي، وأخبرته بما رأيت، وقلت له: ما الحيلة؟ فقال: قد فرج الله أما ترى الصور ممحوّة؟ فنظرت فوجدتها ممحوَّة. فازددت يقيناً. ثم قال لي صاحبي: قم بنا إلى الملك. فأتيناه فجرى في تعظيمنا، على عادته، وأنكر قصدنا له. فقال له صاحبي: افعل ما أمرت به في أمرنا وفي أمر فلان الأسير فانتقع لونه وأرعد، ثم دعا بالأسير وقال له: أنت مسلم أو نصراني؟ فقال: بل نصراني. فقال له: ارجع إلى دينك، فلا حاجة لنا فيمن لا يحفظ دينه. فقال: لا أرجع إليه أبداً. فاخترط الملك سيفه وقتله بيده. ثم قال لنا سراً: إن الذي جاء إلى واليكما شيطان، ولكن ما الذي تريدان؟ قلنا: الخروج إلى بلاد المسلمين. قال: أنا أفعل ما تريدان، لكن أظهرا أنكما تريدان بيت المقدس. فقلنا له: نفعل. فجهزنا وأخرجنا مكرمين انتهى.

وروى النسائي والحاكم عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير في الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى ما لا ترون، وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل، فإن الله يبث في الليل من خلقه ما شاء».[(١)] ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. وفي سنن أبي داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة».[(٢)] وفي تاريخ نيسابور وكامل ابن عدي من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «شر الحمير الأسود القصير» وقال الجوهري تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات في طلق واحد قال الشاعر[(٣)]:

لعمري لئن عشرت من خيفة الردى ... نهاق حماراً نبي لجزوع

وذلك أنهم، إذا خافوا من وباء بلد، عشروا كتعشير الحمار، قبل أن يدخلوها. وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم.

**غريبة أخرى**: قال مسروق: كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك، وكان الديك يوقظهم للصلاة، والكلب يحرسهم، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم. فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له، وكان الرجل صالحاً، فقال: عسى أن يكون خيراً. ثم جاء ذئب فحرق بطن الحمار فقتله. فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً. ثم أصيب الكلب بعد ذلك. فقال: عسى أن يكون خيراً. ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من كان حولهم وبقوا سالمين. وإنما أخذوا أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة. فكانت الخيرة في هلاك ما كان عندهم من ذلك كما قدر الله سبحانه وتعالى. فمن عرف خفي لطف الله رضي بفعله.

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٥، ومسلم في الذكر: ٨٢، والترمذي في الدعوات: ٥٦. وابن حنبل: ٢/٣٠٦ ــ ٣٢١ ــ ٣٥٥، ٣ ــ ٣٠٦ ــ ٣٥٥.

(٢) رواه أبو داود في الأدب: ٢٥، وابن حنبل: ٢/٣٨٩ ــ ٤٩٤ ــ ٥١٥ ــ ٥٢٧.

(٣) الحيوان للجاحظ: ٦/٣٥٩ والبيت لعروة بن الورد الشاعر الجاهلي.

**فائدة**: روى البيهقي، في دلائل النبوة، بسنده إلى أبي سبرة النخعي، قال: أقبل رجل من اليمن، فلما كان في أثناء الطريق نفق حماره فقام فتوضأ. ثم صلّى ركعتين، ثم قال: اللهم إني جئت مجاهداً في سبيلك ابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد علي اليوم منة. أسألك أن تبعث لي حماري، فقام الحمار ينفض أذنيه. قال البيهقي: هذا إسناد صحيح. ومثل هذا يكون معجزة لصاحب الشريعة، حيث يكون في أمته من يحيي الله له الموتى كما سبق. ويأتي والرجل المذكور اسمه نباتة بن يزيد النخعي. قال الشعبي: أنا رأيت ذلك الحمار يباع بعد ذلك في السوق، فقيل للرجل: أتبيع حماراً قد أحياه الله لك؟ قال: فكيف أصنع؟ فقال رجل من رهطه ثلاثة أبيات حفظت منها هذا البيت:

ومنا الذي أحيا الإله حماره وقد مات منه كل عضو ومفصلُ

**فائدة أخرى**: قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى**﴾[1] قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك وابن جريج رحمهم الله تعالى: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم ﷺ، أنه مر على دابة ميتة، قال ابن جريج: كانت جيفة حمار بساحل البحر قال عطاء: بحيرة طبرية، قالوا: فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر، وكان البحر إذا مد جاءت الحيتان ودواب البحر، فأكلت منها فما وقع منها يصير في البحر، وإذا جزر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها يصير تراباً، فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها، فما سقط منها قطعته الرياح في الهواء. فلما رأى إبراهيم ذلك تعجب منها، وقال: يا رب قد علمت لتجمعها من بطون السباع، وحواصل الطير، وأجواف دواب البحر، فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك فازداد يقيناً، فعاتبه الله على ذلك، فقال: ﴿**أو لم تؤمن قال بلى يا رب قد علمت وآمنت ولكن ليطمئن قلبي**﴾[2] أي يسكن إلى المعاينة والمشاهدة فإبراهيم ﷺ كان يعلم يقيناً أن الله يحيي الموتى، ولكنه أراد أن يصير له علم اليقين، لأن الخبر ليس كالمعاينة وما أحسن قول بعضهم:

لئن كلمت بالتفريق قلبي فأنت بخاطري أبداً مقيمُ
ولكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكليم

وقيل: كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمروذ فقال: ﴿**ربي الذي يحي ويميت**﴾[3] فقال نمروذ أنا أحيي وأميت فقتل رجلاً وأطلق آخر، فجعل ترك القتل إحياء. فقال إبراهيم: إن الله يقصد إلى جسد ميت فيحييه، فقال له نمروذ: أنت عاينته فلم يقدر أن يقول نعم. فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى. قال: ﴿**أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾[2] بقوة حجتي، وإذا قيل لي: أنت عاينته؟ أقول: نعم قد عاينته. وقال سعيد بن جبير: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك، فأذن له فأتى إبراهيم فلم يكن في الدار، فدخل داره وكان إبراهيم من أغير الناس، إذا خرج أغلق بابه. فلما جاء وجد في داره رجلاً فثار عليه إبراهيم ليأخذه، فقال له: من أنت؟ ومن أذن

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٠. (٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

لك أن تدخل داري بغير إذني؟ فقال: أذن لي رب هذه الدار. فقال له إبراهيم: صدقت. وعرف أنه ملك فقال له: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت، جئت أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلاً، فحمد الله تعالى، ثم قال: ما علامة ذلك؟ قال: إجابة الله دعاءك وإحياء الموتى بسؤالك. فحينئذٍ قال إبراهيم: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[1] إنك قد اتخذتني خليلاً وأجبتني إذا دعوتك وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال[2]: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾» ورحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد. ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي». وقد[3] أخرجه مسلم عن ابن وهب أيضاً. وقوله: نحن أحق بالشك من إبراهيم قال المزني: لم يشك النبي، ولا إبراهيم ﷺ في أن الله قادر على أن يحيي الموتى، وإنما شكا في أنه تعالى هل يجيبهما إلى ما سألاه أم لا. وقال الخطابي: ليس في قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك على نفسه، ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عنهما. يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك. وإنما قال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس. وكذلك قوله: «ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي» وفيه إعلام أن المسألة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبيل زيادة العلم بالعيان. فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال. وقيل: لما نزلت هذه الآية. قال قوم: شك إبراهيم ولم يشك نبينا. فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديماً لإبراهيم ﷺ. وسيأتي الكلام على تمام الآية، في باب الطاء المهملة في الكلام على لفظ الطير.

فائدة أخرى: قوله تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك﴾[4] الآية. هذه الآية منسوقة على الآية التي قبلها تقديره ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه وإلى الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وقيل: تقديره هل رأيت كالذي حاج إبراهيم في ربه «وهل رأيت كالذي مر على قرية؟ قاله البغوي. وقد اختلف المفسرون وأهل السير، في ذلك المار. فقال وهب بن منبه: هو أرمياء بن حلقيا، وكان من سبط هارون وهو الخضر. وقال قتادة وعكرمة والضحاك: وهو عزير بن شرخيا، وهو الأصح. وقال مجاهد هو كافر شك في البعث واختلفوا في تلك القرية، فقال وهب وعكرمة وقتادة. هي بيت المقدس. وقال الضحاك: هي الأرض

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.

(٢) رواه البخاري في الأنبياء: ١١، تفسير سورة: ٢ ــ ٤٦. ورواه مسلم في الإيمان: ٢٣٨، فضائل: ١٥٢، ورواه ابن ماجه في الفتن: ٢٣، وابن حنبل: ٢ ــ ٣٢٦.

(٣) رواه البخاري في التعبير: ٩، أنبياء: ١١ ــ ١٩، تفسير سورة: ١٢، ورواه مسلم في الإيمان: ٢٣٨، وفضائل الصحابة: ١٥٢، ورواه الترمذي في تفسير سورة: ١٢ ــ ١. وابن حنبل: ٦ ــ ٣٢٦ ــ ٣٣٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

المقدسة. وقال الكلبي: هي دير سابر آباد. وقال السدي: سلماباد. وقيل: دير هرقل. وقيل الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم، وهم ألوف. وقيل: هي قرية العنب، وهي على فرسخين من بيت المقدس، وهي خاوية ساقطة. يقال: خوِي البيت بكسر الواو يخوي خوى، مقصوراً، إذا سقط. وخوى البيت بالفتح يخوي خواء، ممدوداً، إذا خلا. على عروشها سقوفها، واحدها عرش. وكل بناء عرش. وكان السبب في ذلك على ما ذكره محمد بن إسحاق صاحب السيرة. أن الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أنوص، ملك بني إسرائيل، ليسدده ويأتيه بالخبر من الله وكان قوام أمر بني إسرائيل، بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم. فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له أمره، ويشير عليه برشده، ويأتيه بالخبر من ربه عزّ وجلّ. فعظمت الأحداث في بني إسرائيل وركبوا المعاصي، فأوحى الله إلى أرمياء أن ذكر قومك نعمي، وعرفهم أحداثهم. فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه في الوقت خطبة طويلة بليغة، بين لهم فيها ثواب الطاعة، وعقاب المعصية، وقال في آخرها عن الله عزّ وجلّ: وإني أحلف بعزتي لأقيضن لكم فتنة يتحير فيها الحكيم، ولأسلطن عليكم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة، وأنزع من قلبه الرحمة، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم. ثم أوحى الله إلى أرمياء إني مهلك بني إسرائيل بيافث، ويافث أهل بابل، وهم ولد يافث بن نوح، فلما سمع أرمياء ذلك صاح وبكى ومزق ثيابه ونبذ التراب على رأسه. فأوحى الله إليه: يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك؟ قال: نعم، يا رب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسر به. فأوحى الله إليه: وعزتي لا أهلك بني إسرائيل حتى يكون الأمر في ذلك من قبلك ففرح بذلك أرمياء، وقال: لا والذي بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل أبداً، ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً صالحاً فاستبشر وفرح، وقال: أن يعذبنا ربنا، فبذنوب كثيرة، وإن يعف عنا فبرحمته. ثم إنهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية تمادياً في الشر، وذلك حين اقترب هلاكهم. فقل الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس، فلما قصد سائراً أتى الخبر للملك فقال لإرمياء: أين ما زعمت أن الله عزّ وجلّ أوحى إليك؟ فقال أرمياء: إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق، فلما قرب الأجل بعث الله إلى أرمياء ملكاً متمثلاً في صورة رجل من بني إسرائيل فقال له أرمياء: من أنت؟ فقال أنا رجل من بني إسرائيل أتيتك أستفتيك في أهلي ورحمي وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسناً ولم يزدهم إكرامي إياهم إلا سخطاً، فأفتني فيهم فقال: أحسن فيما بينك وبين الله، وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل فجلس بين يديه، فقال له ارمياء: من أنت؟ قال: أنا الذي أتيتك أستفتيك في أهلي ورحمي فقال له أرمياء: أما ظهرت أخلاقهم لك بعد؟ قال: يا نبي الله ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمه إلا أتيتها إليهم وأفضل قاله له أرمياء: ارجع فأحسن إليهم اسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم لك. فانصرف الملك ومكث أياماً، ونزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس، أكثر من الجراد المنتشر. ففزع منهم بنو إسرائيل، وقال ملكهم لارمياء: أين ما وعدك ربك؟ فقال أرمياء: إني واثق بوعد ربي. ثم أقبل الملك على أرمياء، وهو جالس على جدار بيت المقدس يضحك

ويستبشر بنصر ربه. فجلس بين يديه فقال له أرمياء: من أنت؟ قال: أنا الذي أتيتك مرتين أستفتيك في شأن أهلي ورحمي. فقال له أرمياء: ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه؟ فقال له الملك: يا نبي الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم، كنت أصبر عليه، واليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله تعالى. فقال أرمياء: على أي عمل رأيتهم؟ قال على عمل عظيم من سخط الله عزّ وجل، فغضبت لله، وأتيتك وأنا أسألك بالله الذي بعثك بالحق إلا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم. فقال أرمياء: يا مالك السموات والأرض، إن كانوا على حق وصواب فأبقهم وإن كانوا على عمل لا نرضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من فم أرمياء، أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان، وخسف بسبعة أبواب من أبوابه. فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه وقال: يا مالك السموات والأرض أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي أنه لم يصبهم ما أصابهم، إلا بفتياك ودعائك. فعلم أنها فتياه وإن ذلك السائل كان رسولاً من الله إليه فطار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطىء الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس. ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه. ثم أمرهم أن يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده كبيرهم وصغيرهم من بني إسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد منهم أربعة أغلمة. وكان من أولئك الأغلمة دانيال وحنانياً. وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق: فثلثا قتلهم، وثلثا سباهم، وثلثا أقرهم بالشأم. فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله تعالى ببني إسرائيل يظلمهم. فلما ولي بختنصر راجعاً عنهم إلى بابل، ومعه سبايا بني إسرائيل، أقبل أرمياء على حمار له، معه عصير عنب في ركوة وسلة تين، حتى غشي إيلياء فلما وقف عليها ورأى خرابها، قال: ﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾[1] ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد، فألقى الله تعالى عليه النوم، فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام، وأمات حماره وعصيره وتينه عنده، وأعمى الله عنه العيون، فلم يره أحد وذلك ضحى. ومنع الله السباع والطير عن أكل لحمه، فلما مضى من موته سبعون سنة، أرسل الله تعالى ملكاً من ملوك فارس، يقال له نوشك إلى بيت المقدس ليعمره، فانتدب في ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل، وجعلوا يعمرونه. وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه، ونجى الله من بقي من بني إسرائيل، ولم يمت أحد منهم ببابل، وردهم الله إلى بيت المقدس ونواحيه، وعمروه ثلاثين سنة وكثروا، حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه. فلما مضت المائة سنة أحيا الله تعالى من أرمياء عينيه، وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر، ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح، فسمع صوتاً من السماء أيها العظام البالية إن الله تعالى يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض، ثم نودي إن الله عزّ وجلّ يأمرك أن تكتسي لحماً وجلداً فكان كذلك ثم نودي إن شاء الله عزّ وجلّ يأمرك أن تحيا، فقام بإذن الله عزّ وجلّ ونهق، وعمر الله تعالى أرمياء فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى: ﴿فأماته الله مائة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

عام﴾[1] الآية وقوله تعالى: ﴿لم يتسنه﴾[1] أي لم يتغير وكان التين كأنه قطف من ساعته، والعصير كأنه عصر من ساعته. نقله عن وهب بن منبه انتهى. وسيأتي الكلام على الخضر واختلاف العلماء في اسمه ونبوته في لفظ الحوت من هذا الباب.

وقال قتادة وعكرمة والضحاك إن بختنصر لما خرب بيت المقدس، وأقدم سبي بني إسرائيل بابل، كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود عليه الصلاة والسلام، فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل بدير هرقل، على شط دجلة فطاف في القرية فلم يرفيها أحداً، ورأى عامة شجرها حاملاً فأكل من الفاكهة، واعتصر من العنب فشرب منه، وجعل الفاكهة في سلة، والعصير في زق. فلما رأى خراب القرية، قال: ﴿أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾[2] قالها تعجباً لا شكاً في البعث. وقال السدي: إن الله تعالى أحيا عزيراً ثم قال له: انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه، فبعث الله ريحاً فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهب بها الطير والسباع فاجتمعت وركب بعضها في بعض. وهو ينظر فصار حماراً من عظم ليس فيه لحم ولا دم، ثم كسيت العظام لحماً ودماً فصار حماراً لا روح فيه، ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه، فقام الحمار ونهق بإذن الله تعالى. وقال قوم: أراد به عظام هذا الرجل، وذلك إن الله عزّ وجلّ لم يمت حماره فأحيا الله عينيه ورأسه وسائر جسده ميت، ثم قال: انظر إلى حمارك فنظر فإذا حماره قائم، كهيئته يوم ربطه حياً لم يطعم ولم يشرب مائة عام. وتقدير الآية: ﴿وانظر إلى حمارك، وانظر إلى عظامك كيف ننشزها﴾[3] هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما أحيا الله عزّ وجلّ عزيراً بعدما أماته مائة سنة، ركب حماره وقصد بيت المقدس حتى أتى محلته، فأنكره الناس وأنكروا منزلته فانطلق على وهم حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها من العمر مائة وعشرون سنة، كانت أمة لهم، وكان عزير قد خرج عنهم وهي ابنة عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته، فقال لها عزير: يا هذه هذا منزل عزير؟ قالت: نعم. هذا منزل عزير، وبكت وقالت: ما رأيت أحداً منذ كذا وكذا سنة يذكرعزيراً. قال: أماتني مائة سنة، ثم بعثني. قالت: فإن عزيراً كان مجاب الدعوة، يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية. فادع الله تعالى أن يرد على بصري حتى أراك، فإن كنت عزيراً عرفتك. فدعا ربه سبحانه وتعالى، ومسح بيده على عينيها فأبصرت، ثم أخذ بيدها وقال: قومي بإذن الله تعالى. فأطلق الله رجليها، فقامت صحيحة فنظرت إليه وقالت: أشهد أنك عزير فانطلقت إلى بني إسرائيل، وهم في أنديتهم ومجالسهم، وفيهم ابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة، وبنو بنيه شيوخ في المجلس، فنادت: هذا عزير قد أتاكم الله به، فكذبوها فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي عزير به فردّ علي بصري وأطلق رجلي وزعم أن الله سبحانه كان أماته مائة سنة، ثم بعثه. قال: فأقبل الناس إليه فقال ابنه: كان لأبي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فإذا هو كما قال انتهى. وقال السدّي والكلبي: لما رجع إلى قريته، وقد أحرق بختنصر التوراة، ولم يكن عهد بين الخلائق، بكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء من الله تعالى، فيه ماء، فشرب منه، فمثلت التوراة في صدره، فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩ (٣) سورة البقرة. الآية ٢٥٩.

التوراة، وبعثه نبياً فقال: أنا عزير فلم يصدقوه فقال: إني عزير بعثني الله تعالى إليكم لأجدد لكم توراتكم. قالوا: فأملها علينا فأملاها عليهم عن ظهر قلبه. فقالوا: ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعدما ذهبت، إلا أنه ابنه فقالوا عزير ابن الله. تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد. وكان الله قد أمات عزيراً وهو ابن أربعين سنة، وبعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة، وكان أولاده وأولاد أولاده شيوخاً وعجائز، وهو شاب أسود الرأس واللحية فسبحان من هو على كل شيء قدير.

**فائدة أخرى**: ذكر ابن خلكان وغيره من المؤرخين أن قيصر، ملك الروم، كتب إلى عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إن رسلي أتتني من قبلك، فزعمت أن قبلكم شجرة تخرج مثل آذان الحمر، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرذ والزبرجد الأخضر، ثم تحمر فتكون مثل الياقوت الأحمر، ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج، ثم تيبس فتكون عصمة المقيم وزاد المسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فما أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر: من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم: إن رسلك قد صدقتك هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله تعالى على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله.

**﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾**(1) وذال الزمرذ معجمة ودال الزبرجد مهملة. وقيصر كلمة إفرنجية معناها شق عنه وسببه على ما قاله المؤرخون: إن أم قيصر ماتت في المخاض، فشق بطنها وأخرج فسمي قيصر وكان يفخر بذلك على الملوك. ويقول إنه لم يخرج من الرحم واسمه أغسطس، وفي زمن ملكه ولد المسيح عليه الصلاة والسلام. ثم وضع هذا اللقب لكل من ملك الروم كما لقبوا ملك الترك خاقان، وملك فارس كسرى، وملك الشام هرقل، وملك القبط فرعون، وملك اليمن تبعاً وملك الحبشة النجاشي وملك فرغانة الأخشيد، وملك مصرفي الإسلام سلطاناً قال ابن خلكان: وهنا نكتة يسأل عنها وهي أن الروم يقال لهم بنو الأصفر فما السبب في تسميتهم بذلك؟ فيقال إن ملك الروم كان قد احترق في الزمن الأوّل فبقيت منه امرأة فتنافسوا في الملك حتى وقع بينهم، ثم اصطلحوا على أن يملكوا أول من يشرف عليهم فجلسوا مجلساً لذلك، فأقبل رجل من اليمن، ومعه عبد له حبشي، يريد الروم فأبق العبد منه، فأشرف عليهم فقالوا: انظروا في أي شيء وقعتم فزوّجوهُ تلك المرأة وملكوه عليهم، فولدت منه غلاماً فسموه الأصفر لصفرة لونه لكونه تولد بين الحبشي والمرأة البيضاء. ونسب الروم إليه. ثم إن سيد العبد خاصمهم فيه، فقال العبد: صدق أنا عبده فارضوه فأعطوه حتى أرضوه وبقي هذا النسب على الروم.

وفي كتاب النصائح لابن ظفر أنه لما اشتد مرض الرشيد بطوس، أحضر طبيباً طوسياً فارسياً، وأمر أن يعرض عليه ماؤه، هو مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيدة فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يوصي فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته. فأقيم وأمر بالذهاب فذهب ويئس الرشيد من نفسه وتمثل قائلاً:

---

(1) سورة آل عمران: ٥٩.

إن الطبيب بطبه ودوائه  لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي  قد كان يبرىء مثله فيما مضى

وبلغه أن الناس قد أرجفوا بموته، فاستدعى بحمار وأمر فحمل عليه، فاسترخت فخذاه فقال: أنزلوني صدق المرجفون. ثم استدعى بأكفان فتخير منها ما أعجبه، وأمر فشق له قبر أمام فراشه، ثم اطلع فيه فقال: ﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية﴾(١) فتوفي في يومه رحمه الله تعالى. وفي تاريخ ابن خلكان أن بعض أصحاب الحلاج(٢) ادّعى أنه رؤي يوم قتله وهو راكب على حمار في طريق النهروان وأنه قال لهم: لعلكم تظنون أني المضروب والمقتول؟ وكان سبب قتله أنه جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر بالله فأفتى القضاة والعلماء بإباحة دمه فرسم المقتدر بتسليمه إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة فتسلمه بعد العشاء خوفاً من العامة أن تنزعه من يده، ثم أخرجه يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة عند باب الطاق واجتمع عليه خلق كثير. وأمر به فضربه الجلاد ألف سوط، فما استعفى ولا تأوّه ثم قطع أطرافه الأربعة، وهو ساكن لا يضطرب، ثم حز رأسه وأحرقت جثته وألقي رمادها في دجلة، ونصب الرأس ببغداد، ثم حمل وطيف به في النواحي والبلاد وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً. واتفق إن زادت دجلة تلك السنة زيادة وافرة، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها. وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقي شبهه عند قتله على عدوّ له ولما أخرج ليقتل أنشد قائلاً(٣):

طلبتُ المستقر بكل أرضٍ  فلم أرَ لي بأرض مستقَرّا
أطعتُ مطامعي فاستعبدَتني  ولو أني قنعتُ لكنتُ حُرّا

ويحكى أن الحلاج أنشد عند قتله:

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها  إلا لعلمي بأن الموت يشفيها
ونظرة منك يا سؤلي ويا أملي  أشهى إلي من الدنيا وما فيها
نفس المحب على الآلام صابرة  لعل متلفها يوماً يداويها

وكان الحلاج قد صحب الجنيد ووقع بينه وبين الشبلي وغيره من مشايخ الصوفية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين انتهى. وذكر الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام المقدسي في مفاتيح الكنوز أنه لما أتي به ليصلب ورأى الخشب والمسامير ضحك ضحكاً كثيراً ثم نظر في الجماعة فرأى الشبلي فقال: يا أبا بكر أما معك سجادة قال: بلى. قال: افرشها لي ففرشها فتقدم وصلى ركعتين فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب، وبعدها: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع﴾(٤) الآية ثم قرأ في الثانية فاتحة الكتاب وبعدها: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ الآية(٥) ثم ذكر كلاماً مطوّلاً ثم تقدم

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٢٨ ــ ٢٩.

(٢) الحلاج، أبو مغيث الحسين بن منصور، الزاهد المشهور، أتهم، لأقوال قالها بالحلول وأفتى القضاة بقتله سنة ٣٠٩ هـ.

(٣) وفيات الأعيان: ٢/١٤٤. (٤) سورة البقرة: الآية ١٥٥. (٥) سورة آل عمران: ١٨٥.

أبو الحارث السياف، ولطمه لطمة هشم وجهه وأنفه فصاح الشبلي ومزق ثيابه وغشي على أبي الحسن الواسطي وعلى جماعة من المشايخ المشهورين. وكان الحلاج يقول: اعلموا أن الله قد أباح لكم دمي، فاقتلوني ليس للمسلمين اليوم شغل أهم من قتلي. وقال: إن قتلي قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة ومن تجاوز الحدود أقيمت عليه الحدود. قلت: وقد اضطرب الناس في أمره اضطراباً كبيراً متبايناً فمنهم من يعظمه ومنهم من يكفره. وقد ذكر الإمام قطب الوجود حجة الإسلام في كتاب مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار فصلاً مطوّلاً في أمره واعتذر عن إطلاقاته كقوله: أنا الحق وما في الجبة إلا الله وحملها كلها على محامل حسنة، وقال: هذا من فرط المحبة وشدة الوجد وهو مثل قول القائل(١):

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإذا أبصرته أبصرتنا

وحسبك هذا مدحة وتزكية وكان ابن شريح إذا سئل عنه يقول: هذا رجل قد خفي على حاله وما أقول فيه. وهذا شبيه بكلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وقد سئل عن علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما فقال: دماء طهر الله منها سيوفنا، أفلا نطهر من الخوض فيهم ألسنتنا؟ وهكذا ينبغي لمن يخاف الله أن لا يكفر أحداً من أهل القبلة بكلام يصدر عنه يحتمل التأويل على الحق والباطل. فإن الإخراج من الإسلام عظيم ولا يسارع به إلا جاهل.

ويحكى عن شيخ العارفين قطب الزمان عبدالقادر الجيلاني قدس الله سره أنه قال: عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ بيده ولو أدركت زمانه لأخذت بيده وهذا وما سبق عن الإمام الغزالي في أمره كاف لمن له أدنى فهم وبصيرة وسمي الحلاج لأنه جلس يوماً على حانوت حلاج واستقضاه حاجة فقال له الحلاج أنا مشتغل بالحلج. فقال له: امض في حاجتي حتى أحلج عنك فمضى الحلاج في حاجته، فلما عاد وجد قطنه كله محلوجاً، وكان لا يحلجه عشرة رجال في أيام متعددة. فمن ثم قيل له الحلاج. وقيل إنه كان يتكلم على الأسرار ويخبر عنها، فسمي حلاج الأسرار وكان من أهل البيضاء بليدة بفارس واسمه الحسين بن منصور والله أعلم.

وذكر ابن خلكان وغيره أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ولي محمد بن أبي بكر الصديق مصر، فدخلها سنة سبع وثلاثين وقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام، ومعهم معاوية بن حديج، بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم في آخره كذا ضبطه ابن السمعاني في الأنساب وابن عبد البر وابن قتيبة وغيرهم. ووقع في كثير من نسخ تاريخ ابن خلكان معاوية بن خديج بخاء معجمة ودال مكسورة وآخره جيم وهو غلط. والصواب ما تقدم وأصحابه أي أصحاب معاوية بن خديج فاقتتلوا فانهزم محمد بن أبي بكر واختبأ في بيت مجنونة فمر أصحاب معاوية بن خديج بالمجنونة وهي قاعدة على

---

(١) وفيات الأعيان: ١٤١/٢. وهما بيتان، وفي هامشه إلى انهما في ديوان الحلاج: ٩٣:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بَدنا
فإذا أبصرتني أبصرتَه وإذا أبصرتَه أبصرتَنا

الطريق، وكان لها أخ في الحبس فقالت: أتريد قتل أخي قال: لا ما أقتله. قالت: فهذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي، فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأتوا به معاوية، فقال له محمد: احفظني لأبي بكر فقال له: قتلت من قومي في قضية عثمان ثمانين رجلاً، وأتركك وأنت صاحبه لا والله. فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين. وأمره معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لقتله، وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار. وقال غيره: بل وضعه حياً في جيفة حمار وأحرقه بالنار، وكان سبب ذلك دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل، وهي لا تعرفه فظنته أجنبياً فقالت من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله ﷺ أحرقه الله بالنار! فقال: يا أختاه قولي بنار الدنيا فقالت: بنار الدنيا. وقد تقدم هذا في باب الجيم في الكلام على لفظ الجمل ودفن في الموضع الذي قتل فيه. فلما كان بعد سنة من دفنه، أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه سوى الرأس فأخرجه ودفنه في المسجد تحت المنارة. ويقال إن الرأس في القبلة. قال: وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها قد أنفذت أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص في شأن محمد فاعتذر بأن الأمر لمعاوية بن خديج. ولما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه مسالم، ومعه قميصه، ودخل به داره اجتمع رجال ونساء فأمرت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ بكبش فشوي وبعثت به إلى عائشة، وقالت: هكذا قد شوي أخوك فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت. وقالت هند بنت شمر الحضرمية: رأيت نائلة امرأة عثمان بن عفان تقبل رجل معاوية بن خديج وتقول: بك أدركت ثاري ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دماً. ووجد عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجدا عظيماً وقال كان لي ربيباً وكنت أعده ولداً ولبني أخا. وذلك لأن علياً كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق ورباه كما تقدم. وذكر الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردي وغيره أن سفيان بن سعيد الثوري أكل ليلة زائداً على عادته فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، ثم قام حتى أصبح. قال: وكان فتى يجالس الثوري ولا يتكلم فأحب أن يعرف نطقه فقال: يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيول سابقة وبقينا بعدهم على حمر دبرة فقال الفتى: يا أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم. وقال سفيان بن عيينة: دعانا سفيان الثوري ليلة فقدم لنا تمراً ولبناً خاثراً فلما توسط الأكل قال: قوموا فلنصل ركعتين شكراً لله تعالى فقال ابن وكيع، وكان حاضراً: لو قدم لنا شيئاً من االلوزينج، لقال: قوموا فلنصل التراويح فتبسم سفيان. وقال سفيان الثوري ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني. وقال له رجل: أوصني فقال: اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها، وللآخرة بقدر مقامك فيها، والسلام. وقال له رجل: إني أريد الحج، فقال: لا تصحب من يتكرم عليك فإنك إن ساويته في النفقة أضرّ بك، وإن تفضّل عليك استذلك. ودخل الثوري على المهدي يوماً فسلم عليه تسليم العامة، ولم يسلم بالخلافة، فأقبل عليه المهدي بوجه طلق، وقال: يا سفيان تفر منا ههنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك؟ وقد قدرنا عليك الآن! أما تخشى أن نحكم فيك الآن بهوانا؟ فقال سفيان: أن تحكم في بحكم الآن، يحكم فيك ملك عادل قادر يفرق بين الحق والباطل. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لي أن اضرب عنقه. فقال له

المهدي: اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فنشقى بهم ويسعدوا بنا اكتبوا عهده على قضاء الكوفة بحيث أن لا يعترض عليه في حكم. فكتب عهده ودفع إليه فأخذه وخرج ورمى به في دجلة وهرب، فطلب في كل بلد فلم يوجد وتوفي بالبصرة متوارياً سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله تعالى. وهو أحد الأئمة المجتهدين، اجمع الناس على دينه وورعه وثقته. ويروى أن أبا القاسم الجنيد[1] رحمه الله كان يفتي على مذهبه، وهو غلط والصواب أن الجنيد كان شافعياً وقد عده شيخ الإسلام تقي الدين السبكي في الأصحاب وكذلك عده غيره.

وكان سفيان الثوري كوفياً فإنه سئل عن عثمان وعن علي رضي الله تعالى عنهما أيهما أفضل؟ فقال: أهل البصرة يقولون بتفضيل عثمان وأهل الكوفة يقولون بتفضيل علي. فقيل له: فما تقول أنت؟ قال أنا رجل كوفي. يعني أنه يقول بتفضيل علي.

وفي كتاب ابتلاء الأخيار أن عيسى عليه الصلاة والسلام لقي إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال، فسأله عن الأحمال فقال: تجارة أطلب لها مشترين. قال: وما هي التجارة؟ قال: أحدها الجور. قال: ومن يشتريه؟ قال السلاطين. والثاني الكبر. قال: ومن يشتريه؟ قال: الدهاقين: والثالث الحسد. قال: ومن يشتريه؟ قال: العلماء. والرابع الخيانة. قال: ومن يشتريها؟ قال: عمال التجار. والخامس الكيد. قال: ومن يشتريه؟ قال: النساء.

**ومما يحكى**: من كيد النساء ومكرهن ما روي في بعض التفاسير، عن جعفر الصادق بن محمد الباقر، أنه قال: كان في بني إسرائيل رجل، وكان له مع الله معاملة حسنة، وكان له زوجة وكان ضنيناً بها، وكانت من أجمل أهل زمانها مفرطة في الجمال والحسن، وكان يقفل عليها الباب، فنظرت يوماً شاباً فهويته وهويها، فعمل له مفتاحاً على باب دارها، وكان يدخل ويخرج ليلاً ونهاراً متى شاء، وزوجها لم يشعر بذلك فبقيا على ذلك زماناً طويلاً. فقال لها زوجها يوماً، وكان أعبد بني إسرائيل وأزهدهم إنك قد تغيرت علي ولم أعلم ما سببه، وقد توسوس قلبي وقد كان أخذها بكراً، ثم قال لها: واشتهي منك أن تحلفي لي أنك لم تعرفي رجلاً غيري، وكان لبني إسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده، وكان الجبل خارج المدينة، وكان عنده نهر يجري، وكان لا يحلف أحد عنده كاذباً إلا هلك. فقالت له: ويطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل؟ قال: نعم، قالت متى شئت فعلت. فلما خرج العابد لقضاء حاجته، دخل عليها الشاب، فأخبرته بما جرى لها مع زوجها، وأنها تريد أن تحلف له عند الجبل، وقالت: ما يمكنني أن أحلف كاذبة، ولا أقول لزوجي ما أحلف فبهت الشاب وتحير، وقال: فما تصنعين؟ فقالت له: بكر غداً، والبس ثوب مكار وخذ حماراً واجلس على باب المدينة، فإذا خرجنا فأنا آمره يكتري منك الحمار، فإذا اكتراه منك بادر واحملني وارفعني فوق الحمار، حتى أحلف له وأنا صادقة أني ما مسني أحد غيرك وغير هذا المكاري. فقال: حباً وكرامة. فلما جاء زوجها قال قومي بنا إلى الجبل لتحلفي به. فقالت ما لي طاقة بالمشي فقال: اخرجي فإن وجدت مكارياً اكتريت لك. فقامت ولم تلبس لباسها، فلما خرج العابد وزوجته، رأت الشاب ينتظرها فصاحت به يا مكاري أتكري حمارك إلى الجبل بنصف درهم؟ قال: نعم، ثم تقدم ورفعها على الحمار فساروا حتى وصلوا إلى الجبل. فقالت

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، بغدادي صوفي، عالم في الأصول مات سنة ٢٩٧ هـ.

للشاب: انزلني عن الحمار حتى أصعد على الجبل، فلما تقدم الشاب إليها ألقت بنفسها إلى الأرض، فانكشفت عورتها فشتمت الشاب، فقال: والله ما لي ذنب، ثم مدت يدها إلى الجبل فأمسكته وحلفت له أنه لم يمسسها أحد، ولا نظر إنسان مثل نظرك إلي، مذ عرفتك، غيرك وغير هذا المكاري. فاضطرب الجبل اضطراباً شديداً وزال عن مكانه، وأنكرت بنو إسرائيل ذلك. فذلك قوله تعالى: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾[1] ويقرب من هذا ما روي عن وهب بن منبه أنه كان في زمن بني إسرائيل في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام، رجل اسمه شمشون، وكان من أهل قرية من قرى الروم، كان قد هداه الله لرشده وصار من الحواريين، وكان أهله أصحاب أوثان يعبدونها وكان منزله من القرية على أميال، وكان يغزوهم وحده، ويجاهدهم في الله حق جهاده فيقتل ويسبي ويصيب المال، وكان ربما لقيهم بغير زاد فإذا قاتلهم وعطش انفجر له من الحجر الذي في القرية ماء فيشرب منه حتى يروى، وكان قد أعطي قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره، وكانوا لا يقدرون منه على شيء، فتآمروا فيه فقال بعضهم لبعض: إنكم لن تقدروا على أذاه إلا من قبل زوجته، فدخلوا عليها وجعلوا لها جعلاً إن أوثقته، فقالت: نعم أنا أوثقه لكم، فأعطوها حبلاً وثيقاً وقالوا لها: إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه ثم ذهبوا فجاء شمشون ونام، فقامت إليه فأوثقته كتافاً فجعلت يديه إلى عنقه، فلما هب من نومه، جذب يديه فوقع الحبل من عنقه، فقال لها لم فعلت هذا؟ قالت لأجرب قوتك ما رأيت مثلك قط. ثم أرسلت إليهم إني قد ربطته بالحبل فلم يغن شيئاً فأرسلوا إليها بجامعة من حديد، وقالوا لها إذا نام فاجعليها في عنقه، فلما نام جعلتها في عنقه، فلما هب من نومه جذبها فتقطعت، فقال لها: لم فعلت هذا؟ قالت لأجرب قوتك ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمشون! أما في الأرض شيء يغلبك؟ قال: الله عزّ وجلّ يغلبني. ثم شيء واحد. قالت: ما هو؟ قال: ما أنا بمخبرك به. فلم تزل تخدعه وتمكر به وتتلطف له في السؤال، وكان ذا شعر كثير جداً فقال: ويحك إن أمي كانت جعلتني نذيراً فلا يغلبني شيء أبداً ولا يوثقني إلا شعري. فتركته حتى نام، ثم قامت إليه فأوثقت يديه إلى عنقه بشعره فأوثقه ذلك. وبعثت إلى القوم فجاؤوا وأخذوه فجدعوا أنفه، وفقؤوا عينيه وأوقفوه للناس، بين ظهراني المدينة، وكانت المدينة ذات أساطين، وأشرف الملك لينظر ماذا يفعل به، فدعا الله شمشون، حين مثلوا به وأوقفوه، أن يسلطه عليهم، فرد الله عليه بصره، وما أصابوا من جسده، وأمره أن يأخذ بعمود من عمد المدينة الذي عليه الملك والناس ففعل، فوقعت المدينة وهلك من فيها وأرسل الله على زوجته صاعقة فأحرقتها، ونجى الله تعالى شمشون بمنه وفضله انتهى. وحكاياتهن في المكر والكيد لا تحصى وحسبك أن الله تعالى استضعف كيد الشيطان فقال: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾[2] واستعظم كيد النساء فقال: ﴿إن كيدكن عظيم﴾[3].

وفي كتاب نزهة الأبصار في أخبار ملوك الأمصار، وهو كتاب عظيم المقدار، ولا أعلم مصنفه أن بعض الملوك، مر بغلام وهو يسوق حماراً غير منبعث، وقد عنف عليه في السوق، فقال: يا غلام ارفق به فقال الغلام: أيها الملك في الرفق به مضرة عليه، قال: وكيف ذلك؟ قال:

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٦. (٢) سورة النساء: الآية ٧٦. (٣) سورة يوسف: الآية ٢٨.

يطول طريقه ويشتد جوعه، وفي العنف به إحسان إليه. قال: وكيف ذلك؟ قال: يخف حمله ويطول أكله فأعجب الملك بكلامه، وقال: قد أمرت لك بألف درهم. فقال: رزق مقدور وواهب مشكور. قال الملك: وقد أمرت بإثبات اسمك في حشمي قال: كفيت مؤونة ورزقت معونة. فقال له الملك: عظني فإني أراك حكيماً. فقال: أيها الملك إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب، وإذا هنأتك العافية، فحدث نفسك بالبلاء، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية العمل فاذكر الموت، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها في الإساءة نصيباً. فأعجب الملك بكلامه، وقال: لولا أنك حديث السن لاستوزرتك. فقال: لن يعدم الفضل من رزق العقل. قال: فهل تصلح لذلك؟ قال: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها. فاستوزره فوجده ذا رأي صائب، وفهم ثاقب، ومشورة تقع موقع التوفيق.

وفي هذا الكتاب دعابات فمنها أن الرشيد خرج إلى الصيد، فانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه، فإذا هو بشيخ كبير راكب على حمار، فنظر إليه، فإذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه، فقال له الفضل: أين تريد؟ قال: حائطاً لي. قال: هل لك أن أدلك على شيء تداوي به عينيك فتذهب تلك الرطوبة؟ فقال: ما أحوجني إلى ذلك فقال له: خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكماة، فصره في قشرة جوزة، واكتحل به فإنه يذهب رطوبة عينيك. فاتكأ الشيخ على قَرَبوس[1] سرجه، وضرط ضرطة طويلة، ثم قال: هذه أجرة لوصفك، وإن نفعنا الكحل زدناك. فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن دابته. ومنها أنه حضر خياط لبعض الأمراء ليفصل له قباء، فأخذ يفصل والأمير ينظر إليه، فلم يتهيأ له أن يسرق شيئاً فضرط فضحك الأمير حتى استلقى فأخرج الخياط من القباء ما أراد فجلس الأمير وقال: يا خياط ضرطة أخرى، فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء. وفي كتاب نشوان المحاضرة قال ذو النون بن موسى: كنت غلاماً، والمعتضد إذ ذاك بكور الأهواز، فخرجت يوماً من قرية يقال لها سانطف أريد عسكر مكرم[2]. ومعي حماران واحد راكبه والآخر عليه حمل البطيخ، فمررت بعسكر المعتضد، وأنا لا أعلم من هو، فأسرع إلي جماعة منهم فأخذ واحد منهم من الحمل ثلاث بطيخات أو أربع، فخفت أن ينقص عن عدده فأتهم به، فبكيت وصحت، والحمار يسير على المحجة، والعسكر مجتاز وإذا بكبكبة عظيمة يقدمها رجل منفرد، فوقف وقال: يا مالك يا غلام تبكي وتصيح؟ فعرفته الخبر، فوقف ثم التفت إلى القوم وقال: أيه علي بالرجل الساعة. قال: فجيء به في أسرع من طبق البصر، حتى كأنه كان وراء ظهره، فقال: هو هذا يا غلام؟ قلت: نعم فأمر به فضرب بالمقارع، وهو واقف وأنا راكب على حماري، والعسكر واقف وجعل يقول له: وهو يضرب يا كلب أما كان معك ثمن هذا البطيخ؟ أما قدرت أن تمنع نفسك منه؟ أهو مالك أو مال أبيك؟ أليس صاحبه أتعب نفسه وأجهد في زرعه وسقيه وأداء خراجه؟ والمقارع تأخذه حتى ضرب مائة مقرعة. ثم أمر لي بأربعة دنانير وسار. وأخذ الجيش يشتموني ويقولون: ضرب القائد الفلاني بسبب هذا مائة مقرعة فسألت بعضهم فقال: هذا أمير المؤمنين المعتضد.

---

(١) القَرَبُوس: حِنو السَّرج.

(٢) عسكر مُكرَم: بلدة في نواحي خوز ستان.

وفي كتاب الأذكياء لابن الجوزي، عن الجاحظ أنه قال: قال ثمامة بن أشرس[1]: دخلت على صديق لي أعوده، وتركت حماري على الباب، ولم يكن معي غلام يحفظه، فلما خرجت إذا فوقه صبي يحفظه، فقلت: أركبت حماري بغير أذني؟ فقال: خفت أن يذهب فحفظته لك. لو ذهب لكان أعجب إلي من بقائه! فقال: إن كان هذا رأيك في الحمار فقدر أنه ذهب وهبه لي واربح شكري! فلم أدر ما أقول. وأحسن من هذا الذكاء ما رواه ابن الجوزي أيضاً، قال: ركب المعتصم إلى خاقان يعوده، والفتح بن خاقان صبي يومئذٍ، فقال له المعتصم: أيهما أحسن غار أمير المؤمنين أم دار أبيك؟ قال: إذا كان أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن. فأراه المعتصم، فصاقى يده، وقال: يا فتح هل رأيت أحسن من هذا القص؟ قال: نعم اليد التي هو فيها. ويقرب من هذا وهو من الجواب المسكت، ما ذكره الإمام ابن الجوزي قال: دخل شاب على المنصور، فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مات، رحمه الله، يوم كذا وكذا، وكان مرضه، رحمه الله، يوم كذا، خلف، رحمه الله، كذا. فانتهره الربيع وقال أما تستحي بين يدي أمير المؤمنين تقول هذا؟ فقال الشاب: لا ألومك على انتهاري لأنك لم تعرف حلاوة الآباء! وكان الربيع لقيطاً فما أعلم المنصور ضحك كضحكه يومئذٍ انتهى. وفي تاريخ ابن خلكان، في ترجمة الحاكم العبيدي[2]، أن الحاكم بأمر الله كان له حمار أشهب يدعى بقمر يركبه، وكان يحب الانفراد والركوب وحده، فخرج راكباً حماره ليلة الإثنين سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة إلى ظاهر مصر، وطاف ليلته كلها وأصبح متوجهاً إلى شرقي حلوان ومعه راكبان، فأعاد أحدهما ثم أعاد الآخر وبقي الناس يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور. ثم خرج ثاني القعدة جماعة من الموالي والأتراك فأمعنوا في طلبه وفي الدخول في الجبل فرأوا حماره الأشهب الذي كان راكباً عليه، وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه ورجلاه بسيف، وعليه سرجه ولجامه فتبعوا الأثر فإذا أثر حمار وأثر راجل خلفه وراجل قدامه، فقصوا الأثر إلى البركة التي في شرقي حلوان، فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه وهي سبع جباب ووجدت مزرورة لم تحل أزرارها، وفيها آثار السكاكين فحملت إلى القصر، ولم يشكوا في قتله. غير أن جماعة من المتغالين في حبهم له السخيفي العقل يدعون حياته وأنه سيظهر ويحلفون بغيبة الحاكم. ويقال إن أخته دست عليه من قتله وكان الحاكم جواداً بالمال سفاكاً للدماء. وكانت سيرته عجباً يخترع كل يوم حكماً يحمل الناس عليه فمن ذلك أنه أمر الناس سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم في حيطان المساجد والقياسر والشوارع، وكتب إلى سائر الديار المصرية يأمرهم بالسب ثم أمر بقطع ذلك سنة سبع وتسعين. وأمر بضرب من يسب الصحابة وتأديبه وأمر بقتل الكلاب فلم ير كلب في الأسواق والأزقة إلا قتل ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا، ثم نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره، وجمع جملة كثيرة وأحرقت وأنفقوا على إحراقها خمسمائة دينار، ثم نهى عن بيع العنب أصلاً وألزم اليهود

---

(١) ثُمامة بن أشرس النميري، أبو معن من كبار المعتزلة، فصيح بليغ. مات سنة ٢١٣ هـ.

(٢) وفيات الأعيان: ٥/٢٩. والحاكم هو أبو علي المنصور الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور القائم بن المهدي صاحب مصر. مات سنة ٤١١ هـ.

والنصارى أن يتميزوا في لباسهم عن المسلمين في الحمامات، وخارجها، ثم أفرد حماماً لليهود وحماماً للنصارى وألزمهم أن لا يركبوا شيئاً من المراكب المحلاة، وأن تكون ركبهم من الخشب وأن لا يستخدموا أحداً من المسلمين ولا يركبوا حمار المكاري المسلم ولا سفينة نواتيها مسلمون. وأمر بهدم القمامة في سنة ثمان وأربعمائة وجميع الكنائس بالديار المصرية. ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الأحباس لجماعة من المسلمين وأمر أن لا يتكلم أحد في صناعة النجوم، وأن ينفى المنجمون من البلاد، وكذلك أصحاب الغناء ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً، ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف للنساء، ولم تزل النساء ممنوعات من الخروج إلى أيام ولده الظاهر مدة سبع سنين. ثم أمر ببناء ما كان هدم من الكنائس، ورد ما كان قد أخذ من أحباسها.

وحلوان مدينة كثيرة النزه فوق مصر بخمسة أميال كان يسكنها عبد العزيز بن مروان، وبها توفي وبها ولد ولده عمر بن عبد العزيز انتهى. قلت: وفي قوله ليلة الإثنين سابع عشر، وقوله إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور نظر ظاهر والله أعلم. وفي رسالة القشيري، في باب كرامات الأولياء، سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول: سمعت أبا سليمان الخواص يقول: كنت راكباً حماراً يوماً، وكان الذباب يؤذيه فيطأطىء رأسه، وكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي، فرفع الحمار رأسه إليّ وقال: اضرب فإنك هكذا على رأسك تضرب. قال الحسين: فقلت لأبي سليمان لك وقع هذا قال: نعم، كما تسمعني.

تذنيب: روى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، أنه قال: كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبون الحمر، ويلبسون الصوف، ويحلبون الشاة، وكان للنبي ﷺ حمار اسمه عُفير بضم العين المهملة، وضبطه القاضي عياض بالغين المعجمة. وقد اتفقوا على تغليطه، أهداه له المقوقس[1] وكان فروة بن عمرو الجذامي[2] أهدى له حماراً يقال له يعفور، مأخوذان من العفرة وهو لون التراب، فنفق يعفور في منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع. وذكر السهيلي أن يعفور طرح نفسه في بئر يوم موت النبي ﷺ. وذكر ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى أبي منصور قال: لما فتح النبي ﷺ خيبر أصاب حماراً أسود، فكلم رسول الله ﷺ الحمار فقال له: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب، أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً لا يركبها إلا نبي وقد كنت أتوقعك لتركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت قبلك عند رجل يهودي وكنت أتعثر به عمداً، كان يجيع بطني ويركب ظهري. فقال له النبي ﷺ: «فأنت يعفور يا يعفور تشتهي الإناث. قال: لا، فكان ﷺ يركبه في حاجته، وكان يبعثه خلف من شاء من أصحابه، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه فيعلم أن رسول الله ﷺ أرسله إليه، فيأتي النبي ﷺ فلما قبض رسول الله جاء إلى بئر كانت

---

(١) المقوقس: ملك مصر.

(٢) فروة بن عمرو بن النافرة من بني نفاثة من جذام، أسلم بعد وقعة تبوك. مات سنة ١٢ هـ.

لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعاً على رسول الله ﷺ. فكانت قبره. قال الإمام الحافظ أبو موسى: هذا حديث منكر جداً إسناداً ومتنا لا يحل لأحد أن يرويه إلا مع كلامي عليه. وقد ذكره السهيلي في التعريف والأعلام في الكلام على قوله[1] تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ وفي كامل ابن عدي، في ترجمة أحمد بن بشير، وفي شعب الإيمان للبيهقي، عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تعبد رجل في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الأرض فرأى حماراً له يرعى، فقال: يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري، فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل، فأراد أن يدعو عليه، فأوحى الله إليه إنما أجازي عبادي على قدر عقولهم»![2]. وهو كذلك في الحلية لأبي نعيم في ترجمة زيد بن أسلم. وروى ابن أبي شيبة في مصنفه والإمام أحمد في الزهد، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: قيل لعيسى بن مريم عليهما السلام: يا رسول الله لو اتخذت لك حماراً تركبه لحاجتك؟ فقال: أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني عنه.

الحكم: يحرم أكله عند أكثر أهل العلم، وإنما رويت الرخصة فيه عن ابن عباس رواه عنه أبو داود في سننه وقال الإمام أحمد: كره أكله خمسة عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ. وادعى ابن عبد البر الإجماع الآن على تحريمه. قال: وقد روي عن غالب بن أبجر، قال: أصابتنا سنة فشكونا ذلك لرسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم يكن عندي ما أطعم أهلي إلا سمان حمر وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية «فقال: اطعم أهلك من سمن حمرك، فإنما حرمتها من أجل جوال القرية». ولم[3] يروِ عن غالب بن أبجر سوى هذا الحديث. ولنا ما روى جابر وغيره أن النبي ﷺ «نهى عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل». متفق[4] عليه. وحديث غالب رواه أبو داود واتفق الحفاظ على تضعيفه، ولو بلغ ابن عباس أحاديث النهي الصحيحة الصريحة في تحريمه لم يصر إلى غيره. ولو صح حديث غالب لحمل على الأكل منها، حال الاضطرار وأيضاً هي قضية عين لا عموم لها ولا حجة فيها. واختلف أصحابنا في علة تحريمها، هل هو لاستخباث العرب لها؟ أو للنص على وجهين! حكاهما الروياني وغيره وأفاد الحافظ المنذري أن تحريم لحوم الحمر نسخ مرتين، ونسخت القبلة مرتين، ونسخ نكاح المتعة مرتين. واختلف السلف في لبنها فحرمه أكثر العلماء، ورخص فيه عطاء وطاوس والزهري، والأول أصح لأن حكم اللحم ويحرم ضربه وضرب غيره من الحيوانات المحترمة بالإجماع. روى البخاري أن النبي ﷺ مر بحمار قد وسم وجهه، فقال: «لعن الله من فعل هذا»[5] وفي رواية «لعن الله الذي وسم هذا».

---

(١) سورة النحل: الآية ٨.

(٢) الكامل لابن عدي: ١/ ١٦٩.

(٣) رواه أبو داود في الأطعمة: ٣٣.

(٤) رواه البخاري: ذبائح ٢٨، مغازي: ٣٨، نكاح: ٣١. ورواه مسلم في النكاح: ٣٠، والصيد: ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٧. ورواه الترمذي في النكاح: ٣٠، والصيد: ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٣١. الترمذي ذبائح: ١٣.

(٥) رواه مسلم في اللباس: ١٠٨، ١٠٩. وأبو داود جهاد: ٥٢. وأحمد: ٣/ ٢٩٧، ٣٢٣.

**الأمثال**: قالوا: «عشر تعشير الحمار»،[1] قال الجوهري: تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات في طلق واحد قال الشاعر[2]:

لعمري لئن عشرت من خيفة الردى نهاق حمار أنني لجزوع[3]

وذلك أنهم كانوا إذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوه، وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم. وقوله[4] تعالى: ﴿**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً**﴾ أي يثقله حملها ولا ينفعه علمها وكل من يعلم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله. وفي الحديث[5] «يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور كما يدور الحمار في الرحا فيطيف به أهل النار، فيقولون: ما لك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهى عن الشر وآتيه» والإقتاب الأمعاء واحدها قتب بالكسر. وقالت العرب: هم يتهارجون تهارج الحمر. أي يتسافدون. والهرج كثرة النكاح. يقال: بات يهرجها ليله جميعاً. وروى الحافظ أبو نعيم عن أبي الزاهرية، عن كعب الأحبار قال: يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج في الرخاء والخصب والدعة عشر سنين حتى إن الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة بينهما، ويحملان العنقود الواحد من العنب، فيمكثون على ذلك عشر سنين، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فلا تدع مؤمنة ولا مؤمناً إلا قبضت روحه، ثم يبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر في المروج، حتى يأتي أمر الله والساعة، وهم على ذلك. وقالوا «بال الحمار فاستبال أحمرة». أي[6] حملهن على البول، يضرب في تعاون القوم على ما يكره. وقالوا[7]: «اتخذ فلان حمار الحاجات». يضرب للذي يمتهن في الأمور. وقالوا: «تركته جوف حمار»[8] أي لا خير فيه. وقالوا: «أصبر من حمار».[9] وقالوا: «شر المال مالاً يذكى ولا يزكى»[10] أشاروا بذلك إليه. وقالوا «ما بقي منه إلا قدر ظمء حمار»[11]. لأنه أقصر الحيوان ظمأ. الجوهري في مادة عشا قال الشاعر:

غدونا غدوة سحراً بليل عشاء بعدما انتصف النهار
قصدناها حماراً ذا قرون أكلنا اللحم وانفلت الحمار

وفي معنى هذا البيت وجهان أحدهما أنّا أتعبناه حتى أكلنا لحمه لشدة الإضرار به من العدو ثم انفلت. والثاني إنا ذبحناه فأكلناه أكلاً لم يبق منه شيء فكأنه انفلت. وقوله: ذا قرون أي مسنا قد أتت عليه قرون من الدهر. وقالوا[12]: «أذل من حمار مقيد». قال الشاعر:

---

(١) مجمع الأمثال: ٤٢/٢.

(٢) هو عروة بن الورد الشاعر الجاهلي الصعلوك، والبيت في الحيوان للجاحظ: ٣٥٩/٦.

(٣) في كتاب الحيوان: «نهاق الحمير».

(٤) سورة الجمعة: الآية ٥.

(٥) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٠، والفتن: ١٧. ورواته مسلم في الزهد: ٥١، وأحمد: ٥ ـ ٢٠٥.

(٦) المستقصى: ٥/٢.

(٧) مجمع الأمثال: ١٣٥/١.

(٨) مجمع الأمثال: ١٣٥/١.

(٩) جمهرة الأمثال: ٤٨٤/١.

(١٠) المستقصى: ١٣٠/٢.

(١١) المستقصى: ٣١٧/٢.

(١٢) جمهرة الأمثال: ٣٨٠/١.

وما يقيم بدار الذل يعرفها إلا الأذلان عير الحي والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحدُ

الخواص: من سقي من وسخ أذنه في شراب أو غيره سبت ونام، ولم يعقل أصلاً. ومن نزع شعرة من ذنبه عند نزوه وربطها على فخذه أنعظ وهيج الباه. وإذا ربط حجر في ذنبه لم ينهق. وكذا إذا طليت استه بدهن. وقال الإمام الفخر الرازي وصاحب الحاوي: إذا طبخ لحم الحمار الأهلي وقعد في مائه من به كزاز نفعه. وإذا اتخذ من حافره خاتم، ولبسه المصروع لم يصرع. وسرجينه وسرجين الخيل، إذا أحرقا أو لم يحرقا وخلطا بخل قطعا سيلان الدم. وإذا علق جلد جبهته على الصبيان منعهم من الفزع وإذا رش على زبله خل وشم قطع الرعاف. وقال صاحب الفلاحة: إذا ركب الملسوع بالعقرب حماراً، وجعل وجهه إلى ذنبه صار الوجع إلى الحمار، وبرىء الراكب. وكذلك إن تقدّم الملدوغ إلى أذن الحمار وقال: إني لدغت بعقرب في المكان الفلاني ذهب الوجع. وإن ركبه مقلوباً كما تقدم كان أقوى فعلاً. ومخه إذا طلي به الرأس مع الزيت، طول الشعر. وكبده إذا أكلت مشوية على الريق، منقوعة في الخل، نفعت من الصرع وأمن آكلها من الصرع. ولبن الحمارة إذا صمد به الذكر أنعظ. ونهيق الحمار يضر بالكلب حتى إنه ربما عوى من كثرة ما يؤلمه.

التعبير: الحمار في المنام جد الإنسان وسعده، وربما دل على غلام أو ولد أو خير، وربما دل على السفر أو العلم، لقوله[١] تعالى: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ وربما على المعيشة لقوله[٢] تعالى: ﴿وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس﴾ وربما دل الحمار على العالم المحصل. أو اليهود، لقوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها﴾[٣] الآية وربما دلّ الحمار على ما يوطأ فيه كالوطاء والزربول وما أشبه ذلك. وظهور حمار عزير في المنام ظهور آية. وربما دلت رؤيته على الخلاص من الشدائد، وعلى الرجوع إلى المناصب السنية، أو المنازعة في الدين. والحمير والبغال ملكها في المنام، أو ركوبها دليل على الزينة بالمال أو الولد، لقوله[٤] تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ وربما دل ركوب الحمار على النجاة من الهم. وموت الحمار وهزاله فقر صاحبه. وقيل موته موت صاحبه. والنزول عن ظهره بلا نية نزول فقر وبيعه فقر أيضاً، ومن ذبح حماره ليأكل لحمه نال سعة في رزقه، وإن ذبحه لغير الأكل فإنه يفسد معاشه بالولد والعز، فمن رأى أنه لا يحسن ركوب حماره، فإنه يتحلى بما ليس من أهله، والمهازيل والضعاف من الحمر، مال في زيادة، والسمان منها مال قد انتهى. والحمار المصري وكيل وهو نعم الوكيل. والحمارة امرأة معينة على المعيشة كثيرة الخير ذات نسل وربح متواتر، فمن ركب حمارة في منامه، وخلفها جحش فإنه يتزوج امرأة لها ولد. ومن رأى حمارة لا تمشي إلا بالصوت فإنه لا يطعم إلا بالدعاء. ولفظ الأتان من الإتيان. وربما دل صياحها على الشر والإنكاد، لقوله[٥]

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.
(٣) سورة الجمعة: الآية ٥.
(٤) سورة النحل: الآية ٨.
(٥) سورة لقمان: الآية ١٩.

تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ أو ظهور عارض من الجان، فإن نهيق الحمار يدل على رؤية الشيطان لأن السنة وردت بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند سماع صوته، وقيل سماع صوته دعاء على الظلمة. ومن رأى حماراً موقوراً دخل منزله، فإنه خير يسوقه الله إليه على قدر جوهر ذلك الحمل. ولبن الحمارة خصب في تلك السنة وربما دل الشرب منه على مرض شاربه ثم ينجو منه. ولحم الحمار مال لمن أكله. وحمار المرأة زوجها فإن مات طلقها أو مات زوجها. ومن صارع حماراً مات بعض أقاربه ومن رأى حماره صار فرساً نال خيراً من السلطان، وإن صار بغلاً نال خيراً من سفر. ومن حمل حماره في المنام نال خيراً وقوّة في السعادة، حتى يتعجب منه. ومن رأى له حافراً فذلك قوة في المال والتصرف وكذلك الخف ومن سمع صوت الحوافر من غير أن يرى شيئاً من البهائم. فإنها أمطار ويعبر الحمار برجل جاهل. وربما دلت رؤيته على الولد من الزنا. ومن رأى حماراً نزل من السماء فدس ذكره في دبره نال مالاً عظيماً يستغني به. لا سيما إذا كان الرائي ملكاً، والحمار أسود أو أدهم والله أعلم.

**الحمار الوحشي**: ويسمى الفراء ويقال حمار وحش وحمار وحشي، وهو العير وربما أطلق العير على الأهلي أيضاً والحمار الوحشي شديد الغيرة، فلذلك يحمي عانته الدهر كله ومن عجيب أمره أن الأنثى من هذا النوع إذا ولدت ذكراً كدم الفحل خصيتيه، فالأنثى تعمل الحيلة في الهرب منه حتى يسلم. وربما كسرت رجل التولب كي لا يسعى ولا تزال ترضعه إلى أن يكبر فيسلم من أبيه وأشار إلى ذلك الحريري بقوله في المقامة الثالثة عشرة:

يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكثير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه من دنس الذم نقى رحيض

وسيأتي هذا إن شاء الله تعالى في باب النون في النعاب ويقال: إن الحمار الوحشي يعمر مائتي سنة وأكثر.

وذكر ابن خلكان في ترجمة[1] يزيد بن زياد أن بعض الجند حدث أنهم نزلوا على جرود، فاصطادوا من حمر الوحش شيئاً كثيراً، وذبحوا منها حماراً وطبخوا لحمه الطبخ المعتاد، فلم ينضج فزيد في الإيقاد عليه يوماً كاملاً فلم ينضج، فقام بعض الجند وأخذ رأسه، وجعل يقلبه فرأى على أذنه وسماً، فقرأه فإذا هو بهرام جور وموضع الوسم ظاهر أبيض، وهو بالقلم الكوفي. قال ابن خلكان: وأحضروا الأذن عندي فوجدت الاسم ظاهراً وبهرام جور كان من ملوك الفرس قبل مبعث النبي ﷺ بزمان طويل، وكان من عادته إذا أخذ الصيد وسمه وأطلقه، والله تعالى يعلم كم كان عمر الحمار قبل الوسم. وهذا الحمار لعله عاش أكثر من مائتي سنة. وجرود قرية من قرى دمشق، وبأرضها من حمر الوحش شيء كثير، يجاوز الحصر وفي أرض جرود الجبل المدخن وإنما سمي هذا الجبل بالمدخن لأنه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب وقيل: إن الحمار يعيش أكثر من ثمانمائة سنة وألوان حمر الوحش مختلفة، والأخدرية أطولها عمراً وأحسنها شكلاً. وهي منسوبة إلى أخدر، فحل كان لكسرى أردشير فتوحش، واجتمع بعانات فضرب فيها فالمتولد منها يقال له

(١) وفيات الأعيان: ٣٤٢/٦. وهو يزيد بن زياد بن ربيعة، لقبه مفرّغ الحميري توفي سنة ٦٩ هـ.

أخدري. وقال(١) الجاحظ: أعمار حمر الوحش تزيد على أعمار الحمر الأهلية، ولا نعرف حماراً أهلياً عاش أكثر من حمار أبي سيارة، وهو عميلة بن خالد العدواني، كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين سنة وكان يقول:

لا هم مالي في الحمار الأسود ... أصبحت بين العالمين أحسدْ
هلا يكاد ذو الحمار الجلعد ... فق أبا سيارة المحسد
من شركل حاسد إذا حسد ... ومن أذاة النافثات في العقد
اللهم حبب بين نسائنا ... وبغض بين رعائنا
واجعل المال في سمحائنا

وفيه يقول الشاعر:

خلوا الطريق عن أبي سيارة ... وعن مواليه بني فزاره
حتى يجيز سالماً حماره ... مستقبل يدعو جاره
فقد أجار الله من أجاره

ولذلك قيل(٢): «أصح من حمار أبي سيارة» وروى ابن أبي شيبة وابن عبد البر من طريقه، من حديث أبي فاطمة الليثي، ويقال الأزدي، ويقال الدوسي، أنه قال: كنا جالسين عند رسول الله ﷺ فقال: «من أحب أن يصح فلا يسقم؟ فابتدرناها فقلنا نحن يا رسول الله. فقال: أتحبون أن تكونوا كالحمر الصالة؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء وأصحاب كفارات فو الذي نفس أبي القاسم بيده أن الله ليبتلي المؤمن بالبلاء فما يبتليه إلا لكرامته عليه، لأن الله قد أنزل عبده منزلة لم يبلغها بشيء من عمله دون أن ينزل به من البلاء ما لا يبلغ تلك المنزلة إلا به». وكذا رواه البيهقي أيضاً في الشعب وقال: سألت عنه بعض أهل الأدب، فزعم أنه أراد به حمر الوحش. وقال ابن الأثير في نهاية الغريب: قوله: أتحبون أن تكونوا كالحمر الصالة» قال أبو أحمد العسكري: هو بالصاد غير المعجمة ورواه أيضاً بالضاد المعجمة. وهو خطأ يقال للحمار الوحشي الحاد الصوت: صال وصلصال كأنه يريد الصحيحة الأجساد والشديدة الأصوات، لقوّتها ونشاطها.

الحكم: يحل أكله بالإجماع، وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ(٣) قال: «إنا لم نرده عليك إلا إننا حرم». قال الشافعي: ولو توحش الحمار الأهلي حرم أكله. ولو استأهل الوحشي لم يحرم. ولا نعلم في حل الوحشي خلافاً إلا ما روي عن مطرف أنه قال: إذا أنس واعتلف صار كالأهلي. وأهل العلم قاطبة على خلاف قوله ولا يحل الحمار المتولد بين الأهلي والوحشي، لأن الولد يتبع خير الأبوين في الأطعمة حتى يقرض أحدهما غير مأكول. كما يتبع أخسهما في النجاسة،

---

(١) الحيوان: ١/١٣٩. وأبو سيارة هو عُمَيلة بن أعزل كذا في الحيوان.

(٢) جمهرة الأمثال: ١/٤٨٤.

(٣) رواه البخاري في الصيد: ٦ والهبة: ٦، ١٧ ومسلم حج: ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤. ورواه أبو داود في المناسك: ٤٠ والترمذي في الحج: ٥٦ والنسائي في المناسك: ٧٩.

حتى يجب الغسل من ولوغه وسائر أجزائه سبعاً إذا تولد بين كلب وذئب. وكما يتبع الأخس في الأنكحة حتى إذا تولد بين كتابي ووثني لم تحل مناكحته، وقد خالفوا هذا الأصل في باب الجزية، فقالوا: يعقد للمتولد بين كتابي ووثني، وفي الديات ألحقوه بأكثرهما دية، وهو الأصح المنصوص. وقيل: يتبع أقلهما دية. وقيل يعتبر بالأب. وهذه الأقوال حكاها الرافعي في باب الغرة وفي الحج جعلوه تابعاً للأغلظ تكليفاً، حتى لو قتل متولداً بين ظبي وشاة وجب عليه الجزاء، وعكسوا ذلك في الزكاة، فلم يوجبوها في المتولد بين الأهلي والوحشي، وفي إيجابها في المتولد بين انسيين كبقرة وجاموس نظر. وجعلوه تابعاً لأشرفهما ديناً، حتى لو كان أحد الأبوين مسلماً عند العلوق، أو أسلم قبل بلوغه حكم بإسلام الصغير تبعاً وجعلوه تابعاً للأم في الرق والحرية، أعني ما دام حملاً، إلا في المستولدة والمغرور بحريتها. وجعلوه تابعاً للأب في النسب مطلقاً، لأن النسب يعتبر بالآباء دون الأمهات. واستثنوا من ذلك أولاد بنات رسول الله ﷺ، فإنهم ينسبون إليه، دون أولاد بنات غيره، وهذا من خصائصه ﷺ. وجعلوا ولد الزنا مقطوع النسب عن أبيه. والمنفي ليس كذلك لأنه لو استحلفه لحقه ولم يتعرضوا للتبعية في بابي الأضحية والعقيقة والاحتياط اعتبار أكثر السنين فيه، حتى لو تولد بين ضأن ومعز اشترط لإجزائه في الأضحية طعنه في السنة الثالثة اعتباراً بأكثر الأبوين سناً، وهو المعز ولم يتعرضوا أيضاً له في الربويات وفائدته أنه هل يجعل جنساً برأسه، حتى يباع لحمه بلحم أي الأبوين كان مفاضلة، أو يجعل كالجنس الواحد احتياطاً فيحرم التفاضل؟ وهذا هو الأقرب اعتبار الضيق باب الربا. ولم يتعرضوا له أيضاً في السلم والقرض حتى لو أقرضه حيواناً متولداً بين حيوانين، أو أسلم إليه في لحمه أو لحم ضأن أو معز، فأتاه بلحم متولد بين ضأن ومعز فالمتجه عدم جواز قبوله، لأنه نوع آخر والاستبدال عن النوع، بنوع آخر لا يجوز على الصحيح. ولم يتعرضوا له أيضاً في الشركة والوكالة والقراض، كل ذلك لندوره والمتجه المنع في الجميع لأن هذه العقود إنما تصح فيما يعم وجوده ولو أوصى لرجل بشاة فأعطاه الوارث متولداً بين ضأن ومعز لم يجبر على القبول، لأن الوصية إنما تحمل على المتعارف والله تعالى أعلم.

**الأمثال:** قالوا: «فلان أكفر من حمار»(١) وهو رجل من عاد كان يقال له حمار بن مويلع، وقيل هو حمار بن مالك بن نصر الأزدي كان مسلماً، وكان له واد طوله مسيرة يوم في عرض أربعة فراسخ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه، وفيه من كل الثمار فخرج بنوه يوماً يتصيدون، فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال: لا أعبد من فعل هذا ببني. ودعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله، فأهلكه الله وأخرب واديه فضربت العرب به المثل في الكفر. قال الشاعر:

ألم تر أن حارثة بن بدر ... يصلي وهو أكفر من حمار

**الخواص:** قال ابن وحشية وابن السويدي وغيرهما: النظر إلى أعين الحمر الوحشية يديم صحة العين، ويمنع نزول الماء إليها بخاصة عجيبة أودعها الله فيها، والاكتحال بمرارتها يحد البصر ويزيل ظلمته ويمنع من ابتداء نزول الماء في العين. وأكل سمين لحمها ينفع من مرض المفاصل ويزيله، ولحمها أيضاً ينفع من النقرس نفعاً بيناً وشحمها إذا طلي به الكلف أزاله ومرارتها تنفع

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٧.

من داء الثعلب طلاء، وتنفع من البول على الفراش أكلاً ومخها يسخن بدهن الزنبق ويدهن به البهق يزول بإذن الله تعالى.

التعبير: الحمار الوحشي في المنام يدل على الزوجة أو الولد من ذي الجفاء والقسوة أو من أرباب البوادي، فاعتبر ذلك واعط الرائي حقه. ومن رأى أنه ركب حماراً وحشياً فإنه يدل على معصية، ومن رأى أنه ركبه وسقط عنه فليحذر من درك يناله في معصية. ومن شرب من لبن حمارة وحش نال نسكاً في دينه. ومن رأى أنه حوى شيئاً من لحوم حمر الوحش أو ملكها نال عزاً وغنيمة ومالاً والحمار الأهلي إذا استوحش في المنام فهو ضر وشر. والحمار الوحشي في المنام إذا أنس فهو نفع وخير.

حمار قبان: قال النووي في التحرير: هو فعلان من قب لأنه لا ينصرف في معرفة ولا نكرة. وقال الجوهري: هي دويبة وقبان فعلان من قب لأن العرب لا تصرفه وهو معرفة عندهم ولو كان فعالاً لصرفته تقول رأيت قطيعاً من حمر قبان غير منصرف قال الشاعر:

يا عجباً لقد رأيت عجباً ... حمار قبان يسوق أرنبا
خاطبها يمنعها أن تذهبا ... فقالت: أردفني فقال مرحبا

وقد ذكر ابن مالك وغيره من الصرفيين، أن كل اسم يكون في آخره نون بعد ألف بينها وبين فاء الكلمة مشدد، فهو محتمل لأصالة النونات وزيادة أحد المثلين وبالعكس ومثلوا ذلك بحسان ودكان وتبان وريان ونحوها فقالوا: حسان إن أخذ من الحسن فنونه أصلية وإحدى السينين زائدة، وإن أخذ من الحسن فنونه زائدة مع الألف ووزنه على الأوّل فعال وعلى الثاني لزيادة الألف والنون دون الأوّل وتبان إن أخذ من التبن فنونه أصلية، وإن أخذ من التب، وهو الخسران، فنونه زائدة مع الألف فيمنع الصرف إذا عرف هذا فقبان يجوز أن يكون مأخوذاً من القب وهو الضمور والأقب ضامر البطن كما قال الجوهري. والخيل القب الضوامر وقد أنشد الجاحظ يصف نسوة:

يمشين مشي قطا البطاح تأوّدا ... قب "البطون رواجح الأكفال[1]

فحما رقبان يجوز أن يكون مأخوذاً من هذا الضمور بطنه، فإنه دويبة مستديرة، بقدر الدينار، ضامرة البطن متولدة من الأماكن الندية على ظهرها شبه المجن مرتفعة الظهر، كأن ظهرها قبة إذا مشت لا يرى منها سوى أطراف رجليها، ورأسها لا يرى عند المشي، إلا أن تقلب على ظهرها، لأن أمام وجهها حاجزاً مستديراً، وهي أقل سواداً من الخنفساء، وأصغر منها ولها ستة أرجل، تألف المواضع السبخة في الغالب، ومواضع الزبل ويجوز أن يكون لفظ قبان مأخوذاً من قبن في الأرض قبوناً إذا ذهب، قال صاحب المفردات: وهذه الدابة هي التي تسمى هدبة وهي كثيرة الأرجل، تستدير عندما تلمس. ومن حمار قبان نوع ضامر البطن غير مستدير، والناس يسمونه أبا شحيمة، يألف المواضع الندية، والظاهر أنه صغار حمار قبان وأنه بعد يأخذ في الكبر. وأهل اليمن يطلقونه على دويبة فوق الجرادة من نوع الفراش. والاشتقاق لا يساعده ويجوز

(١) البيت في الحيوان للجاحظ: ٥/٢١٧. والقطا من الحيوانات. الأكفال: جمع كفل: ردف.

اشتقاقه من قبن المتاع إذا وزنه فعلى هذا ينصرف لأصالة النون. والقبان الذي يوزن به قال الشعبي: معناه العدل بالرومية، والاشتقاق الأول أظهر. فذلك التزمت العرب منعه من الصرف.

**الحكم**: يحرم أكلها لاستخباثها.

**الأمثال**: قالوا[1]: «أذل من حمار قبان».

**الخواص**: إذا شرب حمار قبان مع شراب نفع من عسر البول، ومن اليرقان. وقال بعضهم: إذا لف حمار قبان في خرقة وعلق على من به حمى مثلثة قلعها أصلاً.

**التعبير**: رؤية حمار قبان في النوم تدل على حقارة الهمة ومخالطة السفل ومكاثرتهم والله أعلم.

**الحمام**: قال الجوهري: هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقماري وساق حر والقطا والوراشين، وأشباه ذلك. يقع على الذكر والأنثى لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث. وعند العامة إنها الدواجن فقط الواحدة حمامة وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات:

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة ... دعت ساق حر برهة فترنما[2]

والحمامة هنا القمرية وقال الأصمعي في قول النابغة[3]:

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ... إلى حمام شِراع، وارد الثمد[4]
قالت: «ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا أو نصفه فقد»
فحسَّبوه فألفوه كما زعمت ... تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزدِ

هذه زرقاء اليمامة، نظرت إلى قطا وارد في مضيق الجبل، فقالت: يا ليت هذا القطا لنا، ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا فيكمل لنا مائة قطاة فاتبعت وعدت على الما. فإذا هي ست وستون. قال أبو عبيدة رأته من مسيرة ثلاثة أيام وأرادت بالحمام القطا فقالت ذلك انتهى. وقال الأموي: الدواجن التي تستفرخ في البيوت تسمى حماماً أيضاً وأنشد للعجاج:

إني وربِّ البلد المحرم ... والقاطنات البيت عند زمزم
قواطنا مكة من ورق الحم

يريد الحمام. وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات. وربما قالوا حمام للمفرد. قال جران العود[5]:

وذكرني الصبا بعد التنائي ... حمامة أيكة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير أن اليمام هو الحمام البري. الواحدة

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٣٨٢.

(٢) البيت في الحيوان للجاحظ: ٣/١٩٧. وفيه: «دعت ساق حر ترحة فترنما».

(٣) هو النابغة الذبياني زياد بن معاوية الشاعر الجاهلي، والابيات في ديوانه ٢٦.

(٤) شراع: مجتمع. الثَّمد: الماء القليل.

(٥) جران العود: عامر بن الحارث النميري، شاعر إسلامي وصَّاف.

يمامة، وهو ضروب. والفرق بين الحمام الذي عندنا واليمام، أن أسفل ذنب الحمامة، مما يلي ظهرها فيه بياض، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه انتهى. ونقل النووي في التحرير عن الأصمعي أن كل ذات طوق فهي حمام. والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها. وكان الكسائي يقول: الحمام هو البري، واليمام الذي يألف البيوت والصواب ما قاله الأصمعي. ونقل الأزهري عن الشافعي أن الحمام كل ما عب وهدر، وإن تفرقت أسماؤه والعب بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفس. قال ابن سيده: يقال في الطائر عبّ ولا يقال شرب. والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له. قال الرافعي والأشبه أن ما عب هدر. قال: فلو اقتصروا في تفسير الحمام على العب لكفاهم، ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيون المسائل: وما عب من الماء عباً فهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام اهـ. وفيما قاله الرافعي نظر لأنه لا يلزم من العب الهدير قال الشاعر:

على جو يضي نغر مكب إذا افترت فترة يعب

وحمرات شربهن غب

وصف النغر بالعب، مع أنه لا يهدر، وإلا كان حماماً والنغر نوع من العصفور، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في باب النون، إذا علمت ذلك انتظم لك كلام الشافعي، وأهل اللغة أن الحمام يقع على الذي يألف البيوت ويستفرخ فيها، وعلى اليمام والقمري وساق حر وهو ذكر القمري، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين. والفواخت والدبسي والقطار والوارشين واليعاقب والشفنين والزاغ والورداني والطوراني. وسيأتي بيان ذلك كل واحد في بابه إن شاء الله تعالى. والكلام الآن في الحمام الذي يألف البيوت، وهو قسمان: أحدهما البري وهو الذي يلازم البروج وما أشبه ذلك، وهو كثير النفور، وسمي برياً لذلك والثاني الأهلي وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة، منها الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب والمنسوب. وهو بالنسبة إلى ما تقدم كالعتاق من الخيل وتلك كالبراذين، قال الجاحظ: الفقيع من الحمام، كالصقلاب من الناس، وهو الأبيض. روى أبو داود الطبراني وابن ماجه وابن حبان بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ رأى رجلاً يتبع حمامة، فقال: «شيطان يتبع شيطانة»[1] وفي رواية «شيطان يتبعه شيطان» قال البيهقي: وحمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به، وارتقاء الأسطحة التي يشرف منها على بيوت الجيران وحرمهم لأجله. وسيأتي الكلام عليه في الأحكام. وروى البيهقي عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، قال: شهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر بالحمام الطيار، فتذبح وتترك المقصصات. وروى ابن قانع والطبراني عن حبيب بن عبد الله بن أبي كبشة، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ «كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأحمر». وروى الحاكم، في تاريخ نيسابور، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام

---

(١) رواه ابن ماجة في الأدب: ٤٤. وأبو داود أدب: ٥٧. وابن حنبل: ٢/٣٤٥.

الأحمر» قال ابن قانع والحافظ أبو موسى: قال هلال بن العلاء: الحمام الأحمر التفاح. قال أبو موسى وهذا التفسير لم أره لغيره. وكان في منزله ﷺ حمام أحمر يقال له وردان.

وفي عمل اليوم والليلة لابن السني عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل «أن علياً رضي الله تعالى عنه شكا إلى النبي ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام، وأن يذكر الله عند هديره». ورواه الحافظ ابن عساكر وقال: إنه غريب جداً وسنده ضعيف. وروى ابن عدي، في كامله، في ترجمة ميمون بن موسى، عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له: «اتخذ زوجاً من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها» أو «اتخذ ديكاً يؤنسك ويوقظك للصلاة». وروى أيضاً في ترجمة محمد بن زياد الطحان، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتخذوا الحمام المقاصيص في بيوتكم فإنها تلهي الجن عن صبيانكم»[1]. وقال عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له: «إن النبي ﷺ اتخذ زوجاً من حمام» رواه الطبراني، وفيه الصلت الجراح لا يعرف، وبقية رجاله رجال الصحيح. وفي كامل ابن عدي في ترجمة سهل بن فرير، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «شكت[2] الكعبة إلى الله تعالى قلة زوارها، فأوحى الله إليها لأبعثن إليك أقواماً يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى فراخها. وفي سنن أبي داود والنسائي، من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، بإسناد جيد، أن النبي ﷺ قال: «يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون رائحة الجنة»[3]. ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ. ويحمل الأخبار ويأتي بها من البلاد البعيدة في المدة القريبة، وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد. وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على ثبات عقله، وقوة حفظه، ونزوعه إلى وطنه، حتى يجد فرصة فيطير إليه. وسباع الطير يطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره، وهو أطير منه، ومن سائر الطير كله لكنه يذعر منه، ويعتريه ما يعتري الحمار إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب، والفأر إذ رأى الهر ومن عجيب الطبيعة فيه، ما حكاه ابن قتيبة في عيون الأخبار عن المثنى بن زهير أنه قال: لم أر شيئاً قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيته في الحمام، رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها، وذكراً لا يريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد. ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن آخر ما تعدوه. ورأيت حمامة تقمط حمامة، ويقال: إنها تبيض من ذلك، ولكن لا يكون لذلك البيض فراخ. ورأيت ذكراً يقمط ذكراً، ورأيت ذكراً يقمط كل ما لقي. ولا يزاوج وأنثى يقمطها كل ما رآها من الذكور ولا تزاوج. وليس من الحيوان ما يستعمل التقبيل عند السفاد إلا الإنسان والحمام. وهو عفيف في السفاد، يجر ذنبه ليعفي أثر الأنثى، كأنه قد علم ما فعلت، فيجتهد في إخفائه. وقد يسفد لتمام ستة أشهر، والأنثى تحمل أربعة عشر يوماً، وتبيض بيضتين: إحداهما ذكر والثانية

---

(١) الكامل لابن عدي: ٦/٢١٤١، عن ابن عبّاس.

(٢) الكامل لابن عدي: ٣/١٣٨٠.

(٣) رواه أبو داود ترجّل: ٢٠، والنسائي زينة: ١٥، وابن حنبل: ١/٢٧٣.

أنثى، وبين الأولى والثانية يوم وليلة، والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءًا من النهار، والأنثى بقية النهار، وكذلك في الليل. وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر، واضطرها للدخول. وإذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى أخرج فراخه عن الوكر، وقد ألهم هذا النوع، إذا خرجت فراخه من البيض، بأن يمضغ الذكر تراباً مالحاً، ويطعمها إياه، ليسهل به سبيل المطعم. فسبحان اللطيف الخبير الذي آتى كل نفس هداها.

وزعم أرسطو أن الحمام يعيش ثمان سنين. وذكر الثعلبي وغيره، عن وهب بن منبه في قوله[1] تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ وقال اختار من النعم الضأن، ومن الطير الحمام. وذكر أهل التاريخ أن أمير المؤمنين المسترشد[2] بالله بن المستظهر بالله لما حبس رأى في منامه كأن على يده حمامة مطوقة، فأتاه آت فقال له: خلاصك في هذا، فلما أصبح حكى ذلك لابن سكينة الإمام، فقال له: ما أولته يا أمير المؤمنين؟ قال أولته ببيت أبي تمام:

هن الحمام فإن كسرت عيافة ... من حائهن فإنهن حمام[3]

وخلاصي في حمامي فقتل بعد أيام يسيرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً. وروى البيهقي في الشعب، عن معمر قال: جاء رجل إلى ابن سيرين، رحمه الله تعالى فقال: رأيت في النوم، كأن حمامة التقمت لؤلؤة، فخرجت منها أعظم مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها أصغر مما دخلت، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها كما دخلت سواء. فقال له ابن سيرين: أما التي خرجت أعظم مما دخلت، فذلك الحسن بن أبي الحسن البصري يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعظه. وأما التي خرجتَ أصغر مما دخلت فذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه. وأما التي خرجت كما دخلت سواء فهو قتادة وهو أحفظ الناس. وذكر ابن خلكان في ترجمته[4] يعني ابن سيرين، أن رجلاً أتاه فقال له: رأيت كأني أخذت حمامة لجاري فكسرت جناحها، فتغير وجه ابن سيرين وقال: ثم ماذا؟ قال: ثم جاء غراب أسود فسقط على ظهر بيتي فنقبه، فقال له محمد بن سيرين: ما أسرع ما أدبك ربك! أنت رجل تخالف إلى امرأة جارك، وأسود يخالفك إلى امرأتك. قال: وكان ابن سيرين بزازاً وكان من موالي أنس بن مالك خادم النبي ﷺ. وحبس بدين كان عليه. وكان يقول: إني لأعرف الذنب الذي حمل به على الدين. قيل له ما هو؟ وقال: قلت لرجل مفلس منذ أربعين سنة: يا مفلس. قال بعضهم: قلت ذنوبهم فعلموا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبنا فليس يدري من أين نؤتى. قال: وكان أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قد أوصى أن يغسله ويكفنه ويصلي عليه محمد بن سيرين، وكان محمد بن سيرين محبوساً لما مات أنس، فاستأذنوا له الأمير، فأذن له فخرج فغسله وكفنه وصلّى عليه، ثم رجع إلى السجن ولم يذهب إلى أهله. وكان ابن سيرين من أعلام التابعين وكانت له اليد الطولى في علم الرؤيا روي

---

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٢) المسترشد بالله هو الفضل بن أحمد بن المقتدي، الخليفة العباسي. توفي سنة ٥٢٩ هـ.

(٣) ديوان أبي تمّام: ٢٤٧.

(٤) وفيات الأعيان: ٤/١٨١.

أن امرأة جاءته، وهو يتغدى، فقالت له: رأيت القمر دخل في الثريا، ونادى منادٍ من خلفي: ائتي ابن سيرين فقصي عليه، قال: فتغير لونه وقام. وهو آخذ على بطنه، فقالت له أخته: ما بالك؟ قال: زعمت هذه أني ميت بعد سبعة أيام. فمات بعد سبعة أيام، سنة عشر ومائة بعد الحسن البصري بمائة يوم رحمهما الله تعالى. وفي الشعب للبيهقي عن سفيان الثوري أنه قال: كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط. وقال إبراهيم النخعي: من لعب بالحمام الطيارة، لم يمت حتى يذوق ألم الفقر. وروى البزار في مسنده أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار، وإن ذلك مما صد المشركين عنه ﷺ، وإن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين. وروى ابن وهب «أن حمام مكة أظلت النبي ﷺ يوم فتحها فدعا لها بالبركة». وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية[1]: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً يرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ فجعل يعيدها علي حتى نعست عنه، ثم قال: «يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة؟ قلت: إلى السعة والدعة أنطلق إلى مكة فأكون حمامة من حمام الحرم، فقال ﷺ: فيكيف تصنع إذا أخرجت من مكة؟ قلت إلى السعة والدعة أنطلق إلى الشأم والأرض المقدسة. قال: فكيف تصنع إذا أخرجت من الشأم؟ فقلت: والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي. قال ﷺ: وخير من ذلك تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً»[2] وفي الصحيح طرف منه وفي ابن ماجه طرف من أوله.

وذكر أن هارون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به، فأهدي له حمام وعنده أبو البختري وهب القاضي، فروى له بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح».[3]. فراد أو جناح. وهي لفظة وضعها للرشيد، فأعطاه جائزة سنية، فلما خرج قال الرشيد: بالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله ﷺ. وأمر بالحمام فذبح فقيل له: وما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كذب على رسول الله ﷺ. فترك العلماء حديث أبي البختري لذلك وغيره من موضوعاته. فلم يكتبوا حديثه. وكان أبو البختري المذكور قاضي مدينة النبي ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيري، ثم ولي قضاء بغداد، بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، رحمه الله. وتوفي أبو البختري سنة مائتين في خلافة المأمون. والبختري مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء، وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري الشاعر المشهور، والأول بالخاء المعجمة والثاني بالحاء المهملة. قال ابن أبي خيثمة: والشيخ تقي الدين القشيري، في الاقتراح واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم، وضعه للمهدي لا للرشيد. وقال ابن قتيبة: وأبو البختري هو

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٢، ٣.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة: ٦، والجهاد: ٣٩، ورواه الدارمي في المقدمة: ١٦، وابن حنبل: ٤/١٢٦ ــ ١٢٧ ــ ٥ ــ ١٧٩.

(٣) رواه أبو داود جهاد: ٦٠، والترمذي جهاد: ٢٢، والنسائي خيل: ١٤، وابن ماجه جهاد: ٤٤. ابن حنبل: ٢ ــ ٢٥٦ ــ ٢٥٨ ــ ٣٥٨ ــ ٤٢٥ ــ ٤٧٤.

وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق واحد، ومثله في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام، ومثله في الطالبين حسن بن حسن بن حسن، ومثله في غسان الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر انتهى. قلت: ومثله في المتأخر بن الغزالي محمد بن محمد بن محمد أحد أصحاب الوجوه في المذهب.

ومما حكي لنا واشتهر ورويناه بالسند الصحيح. عن الشيخ العارف بالله تعالى أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى، أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وقد باهى موسى وعيسى صلّى الله عليهما وسلم بالإمام الغزالي فقال لهما: في أمتكما حبر كهذا؟ وأشار إلى الغزالي، فقالا: لا. وقال الشيخ الإمام العارف بالله الأستاذ ركن الشريعة والحقيقة أبو العباس المرسي، وقد ذكر الغزالي فشهد له بالصديقية العظمى. وحسبك من باهى به النبي ﷺ موسى وعيسى وشهد له الصديقون بالصديقية العظمى. وقد ذكر له شيخنا جمال الدين الأسنوي في المهمات ترجمة حسنة، منها: هو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود، وورح خلاصة أهل الإيمان، والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن، يتقرب إلى الله تعالى به كل صديق، ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق، قد انفرد في ذلك العصر عن أعلام الزمان، كما انفرد في هذا الباب فلا يترجم معه فيه إنسان. انتهى. وكان حجة الإسلام زين الدين محمد الغزالي قد ولي تدريس النظامية بمدينة بغداد، ثم تركها وسلك طريق الزهد وقصد الحج، فلما رجع توجه إلى الشأم، فأقام بدمشق بزاوية الجامع، وانتقل إلى القدس ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ثم عاد إلى وطنه بطوس، ثم ألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها في النظامية، ثم تركها وعاد إلى وطنه واتخذ خانقاه للصوفية وصرف وقته إلى وظائف الخيرات، من تلاوة القرآن، ومجالسة الصالحين، وكثرة العبادة، والتخلي عن الدنيا، والإقبال على الله تعالى بكنه الهمة، والتبحر في علوم الحقيقة. وكتبه نافعة مفيدة، لا سيما إحياء علوم الدين فإنه كتاب لا يستغنى عنه طالب الآخرة. توفي الإمام حجة الإسلام في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بطوس رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه.

وذكر ابن خلكان أن شرف الدين بن عنين حضر درس فخر الدين[1] الرازي بخوارزم، فسقطت بالقرب منه حمامة، وقد طردها بعض الجوارح فلما وقعت رجع عنها، ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد، فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها وأخذها بيده، فأنشده ابن عنين بديها أبياتاً منها:

من نبأ الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائفِ
وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو أنها تحبى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف[2]

---

(١) فخر الدين الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن علي التيمي البكري، أبو عبد الله. عالم في التفسير والمعقولات. مات في هراة سنة ٦٠٦ هـ. والخبر مع ترجمته في وفيات الأعيان: ٢٤٨/٤. وكذلك الأبيات.

(٢) في الوفيات: «ولو أنها». والنائل: العطاء.

وكان بين شرف الدين بن عنين[1] والملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق مؤانسة ومصاحبة، وكان يجري بينهما أمور تدل على حسن إدراك الملك المعظم منها أن ابن عنين حصل له توعك فكتب إليه:

انظر إلي بعين مولى لم يزل ... يولي الندى وتلاف قبل تلافي[2]
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه ... فاغنم ثنائي والثواب الوافي[3]

فجاء إليه بنفسه ومعه ثلثمائة دينار، فقال: هذه الصلة وأنا العائد، وهذه لو وقعت من أكابر النحاة لاستعظمت منه، فضلاً عن ملك. قوله هذه الصلة أنا العائد، لأن الذي اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد فالصلة ما وصله به من المال، والعائد يحتمل معنيين: أحدهما: وأنا العائد لك بالصلة مرة بعد أخرى فطب نفسا، والآخر من عاد يعود عيادة وهي عيادة المريض. وكان الملك المعظم فاضلاً حازماً شجاعاً حنفي المذهب وكانت له رغبة في فن الأدب حتى إنه شرط لكل من حفظ مفصل الزمخشري مائة دينار وخلعة. فحفظه خلق كثير لهذا السبب. توفي سنة أربع وعشرين وستمائة وتوفي الإمام فخر الدين الرازي المتقدم ذكره يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة بهراة رحمهما الله تعالى.

**فائدة**: قال بعض الحكماء: كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه، وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق إثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، فإن أشكال الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان منه في طيران إلا لمناسبة بينهما، فرأى يوماً حمامة مع غراب، فعجب من اتفاقهما وليسا من شكل واحد فلما مشيا إذا هما أعرجان، فقال: من ههنا اتفقا. وكل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير يأنس إلى جنسه، فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة ما، فلا بد أن يتفرقا كما قال بعض الشعراء:

وقائل كيف تفرقتما ... فقلت قولاً فيه إنصافُ
لم يك من شكلي ففارقته ... والناس أشكال وألافُ

وسيأتي عنه في الصعوة شيء من هذا. روى أحمد في الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه: إن استطعتم أن تكونوا بلها في الله تعالى مثل الحمام فافعلوا قال: وكان يقال إنه ليس شيء أبله من الحمام وذلك أنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها، ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه.

**الحكم**: يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات، ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم، إذا قتله، شاة. وفي مستند ذلك وجهان: أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه، فإن كلا

---

(1) ابن عُنين: أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عُنين، شاعر مجيد هجّاء، نفاه السلطان صلاح الدين من دمشق. مات سنة ٦٣٠ هـ بدمشق.

(2) البيتان في وفيات الأعيان: ٤٩٦/٣.

(3) في الوفيات: «... ما تحتاجه ... ثوابي والثناء الواقي».

منها يألف البيوت ويأنس بالناس، والثاني: وهو الأصح، أن مستنده توقيف بلغهم فيه. ونقل الرافعي عن الشيخ أبي محمد الخلاف، فيما لو قتل طائراً أكبر من الحمام، أو مثله هل ينبني على هذا؟ إن قلنا المستند التوقيف أوجبنا الشاة. وإن قلنا المستند المشابهة أوجبنا القيمة. وقد أسقط الإمام النووي رحمه الله، هذه المسألة من الروضة، وكأنه ظن أن الخلاف فيها لفظي لا فائدة فيه. وبيض الحمام وكل طائر يحرم على المحرم، صيده حرام عليه فإن أتلفه ضمنه بقيمته، هذا مذهبنا وبه قال الإمام أحمد وآخرون. وقال المزني وبعض أصحاب داود: لا جزاء في البيض. وقال مالك: يضمنه بعشر ثمن أصله. قال ابن المنذر: واختلفوا في بيض الحمام، فقال علي وعطاء: في كل بيضتين درهم، وقال الزهري والشافعي وأصحاب الرأي وأبو ثور: فيه قيمته وسيأتي في بيض النعام حكمه إن شاء الله تعالى. ومن أحكامه في الصيد أنه إذا اختلطت حمامة مملوكة أو حمامات بحمامات مباحة محصورة لم يجز الإصطياد منها. ولو اختلطت بحمام ناحية جاز الإصطياد في الناحية. ولو اختلط حمام أبراج مملوكة لا تكاد تحصر بحمام بلدة أخرى مباحة ففي جواز الاصطياد منها وجهان: أصحهما الجواز. وبيع الحمام في البرج على تفصيل بيع السمك في البركة. وسيأتي في باب السين المهملة إن شاء الله تعالى لو باعها وهي طائرة اعتماداً على عادة عودها فوجهان: أصحهما عند الإمام الجواز كالعبد المبعوث في شغل وعند الجمهور المنع إذ لا وثوق بعودها لعدم عقلها. ومن أحكامه في الربا أنه جنس واحد بجميع أنواعه. كذا قاله المراوزة[١]. وقال العراقيون: إن كل نوع منه جنس فالحمام جنس، والقماري جنس، والفواخت جنس. وأما اتخاذه للبيض والفارخ وللأنس وحمل الكتب فجائز بلا كراهة. وأما اللعب به والتطير والمسابعة، فقيل: يجوز لأنه لا يحتاج إليها في الحرب لنقل الأخبار والأصح كراهته. لما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، الذي قال فيه: «شيطان يتبع شيطانة»[٢]. قال ابن حبان بعد رواية هذا الحديث: إنما قال له شيطان، لأن اللاعب بالحمام، لا يكاد يخلو من لغو وعصيان، والعاصي يقال له شيطان قال الله تعالى شياطين الإنس والجن، وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة، ولا ترد الشهادة بمجرد اللعب بالحمام، خلافاً لمالك وأبي حنيفة فإن انضم إليه قمار أو نحوه ردت به الشهادة.

وروى أبو محمد الرامهرمزي في كتابه «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» عن مصعب الزبيري، قال: سمعت مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وقد قال لابني أخته أبي بكر محمد وإسماعيل ابني أبي أويس. أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه، يعني الحديث، قالا: نعم. قال: فإن أحببتما أن تنتفعا، وينفع الله بكما فأقلا منه وفقها. ونزل ابن مالك من فوق سطح، ومعه حمام قد غطاه، فعلم مالك أنه قد فهمه الناس فقال مالك: الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات، والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات. وروي عنه أيضاً، أنه قال: كان يحيى بن مالك بن أنس، يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه، فكان إذا نظر إليه أبوه قال: هاه إن ما تطيب به نفسي أن

---

(١) المراوزة: جمع المروزي نسبة إلى مرو.
(٢) رواه ابن ماجه في الأدب: ٤٤، وأبو داود أدب: ٥٧، وأحمد: ٢/٣٥٧.

هذا الشأن لا يورث، وإن أحداً لم يخلف أباه في مجلسه إلا عبد الرحمن ابن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وكان أفضل أهل زمانه، وكان أبوه أفضل أهل زمانه. وقال البخاري في المناسك، من صحيحه: حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا عبد الرحمن بن القاسم، وكان أفضل أهل زمانه، أنه سمع أباه، وكان أفضل أهل زمانه، يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: «طيبت رسول الله ﷺ بيدي هاتين». الحديث[1] وأم عبد الرحمن قريبة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، واتفق الناس على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه، ولد في حياة عائشة رضي الله تعالى عنها، وتوفي سنة ست وعشرين ومائة. روى له الجماعة. وروي أن المنصور أمير المؤمنين، قال له يوماً: عظني بما رأيت، قال: مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا، فبلغت تركته سبعة عشر ديناراً، كفن منها بخمسة دنانير، واشتري له موضع القبر بدينارين، وأصاب كل واحد من أولاده تسعة عشر درهماً. ومات هشام بن عبد الملك، وخلف أحد عشر ابناً، فورث كل واحد منهم ألف ألف درهم، ثم إني رأيت رجلاً من أولاد عمر بن عبد العزيز حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله تعالى. ورأيت رجلاً من أولاد هشام يسأل أن يتصدق عليه انتهى. قلت: وهذا أمر غير عجيب فإن عمر وكلهم إلى ربه فكفاهم وأغناهم، وهشام وكلهم إلى دنياهم فأفقرهم مولاهم.

وأما بيع زرق الحمام، وسرجين البهائم المأكولة وغيرها، فباطل وثمنه حرام، هذا مذهبنا. وقال أبو حنيفة: يجوز بيع السرجين لإتفاق أهل الأعصار، في جميع الأمصار، على بيعه من غير إنكار، ولأنه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء. واحتج أصحابنا بحديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا حرم على قوم شيئاً، حرم عليهم ثمنه». وهو[2] حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح. وهو عام إلا ما خرج بدليل، كالحمار وبأنه نجس العين فلم يجز بيعه. كالعذرة فإنهم وافقونا على بطلان بيعها، مع أنه ينتفع بها. وأما الجواب عما احتجوا به، فهو ما أجاب به الماوردي وغيره، أن بيعه إنما يفعله الجهلة والأراذل فلا يكون ذلك حجة في دين الإسلام. وأما قولهم: إنه ينتفع به فأشبه غيره، فالفرق أن هذا نجس بخلاف غيره.

**الأمثال**: قالوا: «آمن من حمام الحرم، وآلف من حمام[2] مكة». وقالوا: «تقلدها طوق الحمامة»[3]، كناية عن الخصلة القبيحة، أي تقلدها كطوق الحمامة، لأنه لا يزايلها ولا يفارقها، كما لا يفارق الطوق الحمامة، ومثله قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾[4]. أي إن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه. وقال الزمخشري: فإن قلت: لم ذكر حسيباً؟ قلت: لأنه بمنزلة الشاهد والقاضي والأمين، لأن هذه الأمور الغالب أن يتولاها الرجال، فكأنه

---

(١) رواه البخاري في الغسل: ١٢، ١٤، والحج ١٨ ـ ١٤٣، واللباس: ٧٣، ٧٤، ٧٩، ٨١. ورواه مسلم في الحج: ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨. ورواه أبو داود في المناسك: ١٠، الترمذي حج: ٧٧، النسائي مناسك: ٤١، ٤٢، ٩٧. الدارمي مناسك: ١٠، الموطأ حج: ١٩. أحمد: ٦/ ٣٩، ٩٨.

(٢) جمهرة الأمثال: ١/ ١٦٢. (٣) جمهرة الأمثال: ١/ ٢٢٢. (٤) سورة الإسراء: الآية ١٣.

قيل له: كفى بنفسك رجلاً حسيباً. وكان الحسن البصري إذا قرأها قال: يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك. وقيل في قوله تعالى: ﴿سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[1] أي يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق. يقال: طوق فلان الحمامة، أي ألزم جزاء عمله. روى الإمام أحمد في الزهد عن مطرف أنه قال: إذا أنامت، فلا تحبسوني لكي يجتمع الناس، فأطوقهم طوق الحمامة. ومن هذا المعنى. قول عبد الله بن جحش لأبي سفيان:

أبلغ أبا سفيان عن ... أمر عواقبه ندامهْ
دار ابن عمك بعتها ... تقضي بها عنك الغرامَهْ
وحليفكم بالله رب النـ ... ـاس مجتهد القسامه
اذهب بها اذهب بها ... طوّقتها طوقُ الحمامَهْ

أي لزمه عارها. قال الإمام عبدالرحمن السهيلي: هذا المثل منتزع من قول رسول الله ﷺ «من غصب شبراً من الأرض، طوقه يوم القيامة من سبع أرضين»[2]. وقوله: طوق الحمامة لأن طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبداً، كما يفعل من لبس طوقاً من الآدميين. وفي هذا البيت، من حلاوة الإشارة، وملاحة الاستعارة مالا مزيد عليه. وفي قوله: طوق الحمامة ردّ على من تأوّل قوله ﷺ: «طُوّقه من سبع أرضين» أنه من الطاقة، لا من الطوق في العنق. وقاله الخطابي في أحد قوليه، مع أن البخاري قد قال في بعض رواياته: خسف به إلى سبع أرضين. وفي مصنف ابن أبي شيبة «من غصب شبراً من أرض جاء به اسطاماً في عنقه». والاسطام كالحلق من الحديد وقالوا: «أخرق من حمامة»[3] لأنها لا تحكم عشها وذلك لأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبني عليه عشها في الموضع الذي تذهب به الريح فينكسر من بيضها أكثر مما يسلم قال عبيد بن الأبرص[4]:

عيوا بأمرهم كما ... عيت بيضتها الحمامة[5]
جعلتْ لها عودين من ... بشم وآخر من ثُمامهْ[6]

الخواص: إذا سكن المخدور بقربها أو في بيت يجاورها أو في بيت هي فيه برىء. وفي مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات. وهذه خاصية عظيمة بديعة ودمها إذا اكتحل به حاراً نفع من الجراحات العارضة للعين والغشاوة. ودمها خاصة يقطع الرعاف الذي من حجب الدماغ، وإذا خلط بالزيت ابرأ من حرق النار وزبل الحمام حار، وأشده حرارة زبل

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.
(٢) رواه الترمذي ديات: ٢١، والبخاري في بدء الخلق: ٢، والمساقاة: ١٣٧ ـ ١٣٩ ـ ١٤١ ـ ١٤٢. الدارمي بيوع: ٦٤. ابن حنبل: ١ ـ ١٨٧ ـ ١٩٠، ـ ٣٨٧.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٣٤٩.
(٤) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات. والبيتان في ديوانه: ١٣٨.
(٥) في الديوان: برمت بنو أسد كما ... برمت ببيضتها الحمامة
(٦) النَّشَم: شجر تتخذ منه القسي. الثمامة: نبت ضعيف. وفي الديوان: «نَشَم وآخر».

البري، الذي لا يأوي البيوت، وأعجب ما في زبله أنه إذا سخن في الماء وجلس فيه من به عسر البول، ابرأه ومما جرب لعسر البول: أن يكتب له في إناء نظيف، ثم يذاب بماء ويسقى لمن به ذلك فإنه يبول من وقته وساعته، قوله[1] تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**[2] رمص نفح وشفوا بفضل الله عزّ وجلّ. وإذا طلي بالخل وضمد به من به وجع الاستسقاء، نفعه نفعاً بيناً. وزبل الحمام الأحمر إذا شرب منه قدر درهمين، مع ثلاثة دراهم دارصيني نفع من الحصاة. ولحم الحمام جيد للكلى ويزيد في المني والدم، وإذا شقت وهي حية ووضعت وهي حارة في موضع لسع العقرب نفعت نفعاً بيناً، وزبل الحمام إذا بخر به المطلقة أسرع بنزول الولد والمشيمة.

**التعبير**: الحمام في المنام رسول أمين، أو صديق صدوق، أو حبيب أنيس، وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد. قال الشاعر:

صب ينوح إذا الحمام ينوح

وربما دلت الحمامة في الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبتغي ببعلها بدلاً. والحمام على رأس المريض هو حمام الموت قال الشاعر[3]:

هن الحمام فإن كسرت عيافة … من حائهن فإنهن حِمام

وبروجها مجمع النساء، وفراخها بنون فمن رأى أنه يعلف الحمام، ويدعوهن إليه فإنه يقود. وإن حشر الحمام والغربان في مكان واحد، فإنه يقود أيضاً، لأن الغربان فسّاق وكل شيء يحشر مع غير جنسه كالنعاج والكلاب وأشباه ذلك فإنه قيادة. وهدير الحمام كلام باطل، ومن سمع حمامة تهدر فإنه يدل على امرأة تعاتب زوجها. ومن رأى حمامة قدمت عليه وتلقاها فإنه يرد عليه كتاب. ومن نفرت منه حمامته ولم تعد إليه فإنه يطلق زوجته أو تموت. ومن رأى كأن له حماماً، فإنه يشتري الجواري. ومن قص جناح حمامة في المنام، فقد حلف على زوجته أن لا تخرج من بيته، أو تلد أو تحمل، لأن النفاس والحمل يمنعان من الخروج، والحمام الذي يهدي إلى الطريق فإنه خبر يأتي الرائي من مكان بعيد. والحمام في المنام دليل خير لمن يصادق أو يشارك لاجتماع بعضه مع بعض في الطيران والمزاوجة. وقال جاماسب: من اصطاد الحمام في منامه، أكل مال أعدائه. ومن رأى بعين حمامته نقصا، فهو نقص في دين زوجته وخلقها. وقال ابن المقري: رؤية المنسوب من الحمام إلى من دونه شريف القدر أو النسب. ورؤيته دال على الإفراج والنصر على الأعداء، واللهو واللعب وربما دل الحمام على الأزواج الصينات، وذوات الحفظ للأسرار، والكد على العيال، وربما دل على الحِمام الذي هو الموت، وربما دل المرأة ذات الأولاد، والرجل الكثير النسل، المنعكف على أهل بيته والله أعلم.

**الحمد**: فرخ القطاة وفي المثل[4] «حمد قطاة يستمي الأرانب أن يصيدها». يضرب للضعيف

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٨.
(٢) سورة الزمر: الآية ٦٧.
(٣) هو أبو تمام. والبيت في ديوانه: ٢٤٧.
(٤) مجمع الأمثال: ١/ ٢١٠.

الذي يروم أن يكيد قوياً. قال الميداني: ولم أر له ذكراً في الكتب.

**الحُمر**: بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبالراء: المها، ضرب من الطير كالعصفور، قال أبو المهوش الأسدي:

قد كنت أحسبكم أسود خمية ... فإذا لصافُ تبيض فيه الحمرُ

لصافُ اسم جبل والواحدة حمرة قال الراجز:

وحُمرات شربهن غِبٌّ ... إذا غفلت غفلة تعبّ

وقد تخفف، فيقال: حمرة وحمرات، وابن لسان الحمرة، كان من خطباء العرب وهو أحد بني تيم اللات بن ثعلبة، وكان من علماء زمانه، ضرب به المثل في الفصاحة وطول العمر، واسمه ورقاء بن الأشعر، ويكنى أبا كلاب، سأله معاوية يوماً عن أشياء فأجابه عنها، فقال له بم نلت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول، ثم قال: يا أمير المؤمنين إن للعلم آفة وإضاعة ونكداً واستجاعة: فآفته النسيان، وإضاعته أن تحدث به غير أهله، ونكده الكذب فيه، واستجاعته إن صاحبه منهوم لا يشبع أبداً.

**الحكم**: حل الأكل بالإجماع لأنها من أنواع العصافير، وقال العبادي: منهم من حرم الحمر لأنه نهاش، وهذا قول شاذ مردود. روى أبو داود الطيالسي والحاكم وقال: صحيح الإسناد، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند النبي ﷺ «فدخل رجل غيضه، فأخرج منها بيض حمرة فجاءت الحمرة، ترف على رأس رسول الله ﷺ وأصحابه»[1] فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيكم فجع هذه؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله أخذت بيضها». وفي رواية الحاكم «أخذت فرخها» فقال رسول الله ﷺ: «رده رده رحمة لها»[2]. وفي الترمذي وابن ماجه عن عامر الدارمي أن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، دخلوا غيضة فأخذوا فرخ طائر فجاء الطائر إلى رسول الله ﷺ يرف فقال عليه الصلاة والسلام: «أيكم أخذ فرخ هذا؟ فقال رجل: أنا فأمره أن يرده فرده». وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في الكلام على الفرخ الحديث الذي رواه أبو داود في أول كتاب الجنائز عن عامر الرامي. والحكمة في الأمر بالرد على أنه يحتمل أنهم كانوا محرمين أو لأنها لما استجارت به أجارها فكان الإرسال في هذه الحالة واجباً.

**الأمثال**: قالوا: «أعمر من ابن لسان الحمرة»[3] وقالوا: «أنسب من ابن لسان الحمرة»[4]. وكان أنسب العرب وأعظمهم كبراً.

**وخواصه وتعبيره**: ستأتي في باب العين المهملة في لفظ العصفور.

**الحمسة**: بتحريك الحاء والميم والسين المهملة دابة من دواب البحر. وقيل هي السلحفاة والجمع حمس حكاه ابن سيده.

---

(١) رواه أحمد: ١/٤.

(٢) رواه أبو داود جهاد: ١١٢.

(٣) مجمع الأمثال: ٢/٥٤.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٢٥٣.

**الحماط**: بكسر الحاء المهملة والحمطوط بالضم دويبة تتكون في العشب.

**الحمك**: الصغار من كل شيء واحدته حمكة وقد غلب على القمل والحمك أيضاً فراخ القطا والنعام والحمك أيضاً أراذل الناس قال الراجز[(١)]:

لا تعذليني برذالات الحمك

**الحمل**: الخروف إذا بلغ ستة أشهر وقيل: هو ولد الضأن الجذع فما دونه، والجمع حملان وأحمال. روى ابن ماجه، من حديث أبي يزيد الأنصاري رضي الله عنه، قال: مر النبي ﷺ بدار من دور الأنصار فوجد ريح قتار فقال: «من هذا الذي ذبح»؟ فخرج إليه رجل منا فقال: أنا يا رسول الله ذبحت قبل أن أصلي لأطعم أهلي فأمره ﷺ أن يعيد، فقال: والله الذي لا إله إلا هو ما عندي إلا حمل من الضأن، فقال ﷺ: «اذبحه ولن يجزىء عن أحد بعدك»[(٢)]. وفي كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، في أوائل الفصل الخامس والعشرين، قال: حدثني بعض أخواني عن بعض أهل هذه الطائفة، قال: قدم علينا بعض الفقراء، فاشترينا من جار لنا حملاً مشوياً، ودعوناه في جماعة من أصحابنا، فلما مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها في فيه لفظها، ثم اعتزل وقال: كلوا أنتم فإنه قد عرض لي مانع منعني من الأكل، فقلنا له: لا نأكل ما لم تأكل معنا. فقال: أما أنا فغير آكل، ثم انصرف، فكرهنا أن نأكل دونه، فقلنا لو دعونا الشواء فسألناه عن أصل هذا الحمل فلعل له سبباً مكروهاً، فدعوناه، وسألناه، ولم نزل به حتى أقر أنه كان ميتة، وأن نفسه شرهت إلى بيعه حرصاً على ثمنه. قال: فأطعمناه الكلاب ثم لقينا الرجل فسألناه عن العارض الذي منعه عن الأكل، فقال: ما شرهت نفسي إلى الأكل منذ عشرين سنة، فلما قدمتم إلى هذا الحمل شرهت نفسي إليه شرهاً ما عهدته قبل ذلك، فعلمت أن في الطعام علة. فتركت أكله لأجل شره النفس. قال: فانظر كيف اتفقا في شره النفس عن قصد واحد، واختلفاه في التوفيق والخذلان، فعصم الله العالم بالورع والمحاسبة، وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة.

**عجيبة**: في معجم ابن قانع والطبراني في ترجمة كردم بن السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في أول ما ذكر النبي ﷺ بمكة فآوانا الليل إلى راع فلما انتصف الليل، جاء الذئب فاحتمل حملاً من الغنم، فوثب الراعي وقال: ياعامر الوادي أوذي جارك فنادى منادٍ: يا سرحان أرسله فجاء الحمل يشتد عدواً حتى دخل في الغنم. وأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾[(٣)]. وهو في الميزان في ترجمة إسحاق بن الحارث الكوفي، وهو ضعيف. وفي الشفاء، للقاضي عياض رحمه الله تعالى، يقال:

---

(١) البيت لرؤبة بن العجّاج وتمامه: (الديوان ١١٧)

تبلّج الزهراء في جنح الدلك    لا تعذليني بالرذلات الحمك

(٢) رواه ابن ماجه في الأضاحي: ١٢. وابن حنبل: ٥/٧٧ ـ ٣٤٠.

(٣) سورة الجن: الآية ٦.

إن سبب ابتلاء يعقوب بيوسف صلّى الله عليهما وسلّم أنه اجتمع يوماً، هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي، وهما يضحكان وكان لهما جار يتيم، فشم رائحته واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه، وبينهما جدار، ولا علم عند يعقوب وابنه بذلك، فعوقب يعقوب بالبكاء أسفاً على يوسف، إلى أن ابيضت عيناه من الحزن، فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر منادياً ينادي على سطحه ألا من كان مضطراً فليتغدَّ عند آل يعقوب. وعوقب يوسف بالمحنة التي نصّ الله عليها انتهى. قلت: وهذا الكلام لا أعتقد له صحة وقد عجبت من القاضي عياض رحمه الله كيف ذكره في كتابه والذي يجب تنزيهها عن هذه الرذيلة وإنما ذكرته لأنبه على أنه لا يعتقد صحته، وإن كان الطبراني قد روى، في معجمه الأوسط والصغير، من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث طويل، شيئاً من ذلك، وأن يعقوب كان بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً ينادي: ألا من أراد الغداء فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائماً نادى مناد: ألا من كان صائماً فليفطر مع يعقوب فإنما رواه الطبراني عن شيخه محمد بن أحمد الباهلي البصري. وهو ضعيف جداً. وكذا رواه البيهقي في الشعب في الباب الثاني والعشرين وذكر الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾[1] أن ريح الصبا استأذنت ربها عزّ وجلّ أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير فأذن لها فلذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وهي من ناحية المشرق فيرتاح إلى الأوطان والأحباب وأنشد:

أيا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصَّبا يسري إلي نسيمها[2]
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت ... على نفس مهموم تجلت همومُها

حمنان: بفتح الحاء المهملة صغار القردان واحدته حمنانة وحمنة وهي من القراد دون الحلم.

الحمولة: قال الجوهري: هي بالفتح الإبل التي تحمل وكذلك كل ما احتمل عليه الحي من حمار أو غيره سواء كانت عليه الأحمال أو لم تكن. وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول بها. قال الله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾[3] وسيأتي له ذكر في باب الفاء إن شاء الله تعالى.

الحميمق: قال ابن سيده: إنه طائر يصيد القطا والجنادب ونحوهما وسمعت بعض أهل العلم يقول: إنه الباشق ويفسر به قول أبي الوليد الأزرقي في تاريخ مكة. وهو قال ابن جريج قلت لعطاء: إذا كنت محرماً أفأقتل العقاب؟ قال: أقتل. قلت: والصقر والحميمق فإنهما يأخذان حمام المسلمين؟ قال: اقتل واقتل البعوض والذباب واقتل الذئب فإنه عدو ذكره في تعظيم الحرم.

حميل حر: بالضم وقد يكسر طائر معروف.

الحنش: بفتح الحاء المهملة والنون وبالشين المعجمة الحية. ويقال الأفعى والجمع

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩٤.
(٢) البيت وما يليه في وفيات الأعيان: ٢٢٢/٤، دون عزو. وفيه: «يخلص إلى نسيمها».
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٢.

أحناش. وقيل: الأحناش جميع دواب الأرض كالضب والقنفذ واليربوع وغيرها ثم خصت به الحية قال ذو الرمة(١):

وكم حنش ذعف اللعاب كأنه ... على الشرك العادي نصف عصامِ

وبه سمي الرجل حنشاً وقيل: الحنش حية بيضاء غليظة مثل الثعبان أو أعظم. وقيل: إنه أسود الحيات والحنش أيضاً بالتحريك ما يصاد من الطير والهوام، وفي كتاب العين الحنش ما رؤوسها رؤوس الحيات وسام أبرص ونحوها. وفي الحديث في قتل الدجال «وترتفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليد يده في فم الحنش فلا يضره»(٢). الحمة هي ما تلسع به الهوام. وفي سنن ابن ماجه وجامع الترمذي عن خزيمة بن جزء، أنه قال: يا رسول الله جئتك أسألك عن أحناش الأرض، ما تقول في الثعلب؟ قال: «ومن يأكل الثعلب؟» قلت: فما تقول في الذئب؟ قال: «أو يأكل الذئب أحد فيه خير»(٣). وذكر الترمذي الذئب والأرنب فكل هذه من أحناش الأرض.

**الحنظب**: الذكر من الجراد. وقال الخليل: الحناظب الخنافس. الواحدة حنظب وحنظباء وقال حمزة الأصفهاني: من المركبات بين الثعلب والهرة الوحشية الحنظب. وأنشد(٤) لحسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:

أبوك أبوك وأنت ابنه ... فبئس البني وبئس الأب
وأمك سوداء نوبية ... كأن أناملها الحنظبُ
يبيت أبوك لها سافداً ... كما سافد الهرة الثعلبُ

قال الطماحي يصف كلباً أسود:

أعددت للذئب وليل الحارس ... مصدراً أتلع مثل الفارس
يستقبل الريح بأنف خانس ... في مثل جلد الحنظباء اليابس

**الحوار**: ولد الناقة ولا يزال حواراً حتى يفصل عن أمه، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل وثلاثة أحورة والكثير حيران وحوران أيضاً. قاله الجوهري وذكر ابن هشام وغيره في سرية عبد الله بن أنيس إلى خالد بن نبيح وكانت في المحرم في السنة الثالثة من الهجرة وكان ينزل عرنة أنه قال في ذلك:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله ... نوائح تفري كل جيب مقددِ

الأبيات الخمسة. وسيأتي ذكر القصة إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة في العنكبوت.

**الأمثال**: قال صاحب يسار الكواعب له: ما يسار كل لحم الحوار، واشرب لبن العشار،

---

(١) ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي شاعر بدوي متغزل مات سنة ١١٧ هـ
(٢) رواه مسلم في الإيمان: ٢٤٣. وابن ماجه فتن: ٣٣، وابن حنبل: ٢/٩٤.
(٣) رواه الترمذي في الأطعمة: ٤.
(٤) ديوان حسان: ١١٧.

وإياك وبنات الأحرار. والقصة في ذلك مشهورة في ذلك يقول الشاعر:

وإني لأخشى إن خطبت إليهم ... عليك الذي لاقى يسار الكواعبِ

وقالوا: «أمسخ من لحم الحوار»[1] قال الشاعر:

وقد علم الغُثْر والطارقون ... بأنك للضيف جوع وقرٌّ[2]
مسيخ مليخ كلحم الحوار ... فلا أنت حلو ولا أنت مر

المسيخ والمليخ الذي لا طعم له. وقالوا: «كسؤر العبد من لحم الحوار»[3] ويضرب للشيء الذي لا يدرك منه شيء، وأصله أن عبداً نحر حواراً وأكله، ولم يبق لمولاه منه شيئاً فضرب به المثل لما يفقد البتة.

**الحوت**: السمك والجمع أحوات وحوتة وحيتان. قال الله تعالى: ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم﴾[4] الآية. وهذا يمكن أن يقع من الحيتان بإرسال من الله تعالى، كإرسال السحاب أو بوحي الهام كالوحي إلى النحل، أو بإشعار في ذلك اليوم، نحو ما يشعر الله الدواب يوم الجمعة، بأمر الساعة حسبما يقتضيه قول رسول الله ﷺ: «ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة فرقاً من قيام الساعة»[5] ويحتمل أن يكون ذلك من الحيتان شعوراً بالسلامة في ذلك اليوم، على نحو شعور حمام الحرم بالسلامة. قال أصحاب القصص: كان الحوت يقرب ويكثر حتى يمكن أخذه باليد، فإذا كان يوم الأحد، غاب بجملته، وقيل: يغيب أكثره ولا يبقى منه إلا القليل وستأتي القصة في ذلك في باب القاف في لفظ القرد. وروينا بالسند الصحيح عن سعيد بن جبير أنه قال: لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض، لم يكن فيها غير النسر في البر، والحوت في ا لبحر، وكان النسر يأوي إلى الحوت فيبيت عنده، فلما رأى النسر آدم عليه السلام، أتى الحوت وقال: يا حوت لقد أهبط اليوم إلى الأرض من يمشي على رجليه ويبطش بيديه، فقال الحوت: لئن كنت صادقاً فمالي منجى منه في البحر ومالك مخلص منه في البر.

**الأمثال**: قال الشاعر:

كالحوت لا يلهيه شيء يلهمه ... يصبح ظمآن وفي البحر فمهْ

اللهم الابتلاع يضرب لمن عاش بخيلاً شرها.

**روى الطبراني**: في معجمه الأوسط عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ، قال: «علماء هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طعماً، ولم يشتر به ثمناً قليلاً، فلذلك يصلي عليه طير السماء، وحيتان الماء، ودواب الأرض، والكرام الكاتبون، يقدم على الله سيداً شريفاً، حتى يرافق المرسلين. ورجل آتاه الله علماً في الدنيا، فضن به على

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢٣٣.

(٢) الغُثْر: سَفَلة الناس.

(٣) رواه أبو داود في الصلاة: ٢٠١. النسائي في الجمعة: ٤٥. الموطأ جمعة: ١٦. أحمد: ٢/٢٧٢.

(٤) مجمع الأمثال: ٢/١٥١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٦٣.

عباد الله وأخذ عليه طمعاً، واشترى به ثمناً قليلاً، فذاك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار، وينادي مناد على رؤوس الأشهاد هذا فلان ابن فلان، آتاه الله علماً في الدنيا فضن به على عباد الله، وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً قليلاً، ثم يعذب حتى يفرغ من الحساب ويكفي الحوت شرفاً أنه كان وعاء ومسكناً لنبي الله يونس عليه الصلاة والسلام، وذلك أن الله تعالى أوحى إليه إني لم أجعل لك يونس رزقاً، وإنما جعلت بطنك له حرزاً وسجناً، ثم استنقذه الله تعالى من بطنه، واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت فقال مقاتل بن حيان: ثلاثة أيام، وقال عطاء: سبعة أيام، وقال الضحاك: عشرين يوماً، وقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان: أربعين يوماً، وقال الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية. وأما قوله[1] تعالى: ﴿**وأنبتنا عليه شجرة من يقطين**﴾ فالمراد باليقطين هنا القرع على قول جميع المفسرين. فكل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض، ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين.

**فائدة**: سئل إمام الحرمين هل الباري تعالى في جهة؟ فقال: هو متعال عن ذلك. فقيل له: ما الدليل على ذلك؟ فقال: قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى».[2] فقيل له: ما وجه ذلك؟ فقال: لا أقول حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار يقضي بها دينه. فقام بها رجلان، فقال: إن يونس بن متى رمى نفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ﴿**ونادى أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**﴾[3] ولم يكن النبي ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر، وانتهى إلى أن سمع صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه، وأوحى إليه ما أوحى، بأقرب إلى الله تعالى من يونس بن متى في بطن الحوت في ظلمة البحر انتهى. وسيأتي في باب النون إن شاء الله تعالى جواب ابن عباس رضي الله عنهما عن رسالة ملك الروم، التي سأل فيها معاوية عن القبر الذي سار بصاحبه وروى الحاكم في المستدرك بإسناد فيه يزيد بن البلوي، عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً فإذا في الوادي رجل يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة، قال: فأشرفت عليه فإذا رجل طوله ثلثمائة ذراع، فقال: من أنت؟ قلت: أنا أنس بن مالك خادم النبي ﷺ، فقال: وأين هو؟ قلت: هو ذا يسمع منك كلامك. قال: فأته واقرئه مني السلام، وقل له: أخوك الياس يقرئك السلام. قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فجاء حتى عانقه وقعدا يتحدثان. فقال: يا رسول الله إني إنما آكل في السنة يوماً واحداً، وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس، فأكلا وأطعماني، وصليا العصر ثم ودعه ثم رأيته مر في السحاب نحو السماء. قال الحاكم صحيح الإسناد. قال شيخ الإسلام العلامة شمس الدين الذهبي رحمه الله في الميزان: أما استحيا الحاكم

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٤٦.

(٢) رواه البخاري في تفسير سورة: ٤/٢٦/٣٧ـ١. والترمذي تفسير سورة: ٣٩ ـ ٩. وابن ماجه في الزهد: ٣٣. وابن حنبل: ٢ ـ ٤٥١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

من الله تعالى في تصحيح مثل هذا؟ وقال في تلخيص المستدرك، بعد قول الحاكم «هذا صحيح» قلت: بل هو موضوع قبح الله من وضعه، وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى تصحيح هذا ا هـ.

**فائدة**: قال القشيري: يقال: إن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ربه، سبحانه وتعالى، أن يأذن له أن يضيف يوماً، جميع الحيوانات، فأذن الله تعالى له، فأذن الله تعالى له، فأخذ سليمان في جمع الطعام مدة طويلة، فأرسل الله تعالى له حوتاً واحداً من البحر، فأكل كل ما جمعه سليمان، في تلك المدة الطويلة، ثم استزاده فقال سليمان: لم يبق عندي شيء، ثم قال له: وأنت تأكل كل يوم مثل هذا؟ فقال: رزقي كل يوم ثلاثة أضعاف هذا، ولكن الله لم يطعمني اليوم إلا ما أطعمتني أنت، فليتك لم تضيفني فإني بقيت اليوم جائعاً حيث كنت ضيفك! انتهى. وفي هذا إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى، وعظيم سلطانه، وسعة خزائنه، إذ مثل سليمان مع سعة ملكه وقوة سلطانه الذي آتاه الله تعالى، عجز أن يشبع مخلوقاً واحداً من مخلوقات الله تعالى. فسبحانه المتكفل بأرزاق خلقه. وهنا دقيقة يجب أن ينتبه لها: وهي أن الشبع والري ليس هو من فعل الطعام والماء، وإنما أجرى الله العادة بخلق الشبع عند أكل الطعام، وخلق الري عند شرب الماء، فالشبع والري خلق الله تعالى. هذا مذهب أهل الحق ولا التفات لمن قال غير ذلك.

**وحكمه وخواصه وتعبيره**: كالسمك وسيأتي في باب السين المهملة إن شاء الله تعالى.

**حوت الحيض**: قال ابن زهر: قال لي من رآه: إنه دابة عظيمة في البحر تمنع المراكب الكبار عن السير، فإذا أشرف أهل السفينة على العطب، رموا له بخرق الحيض فيهرب، ولا يقربهم فهي معدة معهم لذلك، وهذا الحوت اسمه الفاطوس. وسيأتي في باب الفاء إن شاء الله تعالى. قال: ومن عجيب أمر هذا الحيوان أنه لا يقرب مركباً فيه امرأة حائض.

**وحكمه**: كعموم السمك ودم الحوت نجس كسائر الدماء، وقيل: طاهر لأنه إذا يبس ابيض بخلاف سائر الدماء، فإنها تسود. كذا نقله القرطبي عن بعض الحنفية.

**الخواص**: قال الرازي وغيره: إذا سعط المصروع بوزن حبة من مرارته برىء من الصرع بإذن الله تعالى، وهو مجرب. وكبده إذا جففت وسحقت، وذر منها على الدم السائل قطعه أو على الجرح ألحمه وأبرأه، وإن كان عظيماً. وهو أيضاً مجرب ووسط لحم ظهره، إذ أخذ منه قطعة ولاكها إنسان هيجت الباه وأنعظت.

**تذنيب**: الحيض في المنام نكاح حرام، فمن رأى أنه حائض فإنه يأتي محرماً. والمرأة إذا رأت أنها حائض، اختلط عليها أمرها، فإن اغتسلت ذهب الهم عنها، وإن رأت امرأة أنها مستحاضة، وهي التي لم ينقطع الدم عنها، فإنها كثيرة الذنوب لا تثبت على توبة، لأن الإثم صار طبعاً لها نسأل الله السلامة. وقيل: إن الرجل إذا رأى أنه حائض فإنه يكذب، وإن رأى امرأته حائضاً نغلق عليه أمره والله تعالى أعلم.

**حوت موسى ويوشع عليهما الصلاة والسلام**: قال أبو حامد الأندلسي رأيت سمكة بقرب مدينة سبتة، من نسل الحوت الذي أكل منه موسى وفتاه يوشع عليهما السلام، فأحيا الله نصفه

فاتخذ سبيله في البحر سرباً، ونسلها في البحر إلى الآن في ذلك الموضع. وهي سمكة طولها أكثر من ذراع، وعرضها شبر واحد. في جانبيها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها، ولها عين ونصف رأس من رآها من هذا الجانب استقذرها، وحسب إنها ميتة ونصفها الآخر صحيح، والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الأماكن البعيدة قال ابن عطية: وأنا رأيتها كذلك قال: ومن غريب ما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قصص هذه الآية إن الحوت إنما حيي لأنه مسه ماء عين هنالك تدعى عين الحياة ما مست ميتاً قط إلّا وحيي. وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة، فنضح على الحوت المالح وهو في المكتل من ذلك الماء فعاش الحوت، فجعل يضرب بذنبه ولا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا يبس. قال: ومن غريبه أيضاً أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد طريقاً يبساً، وإن موسى مشى عليه متبعاً للحوت حتى أفضى به ذلك الطريق إلى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر.

إشارة: كانت هذه القطرة مباركة فأحيا الله تعالى بها الميت، لأنها قطرة من وجه متوضىء وللعبادات تأثيرات، فحياة القلب من ميراث العمل. كان موسى ويوشع في تعب ومشقة فلما حيي الحوت وجدا السبيل إلى مطلبها. فكذا الجوارح والأعضاء في خوف وحيرة حتى تحيا القلوب بذكر الله تعالى، فإذا حيي القلب بالذكر أمنت الأعضاء وسكنت، واعلم أن موسى عليه السلام، جد في طلب الخضر حتى وجده. وكذلك يستحب لكل طالب فائدة دينية أو دنيوية أن يكون كراراً غير فرار. فإما الظفر والغنيمة، وإما القتل والشهادة، كما اتفق للحسين الحلاج وغيره، وقد تقدم ذكر قصته قريباً وروى أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوّة لم تلتئم فدخل موسى على أثر الحوت، فإذا هو بالخضر». وقال قتادة: ما سلك الحوت طريقاً إلا صار ماء جامداً طريقاً يبساً. وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد لحقه الجوع فقال لفتاه، وهو يوشع: ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾(1) الآية.
قال ابن عطية: وكان أبو الفضل الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى عليه السلام لمناجاة ربه تعالى أربعين يوماً لم يحتج إلى طعام، ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع. والإشارة في ذلك أنهما كانا متعلمين، وطالب العلم من حقه أن يحتمل كل مشقة، ولا يبالي بصيف ولا شتاء ولا جوع ولا ذل، إذ الذي يطلب لا يعرف قيمته إلا صاحبه، ومن عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طلب العظيم خاطر بالعظيم وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب الصاد المهملة، في الصرد عن مقاتل طرف من ذلك مطول.
وكانت حياة لحوت عند مجمع البحرين قال قتادة: مجمع البحرين هما بحر فارس وبحر الروم مما يلي الشرق وقيل: هما بحر الأردن وبحر القلزم وقيل هما بحر بالمغرب وبحر بالزقاق. والحكمة في جمع موسى مع الخضر عليهما السلام بمجمع البحرين أنهما بحران في العلم أحدهما أعلم بالظاهر، وأعني بالظاهر علم الشرع وهو موسى والآخر أعلم بالباطن أعني بالباطن: علم الحقيقة وأسرار الملكوت وهو الخضر. فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين فحصلت المناسبة.

---

(1) سورة الكهف: الآية ٦٢.

إشارة: اعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجد من هو دونه وهو الخضر عليه السلام حتى تجرد عن كل ما سواه فكذلك العبد لا يجد قرب مولاه وحبه حتى يتجرد عن كل ما سواه. قال الشبلي: انفرد بالله حتى تكون مجرداً عن الأغيار وتكون واحداً للواحد فرداً للفرد، وقال الإمام تاج الدين عطاء الله السكندري: من تجرد في وقته لوقته فاته من وقته، ومن استقبل الوقت فاز بحظه وأنشد:

لا كنت إن كنت أدري ... كيف الطريق إليكا
أفنيتني عن جميعي ... فكنت سلمَ يديكا

وقيل للجنيد: متى يكون العبد منفرداً متحيزاً؟ قال: إذا ألزم جوارحه الكف عن جميع المخالفات، وأفنى حركاته عن كل الإرادات، فكان شبحاً بين يدي الحق لا يتميز وما أحسن قول بعضهم:

وعن فنائي فني فنائي ... وفي فنائي وجدت أنتا
في محو اسمي ووسم جسمي ... سألت عني فقلت أنتا
أشار سري إليك حتى ... فني فنائي ودمت أنتا
أنت حياتي وسر قلبي ... فحيث ما كنت كنت أنتا

قال الشبلي: اضرب بالدنيا وجه عاشقيها، وبالآخرة وجه طالبيها، وسلم نفسك وقد وصلت، فإذا قلت: الله فهو الله، وإذا سكت فهو الله. وهذا هو المقام العظيم، واسم الخضر عليه السلام مضطرب فيه اضطراباً متبايناً، فقيل: إنه بليا بن ملكان بن فالغ بن شالح بن ارفخشذ بن نوح عليه السلام، قاله وهب بن منبه. وقيل: إيليا بن عاميل شما لخسين بن أرما بن علقما بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام. وقيل: اسمه أرميا بن حلقيا من سبط هارون قاله الثعلبي قلت: والأصح الذي نقله أهل السير وثبت عن النبي ﷺ، كما قاله البغوي وغيره، إن اسمه بليا، بباء موحدة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة من تحت، وفي آخره ألفح ابن مَلكان بفتح الميم، وبإسكان اللام وبالنون في آخره. وقيل: بليان، قيل: كان من بني إسرائيل، وقيل كان من أبناء الملوك وكنيته أبو العباس، قال السهيلي: كان أبوه ملكاً وأمه اسمها ألها وإنها ولدته في مغارة، وأنه وجد هناك شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية، ولما وجده الرجل أخذه ورباه، فلما شب طلب أبوه كاتباً، وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي أنزلت على إبراهيم وشيث، فكان فيمن أقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر عليه السلام، وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره فعرف أنه ابنه فضمه لنفسه، وولاه أمر الناس. ثم إن الخضر فر من الملك لأسباب يطول ذكرها ولم يزل سائحاً إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي إلى أن يخرج الدجال، وأنه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالى. انتهى وسيأتي إن شاء الله تعالى عن صاحب ابتلاء الأخيار في باب السين المهملة في لفظ السعلاء أنه ابن خالة ذي القرنين.

واختلف في سبب تلقيبه بالخضر فقال الأكثرون: لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من تحته خضراء، والفروة وجه الأرض. وقيل: لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله، والصواب

الأول. واختلف في حياته فقال الإمام محيي الدين النووي وجمهور العلماء: هو حي موجود بين أظهرنا قال: وهذا متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة. وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجواباته ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر. قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين انتهى. وقال الحسن: إنه مات وقال ابن المنادي لا يثبت حديث في بقائه. وقال الإمام أبو بكر بن العربي: مات قبل انقضاء المائة ويقرب من هذا جواب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: لما سئل عن الخضر والياس عليهما السلام هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: «لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض واحد».(1) والصحيح الصواب أنه حي وقال بعضهم إنه اجتمع مع رسول الله ﷺ، وعزى أهل بيته وهم مجتمعون لغسله. وقد روي ذلك من طرق صحاح. وفي التمهيد لابن عبد البر إمام أهل الحديث في وقته رحمه الله أن النبي ﷺ حين غسل وكفن، سمعوا قائلاً يقول: السلام عليكم أهل البيت إن في الله خلفاً من كل هالك، وعوضاً من كل تالف، وعزاء من كل مصيبة، فعليكم بالصبر واحتسبوا، ثم دعا لهم ولا يرون شخصه، فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام يعني أصحاب النبي ﷺ، وأهل بيته رضي الله تعالى عنهم. قال السهيلي: وقد ذكر أن الخضر عليه السلام هو ارمياء ولم يصححه محمد بن جرير الطبري، وأبطله بما يطول ذكره من الحجج. وذكر أيضاً أنه اليسع صاحب الياس عليهما السلام، وأعجب ما في ذلك قول من قال: إنه ابن فرعون صاحب موسى عليه السلام. ذكره النقاش. انتهى.

واختلف في نبوته فقال القشيري وكثيرون: هو ولي. وقال بعضهم: هو نبي ورجحه النووي وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال: أحدها أنه نبي، والثاني أنه ولي، والثالث أنه من الملائكة. وهذا القول غريب باطل لما قدمناه. وقال المازري: اختلف العلماء في الخضر هل هو ولي أو نبي؟ فقال الأكثرون: هو نبي، واحتجوا بقول تعالى: ﴿وما فعلته عن أمري﴾(2) فدل على أنه نبي يوحى إليه وبأنه أعلم من موسى، ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي، وأجاب الآخرون بأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد أوحى إلى نبي الله ذلك الزمان بأن يأمر الخضر بذلك انتهى. ولم ينقل أنه كان مع موسى فكيف يتأتى هذا الجواب والخضر كان في عصر موسى؟ فإن نقل أنه كان معه نبي آخر قيل هذا الاحتمال في الجواب وإلا فلا. فإن قيل: إن يوشع بن نون كان نبياً في زمن موسى، قيل: هذه القضية كانت قبل نبوته، وأيضاً فهو كان مصاحباً لموسى ومرافقه حين لقيا الخضر، وهو الذي أخبر موسى بانسياب الحوت في البحر. واختلف في كونه مرسلاً فقال الثعلبي: الخضر نبي بعثه الله بعد شعيب، وهو معمر محجوب عن أبصار أكثر الناس. وقيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن. وقصته مع موسى في السفينة والغلام والقرية طويلة مشهورة، تركناها لطولها واشتهارها لكن قال السهيل: إن القرية برقة وقيل غير ذلك.

---

(1) رواه البخاري في العلم: ٤١، مواقيت: ٤٠. وأبو داود: ملاحم ١٧. وأحمد: ٢/٨٨ ــ ١٢١.
(2) سورة الكهف: الآية ٨٢.

**فائدة**: لما حان لموسى والخضر أن يتفرقا قال له الخضر عليه السلام: لو صبرت لأتيت على ألف عجب كل عجب أعجب مما رأيت! فبكى موسى عليه السلام على فراقه ثم قال موسى للخضر عليهما السلام: أوصني يا نبي الله فقال له الخضر: يا موسى اجعل همك في معادك، ولا تخض فيما لا يعنيك، ولا تترك الخوف في أمنك، ولا تيأس من الأمن في خوفك، وتدبير الأمور في علانيتك، ولا تذر الإحسان في قدرتك. فقال له موسى: يا نبي الله، فقال له الخضر: يا موسى إياك واللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير أحداً من الخطائين بخطاياهم بعد الندم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران. فقال له موسى عليه السلام: قد أبلغت في الوصية فأتم الله عليك نعمته، وعمرك في طاعته، وكلأك من عدوه. فقال الخضر عليه السلام: وأوصني أنت، فقال له موسى: إياك والغضب إلا في الله، ولا ترض عن أحد إلا في الله، ولا تحب الدنيا ولا تبغض لدنيا، فإن ذلك يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، فقال له الخضر: لقد أبلغت في الوصية فأعانك الله على طاعته، وأراك السرور في أمرك، وحببك إلى خلقه، وأوسع عليك من فضله، فقال موسى عليه السلام: آمين. رواه السهيلي. وقال البغوي: روي أن موسى لما أراد أن يفارق الخضر عليه السلام، قال له: أوصني، قال له: يا موسى لا تطلب العلم لتحدث به، واطلبه لتعمل به.

**تتمة**: في كتاب الهواتف، لأبي بكر بن أبي الدنيا أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، لقي الخضر عليه السلام وعلمه هذا الدعاء، وذكر فيه ثواباً عظيماً ورحمة، لمن قاله في دبر كل صلاة وهو: يا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا تعطله المسائل، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك. وذكر في كتابه أيضاً عن عمر رضي الله تعالى عنه، في هذا الدعاء بعينه، نحو ما ذكر عن علي رضي الله عنه في سماعه من الخضر عليه السلام.

**عجيبة**: روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه المتفق والمفترق في ترجمة أسامة بن زيد التنوخي أنه ولي مصر للوليد بن عبد الملك بن مروان، ولأخيه سليمان، وهو الذي بنى مقياس النيل العتيق، الذي بجزيرة فسطاط مصر، ذكره ابن يونس في تاريخه. ثم روى الخطيب في ترجمة أسامة هذا أن صنماً كان بالإسكندرية يقال له شراحيل، على حشفة من حشف البحر، مستقبلا بأصبع من أصابع كفه القسطنطينية لا يدري أكان مما عمله سليمان النبي عليه الصلاة والسلام أو الإسكندر، تصاد عنده الحيتان، وكانت الحيتان تدور حوله وحول الإسكندرية، وكان قدم الصنم طول قامة الرجل إذا انبطح، ومد يديه فكتب أسامة بن زيد، وهو عامل مصر للوليد بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إن عندنا بالإسكندرية صنماً يقال له شراحيل، وهو من نحاس، وقد غلت علينا الفلوس، فإن رأى أمير المؤمنين أن ننزله ونجعله فلوساً فعلنا، وإن رأى غير ذلك فليكتب إلينا بما نعتمده في أمره. فكتب إليه: لا تنزله حتى أبعث إليك أمناء يحضرونه. فبعث إليه رجالاً أمناء، فأنزلوا الصنم عن الحشفة، فوجدت عيناه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة، فضربه أسامة بن زيد فلوساً فانطلقت الحيتان ولم ترجع إلى ذلك المكان أبداً بعد أن كانت لا تفارقه ليلاً ولا نهاراً وتصاد بالأيدي.

**الحوشي**: النعم المتوحشة. ويقال: إن الإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش وهي فحول جن

تزعم العرب أنها ضربت في نعم بعضهم فنسبت إليها.

الحوصل: طائر كبير له حصولة عظيمة يتخذ منها الفرو، وجمعه حواصل. قال ابن البيطار: وهذا الطائر يكون بمصر كثيراً ويعرف بالبجع، وجمل الماء والكي، بضم الكاف وسكون الياء المثناة من تحت. وهو صنفان: أبيض وأسود فالأسود منه كريه الرائحة، ولا يكاد يستعمل والأجود الأبيض وحرارته قليلة، ورطوبته كثيرة، وهو قليل البقاء، ولبسه يصلح للشباب وذوي الأمزجة الحارة ومن تغلب عليه الصفراء. انتهى والمعروف خلاف ما قال وأنه أشد حرارة من فرو الثعلب والحوصلة والحوصل من الطائر، والظليم بمنزلة المعدة للإنسان.

وحكمه: الحل كما جزم به الرافعي وغيره عموماً فإن قيل: لم لا أجري فيه الوجه الذي في طير الماء؟ فالجواب أن ذلك الوجه يجري في طير لا يفارق الماء، وهذا يألفه ثم يفارقه فهو كالأوز البلدي وقد رأيت منه بمدينة النبي ﷺ واحداً أقام بها أعواماً يمشي في أزقتها لكن غالب اقتياته في البر اللحم وفي البحر السمك.

الحلان: بحاء مضمومة بعدها لام ألف مشددة ثم نون هو الجدي يوجد في بطن أمه. وقال الأصمعي: الحلان والحلام بالنون وبالميم صغار الغنم. وقال ابن السكيت: الحلان الذي يصلح أن يذبح للنسك وفي الحديث أن عمر رضي الله تعالى عنه قضى في أم حبين يقتلها المحرم بحلان. وفي حديث آخر ذبح عثمان كما يذبح الحلان، أي إن دمه أطل دم الحلان. وحكمه سيأتي إن شاء الله تعالى.

حيدرة: إسم من أسماء الأسد. روى البخاري ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه، قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يوم خيبر وهو أرمد، فقال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، قال: ويحب الله ورسوله»(١) فأتيت علياً وجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به النبي ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية. قال: فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجربْ
إذا الحروب أقبلت تلتهب

قال: فبرز له علي رضي الله عنه وهو يقول(٢):

أنا الذي سمّتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره
أكيلهم بالسيف كيل السندره

وضرب مرحباً ففلق رأسه وقتله، وكان الفتح. قال السهيلي: ذكر قاسم بن ثابت في تسميته حيدرة ثلاثة أقوال: الأول أن اسمه في الكتب القديمة أسد والأسد هو حيدرة. والثاني أن

---

(١) رواه البخاري: جهاد ١٠٢، ١٢١، ١٤٣، فضائل أصحاب النبي: ٩. ورواه مسلم في فضائل الصحابة: ٣٢، ٣٥. والترمذي: مناقب ٥٠، وابن ماجه مقدمة: ١١. وابن حنبل: ١/٩٩، ١٨٥، ٢/٣٨٤، ٤/٥٢، ٥/٣٣٣.

(٢) ديوان الإمام علي: ٧٧. وفيه: «أكيلكم بالسيف».

أمه فاطمة بنت أسد، حين ولدته. كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها أسداً، فقدم أبوه فسماه علياً. والثالث أنه كان يلقب في صغره بحيدرة لأن الحيدرة الممتلىء لحماً، العظيم البطن. وكذلك كان علي رضي الله تعالى عنه، ولذلك قال بعض اللصوص حين فر من سجنه الذي سماه نافعاً وقيل يافعاً بالياء:

ولو اني مكثت لهم قليلاً ... لجروني لحيدرة البطين

وكان مرحب قد رأى في المنام كأن أسداً افترسه، فأراد علي رضي الله عنه أن يذكره أنه هو الأسد الذي يقتله، فكاشفه بذلك، فلما سمع مرحب قوله، تذكر المنام فأرعد فقتله علي رضي الله تعالى عنه، وبهذا يستدل على جواز المبارزة في الحرب بشرط أن لا يتضرر المسلمون بقتل المبارز. فإن طلبها كافر، استحب الخروج إليه. وروى أبو داود بإسناد صحيح عن علي رضي الله تعالى عنه، أنه قال: لما كان يوم بدر تقدم عتبة بن ربيعة بنفسه وتبعه أخوه وابنه، فنادى من يبارز؟ فانتدب إليه شبان من الأنصار فقال: من أنتم؟ فأخبروه: فقال: لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة بن الحارث، فأقبل حمزة إلى عتبة بن ربيعة، وأقبلت أنا إلى أخيه شيبة، وأقبل عبيدة إلى الوليد بن عتبة فاختلف بين عتبة والوليد ضربتان، فأثخن كل منهما صاحبه، ثم ملنا إلى الوليد فقتلناه، واحتملنا عبيدة إلى رسول الله ﷺ، ومخ ساقه يسيل، فقال[1]: «أشهيد أنا يا رسول الله؟ قال: نعم» قال: وددت والله أن أبا طالب حياً ليعلم أننا أحق منه بقوله:

ولا نسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول:

فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم ... أرجّي بها عيشاً من الله عاليا
وألبسني الرحمن فضلاً ومنة ... لباساً من الإسلام غطى المساويا

قال الشافعي رضي الله عنه: وبارز يوم الخندق عمرو بن عبد ود لأنه خرج ينادي من يبارز؟ فقام له علي رضي الله عنه، وهو مقنع بالحديد، فقال: أنا له يا نبي الله. فقال: «إنه عمرو إجلس». فنادى عمرو ألا رجل يبارز؟ ثم جعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم يدخلها؟ أفلا يبرز إلي رجل منكم؟ فقام علي رضي الله عنه، وقال: أنا له يا رسول الله، فقال له: إنه عمرو اجلس. فنادى الثالثة وذكر شعراً فقام علي وقال: أنا له يا رسول الله. قال: إنه عمرو قال: وإن كان عمراً فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه حتى أتاه، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: غيرك يا ابن أخي، أريد من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهريق دمك. فقال علي رضي الله عنه: لكني والله لا أكره أن اهريق دمك! فغضب، ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مغضباً فاستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في الدرقة فقدها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأس

---

(١) رواه أبو داود: جهاد ١٠٩. وابن حنبل: ١/١١٧.

علي فشجه، وضربه علي رضي الله عنه علي حبل عاتقه فسقط قتيلاً، وثار العجاج. وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرف ﷺ أن علياً قد قتله. ا هـ وجاء في بعض الروايات أن علياً رضي الله عنه لما بارز عمراً قال رسول الله ﷺ: «اليوم برز الإيمان كله للشرك كله» وكان سيف علي رضي الله عنه يقال له ذو الفقار، لأنه كان في وسطه مثل فقرات الظهر، وكان لمنبه بن الحجاج، سلبه منه النبي ﷺ يوم بدر، وأعطاه علياً رضي الله تعالى عنه وكان من حديدة وجدت عند الكعبة من دفن جرهم، أو غيرهم، وكانت صمصامة عمرو بن معد يكرب من تلك الحديدة أيضاً.

تتمة: ينبغي لمقدم العسكر أن يتشبه بصفات من صفات الحيوان فيكون في قوة القلب كالأسد لا يجبن ولا يفر، وفي الكبر كالنمر لا يتواضع للعدو، وفي الشجاعة كالدب يقاتل بجميع جوارحه، وفي الحملة كالخنزير لا يولي دبره إذا حمل، وفي الغارة كالذئب إذا يئس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها، وفي الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه، وفي الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه، وفي الصبر كالحمار، وفي التماس الفرصة كالديك، وفي الحراسة كالكركي وفي التعب كاليعر، وهي دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والمشقة.

الحيرمة: البقرة والجمع حيرم قال ابن أحمر[1]:

تبدل أدما من ظباء وحيرما

كذا أنشده الجوهري.

الحية: اسم يطلق على الذكر والأنثى، فإن أردت التمييز قلت: هذا حية ذكر، وهذا حية أنثى. قاله المبرد في الكامل، وإنما دخلته الهاء لأنه واحد من جنس. كبطة ودجاجة على أنه قد روي عن بعض العرب: رأيت حياً على حية أي ذكراً على أنثى، وفلان حية ذكر والنسبة إلى الحية حيوي. والحيوت: ذكر الحيات أنشد الأصمعي:

ويأكل الحية والحيوتا ويخنق العجوز أو تموتا

وذكر ابن خالويه لها مائتي اسم ونقل السهيلي عن المسعودي: إن الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض، أنزلها بسجستان، فهي أكثر أرض الله حيات ولولا العربد يأكلها، ويفني كثيراً منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات، وقال كعب الأحبار: أهبط الله تعالى الحية بأصبهان، وإبليس بجدة، وحوّاء بعرفة، وآدم بجبل سرنديب وهو بأرض الصين في بحر الهند، عال يراه البحريون من مسافة أيام، وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام مغموسة في الحجر. ويرى على هذا الأثر كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب، ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه الصلاة والسلام. ويقال: إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل فتحدره السيول والأمطار من ذروته إلى الحضيض. ويوجد به الماس أيضاً وبه يوجد العود. كذا قاله القزويني.

---

(1) ابن أحمر: هنيء بن أحمر من بني الحارث من كنانة، شاعر جاهلي.

قلت وهو قريب من جبل يقال له ساتيدما، بكسر المثناة من فوق بعدها مثناة من تحت، ودال مهملة وميم وألف، وهو متصل من بحر الروم إلى بحر الهند، ليس يأتي يوم من الدهر إلا ويسفك عليه دم، فسمي ساتيدما لذلك. وكان قيصر قد غزا كسرى، وأتى بلاده فاحتال له حتى انصرف عنه، فاتبعه كسرى في جنوده فأدركه بساتيدما، فانهزم أصحاب قيصر مرعوبين من غير قتال، فقتلهم كسرى قتل الكلاب ونجا قيصر ولم يدركه كذا حكاه البكري في معجمه. وذكره الجوهري نقلاً عن سيبويه كذلك أنشدوا على ذلك:

لما رأت ساتيدما استعبرت ... لله در اليوم من لامها[1]

والحية أنواع: منها الرقشاء وهي التي فيها سود وبيض، ويقال لها الرقطاء أيضاً وهي من أخبث الأفاعي قال[2] النابغة في وصف السليم:

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش، في أنيابها السّم ناقع[3]

تبادرها الراقون من شر سمها ... فتطلقه يوماً، ويوماً تراجع[4]

تسهّدَ من ليل التمام، سليمها ... كحلي نساء، في يديه، قعاقع[5]

وقال غيره:

هم أيقظوا رقط الأفاعي ونبهوا ... عقارب ليل نام عنها حواتها[6]

وهم نقلوا عني الذي لم أفه به ... وما آفه الأخيار إلا رواتها

وتزعم الأعراب أن الأفاعي صم، وكذلك النعام قال علي بن نصر الجهضمي: دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر فقلت: يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي:

لم أر مثل الرفق في لينه ... أخرج للعذراء من خدرِها

من يستعن بالرفق في أمره ... يستخرج الحية من جحرها

فقال: يا غلام الدواة والقرطاس، فأتى بهما فكتبهما وأمر لي بجائزة سنية، وقال أبو بكر بن أبي دواد: كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن علي، يشخصه للقضاء، فدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك فقال: ارجع فاستخير الله فرجع إلى بيته فصلى ركعتين، وقال: اللهم إن كان لي عندك خير فاقبضني إليك، ونام فنبهوه فإذا هو ميت. وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمسين

---

(١) ساتيد ما: إسم جبل.

(٢) ديوان النابغة الذبياني: ٨٠.

(٣) ساورتني: واثبتني. الرُّقش: جمع الرقشاء: الحية المرقطة. ضئيلة: حية دقيقة اللحم. ناقع: مجتمع.

(٤) في الديوان: «تناذرها... من سوء ... تطلقه طوراً، وطوراً...».

(٥) في الديوان: يُسهَّد... لِحلي النساء. وليل التمام: ليل الشتاء. سليمها: ملدوغها. قعاقع: جمع قعقعة: الصوت المدوّي.

(٦) حوات: جمع حَوّاء، الذي يربي الأفاعي.

ومائتين. ومن أنواعها الأزعر وهو غالب فيها ومنها ما هو أزب ذو شعر، ومنها ذوات القرون. وأرسطو ينكر ذلك قال الراجز:

وذات قرنين طحون الضرسْ تنهس لو تمكنت من نهسْ
تدير عيناً كشهاب القبَسْ

ومنها الشجاع وسيأتي في باب الشين المعجمة. ومنها العربد وهي حية عظيمة، تأكل الحيات كما تقدم، ومنها الأصلة وهو عظيم جداً له وجه كوجه الإنسان، ويقال إنه يصير كذلك إذا مرت عليه ألوف من السنين. ومن خاصية هذا، أن يقتل بالنظر أيضاً، ومنها الصل وتسمى المتكللة لأنها مكللة الرأس، وقيل: الصل الأول وهذه المكللة، وهي شديدة الفساد تحرق كل ما مرت عليه، ولا ينبت حول جحرها شيء من الزرع أصلاً، وإذا حاذى مسكنها طائر سقط، ولا يمر حيوان بقربها إلا هلك. وتقتل بصفيرها على غلوة سهم، ومن وقع عليه بصرها ولو من بعد مات، ومن نهشته مات في الحال، وضربها فارس برمحه فمات هو وفرسه. وهي كثيرة ببلاد الترك ومنها ذو الطفيتين والأبتر. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال[1]: «اقتلوهما فإنهما يلتمسان البصر ويسقطان الحبالى». قال الزهري: ونرى ذلك من سمها. وسيأتي بيان هذا الحديث في باب الطاء إن شاء الله تعالى. ومنها الناظر متى وقع نظره على إنسان مات الإنسان من ساعته. ومنها نوع آخر إذا سمع الإنسان صوته مات.

ومن أسماء الحية العيم والعين والصم والأزعر والأبتر والناشر والأين والأرقم والأصلة والجان والثعبان والشجاع والأزب والأفعى والأفعوان وهو الذكر من الأفاعي كما تقدم والأرقش والأرقط والصل وذو الطفيتين والعربد. قال ابن الأثير: ويقال للحية أبو البختري وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصي وأبو مذعور وأبو وثاب وأبو يقظان وأم طبق وأم عافية وأم عثمان وأم الفتح وأم محبوب وبنات طبق والحية الصماء وهي الشديد الشر قال عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه:

إذا تخازرتُ وما بي من خزَر ثم كسرتُ الطّرفَ من غير حور[2]
ألفيتني ألوي بعيد المستمر أحمل ما حملتُ من خير وشرْ
كالحيةِ الصّماء في أصل الشجرْ

والصّمة الذكر من الحيات وجمعه صمم، وبه سمي والد دريد بن الصمة. وزعم أهل الكلام في طبائع الحيوان، أن الحية تعيش ألف سنة، وهي في كل سنة تسلخ جلدها، وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها، فيجتمع عليها النمل فيفسد غالب بيضها، ولا يصلح منه إلا القليل، وإن لدغها العقرب ماتت. ومن أنواعها: الحريش وقد تقدم ذكره وشرها الأفاعي ومسكنها الرمال. وبيض الحيات مستطيل وهو كدر اللون وأخضر وأسود وأبيض وأرقط، وفي

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٤. ومسلم في السلام: ١٢٨ ــ ١٢٩. وأبو داود في الأدب: ١٦٣. والترمذي صيد: ١٥، وابن حنبل: ٢ ــ ٩ ــ ١٢١ ــ ٣ ــ ٤٥٢ ــ ١٥٧/٦.

(٢) الخزَر: كَسْرُ العين، أو ضيقها.

بيضة نمش ولمع والسبب في اختلاف ذلك لا يعرف، وداخله شيء كالصديد، وهو في جوفها منضد طولاً على خط واحد، وليس للحيات سفاد يعرف، وإنما هو التواء بعضها على بعض ولسانها مشقوق فيظن بعض الناس أن لها لسانين. وتوصف بالنهم والشره، لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد، ومن شأنها أنها إذا ابتلعت شيئاً له عظم أتت شجرة أو نحوها، فتلتوي عليها التواء شديداً حتى يتكسر ذلك في جوفها. ومن عادتها أنها إذا نهشت انقلبت، فيتوهم بعض الناس أنها فعلت ذلك لتفرغ سمها، وليس كذلك. ومن شأنها أنها إذا لم تجد طعاماً عاشت بالنسيم، وتقتات به الزمن الطويل، وتبلغ الجهد من الجوع فلا تأكل إلا لحم الشيء الحي وهي إذا كبرت، صغر جسمها واقتنعت بالنسيم، ولم تشته الطعام. ومن غريب أمرها، أنها لا تريد الماء ولا ترده إلا أنها لا تضبط نفسها عن الشرب، إذا شمته لما في طبعها من الشوق إليه فهي إذا وجدته شربت منه حتى تسكر. وربما كان السكر سبب هلاكها. والذكر لا يقيم بموضع واحد وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها، وتقوى على الكسب، ثم تخرج هي سائرة، فإن وجدت حجراً انسابت فيه، وعينها لا تدور في رأسها، بل كأنها مسمار مضروب في رأسها، وكذلك عين الجراد، وإذا قلعت عادت، وكذلك نابها إذا قلع عاد بعد ثلاثة أيام، وكذلك ذنبها إذا قطع نبت. ومن عجيب أمرها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتطلبها، وتتعجب من أمرها، وتحب اللبن حباً شديداً. وإذا ضربت بسوط مسه عرق الخيل، ماتت وتذبح فتبقى أياماً لا تموت وقد تقدم أنها إذا عميت، أو خرجت من تحت الأرض، لا تبصر طلبت الرازيانج[1] الأخضر، فتحك به بصرها فتبصر، فسبحان من قدر فهدى، قدر عليها العمى وهداها إلى ما يزيله عنها، وليس شيء في الأرض مثل الحية إلا وجسم الحية أقوى منه، ولذلك إذا أدخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخراجها منه، وربما تقطعت ولا تخرج وليس لها قوائم، ولا أظفار تشبث بها وإنما قوي ظهرها، هذه القوة لكثرة أضلاعها، فإن لها ثلاثين ضلعاً وإذا مشت مشت على بطنها، فتتدافع أجزاؤها وتسعى بذلك الدفع الشديد، والحيات في أصل الطبع مائية وتعيش في البحر، بعد أن كانت برية، وفي البر بعد أن كان بحرية. قال الجاحظ: الحيات ثلاثة أنواع: نوع منها لا ينفع للسعته ترياق، ولا غيره كالثعبان، والأفعى والحية الهندية، ونوع منها ينفع في لسعته الدرياق وما كان سواهما مما يقتل فإنما يقتل بواسطة الفزع، كما حكي أن شخصاً نام تحت شجرة، فتدلت عليه حية فعضت رأسه، فانتبه محمر الوجه، وحك رأسه وتلفت فلم ير أحداً فلم يرتب بشيء، ووضع رأسه ونام، فلما كان بعد ذلك بمدة، قال له بعض من رآها: هل علمت مم كان انتباهك تحت الشجرة؟ قال: لا، والله ما علمت. قال: إنما كان من حية تدلت عليك فعضت رأسك فلما قمت فزعاً تقلصت ففزع فزعة فاضت فيها نفسه. قال: فهم يزعمون أن الفزع هو الذي هيج السم وفتح مسام البدن، حتى مشى السم فيه انتهى.

فائدة: في النصائح لابن ظفران خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه، لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم، نزل بالنجف وأرسل إليهم: إن ابعثوا إلي رجلاً من عقلائكم، فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغساني وكان من

(١) الرازيانج: ضرب من النبات.

المعمرين، عمر أكثر من ثلثمائة وخمسين سنة، فقاوله المقاولة المشهورة، وكان في يد عبد المسيح قارورة يقلبها، فقال له خالد: ما الذي في هذه القارورة؟ قال سم ساعة. قال: ما تصنع به؟ قال: إن وجدت عندك ما أحبه لقومي وأهل بلدي حمدت الله وقبلته، وإن لم أجد ذلك شربته وقتلت نفسي به. ولم أرجع إلى قومي بما يسوؤهم. فقال خالد رضي الله عنه: هاتها فناوله القارورة فأفرغها خالد في راحته وقال: بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. ثم شربه، ويقال: إنه شرب عليه ماء، فضرب بذقنه على صدره، وغشيه عرق ثم سري عنه، فانصرف عبد المسيح إلى قومه، وكانوا نصارى نسطورية، إلا أنهم عرب، فقال لهم: جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فاعطوه ما سألكم، وأخرجوه من أرضكم راضياً، فهؤلاء قوم مصنوع لهم، وسيكون لهم شأن عظيم. فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة انتهى.

وقال بعضهم: إن سم ساعة لا يكون إلا من الحية الهندية، ولا ينفع فيها درياق ولا غيره وفي الناصح أيضاً: أن أمة لأبي الدرداء رضي الله تعالى عنه، قالت له: من أي جنس أنت؟ قال: أنا آدمي مثلك. قالت: كيف تكون آدمياً. وقد أطعمتك السم أربعين يوماً فما ضرك؟ فقال لها: أما علمت أن الذاكرين الله تعالى لا يضرهم شيء وإني كنت أذكر الله باسمه الأعظم. قالت: وما هو؟ قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض وفي السماء وهو السميع العليم. ثم قال: ما الذي حملك على ذلك؟ قالت: بغضك. قال: أنت حرة لوجه الله تعالى وأنت في حل مما صنعت انتهى.

**عجيبة**: ذكر القرطبي، في تفسير سورة غافر، عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب الأحبار، أنه قال: لما خلق الله تعالى العرش، قال: لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم مني واهتز تعاظماً، فطوّقه الله تعالى بحية لها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان. يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى، وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، فالتوت الحية على العرش، فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية عليه، فتواضع عند ذلك انتهى. وروي أن الرشيد نام ليلة فسمع قائلاً يقول:

يا راقد الليل انتبه إن الخطوب لها سرى
ثقة الفتى من نفسه ثقة محللة العرا

فاستيقظ فوجد المصابيح قد طفئت فأمر بالشموع فأوقدت، ونظر فإذا حية بقرب فراشه فقتلها.

**غريبة**: ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى، في الأذكياء عن بشر بن الفضل قال: خرجنا حجاجاً فمررنا بماء من مياه العرب، فوصف لنا فيه ثلاث جوار أخوات بارعات في الجمال، وإنهن يطببن ويعالجن، فأحببنا أن نراهن، فعمدنا إلى صاحب لنا، فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه، ثم حملناه وأتينا به إليهن، فقلنا: هذا سليم فهل من راق؟ فخرجت إلينا الأخت

الصغرى، فإذا جارية كالشمس الطالعة، فجاءت حتى وقفت عليه، ونظرته فقالت: ليس بسليم. قلنا: وكيف ذلك؟ قالت: إنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر، والدليل على ذلك أنه إذا طلعت عليه الشمس مات قال: فلما طلعت الشمس مات. فعجبنا من ذلك وانصرفنا. وفيه أيضاً في أواخره أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بحاوٍ يطارد حية، فقالت له الحية: يا روح الله قل له لئن لم يلتفت عني لأضربنه ضربة أقطعه قطعاً! فمر عيسى عليه الصلاة والسلام ثم عاد فإذا الحية في سلة الحاوي. فقال لها عيسى عليه السلام: ألست القائلة كذا وكذا؟ فكيف صرت معه؟ فقالت: يا روح الله إنه قد حلف لي والآن غدر بي، فسم غدره أضر عليه من سمي.

وفي عجائب المخلوقات للقزويني، أن الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى أنوشروان، وإنما وجد في زمانه وسببه أنه كان ذات يوم جالساً للمظالم، إذا أقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره، فهموا بقتلها فقال كسرى: كفوا عنها فإني أظنها مظلومة، فمرت تنساب فأتبعها كسرى بعض أساورته، فلم تزل سائرة، حتى استدارت على فوهة بئر، فنزلت فيها، ثم أقبلت تتطلع فنظر الرجل فإذا في قعر البئر حية مقتولة، وهي على متنها عقرب أسود، فأدلى رمحه إلى العقرب ونخسه به وأتى إلى الملك فأخبره بحال الحية، فلما كان في العام القابل أتت تلك الحية في اليوم الذي كان كسرى جالساً فيه للمظالم، وجلعت تنساب حتى وقفت بين يديه، ونفضت من فيها بزراً أسود فأمر به الملك أن يزرع فنبت منه الريحان. وكان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ فاستعمل منه فنفعه جداً.

**فائدة أخرى**: في حلية الأولياء للحافظ العلامة أبي نعيم رحمه الله تعالى، في ترجمة سفيان بن عيينة، عن يحيى بن عبد الحميد قال: كنت في مجلس سفيان بن عيينة، وقد اجتمع عنده ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون، فالتفت في آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه، وقال: قم حدث الناس بحديث الحية، فقال الرجل: اسندوني فأسندناه فشال جفونه عن عينه، ثم قال: ألا فاستمعوا وعوا حدثني أبي عن جدي أن رجلاً كان يعرف بابن الحمير، وكان له ورع وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكان مبتلى بالقنص، فخرج يوماً يتصيد، فبينما هو سائر إذ عرضت له حية، فقالت يا محمد بن حمير أجرني أجارك الله، فقال لها: ممن؟ قالت من عدو قد ظلمني. قال لها: وأين عدوك؟ قالت له: من ورائي. قال لها: من أي أمة أنت؟ قالت: من أمة محمد ﷺ. قال: ففتحت لها ردائي وقلت لها ادخلي فيه. قالت: يراني عدوي. قال: فبسطت لها طمري وقلت لها: ادخلي بين طمري وبطني. قالت: يراني عدوي. قلت لها: فما الذي أصنع بك؟ قالت: إن أردت اصطناع المعروف، فافتح لي فاك حتى أنساب فيه. قلت: أخشى أن تقتليني. فقالت: لا والله ما أقتلك، والله شاهد علي بذلك وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه وسكان سمواته أن لا أقلتك. قال: ففتحت لها فمي فانسابت فيه، ثم مضيت فعارضني رجل معه صمصامة فقال: يا محمد فقلت له: ما تشاء؟ قال: هل لقيت عدوي؟ قلت: ومن عدوك؟ قال: حية. قلت: اللهم لا. واستغفرت ربي مائة مرة من قولي لا، لعلمي أين هي. ثم مضيت قليلاً، فإذا بها قد أخرجت رأسها من فمي وقالت: انظر هل مضى هذا العدو؟ فالتفت فلم أر أحداً،

فقلت: لم أر أحداً فإن أردت الخروج فاخرجي. فقالت: الآن يا محمد اختر لنفسك واحدة من اثنتين: إما أن افتت كبدك وإما أن أنفث في فؤادك فأدعك بلا روح! فقلت: يا سبحان الله أين العهد الذي عهدت إلي، واليمين الذي حلفت لي، ما أسرع ما نسيته وخنت؟ فقالت: يا محمد ما رأيت أحمق منك إذ نسيت العداوة التي كانت بيني وبين أبيك آدم، حيث أخرجته من الجنة، فليت شعري ما الذي حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله؟ قال: فقلت لها: ولا بد لك من قتلي؟ قالت: لا بد من ذلك. قال: فقلت لها: أمهليني حتى أصير تحت هذا الجبل، فأمهد لنفسي موضعاً. قالت: شأنك وما تريد. قال محمد: فمضيت أريد الجبل، وقد أيست من الحياة، فرفعت طرفي إلى السماء، وقلت: يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي، يا لطيف يا قدير أسألك بالقدرة التي استويت بها على العرش، فلم يعلم العرش أين مستقرك منه، يا حليم يا عليم يا عظيم يا حي يا قيوم يا الله ألا ما كفيتني شر هذه الحية. ثم مشيت فعارضني رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقي الثوب فقال لي: سلام عليك فقلت: وعليك السلام يا أخي. فقال: ما لي أراك قد تغير لونك واضطرب كونك؟ فقلت: من عدو قد ظلمني قال لي: وأين عدوك؟ قلت: في جوفي. قال: فافتح فاك، ففتحته فوضع فيه مثل ورقة زيتون خضراء، ثم قال: امضغ وابلع فمضغت وبلعت. قال محمد: فلم ألبث إلا قليلاً حتى مغصني بطني ودارت الحية في بطني فرميت بها من أسفل قطعاً قطعاً، وذهب عني ما كنت أجده من الخوف، فتعلقت بالرجل، فقلت: يا أخي من أنت الذي منَّ الله علي بك؟ فضحك ثم قال: أما تعرفني قلت: اللهم لا. قال: يا محمد بن حمير إنه لما كان بينك وبين هذه الحية ما كان، ودعوت الله بهذا الدعاء، ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عزّ وجلّ فقال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي بعيني كل ما فعلت الحية بعبدي، وأمرني سبحانه وتعالى أنِ انطلق إلى الجنة، وخذ ورقة خضراء من شجرة طوبى والحق بها عبدي محمد بن حمير، وأنا يقال لي المعروف ومستقري في السماء الرابعة، ثم قال: يا محمد بن حمير عليك باصطناع المعروف فإنه يقي مصارع السوء، وإنه وإن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله تعالى.

**فائدة أخرى**: روى الحاكم وصححه عن أبي اليسر رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ كان يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من الهدم والتردي، وأعوذ بك من الحرق والغَرق، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً وأعوذ بك أن أموت[1] لديغاً». قال الجاحظ: وتأويل هذا عند العلماء، أنه لا يتفق للإنسان أن يكون موته بهذا العدو إلا وهو من أعداء الله تعالى، بل من أشدهم عداوة، فكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ منه لذلك.

**فائدة أخرى**: يقال: لسعته الحية والعقرب تلسعه لسعاً فهو ملسوع. قال بعض العلماء المتقدمين: من قال في أول الليل وأول النهار: عقدت لسان الحية وزبان العقرب ويد السارق بقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، أمن من الحية والعقرب والسارق، ومن الفوائد المجربة النافعة، أن يسأل الراقي الملدوغ إلى أين انتهى الوجع في العضو؟ ثم يضع

---

(١) رواه أبو داود في الوتر: ٣٢. والنسائي في الاستعاذة: ٦١. ابن حنبل: ٢/٢٥٦.

على أعلاه حديدة ويقرأ العزيمة ويكررها، وهو يجرد موضع الألم بالحديدة حتى ينتهي في جرد السم إلى أسفل الوجع، فإذا اجتمع في أسفله، جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك. وهي هذه: سلام على نوح في العالمين، وعلى محمد في المرسلين، من حاملات السم أجمعين، لا دابة بين السماء والأرض إلا وربي آخذ بناصيتها أجمعين، كذلك يجزي عباده المحسنين، إن ربي على صراط مستقيم نوح نوح نوح. قال لكم نوح: من ذكرني فلا تلدغوه إن ربي بكل شيء عليم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ورأيت بخط بعض المحققين، من العلماء، أن يوقف الملسوع أو رسوله، أو المكلوب أو شارب السم قائماً ثم يخط دور قدميه، يبدأ بالخط من إبهام الرجل اليمنى حتى ترجع إليها ثم يخط بين قدميه خطاً ويكون ذلك بسكين فولاذ، ثم يأخذ من تحت مشط رجله اليمنى، ومن تحت كعبه الأيسر تراباً، ويرميه في إناء نظيف، ويسكب عليه ماء، ثم يأخذ السكين ويوقفها في وسط إناء آخر، ويكون رأس السكين إلى فوق، ويسكب الماء الذي في الإناء على السكين التي في الإناء الثاني، ويرقي بهذه الرقية، ويكون فراغ الماء مع فراغ الرقية، ثم يجعل النصاب إلى فوق، ويسكب الماء كأول مرة، ثم يجعل رأسها إلى فوق أيضاً، ويفعل كأول مرة. ثم يسقي الملسوع أو رسوله أو المكلوب أو شارب السم. وهي: سارا سارا في سارا عاتي نور نور نور أنا وأرميا فاه يا طورا كاطوا برملس أوزانا أو صنانيها كاما يوقا بانيا ساتيا كاطوط اصبأوتا ابريلس توتي تنا أوس. فإنه يبرأ بإذن الله تعالى كما جرب مراراً وما أحسن قول القائل:

قالوا: حبيبك ملسوع فقلت لهم: ... من عقرب الصدغ أو من حية الشعرِ
قالوا: بلى أفاعي الأرض قلت لهم: ... وكيف تسعى أفاعي الأرض للقمرِ

ولجمال الملك بن أفلح:

وقالوا يصير الشعر في الماء حية ... إذا الشمسُ حاذته فما خلتُه صدقا
فلما التوى صدغاه في ماء وجهه ... وقد لسعا قلبي تيقنته حقا

غريبة أخرى: ذكر المسعودي عن الزبير بن بكار أن أخوين في الجاهلية خرجا مسافرين، فنزلا في ظل شجرة بجنب صفاة، فلما دنا الرواح، خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل ديناراً فألقته إليهما فقالا: إن هذا لمن كنز هنا فأقاما ثلاثة أيام، وهي في كل يوم تخرج لهما ديناراً فقال أحدهما للآخر: إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه وقال له: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال، فأبى عليه وأخذ فأساً ورصد الحية حين خرجت فضربها ضربة جرح رأسها ولم يقتلها، فبادرت إليه الحية فقتلته، ورجعت إلى جحرها فدفنه أخوه، وأقام حتى إذا كان الغد، خرجت الحية معصوباً رأسها وليس معها شيء فقال: يا هذه والله إني ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فلم يقبل، فهل لك أن نجعل الله بيننا على أن لا تضريني ولا أضرك، وترجعين إلى ما كنت عليه أولاً؟ فقالت الحية: لا. قال: ولِمَ؟ قالت: لأني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجة. ثم أنشد أبيات النابغة الجعدي التي يقول فيها:

وما لقيت ذات الصفا من حليفها ... وكانت تريه المال رعباً وظاهرَهْ

غريبة أخرى: في رحلة ابن الصلاح، وتاريخ ابن النجار، في ترجمة يوسف بن علي بن محمد الزنجاني الفقيه الشافعي قال: حدثنا الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله، عن القاضي الإمام أبي الطيب أنه قال: كنا في حلقة النظر بجامع المنصور ببغداد فجاء شاب خراساني يسأل عن مسألة المصراة، ويطالب بالدليل فاحتج المستدل بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، الثابت في الصحيحين وغيرهما، فقال الشاب، وكان حنفياً: أبو هريرة غير مقبول الحديث، قال القاضي: فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فهرب الناس وتبعت الشاب دون غيره فقيل له: تب تب فقال: تبت فغابت الحية ولم يبق لها أثر. قال ابن الصلاح: هذا إسناد ثابت، فيه ثلاثة من صالحي أئمة المسلمين القاضي أبو الطيب الطبري، وتلميذه أبو إسحاق وتلميذه أبو القاسم الزنجاني. ويقرب من هذا ما رواه أبو اليمن الكندي، قال: حدثنا عبيد الله بن محمد بن حمدان، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم النحوي، قال: أخبرنا الكريمي، قال: حدثنا يزيد بن قرة الدراع، يرفعه إلى عمر بن حبيب، قال: حضرت مجلس الرشيد فجرت مسألة المصراة فتنازع الخصوم فيها وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بالحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، فرد بعضهم الحديث، وقال: أبو هريرة متهم فيما يرويه، ونحا نحوه الرشيد ونصر قوله. فقلت: أما الحديث فصحيح وأبو هريرة رضي الله تعالى عنه صحيح النقل فيما يرويه عن النبي ﷺ، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، فقمت من المجلس إلى منزلي فلم يستقر بي الجلوس حتى قيل: صاحب الشرطة بالباب. فدخل إلي فقال: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن. فقلت: اللهم إنك تعلم أني قد دافعت عن صاحب نبيك محمد ﷺ، وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه، فسلمني منه. قال فأدخلت على الرشيد فإذا هو جالس على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه وبيده السيف، وبين يده النطع، فلما رآني قال: يا ابن حبيب ما تلقاني أحد بالرد ودفع قولي مثل ما تلقيتني به! فقلت: يا أمير المؤمنين إن الذي حاولت عليه فيه إزراء على رسول الله ﷺ، وعلى ما جاء به. فقال: كيف ويحك؟ قلت: لأنه إذا كان أصحابه كذابين، فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام من الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والحدود، كلها مردودة غير مقبولة لأنهم رواتها، ولا تعرف إلا بواسطتهم، فرجع الرشيد إلى نفسه، وقال: الآن أحييتني يا ابن حبيب أحياك الله ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم.

ويقرب من هذه القصة ما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف في الكلام على لفظ القرد في الرجل الذي رد على معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما وهو على المنبر.

تتمة: قال طارق بن شهاب الزهري: كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قد قضى في ميراث الجد مع الإخوة في قضايا مختلفة، ثم إنه جمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأخذ كتفاً ليكتب فيه، وهم يرون أنه يجعله أباً، فخرجت حية فتفرقوا، فقال: لو أراد الله تعالى أن يمضيه لأمضاه، ثم إنه أتى منزل زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه، فاستأذن عليه ورأسه في يد جارية له ترجله فنزع رأسه، فقال له عمر رضي الله تعالى عنه: دعها ترجلك. فقال زيد: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي جئتك؟ فقال عمر: إنما الحاجة لي إني جئتك في أمر الجد وأريد أن أجعله

أباً، فقال له زيد: لا أوافقك على أن تجعله أباً. فخرج عمر رضي الله تعالى عنه مغضباً، ثم أرسل إليه في وقت آخر، فكتب إليه زيد رضي الله تعالى عنه مذهبه فيه، في قطعة قتب وضرب له مثلا بشجرة نبتت على ساق واحد، فخرج منها غصن ثم خرج من الغصن غصن آخر، فالساق يسقي الغصن فإن قطع الغصن الأول رجع الماء إلى الغصن الثاني، وإن قطع الغصن الثاني رجع الماء إلى الغصن الأول. فلما أتى عمر رضي الله تعالى عنه كتاب زيد، خطب الناس ثم قرأ قطعة القتب عليهم، ثم قال: إن زيداً قد قال في الجد قولاً وقد أمضيته.

تذنيب: روى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره أن أبا خراش الهذلي الشاعر، واسمه خويلد بن مرة مات في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من نهش حية، وكان ممن يعدو على قدميه، فيسبق الخيل، وهو القائل:

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم همُ

وكان ممن أسلم وحسن إسلامه. وكان سبب موته أنه أتاه نفر من اليمن قدموا حجاجاً فنزلوا به، وكان الماء بعيداً عنهم. فقال لهم: يا بني ما أمسى عندنا ماء، ولكن هذه برمة وقربة وشاة فردوا الماء وكلوا شاتكم ثم دعوا قربتنا وبرمتنا عند الماء حتى نأخذهما فقالوا: لا والله ما نحن بسارين ليلتنا هذه. فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته وسعى نحو الماء، تحت الليل، حتى استقى، ثم أقبل صادراً، فنهشته حية قبل أن يصل إليهم، فأقبل مسرعاً حتى أعطاهم الماء وقال: اطبخوا شاتكم وكلوا، ولم يعلمهم بما أصابه، فباتوا يأكلون حتى أصبحوا، وأصبح أبو خراش في الموت، فلم يبرحوا حتى دفنوه. فلما بلغ عمر رضي الله تعالى عنه خبره غضب غضباً شديداً وقال: لولا أن تكون سنة لأمرت أن لا يضاف يماني أبداً، ولكتبت بذلك إلى الآفاق. ثم كتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبي خراش، فيغرمهم ديته ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة جزاء لفعلهم.

**غريبة أخرى:** ذكر القاضي الإمام شمس الدين أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة[1] عماد الدولة أبي الحسن علي بن بويه، وكان أبوه صياداً: ليست له معيشة إلا صيد السمك، وكان له ثلاثة أولاد: عماد الدولة أكبرهم، ثم ركن الدولة الحسن، ثم معز الدولة. والجميع ملكوا وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فإنهم ملكوا العراقين والأهواز وفارس، وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة. قال: ومن عجيب ما اتفق لعماد الدولة، أنه لما ملك شيراز في أول ملكه، اجتمع أصحابه وطالبوه بالأموال، ولم يكن عنده ما يرضيهم به، فأشرف أمره على الانحلال، فاغتم لذلك، فبينما هو مفكر وقد استلقى على ظهره في مجلس قد خلا فيه للتفكير والتدبير، إذ رأى حية خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس، ودخلت في موضع آخر منه فخاف أن تسقط عليه فدعا بالفراشين وأمرهم بإحضار سلم وأن يخرجوا الحية، فلما صعدوا وبحثوا عنها، وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين، فعرفوه بذلك فأمرهم بفتحها ففتحت، فإذا فيها صناديق فيها خمسمائة ألف دينار، فحمل ذلك بين يديه فقسمه على

(١) وفيات الأعيان: ٤/ ٥٠.

رجاله، فثبت أمره بعد أن كان قد أشفى على الانحلال والانخرام. ثم إنه جهز ثياباً وسأل عن خياط حاذق، فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله، فأمر بإحضاره وكان أطروشاً، وكان عنده وديعة لصاحب البلد، فوقع في نفسه أنه سعي به إليه، وأنه طلب بسبب الوديعة، فلما خاطبه حلف أنه لم يكن عنده سوى أثني عشر صندوقاً لا يدري ما فيها، فتعجب عماد الدولة من جوابه ووجه معه من يحمل الصناديق، فوجد فيها أموالاً وثياباً تجمل كثيرة، فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته، توفي عماد الدولة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ولم يعقب.

الحكم: يحرم أكل الحيات لضررها. وكذا يحرم أكل الترياق المعمول من لحومها. وقال البيهقي: كره أكله ابن سيرين، قال أحمد: ولهذا كرهه الإمام الشافعي، فقال: لا يجوز أكل الترياق المعمول من لحم الحيات، إلا أن يكون بحال الضرورة، بحيث يجوز له أكل الميتة وأما السمك الذي في البحر على شكلها فحلال، كما تقدم. وأمر النبي ﷺ بقتل الحيات أمر ندب. روى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غار بمنى، وقد أنزلت عليه والمرسلات عرفاً، فنحن نأخذها من فيه رطبة، إذ خرجت علينا حية فقال: اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فقال ﷺ: «وقاها الله شركم كما وقاكم شرها»[1]. وعداوة الحية للإنسان معروفة قال الله تعالى: ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ﴾[2] قال الجمهور الخطاب لآدم وحواء والحية وإبليس.

وروى قتادة: رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما سالمناهن منذ عاديناهن»[3]. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: من تركهن فليس منا. وقالت عائشة رضي الله عنها: من ترك حية خشية من ثأرها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وفي سنن البيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الحية فاسقة والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق»[4]. وفي مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «من قتل حية فكأنما قتل رجلاً مشركاً بالله، ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا»[5]. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «إن الحيات مسخت كما مسخت القردة من بني إسرائيل»[6]. وكذا رواه الطبراني عنه عن رسول الله ﷺ، وكذا رواه ابن حبان.

وأما الحيات التي في البيوت، فلا تقتل حتى تنذر ثلاثة أيام، لقوله ﷺ: «إن بالمدينة جناقد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام»[7]. وحمل بعض العلماء ذلك على المدينة وحدها. والصحيح أنه عام في كل بلدة لا تقتل حتى تنذر. روى مسلم ومالك في أواخر الموطأ وغيرهما، عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال: دخلت على أبي سعيد الخدري في بيته، فوجدته يصلي، فجلست أنتظر فراغه فسمعت حركة تحت سرير في ناحية البيت فالتفت، فإذا حية فوثبت

---

(١) رواه النسائي في المناسك: ١١٤. وابن حنبل: ١/٣٨٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٦.
(٣) رواه أحمد: ٢/٢٤٧، ٤٣٢، ٥٢٠.
(٤) رواه أحمد: ٦/٢٠٩، ٢٣٨.
(٥) رواه أبو داود أدب: ١٦٢. وأحمد: ١ ـ ٢٣٠ ـ ٣٤٨.
(٦) رواه مسلم في القدر: ٣٦.
(٧) رواه مسلم في السلام: ١٣٩ ـ ١٤١.

لأقتلها فأشار إلي أن أجلس فجلست، فلما انصرف من صلاته أشار إلى بيت في الدار، فقال: أترى هذا البيت؟ قلت: نعم قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ، عند انتصاف النهار، ويرجع إلى أهله، فاستأذن يوماً فقال ﷺ: «خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك بني قريظة». فأخذ الفتى سلاحه، ثم رجع إلى أهله فوجد امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وقد أصابته الغيرة، فقالت: أكفف عليك رمحك، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني منه، فدخل فإذا حية عظيمة مطوقة على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به، ثم خرج به فركزه في الدار فاضطربت عليه، وخر الفتى ميتاً. فما ندري أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى؟ قال: فجئنا النبي ﷺ فأخبرناه بذلك، وقلنا ادعُ الله أن يحييه، فقال: «استغفروا ربكم لصاحبكم». ثم قال[1]: «إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهن شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإذا بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان». وقد اختلف العلماء في الإنذار، هل هو ثلاثة أيام، أو ثلاث مرات. والأول هو الذي عليه الجمهور. وكيفيّته: أن يقول: أنشدكنّ بالعهد الذي أخذه عليكن نوح وسليمان عليهما الصلاة والسلام أن لا تبدوا لنا ولا تؤذونا. وفي أسد الغابة عن عبد الرحمن بن أبي يعلى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت الحية في المسكن، فقولوا لها: إنا نسألك بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام لا تؤذينا فإن عادت فاقتلوها»[2]. وروى الحافظ أبو عمر بن عبد البر أن عقبة بن عامر بن عبد قيس الفهري، ولد على عهد رسول الله ﷺ، وهو ابن خالة عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، لما فتح إفريقية، وقف على موضع القيروان، وهو واد كثير الحيات، وقال: يا أهل الوادي إنا حالون، إن شاء الله تعالى، قاطنون، ثلاث مرات، قال: فما رأينا حجراً ولا شجراً إلا خرج من تحته حية حتى هبطن بطن الوادي ثم قال: انزلوا بسم الله. فعمروا القيروان. وكان عقبة مجاب الدعوة وعند الحنفية ينبغي أن لا تقتل الحية البيضاء لأنها من الجان وقال الطحاوي: لا بأس بقتل الجميع والأولى الإنذار.

من الفوائد العجيبة المجربة ما أخبرني به بعض مشايخي، أنه يكتب على أربع ورقات، وتوضع كل ورقة في قرنة من قرن البيت فإن الحيات تهربن منه ولا تدخله حية بإذن الله تعالى وهو هذا:

١ ١ ١ ٦ ١ ١ ١ ٨ ٧ ١ رح ٥ ٥ ٧ ١ ١ ٥ ١ ١ و و ٧

و و ١ ٥ ر و ١ ١ م ١ ١ ح ١ ١ ١ ح ط ٥ هـ ٨

وفي الإحياء من كتاب آداب السفر يستحب لمن أراد لبس الخف، في حضر أو سفر، أن ينكس الخف، وينفض ما فيه، حذراً من حية أو عقرب أو شوكة، واستدل له بحديث أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه الآتي في باب الغين المعجمة، في الكلام على لفظ الغراب، وفي فتاوى

(١) رواه مسلم في السلام: ١٣٩ ـ ١٤١.

(٢) رواه الترمذي في الصيد: ١٥.

الإمام النووي: إذا اصطَاد الحاوي حية وحبسها معه على عادتهم، فلسعته فمات هل يأثم؟ فأجاب. إن صادها ليرغب الناس، في اعتماد معرفته، وهو صادق في صنعته، ويسلم منها في ظنه، ولسعته فمات لم يأثم. وإن انفلتت وأتلفت شيئاً لم يضمنه.

وروى الإمام أحمد، في الزهد، أن حاوياً معه حيات في خرج، نزل بقوم من أهل اليمن، فخرج بالليل بعض الحيات، فلسعت بعض أهل المنزل فقتلته. فكتب بذلك عامل اليمن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، فقال: لا شيء عليه لكن مره إذا نزل بقوم أن يخبرهم بما معه، وفي كتاب الأربعين على مذهب المحققين من الصوفية، للإمام الحافظ أبي مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني، بإسناده إلى عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه، قال: أخذ النبي ﷺ بعمامتي من ورائي، وقال: «يا عمران إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار فأنفق وأطعم، ولا تعسر فيعسر عليك الطلب، واعلم أن الله يحب البصير الناقد عند هجم الشبهات، والعقل الكامل عند نزول البليات، ويحب السماحة ولو على تمرات، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية».

**الأمثال**: قالوا: «فلان أسمع من حية وأعدى من حية»(١). وهو من العدو لأنها تسرع إلى جحرها إذ أراعها شيء.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تـأرز الحية إلى جحرها»(٢). وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ، قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها». أي مسجدي مكة والمدينة، ومعنى يأرز ينضم ويجتمع بضعه إلى بعض، ومعناه أن المؤمن إنما يسوقه إلى المدينة إيمانه ومحبته للنبي ﷺ. ويحتمل أن يكون المراد بذلك: عصمة المدينة من الدجال والفتن، فيكون الإسلام فيها موقراً، ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سنة رسول الله ﷺ ومنها ظهرت ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن الدين يؤخذ من علمائها وأئمتها، وكذلك كان. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم، في لفظ المطية حديث الترمذي إن النبي ﷺ قال: «يوشك أن يضرب الناس آباط المطي في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة». وقالوا: «أبغض من ريح السذاب إلى الحيات»(٣)، وقالوا: «الحية من الحيية». أي الأمر الكبير من الصغير، وربما قالوا: «الحيوت من الحية» وهذا كقولهم: «العصا من العصية»(٤). وقد جاء معنى المثلين في كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: **﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾**(٥). كذا ذكره ابن الجوزي وغيره.

**الخواص**: قال عيسى بن علي: ناب الحية إذا قلع في حياتها وعلق على صاحب حمى الربع

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/١٧٢.

(٢) رواه البخاري مدينة: ٦. ومسلم إيمان: ٢٣٣. ابن ماجه مناسك: ١٠٤. أحمد: ٢/٢٨٦.

(٣) مجمع الأمثال: ١/١١٩.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢/٣٧. (٥) سورة نوح: الآية ٢٧.

تزول عنه، وإن علق على من به وجع الأسنان نفعه وسكن وجعها. ولحمها يحفظ الحواس، ومرق لحمها يقوي البصر، ولحوم الحيات من حيث الجملة يسخن ويجفف وينقي البدن ويحلل منه أسقاماً. وسلخها إذا وضع في ثياب لم تسوس، وإن أحرق وعجن بزيت طيب وحشي به الضرس المتآكل الوجع أبرأه. وإن سحق مع رأسها وجعل على داء الثعلب، أنبت الشعر. وقال يحيى بن ماسويه: يؤخذ سلخ حية مقلي وقشور أصل الكبر وزراوند طويل وبلادر، أجزاء متساوية، ويبخر به صاحب البواسير الظاهرة والباطنة المتعلقة، فإنها تسقط. وقال غيره: سلخ الحية ومقل أزرق يبخر بها البواسير الظاهرة والخفية فتبرأ. وبيض الحية يدق مع بورق وخل، ويطلى به البرص الجديد يقطعه. وسلخ الحية إذا عجن بثلاث تمرات وأطعم لمن به الثآليل ذهبت عنه، وإن أكله من ليس به ثآليل لم تخرج أبداً وقلبها يذهب حمى الربع تعليقاً.

**فائدة**: روى ابن أبي شيبة وغيره أن فريكاً قدم على رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً فسأله ﷺ ما أصابه؟ فقال: كنت أمرن جملاً فوقفت على بيض حية، ولم أشعر فأصبت ببصري، فنفث رسول الله ﷺ في عينيه، فأبصر فكان يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين سنة، وإن عينيه مبيضتان.

**التعبير**: الحية في المنام تعبر بأشياء كثيرة فهي عدو ودولة وحياة وسيل وولد وامرأة. فمن نازع حية، وهي تريد أن تنهسه فإنه ينازع عدواً له لقوله(1) تعالى: ﴿**اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو**﴾ فإن رأى أنه أخذ حية ولم يخف منها، وصرفها حيث يشاء، فإنه ينال دولة ونصرة، لأن موسى عليه الصلاة والسلام، نال بها النصرة على فرعون. ومن رأى أن حية خرجت من فمه، وكان مريضاً، فإنه يموت لأنها حياته وقد خرجت من فمه. ومن رأى حيات تمشي في خلاف الشجر أو الزرع، فإنها سيول لأنهم شبهوا جريان الماء بالحيات، هذا إذا كان جريها بلا نفخ ولا إحراق شيء. ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته. ومن رأى امرأته حاملاً ووضعت حية، أتاه ولد عاق. ومن رأى حية ميتة فإنه عدو قد كفاه الله شره. ومن عضته حية فورم موضع العضة نال مالاً لأن السم مال، والورم زيادة فيه. ومن أكل لحم حية مطبوخاً، نال مال عدوه، ومن أكله نيأ اغتاب عدوه. ومن رأى حية نزلت من مكان فإن ذلك موت رئيس ذلك المكان. ومن رأى حية ابتلعته، فإنه ينال سلطاناً ومن رأى كأنه يتخطى الحيات ولا تنهسه، فإنه يأمن أعداءه، وإن كان مسجوناً خرج من سجنه. ورؤية الحيات الكثيرة في الطرق وهي تمنع الناس بنفخها ونهسها فإن ذلك ظلم من السلطان. ومن رأى كأن الحيات قد فقدن من مكان، فإن الوباء والموت يكثر في ذلك المكان لأن الحيات هي الحياة ومن رأى كأن حية تكلمه، فإنه ينال سروراً. ومن رأى كأنه ملك حية ملساء، وصرفها حيث شاء، فإنه ينال غنى وسعادة. والسود من الحيات أعداء لهم قوة، فمن ملك حية سوداء نال ملكاً وولاية. والبيض أعداء ضعاف، والثعبان يدل على العداوة في الأهل والأزواج والأولاد. وربما كان جاراً شريراً حسوداً. والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نار محرقة. والأصلة تدل على امرأة ذات نسل وأصل وعمر طويل. والشجاع يدل على امرأة

---

(1) سورة البقرة: الآية ٣٦.

باذلة أو ولد جسور. والأفاعي تدل على أقوام أغنياء، لكثرة سمها. والناشر يدل على الهم، أو على رجل محارب غيور. وحيات البيوت خسران. وحيات البوادي قطاع الطريق، وحيات الماء مال فمنشد وسطه بحية منها فإنه شده بهميان. وحيات البطن أعداء من الأهل والأقارب. فمن رمى حية فإنه يفارق شخصاً من أقاربه خبيثاً كان يواكله. والله أعلم.

**الحيوت**: كسفّود ذكر الحيات.

**الحيدوان**: الورشان. وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في باب الواو.

**الحيقطان**: بضم القاف ذكر الدرّاجة.

**الحيوان**: جنس الحي والحيوان: الحياة والحيوان ماء في الجنة قاله ابن سيده. والحيوان نهر في السماء الرابعة يدخله ملك كل يوم، فيغمس فيه ثم يخرج، فينتفض انتفاضة، يخرج منه سبعون ألف قطرة، يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يطوفوا بالبيت المعمور، فيطوفون به ثم لا يعودون إليه أبداً، ثم يقفون بين السماء والأرض يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة. كذا رواه روح بن جناح مولى الوليد بن عبد الملك، الذي روى عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد» وحديثه[1] هذا في كتابي الترمذي وابن ماجه. وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾[2] أي ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها، فكأنها في ذاتها حياة. والحيوان مصدرحيي، وقياسه حييان فقلبوا الياء الثانية واواً كما قالوا: حيوة في اسم رجل، وبه سمي ما فيه حياة حيواناً، وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة وهو ما في بناء فعلان من الحركات، ومعنى الاضطراب كالنزوان، وما أشبه ذلك. والحياة حركة كما أن الموت سكون، فمجيئه على ذلك مبالغة في معنى الحياة. وقال ابن عطية: الحيوان والحياة بمعنى واحد. وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه. والمعنى لا موت فيها، قاله مجاهد وهو حسن. ويقال: الأصل حييان بياءين، فأبدلت إحداهما واواً لاجتماع المثلثين. وقال الجاحظ: الحيوان على أربعة أقسام شيء يمشي، وشيء يطير، وشيء يعود، وشيء ينساخ في الأرض. إلا أن كل شيء يطير يمشي، وليس كل شيء يمشي يطير. فأما النوع الذي يمشي، فهو على ثلاثة أقسام: ناس وبهائم وسباع، والطير كله سبع وبهيمة وهمج. والخشاش ما لطف جرمه وصغر جسمه، وكان عديم السلاح. والهمج ليس من الطيور، ولكنه يطير وهو فيما يطير كالحشرات فيما يمشي. والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصاً، والبهيمة ما أكل الحب خالصاً والمشترك كالعصفور، فإنه ليس بذي مخلب ولا منسر، وهو يلتقط الحب، ومع ذلك يصيد النمل، ويصيد الجراد، ويأكل اللحم. ولا يزق فراخه كما يزق الحمام، فهو مشترك الطبيعة، وأشباه العصافير من المشترك كثيرة، وليس كل ما طار بجناحين من الطير. فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والفراش والبعوض والأرضة والنحل وغير ذلك، ولا تسمى طيوراً، وكذلك الملائكة تطير ولها أجنحة، وليست من الطير، وكذلك جعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة، وليس من الطير انتهى. وفي

---

(١) رواه ابن ماجه مقدمة: ١٧. والترمذي علم: ١٩.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ[1] قال: «لعن الله من مثل بالحيوان». وفي رواية «لعن الله من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً»[2]. وفي رواية «نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم»[3]. قال العلماء تصبير البهائم هو أن تحبس وهي أحياء لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى قوله: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً» أي يرمى إليه كالغرض من الجلود وغيرها. وهذا النهي للتحريم لأن النبي ﷺ لعن فاعله، ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه، وتضييع لماليته، وتفويت لذكاته، إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مذكى.

تتمة: في كتاب التنوير في إسقاط التدبير، قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري وإنما خص الله تعالى الحيوان بالافتقار إلى التغذية، دون غيره من الموجودات، لأنه تعالى وهب للحيوان من صفاته ما لو تركه من غير فاقة لادعى الربوبية، أو ادعى فيه ذلك فأراد الحق سبحانه، وهو الحكيم الخبير، أن يحوجه إلى مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك، من أسباب الحاجة، ليكون تكرار أسباب الحاجة منه سبباً لخمود الدعوى منه أو فيه.

الحكم: يصح السلم في الحيوان، لأنه يثبت في الذمة ثمناً وصداقاً، وفي إبل الدية. وصح أن النبي ﷺ استسلف بكراً ومنع أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك. لأن ابن مسعود رضي الله عنه كرهه، ولأنه لا ينضبط بالصفة لنا ما روى أبو داود والحاكم على شرط مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه قال[4]: «أمرني رسول الله ﷺ أن أشتري بعيراً ببعيرين إلى أجل» وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه، أنه باع جملاً له يدعى عصفور بعشرين بعيراً إلى أجل واشترى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما راحلة بأربعة أبعرة يوفيها صاحبها بالربذة. رواه مالك في الموطأ في البخاري بغير إسناد. الربذة بالذال المعجمة موضع على ثلاث مراحل من المدينة وأما الحديث الذي رواه الحسن عن سمرة رضي الله عنه «أن النبي ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيوان»[5] فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: إنه حسن صحيح، وسماع الحسن من سمرة صحيح. هكذا قال علي بن المديني وغيره. والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم في منع بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة، وبه قال أحمد. وقد رخص بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم، في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة. وهو قول الشافعي وإسحاق وقال الخطابي: النهي في حديث سمرة محمول على ما إذا كان نسيئة من الطرفين، فيكون من باب الكالىء بالكالىء بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المذكور وقال مالك: إذا اختلفت أجناس الحيوان جاز بيع بعضه ببعض نسيئة وإن تشابهت لم يجزْ وقال في الإحياء تكره التجارة في الحيوان لأن المشتري يكره قضاء الله فيه، وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة. وقيل: بيع الحيوان واشتر الموتان. ويضمن سائر الحيوان إذا

---

(١) رواه البخاري في الذبائح: ٢٥. والنسائي في الضحايا: ٤١، والدارمي أضاحي: ١٣.

(٢) رواه مسلم صيد: ٦٠.

(٣) رواه مسلم صيد: ٥٨. النسائي ضحايا: ٧٩. والبخاري ذبائح: ٢٥.

(٤) رواه البخاري في البيوع: ١٠٨.

(٥) رواه أبو داود في البيوع: ١٥، والبخاري بيوع: ١٠٨. الترمذي بيوع: ٢١. أحمد: ٣/٣١٠.

أتلف بالقيمة لما في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من أعتق شركاً له في عبد، فإن كان معه ما يبلغ ثمن العبد، قوم عليه وأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد». وإلا فقد عتق منه ما عتق فأوجب القيمة في العبد بالإتلاف بالعتق، ولأن إيجاب مثله من جهة الخلقة لا يمكن لاختلاف الجنس الواحد في القيمة، فكانت القيمة أقرب إلى إيفاء حقه، وتضمن أعضاء الحيوان بما نقص من قيمته. وأوجب أبو حنيفة في عين الإبل والبقر والخيل ربع القيمة وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفحل، أثر يشهد لذلك من حديث عروة البارقي وأوجب مالك رحمه الله في قطع ذنب حمار ذي الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة ويأخذ المتلف العين.

الخواص: الخصي من الحيوان أبرد من فحله، وإذا كان سميناً كان لذيذاً مرطباً ملينـاً للطبيعة، بطيء الانحدار، وما كان مهزولاً فبالضد إلا أنه سريع الإنحدار. أجوده حولي المعز ومنفعته سرعة الانهضام، ومضرته أنه يرخي المعدة، ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة. وهو يولد دماً معتدلاً يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة من الشبان. ومن الأزمان زمان الربيع. ويجب أن يعلم أن أفضل لحوم الحيوان ما كان معتدلاً في الهزال والسمن. وأجود اللحوم لحم الضأن المتناهي الشباب والبقر التي لم تبلغ سن الشباب والخصي من المعز وأجوده على الإطلاق الضأن.

التعبير: من كلمه حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه، فإنه كما قال. وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له، وإن لم يفهم ما قاله فليحذر على مال يذهب منه، لأن الحيوان مأكله، وقد تكون هذه الرؤيا باطلة، فلا ينبغي أن يفتش عنها، وجلود سائر الحيوان ميراث. وقيل: الجلود بيوت لمن ملكها لقوله[1] تعالى: ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً﴾ وربما دلت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقاقم والفنك والنمس والثعلب والأرنب والفهد للجلوس، وأشباه ذلك على النعمة الطائلة، والأموال والأرزاق، وعلو الشأن لمن لبسها في المنام أو رآها عنده، أو ملكها. وإذا رأى الأنسان كأن جلده سلخ، وكان مريضاً، فإنه يموت. وإلا افتقر وافتضح. وربما دلت الجلود على ما يعمل منها فجلود الإبل تدل على الطبول، وجلود الضأن على الكتابة والمعز على النطوع، وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيور، وجلود الخيل والبغال والحمير على الأوعية والأسقية، وجلود الجاموس على الحصون. وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس، وأموال موروثة وغير موروثة أو مغتصبة. وأما القرون فتدل رؤيتها على الأعوام والسنين، أو السلاح أو ما يتجمل به من الأموال والأولاد والعز والجاه. وأما أنياب الفيل وعظمه، فإن ذلك دال على تركة من هلك من الملوك والزعماء. وأما أظلاف الحيوان فإنها تدل على الكد والسعي والاجتماع بين المرأة وزوجها، والوالدة وولدها. والظلف في الصورة هاء مشقوقة وأما الأخفاف فقوة سفر وربما دل الخف في استدارته على العدو أو السقم أو التمهيد للأمور والتوطئة الحسنة. وأما الأذناب فإنها دالة على ما دل الحيوان عليه، ومن يساعده في مصالحه، ويذب عنه ما يخشاه. وأما أصوات الحيوان، فنذكرها هنا مفصّلة: فأما ثغاء

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٠.

الشاة فلطافة من امرأة وصديق أو بر من رجل كريم. وأما ثغاء الجدي والكبش والحمل، فسرور وخصب. وأما صهيل الفرس، فهو هيبة من رجل شريف أو جندي شجاع. وأما نهيق الحمار، فسفه من رجل سفيه. وأما شحيج البغل، فصعوبة من رجل صعب المرام. وأما خوار العجل والثور والبقر فوقوع في فتنة. وأما رغاء الإبل، فسفر طويل في حج أو تجارة رابحة أو جهاد. وأما زئير الأسد، فخوف وهيبة لمن سمعه من ملك ظلوم. وأما ضغاء الهرة، فشهرة من خادم لص أو فاجر. وأما نهيز الفأرة، فضرب من رجل نقاب أو فاسق أو سرقة. وأما بغام الظبي، ففائدة من امرأة حسناء. وأما عواء الكلب، فخجل من سعى في الظلم. وأما عواء الذئب، فجور من لص غشوم. وأما صياح الثعلب، فكيد من رجل كذاب، أو امرأة كذابة. وأما وعوعة ابن آوى، فصراخ نساء أو ضجة المحبوسين اليائسين. وأما صياح الخنزير، فظفر بأعداء حمقى. وأما صوت الفهد، فتهدد من رجل مذبذب طامع ويظفر به من سمعه. وأما نقيق الضفدع، فدخول في عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان، وقيل: إنه كلام قبيح. وأما فحيح الحية فكلام من عدو كاتم للعداوة، ثم يظفر به من سمعه، ومن كلمته الحية بكلام لطيف فإنه عدو يخضع له ويتعجب الناس لذلك.

أم حبين: بحاء مهملة مضمومة، وباء موحدة مفتوحة مخففة: دويبة مثل ابن عرس وابن آوى وسام أبرص وابن قترة، إلا أنه تعريف جنس وربما أدخل عليه الألف واللام ثم لا يكون بحذفهما منه نكرة، وإنما سميت بذلك من الحبن، تقول: فلان به حبن فهو أحبن أي مستسقي فشبهت بذلك لكبر بطنها. وهي على خلقة الحرباء غير الصدر وقيل هي أنثى الحرابي وهما أما حبين وهن أمهات حبين. وهي دابة على قدر الكف تشبه الضب غالباً، قاله أبو منصور الأزهري ما نقله من كونها أنثى الحرابي، هو الذي نقله صاحب الكفاية. فإنه قال: الحرباء ذكر أم حبين، وقال ابن السكيت: هي أعرض من العظاءة وفي رأسها عرض، وقال أبو زيد: إنها غبراء لها أربع قوائم على قدر الضفدعة التي ليس بضخمة، فإذا طردها الصيادون قالوا لها:

أم حبين انشري برديك ... إن الأمير ناظر إليك

وضارب بسوطه جنبيك

فيطردونها حتى يدركها الإعياء، فتقف منتصبة على رجليها وتنشر جناحيها، وهما أغبران على مثل لونها، فإذا زاد في طردها نشرت أجنحة من تحت ذينك الجناحين، لم ير أحسن منهن ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض وهي طرائق بعضها فوق بعض، مثل أجنحة الفراش في الرقة، فإذا رآها الصيادون قد فعلت ذلك تركوها. وقال علي بنْ حمزة: الصحيح عندي إن هذه صفة أم عويف. وستأتي في باب العين المهملة إن شاء الله تعالى. وقال ابن قتيبة: أم حبين تستقبل الشمس، وتدور معها كيف دارت، وهذه صفة الحرباء. وقال في المرصع: اختلف في أم حبين، فقيل: هي ضرب من العظاء وقيل: هي أعرض منها وقيل: هي أنثى الحرابي، يتحاماها الأعراب فلا يأكلونها لنتنها. انتهى. وما ذكره ابن قتيبة من كون أم حبين ضرباً من العظاء فيه نظر، فإن العظاء نوع من الوزغ، كما ذكره أهل اللغة، ويقال لها حبينة معرفة بلا ألف ولام، تقع

على الواحد والجمع وقد تجمع على أم حبينات، وأمهات حبين، وأمات حبين، ولم ترد إلا مصغرة. وفي حديث عقبة رحمه الله: «أتموا صلاتكم ولا تصلوا صلاة أم حبين» وفسروه بأنها إذا مشت تطاطىء رأسها كثيراً، وترفعه لعظم بطنها فهي تقع على رأسها وتقوم. فشبه بها صلاتهم في السجود. وفي الحديث أنه ﷺ رأى بلالاً وقد خرج بطنه فقال: «أم حبين». تشبيهاً له بها. وهذا من مزحه ﷺ قال الجاحظ: قال ابو زيد النحوي: سمعت أعرابياً يقول لأم حبين: حبينة وحبينة اسمها. وحبين تصغير أحبن وهو الذي استلقى على ظهره ونفخ بطنه.

الحكم: الحل لأنها من الطيبات ولأنها تفدى في الحرم والإحرام إذا قتلت بحلان كما تقدم. ومن قواعد الشافعي لا يفدى إلا المأكول البري. وحكى الماوردي فيها وجهين: وقال: إن الحل مقتضى قول الشافعي، ومقتضى ما قاله ابن الأثير في المرصع: إنها حرام. وفي التمهيد لابن عبد البر، عن جماعة من أهل الأخبار أن مدنياً سأل أعرابياً فقال: أتأكلون الضب؟ قال: نعم. قال: فاليربوع؟ قال: نعم. قال: فالقنفذ؟ قال: نعم. قال: فالورل؟ قال: نعم. قال: أفتأكلون أم حبين؟ قال: لا. قال: فليهنيء أم حبين العافية انتهى. والجواب أن هذا راجع لما اعتادوا أكله وترك أكله، خاصة لا أنها حرام على أنه لم يثبت ذلك.

أم حسان: دويبة على قدر كف الإنسان.

أم حسيس: بضم الحاء المهملة، دويبة سوداء من دواب الماء لها أرجل كثيرة.

أم حفصة: الدجاجة الأهلية.

أم حمارس: بفتح الحاء المهملة الغزالة قاله ابن الأثير والله الموفق للصواب.

## باب الخاء المعجمة

الخازباز: والخزباز لغة فيه. قال الجوهري: إنه ذباب، وهما اسمان جعلا اسماً واحداً وبنيا على الكسر لا يتغيران في الرفع والنصب والجر قال ابن أحمر:

تفقأ فوقه القلع السواري ... وجن الخازباز به جنونا

جوز فيه الجوهري أن يكون من جن الذباب إذا كثر صوته، وأن يكون من جن النبت جنوناً إذا طال. واستعمله المتنبي كذلك في قوله[1]:

كلما جادت الظنون بوعد ... عنك جادتْ يداك بالإنجاز
ملك منشد القريض لديه ... يضع الثوب في يدي بزاز[2]
ولنا القول وهو أدرى بفحوا ... وأهدى فيه إلى الإعجاز
ومن الناس من تجوز عليه ... شعراء كأنها الخازباز[3]
ويرى أنه البصير بهذا ... وهو في العمى ضائع العُكازِ

(١) ديوان المتنبي: ١٨٣/٢. (٢) في الديوان: واضع الثوب. (٣) في الديوان: «... من يجوز».

وقال الأصمعي: الخازباز حكاية لصوت الذباب، فسماه به وقال ابن الأعرابي: إنه نبت. وأنشد ابن نصير تقوية لقول ابن الأعرابي:

رعيتها أكرم عود عوداً الصِّل والصفصل واليعضيدا[1]
والخازباز السنم النجودا بحيث يدعو وعامر مسعوداً

وعامر ومسعود راعيان. قال وهو في غير هذا داء يأخذ الإبل في حلوقها والناس قال الراجز:

يا خازباز أرسل الهازما إني أخاف أن تكون لازماً[2]

وقيل وهو السنور. حكاه أبو سعيد. فإن كان ذباباً أو سنوراً فسيأتي حكمه إن شاء الله تعالى.

**الأمثال**: قالت العرب: «الخازباز أخصب»[3] قال الميداني: إنه ذباب يطير في الربيع يدل على خصب السنة والله أعلم.

**خاطف ظله**: طائر من جنس العصافير. قال الكميت بن زيد:

وريطة فتيان كخاطف ظله جعلت لهم منها خباء ممدداً

وقال ابن سلمة: هو طائر يقال له الرفراف، إذا رأى ظله في الماء أقبل عليه ليخطفه. وهذه صفة ملاعب ظله وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم.

**الخاطف**: الذئب وسيأتي إن شاء لله تعالى في باب الذال المعجمة.

**الخبهقعي**: بفتح الخاء والباء والعين مقصورة وتمد: ولد الكلب من الذئبة، وبه سمي أبو الخبهقعي أعرابي من بني تميم.

**الخثق**: بفتح الخاء والثاء المثلثة قال ارسطا طاليس في النعوت: إنه طائر عظيم. يكون ببلاد الصين وبابل وأرض الترك ولم يره أحد حياً إذ لا يقدر عليه أحد في حال حياته، ومن شأنه أنه إذا شم رائحة السم خدر وعرق وذهب حسه. وقال غيره: إن له في مشتاه ومصيفه سموماً كثيرة في طريقه فإذا شم رائحة السم خدّر وسقط ميتاً، فتؤخذ جثته، ويجعل منها أوان ونصب للسكاكين. فإذا شم العظم رائحة السم، رشح عرقاً فيعرف به الطعام المسموم. ومخ عظام هذا الطائر سم لكل حيوان والحية تهرب من عظامه فلا تدرك.

**الخدارية**: بضم الخاء وبالدال المهملة العقاب. سميت بذلك للونها وبعير خداري، أي شديد السواد ومنه لون خداري، وما أحسن قول الميداني في خطبة[4] كتابه

---

(١) الصِّل: القطعة من العشب. الصَّفصل: نبْت. اليعضيد: ضرب من البقول.
(٢) اللهزمتان: لحمتان ناتئتان تحت الأذنين.
(٣) مجمع الأمثال: ٢٤٨/١.
(٤) مجمع الأمثال: ٥/١.

مجمع الأمثال: فإن أنفاس الناس لا يأتي عليها الحصر، ولا تنفد حتى ينفد العصر، وأنا أعتذر للناظر في هذا الكتاب من خلل يراه، أو لفظ لا يرضاه، فأنا كالمنكر لنفسه، المغلوب على حسه وحدسه، منذ حط البياض بعارضي رحالة، وحال الزمان على سوادهما فأحاله، وأطار من وكرها متي الخدارية، وأنحى على عود الشباب فمص ريّه، وملك يدا الضعف زمامَ قواي وأسلمني من كل يحطب في حبل هواي. فكأني المعني بقول الشاعر:

وهتْ عزماتُك عند المشيب ... وما كان من حقِّها أن تهِي
وأنكرتَ نفسَك لما كبرتَ ... فلا هي أنت ولا أنت هي
وإن ذكرت شهوات النفوس ... فما تشتهي غير أن تشتهي

الخدرنق: العنكبوت وفي دالة الإهمال والإعجام في درة الغواص.

الخراطين: قيل: هي الأساريع، والصواب أنها شحمة الأرض وستأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة وقيل: إنها العلق الكبار الطوال التي تكون في المواضع الندية من الأرض وهي إذا قليت بالزيت، ثم سحقت ناعماً وتحمل بها صاحب البواسير نفعته، وإذا أخذ منها شيء وجعل في زيت ودفن سبعة أيام ثم أخرج ورمي من الزيت حتى تذهب رائحته ووضع في قارورة ووضع فيها مقدار نصفها شقائق النعمان، ثم يدفن سبعة أيام ويخرج، فمن اختضب به أسود شعره ولم يشب سريعاً.

الخرب: بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وبالباء الموحدة: ذكر الحبارى، والجمع خراب وأخراب وخربان. ذكر أبو جعفر أحمد بن جعفر البلخي أن الرشيد جمع بين أبي الحسن الكسائي وأبي محمد اليزيدي ليتناظرا بين يديه فسأل اليزيدي والكسائي عن إعراب قول الشاعر:

ما رأينا قط خربا ... نقرعنه البيض صقر
لا يكون العير مهراً ... لا يكون المهر مهر؟

فقال الكسائي: يجب أن يكون المهر منصوباً على أنه خبر كان. ففي البيت على هذا اقواء. فقال اليزيدي: الشعر صواب لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون، ثم استأنف فقال: المهر مهر. ثم ضرب الأرض بقلنسوته وقال: أنا أبو محمد. فقال له يحيى بن خالد: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين وتسفه على الشيخ؟ فقال له الرشيد: والله إن خطأ الكسائي مع حسن أدبه، أحب إلي من صوابك مع قلة أدبك. فقال: يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عني التحفظ فأمر بإخراجه. واجتمع الكسائي ومحمد بن الحسن الحنفي يوماً في مجلس الرشيد فقال الكسائي: من تبحر في علم اهتدى لجميع العلوم. فقال له محمد: ما تقول فيمن سها في سجود السهو هل يسجد مرة أخرى؟ قال: لا. قال: لماذا؟ قال: لأن النحاة تقول: المصغر لا يصغر. قال: فما تقول في تعليق العتق بالملك؟ قال: لا يصح. قال: لم؟ قال: لأن السيل لا يسبق المطر. وتعلم النسائي النحو على كبر سنه وذلك أنه مشى يوماً حتى أعيا فجلس، فقال: قد عييت، فقيل له: قد لحنت. قال: كيف؟ قيل: إن كنت أردت التعب فقل: أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة، فقل: عييت! فأنف من قولهم لحنت، واشتغل بعلم النحو حتى مهر وصار إمام وقته فيه. وكان مؤدب الأمين والمأمون

وكان له اليد العظمى والوجاهة التامة عند الرشيد وولديه. توفي الكسائي ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة في يوم واحد سنة تسع وثمانين ومائة ودفنا في مكان واحد. فقال الرشيد دفن ههنا العلم والأدب.

الأمثال: قالوا: «ما رأينا صقراً يرصده خرب». يضرب للشريف يقهره الوضيع.

الخرشة: بالتحريك الذبابة قاله الجوهري ومنه سماك بن خرشة الإخباري، سميت أمه بإسم تلك الذبابة ومنه أبو خراشة السلمي في قول عباس بن مرداس[1]:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع[2]

أي السنة المجدبة ومنه خرشة بن الحر الفزاري الكوفي. مات سنة أربع وسبعين كان يتيماً في حجر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وهو الذي روي عنه أن رجلاً شهد عند فقال له: إني لا أعرفك ولا يضرك أني لا أعرفك إلى آخر القصة ووقع في المهذب في ذلك غلط وتصحيف.

الخرشقلا: السمك البلطي. وفي الخبر: لولا الخرشقلا لوجدت أوراق الجنة في ماء النيل.

الخرشنة: طائر أكبر من الحمام وسيأتي ذكره في باب الكاف إن شاء الله تعالى.

الخرق: بضم الخاء وتشديد الراء المهملة وبالقاف في آخره نوع من العصافير ذكره الجاحظ.

الخرنق: بكسر الخاء المعجمة ولد الأرنب وبه سمي الخرنق الشاعر الذي كان في زمن التابعين. وأرض مخرنقة أي ذات خرانق وقالوا: «ألين من خرنق[3]». وكان للنبي ﷺ درع يقال لها الخرنق للينها، ودرع أخرى يقال لها البتيراء لقصرها، وأخرى يقال لها ذات الفضول، سميت به لطولها، أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر، وهذه هي التي رهنهاعند اليهودي، فافتكها منه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وأخرى يقال لها ذات الوشاح وذات الحواشي، وأخرى يقال لها فضة والسغدية، بالسين المهملة والغين المعجمة. قال الحافظ الدمياطي: وكانت السغدية درع داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها حين قتل جالوت وكانت عمله بيده. قال الكلبي وغيره في قوله تعالى: ﴿وعلمه مما يشاء﴾[4] يعني صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها، وكان عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده. وقيل: منطق الطير، وكلام البهائم، وقيل: هو الزبور. وقيل: الصوت الطيب والألحان، فلم يعط الله أحداً من خلقه مثل صوته. وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش، حتى يأخذ بأعناقها، وتظله الطير مصيخة له، ويركد الماء الجاري وتسكن الريح. روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال: إن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرّة، ورأسها عند صومعته، وقوتها قوة الحديد ولونها لون النار، وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر، مسورة بقضبان اللؤلؤ الرطب، فلا يحدث في الهواء حدث، إلا صلصلت السلسلة، فيعلم داود ذلك الحدث. ولا يمسها ذوعاهة إلا

---

(١) العباس بن مرداس السلمي: من سادات قومه بني سُليم، صحابي شاعر. توفي حوالي سنة ١٨ هـ.

(٢) البيت في ديوانه: ١٠٦. وفيه: «أمّا كنت ذا...».

(٣) جمهرة الأمثال: ٢/١٧٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

برأ وكان بنو إسرائيل يتحاكمون إليها بعد داود، فمن تعدى على صاحبه، أو أنكر له حقاً أتى إلى السلسلة، فمن كان صادقاً مد يده إلى السلسلة فنالها، ومن كان كاذباً لم ينلها، وكانت كذلك إلى إلى أن ظهر فيهم المكر والخديعة. فروي عن غير واحد أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل، أودع عند رجل جوهرة ثمينة ثم طلبها فأنكر الرجل، فتحاكما إلى السلسلة فعمد الرجل الذي عنده الجوهرة إلى عكازه فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها. فلما حضر إلى السلسلة قال صاحب الجوهرة: رد علي وديعتي، فقال صاحبه: ما أعرف لك عندي من وديعة، فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة، فأتاها فتناولها بيده، فقيل للمنكر: قم أنت وتناولها، فقال لصاحب الجوهرة: خذ عكازتي هذه فاحفظها لي حتى أتناول السلسلة، ثم أتاها فتناولها بعد أن قال: أللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها علي قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة، ثم مد يده فتناولها، فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة. قال الضحاك والكلبي: ملك داود بعد أن قتل جالـوت سبعين سنة، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود، وجمع الله لداود بين الملك والنبوة، ولم يجتمع ذلك لأحد من قبله، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط، وقبضه الله تعالى وهو ابن مائة سنة ﷺ.

قال الحافظ الدمياطي: ودرعان أصابهما من بني قينقاع، فهذه تسع أدرع. وكان ﷺ قد لبس يوم أحد فضة وذات الفضول، ويوم حنين ذات الفضول والسغدية والله أعلم.

**الخروف**: معروف، وهو الحمل وربما سمي به المهر إذا بلغ ستة أشهر. حكاه الأصمعي. وفي الميزان للإمام الذهبي، في ترجمة عثمان بن صالح السهمي، أنه روي عن ابن لهيعة عن موسى بـن وردان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. قال: مرت بالنبـي ﷺ نعجة فقال: «هذه التي بورك فيها وفي خروفها». قال أبو حاتم: هذا حديث موضوع أي كذب.

**الأمثال**: قالوا(1): «كالخروف يتقلب على الصوف». يضرب للرجل المكفي المؤنة.

**التعبير**: الخروف في الرؤيا يدل على ولد ذكر طائع لوالديه، فمن وهب له خروف وله امرأة حامل أتاه ولد ذكر وجميع الصغار من الحيوان في الرؤيا هموم، لأنها تحتاج إلى كلفة في التربية هذا إذا لم ينسبوا إلى الأولاد. وقيل: الخروف دليل خير لمن أراد الموافقة في أمر يطلبه، لأن الخروف سريع الأنس إلى بني آدم، ومن ذبح خروفاً لغير الأكل مات ولده، والخروف المشوي السمين مال كثير والهزيل مال قليل. ومن أكل شواء خروف فإنه يأكل من كد ولده والله أعلم.

**الخزز**: بضم الخاء المعجمة وفتح الـزاي الأولى ذكر الأرانب الجمـع خزان مثـل صرد وصردان.

**الخشاش**: بفتح الخاء المعجمة هوام الأرض وحشراتها، وقيل: صغار الطير وحكى القاضي عياض فتح الخاء وضمها وكسرها. وحكى أبو علي الفارسي فيها الضم أيضاً، وجعل الزبيدي ضمها من لحن العامة. والفتح هو المشهور وواحد الخشاش خشاشة، وقيل: الخشاش دابة تكون

---

(1) المستقصى: ٢/٢٠٦.

في جحر الأفاعي والحيات منقطة بياض وسواد. وقيل: الخشاش الثعبان العظيم وقيل: حية مثل الأرقم وقيل حية خفيفة صغيرة الرأس، وفي الحديث[1] الصحيح: «أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلم تطعمها شيئاً ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض». أي هوامها وحشراتها، وقال الحسن بن عبد الله بن سعد الغسكري[2] في كتاب التحريف والتصحيف: الخشاش بالفتح النذل من كل شيء مثل الرخم من الطير وكل ما لا يصيد وأنشد[3].

خشاش الأرض أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزورُ

والمعروف في البيت بغاث الطير أكثرها فراخاً. روى ابن أبي الدنيا في كتاب مكايد الشيطان، من حديث أبي الدرداء، رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب، وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليه الحساب والعقاب. وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف كالملائكة فهم في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله». وقال وهيب ابن الورد، بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال له: أنصحك فقال له لا أريد ذلك، ولكن أخبرني عن بني آدم فقال: هم عندنا ثلاثة أصناف: صنف منهم هم أشد الأصناف عندنا نقبل على أحدهم حتى نفتنه عن دينه، ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة، فيفسد علينا كل شيء نصيبه منه، ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا، فنحن معه في عناء، وصنف منهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا مؤنة أنفسهم، وصنف منهم مثلك هم معصومون لا نقدر منهم على شيء.

**الخشاف**: لغة في الخفاش.

**الخشرم**: الزنابير. قال الأصمعي لا واحد له من لفظه.

**الخشف**: بضم الخاء وفتح الشين المعجمة الذباب الأخضر. والخشف بكسر الخاء وإسكان الشين المعجمة ولد الظبي بعد أن يكون جداية وقيل: هو خشف أوّل ما يولد والجمع خشفة. قال ابن سيده وروى جرير عن ليث قال: صحب رجل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فقال: أكون معك يا نبي الله وأصحبك، فانطلقا حتى أتيا إلى شط نهر، فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقي رغيف، فقام عيسى عليه الصلاة والسلام إلى النهر، فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف، فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري. قال: فانطلق ومعه صاحبه. فرأى ظبية ومعها خشفان لها، فدعا أحدهما فأتاه فذبحه وشوى من لحمه وأكل هو والرجل، ثم قال للخشف: قم بإذن الله فقام وذهب. فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري فسارا حتى انتهيا إلى نهر، فأخذ عيسى بيد الرجل ومشيا

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق: ١٦. ومسلم في التوبة: ٢٥. وابن ماجه في الزهد: ٣٠. والدارمي في الرقاق: ٩٣. وابن حنبل: ٢/٢٦١، ٢٦٩.

(٢) العسكري: الحسن بن عبد الله بن إسماعيل، أبو أحمد فقيه أديب محدّث بغدادي. مات سنة ٣٨٢ هـ.

(٣) البيت في الحيوان للجاحظ: ٦١/٧، ٧٠. وفيه: «بغاث الطير أكثرها فروخاً، وأم الباز».

على الماء، فلما جازا قال عيسى: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري. فسارا حتى انتهيا إلى مفازة فجلسا، فأخذ عيسى تراباً ورملاً وقال كن ذهبا بإذن الله فكان ذهبا، فقسمه عيسى ثلاثة أثلاث، ثم قال: ثلث لي وثلث لك وثلث للذي أخذ الرغيف. فقال الرجل: أنا أخذته قال عيسى: كله لك. ثم فارقه عيسى عليه السلام وذهب ومكث هو عند المال في المفازة، فانتهى إليه رجلان فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً ثم قال: فابعثا أحدكما إلى القرية ليشتري لنا طعاماً فقال الذي بعث: لأي شيء اقاسمهما المال؟ لأجعلن لهما في الطعام سما فاقتلهما ففعل. وقال صاحباه في غيبته: لأي شيء نقاسمه المال؟ إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال نصفين. فلما جاء قاما إليه وقتلاه، ثم أكلا الطعام فماتا وبقي المال في المفازة وأولئك الثلاثة قتلى حوله فمر عيسى عليه الصلاة والسلام بهم. وهم على تلك الحالة، فقال لأصحابه: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها.

الخضاري: طائر يسمى الأخيل قاله الجوهري. وقد تقدم في باب الهمزة.

الخضرم: كعلبط ولد الضب.

الخضيراء: طائر معروف عند العرب.

الخطاف: بضم الخاء المعجمة جمعه خطاطيف ويسمى زوار الهند وهو من الطيور القواطع إلى الناس، تقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة في القرب منهم ثم إنها تبني بيوتها في أبعد المواضع عن الوصول إليها، وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة، لأنه زهد ما في أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يتقو بالذباب والبعوض. وفي الحديث الحسن، الذي رواه ابن ماجه وغيره، عن سهل بن سعد الساعدي، أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس[1]». فأما كون الزهد في الدنيا سبباً لمحبة الله تعالى فلأنه تعالى يحب من أطاعه ويبغض من عصاه، وطاعة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا، وأما كونه سبباً لمحبة الناس فلأنهم يتهافتون على محبة الدنيا، وهي جيفة منتنة وهم كلابها، فمن زاحمهم عليها أبغضوه، ومن زهد فيها أحبوه كما قال[2] الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وقد أحسن القائل في وصف الخطاف:

كن زاهداً فيما حوته يد الورى تضحي إلى كل الأنام حبيبا؟
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم أضحى مقيماً في البيوت ربيبا

سماه ربيبا لأنه يألف البيوت العامرة دون الخربة، وهو قريب من الناس ومن عجيب أمره أن عينه تقلع ثم ترجع ولا يرى واقفاً على شيء يأكله أبدا ولا مجتمعاً بأنثاه، والخفاش يعاديه فلذلك

(١) رواه ابن ماجه في الزهد: ١.

(٢) ديوان الشافعي ٣٠.

إذا فرخ يجعل في عشه قضبان الكرفس فلا يؤذيه إذا شم رائحته ولا يفرخ في عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ويبني عشه بناء عجيبا. وذلك أنه يهيىء الطين مع التبن فإذا لم يجد طيناً مهيئاً ألقى نفسه في الماء ثم يتمرغ في التراب حتى يمتلىء جناحاه، ويصير شبيها بالطين، فإذا هيأ عشه جعله على القدر الذي يحتاج إليه هو وأفراخه ولا يلقي في عشه زبلاً بل يلقيه إلى خارج، فإذا كبرت فراخه علمها ذلك. وأصحاب اليرقان يلطخون فراخ الخطاف بالزعفران فإذا رآها صفراء ظن أن اليرقان أصابها من شدة الحر فيذهب فيأتي بحجر اليرقان من أرض الهند، فيطرحه على فراخه، وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد يعرف بحجر السنونو فيأخذه المحتال فيعلقه عليه أو يحكه ويشرب من مائه يسيرا فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. والخطاف متى سمع صوت الرعد يكاد أن يموت، وقال ارسطو في كتاب النعوت: الخطاطيف إذا عميت أكلت من شجرة يقال لها عين شمس فيرد بصرها لما في تلك الشجرة من المنفعة للعين وفي رسالة القشيري في آخر باب المحبة أن خطافاً راود خطافة على قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فامتنعت منه، فقال لها: أتمتنعين علي ولو شئت لقلبت القبة على سليمان، فسمعه سليمان فدعاه وقال لـه ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا نبي الله العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم قال: صدقت.

فائدة: ذكر الثعلبي وغيره في تفسير سورة النمل أن آدم عليه الصلاة والسلام، لما أخرج من الجنة اشتكى إلى الله تعالى الوحشة، فآنسه الله تعالى بالخطاف، وألزمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم أنسالهم. قال: ومعها أربع آيات من كتاب الله عز وجل وهي[1] ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً﴾ إلى آخر السورة، وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم. والخطاطيف أنواع: منها نوع يألف سواحل البحر يحفر بيته هناك، ويعشش فيه، وهو صغير الجثة دون عصفور الجنة، ولونه رمادي والناس يسمونه سنونو بضم السين المهملة ونونين. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين المهملة، ومنها نوع أخضر على ظهره بعض حمرة أصغر من الذرة يسميه أهل مصر الخضيري، لخضرته يقتات الفراش والذباب ونحو ذلك، ومنها نوع طويل الأجنحة رقيقها يألف الجبال، ويأكل النمل، وهذا النوع يقال له السمائم مفرده سمامه، ومنهم من يسمي هذا النوع السنونو الواحدة سنونوة، وهو كثير في المسجد الحرام يعشش في سقفه في باب إبراهيم وباب بني شيبة. وبعض الناس يزعم أن ذلك هو الطير الأبابيل الذي عذب الله تعالى به أصحاب الفيل. روى نعيم بن حماد عن الحسن رضي الله عنه، قال: دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه، وعنده غلمان كأنهم الدنانير، أو الأقمار حسناً فجعلنا نتعجب من حسنهم، فقال عبد الله كأنكم تغبطوني بهم؟! فقلنا: والله إن مثل هؤلاء يغبط بهم الرجل المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير، قد عشش فيه الخطاف وباض، فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي من تراب قبورهم، أحب إلي من أن يخرج عش هذا الطائر فينكسر بيضه. قال ابن المبارك: إنما قال ذلك خوفاً عليهم من العين. قال أبو إسحاق الصابي يصف الخطاف:

وهندية الأوطان زنجية الخلق ... مسودّة الألوان محمرة الحدقْ
إذا صرصرت صرت بآخر صوتها ... حداد فأذرت من مدامعها العلق

(١) سورة الحشر: الآية ٢١.

كأن بها حزناً وقد لبست له كما صر ملوي العود بالوتر الحزق

تصيف لدينا ثم تشتو بأرضها ففي كل عام نلتقي ثم نفترق

الحكم: يحرم أكل لحم الخطاطيف لما روى أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية وهو من التابعين عن النبي ﷺ أنه نهى عن قتل الخطاطيف وقال: «لا تقتلوا هذه العوذ إنها تعوذ بكم من غيركم». ورواه البيهقي وقال: إنه منقطع. قال: ورواه إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق عن أبيه، قال: «نهى رسول الله ﷺ عن قتل الخطاطيف عوذ البيوت». ومن هذه الطريق رواه أبو داود في مراسيله، قال البيهقي: وهو منقطع أيضاً. لكن صح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما موقوفاً عليه، أنه[1] قال: «لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح. ولا تقتلوا الخطاف فإنه لما خرب بيت المقدس، قال: يا رب سلطني على البحر حتى أغرقهم». قال البيهقي: اسناده صحيح. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الضادالمعجمةفي الحديث[2] «إن النبي ﷺ نهى عن الجلالة والمجثمة والخطفة». بإسكان الطاء وفيها تأويلان أحدهما أن الخطفة ما اختطفه السبع من الحيوانات فأكله حرام. قاله ابن قتيبة: الثاني إن النهي عما يختطف بسرعة ومنها سمي الخطاف لسرعة اختطافه. قاله ابن جرير الطبري ونقله عنه في الحاوي. فعلى هذا يحرم كل ما كان يتقوت بما يختطفه، ولأنه يتقوت من الخبائث قال الماوردي: كل ما كان مستخبثاً كالخطاطيف والخفافيش فأكله حرام لخبث لحمه. وقال محمد بن الحسن رضي الله عنه: إنه حلال لأنه يتقوت بالحلال غالباً قال أبو عاصم العبادي: وهذا محتمل على أصلنا. وإليه مال أكثر أصحابنا. وحكاه في شرح المهذب قولاً عن حكاية البندنيجي.

الخواص: قال ارسطو: إن أخذت عين الخطاف وجعلت في خرقة، وشدت على سرير فمن صعد على ذلك السرير لم ينم. وإن أخذت وجففت وسحقت بدهن طيب، فأي امرأة شربت منه أحبت الساقي. وإن أخذت وسحقت بدهن زنبق ومسحت به سرة امرأة نفساء نفعتها. وقلبه إذا سحق بعد تجفيفه وشرب هيج الباه. ودمه إذا سقيت منه امرأة، وهي لا تعلم، سكن عنها شهوة الجماع. وإن ضمد به اليافوخ سكن الصداع الحادث من الأخلاط. وزبله يسحق ويطلى به على الدبيلة تبرأ. ومرارته تسود الشعر الأبيض شرباً، وينبغي أن يملأ الشارب فمه حليباً لئلا تسود أسنانه. ولحمه يورث السهر لآكله وفي رأس الخطاف حصاة فيها منافع شتى، وكل خطاف يبلع تلك الحصاة فمن ظفر بها وحملها معه وقته السوء، وكانت له وسيلة إلى من يحب حتى لا يقدر على رده. قال الاسكندر: يوجد عند أول بطن من بطون الخطاطيف في أعشاشها، أول ما يبرزن ويظهرن في العش، حجران أبيضان أو أبيض وأحمر، إن وضع الأبيض على المصروع أفاق، وإن وضع على المعقود حله، والأحمر إن علق على من به عسر البول أبرأه، وربما وجد هذان الحجران مختلفي الأحوال أحدهما طويل والآخر ململم إن جعلا في جلد عجل وعلقا على من به وسواس وتخيل أبرأه. ولا يوجدان إلا في العش الذي يكون في ناحية المشرق

---

(١) رواه الدارمي-في الأضاحي: ٢٦.

(٢) رواه الدارمي في الأضاحي: ١٨، وابن حنبل: ٥/١٩٥، ٦/٤٤٥.

دون غيره، وهو عجيب مجرب وقال ابن الدقاق: إن أخذ الطين من عشه، وأديف[1] بالماء وشرب أدر البول، مجرب نافع.

التعبير: الخطاف في المنام يؤول برجل أو امرأة ومال وولد قارىء لكتاب الله تعالى، ويؤول بمال مغصوب. فمن رأى أنه أخذ خطافاً اتخذ مالاً حراماً، وذلك لأن إسمه خطاف، وهو بمنزلة الخطف. ومن رأى أن بيته قد امتلأ خطاطيف، نال مالاً حلالاً لأنه نماء خطفه. وقيل: الخطاف رجل أديب أنيس ورع، فمن رأى كأنه استعاره من غيره فإنه يأنس إلى شخص، ومن أخذه فإنه يظلم امرأة. وقالت النصارى: من أكل لحم خطاف في المنام، فإنه يقع في خصومة. ومن رأى الخطاطيف تخرج من داره تفرق عنه اقرباؤه من جهة سفر، وربما دل الخطاف على الأشغال والأعمال لأنه يظهر في زمن البطالة، وصوت الخطاطيف تنبيه على عمل الخير لأنه كالتسبيح، وربما دل على امرأة صاحبة أمانة. وقال جاماسب: من صاد خطافاً أدخلت اللصوص عليه والله تعالى أعلم.

**الخَطَّاف**: بفتح الخاء وتشديد الطاء، سمكة ببحر سبتة لها جناحان على ظهرها أسودان، تخرج من الماء وتطير في الهواء ثم تعود إلى البحر قاله أبو حامد الأندلسي.

**الخفاش**: بضم الخاء وتشديد الفاء واحد الخفافيش التي تطير في الليل، وهو غريب الشكل والوصف والخفش صغر العين وضيق البصر.

**فائدة**: الأخفش صغير العين ضعيف البصر وقيل: وهو عكس الأعشى وقيل: هو من يبصر في الغيم دون الصحو. وقال الجوهري: هو نوعان والأعشى من يبصر نهاراً لا ليلاً والعمش ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات والعور معروف.

**تتمة**: في كل عين نصف دية ولو عين أحول وأخفش وأعمش وأعور وأعشى وأجهرو نحوهم لأن المنفعة باقية في أعين هؤلاء ومقدار المنفعة لا ينظر إليه كما لا ينظر إلى قوة البطش والمشي وضعفهما. وكذا من بعينه بياض لا ينقص الضوء فإنه يكون كالثآليل في اليد سواء كان على بياض الحدقة أو سوادها وكذا لو كان على الناظر، إلا أنه رقيق لا يمنع الأبصار، ولا ينقص الضوء. هذا ما نص عليه الشافعي رضي الله تعالى عنه، وجرى عليه الأئمة ولم يفرقوا بين حصول ذلك بأفة سماوية أو جناية، فإن نقص فبقسطه، إن أمكن ضبط ذلك النقصان بالصحيحة التي لا بياض بها، وإن لم يمكن ضبط النقص الحاصل بالجناية فالواجب فيه الحكومة وفارق الأعمش ونحوه فإن البياض نقص الضوء الخلقي وعين الأعمش لا ينقص ضوؤها عما كان في الأصل. وهذا الفرق يفهمك أن العمش لو تولد من آفة أو جناية لا يجب في العين كمال الدية فإن سلم قيد به ذلك الاطلاق السابق.

**فرع**: ليس في عين الأعور السليمة! إلا نصف الدية عندنا. قال ابن المنذر: وروي

---

(١) أداف: أذاب وخلط.

عن عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما أن فيها الدية، وبه قال عبد الملك بن مروان والزهري وقتادة ومالك والليث والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه انتهى. قال البطليوسي: الخفاش له أربعة أسماء: خفاش وخشاف وخطاف ووطواط، وتسميته خفاشاً يحتمل أن تكون مأخوذة من الخفش والأخفش في اللغة نوعان: ضعيف البصر خلقه، والثاني لعلة حدثت وهو الذي يبصر بالليل دون النهار وفي يوم الغيم دون يوم الصحو انتهى. وذكر الجاحظ أن إسم الخفاش يقع على سائر طير الليل، فكأنه راعي العموم، وكون الوطواط هو الخفاش هو الذي ذكره ابن قتيبة وأبو حاتم في كتاب الطير الكبير. وما ذكره البطليوسي من أن الخفاش هو الخطاف فيه نظر، والحق أنهما صنفان وهو الوطواط. وقال قوم: الخفاش الصغير والوطواط الكبير وهو لا يبصر في ضوء القمر ولا في ضوء النهار غير قوي البصر قليل شعاع العين كما قال الشاعر:

مثل النهار يزيد أبصار الورى نورا ويعمي أعين الخفاش

ولما كان لا يبصر نهاراً التمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض، فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته، وهو دماء الحيوان، والخفاش يخرج طالباً للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم. والخفاش ليس هو من الطير في شيء فإنه ذو أذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطهر، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده ولا ريش له. قال: بعض المفسرين: لما كان الخفاش هو الذي خلقه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بإذن الله تعالى كان مبايناً لصنعة الخالق. ولهذا سائر الطيور تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله وما لا يأكل اللحم قتله، فلذلك لا يطير إلا ليلاً. وقيل لم يخلق عيسى غيره لأنه أكمل الطير خلقاً. وهو أبلغ في القدوة لأن له ثدياً وآذاناً وأسناناً ويحيض كما تحيض المرأة. قال وهب بن منبه: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق، وليعلم أن الكمال لله تعالى. وقيل: إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه من أعجب الطير خلقية، إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع التقلب، يقتات البعوض والذباب، وبعض الفواكه وهو مع ذلك موصوف بطول العمر فيقال: إنه أطول عمراً من النسر ومن حمار الوحش، وتلد انثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة، وكثيراً ما يسفد وهو طائر في الهواء وليس في الحيوان ما يحمل ولده غيره والقرد والإنسان، ويحمله تحت جناحه وربما قبض عليه بفيه وذلك من حنوه وإشفاقه عليه، وربما أرضعت الأنثى ولدها وهي طائرة وفي طبعه إنه متى أصابه ورق الدلب خدر ولم يطر، ويوصف بالحمق، ومن ذلك أنه إذا قيل له: اطرق كرى، الصق بالأرض.

الحكم: يحرم أكله لما رواه أبو الحويرث مرسلاً أن النبي ﷺ نهى عن قتله، وقيل: إنه لما خرب بيت المقدس، قال: رب سلطني على البحر حتى أغرقهم، وسئل عنه الإمام أحمد فقال: ومن يأكله؟ قال النخعي: كل الطير حلال إلا الخفاش. قال الروياني: وقد حكينا في الحج خلاف هذا فيحتمل قولين، وعبارة الشرح والروضة يحرم الخفاش قطعاً. وقد يجري فيه الخلاف مع

أنهما قد جزماً في كتاب الحج بوجوب الجزاء فيه، إذا قتله المحرم، وإن الواجب فيه القيمة مع تصريحهما بأن ما لا يؤكل لا يفدى على أن الرافعي مسبوق بذلك، فأول من ذكره صاحب التقريب وأشعر كلامه بأن الشافعي رضي الله تعالى عنه ذكره. وذكر المحاملي أن اليربوع لا يحل أكله، ويجب فيه الجزاء في أصح القولين وهو غريب، ولم يزل الناس يستشكلون ما وقع في الرافعي من ذلك. وليس بمشكل فهو يتبين بمراجعة كلام الروياني فإنه قال:

فرع: قال في الأم: الوطواط فوق العصفور ودون الهدهد، وفيه إن كان مأكولاً قيمته. وذكر عن عطاء أنه قال: فيه ثلاثة دراهم انتهى. فاتضح إن المسألة منصوصة للشافعي رضي الله تعالى عنه، وأنه علق وجوب الجزاء على القول بحل أكله، ثم تتبعت كلام عطاء المذكور فوجدت الأزهري قد نقل عنه أنه يجب فيه إذا قتله المحرم ثلثاً درهم. قال أبو عبيد قال الأصمعي: الوطواط هو الخفاش. وقال أبو عبيدة: الأشبه عندي أنه الخطاف. قلت: وأيا كان فهو غير مأكول.

**الخواص**: إذا وضع رأسه في حشو مخدة، فمن وضع رأسه عليها لم ينم، وإن طبخ رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق، ويغمز فيه مراراً حتى يتهرى ويصفى ذلك الدهن عنه، ويدهن به صاحب النقرس، والفالج القديم والارتعاش، والتورم في الجسد والربو، فإنه ينفعه ذلك ويبرئه وهو عجيب مجرب. وإن ذبح الخفاش في بيت وأخذ قلبه، وأحرق فيه لم يدخله حيات ولا عقارب، وإن علق قلبه وقت هيجانه على إنسان هيج الباه. وعنقه إذا علق على إنسان أمن من العقارب، ومن مسح بمرارته فرج امرأة قد عسرت ولادتها، ولدت لوقتها، ومن أخذت من النساء من شحمه لرفع الدم ارتفع عنها. وإن طبخ الخفاش ناعماً حتى يتهرى، ومسح به الإحليل أمن من تقطير البول، وإن صب من مرق الخفاش وقعد فيه صاحب الفالج انحل ما به. وزبله إذا طلي به على القوابي قلعها، ومن نتف ابطه وطلاه بدمه مع لبن أجزاء متساوية لم ينبت فيه شعر وإذا طلي به عانات الصبيان قبل البلوغ منع من نبات الشعر فيها.

**التعبير**: الخفاش في المنام رجل ناسك، وقال ارطيا ميدروس: إن رؤيته تدل على البطالة وذهاب الخوف لأنه من طيور الليل ولا يؤكل لحمه وهو دليل خير للحبلى بأنها تلد ولادة سهلة ولا تحمد رؤيته للمسافر براً وبحراً، وتدل رؤيته على خراب منزل من يدخل إليه وقيل: الخفاشة في المنام امرأة ساحرة والخفاش تدل رؤيته على رجل حيران ذي حرمان والله أعلم.

**الخنان**: كرمان الوزغة، وفي حديث علي كرم الله وجهه أنه قضى قضاء، فاعترف[١] عليه بعض الحرورية فقال له: اسكت يا خُنان ذكره الهروي وغيره.

**الخلنبوص**: بفتح الخاء المعجمة واللام وإسكان النون وضم الباء الموحدة طائر أصغر من العصفور على لونه وشكله.

**الخلد**: بضم الخاء ونقل في الكفاية عن الخليل بن أحمد فتح الخاء وكسرها قال الجاحظ:

---

(١) هكذا في الأصل ولعله «اعترض».

هو دويبة عمياء صماء لا تعرف ما بين يديها إلا بالشم، فتخرج من جحرها، وهي تعلم أن لا سمع لها ولا بصر، فتنفخ فاها وتقف عند جحرها، فيأتي الذباب فيقع على شدقها، ويمر بين لحييها فتدخله جوفها بنفسها، فهي تتعرض لذلك في الساعات التي يكون فيها الذباب أكثر. وقال غيره: الخلد فأر أعمى لا يدرك إلا بالشم. قال ارسطو في كتاب النعوت: كل حيوان له عينان إلا الخلد، وإنما خلق كذلك لأنه ترابي جعل الله له الأرض كالماء للسمك، وغذاؤه من بطنها وليس له في ظهرها قوة ولا نشاط، ولما لم يكن له بصر، عوضه الله حدة حاسة السمع فيدرك الوطء الخفي من مسافة بعيدة، فإذا أحس بذلك جعل يحفر في الأرض، قال: والحيلة في صيده أن يجعل له في جحره قملة، فإذا أحس بها وشم رائحتها، خرج إليها ليأخذها وقيل: إن سمعه بمقدار بصر غيره. وفي طبعه الهرب من الرائحة الطيبة، ويهوى رائحة الكراث والبصل، وربما صيد بهما فإنه إذا شمهما خرج إليهما، وهو إذا جاع فتح فاه فيرسل الله تعالى له الذباب فيسقط عليه فيأكله، وذكر بعض المفسرين، أن الخلد هو الذي خرب سد مأرب، وذلك أن قوم سبأ كانت لهم جنتان، أي بستانان عن يمين من يأتيها وشماله. قال[1] الله تعالى لهم: ﴿**كلوا من رزق ربكم واشكروا له**﴾ أي على ما أنعم به عليكم. وكانت بلدتهم طيبة لا يرى فيها بعوض ولا برغوث، ولا عقرب ولا حية، ولا ذباب، وكان الركب يأتون وفي ثيابهم القمل وغيره، فإذا وصلوا إلى بلادهم ماتت. وكان الإنسان يدخل البستان والمكتل على رأسه، فيخرج وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن يتناول منها شيئاً بيده. فبعث الله لهم ثلاثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم. وأنذروهم عقابه فأعرضوا وقالوا: ما نعرف لله علينا من نعمة وكان لهم سدّ بنته بلقيس، لما ملكتهم، وبنت دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجاً على عدد أنهارهم، فكان الماء يقسم بينهم على ذلك. فلما كان من شأنها مع سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان، مكثوا مدّة بعدها ثم طغوا وبغوا وكفروا فسلط الله عليهم جرذاً أعمى، يقال له الخلد، فنقب السد من أسفله فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم. وكانوا يزعمون في علمهم وكهانتهم أن سدهم ذلك تخربه فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة، فلما جاء الوقت الذي أراد الله تعالى، أقبلت فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرار، فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها، ونقبت وحفرت، فلما جاء السيل وجد خللاً، فدخل فيه حتى قلع السد، وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم بالرمل.

وروي: عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ووهب غيرهما انهم قالوا: كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء أوديتهم، فأمرت بواديهم فسد بالعرم، وهو بلغة حمير، فسدت بين الجبلين بالصخر والقار، وجعلت له أبواباً ثلاثة: بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها إثني عشر مخرجاً على عدد أنهارهم، يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن، فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب

(١) سورة سبأ: الآية ١٥.

الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة، فكانت تقسمه بينهم على ذلك والله أعلم.

ونقل: الإمام أبو الفرج بن الجوزي عن الضحاك، أن الجرذ الذي خرب سد مأرب كان له مخاليب وأنياب من حديد، وأن أول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدي وكان سيدُهم وكان قد رأى في المنام، كأنه انبثق عليه الردم، فسال الوادي، فأصبح مكروباً فانطلق نحو الردم، فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد، ويقرض بأنياب من حديد، فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل بنيه فنظروا، فلما رجعوا قال: هل رأيتم ما رأيت قالوا نعم قال: فإن هذا الأمر ليس لنا إلى إذ هابه من سبيل. وقد اضمحلت الحيلة فيه لأن الأمر من الله، وقد آذن الله بالهلاك ثم إنه عمد إلى هرة فأخذها، وأتى إلى الجرذ فصار الجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة، فولت الهرة هاربة فقال عمرو لأولاده: احتالوا لأنفسكم فقالوا: يا أبت كيف نحتال؟ فقال: إني محتال لكم بحيلة قالوا: افعل فدعا أصغر بنيه وقال له: إذا جلست في المجلس، واجتمع الناس على العادة، وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون برأيه، فإني آمرك بأمر فتغافل عنه، فإذا شتمتك فقم إلي والطمني. ثم قال لأولاده: فإذا فعل ذلك فلا تنكروا عليه، ولا يتكلم أحد منكم، فإذا رأى الجلساء فعلكم لم يجسر أحد منهم أن ينكر عليه، ولا يتكلم فأحلف أنا عند ذلك يميناً لا كفارة لها، أن لا أقيم بين أظهر قوم قام إليّ أصغر بني فلطمني فلم يغيروا. فقالوا: نفعل ذلك فلما جلس واجتمع الناس إليه أمر ابنه الصغير ببعض أمره، فلها عنه فشتمه، فقام إليه ولطم وجهه فعجب الجماعة من جراءة ابنه عليه، وظنوا أن أولاده يغيرون عليه فنكسوا رؤسهم! فلما لم يغر أحد منهم، قام الشيخ وقال: أيلطمني ولدي وأنتم سكوت! ثم حلف يميناً لا كفارة لها أن يتحول عنهم، ولا يقيم بين أظهر قوم لم يغيروا عليه، فقام القوم يعتذرون إليه وقالوا له: ما كنا نظن أن أولادك لا يغيرون، فذاك الذي منعنا. فقال: قد سبق مني ما ترون وليس إلي غير التحول من سبيل. ثم أنه عرض ضياعه للبيع، وكان الناس يتنافسون فيها، واحتمل بثقله وعياله وتحول عنهم، فلم يلبث القوم إلا يسيراً حتى أتى الجرذ على الردم، فاستأصله فبينما القوم ذات ليلة بعدما هدأت العيون، إذا هم بالسيل فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم، فذلك قوله[1] تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وفي العرم أقوال: قيل: هو المسناة أي السد. قاله قتادة. وقيل: هو إسم الوادي، قال السهيلي. وقيل: إسم الخلد الذي خرق السد. وقيل هو السيل الذي لا يطاق. وأما مأرب فبسكون الهمزة إسم لقصر كان لهم. وقيل: هو إسم لكل ملك كان على سبأ، كما أن تبعا إسم لكل من ولي اليمن والشحر وحضرموت، قاله المسعودي. وقال السهيلي: وكان السد من بناء سبأ بن يشجب، وكان قد ساق إليه سبعين وادياً ومات من قبل أن يتمه فاتمته ملوك حمير. وإسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان. قيل: إنه أول من سبي فسمي سبأ. وقيل: إنه أول من تتوج من ملوك اليمن، وقال المسعودي: بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخاً في فرسخ، وجعل له ثلاثين شعباً فأرسل الله عليه سيل العرم، وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلاً. فقالوا: «تفرقوا أيدي سبأ وأيادي

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٦.

سبأ». قال الشعبي: لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد، فأما غسان. فلحقوا بالشأم، والأزد إلى عُمان، ومر خزاعة إلى تمامة وجذيمة إلى العراق، والأوس والخزرج إلى يثرب، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج.

روى: أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيفي قال: قال رجل: يا رسول الله أخبرني عن سبأ أكان رجلاً أو امرأة أو أرضاً؟ فقال ﷺ: «كان رجلاً من العرب، وله عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة، فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير. فقال الرجل: وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة. وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان.

ومن الفوائد المجربة: أن يكتب للخلد الذي يطلع في الدواب، ويعلق في أذن الدابة اليسرى: يا خلد سليمان بن داود ذكر عزرائيل على وسطك، وذكر جبرائيل على رأسك، وذكر اسرافيل على ظهرك، وذكر ميكائيل على بطنك لا تدب ولا تسعى ألا أيبس كما يبس لبن الدجاج وقرن الحمار بقدرة العزيز القهار. وهذا قول عزرائيل وجبرائيل واسرافيل وميكائيل، وملائكة الله المقربين، الذين لا يأكلون ولا يشربون، إلا بذكر الله هم يعيشون اصباً وتآال شداي ايبس أيها الخلد من دابة فلان ابن فلانة أو من هذه الدابة بقدرة من يرى ولا يرى. ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا. كذلك يموت الخلد من دابة فلان ابن فلانة أو من هذه الدابة.

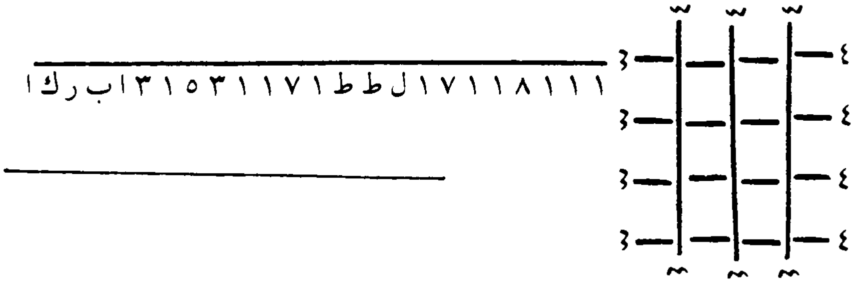


من الفوائد المجربة للخلد أيضاً، أن يكتب في ورقة ويعلق في عنق الفرس المخلود: طلعوا ستة وستين ملكاً إلى جبال القدس لقوا ثلاث شجرات الواحدة قطعت والثانية يبست والثالثة احترقت انقطع أيها الخلد ببركة سيهوم ديهوم دهوم بألف لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ج وج وج وارتفع ارتفع اه اه ل ط ا س ل ط ا س ل ط ا س ل ط ا س ل ط ا س ل ط ا س الله الله الله الله الله الله الله الله الله حم حم حم حم حم حم حم حم حم حم حم توكلت ل ا د هي ع ل ا ا على الله اللهم احفظ حامله ودابته بحرمة الرب العظيم والقرآن العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى.

**الحكم**: يحرم أكله لأنه نوع من الفأر وقال مالك: لا بأس بأكل الخلد والحيات إذا ذكى ذلك. وهذا أول مسألة في كتاب الذبائح من المدوّنة.

**الأمثال**: قالوا: «اسمع من خلد وأفسد من خلد».

**الخواص**: دمه إذا اكتحل به أبرأ العين، والدم الذي في ذنبه إذا طلي به الخنازير أذهبها، وشفته العليا إذا علقت على من بـه حمى الربيع أذهبتها، وإن أكل لحمه قبل طلوع الشمس مشوياً تعلـم آكله كـل شيء، ودماغـه إن جعل في قـارورة مع دهن ورد ودهن بـه الجرب، والقوابي[1] والكالف، والخزاز وكل شيء يظهر في الجسد أبرأه، قال الجاحظ: التراب الذي يخرجه الخلد من جحره يزعمون أنه يصلح لصاحب النقرس، إذا بل بالماء وطلي به ذلك المكان. وقال ارسطو: إذا غرق الخلد في ثلاثة أرطال ماء، ثم سقي منه إنسان تكلم بكل علم يسأل عنه، على سبيل الهذيان اثنين وأربعين يوماً. وقال يحيى بن زكريا: إذا غرق الخلد في ثلاثة أرطال ماء، وترك فيه حتى ينتفخ ثم يصفى من ذلك الماء، ويرمى عظمه، ويطبخ في قدر نحاس ويلقى عليه أربعة دراهم لبان ذكر، ومثله أفيون، ومثله كبريت، ومثله نشادر، بعد أن تدق هذه الحوائج مع أربعة أرطال عسل ويطبخ حتى يصير مثل الطلاء، ويجعل في اناء زجاج ثم يلعق على الريق، والشمس في الحمل إلى أن تدخل الأسد، ولا يأكل مستعمله شيئاً فيه زهومة، ويكون طاهراً صائماً، فمن فعل ذلك علمه الله تعالى كل شيء بقدرته.

**التعبير**: الخلد تدل رؤيته على العمى والنية والتبدد والحيرة والاختفاء وضيق الملك. وربما دلت رؤيته على حدة السمع لمن يشكو ضرراً من سمعه. إن رؤي مع ميت فهو في النار لقوله[2] عز وجل: ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ وربما كان في الجنة وسكن جنة الخلد والله تعالى أعلم.

**الخلفة**: الناقة الحامل وجمعها خلفات. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبـي ﷺ قال: «أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان قلنا نعم قال فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان[3]». وروي أيضاً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبـي ﷺ قال: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن، ولا أحد قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفها، ولا أحد قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها. قال: فغزا فدنا من القرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، واللهم احبسها علي فحبست عليه حتى فتح الله عليه». الحديث[4]. وهذا النبـي هو يوشع بن نون عليه السلام.

---

(١) القوابي: جمع القوباء: ما يظهر على الجسد ويخرج منه.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٤.

(٣) رواه الدارمي في الفضائـل: ١. مسلم في المسافـرين: ٢٥٠. وابن ماجـه في الأدب: ٥٢. وابن حنبل: ٣٩٧/٢ ـ ٤٦٦ ـ ٤٩٧.

(٤) رواه البخاري خمس: ٨، ومسلم جهاد: ٣، وابن حنبل: ٣١٨/٢.

**فائدة**: حبست الشمس مرتين لنبينا ﷺ: إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فردها الله تعالى عليه. كما رواه الطحاوي وغيره. والثانية صبيحة الإسراء حين انتظر العير التي أخبر بوصولها مع شروق الشمس وفي أواخر المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبـي ﷺ قال: «لو أخذ سبع خلفات بشحومهن، فألقين في شفير جهنم ما انتهين إلى قعرها سبعين عاماً». قال شيخ الإسلام الإمام الذهبي: إسناده صالح. والحكمة في التمثيل بالسبع إن ذلك عدد أبواب جهنم. وروى الشافعي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبـي ﷺ قال(1): «الا إن في قتيل الخطأ وقتيل السوط والعصا مائة من الإبل مغلظة، منها أربعون خلفة في بطونها أولادها». وإسناده ضعيف ومنقطع. وقال أبو حاتم: رواية ارساله أشبه. قال شيخ الإسلام النووي في تهذيبه: وهذا مما يستشكل لأن الخلفة هي التي في بطنها ولدها فإن قيل: فما الحكمة في قوله ﷺ: «في بطونها أولادها»؟ فجوابه من أربعة أوجه: أحدها أنه توكيد وإيضاح، والثاني أنه تفسير لها لا قيد، والثالث أنه نفي لوهم من يتوهم أن يكفي في الخلفة أن تكون حملت في وقت ما ولا يشترط حملها حالة دفعها في الدية، والرابع أنه إيضاح لحكمها وأنه يشترط في نفس الأمر أن تكون حاملاً ولا يكفي قول أهل الخبرة أنها خلفة إذا تبين إنه لم يكن في بطنها ولد. وذكر الرافعي أنه قيل: إن الخلفة تطلق أيضاً على التي ولدت وولدها يتبعها.

**فائدة أخرى**: الخطأ المحض هو أن لا يقصد ضربه، بل قصد شيئاً آخر فأصابه فمات منه، فلا قصاص عليه، بل تجب دية مخففة على عاقلته، مؤجلة إلى ثلاث سنين. وتجب الكفارة في ماله في الأنواع كلها. وشبه العمد أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثل ذلك الضرب غالباً بأن ضربه بعصا خفيفة أو حجر صغير ضربة أو ضربتين فمات، فلا قصاص فيه، بل تجب دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين. والعمد المحض هو أن يقصد قتل إنسان، بما يقصد به القتل غالباً، كالسيف والسكين، وما أشبه ذلك ففيه القصاص عند وجود التكافؤ، أو دية مغلظة في مال القاتل حالة. وعند أبي حنيفة، قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر ودية الحر المسلم مائة من الإبل، فإذا كانت الدية في العمد المحض، أو شبه العمد، فهي مغلظة بالسن، فيجب ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وأربعون خلفة في بطونها أولادها. وهو قول عمرو بن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما. وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعي للحديث المتقدم عن ابن عمر رضي الله عنهما. وذهب قوم إلى أن الدية المغلظة أرباع: خمس وعشرون بنت مخاض، وخمس وعشرون بنت لبون، وخمس وعشرون حقة، وخمس وعشرون جذعة. وهو قول الزهري وربيعة، وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة. وأما دية الخطأ فمخففة وهي أخماس بالاتفاق، غير أنهم اختلفوا في تقسيمها فذهب مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما إلى أنها عشرون بنت مخاض، وعشرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة. وبه قال عمر بن عبد العزيز

---

(1) رواه النسائي قسامة: ٣٣ ــ ٣٤. وأبو داود ديّات: ١٧ ـ ٢٤، وابن ماجه ديات: ٥. وابن حنبل: ٢ ــ ١١ ــ ١٠٣. ٣ ــ ٤١٠ ــ ٥ ــ ٤١٢.

وسليمان بن يسار وربيعة. وجعل أبو حنيفة وأحمد عوض بني اللبون بني المخاض. ويروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه. والدية في الخطأ وشبه العمد على العاقلة كما تقدم، وهو عصبات القاتل من الذكور، ولا يجب على الجاني منها شيء، لأن النبي ﷺ أوجبها على العاقلة. فإن عدمت الإبل فتجب قيمتها من الدراهم والدنانير في قول. وفي قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم. لما روي أن عمر رضي الله تعالى عنه فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثني عشر ألف درهم. وبه قال مالك وعروة بن الزبير والحسن البصري. وقال أبو حنيفة: إنها مائة من الإبل أو ألف دينار، أو عشرة آلاف درهم. وبه قال سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه.

فرع: ودية المرأة نصف دية الرجل. ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابياً، وإن كان مجوسياً فخمس الثلث. وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف، ودية المجوسي ثمانمائة درهم. وبه قال ابن المسيب والحسن البصري رضي الله تعالى عنهما. وإليه ذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه، وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم، وهو قول ابن مسعود وسفيان الثوري وأصحاب الرأي. وقال عمر بن عبد العزيز: دية الذمي نصف دية المسلم، وهو قول مالك وأحمد. وأما دية الأطراف فمبسوطة في كتب الفقه.

تذنيب: قوله[1] تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ الآية. قال أهل التفسير: إنها نزلت في مقيس بن سبابة، وذلك أنه لما قتل أخوه هشام بن صبابة في بني النجار، ولم يعلموا له قاتلاً، وأعطوه ديته مائة من الإبل ثم انصرف هو والفهري إلى رسول الله ﷺ راجعين نحو المدينة، فأتى الشيطان مقيساً ووسوس إليه فقال: تقبل دية أخيك فتكون عليك وصمة ومسبة، فاقتل الرجل الذي معك، فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية، فغفل الفهري عن نفسه، فرماه مقيس بصخرة فشدخه. ثم ركب بعيراً من إبل الدية وساق باقيها ورجع إلى مكة كافراً فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية. ومقيس هذا هو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح مكة ممن أمنه، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة. وقد اختلف في حكم هذه الآية فروى البغوي وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قاتل المؤمن عمداً لا توبة له. وقال زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه لما نزلت الآية التي في الفرقان وهي قوله[2] تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر، ثم نزلت الغليظة فنسخت الغليظة اللينة، وأراد بالغليظة هذه الآية وباللينة آية الفرقان. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: آية الفرقان مكية وآية النساء مدنية، لم ينسخها شيء والذي عليه جمهور المفسرين، وهو مذهب أهل السنة قاطبة، أن توبة قاتل المسلم عمداً مقبولة لقوله[3] تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فهو تشديد ومبالغة في الزجر عن القتل. كما روي عن سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن المؤمن إذا لم يقتل

(١) سورة النساء: الآية ٩٣.	(٢) سورة الفرقان: الآية ٦٨.	(٣) سورة النساء: الآية ٤٨.

يقال له لا توبة لك، وإن قتل يقال له توبة. وروي مثله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وليس في الآية مستند لمن يقول بالتخليد في النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت في قاتل كافر هو مقيس بن صبابة. كما تقدم. وقيل: إنه وعيد لمن قتل مؤمناً مستحلاً لقتله بسبب إيمانه. ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافراً مخلداً في النار. وروي أن عمرو بن عبيد قال لأبي عمرو بن العلاء، هل يخلف الله وعده؟ فقال أبو عمرو: لا. فقال: أليس قال(1) الله عزّ وجلّ: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ فقال له أبو عمرو: أمن العجم أنت يا أبا عثمان؟ ألم تعلم أن العرب لا تعد الاخلاف في الوعيد خلفاً وذماً، وإنما تعد اخلاف الوعد خلفاً وذماً وأنشد قائلاً:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعدي

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد في النار ما روى البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه، وكان قد شهد بدراً، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أن رسول الله ﷺ قال(2)، وحوله أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستر الله عليه، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه قال فبايعناه على ذلك». وما روي أيضاً في الحديث الصحيح أنه ﷺ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة والله الموفق.

**الخمل**: بالتحريك ضرب من السمك قاله ابن سيده.

**الخنتعة**: كقنفذة الأنثى من الثعالب قاله الأزهري.

**الخندع**: كجندب زنة ومعنى صغار الجنادب وقال في المحكم: إنه الخفاش في بعض اللغات.

**الخنزير البري**: بكسر الخاء المعجمة جمعه خنازير وهو عند أكثر اللغويين رباعي وحكى ابن سيده عن بعضهم إنه مشتق من خزر العين لأنه كذلك ينظر. فهو على هذا ثلاثي يقال تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر، كقولك: تعامى وتجاهل، قال عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه في يوم صفين:

إذا تخازرت وما بي من خزر ... ثم كسرت الطرف من غير حورْ
ألفيتي ألوي بعيد المستمر ... كالحية الصماء في أصل الشجرْ

---

(1) سورة النساء: الآية ٩٣.

(2) رواه مسلم إيمان: ١٥٠ ــ ١٥٣. زكاة ٣٢ ـ ٣٣ والبخاري: علم ٤٩. خبائز: ١ ــ توعيد: ٣٣. رفاق: ١٣ ــ ١٤. ورواه الترمذي إيمان: ١٨. النسائي صلاة ١. ابن ماجه ديات: ١. أحمد: ١/٣٧٤.

أحمل ما حملت من خير وشرّ.

وكنية الخنزير أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وأبو عتبة وأبو علية وأبو قادم، وهو يشترك بين البهيمية والسبعية، فالذي فيه من السبع الناب وأكل الجيف، والذي فيه من البهيمية الظلف وأكل العشب والعلف، وهذا النوع يوصف بالشبق، حتى إن الأنثى منه يركبها الذكر وهي ترتع، فربما قطعت أميالاً وهو على ظهرها، ويرى أثر ستة أرجل، فمن لا يعرف ذلك يظن أن في الدواب ماله ستة أرجل. والذكر من هذا النوع يطرد الذكور عن الإناث، وربما قتل أحدهما صاحبه، وربما هلكا جميعاً. وإذا كان زمن هيجان الخنازير، طأطأت رؤوسها، وحركت أذنابها، وتغيرت أصواتها. وتضع الخنزيرة عشرين خنوصاً، وتحمل من نزوة واحدة، والذكر ينزو إذا تمت له ثمانية أشهر، والأنثى تضع إذا مضى لها ستة أشهر. وفي بعض البلاد ينزو الخنزير إذا تمت له أربعة أشهر، والأنثى تحمل جراءها وتربيها، إذا تمت لها ستة أشهر أو سبعة. وإذا بلغت الأنثى خمس عشرة سنة لا تلد. وهذا الجنس أنسل الحيوان، والذكر أقوى الفحول على السفاد وأطولها مكثا فيه، يقال: إنه ليس لشيء من ذوات الأنياب والأذناب، ما للخنزير من القوة في نابه، حتى إنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح، فيقطع كل ما لاقى من جسده من عظم وعصب، وربما طال ناباه فيلتقيان فيموت عند ذلك جوعاً لأنهما يمنعانه من الأكل. وهو متى عض كلباً سقط شعر الكلب. وهو إذا كان وحشياً ثم تأهل، لا يقبل التأديب. ويأكل الحيات أكلا ذريعاً، ولا يؤثر فيه سمومها، وهو أروغ من الثعلب، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن في يومين، وهكذا تفعل النصارى بالخنازير في الروم يجيعونها ثلاثة أيام، ثم يطعمونها يومين لتسمن. وإذا مرض أكل السرطان فيزول مرضه. وإذا ربط على حمار ربطاً محكماً، ثم بال الحمار مات الخنزير.

ومن عجيب أمره: أنه إذا قلعت إحدى عينيه مات سريعاً، وفيه من الشبه بالإنسان أنه ليس له جلد يسلخ إلا أن يقطع بما تحته من اللحم وروى الخباري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال(1): «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد». وفي رواية «يهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال، ويمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفاه الله فيصلي عليه المسلمون». وهذا الحديث رواه أبو داود في آخر سننه في كتاب الملاحم مطوّلاً قال الخطابي: وفي قوله: «ويقتل الخنزير» دليل على وجوب قتل الخنازير، وبيان أن أعيانها نجسة، وذلك أن عيسى عليه السلام إنما ينزل في آخر الزمان وشريعة الإسلام باقية وقوله: «ويضع الجزية» معناه أنه يضعها عن النصارى واليهود وأهل الكتاب، ويحملهم على الإسلام فلا يقبل منهم غير دين الحق. فذلك معنى وضعها. وفي أواخر الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لقي خنزيراً على الطريق، فقال له: إذهب بسلام، فقيل له: أتقول هذا الخنزير؟ فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: إني أخاف أن أعود لساني النطق بالسوء.

---

(1) رواه البخاري في المظالم: ٣١، والبيوع: ١٠٢، والأنبياء: ٤٩. ورواه مسلم في الإيمان ٢٤٢ ــ ٢٤٣. ورواه أبو داود في الملاحم: ١٤، والترمذي في الفتن: ٥٤، وابن ماجه في الفتن: ٣٣، وأحمد: ٢/٢٤٠.

فائدة: ذكر أهل التفسير وأصحاب السير، أن عيسى عليه الصلا والسلام استقبل رهطاً من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة، وقذفوه وأمه، فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله تعالى خنازير، فلما رأى ذلك يهوذا، وهو رأس اليهود وأميرهم، فزع من ذلك وخاف دعوته، فجمع اليهود واستشارهم في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، فاجتمعت كلمة اليهود على قتله، فطرقوا عيسى عليه الصلاة والسلام في بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه عليها، فأظلمت الأرض، وأرسل الله تعالى ملائكة فحالت بينهم وبينه، فجمع عيسى عليه الصلاة والسلام الحواريين تلك الليلة، وأوصاهم ثم قال: ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة، ثم إن الحواريين خرجوا من عنده وتفرقوا. وكانت اليهود تطلبه فأتى إليهم أحد الحواريين، وقال لهم: ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح؟ فجعلو له ثلاثين درهماً فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت، ألقى الله تعالى عليه شبه عيسى، ورفع الله عيسى إليه. فدخلوا فرأوه، فأخذوه. فقال لهم: أنا الذي دللتكم عليه، فلم يلتفتوا إلى قوله، وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى. وقيل: إن الذي ألقي عليه شبهه كان من اليهود، وإسمه تطبانوس. وقيل: إن عيسى عليه الصلاة والسلام قال للحواريين؟ أيكم يقذف عليه شبهي فيقتل؟ فقال رجل منهم. أنا يا نبي الله. فقتل ذلك الرجل وصلب ورفع الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام إليه، وكساه الريش وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فهو عليه الصلاة والسلام طائر مع الملائكة المقربين حول العرش. وقال أهل التاريخ: حملت مريم بعيسى عليهما السلام ولها ثلاث عشرة سنة، وولدت عيسى ببيت لحم، من أرض أروى شلم، لمضي خمس وستين سنة، من غلبة الاسكندر على أرض بابل، وأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة من عمره، ورفع من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وماتت أمه مريم بعد رفعه عليه السلام بست سنين. وذكر ابن أبي الدنيا، عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال: قيل لأبي أسيد الفزاري: من أين تعيش فحمد الله تعالى وكبره وقال: يرزق الله الكلب والخنزير ولا يرزق أبا أسيد!؟ وروى ابن ماجه، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، إن النبي ﷺ قال[1]: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والدر والذهب». وفي اسناده كثير بن شنظير، وهو مختلف في توثيقه وتضعيفه. وقال في الإحياء: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت أن أقلد الدر أعناق الخنازير، فقال: أنت تعلم الحكمة غير أهلها. وفيه أيضاً في الباب السادس من أبواب العلم، روي أن رجلاً كان يخدم موسى عليه الصلاة والسلام فجعل يقول: حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام وجعل يسأل عنه فلم يجد له أثر. حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال: يا موسى أتعرف فلاناً؟ قال: نعم. قال: هو هذا الخنزير. فقال موسى عليه السلام: يا رب أسألك أن ترده إلى حاله الأول حتى أسأله بم أصابه ذلك؟ فأوحى الله تعالى إليه لو دعوتني بالذي دعا به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن أخبرك لم صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين. وكذلك رواه الإمام أبو طالب

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة: ١٧.

المكي في قوت القلوب. وفي المستدرك عن أبي إمامة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون وقد مسخوا خنازير، وليخسفن الله بقبائل منها ودور منها حتى يصبحوا، فيقولوا قد خسف لليلة بدار بني فلان، وليرسلن عليهم حجارة كما أرسلت على قوم لوط، وليرسلن عليهم الريح العقيم بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير، واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم». ثم قال: صحيح الاسناد.

الحكم: لا يجوز بيع الخنزير لما روى أبو داود من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه»[1]. واختلفوا في جواز الانتفاع به فكرهت طائفة ذلك وممن منع منه ابن سيرين والحكم وحماد والشافعي وأحمد وإسحاق ورخص فيه الحسن والأوزاعي وأصحاب الرأي. وهو نجس العين كالكلب يغسل ما نجس بملاقاة شيء من أجزائه سبعاً إحداهن بالتراب. ويحرم اكله لقوله[2] تعالى: ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ والرجس النجس. قال الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردي: الضمير في قوله تعالى ﴿فإنه رجس﴾ عائد على الخنزير لكونه أقرب مذكور ونظيره قوله[3] تعالى: ﴿واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ ونازعه الشيخ أبو حيان وقال: إنه عائد على اللحم لأنه إذا كان في الكلام مضاف ومضاف إليه، عاد الضمير على المضاف دون المضاف إليه، لأن المضاف هو المحدث عنه، والمضاف إليه وقع ذكره بطريق العرض وهو تعريف المضاف وتخصيصه. وقال شيخنا الأسنوي رحمه الله تعالى: وما ذكره الماوردي أولى من حيث المعنى، وذلك أن تحريم اللحم قد استفيد من قوله تعالى، أو لحم خنزير فلو عاد الضمير لزم خلو الكلام من فائدة التأسيس، فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم اللحم والكبد والطحال وسائر أجزائه، وقال القرطبي، في تفسير سورة البقرة، لاخلاف أن جملة الخنزير محرمة، إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة به. ونقل ابن المنذر الإجماع على نجاسته. وفي دعواه الإجماع نظر، لأن مالكاً يخالف فيه، نعم هو أسوأ حالاً من الكلب فإنه يستحب قتله ولا يجوز الانتفاع به في حالة، بخلاف الكلب. وقال شيخ الإسلام النووي رحمه الله: ليس لنا دليل على نجاسته بل مقتضى المذهب طهارته كالأسد والذئب والفأرة. وقد روي أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الخرازة بشعره فقال: «لا بأس بذلك»[4] رواه ابن خويز منداد. قال: ولأن الخرازة به كانت على عهد النبي ﷺ وبعده، موجودة ظاهرة ولم يعلم أنه ﷺ أنكرها، ولا أحد من الأئمة بعده. وقال الشيخ نصر المقدسي: لا يجوز المسح على خف خرز بشعره ولا الصلاة فيه وإن غسله سبعاً إحداهن بالتراب، لأن التراب والماء لا يصلان إلى مواضيع الخرز المتنجسة قال الإمام النووي: وهذا الذي ذكره الشيخ أبو الفتح نصر هو المشهور. وقال القفال، في شرح التلخيص: سألت الشيخ أبا زيد عنه، فقال: الأمر إذا ضاق اتسع. ومراده أن بالناس ضرورة إليه، فتصح الصلاة فيه لذلك. وفي الشرح والروضة في أواخر كتاب الأطعمة قريب من ذلك. ولا يجوز اقتناء الخنزير سواء كان يعدو على الناس أو لم

---

(١) رواه أبو داود بيوع: ٦٤. (٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٥. (٣) سورة النحل: الآية ١١٤.
(٤) رواه مسلم في الصلاة: ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ ٢٦٧. ورواه أبو داود صلاة: ١٠٩.

يكن يعدو، فإذا كان يعدو وجب قتله قطعاً وإلا فوجهان: أحدهما يجب قتله، والثاني يجوز قتله، ويجوز إرساله وهو ظاهر نص الشافعي. فالوجهان في وجوب قتله، وأما اقتناؤه فلا يجوز بحال كما صرح به في شرح المهذب وغيره. وفي سنن أبي داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أحسبه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا صلى أحدكم إلى غير سترة فإنه يقطع صلاته الكلب والحمار والخنزير واليهودي والمجوسي والمرأة الحائض، ويجزىء عنه إذا مروا بين يديه قذفه بحجر». وفيه[1] أيضاً من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال[2]: «من باع الخمر فليشقص الخنازير». قال الخطابي: معناه فليستحل أكلها. وقال في النهاية: معناه فليقطعها ويفصلها أعضاء كما تفصل الشاة إذا بيع لحمها. والمعنى: من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنزير، فإنهما في التحريم سواء، وهذا لفظ أمر معناه النهي، تقديره من باع الخمر فليكن للخنازير قصاباً. وجعله الزمخشري من كلام الشعبي.

**الأمثال**: قالوا: «أطيش من عفر». والعفر ولد الخنزير، والعفر أيضاً الشيطان، والعفر أيضاً العقرب، وقالوا: «أقبح من خنزير». وقالوا: «أكرهه كراهة الخنازير الماء الموغر». وأصله أن النصارى تغلي الماء للخنازير فتلقيها فيه لتنضج، فذلك هو الإيغار. قال أبو عبيد: ومنه قول الشاعر:

ولقد رأيت مكانهم فكرهتهم ... ككراهة الخنزير للإيغار

وقال ابن دريد: ألايغار أن يغلى الماء للخنازير فتسمط وهي حية.

إشارة: ابن دريد هو محمد بن الحسن بن دريد أبو بكر الأزدي البصري إمام عصره في اللغة والأدب والشعر، ومن جيد شعره المقصورة التي مدح بها الشاه بن ميكال وولده إسماعيل وعارضه فيها جماعة كثيرة من الشعراء، واعتنى بمقصورته جماعة من العلماء، فشرحوها. ومن تصانيفه الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة، قال بعض العلماء: ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء، وعرض له في أواخر عمره فالج، فكان إذا دخل عليه الداخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل إليه وسقي الترياق فبرىء منه ورجع إلى أسماع تلامذته ثم عاوده الفالج بعد حول، لغذاء ضار تناوله فكان يحرك يديه حركة ضعيفة، وبطل من محزمه إلى قدميه. قال تلميذه أبو علي: كنت أقول في نفسي إن الله تعالى عاقبه بقوله في المقصورة حين ذكر الدهر بقوله[3]:

مارست من لو هوت الأفلاك ... من جوانب الجوّ عليه ما شكا

وعاش بهذه الحالة عامين وكان آخر كلامه[4]:

فوا حزني إن لا حياة لذيذة ... ولا عمل يرضى به الله صالحُ

ثم قبض. قال ابن دريد: سهرت ليلة فلما كان آخر الليل رأيت رجلاً دخل علي في المنام فأخذ بعضادتي الباب وقال: أنشدني أحسن ما قلت في الخمر، فقلت: ما ترك أبو نواس لأحد

---

(١) رواه النسائي في القبلة: ٧. وابن ماجه إقامة: ٣٨. وابن حنبل: ١/٢٤٧ ـ ٣٤٧.

(٢) رواه أبو داود بيوع: ٦٤. الدارمي أشربة: ٩. ابن حنبل: ٤/٢٥٣.

(٣) وفيات الأعيان: ٤/٣٢٦. (٤) وفيات الأعيان: ٤/٣٢٧.

شيئاً فقال: أنا أشعر منه، قلت: من أنت؟ قال: أنا أبو ناجية من أهل الشام ثم أنشدني[1]:

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا ... عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقلت له: أسأت فقال: ولم؟ قلت لأنك قلت: وحمراء، فقدمت الحمرة ثم قلت: بين ثوبي نرجس وشقائق، فقدمت الصفرة فقال: ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض؟ ويقال: إن ابن دريد أنشدهما لنفسه، وكان ابن دريد يشرب الخمر إلى أن جاوز تسعين سنة، وكان، حين أصابه الفالج، صحيح الذهن والعقل، يرد فيما يسأل عنه رداً صحيحاً. وتوفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد، ودريد تصغير أدرد وهو الذي ليس في فيه سن قاله ابن خلكان وغيره.

**الخواص**: كبده إذا أكلت أو سقيت لإنسان نفعت من نهش الهوام خصوصاً الحيات، وإن جفت وسقيت لمن به ريح الفالج والقولنج، برىء من وقته، وإذا قطرت مرارته في أنف رجل مربوط في كل جانب من أنفه ثلاث قطرات انطلق وبرىء، وإذا أحرق عظمه وسحق وشربه من به البواسير، فإنها تهدأ وتبرأ، بإذن الله تعالى، وقيل: إن حشي به موضع الناسور، أبرأه وعظمه يعلق على من به حمى الربع تذهب عنه، وقال يوحنا إن مما جربته الحكماء القدماء، أن عظم الخنزير يعلق على من به حمى الربع في خرقة تعقد فيه يبرأ منها، وإن جففت مرارته ووضعت على البواسير قلعتها من ساعتها، وزبله إذا أمسكه من به فواق دائم أبرأه، وإن شرب فتت الحصا. وأجوده زبل البري، وإن عجن بخل وطلي به الرأس نفع من سائر الجراحات، والجروح التي تظهر به، وإذا لطخ به، أصل شجرة الرمان الحامض أبدله حلواً وعرقوبه إذا أحرق وسحق وعجن بعسل وسقي لمن به مغص ونفخ في معدته وأمعائه وزن مثقال، فإنه ينفع نفعاً عظيماً.

**التعبير**: الخنزير تدل رؤيته على الشر والنكد والإفلاس، وعلى المال الحرام، وتدل رؤية إناثه على كثرة النسل، فإن حصل له منه ضرر في المنام ربما تنكد من نصراني، وقيل: الخنزير في المنام عدو قوي ملعون خدوع عند النوائب، غدّار فمن رأى أنه ركب خنزيراً نال مالاً وقهر عدواً كما وصفت ومن أكل لحم الخنزير مطبوخاً نال مالاً وتجارة من غير حل. ومن رأى أنه تحول خنزيراً نال مالاً مع ذلة ووهن في الدين ومن رأى أنه يمشي، كما يمشي الخنزير، نال سروراً وقرة عين. وأولاد الخنازير هموم لمن ملكها والخنزير الأهلي خصب لمن رآه بداره، وكل حيوان يتربى عاجلاً ويألف فهو تمام قصد من رآه وقضاء حاجته. والبري يدل للمسافر على مطر أو برد. ومن رعى الخنازير في المنام فإنه يلي على قوم من اليهود والنصارى. ومن رأى كأن زوجته صارت خنزيرة، فإنه يطلقها لأنه حرمت عليه. ولحمه خير لجميع الناس لأن الخنزير لا ينفع إلا بعد موته وهو مال حرام لقوله[2] تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ ففيه إشارة لذلك والله أعلم

(١) وفيات الأعيان: ٣٢٧/٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

الخنزير البحري: سئل مالك عنه فقال: أنتم تسمونه خنزيراً يعني أن العرب لا تسميه بذلك لأنها لا تعرف في البحر خنزيراً والمشهور أنه الدلفين. وسيأتي إن شاء الله في باب الدال المهملة قال الربيع: سئل الشافعي رضي الله تعالى عنه عن خنزير الماء فقال: يؤكل. وروي أنه لما دخل العراق قال فيه: حرمه أبو حنيفة وأحله ابن أبي ليلى. وروي هذا القول عن عمرو عثمان وابن عباس وأبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم، والحسن البصري والأوزاعي والليث وأبي مالك أن يقول فيه شيئاً وأبقاه مرة أخرى على جهة الورع. وحكى ابن أبي هريرة عن ابن خيران أن اكاراً صاد له خنزير ماء، وحمله إليه فأكله وقال: كان طعمه موافقاً لطعم الحوت سواء. وقال ابن وهب: سألت الليث بن سعد عنه، فقال: إن سماه الناس خنزيراً لم يؤكل لأن الله حرم الخنزير.

الخنفساء: معروفة، وكان من حقها أن تكتب قبل هذا لأن نونها زائدة وهي بفتح الفاء ممدودة الأنثى خنفساءةوقال ابن سيده: الخنفساء دويبة سوداء أصغر من الجعل منتنة الريح. والأنثى خنفسة وخنفساءة وضم الفاء في كل ذلك لغة. والخنفس إسم للكثير من الخنافس. وقال الأصمعي: لا يقال خنفساءة بالهاء وكنيتها أم القسور وأم الأسود، وأم مخرج وأم اللجاج، وأم التن، تتولد من عفونة الأرض وهي طويلة الظمأ وبينها وبين العقرب صداقة، ولهذا يسميها أهل المدينة الشريفة جارية العقرب.

وهي أنواع منها الجعل وحمار قبان، وبنات وردان، والخنطب وهو ذكر الخنافس، والخنفساء مخصوصة بكثرة الفسو كالظربان ولذلك تقول العرب في أمثالها(١): «إذا تحركت الخنفساء فست». قال حنين بن إسحاق: طريق طرد الخنافس أن يطرح في أماكنها الكرفس فإنها تهرب من ذلك المكان. وروى ابن عدي في كامله في ترجمة أبي معشر وإسمه نجيح عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال(٢): «ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية، أو ليكونن أبغض إلى الله تعالى من الخنافس».

غريبة: حكى القزويني أن رجلاً رأى خنفساء فقال: ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه؟ ألحسن شكلها أو لطيب ريحها! فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها، فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب، فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري، فقالوا: وما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء! فقال: لا بد لي منه، فلما أحضروه ورأى القرحة استدعى بخنفساء، فضحك الحاضرون منه، فتذكر العليل القول الذي سبق منه، فقال: احضروا له ما طلب فإن الرجل على بصيرة من أمره، فأحضروها له، فأحرقها وذر رمادها على قرحته فبرىء بإذن الله تعالى. فقال للحاضرين: إن الله تبارك وتعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية.

وحكى:(٣) ابن خلكان في ترجمة جعفر بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي أنه

---

(١) مجمع الأمثال: ١/٢٤٥. وجمهرة الأمثال: ٢/٩٠. وفيه: «أفسى من خنفساء».

(٢) الكامل لابن عدي: ٧/٢٥١٧. ورواه ابن حنبل: ٢/٣٦٦.

(٣) وفيات الأعيان: ١/٣٢٨.

كان عنده أبو عبيدة الثقفي فقصدته خنفساء فأمر جعفر بإزالتها، فقال أبو عبيدة: دعوها عسى أن يأتين بقصدها إليّ خير، فإنهم يزعمون ذلك، فأمر له جعفر بألف دينار، فقال: تحقق زعمهم. فأمر بتنحيتها فقصدته ثانياً فأمر له بألف دينار أخرى.

الحكم: يحرم أكلها لاستخباثها. وقال الأصحاب: ما لا يظهر فيه ضر ولا نفع، كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة والسلحفاة والذباب وأشباهها، يكره قتلها للمحرم وغيره، هكذا قطع به الجمهور. وحكى إمام الحرمين وجهاً شاذاً إنه لا يحرم قتل الطيور والحشرات. ودليل الكراهة أنه عبث بلا حاجة. وقد ثبت في صحيح مسلم عن شداد بن أوس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ، قال[1]: إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة». وليس من الإحسان قتلها عبثاً. وروى البيهقي عن قطبة الصحابي رضي الله تعالى عنه أنه كان يكره أن يقتل الرجل ما لا يضره.

**الأمثال**: يقال: «أفسى من الخنفساء[2] وقالوا: «الخنفساء إذا مست نتنت[2]». أي جاءت بالنتن الكثير. يضرب لمن ينطوي على خبث معناه لا تفتشوا على ما عنده، فإنه يؤذيكم بنتن معايبه. وقال خلف الأحمر[3] النحوي يهجو العتبي[4]:

لنا صاحب مولع بالخلاف ... كثير الخطاء قليل الصواب
ألج لجاجاً من الخنفساء ... وأدهى إذا ما مشى من غراب[5]

**الخواص**: إذا أخذت رؤوس الخنافس وجعلت في برج حمام اجتمع الحمام إليه، والاكتحال بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر، ويجلو غشاوة العين، ويزيل البياض، وينفع السبل نفعاً عظيماً بليغاً. وإذا بخر المكان بورق الدلب، هرب منه الخنافس وإن أخذت خنفساء وطبخت بعصير السمسم وقطر في الأذن منه، فإنه نافع من جميع أوجاع الأذن وإن شدخت خنفساء وربطت على لسعة العقرب أبرأتها، وإن أحرقت وذر رمادها على القرحة أبرأتها، ومن أكل الخنفساء ولم يشعر بها حتى دخلت إلى جوفه، وهي حية قتلته من وقته.

**التعبير**: الخنفساء في المنام تدل رؤيتها على موت النفساء، ورؤية الذكر تدل على رجل يخدم الأشرار. وربما دلت رؤيته على عدوّ قذر بغيض والله أعلم.

**الخِنَّوص**: بكسر الخاء وتشديد النون ولد الخنزير، والجمع الخنانيص. قال الأخطل يخاطب بشر بن مروان:

---

(١) رواه مسلم في الصيد: ٥٧. وأبو داود في الأضاحي: ١١. الترمذي في الديّات: ١٤ النسائي في الضحايا: ٢٢ ـ ٢٦ ـ ٢٧. ابن ماجه ذبائح: ٣. الدارمي أضاحي: ١٠.

(٢) مجمع الأمثال: ١/٢٤٥. وجمهرة الأمثال: ٢/٩٠. وفيه: «أفسى من خنفساء».

(٣) خلف الأحمر: خلف بن حيّان، أبو محرز، راوية، أديب، شاعر بصري له علم في النحو. مات سنة ١٨٠ هـ.

(٤) العتبي: محمد بن عبيد الله بن عمرو: أديب كثير الأخبار حسن الشعر. مات في البصرة سنة ٢٢٨.

(٥) البيتان في الحيوان للجاحظ: ٣/٥٠٠. وفيه: «أزهي إذا».

أكلت الدجاج فأفنيتها ... فهل في الخنانيص من مغمرّ

ويروي أكلت القطاة قاله ابن سيده.

**وحكمه وتعبيره**: كالخنزير.

**الخواص**: مرارته تحلل الأورام اليابسة، وإذا خلطت بعسل وطلي بها احليل الرجل هيج الباه بشهوة عظيمة. وشحمه المذاب إذا مسح به أصل شجر الرمان الحامض أبدلـه حلوا.

**الخيتعور**: الذئب لأنه لا عهد له. وقيل: الخيتعور الغول، والياء فيه زائدة، وفي الحديث: «ذاك أزب العقبة يقال له الخيتعور». يريد به شيطان العقبة فجعل الخيتعور إسماً له. وقيل: الخيتعور كل شيء يضمحل ولا يدوم على حالة واحدة ولا يكون له حقيقة كالسراب قال الشاعر[1]:

كل أنثى وإن بدا لك منها ... آية الحب حبها خيتعور

وقيل: الخيتعور دويبة تكون في وجه الماء لا تثبت في موضع إلا دبت. وقيل: الخيتعور الذي ينزل في الهواء، أبيض كالخيط أو كنسج العنكبوت. وقيل الخيتعور الدنيا الذاهبة والله أعلم.

**الخيدع**: والخيطل السنور وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب السين.

**الأخيل**: طائر أخضر على جناحيه لمع تخالف لونه سمي بذلك للخيلان. وقيل للأخيل الشقراق وهو مشؤوم. ولفظه ينصرف في النكرة إذا سميت به، ومنهم من لا يصرفه في معرفة ولا نكرة ويجعله في الأصل صفة من التخيل. ويحتج بقوله حسان رضي الله تعالى عنه:

ذريني وعلمي بالأمور وشيمتي ... فما طائري فيها عليك بأخيلا[2]

**الخيل**: جماعة الأفراس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر. وقيل: مفرده خائل، قاله أبو عبيدة وهي مؤنثة والجمع خيول وقال السجستاني: تصغيرها خييل. وسميت الخيل خيلا لاختيالها في المشية، فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه، وجمع عند أبي الحسن. ويكفي في شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها في كتابه فقال: ﴿والعاديات ضبحا﴾[3] وهي خيل الغزو التي تعدو فتضج أي تصوّت بأجوافها. وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة[4]». الأجر

---

(١) البيت في الحيوان للجاحظ منسوب إلى الحارث بن عمرو الكندي ـ وفيه: «آية الود عهدها...».

(٢) البيت في ديوان حسان: ٤٠٤. وفيه: «طائري يوماً...».

(٣) سورة العاديات: الآية ١.

(٤) رواه البخاري: مناقب ٢٨. مسلم: زكاة ٢٥. أبو داود: جهاد ٤١. ابن ماجه: تجارات ٢٩. الدارمي: جهاد ٣٣. الموطأ: جهاد ٤٤. أحمد: ٣/٣٩.

والغنيمة. ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم لها، كأنه معقود فيها والمراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة. قاله الخطابي وغيره قالوا: وكنى بالناصية عن جميع ذات الفرس، كما يقال: فلان مبارك الناصية، وميمون الغرة أي الذات. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا[١]». قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «بل أنتم أصحاب إخواننا الذي لم يأتوا بعد». فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال ﷺ: «فإنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء وأنا فرطهم على الحوض»[٢]. وفي رواية البيهقي، «إن أمتي يأتون يوم القيامة، غراً من السجود، محجلين من الوضوء، ولا يكون ذلك لأحد من الأمم غيرهم». وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ «كان يكره الشكال من الخيل»[٣] والشكال أن يكون الفرس في رجله اليمنى بياض، وفي يده اليسرى بياض، أو في يده اليمنى ورجله اليسرى، كذا وقع تفسيره في صحيح مسلم وهذا أحد الأقوال في الشكال. وقال أبو عبيدة وجمهور أهل اللغة: والغريب هو أن يكون منه ثلاث قوائم محجلة، وواحدة مطلقة تشبيها بالشكال الذي يشكل به الخيل، فإنه يكون في ثلاث قوائم غالباً. وقال أبو عبيدة: وقد يكون الشكال ثلاث قوائم مطلقة وواحدة محجلة، قال: ولا تكون المطلقة أو المحجلة إلا في الرجل. وقال ابن دريد: هو أن يكون محجلاً في شق واحد في يده ورجله، فإن كان مخالفاً، قيل: شكال مخالف، وقيل: الشكال بياض اليدين، وقيل: بياض الرجلين. قال العلماء: إنما كرهه ﷺ، لأنه على صورة المشكول وقيل: يحتمل أن يكون جرب ذلك الجنس، فلم يكن فيه نجابة. وقال بعض العلماء: فإذا كان مع ذلك أغر زالت الكراهة لزوال شبهه بالشكال. وقال ابن رشيق، في عمدته في باب منافع الشعر ومضاره: إن أبا الطيب المتنبي لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد[٤] الدولة بن بويه الديلمي، وأجزل جائزته، رجع من عنده قاصداً بغداد، وكان معه جماعة، فخرج عليهم

---

(١) رواه مسلم: جنائز ١٠٢. أبو داود: جنائز ٧٩. النسائي: طهارة ١٠٩. ابن ماجه: جنائز ٣٦. الموطأ: طهارة ٢٨.

(٢) رواه البخاري: وضوء ٣. ومسلم: طهارة ٣٤، ٣٩. والترمذي: جمعة ٧٤. والنسائي: طهارة ١٠٩. ابن ماجه: طهارة ٦. الموطأ: طهارة ٢٨. أحمد: ١/٢٨٨.

(٣) رواه أبو داود في الجهاد: ٤٣. ومسلم: إمارة ١٠١ ــ ١٠٢. الترمذي: جهاد ٢١. النسائي: خيل ٤. ابن ماجه: جهاد ١٤. أحمد: ٢/٢٥٠.

(٤) عضد الدولة: فنّاخسرو بن الحسن، لقبه عضد الدولة، تولى ملك بلاد فارس والموصل أيام الدولة العباسية. مات سنة ٣٧٢. وكان جواداً مهيباً ممدّحاً.

قطاع الطريق، بالقرب من بغداد، فلما رأى الغلبة فر هارباً، فقال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل(١):

الخيـل والليـل والبيـداء تعـرفني والحرب والضرب والقرطاس والقلمُ

فكر راجعاً، وقاتل حتى قتل. فكان سبب قتله هذا البيت، وذلك في شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة. وما أحسن قول أبي سليمان الخطابي في مدح العزلة والانفراد وإن لم يكن له تعلق بهذا المعنى:

أنسـت بـوحـدتي ولـزمـت بيـتي فـدام الأنس لي ونمـا السرورُ
وأدّبـنـي الـزمـان فـلا أبـالي هـجـرت فـلا أزار ولا أزور
ولسـت بسـائـل مـا دمتُ حيـاً أسـار الخيـل أم ركـب الأمـيرُ

**فائدة**: ذكر ابن خلكان في تاريخه أن شخصاً سأل المتنبي عن قوله.

بادر هواك صبرت أم لم تصبرا.

كيف يثبت الألف في تصبرا مع وجود لم الجازمة! ومن حقه أن يقول لم تصبر؟ فقال أبو الطيب المتنبي: لو كان أبو الفتح بن جني ههنا لأجابك: هذه الألف هي بدل النون الساكنة لأنه كان في الأصل لم تصبرن، ونون التأكيد الخفيفة إذا وقف الإنسان عليها أبدل منها ألفاً قال الأعشى(٢):

وذا النصبَ المنصـوبَ لا تَنسُكَنّـهُ ولا تعبـد الشيـطان والله فـاعبـدا

كان الأصل فاعبدن، فلما وقف عليها أتي بألف بدلاً من النون ومراده بأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور، وكان ابن جني قد قرأ على أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للإقراء بالموصل، فمر به شيخه أبو علي يوماً فرآه في حلقته، فقال له: زَبيت وأنت حصرم، فترك حلقته وتبعهُ، ولم يزل ملازماً له حتى مهر. وأبوه جني مملوك رومي، وله أشعار حسنة وكان أعْور بعين واحدة وفي ذلك يقول(٣):

صـدودك عـني ولا ذنـب لي يـدل عـلى نـيـة فـاسـده
فـقـد وحيـاتـك مما بـكيـت خشيـت عـلى عيـني الـواحـدة
ولـولا مخـافـة أن لا أراك لمـا كـان في تـركـهـا فـائـدة

وله تصانيف مفيدة وشرح ديوان المتنبي ولذلك أشار إليه المتنبي كما تقدم وكانت وفاة

(١) ديوان المتنبي: ٣/٣٦٩. وفيه: «الخيل والضرب والطعن...».
(٢) ديوان الأعشى ١٣٧. وفيه: «ولا تعبد الأوثان...» وتمام البيت:
وذا النصَب المنصوبَ لا تنسكنّهُ ولا تعبد....
(٣) الأبيات لابن جني وهي في وفيات الأعيان: ٣/٢٤٦.

ابن جني في صفر ببغداد سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة. وفي سنن النسائي، من حديث سلمة بن نفيل الكوني أن النبي ﷺ «نهى عن إذالة الخيل»، وهو امتهانها في الحمل عليها واستعمالها. وأنشد أبو عمر بن عبد البر، في التمهيد لابن عباس رضي الله تعالى عنهما:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها ... فإن العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناسٌ ... ربطناها فأشركنا العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ... ونكسوها البراقع والجلالا

فائدة: رأيت في تاريخ نيسابور، للحاكم أبي عبد الله في ترجمة أبي جعفر الحسن بن محمد بن جعفر الزاهد العابد أنه روى بإسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق الخيل، قال لريح الجنوب: إني خالق منك خلقاً، أجعله عزاً لأوليائي ومذلة لأعدائي وجمالاً لأهل طاعتي فقالت الريح: اخلق يا رب، فقبض منها قبضة فخلق منها فرساً، وقال جل وعلا: خلقتك عربياً وجعلت الخير معقوداً بنواصيك، والغنائم محتازة على ظهرك، وبوأتك سعة من الرزق وأيدتك على غيرك من الدواب، وعطفت عليك صاحبك، وجعلتك تطيرين بلا جناح، فأنت للطلب وأنت للهرب وإني سأجعل على ظهرك رجالاً يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني». ثم قال ﷺ: «ما من تسبيحة وتهليلة وتكبيرة، يكبرها صاحبها قد فتسمعه الملائكة إلا تجيبه بمثلها. قال: فلما سمعت الملائكة بخلق الفرس، قالت: يا رب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك ونهللك ونكبرك، فماذا لنا؟ فخلق الله تعالى لها خيلاً لها أعناق كأعناق البخت، يمد بها من شاء من أنبيائه ورسله، قال: فلما استوت قوائم الفرس في الأرض. قال الله تعالى له: إني أذل بصهيلك المشركين، وأملأ منه آذانهم، وأذل به أعناقهم، وأرعب به قلوبهم. قال: فلما أن عرض الله تعالى على آدم كل شيء مما خلق، قال له: اختر من خلقي ما شئت، فاختار الفرس. فقيل له: اخترت عزك وعز ولدك خالداً ما خلدوا وباقياً ما بقوا أبد الآبدين، ودهر الداهرين».

وهو في شفاء الصدور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، بغير هذا اللفظ. ولفظه إن النبي ﷺ قال: «لما أراد الله أن يخلق الخيل أوحى إلى ريح الجنوب: إني خالق منك خلقاً فاجتمعي فاجتمعت، فأتى جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة، ثم قال الله عز وجل له: هذه قبضتي ثم خلق منها فرساً كميتاً. وقال الله عز وجل: خلقتك فرساً وجعلتك عربياً، وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم، بسعة الرزق والغنائم، تقاد على ظهرك، والخير معقود بناصيتك. ثم أرسله فصهل، فقال جل وعلا: «يا كميت بصهيلك أرهب المشركين وأملأ مسامعهم، وأزلزل أقدامهم، ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم، قال: يا آدم اختر أي الدابتين أحببت: يعني الفرس أو البراق، وهو على صورة البغل لا ذكرو لا أنثى، فقال: يا جبريل اخترت أحسنهما وجهاً وهو الفرس، فقال الله تعالى: يا آدم اخترت عزك وعز أولادك باقياً ما بقوا، وخالداً ما خلدوا». وفيه أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وكرم وجهه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة، يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيل بلق

من ذهب مسرجة ملجمة، بلجم من در وياقوت، لا تروث ولا تبول، لها أجنحة خطوتها مد بصرها، يركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا، فيقول الذين أسفل منهم درجة: «يا ربنا بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها؟ فيقول بأنهم كانوا يقومون الليل، وكنتم تنامون، وكانوا يصومون النهار وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون. ثم يجعل الله في قلوبهم الرضا فيرضون وتقرّ أعينهم».

**فائدة أخرى**: أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام، ولذلك سميت بالعراب، وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش، فلما أذن الله تعالى لأبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل: إني معطيكما كنزاً دخرته لكما، ثم أوحى الله إلى إسماعيل: أن اخرج فإدع بذلك الكنز، فخرج إلى أجياد، وكان لا يدري ما الدعاء والكنز! فألهمه الله تعالى الدعاء، فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا اجابته، فأمكنته من نواصيها وتذللت له، ولذلك قال نبينا ﷺ: «اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسماعيل». وروى النسائي عن أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهارة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: إن النبي ﷺ «لم يكن شيء أحب إليه، بعد النساء، من الخيل». إسناده[1] جيد. وروى الثعلبي بإسناده عن النبي ﷺ أنه قال[2]: «ما من فرس إلا ويؤذن له عند كل فجر بدعوة يدعو بها: اللهم من خولتني من بني آدم وجعلتني له فاجعلني أحب أهله وماله إليه». وقال[3] ﷺ: «الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان. فأما فرس الرحمن فما اتخذني في سبيل الله تعالى وقوتل عليه أعدؤه، وفرس الإنسان ما استطرق عليه، وفرس الشيطان ما روهن عليه». وفي طبقات ابن سعد بسنده، عن عريب المليكي أن النبي ﷺ سئل عن قوله[4] تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ من هم؟ فقال النبي ﷺ: هم أصحاب الخيل. ثم قال[5] ﷺ: «إن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها، وأبوالها أرواثها يوم القيامة كذكي المسك». وعريب بضم العين المهملة. وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ سابق بين الخيل التي ضمرت وكان أمدها من الحفياء إلى ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فيمن أجرى. وروى شيخ الإسلام الحافظ الذهبي في آخر طبقات الحفاظ، عن شيخه الحافظ شرف الدين الدمياطي، بإسناده إلى أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تحضر الملائكة من اللهو شيئاً إلا ثلاثة: لهو الرجل مع امرأته وإجراء الخيل، والنضال». وروى الترمذي في صفة أهل الجنة بإسناد ضعيف عن واصل بن السائب عن أبي

---

(١) رواه النسائي: خيل ٢. ابن حنبل: ٥ ـ ٢٧.

(٢) رواه النسائي: خيل ٩. ابن حنبل: ٥ ـ ١٦٢.

(٣) رواه البخاري: جهاد ٤٨. مساقاة: ١٢. ورواه مسلم: زكاة ٢٤. وابن ماجه: جهاد ١٤. الموطأ: جهاد ٣. وأحمد: ١ ـ ٢٩٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٧٤.

(٥) رواهَ أبو داود: لباس ٢٥. ابن حنبل: ٤ ـ ١٨٠.

سودة عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه، قال: جاء إعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: إني أحب الخيل فهل في الجنة خيل؟ فقال[1] ﷺ: «إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة لها جناحان، فتحمل عليها فتطير بك في الجنة حيث شئت». وفي معجم ابن قانع، إن هذا الإعرابي إسمه عبد الرحمن بن ساعدة الأنصاري. وكذلك ذكره الدينوري في أوائل المجالسة، وذكر ابن عدي بهذا الإسناد الضعيف، أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض كأنهن الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الإبل والطير.

**فائدة أخرى**: خيل السباق عشرة: ذكرها الرافعي وغيره وحذفها من الروضة وهي مجل ومصل وتال وبارع ومرتاح وحظي وعاطف ومؤمل والسكيت والفسكل وإلى ذلك أشرت في المنظومة بقولي:

مهمة خيل السباق عشرة ... في الشرح دون الروضة المعتبرة
وهي مجل ومصل تالي ... والبارع المرتاح بالتوالي
ثم حظي عاطف مؤمل ... ثم السكيت والأخير الفسكل

**فائدة أخرى**: قال السهيلي في التعريف والإعلام: وأما خيل رسول الله ﷺ فأسماؤها: السكب، وهو من سكب الماء كأنه سيل، والسكب أيضاً شقائق النعمان، والمرتجز سمي بذلك لحسن صهيله واللحيف كأنه يلحف الأرض لجريه، ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة. وذكر البخاري في جامعه واللزاز ومعناه أنه ما سابق شيئاً إلا لزه أي أثبته، وملاوح والضرس والورد وهبه لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فحمل عليه عمر في سبيل الله تعالى، وهو الذي وجده يبتاع برخص انتهى.

**فائدة أخرى**: روى ابن السني وأبو القاسم الطبراني عن أبان بن أبي عياش والمستغفري أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن أنظر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، فأدن مجلسه، وأحسن جائزته وأكرمه. قال: فأتيته فقال لي: يا أبا حمزة إني أريد أن أعرض عليك خيلي فتعلمني أين هي من الخيل التي كانت مع رسول الله ﷺ؟ فعرضها فقلت: شتان ما بينهما! تلك كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجراً، وهذه هيئت للرياء والسمعة. فقال الحجاج: لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذي فيه عيناك! فقلت: ما تقدر على ذلك، قال: ولم؟ قلت: لأن رسول الله ﷺ علمني دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان ولا سلطان ولا سبع. فقال: يا أبا حمزة علمه ابن أخيك يعني ابنه محمد بن الحجاج، فأبيت عليه. فقال لابنه: أئت عمك أنساً فتسأله أن يعلمك ذلك. قال أبان: فلما حضرته الوفاة دعاني فقال: يا أبا أحمد إن لك إلي انقطاعاً، وقد وجبت حرمتك، وإني معلمك الدعاء الذي علمني رسول الله ﷺ، فلا تعلمه من لا يخاف الله أو نحو ذلك، وهو ذلك الدعاء المبارك: الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذي لا يضر مع إسمه داء، بسم الله الذي لا يضر إسمه

(١) رواه الترمذي: بدنة ١١.

شيء، في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، بسم الله افتتحت، وعلى الله توكلت، الله الله ربي لا أشرك به شيئاً أسألك اللهم بخيرك من خيرك، الذي لا يعطيه أحد غيرك، عز جارك وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، اجعلني في عبادك واحفظني من شر كل ذي شر خلقته، وأحترزُ بك من الشيطان الرجيم، اللهم إني احترس بك من شر كل ذي شر خلقته وأحترز بك منهم، وأقدم بين يدي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾[1] ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن يساري مثل ذلك ومن فوقي مثل ذلك ومن تحتي مثل ذلك.

**مسألة**: قال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى: ورد مثال كريم ممن هو حقيق بالتبجيل والتعظيم، يتضمن السؤال عن الخيل: هل كانت قبل آدم عليه السلام أو خلقت بعده؟ وهل خلق الذكور قبل الإناث أو الإناث قبل الذكور؟ وهل العربيات قبل البراذين أو البراذين قبل العربيات؟ وهل ورد في الحديث أو الأثر أو السير أو الأخبار ما يدل على ذلك؟

والجواب: أن نختار أن خلق الخيل كان قبل خلق آدم عليه السلام بيومين أو نحوهما، وأن خلق الذكور قبل الأناث وأن العربيات قبل البراذين، أما قولنا إن خلقها كان قبل خلق آدم فلآيات في القرآن سنذكرها آية آية وتذكر وجه الاستدلال والمعنى فيه، وهو أن الرجل الكبير يهيء له ما يحتاج إليه قبل قدومه وقال[2] تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ فالأرض وكل ما فيها مخلوق لآدم وذريته إكراماً لهم، ومن كمال إكرامهم وجودها قبلهم، فجميع ذلك مقدم على خلقه ثم كان خلق آدم بعد ذلك آخر الخلق، لأنه وذريته أشرف الخلق، ألا يرى أن النبي ﷺ أشرف من الجميع، ولذلك كان آخراً لأن به ﷺ تم كمال الوجود، وما سوى آدم مما هييء له حيوان وجماد. والحيوان أشرف من الجماد، والخيل من أشرف الحيوان، غير الآدمي فكيف يؤخر خلقها عنه فهذه الحكمة تقتضي تقديم خلقها مع غيرها من المنافع.

وإنما قلنا بيومين أو نحوهما، لحديث ورد فيه، يتضمن أن بث الدواب يوم الخميس، والحديث في الصحيح، لكن فيه كلام. ولا شك أن خلق آدم عليه السلام كان يوم الجمعة، والحديث المذكور يتضمن أنه بعد العصر، فلذلك قلنا إنه بيومين أو نحوهما على التقريب. وأما التقدم فلا يتردد فيه، والمعنى فيه قد ذكرناه. وأما الآيات التي تدل له، فمنها قوله[2] تعالى: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ ووجه الاستدلال أن الآية الكريمة اقتضت خلق ما في الأرض جميعاً قبل تسوية الرحمن السماء، ومن جملة ما في الأرض الخيل، فالخيل مخلوقة قبل تسوية السماء عملاً بالآية ودلالة ثم على الترتيب، وتسوية السماء قبل خلق آدم عليه السلام، لأن تسوية السماء كانت في جملة الأيام الستة لقوله تعالى: ﴿رفع سمكها فسواها﴾[3] إلى قوله جل وعلا ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾[4] ودلالة الحديث الصحيح المجمع عليه على أن خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة بعد كمال المخلوقات أما آخر الأيام الستة إن قلنا إن

---

(١) سورة الإخلاص: الآية ١ ــ ٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٩.
(٣) سورة النازعات: الآية ٢٨.
(٤) سورة النازعات: الآية ٣٠.

ابتداء الخلق يوم الأحد، كما يقوله المؤرخون وأهل الكتاب، وهو المشهور عند أكثر الناس، وأما في اليوم السابع فهو خارج عن الأيام الستة كما يقتضيه الحديث، الذي أشرنا إليه فيما سبق الذي في صحيح مسلم، الذي صدره إن الله تعالى خلق التربة يوم السبت، وإن كان فيه كلام. وأما تأخر خلق آدم عليه السلام، فلا كلام فيه فثبت بهذا أن خلق الخيل قبل خلق آدم عليه السلام، وهي من جملة المخلوقات في الأيام الستة لا كما يقوله بعض الجهلة الكفرة. ويروي فيه أحاديث موضوعة لا تصدر إلا عن اسخف المجانين لا حاجة بنا إلى ذكرها. ومن الآيات قوله[1] تعالى: **﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾** وجه الاستدلال بهذه الآية أن الأسماء كلها إما أن يراد بها نفس الأسماء أو صفات المسميات، ومنافعها وعلى كلا التقديرين المسميات موجودة في ذلك الوقت للإشارة إليها بقوله: هؤلاء. ومن جملة المسميات الخيل، فلتكن موجودة حينئذ. والأسماء عام بالألف واللام مؤكدة بقوله تعالى: **﴿كلها﴾** فتقوى العموم فيه. والمسميات لا بد من إرادتها بقوله تعالى: **﴿ثم عرضهم﴾** وقوله تعالى: **﴿باسمائهم﴾** فهذا دليل قاطع في ذلك. والعموم شامل للخيل فمن رأى دلالة العموم قطيعة، يقطع بدخولها ومن لا يرى ذلك يستدل به فيه كما يستدل بسائر الأدلة الشرعية. ومن الآيات قوله تعالى في سورة **﴿ألم تنزيل الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾**[2] وجه الاستدلال اقتضاؤها خلق ما بينهما في الستة، وقد قلنا إن خلق آدم عليه السلام خارج عن الأيام الستة بعدها أو حاصل في آخرها بعد خلق غيره كما سبق وفي الآيات قوله[3] تعالى في سورة ق **﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾** وجه الاستدلال بها ما قد مناه فيما قبلها، فهذه أربع آيات تدل على ذلك فيها كفاية. وقد جاء عن وهب بن منبه في الاسرائيليات، أن الخيل خلقت من ريح الجنوب وذلك لا ينافي ما قلناه، ولا تلتزم صحته، لأنا لا نصحح إلا ما صح لنا، عن الله تعالى ورسوله ﷺ. وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الخيل، كانت وحوشاً وأن الله تعالى ذللها لإسماعيل عليه الصلاة والسلام. وذلك لا ينافي ما قلناه، فقد تكون مخلوقة من قبل آدم عليه السلام، واستمرت على وحشيتها إلى عهد إسماعيل عليه السلام. أو كانت تركب في وقت، ثم توحشت ثم ذللت لإسماعيل عليه السلام. وليس في ذلك عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة دليل، فالمعتمد ما قلناه من دلالة القرآن والذي قيل من أن إسماعيل عليه السلام أول من ركبها أمر مشهور ولكن اسناده ليس صحيحاً حتى نلتزمه. وقد قلنا إنا لا نلتزم إلا ما صح عن الله تعالى ورسوله ﷺ. وفي تفسير القرطبي من رواية الترمذي الحكيم، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام برفع القواعد، قال الله تبارك وتعالى إني معطيكما كنزاً ادخرته لكما. ثم أوحى الله إلى إسماعيل عليه السلام، أن اخرج إلى أجياد فادع يأتك الكنز، فخرج إلى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣١ ــ ٣٣. (٢) سورة السجدة: الآية ١ ــ ٤. (٣) سورة ق: الآية ٣٨.

فألهمه الله تعالى الدعاء، فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها الله تعالى له. ولو ذكرنا ما قال الناس في ذلك، وشرحناه بطوله لطال. فقد تكلم الناس في ذلك كثيراً وذكروا من خواص الخيل ومنافعها شيئاً كثيراً، ليس ذلك كله مما نلتزم صحته، ومطالبة القاصد بسرعة الجواب، في أسرع وقت، تقتضي الاقتصار على ما قلناه، وفيه كفاية. وأما قولنا إن خلق الذكور قبل الإناث، فلأمرين: أحدهما شرف الذكر على الأنثى، والثاني حرارته وإن كان الإثنان من جنس واحد، من مزاج واحد، فأحدهما أكثر حرارة من الآخر، فقد جرت عادة القدرة الإلهية بتكوين أقواهما حرارة قبل الآخر، والذكر أقوى حرارة من الأنثى، فناسب أن يكون وجوده أسبق ولتحصل المنة به أكثر، ولذلك كان خلق آدم عليه السلام قبل خلق حوّاء، ولأن أعظم ما يقصد له الخيل الجهاد، والذكر في الجهاد خير من الأنثى، لأن الذكر أجرى وأجرأ، أعني أشد جرياً وأقوى جراءة، ويقاتل مع راكبه والأنثى بخلاف ذلك، وقد تقطع بصاحبها أحوج ما يكون إليها، إذا كانت وديقاً، ورأت فحلاً، ولا يرد على ذلك ركوب جبريل عليه السلام أنثى، لما جاز البحر بموسى عليه السلام، لأن ذلك لركوب فرعون فحلا فقصد طلبه للأنثى وعجز فرعون عن إمساك رأسه. وأما قولنا إن العربيات قبل البراذين، فلما ذكر من حديث إسماعيل عليه السلام، ولأن العربيات أشرف وآصل. والبرذون إنما يكون بعارض أو علة إما فيه وإما في أبيه أو أمه، ولم تكن البراذين تذكر فيما خلا من الزمان ألا ترى إلى قصة إسماعيل عليه السلام، وقصة سليمان عليه السلام، وإنما البراذين ما انتحس من الخيل، حتى اختلف العلماء هل يسهم كما يسهم للفرس العربي أو لا؟ وفي حديث من مراسيل مكحول، في بعض ألفاظه «للفرس سهمان وللهجين سهم». فهذه الرواية تقتضي أن الهجين لا يسمى فرساً، والهجين هو البرذون أو قريب منه. وبالجملة البراذين حثالة الخيل وما كان الله تعالى ليخلق من الجنس حثالة في الأول. وأما الأحاديث النبوية والآثار الصحيحة، فإن ما جاء منها في فضيلة الخيل وسباقها، وشياتها وفضيلة اتخاذها، وبركتها والنفقة عليها وخدمتها، ومسح نواصيها والتماس نسلها، وثمنها وغمائها، والنهي عن خصائها، وجز نواصيها وأذنابها وإزالتها، وفيما يقسم لصاحبها من الغنيمة واختلاف العلماء فيه، وهل يجب فيها زكاة أو لا؟ وغير ذلك أضرّ بنا للعجلة. وهذه نبذة يسيرة كتبتها على سبيل العجلة في ساعة من النهار، ولعجلة المطالب بها، وإن اخترتم كتبت فيها كتاباً مستقلاً إن شاء الله تعالى.

الحكم: أكل لحوم الخيل يأتي إن شاء الله تعالى، في باب الفاء في لفظ الفرس. وذكر الصميري، في شرح الكفاية، أنه لا يجوز بيعها لأهل الحرب كالسلاح، ويكره أن تقلد الأوتار لما روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي بشير الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نهى عن ذلك قال الخطابي: «وأمره ﷺ بقطع قلائد الخيل». قال مالك: أراه من أجل العين. وقال غيره: إنما أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس، وقال آخرون: لئلا تختنق بها عند شدة الركض، ويحتمل أن يكون أراد عين الوتر خاصة دون غيره من السيور والخيوط. وقيل: معناه لا تطلبوا عليها الأوتار والدخول ولا تركضوها في درك الثار، على ما كان من عادتهم في الجاهلية والسبق فيها معتبر بالأعناق، وفي الإبل بالأكتاف، لأن الإبل ترفع أعناقها في العدو،

فلا يمكن اعتبار مدها، والخيل تمدها. والمراد: إذا استوت أعناقها في الطول والقصر والإرتفاع لقوله[1] ﷺ: «بعثت أناو الساعة كفرسي رهان كاد أحدهما أن يسبق الآخر بإذنه». وفي المستدرك وسنن أبي داودوابن ماجة ومسند أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ[2] قال: «من أدخل فرساً بين فرسين، ولا يأمن أن يسبق فليس بقمار، ومن أدخل فرساً بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار». والصحيح أن الذمي يمنع من ركوبها، لقوله تعالى: ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم﴾ فأمر أولياءه بإعدادها لأعدائه، ولأن ظهورها عز، وهم ضربت عليهم الذلة. وفي وجه أنهم لا يمنعون وينسب لأبي حنيفة مثله. وقال الشيخ أبو محمد الجويني: يمنعون من الشريفة دون البراذين الخسيسة. وألحق الإمام والغزالي البغال النفيسة بالخيل، وجزم به الفوراني ولم يقيده بالنفيسة. ولا زكاة في الخيل عند الجمهور، لقوله[3] ﷺ: «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة». متفق عليه. وأوجبها أبو حنيفة في إناثها المنفردة أو المجتمعة مع الذكور فعند ذلك صاحبها بالخيار، وإن شاء أعطى عن كل فرس ديناراً وإن شاء قومها وأعطى من كل مائتي درهم خمسة دراهم، وإن كانت ذكوراً منفردة فلا شيء فيها.

**الأمثال**: قالوا[4]: «الخيل ميامين». أي مباركات. قالوا: «الخيل أعلم بفرسانها»[5]. يضرب للرجل يظن أن عنده غناء ولا غناء عنده. ومن كلمات النبي ﷺ التي لم يسبق إليها قوله: «يا خيل الله اركبي». قالها يوم حنين في حديث أخرجه مسلم وهو على حذف مضاف، أراد ﷺ: «يا فرسان خيل الله اركبي». وهو من أحسن المجازات، كقوله[6] تعالى: ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ قال الجاحظ، في كتاب البيان والتبيين: عن يونس بن حبيب إنه قال: لم يبلغنا من بدائع الكلام ما بلغنا عن النبي ﷺ، وغلط في هذا الحديث ونسب إلى التصحيف، وإنما قال القائل: ما بلغنا عن البتي، يريد عثمان البتي، فصحف الجاحظ. قالوا: والنبي ﷺ أجل من أن يخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال: ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذي بلغنا عن غيره، كلامه أجل من ذلك وأعلى ﷺ.

**الخواص**: الخيل إذا سقيت الزرنيخ الأحمر قتلها. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك في باب الفاء في لفظ الفرس ويأتي طرف من خواصه.

**التعبير**: الخيل في المنام قوّة وزينة وعز وهي أشرف ما ركب من الدواب، فمن رأى عنده منها شيئاً نال قوّة وعزا. وربما دل ذلك على اتساع حاله، وادرار رزقه، وانتصاره على

---

(١) رواه أحمد: ٥/٣٣١.

(٢) رواه ابن ماجه جهاد: ٤٤. أحمد: ٢/٥٠٥.

(٣) رواه مسلم زكاة: ٩. وأبو داود زكاة: ١١. النسائي زكاة: ١٦، ١٧. وابن ماجه زكاة: ١٥. الموطأ زكاة: ٣٧. أحمد: ٢/٢٤٩.

(٤) جهرة الأمثال: ١/٣٣٩.

(٥) جهرة الأمثال: ١/٣٣٨.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٦٤.

أعدائه، لقوله[1] تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث﴾ وربما ظفر بعدوّه لقوله[2] عز وجل: ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم﴾ ومن رأى خيلاً تتطاير في الهواء فإنها فتنة. ولا خير في ركوب الخيل في غير محل الركوب كالسطح والحائط ونحوهما، وخيل البريد في الرؤيا قرب أجل من ركبها وسيأتي إن شاء الله تعالى تتمة الكلام في باب الفاء في لفظ الفرس كما وعدنا والله أعلم.

ومما جرب: لمغل الخيل والدواب أن يكتب على الحوافر الأربع: بسم الله الرحمن الرحيم فأصابها إعصار فيه نار، فاخترقت عجفون عجفون عجفون شاشيك شاشيك شاشيك وأيضاً يكتب لحمر الخيل والدواب ويعلق عليها وقد جرب ولا طلهه هو هو هو رهت هر هر هر هر هر وهو هو هو هو هو هو ه ه ه ه ه ه أمها هيالولوس دررروبر حفرب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أم خنور: على وزن التنور والسفود الضبع وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الضاد المعجمة الكلام عليه والله الموفق للصواب.

## باب الدال المهملة

الدابة: ما دب من الحيوان كله، وقد أخرج بعض الناس منها الطير لقوله[3] تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ورد بقوله [4] تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ قال الشيخ تاج الدين بن عطاء رحمه الله تعالى: وهذه الآية مصرحة بضمان الحق الرزق، وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين، فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله تعالى، والثقة به فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق ولأن الطير يدب على الأرض برجليه في بعض حالاته قال الأعشى[5]:

بنات كغصن البان ترتج إن مشت ... دبيب قطا البطحاء في كل منهل

وقال[6] تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ وقال[7] عز وجل: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال ابن عطية: مقصود الآية أن يبيّن أن هذه الطائفة العاتية من الكفار هي شر الناس عند الله تعالى، وأنها في أخس

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
(٣) الأعشى: ميمون بن قيس، الشاعر الجاهلي. البيت في ديوانه: ٣٥٣. وفيه: «نياف كغصن».
(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٠.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٣٨.
(٦) سورة هود: الآية ٦.
(٧) سورة الأنفال: الآية ٢٢.

المنازل لديه وعبر بالدواب ليتأكد ذمهم، وليفضل الكلب والخنزير والفواسق الخمس، وغيرها عليهم. والدواب كل ما دب يجمع الحيوان بجملته.

وفي الصحيحين: عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ مر عليه بجنازة، فقال(1): «مستريح ومستراح منه» قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال ﷺ: «العبد المؤمن مستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب». وفي سنن أبي داودوالترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة عن إبراهيم بن محمد عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ(2) قال: «ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة». يروي مصيخة ومسيخة بالصاد والسين والأصل الصادومعناهامنصتة مستمعة.

وفي الحلية: في ترجمة أبي لبابة الأنصاري رضي الله تعالى عنه، وهو من أهل الصفة، أن النبي ﷺ قال(3): «إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى ما من ملك مقرب، ولا سماء ولا أرض، ولا جبال ولا رياح، ولا بحر إلاوهو مشفق من يوم الجمعة أن تقوم الساعة». وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: أخذ النبي ﷺ بيدي وقال(4): «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى المغرب».

وإعلم: أنه سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء بلا كلفة ونصب، ويختار ما يشاء بلا زلفة وسبب، يخلق ما يشاء بلا علاج، ويختار ما يشاء بلا احتياج، يخلق ما يشاء علماً بربوبيته، ويختار ما يشاء دلالة على وحدانيته، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّا كبيراً. وفي كامل ابن الأثير إن كسرى كان له خمسون ألف دابة وثلاثة آلاف امرأة.

غريبة: في تاريخ ابن خلكان، في ترجمة ركن الدولة بن بويه، أنه حارب عدواً له وضاقت الميرة على الطائفتين، حتى ذبحوا دوابهم، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل، فاستشار وزيره أبا الفضل بن العميد في الهرب، فقال له: لا ملجأ لك إلا إلى الله تعالى، فانو للمسلمين خيراً، وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان، فإن الحيل البشرية كلها تقطعت بنا، وإن انهزمنا تبعونا وقتلونا، وهم أكثر منا، فقال قد سبقتك إلى هذا يا أبا الفضل، قال أبو الفضل: ثم إن ركن الدولة استدعاني في تلك الليلة في الثلث الأخير، وقال: رأيت الساعة في منامي كأني على

---

(1) رواه البخاري في الرقاق: ٤٢. ومسلم في الجنائز: ٦١. النسائي جنائز: ٤٨ ـ ٤٩. الموطأ جنائز: ٥٥، أحمد: ٥/٢٩٦.

(2) الموطأ جمعة: ١٦.

(3) رواه ابن ماجه في الإقامة: ٧٩. أحمد: ٣/٤٢٠.

(4) رواه أحمد: ٢/٣٢٧. ومسلم منافقين: ٢٧.

دابتي فيروز. وقد انهزم عدونا، وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب، فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتماً فأخذته فإذا فصه فيروزج، فجعلته في إصبعي وتبركت به فانتهيت، وقد أيقنت بالظفر فإن الفيروزج الفرج جاء ومعناه الظفر، ولذلك لقب الدابة فيروز. قال ابن العميد: فلم أبرح إذ أتانا الخبر والبشارة بأن العدو قدرحل وتركوا خيامهم، فما صدقنا حتى تواترت الأخبار فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم وسرنا حذرين من كيدهم ومكرهم، وسرت إلى جانبه وهوعلى دابته فيروز، فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه ناولني ذلك الخاتم فأخذ خاتماً من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج فجعله في اصبعه، وقال: هذا تأويل رؤياي، وهذا هو الخاتم الذي رأيته في منامي بعينه. قال: وهذا عن أعجب ما يحكى وإسم ركن الدولة الحسن أبو علي، وكان ملكاً جليلاً مهاباً وكان قد ملك أصبهان والري وهمذان، وجميع عراق العجم وقد فتح أكثر البلاد وملكها وقرر قواعدها وضبطها. توفي في المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وكان عمره تسعاً وتسعين سنة وكانت مدة ملكه أربعاً وأربعين سنة. وفي **شفاء الصدور** لابن سبع السبتي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ[1] قال: «لا تضربوا وجوه الدواب فإن كل شيء يسبح بحمده» وقد تقدم عنه حديث في البهيمة قريب من هذا وفي **كتاب الاحياء** في باب كسر الشهوتين، حديث «لا يستدير الرغيف، ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة، ثم الملائكة التي تزجي سحاباً، ثم الشمس والقمر والأفلاك، وملوك الهواء ودواب الأرض، وآخر ذلك الخباز ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**[2]﴾ وروى الإمام أحمد والبيهقي في الشعب، عن محمد بن سيرين، قال: خرجت دابة تقتل الناس، فمن دنا منها قتلته فجاء رجل أعور فقال: دعوني وإياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها. فقالوا: حدثنا بأمرك، فقال: ما أصبت ذنباً قط إلا ذنباً واحداً بعيني هذه، فأخذت سهماً وفقأتها به. قال الإمام أحمد: ولعل هذا كان جائزاً في شريعة بني إسرائيل، أو في شريعة من كان قبلنا أما في شريعتنا فلا يجوز فقء العين، التي ينظر بها إلى ما لا يحل له. لكن يستغفر الله تعالى من ذلك ولا يعود إليه.

وذكر[3] **ابن خلكان** في ترجمة الربيع الجيزي أنه مر يوماً بسكة من سكك مصر، فطرحت عليه إجانة من رماد، فنزل عن دابته، ونفض ثيابه فقيل له ألا تزجرهم! فقال: من استحق النار فصولح على الرماد، لم يجز له أن يغضب. والربيع بن سليمان هذا صاحب الشافعي، وهو أحد رواة القول الجديد عن الشافعي. وتوفي سنة خمس ومائتين. والجيزي نسبة إلى الجيزة قبالة مصر، والأهرام في عملها بالقرب منها، وهي من عجائب أبنية الدنيا، والأهرام قبور لملوك عظام، أرادوا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم، كما تميزوا عليهم في حياتهم. قيل: إن المأمون لما وصل مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد شديد، وغرامة نفقة عظيمة، فوجد داخله مراق ومها، ويعسر سلوكها، ووجد في أعلاها بيتاً، مكعباً، طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع، وفي وسطه حوض من صوّان مطبق فيه رمة بالية، قد أتت عليها العصور فكف عن نقب ما

---

(١) رواه ابن حنبل: ٤/١٣١. (٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٤. (٣) وفيات الأعيان: ٢/٢٩٢.

سواه. ونقل أن هرمس الأول، وهو أخنوخ وهو ادريس استدل من أحوال الكواكب، على كون الطوفان فأمر ببنيان الأهرام، ويقال: إنه ابتناها في مدة ستة أشهر وكتب فيها: قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة عام، والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج فليكسها الحصر والحصر أيسر من الديباج. وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزي في كتاب سلوة الاحزان: ومن عجائب الهرمين، أن سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع من رخام ومرمر، وفيها مكتوب أنا بنيتها بملكي، فمن ادعى قوة فليهدمها فإن الهدم أيسر من البناء، قال ابن المنادي: بلغنا أنهم قدروا خراج الدنيا مراراً، فإذا هو لا يقوم بهدمها والله أعلم. وفي صحيح(١) مسلم وغيره عن صهيب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له وفي رواية ساحر فقال الساحر: إني قد كبرت وأخاف أن أموت فينقطع عنكم علمي ولا يكون فيكم من يعلمه فانظروا إلي غلاماً فهيماً أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمي هذا، فنظروا له غلاماً على ما وصف، وأمروه أن يحضر ذلك الساحر، وأن يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة قال معمر: أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به، فلم يزل به حتى أخبره فقال: إنما أنا عبد الله، فجعل الغلام يمكث عند الراهب. ويبطىء على الساحر، فأرسل إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرني، فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما الغلام على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة وقد حبست الناس، فقال: اليوم يبين أمر الراهب من أمر الساحر، فأخذ حجراً وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، ثم رمى بالحجر فقتلها. فقال الناس من قتلها؟ فقالوا: الغلام. ففزع الناس، وقالوا: لقد علم هذا الغلام علماً لم يعلمه أحد. قال: فسمع به أعمى، كان جليساً للملك، فقال له: إن رددت بصري فلك كذا وكذا! فقال له: لا أريد منك شيئاً ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك، أتؤمن بالذي رده لك؟ قال: نعم فدعا الله تعالى فرد عليه بصره، فأمن الأعمى، وإنه جاء إلى الملك بعد ما شفي، فجلس معه كما كان يجلس، فقال له: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي قال: وهل لك رب غيري؟ قال: الله ربي وربك. فأمر بالمنشار فوضع على رأسه حتى وقع شقاه». وفي رواية الترمذي أن تلك الدابة كانت أسداً وأن الغلام لما قتلها أخبر الراهب فقال له إن لك شأناً وإنك تبتلى فلا تدل علي. وإن الملك بلغه أمرهم فبعث إليهم فأتي بهم إليه فقال: لاقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، ثم أمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق كل واحد منهما فقتله، ثم قتل المقعد بقتلة أخرى، ثم أمر بالغلام، فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا، فألقوه من رأسه، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلما انتهوا به إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه، قال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فجعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون منه حتى لم يبق منهم إلا الغلام. قال: فرجع الغلام يمشي حتى أتى الملك فقال له: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم ربي بما شاء، فأمر الملك أن ينطلقوا به إلى البحر، فيلقوه فيه، فانطلقوا به إلى البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت

(١) رواه مسلم زهد: ٧٣. والبخاري مناقب الأنصار: ٢٩. والترمذي في تفسير سورة: ٨٥.

فأغرق الله عز وجل الذين كانوا معه، وأنجاه. فأقبل الغلام يمشي على وجه الماء حتى أتى الملك فتحير الملك في نفسه، فقال له الغلام: أتريد أن تقتلني؟ قال: نعم. قال: إنك لا تقدر على ذلك حتى تصلبني وترميني بسهم من كنانتي وتقول إذا رميتني: بسم الله رب هذا الغلام بعد أن تجمع الناس في صعيد واحد. قال: فجمع الملك الناس في صعيد واحد وأمر بالغلام أن يصلب فصلب، وأخذ الملك سهماً من كناية الغلام وقال: بسم الله رب هذا الغلام ورماه فوقع السهم في صدغه فقتله ووضع الغلام يده على صدغه فقال الناس: آمنا برب هذا الغلام. فقيل للملك: إنك جزعت حين خالفك ثلاثة، فهذا العالم كلهم قد خالفوك فأمر بالأخدود، فخد أخدوداً ثم ألقي فيه الحطب والنارثم جمع الناس وقال لهم: من رجع عن دينه تركناه، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار. فجعل يلقيهم في ذلك الأخدود. فذلك قوله[1] تعالى: **﴿قتل أصحاب الأخدود النارذات الوقود﴾** زاد مسلم فأتى بامرأة لتلقى في النار ومعها صبي رضيع، فجزعت فقال لها: الغلام يا أماه لا تجزعي فإنك على الحق. وذكر ابن قتيبة أن الغلام الرضيع، كان عمره سبعة أشهر. قال الترمذي وإن الغلام أخرج في زمان عمر رضي الله تعالى عنه ويده على صدغه كما وضعها حين قتل.

وذكر صاحب السيرة محمد بن إسحاق فيها أن إسمه عبد الله بن التامر. وأن رجلاً من أهل نجران حفر خربة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه في بعض حاجته، فوجده تحت الردم قاعداً واضعاً يده على ضربة في صدغه، وفي يده خاتم مكتوب عليه «ربي الله» فكتبوا بذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه فكتب إليهم أن أقروه على حاله ففعلوا. قال السهيلي. ويصدقه قوله[2] عز وجل **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾** الآية وقوله ﷺ: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». خرجه[3] أبو داود وذكر أبو جعفر الداودي هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين، قال: وهي زيادة غريبة، لكن الداودي من أهل الثقة والعلم. انتهى قال ابن بشكوال وكان إسم ذلك الملك يوسف ذا نواس، وكان بنجران وكان ملك حمير وما حوله، وقيل إسمه زرعة ذو نواس، وكان على دين اليهودية قاله السمرقندي. والوقعة كانت قبل مبعث النبي ﷺ بسبعين سنة، وكان إسم ذلك الراهب قيتمون، قاله ابن بشكوال.

**وفي المثل السائر**: «فلان أكذب من دبّ ودرج»[4]. قال الجوهري: معناه أكذب الأحياء والأموات، لأنهم يدرجون في الأكفان وروى الترمذي الحكيم، عن زيد بن أسلم أن الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر رضي الله تعالى عنهم في نفر منهم لما هاجروا قدموا على رسول الله ﷺ، وقد أرملوا من الزاد، فأرسلوا قاصدهم إلى النبي ﷺ يسأله، فلما انتهى إليه سمعه يقرأ[5] **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾** فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون

---

(١) سورة البروج: الآية ٤، ٥. (٢) سورة البقرة: الآية ١٦٩.

(٣) رواه أبو داود في الصلاة: ٢٠١، وتر: ٢٦. والنسائي في الجمعة: ٥. وابن ماجه في الإقامة: ٧٩. والدارمي في الصلاة: ٢٠٦. وأحمد: ٤ ــ ٨.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٤. (٥) سورة هود: الآية ٦.

على الله من الدواب، فرجع ولم يدخل على النبي ﷺ فأتى أصحابه وقال لهم: أبشروا فقد جاءكم الغوث فظنوا أنه قد أعلم النبي ﷺ بحالهم، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان معهما قصعة مملوأة خبزاً ولحماً فأكلوا ما شاء الله، ثم قال بعضهم لبعض: ردوا بقية هذا الطعام على رسول الله ﷺ فردوه، ثم إنهم أتوه فقالوا: يا رسول الله لم نر طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلته إلينا! فقال ﷺ: «ما أرسلنا إليكم شيئاً فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم إليه، فسأله ﷺ فأخبره بما صنع، فقال[1] ﷺ: «ذلكم شيء رزقكموه الله عزّ وجلّ». قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري: هذه آية مصرحة بضمان الحق الرزق، وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين، فإن وردت على قلوبهم، كرت عليها جيوش الإيمان بالله والثقة به وبضمانه فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

وذكر: ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن النبي ﷺ قال[2]: إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا فإن الله عز وجل في الأرض حابساً يحبسها». قال: الإمام النووي رحمه الله تعالى حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم، أنه انفلتت له دابة، أظنها بغلة، وكان يعرف هذا الحديث، فقاله فحبسها الله تعالى عليه في الحال. قال: وكنت أنا مرة مع جماعة، فانفلتت منهم بهيمة، فعجزوا عنها فقلت هذا الحديث فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام. وروى ابن السني أيضاً، عن الإمام السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه، وديانته وورعه ونزاهته، أبي عبد الله يونس بن عبيد بن دينار المصري التابعي، المشهور، رحمه الله تعالى، أنه قال: ليس رجل يكون على دابة صعبة، فيقول في أذنها: ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه ترجعون**﴾[3] إلا وقفت بإذن الله تعالى. وروى الطبراني، في معجمه الأوسط، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان فاقرؤوا في أذنه ﴿**أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون**﴾. وقد تقدم في باب الباء الموحدة في لفظ البغلة أن النبي ﷺ ركب بغلة فحادت به فحبسها، وأمر رجلاً أن يقرأ عليها قل أعوذ برب الفلق فسكنت.

فرع: في كتب الحنابلة يجوز الانتفاع بالدابة في غير ما خلقت له كالبقر للحمل والللركوب، والإبل والحمير للحرث وقوله ﷺ: «بينما رجل يسوق بقرة إذ أراد أن يركبها فقالت: إنا لم نخلق لذلك». متفق[4] عليه. المراد أنه معظم منافعها ولا يلزم منه منع غير ذلك. وقال الإمام أحمد من شتم دابة، قال الصالحون: لا تقبل شهادته لحديث المرأة التي لعنت الناقة. وفي صحيح[5] مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة».

فرع: يجب على مالك الدابة علفها ورعيها وسقيها لحرمة الروح كما في الصحيح عذبت

---

(١) رواه النسائي في الصيد: ٣٥.

(٢) رواه مسلم: توبة ٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(٤) رواه ابن حنبل: ٢ ـ ٢٤٥ ـ ٣٨٢ ـ ٥٠٢.

(٥) رواه مسلم في البر: ٨٥ ـ ٨٦. وأبو داود أدب: ٤٥. وابن حنبل: ٦/٤٤٨.

امرأة في هرة لأنها ذات روح فأشبهت العبد. فإن لم تكن ترعى لزمه أن يعلفها ويسقيها إلى أول شبعها وريها دون غايتهما، وإن كانت ترعى لزمه إرسالها لذلك حتى تشبع وتروى بشرط فقد السباع العادية ووجود الماء، فإن اكتفت بكل من الرعي أو العلف خير بينهما فإن لم تكتف إلا بهما الزماه، وإن احتاجت البهيمة إلى السقي ومعه ماء يحتاج إليه لطهارته سقاها وتيمم، فإن امتنع من العلف أجبر في مأكولة على بيع أو علف أو ذبح، وفي غيرها على بيع أو علف صيانة لها عن الهلاك فإن لم يفعل فعل الحاكم ما تقتضيه المصلحة، فإن كان له مال ظاهر بيع في النفقة، فإن تعذر جميع ذلك فمن بيت المال.

**فائدة**: يستحب أن يقول عند ركوب الدابة ما رواه الحاكم والترمذي وصححاه عن علي بن ربيعة، قال: شهدت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وقد أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك. فقيل: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت، فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: «إن ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري»(١).

وروى أبو القاسم الطبراني، في كتاب الدعوات، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا ركب العبد الدابة ولم يذكر إسم الله تعالى، ردفه الشيطان، فقال: تغن فإن كان لا يحسن الغناء، قال له: تمن فلا يزال في أمنيته حتى ينزل». وفيه عن أبي الدرداء رضي الله أن النبي ﷺ(٢) قال: «من قال إذا ركب دابة: بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء سبحانه ليس له سمي، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام. قالت: الدابة: «بارك الله عليك من مؤمن خففت، عن ظهري وأطعت ربك، وأحسنت إلى نفسك بارك الله لك في سفرك وأنجح حاجتك».

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن ادريس عن أبي النضر الدمشقي عن إسماعيل ابن عياش، عن عمرو بن قيس الملائي، أنه قال: إذا ركب الرجل الدابة، قالت: اللهم اجعله بي رفيقاً رحيماً، فإذا لعنها، قالت: على أعصانا لله لعنة الله. وفي كامل ابن عدي في ترجمة عباد، ابن كثير الثقفي، وكان شعبة، لا يستغفر له، أنه روى عن ابن طاوس عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «اضربوا الدواب على النفار ولا تضربوها على العثار».

**فرع**: يجوز الارداف على الدابة إذا كانت مطيقة، ولا يجوز إذا لم تطقه. ففي الصحيحين(٣) عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «أردفه حين دفع من عرفات

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد: ٦٤.
(٢) رواه مسلم والترمذي وأبو داود. أنظر رياض الصالحين ص ٤١٢.
(٣) البخاري جهاد: ٥٩. مسلم حج: ١٤٧.

إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل بن العباس رضي الله تعالى عنهما، من مزدلفة إلى منى، وأنه ﷺ أردف معاذاً رضي الله تعالى عنه على الرحل، وأردفه على حمار يقال له عفير وأمر ﷺ عبد الرحمن ابن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما، أن يعتمر بأخته عائشة رضي الله تعالى عنها من التنعيم، فأدرفها وراءه على راحلته، وأردف ﷺ صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وراءه، حين تزوجها بخيبر» وإذا أردف صاحب الدابة، فهو أحق بصدرها ويكون الرديف وراءه إلا أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك. وأفاد الحافظ ابن منده أن الذين أردفهم النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون نفساً، ولم يذكر فيهم عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه، ولم يذكر أحد من علماء الحديث والسير أن النبي ﷺ أردفه. وروى الطبراني عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «نهى أن يركب ثلاثة على دابة[1]».

فرع: قال أصحابنا ما ليس مأكولاً من الدواب والطيور، إن كان فيه مضرة متمحضة، استحب قتله للمحرم وغيره كالفواسق الخمس والذئب والأسد والنمر والنسر والحدأة والبرغوث والقمل والزنبور والبق والقراد وأشباهها. فإن كان فيه منفعة ومضرة كالفهد والكلب المعلم والعقاب والبازي والصقر ونحوها فلا يستحب قتله لما فيه من المنفعة، ولا يكره لما فيه من الضرر، وهو الصيال على حمام الناس. والعقر وإن لم يكن فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة واللجا والذباب وأشباهها، فيكره قتله ولا يحرم، على ما قطع به الجمهور وحكى الإمام وجهاً شاذاً أنه يحرم قتل الطيور دون الحشرات لأنه عبث بلا حاجة.

وأما دابة الأرض التي ذكرها الله تعالى في سورة سبأ. فهي الأرضة، وقيل سوسة الخشب قال الله تعالى: ﴿**فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته**﴾[2] السبب في ذلك أن سليمان عليه السلام، كان قد أمر الجن ببناء صرح، فبنوه له، ودخله مختفياً ليصفو له يوم واحد من الدهر عن الكدر، فدخل عليه شاب فقال له: كيف دخلت من غير استئذان؟ فقال له إنما دخلت بإذن. قال: ومن أذن لك؟ قال: رب هذا الصرح! فعلم سليمان أنه ملك الموت، أتى ليقبض روحه. فقال: سبحان الله، هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفاء. فقال له: طلبت ما لم يخلق. فاستوثق من الاتكاء على العصا. وقد كانت بيت المقدس بقي من تمام بنائه سنة، فسأل الله تعالى تمامها على يد الإنس والجن. وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة فكانوا يقولون إنه يتحنث أي يعبد ربه، فقبض روحه، وكانت الجن تدعي علم الغيب، فلما قبض، بقيت الجن تعمل على عادتها، وقيل: إن ملك الموت أعلمه أنه بقي من عمره ساعة فدعا الجن فبنوا له الصرح، وقام يصلي متكئاً على عصاه، فمات وهو متكىء عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر أحد منهم إليه في صلاته إلا احترق، فمر واحد منهم فلم يسمع صوته، ثم رجع فسلم فلم يسمع له كلاماً، فنظر فإذا هو قد خر ميتاً، فعلمت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سنة. وكان عمره عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة. والمنسأة العصا،

---

(١) البخاري لباس: ٩٩. ومسلم فضائل: ٦٦.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٤.

وكانت من خروب، وذلك أنه كان يتعبد في بيت المقدس فينبت له في محرابه كل سنة شجرة، فيسألها ما إسمك؟ فتقول الشجرة: إسمي كذا، فيقول لها: لأي شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا فيأمر بها فتقلع، فإن كانت تنبت بغرس غرست، وإن كانت لدواء كتبت، فبينما هو ذات يوم، إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها: ما إسمك؟ قالت: أنا الخروبة خرجت لخراب ملكك. فعرف أنه قد حضر أجله، فاستعد واتخذ منها عصا، واستدعى بزاد سنة، والجن تتوهم أنه يأكل بالليل. وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وكان الذي ابتدأ في بناء بيت المقدس داود عليه السلام، فرفعه قامة رجل ثم مات، فلما استخلف ابنه سليمان عليه السلام، أحب اتمامه فجمع الجن والشياطين، وقسم عليهم الأعمال، فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح، وجعلها اثني عشر ربضاً، وأنزل في كل ربض منها سبطاً، فلما فرغ من بناء المدينة، ابتدأ في عمارة المسجد، فوجه الشياطين فرقاً فرقاً، يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها، والدر الصافي من البحر، وفرقاً يقلعون الجواهر والرخام من أماكنها، وفرقاً يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب. فأتى من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى، ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة، وتصييرها ألواحاً، وثقب اليواقيت واللآلىء، واصلاح الجواهر، فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المها الصافي، وسقفه بالواح الجواهر الثمينة، ونضد سقوفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت، وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج، فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد، كان يضيء في الظلماء كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بني إسرائيل، فأعلم أنه قد بناه لله عز وجل خالصاً واتخذ ذلك اليوم عيداً.

فائدة: قال بعض العلماء: سخر الله عز وجل الجن لسليمان عليه السلام، وأمرهم بطاعته، ووكل بهم ملكاً بيده صوت من نار، فمن زاغ منهم عن أمره، ضربه الملك ضربة أحرقته. قال أهل التفسير: أجرى الله تعالى لسليمان عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وكان ذلك بأرض اليمن، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان من النحاس.

وروى الحاكم عن إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال: «كان سليمان نبي الله، إذا قام في مصلاه، رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول: ما إسمك؟ فتقول: كذا. فيقول: لأي شيء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا فإذا كانت لدواء كتبت، وإن كانت لغرس غرست، فبينما هو يصلي يوماً إذ رأى شجرة، فقال: ما إسمك؟ قالت: الخروب. فقال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت. فقال سليمان عند ذلك: اللهم عم على الجن موتي، حتى يعلم الإنس إن الجن لا تعلم الغيب، قال: فاتخذ منها عصا، وتوكأ عليها، فأكلتها الأرضة، فسقط، فوجدوه ميتاً حولاً، فتبينت الإنس أن الجن، لو كانوا يعلمون الغيب، ما لبثوا حولاً في العذاب المهين[1]». وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقرؤها هكذا ما لبثوا حولاً في العذاب المهين، فشكرت الجن الأرضة. وكانت تأتيها بالماء والتراب حيث كانت ثم قال: صحيح الإسناد.

---

(١) رواه ابن ماجه إقامة: ١٩٩، والدارمي مقدمة: ٦ وابن حنبل: ٢ ـ ١٣٧.

وأما الدابة التي هي أحد اشراط الساعة، فقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾[1] قال: إذا لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر. قيل: إنها دابة طولها ستون ذراعاً ذات قوائم ووبر، وقيل: هي مختلفة تشبه عدة من الحيوانات، يتصدع لها جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع، والناس سائرون إلى منى. وقيل: تخرج من الحجر وقيل: من أرض الطائف، ومعها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا، وتكتب في وجهه مؤمن، وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه كافر. كذا رواه الحاكم في أواخر المستدرك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ، وفيه عن أبي الطفيل عن أبي شريحة عن النبي ﷺ، أنه قال: «يكون للدابة ثلاث خرجات في الدهر: تخرج أول خرجة بأقصى اليمن، فيفشوذكرها بالبادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة. ثم يكون زمان طويل ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها في البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني مكة، ثم يكون زمان فبينما الناس يوماً في أعظم المساجد عند الله حرمة، وأحبها إلى الله تعالى، وأكرمها على الله عز وجل، يعني المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد بين الركن الأسود وباب بني مخزوم، فترفض الناس عنها شتى، وتثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله هرباً فتنفض عن رؤوسهم التراب، فتجلو عن وجوههم حتى تظل كأنها الكواكب الدرية، ثم تذهب في الأرض فلا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتى إن الرجل ليعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: أي فلان الآن تصلي؟ فيلتفت إليها فتسمه في وجهه، ثم تذهب فيتجاور الناس في ديارهم، ويصطحبون في أسفارهم، ويشتركون في أموالهم، يعرف المؤمن من الكافر، حتى إن الكافر يقول: يا مؤمن اقضني، ويقول المؤمن: يا كافر اقضني. وروى السهيلي أن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أن يريه الدابة التي تكلم الناس، فأخرجها الله له من الأرض، فرأى منظراً أفزعه وهاله، قال: أي رب ردها، فردها. قال: والدابة اسمها أقصد. كذا ذكره محمد بن الحسن المقري في تفسيره انتهى.

روى أنها تخرج حين ينقطع الخير، ولا يؤمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، ولا يبقى منيب ولا تائب.

وفي الحديث[2]: «أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب، من أول اشراط الساعة». ولم يعين الأول منها، وكذلك الدجال وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخرها،والظاهر إن الدابة التي تخرج واحدة، وروي أنه يخرج من كل بلد دابة، مما هو مبثوث نوعها في الأرض، وليست بواحدة، فعلى هذا يكون قوله تعالى دابة إسم جنس.

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٢.

(٢) رواه البخاري في الفتن: ٢٥. رقاق ٤٠. ومسلم في التوبة: ٣١. والإيمان: ٢٤٨. وأبو داود في الجهاد: ٢. والترمذي في الفتن: ٢١. وابن ماجه فتن ٢٥ ــ ٢٨. والدارمي في السير: ٦٩، وأحمد: ١٩٢/١.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنها الثعبان الذي كان في جوف الكعبة، واختطفه العقاب، حين أرادت قريش بناء البيت الحرام، وأن الطائر حين اختطفها، ألقاها بالحجون، فالتقمتها الأرض، فهي الدابة التي تخرج تكلم الناس، وتخرج عند الصفا. قاله محمد بن الحسن المقري، وهو غريب غير أن الرجل من أهل العلم، ولذلك حكينا قوله، وقال القرطبي: أنها فصيل ناقة صالح، لقوله في الحديث: «تخرج ولها رغاء». والرغاء لا يكون إلا للإبل وهو غريب أيضاً. وفي الميزان للذهبي، عن جابر الجعفي أنه كان يقول: دابة الأرض علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. قال: وكان جابراً الجعفي شيعياً يرى الرجعة أي أن علياً رضي الله تعالى عنه يرجع إلى الدنيا، وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه: ما لقيت أحداً أكذب من جابر الجعفي، ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح. وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: أخبرني سفيان بن عيينة قال: كنا في منزل جابر الجعفي فتكلم بشيء، فخرجنا مخافة أن يقع عليناالسقف، قلت: ومع ذلك روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه، ووفاته سنة ست وستين ومائة. واختلف العلماء في كيفية خلق الدابة اختلافاً كثيراً فقيل إنها على خلقة الآدميين وقيل: جمعت خلق كل حيوان.

وهنا فائدة: وهي أن المفسرين اختلفوا في تفسير قوله[1] تعالى: ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ قيل: تكلمهم ببطلان الأديان، سوى دين الإسلام، قاله السدي. وقيل: كلامها أن تقول لواحد: هذا مؤمن، وتقول لآخر: هذا كافر. وقيل: كلامها ما قاله[2] الله عز وجل ﴿إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ ويكون كلامها بالعربية. وروي عن علي رضي الله تعالى عنه، إنه قال: ليست بدابة لها ذنب ولكن كالحية. كأنه يشير إلى أنها رجل والاكثرون على إنها دابة. وروى ابن جريج عن أبي الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعيناها عينا خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن ايل، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً. وروى الثعلبي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: تخرج الدابة من صدع في الصفا تجري كجري الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها. وروي أيضاً عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدابة تخرج من أعظم المساجد حرمة عند الله تعالى، بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت، ومعه المسلمون، فتضطرب الأرض من تحتهم، وينشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو منها رأسها، ملمعة ذات وبر وريش، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، تسم الناس مؤمناً وكافراً أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينه: مؤمن، وأما الكافر فتترك في وجهه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه: كافر. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قرع الصفا بعصاه، وهو محرم، وقال: إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه. وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: تخرج الدابة من شعب أبي قبيس رأسها في السحاب ورجلاها في الأرض. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٢.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٢.

قال: «بئس الشعب شعب أجياد» مرتين أو ثلاثاً، قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لأنه تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات، يسمعها من بين الخافقين».

وقيل إن وجهها وجه رجل، وسائر خلقتها كخلقة الطير، فتكلم من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد ﷺ والقرآن لا يوقنون.

فرع: أوصى لرجل بداية حمل على فرس وبغل وحمار، لأنها في اللغة إسم لما دب على وجه الأرض، ثم قصرها العرف على ذوات الأربع والوصية تنزل على العرف، وإذا ثبت عرف في بلد عم جميع البلاد، كما لو حلف لا يركب دابة فركب كافراً لا يحنث، وإن كان الله تعالى قد سماه دابة وكما لو احلف لا يأكل خبزاً حنث بأكل خبز الأرز في طبرستان على الأصح هذا هو المنصوص. وقال ابن سريج: إنما ذكر الشافعي هذا، على عرف أهل مصر، في ركوبها جميعاً، واستعمال لفظ الدابة فيها. أما حيث لا يستعمل إلا في الفرس كالعراق، فإنه لا يعطي سواها، وقيل: إن قاله بمصر لم يعط إلا حماراً قاله في البحر ويدخل في لفظ الدابة الكبير والصغير، والذكر والأنثى والسليم والمعيب، وقال المتولي: إلا ما يمكن ركوبه.

فرع: يكره دوام الوقوف على الدابة لغير حاجة، وترك النزول عنها للحاجة، لما في سنن أبي داود والبيهقي ،من حديث أبي مريم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ[1] قال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله عزّ وجلّ إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم في الأرض مستقراً فاقضوا عليها حاجاتكم». ويجوز الوقوف على ظهرها للحاجة، ريثما تقضى لما روى[2] مسلم وأبو داود والنسائي، عن أم الحصين الأحمسية رضي الله تعالى عنها، قالت: «حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فرأيت أسامة وبلالاً رضي الله تعالى عنهما، أحدهما آخذ بخطام ناقة النبي ﷺ، والآخر رافع ثوبه يستره من الحر، حتى رمى جمرة العقبة». وهكذا رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححاه. وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام، في الفتاوى الموصلية: النهي عن ركوب الدواب، وهي واقفة محمول على ما إذا كان لغير غرض صحيح، وأما الركوب الطويل في الأغراض الصحيحة، فتارة يكون مندوباً، كالوقوف بعرفة، وتارة يكون واجباً، كوقوف الصفوف في قتال المشركين، وقتال كل من يجب قتاله، وكذلك الحراسة في الجهاد، إذا خيف هجمة العدو، وهذا لا خلاف فيه. وفي حديث أم الحصين رضي الله تعالى عنها دليل على أن للمحرم أن يستظل بالمظال، نازلاً بالأرض وراكباً على ظهر الدابة، ورخص فيه أكثر أهل العلم إلا أن مالك بن أنس وأحمد رضي الله تعالى عنهما، كانا يكرهان للمحرم أن يستظل راكباً، لما روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أنه رأى رجلاً قد جعل على رحله عوداً له شعبتان، وجعل عليه ثوباً يستظل به وهو محرم، فقال له ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: اضح للذي حرمت له أي ابرز للشمس، وأما قوله ﷺ «لا تتخذوا ظهور الدواب منابر» فإنما أراد أن يستوطن ظهورها لغير أرب في ذلك، ولا حاجة. وقال

---

(١) رواه أبو داود جهاد: ٥٥.

(٢) رواه مسلم في الحج: ٣١٢. وأبو داود في المناسك: ٣٤. والنسائي في العيدين: ١٧.

الرياشي: رأيت أحمد بن المعذل في الموقف في يوم شديد الحر، وقد ضحى للشمس، فقلت له: يا أبا الفضل إن هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فأنشأ يقول:

ضحيت لـه كي استـظل بـظله  إذا الظل أضحى في القيامة قالصا
فـوا أسفـا إن كـان سعيك بـاطلا  ويـا حسرتـا إن كـان حجك نـاقصا

وأحمد بن المعذل هذا بصري مالكي المذهب، يعد من زهاد البصرة وعلمائها وأخوه عبد الصمد بن المعذل شاعر ماهر.

**الداجن**: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وكذلك الناقة والحمام البيوتي. والأنثى داجنة، والجمع دواجن. وقال أهل اللغة: دواجن البيوت ما ألفها من الطير والشاة وغيرهما. وقد دجن في بيته إذا لزمه قال ابن السكيت: شاة داجن وراجن، إذا ألفت البيوت واستأنست. قال: ومن العرب من يقولها بالهاء. وكذلك غير الشاة ككلاب الصيد، وقد أنشد عليه الجوهري بيتاً للبيد رضي الله تعالى عنه. قال: وأبو دجانة كنية سماك بن خرشة، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في القنفذ. وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن ميمونة اخبرته أن داجنة كانت لبعض نساء النبي ﷺ فماتت، فقال[1] رسول الله ﷺ: «ألا أخذتم إهابها فاستمتعتم به». وفيه وفي السنن الأربعة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته، دخل داجن فأكلها». وفي[2] حديثها أيضاً: «كانت عندنا داجن فإذا كان رسول الله ﷺ، عندنا قـ وثبت وإذا خرج ﷺ جاء وذهب». وفي الحديث «لعن الله من مثل بدواجنه[3]». وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال: كانت العضباء داجناً لا تمنع من حوض ولا بيت، وهي ناقة رسول الله ﷺ. وفي حديث الإفك فتدخل الداجن فتأكل من عجينها.

تتمة: دجين بن ثابت أبو اليربوعي البصري، روى عن أسلم مولى عمرو بن هشام بن عروة بن الزبير، قال ابن معين: حديثه ليس بشيء. وقال أبو حاتم وأبو زرعة: ضعيف. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الدارقطني وغيره: ليس بالقوي. وقال ابن عدي: روي لنا عن ابن معين إنه قال: دجين هو جحا. وقال البخاري: دجين بن ثابت هو أبو الغصن سمع مسلمة وابن مبارك، وروى عنه وكيع. قال عبد الرحمن بن مهدي قال لنا مرة دجين: وهو جحا، حدثني مولى لعمر بن عبد العزيز فقلنا له إن مولى لعمر بن عبد العزيز لم يدرك النبي ﷺ، فقال: إنما هو أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. قال: قلنا لعمر ما بالك لا تحدثنا عن رسول الله ﷺ؟ فقال: إنما أخشى أن أزيد أو أنقص، وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول[4]: «من

---

(١) رواه مسلم في الحيض: ١٠٣. وابن حنبل: ٤١٧/٥.

(٢) رواه ابن ماجه في النكاح: ٣٦.

(٣) رواه البخاري في الذبائح: ٢٥. والنسائي في الضحايا: ٤١. والدارمي أضاحي: ١٣.

(٤) رواه البخاري علم: ٣٨. جنائز: ٣٣. ورواه مسلم زهد: ٧٢. وأبو داود علم: ٤. والترمذي فتن: ٧٠. وابن ماجه مقدمة: ٤. والدارمي مقدمة: ٢٥. وأحمد: ٤٧/٢.

كذب علي متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار». وقال حمزة والميداني في الأمثال: جحا رجل من فزارة، كنيته أبو الغصن وهو من أحمق الناس. فمن حمقه، أن موسى بن عيسى الهاشمي مر به يوماً وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً، فقال له: ما بالك يا أبا الغصن لأي شيء تحفر؟ فقال: إني دفنت في هذه الصحراء دراهم ولست أهتدي إلى مكانها. فقال له موسى: كان ينبغي أن تجعل عليها علامة، قال: لقد فعلت، قال: ماذا؟ قال: سحابة في السماء كانت تظلها، ولست أدري موضع العلامة الآن. ومن حمقه أيضاً أنه خرج يوماً بغلس، فعثر في دهليز منزله بقتيل، فالقاه في بئر هناك، فعلم به أبوه فأخرجه ودفنه، ثم خنق كبشاً والقاه في البئر، ثم إن أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه، فتلقاهم جحا وقال: في دارنا رجل مقتول فانظروا لعله صاحبكم، فغدوا إلى منزله، فأنزلوه في البئر، فلما رأى الكبش، ناداهم هل كان لصاحبكم قرون؟ فضحكوا منه وانصرفوا. ومن حمقه أيضاً أن أبا مسلم الخراساني، صاحب الدعوة، لما ورد الكوفة، قال لمن حوله: أيكم يعرف جحا فيدعوه إلي؟ فقال يقطين: أنا. فخرج ودعاه، فلما دخل لم يجد في المجلس غير أبي مسلم ويقطين، فقال جحا: يا يقطين أيكما أبو مسلم؟! وجحا إسم لا ينصرف لأنه معدول من جاح مثل عمر من عامر يقال جحا يجحو جحواً إذا رمى.

**الدارم**: القنفذ. قاله ابن سيده وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

**الدبى**: بفتح الدال المهملة وتخفيف الباء الموحدة الجراد قبل أن يطير. الواحدة دباة قال الراجز:

كأن خوف قرطها المعقوب    على دباة أو على يعسوب

وأرض مدبية أي كثيرة الدبي، وقالوا في أمثالهم[1]: «أكثر من الدبى». وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: يا رسول الله كيف الناس بعد ذلك؟ قال[2] ﷺ: «دبى يأكل شداده ضعفاءه حتى تقوم الساعة». وقد تقدم الكلام على عموم الجراد.

**الدب**: من السباع معروف، والأنثى دبة وكنيته أبو جهينة وأبو الجلاح وأبو سلمة وأبو حميد وأبو قتادة وأبو اللهاس: وأرض مدبة أي ذات أدباب. والدب يحب العزلة فإذا جاء الشتاء دخل وجاره الذي اتخذه في الغيران، ولا يخرج حتى يطيب الهواء، وإذا جاع يمتص يده ورجليه فيندفع عنه بذلك الجوع. ويخرج في الربيع كاسمن ما يكون. وهو مختلف الطباع، لأنه يأكل ما تأكله السباع، وما ترعاه البهائم، وما يأكله الناس ومن طبعه أنه إذا كان أوان السفاد، خلا كل ذكر بأنثاه، والذكر يسافد أنثاه مضطجعة على الأرض، وتضع الأنثى جروها قطعة لحم غير مميز الجوارح، فتهرب به من موضع إلى موضع، خوفاً عليه من النمل، كما تقدم في جهير، وهي مع ذلك تلحسه حتى تتميز أعضاؤه ويتنفس. وفي ولادتها صعوبة وربما أشرفت على التلف حالة الوضع، وزعم بعضهم أنها تلد من فيها، وإنما تلده ناقص الخلق تشوقاً للذكر وحرصاً على السفاد، ولشدة شهوتها تدعو الآدمي إلى وطئها. ومن شأن هذا الجنس أن يسمن في الشتاء وتقل

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٧.

(٢) رواه ابن حنبل: ٦/٨١ـ٩٠.

فيه حركته وتضع الإناث حينئذ. وإذا جثم في مكان لا يتحرك منه إلى أن يمضي عليه أربعة عشر يوماً، وبعد ذلك يتدرج في الحركة. والأنثى إذا انهزمت دفعت جراءها بين يديها، فإذا اشتد خوفها عليها صعدت بها الأشجار. وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب، لكنه لا يطيع معلمه إلا بعنف وضرب شديد.

**وحكمه**: تحريم الأكل لأنه سبع يتقوى بنابه. وقال الإمام أحمد: إن لم يكن له ناب فلا بأس به، لأن الأصل الإباحة، ولم يتحقق وجود المحرم.

**فائدة**: قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي في آخر الأذكياء[1]: هرب رجل من أسد، فوقع في بئر، فوقع الأسد خلفه، فإذا في البئر دب، فقال له الأسد: منذ كم لك ههنا؟ قال: منذ أيام، وقد قتلني الجوع. فقال: له الأسد: أنا وأنت نأكل هذا الإنسان وقد شبعنا، فقال له الدب فإذا عاودنا الجوع ما نصنع؟ وإنما الرأي أن نحلف له، أنا لا نؤذيه ليحتال في خلاصنا وخلاصه، فإنه على الحيلة أقدر منا فحلفا لـه فتشبث حتى وجد نقباً فوصـل إليه، ثم إلى الفضـاء فتخلص وخلصهما. ومعنى هذا أن العاقل لا يترك الحزم في كل أموره، ولا يتبع شهوته لا سيما إذا علم أن فيها هلاكه بل ينظر في عاقبة أمره ويأخذ بالحزم في ذلك. وحكى القزويني في عجائب المخلوقات أن أسداً قصد إنساناً فهرب والتجأ إلى شجرة، فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمرتها، فلما رأى الأسد أنه فوق الشجرة، جاء وافترش تحتها ينتظر نزول الإنسان. قال: فنظرت إلى الدب، فإذا هو يشير بإصبعه إلى فيه، أن اسكت لئلا يعرف الأسد أني هنا. قال: فبقيت متحيراً بين الأسد والدب، وكان معي سكين صغير فأخرجته وقطعت بعض الغصن الذي عليه الدب حتى إذا لم يبق منه إلا اليسير سقط الدب بسبب ثقله فوثب الأسد عليه وتصارعا زماناً ثم غلبه الأسد فافترسه ورجع عني.

**الأمثال**: تقدم أنهم قالوا: «أحمق من جهبر». وهي أنثى الدب. وأما قولهم[2]: «ألوط من دب». فهو رجل من العرب كان يتجاهر بعمل ذلك. وأما قولهم[3]: «ألوط من ثفر»، فإنما قالوه لأن الثفر لا يفارق دبر الدابة، وقولهم[4]: «ألوط من راهب». هذا من قول الشاعر:

وألـوط مـن راهـب يـدّعـي    بـأن الـنـسـاءَ عـلـيـه حـرامُ

**الخواص**: نابه يلقي في لبن المرضعة ويسقاه الصبي تنبت أسنانه بسهولة. وشحمه يزيل البرص طلاء، وإذا شدت عينه اليمنى في خرقة، وعلقت على عضد إنسان لم يخف السباع، وإن علقت على من به الحمى الدائمة ابرأته، ومرارته إذا اكتحل بها مع العسل وماء الرازيانج اذهبت ظلمة البصر، وإذا طلي بذلك موضع داء الثعلب، أنبت الشعر فيه، وإذا شرب من مرارته وزن دانقين بعسل وماء حار، نفع الـرئة والبـواسير وطـرد الرياح. وإذا ربطت مرارته على فخذ الرجل اليمنى جامع ما شاء ولا يضره، ودمه إذا

---

(١) الأذكياء: ٢٤٣.

(٢) جمهرة الأمثال: ٢/١٨٣.

(٣) جمهرة الأمثال: ٢/١٨٣.

(٤) جمهرة الأمثال: ٢/١٨٣.

اكتحل به منع طلوع الشعر في اجفان العين. وإن اكتحل به بعد نتفه لم ينبت، وإذا دلك الولد بشحمه، كان له حرزاً من كل سوء، وإذا جشي بشحمه موضع الناسور نفعه، وإذا طلي بشحمه كلب جن. وقطعة من جلده إذا علقت على الصبي الذي ساء خلقه يزول عنه ذلك، وعينه اليمنى إذا جففت وعلقت على الطفل لم يفزع في نومه.

التعبير: الدب في المنام يدل على الشر والنكد والفتنة، وربما دلت رؤيته على المكر والخديعة، وعلى المرأة الثقيلة البدن الموحشة المنظر، ذات اللهو واللعب والطرب، وربما دلت رؤيته على الأسر والسجن وربما دلت رؤيته على عدو أحمق، لص محتال مخنث، فمن رأى أنه ركب دباً نال ولاية دنيئة، إن كان لها أهلاً، وإلا ناله هم وخوف ثم ينجو وربما دل على سفر ثم يرجع إلى مكانه والله تعالى أعلم.

الديدب: حمار الوحش قاله في العباب. وقد تقدم الكلام عليه في باب الحاء المهملة.

الدبر: بفتح الدال جماعة النحل. وقال السهيلي الدبر الزنابير، وأما الدبر بكسر الدال فصغار الجراد. قال الأصمعي لا واحد له من لفظه، ويقال إن واحده خشرمة، ويجمع الدبر على دبور قال الهذلي في وصف عسال:

إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها.

أي لم يخف لسعها به فسر قوله[1] تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ وقوله[2] تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ أي من كان يخاف لقاءه. قال النحاس: أجمع أهل التفسير على أن الرجاء في الآيتين بمعنى الخوف. ويقال أيضاً للزنابير دبر، كما قاله السهيلي. ومنه قيل لعاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله تعالى عنه: حمى الدبر، وذلك أن المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثلوا به، فحماه الله تعالى بالدبر فارتدعوا عنه، حتى أخذه المسلمون فدفنوه. وكان رضي الله تعالى عنه، قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك، فحماه الله تعالى منهم بعد وفاته. وفي أوائل تاريخ نيسابور للحاكم عن ثمامة بن عبد الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو ممن روى له الجماعة أنه قال: خرجنا مرة من خراسان ومعنا رجل يشتم أو ينال من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فنهيناه فأبى، فحضر غداؤنا ذات يوم ثم مضى إلى حاجته فأبطأ علينا فبعثنا في طلبه فرجع إلينا الرسول وقال: أدركوا صاحبكم، فذهبنا إليه فإذا هو قد قعد على حجر يقضي حاجته فخرج عليه عنق من الدبر، فنثرت مفاصله مفصلاً مفصلاً. قال: فجمعنا عظامه، وإنها لتقع علينا فما تؤذينا، وهي تبري مفاصله. وجاء في الحديث: «لتسلكن سنن من قبلكم ذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا

---

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٥.

خشرم دبر لسلكتموه»[1] والخشرم مأوى النحل. وفي الفائق أن سكينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنهما، جاءت إلى أمها الرباب وهي صغيرة تبكي، فقالت: ما بك؟ قالت: مرت بي دبيرة، فلسعتني بأبيرة أرادت تصغير دبرة وهي النحلة سميت بذلك لتدبيرها في عمل العسل.

**الدبسي**: بفتح الدال المهملة وكسر السين المهملة، ويقال له أيضاً الدبسي، بضم الدال طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب لأنهم يغيرون في النسب كالدهري والسهلي والفامي بائع الفوم، والقياس فومي. والأدبس من الطير والخيل، الذي في لونه غبرة بين السواد والحمرة. وهذا النوع قسم من الحمام البري وهو أصناف مصري وحجازي وعراقي، وهي متقاربة لكن أفخرها المصري. ولونه الدكنة وقيل: هو ذكر اليمام. قال الجاحظ: قال صاحب منطق الطير: يقال في الحمام الوحشي من القماري والفواخت، وما أشبه ذلك: دباسي ويقال: هدل يهدل هديلاً، إذا صاح فإذا طرب قيل: غرد يغرد تغريداً والتغريد يكون أيضاً للإنسان، وأصله من الطير، وبعضهم يزعم أن الهديل من أسماء الحمامة الذكر قال الراجز[2]:

كهداهد كسر الرماة جناحه ... يدعو بقارعة الطريق هديلا

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر الهديل في باب الهاء. روى الإمام أحمد والطبراني ورجال المسند رجال الصحيح عن يحيى بن عمارة عن جده حنش، قال: دخلت الأسواق، فأخذت دبسيتين وأمها ترفرف عليهما، وأنا أريد أن أذبحهما قال: فدخل علي أبو حنش فأخذ متيخة فضربني بها وقال: ألم تعلم أن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتي المدينة. المتيخة أصل جريد النخل وأصل العرجون والأسواف، سيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في النهاس أيضاً في باب النون. وفي الموطأ عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه كان يصلي في حائط له، فطار دبسي فأعجبه، وهو طائر في الشجر يلتمس مخرجاً، فأتبعه بصره ساعة وهو في صلاته، فلم يدركم صلى فذكر للنبي ﷺ ما أصابه من الفتنة. ثم قال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت، قال مالك: وعن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من الأنصار، كان يصلي في حائط له بالقف في زمن التمر والنخل، قد ذللت فهي مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلى. فقال لقد أصابتني في مالي هذا فتنة. فجاء عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الخير فباعه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بخمسين ألفاً فسمى ذلك الحائط الخمسون والقف واد من أودية المدينة. وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج عنه لله تعالى، وكان رقيقه يعرفون منه ذلك فربما لزم أحدهم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، على تلك الحالة الحسنة عتقه، فيقول له أصحابه: إنهم يخدعونك فيقول: من خدعنا بالله تعالى، انخدعنا له. وطلب منه خادم بثلاثين ألفاً، فقال: أخاف أن تفتني دراهم ابن عامر، وكان

---

(١) رواه البخاري أنبياء: ٥٠. وفيه: حتى لو سلكوا جحرضب لسلكتموه.

(٢) هو الراعي النميري، والبيت في الحيوان للجاحظ: ٣/٢٤٣.

هو الطالب له، فقال للخادم إذهب فأنت حر لله تعالى. ولذلك قال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا، الا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، ولم يمت إلى أن أعتق ألف نسمة أو أكثر من ذلك. ومناقبه وفضائله رضي الله تعالى عنه لا تحصى قال حجة الإسلام الغزالي: وكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكرة، وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره.

ومن طبع الدبسي إنه لا يرى ساقطاً على وجه الأرض بل في الشتاء له مشتى وفي الصيف له مصيف ولا يعرف له وكره.

وحكمه: الحل بالاتفاق. وفي سنن البيهقي عن ابن أبي ليلى، عن عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أنه قال في الخضري: والدبسي والقمري والقطا والحجل إذا قتله المحرم شاة شاة.

الخواص: قال صاحب المنهاج في الطب: إنه أفضل الطير البري، وبعده الشحرور والسماني، ثم الحجل والدراج، وفراخ الحمام والورشان وهو حار يابس.

والدباساء ممدوداً الأنثى من الجراد. وهو في المنام كالسماني وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام عليهما في باب السين المهملة فلينظر هناك.

الدجاج: مثلث الدال حكاه ابن معن الدمشقي وابن مالك وغيرهما، الواحدة دجاجة الذكر والأنثى فيه سواء والهاء فيه كبطة وحمامة، وقال ابن سيده: سميت الدجاجة دجاجة لإقبالها وادبارها يقال: دج القوم يدجون دجيجاً إذا مشوا مشياً رويداً في تقارب خطو. وقيل هو أن يقبلوا ويدبروا. وقال الأصمعي: الدجاجة بالفتح الواحدة من الدجاج، وبالكسر الكبة من الغزل. وقال غيره: الكبة من الغزل دجاجة بفتح الدال أيضاً. قاله الإمام ابن بيدار في شرح الفصيح. وكنية الدجاجة أم الوليد وأم حفصة وأم جعفر وأم عقبة وأم إحدى وعشرين وأم قوب وأم نافع. وإذا هرمت الدجاجة لم يكن لبيضها مح، وإذا كانت كذلك لم يخلق منها فرخ، ومن عجيب أمرها أنه يمر بها سائر السباع فلا تخشاها فإذا مر بها ابن آوى وهي على سطح أو جدار أو شجرة رمت بنفسها إليه. وتوصف الدجاجة بقلة النوم، وسرعة الانتباه. يقال إن نومها واستيقاظها إنما هو بمقدار خروج النفس ورجوعه، ويقال إنها تفعل ذلك من شدة الجبن، وأكثر ما عندها من الحيلة أنها لا تنام على الأرض، بل ترتفع على رف أو على جذع، أو جدار أو ما قارب ذلك، وإذا غربت الشمس فزعت إلى تلك العادة وبادرت إليها. والفرخ يخرج من البيضة كاسياً كاسياً، ظريفاً مقبولاً، سريع الحركة يدعى فيجيب، ثم هو كلما مرت عليه الأيام، حمق ونقص حسنه وكيسه وزاد قبحه، فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان فيه إلى أن يصير إلى حالة لا يصلح فيها إلا للذبح أو الصياح أو البيض. والدجاج مشترك الطبيعة يأكل اللحم والذباب، وذلك من طباع الجوارح، ويأكل الخبز ويلتقط الحب، وذلك من طباع البهائم والطير. ويعرف الديك من الدجاجة وهو في البيضة وذلك أن البيضة إذا كانت مستطيلة محدودة الأطراف فهي مخرج الإناث، وإذا كانت مستديرة عريضة الأطراف، فهي مخرج الذكور. والفرخ يخرج من البيضة تارة بالحضن

وتارة بأن يدفن في الزبل ونحوه. ومن الدجاج ما يبيض مرتين في اليوم، والدجاجة تبيض في جميع السنة، إلا في شهرين منها شتويين، ويتم خلق البيض في عشرة أيام، وتكون البيضة عند خروجها لينة القشر، فإذا أصابها الهواء يبست، وهي تشتمل على بياض وصفرة، بينهما قشر رقيق، يسمى قميصاً، ويعلوه قشر صلب. فالبياض رطوبة مختلطة لزجة متشابهة الأجزاء، وهي بمنزلة المني. والصفرَة رطوبة سلسة ناعمة أشبه شيء بدم قد جمد، وهي للفرخ مادة يغتذي بها من سرته.

والذي يتكون من الرطوبة البيضاء عين الفرخ ثم دماغه ثم رأسه ثم ينحاز البياض في لفافة واحدة هي جلدة الفرخ، وتنحاز الصفرة في غشاء واحد هي سرته، فيتغذى منها كتغذي الجنين من سرته من دم الحيض، وربما وجد في البيضة الواحدة محان أصفران، فإذا حضنت هذه البيضة خرج منها فرخان، وقد شوهد ذلك. وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة، وأقله غذاء ما كان من دجاج لا ديك لها، وهذا النوع من البيض، لا يتولد منه حيوان، ولا مما يباض في نقصان القمر على الأكثر، لأن البيض من الاستهلال إلى الابدار يمتلىء ويرطب، فيصلح للكون وبالضد من الابدار إلى المحاق. ويعرف الفرخ الذكر من الأنثى، بعد عشرة أيام، بأن يعلق بمنقاره، فإن تحرك فذكر، وإن سكن فأنثى. وقد وصف الشعراء البيضة بأوصاف مختلفة منها قول أبي الفرج الأصبهاني من أبيات:

فيها بدائع صنعة ولطائف ... ألفن بالتقدير والتعليق
خلطان مائيان ما اختلطا على ... شكل ومختلف المزاج رقيق

روى ابن ماجه[1] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «أمر الأغنياء باتخاذ الغنم، وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج». وقال: «عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله تعالى بهلاك القرى». وفي اسناده علي بن عروة الدمشقي، قال ابن حبان: كان يضع الحديث. قال عبد اللطيف البغدادي: إنما أمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج لأنه أمر كل قوم بحسب مقدرتهم وما تصل إليه قوتهم والقصد من ذلك كله أن لا يقعد الناس عن الكسب، وإنماء المال وعمارة الدنيا، وأن لا يدعوا التسبب فإن ذلك يوجب التعفف والقناعة، وربما أدّى إلى الغنى والثروة. وترك الكسب والاعراض عنه يوجب الحاجة والمسألة للناس والتكفف منهم، وذلك مذموم شرعاً وأما قوله: «عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله تعالى بهلاك القرى». يعني أن الأغنياء إذا ضيقوا على الفقراء في مكاسبهم، وخالطوهم في معايشهم تعطل سببهم وهلكوا، وفي هلاك الفقراء بوار، وفي ذلك هلاك القرى وبوارها. وفي آخر البخاري[2] وغيره أن النبي ﷺ قال: «تلك الكلمة من الحق يختطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة». وذكر الإمام العلامة أبو الفرج بن الجوزي، في الأذكياء[3]، عن أحمد بن طولون، صاحب مصر، أنه جلس

(١) رواه ابن ماجه في التجارات: ٦٩.
(٢) البخاري أدب: ١١٧، توحيد: ٥٧. ورواه مسلم في السلام: ١٢٣. وأحمد: ٦/٨٧.
(٣) الإذكياء: ٥٦.

يوماً في منتزه له يأكل مع ندمائه فرأى سائلاً وعليه ثوب خلق، فوضع يده في رغيف ودجاجة وقطعة لحم وفالوذج وأمر بعض الغلمان بمناولته فأخذ ذلك الغلام وذهب به إلى السائل ورجع، فذكر أنه ما هش له ولا بش، فقال ابن طولون للغلام: ائتني به فأحضره بين يديه فاستنطقه فأحسن الجواب، ولم يضطرب من هيبته، فقال له أحضر لي الكتب التي معك، وأصدقني عمن بعث بك، فقد صح عندي أنك صاحب خبر، وأحضر السياط فاعترف له بذلك. فقال بعض من حضر هذا: والله السحر. فقال أحمد: ما هو بسحر ولكنه قياس صحيح وفراسة، وذلك أني لما رأيت سوء حاله وجهت إليه بطعام يشره إلى أكله الشبعان، فما هش ولا بش ولا مد يده إليه، فأحضرته وخاطبته فتلقاني بقوة جأش وجواب حاضر. فلما رأيت رثاثة حاله، وقوة جأشه، وسرعة جوابه، علمت أنه صاحب خبر انتهى. وقال ابن خلكان في ترجمته[1]: كان أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور، ملكاً عادلاً شجاعاً متواضعاً، حسن السيرة، يحب أهل العلم، كريماً له مائدة يحضرها الخاص والعام، كثير الصدقة. نقل أنه قال له وكيله يوماً إن امرأة تأتيني وعليها الازار الرفيع، وفي يدها الخاتم الذهب، فتطلب مني أفأعطيها؟ فقال: من مد يده إليك فأعطه. وكان يحفظ القرآن، ورزق حسن الصوت فيه، وكان مع ذلك طائش السيف سفاك الدماء. قيل إنه أحصى من قتله صبراً ومن مات في حبسه فكان ثمانية عشر ألفاً توفي سنة سبعين ومائتين بزلق الأمعاء. ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه. وروي أن رجلاً كان يواظب القراءة على قبره، فرآه ذات ليلة في المنام، فقال: أحب منك أن لا تقرأ علي! قال: ولم؟ قال: لأنه لا تمر بي آية إلا قرعت بها، ويقال لي أما سمعت هذه أما مرت بك هذه؟ اهـ وروى الإمام الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى، كان نهماً في الأكل، وقد نقل عنه فيه أشياء غريبة، فمنها أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية، وأربعين بيضة، وأربع وثمانين كلوة بشحمها، وثمانين جردقة، ثم أكل مع الناس على السماط العام. ومنها أنه دخل ذات يوم بستاناً له، وكان قد أمر قيمه أن يجني ثماره ويستطيب له، وكان معه أصحابه، فأكل القوم حتى أكتفوا واستمر هو يأكل فأكل أكلاً ذريعاً، ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها، ثم أقبل على الفاكهة فأكل أكلاً ذريعاً، ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما، ثم مال إلى الفاكهة فأكل أكلاً ذريعاً، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوء سمناً وسويقاً وسكراً فأكله أجمع، ثم سار إلى دار الخلافة، وأتى بالسماط فما نقص من أكله شيء. ومنها أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة وخروفاً وست دجاجات، وأتى بمكوك زبيب طائفي فأكله أجمع. وقيل إنه كان له بستان فجاء رجل ليضمنه ودفع له قدراً من المال، فاستؤذن في ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره، ثم أذن في ضمانه فلما قيل للضامن أحمل المال، قال: كان ذلك قبل ان يدخله أمير المؤمنين. قيل كان سبب مرضه أنه أكل أربعمائة بيضة، وثمانمائة حبة تين، وأربعمائة كلوة بشحمها، وعشرين دجاجة فحم، وفشت الحمى في عسكره، وكان موته بالتخمة رحمة الله تعالى عليه في مرج دابق.

**فائدة**: ذكر بعض العلماء أن من أكل كثيراً وخاف على نفسه من التخمة، فليمسح على

---

(١) وفيات الأعيان: ١/١٧٣.

بطنه بيده، وليقل: الليلة ليلة عيدي يا كرشي ورضي الله عن سيدي أبي عبد الله القرشي. يفعل ذلك ثلاثاً، فإنه لا يضره الأكل وهو عجيب مجرب.

وقد روينا بأسانيد شتى من طرق مختلفة، أن امرأة جاءت بولدها إلى سيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله روحه، وقالت: إني رأيت قلب ابني هذا شديد التعلق بك، وقد خرجت عن حقي فيه لله عز وجل ولك، فاقبله فقبله الشيخ، وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت عليه أمه يوماً، فوجدته نحيلاً مصفراً من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل قرصاً من الشعير، فدخلت إلى الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مسلوقة، قد أكلها فقالت: يا سيدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير، فوضع الشيخ يده على تلك العظام، وقال: قومي بإذن الله تعالى الذي يحيى العظام وهي رميم، فقامت دجاجة سوية وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء. وذكر ابن خلكان أيضاً في ترجمة(1) الهيثم بن عدي أن رجلاً من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية، فجاءه سائل فرده خائباً، وكان الرجل مترفاً فوقع بينه وبين امرأته فرقة، وذهب ماله وتزوجت امرأته، فبينما الزوج الثاني يأكل وبين يديه دجاجة مشوية إذ جاءه سائل، فقال لامرأته: ناوليه الدجاجة فناولته، ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول. فأخبرت زوجها الثاني بالقصة فقال الزوج الثاني: وأنا والله ذلك المسكين الأول، خولني الله نعمته وأهله لقلة شكره. وقال الهيثم: خرجت في سفر على ناقة، فأمسيت عند خيمة اعرابي، فنزلت. فقالت ربة الخباء: من أنت؟ فقلت: ضيف. قالت: وما يصنع الضيف عندنا إن الصحراء لواسعة؟ ثم قامت إلى بر فطحنته وعجنته وخبزته، ثم قعدت تأكل، فلم ألبث أن جاء زوجها ومعه لبن، فسلم ثم قال: من الرجل؟ قلت: ضيف. قال: أهلاً وسهلاً حياك الله، وملأ قعباً من لبن وسقاني. ثم قال: ما أراك أكلت شيئاً! وما أراها أطعمتك! فقلت: لا والله. فدخل عليها مغضباً، وقال: ويلك أكلت وتركت الضيف؟ قالت: وما أصنع به أطعمه طعامي؟ وزاد بينهما الكلام، فضربها حتى شجها، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتي فنحرها، فقلت: ما صنعت عافاك الله؟ فقال: والله لا يبيت ضيفي جائعاً، ثم جمع حطباً، وأجج ناراً وأقبل يشوي ويطعمني، ويأكل ويلقي إليها، ويقول: كلي لا أطعمك الله! حتى إذا أصبح تركني ومضى، فقعدت مغموماً، فلما تعالى النهار، أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر من النظر إليه، وقال: هذا مكان ناقتك ثم زودني من ذلك اللحم ومما حضره. وخرجت من عنده فضمني الليل إلى خيمة أعرابي، فسلمت فردت صاحبة الخباء علي السلام، وقالت: من الرجل؟ قلت: ضيف. فقالت: مرحبا بك حياك الله وعافاك، فنزلت ثم عمدت إلى بر فطحنته وعجنته وخبزته، ثم روت ذلك بالزبد واللبن ووضعته بين يدي، ومعه دجاجة مشوية، وقالت: كل واعذر، فلم ألبث إذ أقبل أعرابي كريه المنظر، فسلم فرددت عليه السلام، فقال: من الرجل؟ قلت: ضيف. قال: وما يصنع الضيف عندنا؟ ثم دخل إلى أهله وقال: أين طعامي؟ قالت: أطعمته للضيف. فقال: أتطعمين طعامي للأضياف؟ ثم تكالما فضربها فشجها، فجعلت أضحك فخرج إليّ وقال: ما يضحكك؟ فأخبرته بقصة الرجل والمرأة اللذين نزلت عندهما قبله، فاقبل علي وقال: إن هذه

(1) وفيات الأعيان: ٦/١٠٦.

المرأة التي عندي أخت ذلك الرجل، وتلك المرأة التي عنده أختي. قال: فنمت ليلتي متعجباً فلما أن أصبحت انصرفت.

الحكم: يحل أكل الدجاج لأنه من الطيبات، لما روى الشيخان والترمذي والنسائي عن زهدم بن مضرب الجرمي قال: كنا عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فدعا بمائدة عليها لحم دجاج فدخل رجل من بني تيم الله، أحمر شبيه بالموالي، فقال له: هلم فتلكأ، فقال: هلم فإني رأيت رسول الله ﷺ يأكل منه وفي لفظ «رأيت النبي ﷺ يأكل دجاجة[1]». وهذا الرجل إنما تلكأ لأنه رآه يأكل العذرة فقذره ويحتمل أن يكون تردد لالتباس الحكم عليه، أو لم يكن عنده دليل فتوقف حتى يعلم حكم الله تعالى وقد جاء النهي عن لبن الجلالة ولحمها وبيضها. وفي الكامل والميزان في ترجمة غالب بن عبيدالله الجذري وهو متروك عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك. وفي فتاوى القاضي حسين لو قال رجل لامرأته إن لم تبيعي هذه الدجاجات فأنت طالق فقتلت واحدة منهن طلقت لتعذر البيع، وإن جرحتها ثم باعتها فإن كانت بخبث لو ذبحت لم تحل لم يصح البيع ووقع الطلاق وإلا فتحل اليمين.

فرع لا يجوز بيع دجاجة فيها بيض ببيض كما لا يجوز بيع شاة في ضرعها لبن بلبن، ويحرم بيع الحنطة بدقيقها والسمسم بكسبه، وما أشبهه لأنه يحرم بيع مال الربا بأصله المشتمل عليه.

فرع: البيضة التي في جوف الطائر الميت فيها ثلاثة أوجه حكاها الماوردي والروياني والشاشي أصحها، وهو قول ابن القطان وأبي الفياض، وبه قطع الجمهور إن تصلبت فطاهرة وإلا فنجسة. والثاني طاهرة مطلقاً، وبه قال أبو حنيفة لتميزها عنه فصارت بالولد أشبه. والثالث نجسة مطلقاً، وبه قال مالك لأنها قبل الإنفصال جزء من الطائر وحكاه المتولي عن نص الشافعي رضي الله تعالى عنه. وهو نقل غريب شاذ ضعيف، وقال صاحب الحاوي والبحر: فلو وضعت هذه البيضة تحت طائر فصارت فرخاً، كان الفرخ طاهراً على الأوجه كلها كسائر الحيوان، ولا خلاف أن ظاهر البيضة نجس، وأما البيضة الخارجة في حال حياة الدجاجة فهل يحكم بنجاسة ظاهرها؟ فيه وجهان: حكاهما الماوردي والروياني والبغوي وغيرهم، بناء على الوجهين في نجاسة رطوبة فرج المرأة قال في المهذب: إن المنصوص نجاسة رطوبة فرج المرأة. وقال الماوردي: إن الشافعي رضي الله تعالى عنه قد نص في بعض كتبه على طهارتها. ثم حكى التنجيس عن ابن سريج. فملخص الخلاف فيها قولان لا وجهان. وقال الإمام النووي: رطوبة الفرج طاهرة مطلقاً، سواء كان الفرج من بهيمة أو امرأة، وهو الأصح. وإذا فرعنا على نجاسة رطوبة الفرج فنقل النووي في شرح المهذب عن فتاوى ابن الصباغ، ولم يخالفه أن المولود لا يجب غسله إجماعاً. وقال في آخر باب الآنية من الشرح المذكور: إن فيه وجهين حكاهما الماوردي والروياني، وقد حكاهما الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في فتاويه. ورأيت في الكافي للخوارزمي أن الماء لا ينجس بوقوعه فيه فيحتمل أن يكون الخلاف مفرعاً على القول القديم بعدم وجوب الغسل، لكونه نجساً

---

(١) رواه البخاري في الذبائح: ٢٦، والمغازي: ٧٣. ورواه مسلم في الإيمان: ٩. والدارمي أطعمة: ٢٧.

معفواً عنه، وأما إذا انفصل الولد حياً، بعد موتها، فعينه طاهرة بلا خلاف. ويجب غسل ظاهره بلا خلاف. وأما البلل الخارج مع الولد أو غيره فنجس، كما جزم به الرافعي في الشرح الصغير والنووي في شرح المهذب. وقال الإمام لا شك فيه. وأما الرطوبة الخارجة من باطن الفرج فإنها نجسة كما تقدم، وإنما قلنا بطهارة ذكر المجامع ونحوه، على ذلك القول لأنا لا نقطع بخروجها. قال في الكفاية: والفرق بين رطوبة فرج المرأة، ورطوبة باطن الذكر لأنها لزجة لا تنفصل بنفسها، ولا تمازج سائر رطوبات البدن، فلا حكم لها قلت: والرطوبة هي ماء أبيض متردد بين المذي والعرق. كما قاله في شرح المهذب وغيره. وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على الجلالة من الدجاج وغيره في باب السين المهملة في حكم السخلة والله الموفق.

**الأمثال**(1): قالوا: «أعطف من أم إحدى وعشرين». وهي الدجاجة كما تقدم.

**الخواص**: لحم الدجاج معتدل الحرارة جيد. وأكل لحم الفتي من الدجاج يزيد في العقل والمني ويصفي الصوت، لكنه يضر بالمعدة والمرتاضين. ودفع مضرته أن يتناول بعده شراب العسل. وهو يولدغذاء معتدلاً يوافق من الأمزجة المعتدلة ومن الإنسان الفتيان، ومن الأزمان الربيع. وأعلم أن الدجاج المعتدلة الغذاء ليست حارة مستحيلة: إلى الصفراء، ولا باردة مولدة للبلغم، ولا أعلم من أين أجمعت العامة والأطباء الأغمار على مضرتها بالنقرس وتوليد هاله، والقائلون بذلك لعلهم معتقدون بالخاصية وحسب لا غير. وهي محسنة للون وأدمغتها تزيد في الأدمغة والعقل. وهي من أغذية المترفهين، لا سيما من قبل أن تبيض. وإما بيضها فحار مائل إلى الرطوبة واليبس وقال بياروق: بياضه بارد رطب، وصفرته حارة جيدة للكاد. والطري منفعته تزيد في الباه لكنه إذا أدمن أكله يولد كلفاً. وهو بطيء الهضم ودفع ضرره بالاقتصار على صفرته هو يولد خلطاً محموداً. وأعلم أن أجود البيض للإنسان بيض الدجاج، والدراج إذا كانا طريين معتدلي النضج، فإن الصلب إما أن يتخم، أو يورث حمى، وهو يلبث طويلاً ويغذو إذا انهضم كثيراً، والنيمرشت يغذو غذاء كثيراً والمسلوق بخل يعقل البطن، والساذج ينفع من حرارة المعدة والمثانة ونفث الدم، ويصفي الصوت. وأنفع السليق ما ألقي على الماء وهو يغلي عد مائة ورفع.

ومما ينفع لحل المعقود أن تكتب على جوانب السيف هذه الأحرف بكصم لا لا و م ما ما لا لا لا ه ه ه وتقطع به بيضة دجاجة سوداء نظيفة مناصفة، فتأكل المرأة النصف والرجل النصف، فإنه مجرب وهو يحل إثنين وسبعين باباً بإذن الله تعالى. ومما ينفع لحل المعقود أيضاً أن يكتب ويعلق في عنق الرجل، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر. ومما جرب أيضاً لحل المعقود أن تكتب وتعلق عليه الفاتحة والإخلاص والمعوذتين، و **﴿يسألوك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا﴾**(2) **﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون**(3)**﴾** **﴿وننزل من القرآن ما هو**

---

(1) مجمع الأمثال: ٢/٥٣.

(2) سورة طه: الآية ١٠٥ ــ ١٠٧. (3) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

شفاء ورحمة للمؤمنين[١]﴾ ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا[٢]﴾ ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان[٣]﴾ ﴿فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم[٤]﴾ و﴿هوالذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾[٥] و﴿عنت الوجوه للحي القيوم[٦]﴾ و﴿قد خاب من حمل ظلما[٧]﴾ و﴿من يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [٨] ﴿إن الله بالغُ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً[٩] ﴾ وتكتب إسم الرجل والمرأة في آخر الكتاب وتقول: أللهم إني أسألك أن تجمع بين فلان بن فلانة وبين فلانة بنت فلانة بحق هذه الأسماء والآيات إنك على كل شيء قدير. باهياً شراهياً أصباؤت آل شداي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في في في تم وكمل. وقال ابن وحشية: دماغ الدجاجة إذا وضع على لسعة الحية خاصة أبرأتها. وقال القزويني: إذا طبخت الدجاجة مع عشر بصلات بيض وكف سمسم مقشور حتى تتهرى ويؤكل لحمها ويشرب مرقتها فإنه يزيد في الباه ويقوّي الشهوة. وقال غيره: المداومة على أكل لحم الدجاج تورث البواسير والنقرس. وهذا قول جاهل بالطب وهو قول أغمار الأطباء كما تقدم. قال القزويني: وفي قانصة الدجاجة حجر إذا شد على المصروع أبرأه، وإذا علق على إنسان زاد في قوّة الباه، ويدفع عنه عين السوء، وإذا ترك تحت رأس الصبي فإنه لا يفزع في نومه. وذرق الدجاجة السوداء إذا ألصق على باب قوم، وقع بينهم الخصومة والشر، وإذا طلي الذكر بمرارة الدجاجة السوداء وجامع من شاء لم ينله أحد بعده. وإذا دفنت رأس دجاجة سوداء في كوز جديد، تحت فراش رجل قد خاصم زوجته، صالحها من وقته. وإذا احتمل رجل من دهن الدجاجة السوداء قدر أربعة دارهم هيج الباه. وإذا أخذ عينا دجاجة سوداء شديدة السواد، وعينا سنبور أسود، وجففن وسحقن واكتحل بهن، رأى من يفعل ذلك الروحانيين، فإن سألهم أخبروه بما يريد والله أعلم.

التعبير: الدجاج في المنام نساء ذليلات مهينات، فالرقادة ذات نشاط وأصالة وبدالة. والدبيبة امرأة دنيئة الأصل أو خائنة وفروخها أولاد زنا، وربما دلت الدجاجة على المرأة ذات الأولاد، ودخولها على المريض عافيته وآذان الدجاجة شر ونكد أو موت. وكذلك الفروخ ربما دل دخولها على السليم، على انذار بمرض يحتاج فيه إليها وربما دل دخولها على زوال الهموم والانكاد، وعلى الأفراح والتظاهر بالرفاهية والنعم، والفروج ولد أو ملبوس مفرح أو فرج لمن هو في شدة، وربما كانت الدجاجة في المنام تدل رؤيتها على امرأة رعناء حمقاء ذات جمال، أو سرية أو خادم. فمن رأى كأنه ذبح دجاجة افتض جارية. ومن صادها نال ولاية ومالاً هنياً من العجم. ومن رأى الدجاج أو الفراريج تساق من مكان إلى مكان فإنه سبي. ومن رأى الدجاج أو الطواويس تهدر في منزله، فإنه صاحب فجور. وريش الدجاج مال، والبيض في المنام يعبر بالنساء لقوله تعالى:

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.
(٣) سورة الرحمن: الآية ١٩ ـ ٢٠.
(٤) سورة الشعراء: الآية ٦٣.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٥٤.
(٦) سورة طه: الآية ١١١.
(٧) سورة طه: الآية ١١١.
(٨) سورة الطلاق: الآية ٣.
(٩) سورة الطلاق: الآية ٣.

﴿كأنهن بيض مكنون﴾(١) والبيضة الواحدة لمن رآها بيده، فإن كانت زوجته حاملاً فإنها تضع له بنتاً وإن كان أعزب تزوّج ومن رأى البيض يجرف من مكان إلى مكان، كما تجرف الزبالة، فإنه سبي نساء ذلك المكان. ومن رأى بيضاً نيئاً وهو يأكله، فإنه يأكل مالاً حراماً وللطبوخ رزق حلال بتعب. وإذا رأت الحامل كأنها أعطيت بيضة مقشرة فإنها تلد بنتاً وفراريج الدجاج أولاد زنا. ومن قشر بيضة فأكل بياضها، ورمى صفارها، فإنه نباش للقبور، ويأخذ أكفان الموتى. لما روى عن ابن سيرين أنه أتاه رجل، فقال: إني رأيت كأني أقشر بيضة وأرمي صفارها وآكل بياضها. فقال ابن سرين: هذا رجل نباش للقبور. فقيل له: من أين أخذت هذا؟ فقال: البيضة القبر، والصفار الجسد، والبياض الكفن. فيلقى الميت ويأكل ثمن الكفن، وهو البياض. وحكي أن امرأة أتت إلى ابن سيرين فقالت: رأيت كأني أضع البيض تحت الخشب، فتخرج فراريج. فقال ابن سيرين: ويلك اتقي الله، فإنك امرأة توفقين بين الرجال والنساء فيما لا يحبه الله عز وجل فقال له جلساؤه: قذفت المرأة يا محمد، من أين أخذت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى في النساء يشبههن بالبيض ﴿كأنهن بيض مكنون﴾(١) وقال جل وعلا، يشبه المنافقين بالخشب: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾(٢) فالبيض هو النساء، والخشب هم المفسدون والفراريج هم أولاد الزنا والله أعلم.

الدجاجة الحبشية: هي نوع مما تقدم. قال الشافعي: يحرم على المحرم الدجاجة الحبشية لأنها وحشية تمتنع بالطيران، وإن كانت ربما ألفت البيوت. قال القاضي حسين: الدجاجة الحبشية شبيهة بالدراج. قال: وتسمى بالعراق الدجاجة السندية، فإن أتلفها لزمه الجزاء. وقال مالك: لا جزاء في دجاج الحبش على المحرم لاستئناسه، وكذلك كل ما تأنس من الوحشي عند الشافعي فيه الجزاء، خلافاً لمالك. والدجاج الحبشي هو الدجاج البري، وهو في الشكل واللون قريب من الدجاج يسكن في الغالب سواحل البحر، وهو كثير ببلاد المغرب، يأوي مواضع الطرفاء ويبيض فيها. قال الجاحظ: ويخرج فراخه وكذلك فراخ الطاوس والبط السندي كيسة كاسية تلتقط الحب من ساعتها كفراخ الدجاج الأهلي ويقال له الغرغر، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في باب الغين المعجمة.

الدج: طائر صغير في حد اليمام من طير الماء سمين طيب اللحم وهو كثير بالاسكندرية وما يشابهها من بلاد السواحل قاله ابن سيده.

الدحرج: بضم الدال المهملة دويبة قاله ابن سيده.

الدخاس: كنحاس دويبة تغيب في التراب والجمع الدخاخيس.

الدخس: بضم الدال المهملة وتشديد الخاء المعجمة ضرب من السمك وهو الدلفين. قاله ابن سيده أيضاً وقال الجوهري: الدخس مثال الصرد دويبة في البحر تنجي الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى في هذا الباب.

---

(١) سورة الصافات: الآية ٤٩.

(٢) سورة المنافقون: الآية ٤.

**الدخل**: بتشديد الخاء المعجمة أيضاً طائر صغير والجمع الدخاخيل وهو أغبر يسقط على رؤوس الشجر والنخل. واحدته دخلة وفي أدب الكاتب لابن قتيبة الدخل ابن تمرة.

بضم الدال وفتح الراء المهملتين كنيته أبو الحجاج وأبو خطار وأبو ضبة، وسيأتي إن شاء الله تعالى، في باب الضاد المعجمة الساقطة واحدته دراجة، هو طائر مبارك، كثير النتاج، مبشر بالربيع، وهو القائل: «بالشكر تدوم النعم» وصوته مقطع على هذه الكلمات، وتطيب نفسه على الهواء الصافي، وهبوب الشمال، ويسوء حاله بهبوب الجنوب، حتى إنه لا يقدر على الطيران، وهو طائر أسود باطن الجناحين، وظاهرهما أغبر على خلقة القطا إلا أنه الطف. والدراج إسم يطلق على الذكر والأنثى، حتى تقول الحيقطان: فيختص بالذكر، وأرض مدرجة أي ذات دراج. كذا قاله الجوهري. وقال سيبويه: واحدة الدراج درجوج، والديلم ذكر الدراج وقال ابن سيده: الدراج طائر شبيه بالحيقطان، وهو من طير العراق قال ابن دريد أحسبه مولداً وهو الدرجة مثل الرطبة. وأما الجاحظ فجعله من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه، كما يجمع الحمام من شأنه أنه لا يجعل بيضه في موضع واحد، بل ينقله لئلا يعرف أحد مكانه ولا يتسافد في البيوت وإنما يفعل ذلك في البساتين قال أبو الطيب المأموني يصف دراجة:

قد بعثنا بذات حسن بديع كنبات الربيع بل هي أحسن
في رداء من جلنار وآس وقميص من ياسمين وسوسن

وسيأتي إن شاء الله تعالى في القبج زيادة في نعتها في باب القاف، قال الجاحظ: وهو من الخلق الذي لا يسمن بل يعظم وإذا عظم لم يحمل اللحم.

**وحكمه**: الحل لأنه إما من الحمام أو من القطا وهما حلالان.

**الأمثال**: قالوا[1]: «فلان يطلب الدراج من خيس الأسد». يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده.

**الخواص**: يؤخذ شحمه فيذوب بدهن كادي ويقطر في الأذن الوجعة ثلاث قطرات، يسكن وجعها بإذن الله تعالى. قال ابن سينا: لحمه أفضل من لحم الفواخت، واعدل والطف. وأكله يزيد في الدماغ والفهم والمني.

**التعبير**: الدراج في المنام مال، وقيل امرأة أو مملوك. فمن ملكه أورآه عنده فإنه يملك مالاً أو سرية أو مملوكاً أو يتزوج والله أعلم.

**الدراج**: بفتح الدال والراء المهملتين القنفذ، صفة غالبة عليه لأنه يدرج ليله كله. قاله ابن سيده.

---

(١) مجمع الأمثال: ٢/٤٢٣.

**فائدة أجنبية**: استدراج الله تعالى العبد، أنه كلما جدد خطيئة. جدد الله له نعمة وأنساه الاستغفار وأن يأخذه قليلاً قليلاً ولا يباغته.

روى: أحمد في الزهد عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال[1]: «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد، من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج». ثم تلا قوله[2] تعالى: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون**﴾ قال ابن عطية: روي عن بعض العلماء أنه قال: رحم الله امرءاً تدبر هذه الآية[2] ﴿**حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون**﴾ وقال محمد بن النضر الحارثي: أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة وقال الحسن. والله ما أحد من الناس بسط الله تعالى له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر به فيها إلا كان قد نقص في عمله وعجز في رأيه ما أمسكها الله تعالى عن عبد، فلم يظن أنه خير له فيها، إلا كان قد نقص في عمله، وعجز في رأيه. وفي الخبر أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام، إذا رأيت الفقر مقبلاً إليك فقل: مرحبا بشعار الصالحين. وإذا رأيت الغنى مقبلاً إليك فقل: ذنب عجلت عقوبته.

**الدرباب**: طائر مركب من الشقراق والغراب، وذلك بين في لونه، وهو كما قال أرسطاليس في النعوت: إنه طائر يحب الأنس، ويقبل التأديب والتربية، وفي صفيره وقرقرته أعاجيب، وذلك أنه ربما أفصح بالأصوات وقرقر كالقمري وربما حمحم كالفرس وربما صفر كالبلبل وغذاؤه من النبت والفاكهة واللحم وغير ذلك، ومألفه الغياض والأشجار الملتفة. انتهى قلت: وهذه صفة الطائر المسمى عند الناس بأبي زريق فإنه على هذا النعت الذي ذكره. ويقال له القيق أيضاً وسيأتي إن شاء الله تعالى له مزيد بيان في باب القاف.

**الدرحرج**: قال القزويني: إنها دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال إنها سم، من أكلها تقرحت مثانته، وسد بوله وأظلم بصره، وتورم قضيبه وعانته، ويعرض له اختلاط في عقله.

**وحكمها**: التحريم لضررها بالبدن والعقل.

**الدرص**: بكسر الدال ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة والذئبة ونحوها والجمع ادراص ودرصة. قال السهيلي في التعريف والإعلام: العرب تقول للأحمق أبو دراص للعبه بالأدراص، وهو جمع درص، وهو ولد الكلبة وولد الهرة ونحو ذلك. وكنية اليربوع أم أدراص قاله الأصمعي.

**الأمثال**: قالت العرب: «ضل دريص نفقه»[3] أي جحره يضرب لمن لا يعبأ بأمره قال طفيل[4]:

فما أم أدراص بأرض مضلة ... بأغدر من قيس إذا الليل أظلما

---

(١) رواه أحمد: ٤/١٤٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٤.

(٣) مجمع الأمثال: ١/٤١٩.

(٤) طُفيل: هو طُفَيل بن كعب الغَنوي، جاهلي، شعره جيد.

**الدرة**: بضم الدال المهملة البيغاء المتقدمة في باب الموحدة. حكى الشيخ كمال الدين جعفر الأدفوي في كتابه الطالع السعيد في ترجمة محمد بن محمد النصيبي القوصي الفاضل المحدث الأديب، أنه أخبره أنه حضر مرة عند عز الدين بن البصراوي الحاجب بقوص، وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والأدباء، فحضر الشيخ علي الحريري، وحكى أنه رأى ذرة تقرأ سورة يس، فقال النصيبي: وكان غراب يقرأ سورة السجدة فإذا جاء إلى السجدة سجد ويقول سجد لك سوادي واطمأن بك فؤادي.

**الدساسة**: بفتح الدال حية صماء تندس تحت التراب اندساساً أي تندفن وقيل: هي شحمة الأرض. وستأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة.

**الدعسوقة**: بفتح الدال دويبة كالخنفساء وربما قيل ذلك للصبية والمرأة القصيرة تشبيهاً بها قاله في المحكم وفي مختصر العين للزبيدي أيضاً إلا أنه ضبطه بالقلم بفتح الدال في نسخة صحيحة.

**الدعموص**: بضم الدال دويبة تغوص في الماء، والجمع الدعاميص، كبرغوث وبراغيث، وقال السهيلي: الدعموص سمكة صغيرة كحية الماء، ودعيميص إسم رجل كان داهياً سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في الأمثال، ويقال: «هذا دعيميص هذا الأمر»(1). أي عالم به انتهى. روى مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قد مات لي اثنان من الولد، فهل أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم. «صغاركم دعاميص الجنة»(2). أي لا يمنعون من بيت، فيلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بيده أو بثوبه كما آخذ أنا ببعض ثوبك هذا فيقول: هذا فلان فلا يتناهى حتى يدخل هو وأبوه الجنة. وفي الحديث أن رجلاً زنى فمسخه الله تعالى دعموصاً. وبعضهم يقول الدعموص هو الآذن على الملك المتصرف بين يديه قال أمية بن أبي الصلت:

دعموص أبواب الملوك وحاجب للخلق فاتحُ

قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، في الكلام على هذا الحديث: الدعاميص بفتح الدال جمع دعموص بضمها، وهي دويبة صغيرة يضرب لونها إلى سواد تكون في الغدران، شبه الطفل بها في الجنة لصغره وسرعة حركته. وقيل: هو إسم للرجل الزوار للملوك، الكثير الدخول عليهم. والخروج، لا يتوقف على أذن منهم، ولا يخاف أين يذهب من ديارهم، شبه طفل الجنة به لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء، لا يمتنع من بيت فيها ولا موضع، وهذا قول ظاهر انتهى. قال الجاحظ: إذا كبر الناموس صار دعاميص وهو يتولد من الماء الراكد، وإذا كبر صار فراشاً، ولعل هذا هو عمدة من جعل الجراد بحرياً. والدعموص من الخلق الذي لا يعيش في ابتداء أمره إلا في الماء، ثم بعد ذلك يستحيل بعوضاً وناموساً.

**فائدة**: في فتاوى القاضي حسين، أن دود الماء لو انشق أو ذاب، فخرج منه ماء، كان ذلك

---

(1) جمهرة الأمثال: ٢/٢٩٤.

(2) رواه مسلم بر: ١٥٤، وأحمد: ٢ ـ ٤٧٧ ـ ٥١٠.

الماء طهوراً يجوز منه التوضؤ، وعلله بأن هذا الدود ليس بحيوان، بل هو منعقد من بخار يصعد من الماء، فيشبه الدود، وهذا منه صريح في جواز شرب الدعاميص مع الماء، لأنها ماء منعقد. ويحتمل أن يكون منه اختيار الأن دود الخل والفاكهة يعطى حكم ما يتولد منه حتى يجوز أكله منفرداً. كما هو وجه في المذهب موجهاً بأنه يشبهه طعماً وطبعاً. والظاهر أن هذا لا يوافق عليه. والمشهور خلاف ما قاله تفسيراً و حكماً. وإن الدعموص محرم الأكل لاستقذاره لأنه من الحشرات.

**الأمثال**: قالوا[1]: «أهدى من دعيميص الرمل». وهو عبد أسود كان داهية خريتا لم يكن يدخل في بلاد وبار غيره فقام في الموسم وقال:

فمن يعطني تسعا وتسعين بكرة  هجاناً راد ما أهدها لوبار

فقام رجل من مهرة وأعطاه ما سأل وتحمل معه بأهله وولده، فلما توسطوا الرمل طمست الجن عين دعيميص، فتحير وهلك هو ومن معه في تلك الرمال، وفي ذلك يقول الفرزدق.

كهلاك ملتمس طريق وبار.

**الدغفل**: كجعفر ولد الفيل، وذكر الثعالب أيضاً. وكان دغفل بن حنظلة النسابة، أحد بني شيبان يسمى بذلك. روى عنه الحسن البصري شيئاً من سنن رسول الله ﷺ، وخولف فيه، ويقال: إن له صحبة ولم يصح، ولم يعرفه أحمد بن حنبل، وروى عنه الحسن أنه قال: «كان على النصارى صوم شهر رمضان فولي عليهم ملك، فمرض فنذر، إن شفاه الله أن يزيد الصوم عشراً، ثم كان عليهم ملك بعده، يأكل اللحم، فمرض فنذر إن شفاه الله أن لا يأكل اللحم ويزيد الصوم ثمانية أيام، ثم كان ملك بعده فقال: ما ندع هذه الأيام إلا أن نتمها خمسين ونجعلها في الربيع فصارت خمسين يوماً». قال البخاري: لا يتابع دغفل على ذلك ولا يعرف للحسن سماع منه. وقال ابن سيرين: كان دغفل رجلاً عالماً، لكن اغتلمته النساء. أرسل إليه معاوية رضي الله تعالى عنه، يسأله عن أنساب العرب وعن النجوم وعن العربية وعن أنساب قريش فأخبره، فإذا هو رجل عالم فقال له من أين حفظت هذا يا دغفل؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول، فأمره أن يعلم ولده يزيد.

**الدغناش**: طائر صغير من أنواع العصافير أصغر من الصرد مخطط الظهر بحمرة مطوق بالسواد والبياض، وهو شرير الطبع شديد المنقار. يوجد كثيراً بسواحل البحر الملح وغيره.

**وحكمه**: الحل لأنه من أنواع العصافير.

**الدقيش**: بضم الدال وفتح القاف، طائر صغير أصغر من الصرد وتسميه العامة الدقناس.

**وحكمه**: كالذي قبله ولعله هو، ولكن تلاعبوا به فسموه تارة كذا وتارة كذا. وفي

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٢٩٤.

الصحاح قيل لأبي الدقيش الشاعر ما الدقيش؟ فقال: لا أدري إنما هي أسماء نسمعها فنتسمى بها!

**الدلدل**: عظيم القنافذ. والدلدال الاضطراب، وقد تدلدل السحاب أي تحرك متدلياً، وبه سميت بغلة النبي ﷺ التي أهداها له المقوقس. وفي حديث أبي مرثد الآتي إن شاء الله تعالى في باب العين، قالت «عناق البغي: يا أهل الخيام هذا الدلدل الذي يحمل أسراكم»[1]. وإنما شبهته بالقنفذ لأنه أكثر ما يظهر في الليل ولأنه يخفي رأسه في جسده ما استطاع. وقال الجاحظ: الفرق بين الدلدل والقنفذ، كالفرق بين البقر والجواميس والبخاتي والعراب والجرذ والفأر وهو كثير ببلاد الشام والعراق وبلاد المغرب في قدر الثعلب القلطي. وقال الإمام الرافعي: الدلدل على حد السخلة، ومن شأنه أن يسفد قائماً وظهر الأنثى لاصق بظهر الرجل. والأنثى تبيض خمس بيضات وليس هو بيضاً في الحقيقة، إنما هو على صورة البيض يشبه اللحم. ومن شأنه أن يجعل لجحره بابين: أحدهما في جهة الجنوب، والآخر في جهة الشمال. فإذا هبت ريح سد باب جهتها، وإذا رأى ما يكرهه القبض، فيخرج منه شوك كالمسال يجرح من أصابه، والشوك الذي على ظهره نحو الذراع، وزعم بعض المتكلمين على طبائع الحيوان، أن الشوك الذي على ظهره نحو الذراع شعر، وأنه لما غلظ البخار، واشتد غلظه، وغلب عليه اليبس، عند صعوده من المسام، صار شوكاً

**الحكم**: نص الشافعي على حله، رواه عنه ابن ماجة وغيره. وقال الرافعي: قطع الشيخ أبو محمد بتحريمه في الوسيط أنه كان يعده من الخبائث. وقال ابن الصلاح: هذا غير مرضي وكأنه لم يعرف ما الدلدل، واعتقد ما بلغنا عن الشيخ أبي أحمد الأشنهي أنه قال: الدلدل كبار السلاحف. وهذا غير مرضي ، والمحفوظ أنه ذكر القنافذ وقطع بحله الماوردي والروياني وغيرهما وهو الصواب.

**الأمثال**:[2] قالوا «أسمع من دلدل».

**وخواصه وتعبيره**: كالقنافذ وستأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف.

**الدلفين**: الدخس وضبطه الجوهري في باب السين المهملة بضم الدال فقال: الدخس مثال الصرد دابة في البحر تنجي الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين به على السباحة. ويسمى الدلفين وقال غيره: إنه خنزير البحر. وهو دابة تنجي الغريق وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح، لأنه يقذف به البحر إلى النيل وصفته كصفة الزق المنفوخ، وله رأس صغير جداً وليس في دواب البحر ماله رئة سواه فلذلك يسمع منه النفخ والنفس، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته لأنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه، ولا يؤذي أحداً ولا يأكل إلا السمك. وربما ظهر على وجه الماء كأنه ميت وهو يلد ويرضع، وأولاده تتبعه حيث ذهب، ولا يلد إلا في الصيف، من طبعه الأنس بالناس وخاصة بالصبيان وإذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال

---

(١) رواه النسائي في النكاح: ١٢.

(٢) جمهرة الأمثال: ١/٤٣٣.

صائده، وإذا لبث في العمق حينا حبس نفسه، وصعد بعد ذلك مسرعاً مثل السهم لطلب النفس، فإن كانت بين يديه سفينة وثب وثبة ارتفع بها عن السفينة، ولا يرى منها ذكر إلا مع أنثى.

**الحكم**: يحل أكله لعموم حل السمك إلا ما استثني منه، وليس هذا من المستثنيات كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

**الخواص**: إذا غلي شحمه في حنظلة فارغة وقطر في الأذن نفع من الصمم، ولحمه بارد بطيء الهضم. وإذا علقت أسنانه على الصبيان يفزعوا. وأكل شحمه ينفع من أوجاع المفاصل. وشحم كلاه إذا أذيب بالنار، ودهن به مع دهن الزنبق وجه امرأة أحبها زوجها وطلب مرضاتها. وكفاه يعلقان على من يفزع فيذهب فزعه. وإذا وضع نابه الأيمن في دهن ورد سبعة أيام ومسح به وجه إنسان كان محبوباً عند عامة الناس ونابه الأيسر بالضد من ذلك.

**التعبير**: الدلفين تدل رؤيته على ما دلت عليه رؤية التمساح، وربما دلت رؤيته على المكايد، والاختفاء بالأعمال، وعلى التلصص واستراق السمع، وربما دلت رؤيته على كثرة الدعاء والمطر، قاله ابن الدقاق. وقال المقدسي: من رآه في المنام، وكان خائفاً، أمن ونجا لأنه ينجي الغرقي. وكل حيوان يرى مما يخشى منه في اليقظة كالتمساح ونحوه، إذا كان خارج الماء فهو عدو عاجز لا يقدر على مضرة من رآه في المنام، لأن قوته وبطشه في الماء فإذا خرج منه زالت قوّته والله اعلم.

**الدلق**: بالتحريك فارسي معرب، وهو دويبة تقرب من السمور. قال عبد اللطيف البغدادي: إنه يفترس في بعض الأحايين ويكرع الدم. وذكر ابن فارس، في المجمل، إنه النمس، وفيه نظر. قال الرافعي: والدلق يسمى ابن مقرس وقال القزويني: إنه حيوان وحشي عدو الحمام إذا دخل البرج لا يترك فيه واحداً أو تنقطع الثعابين عند صوته، وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام في باب الميم على ابن مقرص وما وقع فيه للرافعي والنووي.

وفي رحلة ابن الصلاح، عن كتاب لوامع الدلائل، في زوايا المسائل للكيا الهراسي أنه قال: يجوز أكل الفنك والسنجاب والدلق والقاقم، والحوصل والزرافة كالثعلب. ثم إن ابن الصلاح كتب بخطه: الدلق النمس. فاستفدنا من هذا حل النمس والزرافة. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانهما في بابيهما.

**الخواص**: عينه اليمنى تعلق على من به حمى الربع تزول عنه بالتدريج، وإذا علق اليسرى عليه عادت. وشحمه إذا بخر به برج الحمام هربت كلها. وهو يزيل الكلال الحاصل للإنسان من أكل الحامض. ودمه يقطر في أنف المصروع منه نصف دانق ينفعه، وجلده يجلس عليه صاحب القولنج والبواسير ينفعه.

**الدلم**: نوع من القراد، قالت العرب في أمثالها: «فلان أشد من الدلم»[1].

---

(١) مجمع الأمثال: ١/٣٩١.

**الدهاما**: قال القزويني: هو شيء يوجد في جزائر البحار، على هيئة إنسان راكب على نعامة، يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر، وذكر بعضهم أنه عرض لمركب في البحر فحاربهم وحاربوه، فصاح بهم صيحة خروا على وجوههم فأخذهم.

**الدم**: بكسر الدال السنور، حكاه في المحكم عن النضر في كتاب الوحوش.

**الدنة**: بتشديد النون دويبة كالنملة قاله ابن سيده.

**الدنيلس**: معروف وهو نوع من الصدف والحلزون، قال جبريل بن بختيشوع: إنه ينفع من رطوبة المعدة والاستسقاء.

**وحكمه**: حل الأكل لأنه من طعام البحر، ولا يعيش إلا فيه. ولم يأت على تحريمه دليل. كذا أفتى به الشيخ شمس الدين بن عدلان وعلماء عصره وغيرهم. وما نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام من الافتاء بتحريم أكله لم يصح. فقد نص الشافعي على أن حيوان البحر الذي لا يعيش إلا فيه يؤكل لعموم الآية، ولقوله ﷺ «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»(١). ووراء ذلك وجهان، وقيل قولان أحدهما يحرم لأنه ﷺ خص السمك بالحل، والثاني ما أكل شبهه في البر، كالبقر والشاء حلال. وما لا كخنزير الماء وكلبه حرام وعلى هذا لا يؤكل ما أشبه الحمار وإن كان في البر الحمار الوحشي حلالاً. قال في كتاب التبيان: فيما يحل ويحرم من الحيوان للشيخ عماد الدين الاقفهسي، وقد نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه كان يفتي بتحريم الدنيلس، قال: وهذا مما لا يرتاب فيه سليم الطبع. قلت: وقد ذكر ارسطاطاليس، في كتابه نعوت الحيوان، أن السرطان لا يخلق بتولد ونتاج، وإنما يستحيل في الصدف أي يتخلق فيه ثم يخرج، ومنه ما يتولد ثم ينشق عنه الصدف ويخرج، كما أن البعوض يتولد من أوساخ المياه ونتنها. فقد استفدنا من كلام ارسطاطاليس أن ما في داخل الدنيلس وغيره، من الأصداف يستحيل سرطانات، وإذا كان الحيوان غير مأكول، فأصله كذلك إلا على القول الضعيف. وسمعت عن بعض الفقهاء أنه كان يفتي بحل الدنيلس، ويأخذه من كلام الأصحاب ما أكل مثله في البر، أكل مثله في البحر. وقال إن الدنيلس له نظير في البر، وهو الفستق، وهذه غباوة منه لأن مراد الأصحاب ما أكل في البر من حيوان أكل مثله في البحر. ثم هل يجب مع ذلك ذبحه أم لا؟ فيه وجهان: وليس مرادهم تشبيه حيوان بحري بحمار بري حتى يصح القياس. وبالجملة فهذا القائل، قد قاس الخبيث بالطيب، ويلزمه أن يقول بحل سائر المحار والأصداف لأن الدنيلس محار صغير، ثم يأخذ بعد ذلك في الكبر، والدليل على ذلك أنه يوجد منه صغير وكبير فإذا تكامل بقي محاراً، فينبغي القطع بتحريم الدنيلس لأنه من أنواع الصدف، والصدف مستخبث كالسلحفاة والحلزون. قال الجاحظ: والملاحون يأكلون البلبل، وهو ما في جوف الصدفة، وهذا يدل على أنه غير مستطاب وإلا لما عده من خواص الملاحين. وأهل مصر يعيبون أهل الشام

---

(١) رواه أبو داود في الطهارة: ٤١. والترمذي في الطهارة: ٥٢. والنسائي في الطهارة: ٤٦ وابن ماجه في الطهارة: ٣٨. الموطأ في الطهارة: ١٢، والدارمي وضوء: ٥٣. وأحمد: ٢/٢٣٧.

بأكلهم السرطان، وأهل الشام يعيبون أهل مصر بأكلهم الدنيلس ولم أجد لهم مثلاً إلا قول الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة ... أن يلهج الأعمى بعيب الأعمش

انتهى كلام الأقفهسي، وهو مخالف لما ذكره المؤلف والله أعلم.

**الدهانج**: بضم الدال الجمل الضخم ذو السنامين. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في الفالج.

**الدوبل**: الحمار الصغير الذي لا يكبر وكان الأخطل يلقب به ومنه قول جرير[1]:

بكى دوبل لا يرقىء الله دمعه ... ألا إنما يبكي من الذل دوبل[2]

**الدود**: جمع دودة وجمع الدود ديدان، والتصغير دويد، وقياسه دويدة وداد الطعام يداد وأداد ودوّد. إذا وقع فيه السوس قال الراجز:

قد أطعمتني دقلا حوليا ... مسوساً مدوّدا حجريا

والدود أيضاً صغار الدود. ودويد بن زيد عاش أربعمائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام وهو لا يعقل، وارتجز وهو محتضر:

اليوم يبنى لدويد بيتهْ ... لو كان للدهر بلى ابليتهْ
أو كان قرني واحداً كفيتهْ ... يا رب نهب صالح حويتهْ
ورب غيل حسن لويتهْ ... ومعصم مخضب ثنيتهْ

وفي تاريخ[3] ابن خلكان، إنه سعى بأبي الحسن الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا إلى المتوكل بأن في منزله سلاحاً وكتباً من شيعته، وأنه يطلب الأمر لنفسه، فبعث المتوكل إليه جماعة فهجموا عليه في منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن، فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب، فاعظمه وأجله وقال له: أنشدني فقال: إني قليل الرواية للشعر. فقال له المتوكل: لا بد فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غُلبُ الرجال فما أغنتهم القللُ
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

(١) جرير بن عطية الخطفي، الشاعر المجيد من شعراء العصر الأموي. والمتوفى سنة ١١٠ هـ.
(٢) البيت في ديوانه: ص ٣٦٦. وفيه: لا يرقأ.
(٣) وفيات الأعيان: ٣/٢٧٢.

فبكى المتوكل والحاضرون. ثم قال له المتوكل: يا أبا الحسن هل عليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف درهم، فأمر له بها وصرفه مكرماً. فلما كثرت السعاية به عند المتوكل أحضره المدينة، وأقره بسر من رأى، وتدعى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره، فقيل لها: العسكر، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، ولهذا قيل له العسكري. وتوفي في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين، وهو أحد الأئمة الأثني عشر على مذهب الإمامية رضي الله تعالى عنه وعن آبائه الكرام. والدود أنواع كثيرة يدخل فيها الأساريع والحلم والأرضة ودود الخل والزبل، ودود الفاكهة ودود القز والدود الأخضر الذي يوجد في شجر الصنوبر، وهو في القوة والفعل كالذراريح، وكله معروف ومنه ما يتولد في جوف الإنسان. وروى ابن عدي بسند فيه عصمة بن محمد بن فضالة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبـي ﷺ قال: «كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود[1]». وقالت الحكماء: شرب الوخشيرق يرمي الدود من البطن، وورق الخوخ إذا ضمدت السرة به قتل ديدان البطن. روى البيهقي في الشعب، عن صدقة بن يسار أنه قال: دخل داود عليه الصلاة والسلام في محرابه، فأبصر دودة صغيرة فتفكر في خلقها، وقال: ما يعبأ الله بخلق هذا الدودة، فأنطقها الله فقالت: يا داود أتعجبك نفسك؟ لأنا على قدر ما آتاني الله، أذكر لله وأشكر له منك، على ما آتاك الله. قال الله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾[2] وأما دود الفاكهة فذكر الزمخشري في تفسير قوله[3] تعالى: ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾ الآية أنها بعثت خمسمائة غلام، عليهم ثياب الجواري وحليهن، وخمسمائة جارية على زي الغلمان، كلهم على سروج الذهب والخيل المسومة، وألف لبنة من ذهب وفضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت والمسك والعنبر، وحقاً فيه درة يتيمة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب، وبعثت برجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذي رأي وعقل. وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري، وثقب الدرة ثقباً مستوياً، وسلك في الخرزة خيطاً ثم قالت للمنذر: إن نظر إليك نظر غضبان، فهو ملك فلا يهولنك أمره، وإن رأيت شيئاً لطيفاً فهو نبي، فأعلم الله نبيه سليمان بذلك، فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة، وفرشت في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ، وجعلوا حول الميدان حائطاً، شرفة من ذهب وشرفة من فضة، وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها، عن يمين الميدان ويساره على اللبن، وأمر بأولاد الجن، وهم خلق كثير، فاقيموا على اليمين واليسار، ثم قعد على كرسيه، والكراسي عن يمينه ويساره، واصطفت الشياطين صفوفاً فراسخ، والجن صفوفاً فراسخ، والإنس صفوفاً فراسخ، والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك، فلما دنا القوم، نظروا فرأوا الدواب تروث على لبنات الذهب والفضة، فرموا بما معهم منها، فلما وقفوا بين يديه، نظر إليهم بوجه طلق، ثم قال: أين الحق الذي فيه كذا وكذا؟ فقدموه بين يديه فأمر الأرضة، فأخذت شعرة ونفذت فيها، فجعل رزقها في الشجر، وأخذت دودة بيضاء بفيها الخيط، ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه، ودعا بالماء، فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها، فتجعله في الأخرى، ثم تضرب به وجهها، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه، ثم ردا الهدية، وقال للمنذر: ارجع إليهم. فلما رجع وأخبرها الخبر قالت: هو نبي وما

---

(١) الكامل لابن عدي ٥/٢٠٠٩. (٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤. (٣) سورة النمل: الآية ٣٥.

لنا به طاقة فشخصت إليه في أثني عشر ألف قيل تحت يدكل قبل ألوف.

وأما دود القز فيقال لها الدودة الهندية، وهي من أعجب المخلوقات، وذلك إنه يكون أولاً بزراً من قدر حب التين، ثم يخرج من الدود عند فصل الربيع، ويكون عند الخروج أصغر من الذر، وفي لونه ويخرج من الأماكن الدافئة من غير حضن، إذا كان مصروراً مجعولاً في حق، وربما تأخر خروجه فتصره النساء وتجعله تحت ثديهن، وإذا خرج أطعم ورق التوت الأبيض، ولا يزال يكبر ويعظم إلى أن يصير في قدر الإصبع، وينتقل من السواد إلى البياض أولاً فأولاً، وذلك في مدة ستين يوماً على الأكثر، ثم يأخذ في النسج على نفسه بما يخرجه من فيه إلى أن ينفد ما في جوفه منه. ويكمل عليه ما يبنيه إلى أن يصير كهيئة الجوزة، ويبقى فيه محبوساً قريباً من عشرة أيام، ثم ينقب عن نفسه تلك الجوزة، فيخرج منها فراش أبيض له جناحان، لا يسكنان من الاضطراب، وعند خروجه يهيج إلى السفاد، فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمان مدة، ثم يفترقان، وتبزر الأنثى البزر الذي تقدم ذكره على خرق بيض، تفرش له قصداً إلى أن ينفد ما فيها منه، ثم يموتان هذا إن أريد منهما البزر وإن أريد الحرير ترك في الشمس بعد فراغه من النسج، بعشرة أيام يوماً بعض يوم فيموت. وفيه من أسرار الطبيعة أنه يهلك من صوت الرعد، وضرب الطست والهاون ومن شم الخل والدخان ومس الحائض والجنب. ويخشى عليه من الفأر والعصفور والنمل والوزغ وكثرة الحر والبرد وقد ألغز فيه بعض الشعراء فقال:

وبيضة تحضن في يومين ... حتى إذا دبت على رجلين
واستبدلت بلونها لونين ... حاكت لها خيساً بلا نيرين
بلا سماء وبلا بابين ... ونقبته بعد ليلتين
فخرجت مكحولة العينين ... قد صبغت بالنقش حاجبين
قصيرة ضئيلة الجنبين ... كأنها قد قطعت نصفين
لها جناح سابغ النبردين ... ما نبتا إلا لقرب الحينْ
إن الردى كحل لكل عينْ

قال الإمام أبو طالب المكي[1]، في كتابه قوت القلوب: وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم بدود القز، لا يزال ينسج على نفسه، من جهله حتى لا يكون له مخلص، فيقتل نفسه ويصير القز لغيره، وربما قتلوه إذا فرغ من نسجه، لأن القز يلتف عليه فيروم الخروج عنه فيشمس، وربما غمز بالأيدي حتى يموت لئلا يقطع القز ليخرج القز صحيحاً. فهذه صورة المكتسب الجاهل الذي أهلكه أهله وماله وتتنعم ورثته بما شقي هو به فإن أطاعوا به، كان أجره لهم، وحسابه عليه، وإن عصوا به كان شريكهم في المعصية لأنه أكسبهم إياها به، فلا يدري أي الحسرتين عليه أعظم إذهابه عمره لغيره، أو نظره إلى ماله في ميزان غيره؟ انتهى. وقد أشار إلى ذلك أبو الفتح البستي[2] بقوله:

(١) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد الأندلس. مقرىء عالم بالعربية والتفسير. مات سنة ٤٣٧. من أهل القيروان، طاف في بلاد المشرق وعاد إلى موطنه. له تصانيف كثيرة.

(٢) البستي: علي بن محمد، أبو الفتح البستي. وفاته سنة ٤٠٠ هـ. شاعر رقيق.

ألم تـر أن المـرء طـول حـيـاتـه معنى بـأمـر لا يـزال يعـالجـه
كـدود كـدود القـز ينسـج دائـماً ويهلك غـماً وسط مـا هـو نـاسجـه

وله أيضاً وأجاد:

لا يـغـرنـك أنـني لـين الـلمـ ـس فعـزمي إذا انـتضيت حسـامُ
أنـا كـالـورد فـيـه راحـة قـوم ثـم فـيـه لآخـريـن زكـامُ

وقال آخر(١) في المعنى:

يفنى الحريص بجمع المال مدتـه وللحـوادث مـا يبقى ومـا يـدع(٢)
كـدودة القـز مـا تبنيـه يهلكهـا وغـيرهـا بـالـذي تبنيـه ينتفـع(٣)

لما أخذت دودة القز تنسج، أقبل العنكبوت يتشبه بها، وقال: لي نسج ولك نسج. فقالت دودة القز: إن نسجي ملابس الملوك ونسجك ملابس الذباب، وعند مس الحاجة يتبين الفرق ولذلك قيل:

إذا اشـتـبـكـت دمـوع في خـدود تـبـين مـن بـكـى ممـن تـبـاكـى

تتمة: شجرة الصنوبر تثمر في كل ثلاثين سنة مرة، وشجرة الدبا تصعد في كل أسبوعين، فتقول لشجرة الصنوبر: إن الطريق التي قد قطعتها في ثلاثين سنة قطعتها في أسبوعين. ويقال: لك شجرة ولي شجرة، فتقول شجرة الصنوبر لها: مهلاً إلى أن تهب رياح الخريف، فحينئذ يتبين لك اغترارك بالإسم. وقال المسعودي في ترجمة الراضي إن دودة بطبرستان، تكون من المثقال إلى ثلاثة مثاقيل، تضيء في الليل كما يضيء الشمع، وتطير بالنهار فترى لها أجنحة، وهي خضراء ملساء لا جناحين لها في الحقيقة، غذاؤها التراب، لم تشبع قط منه خوفاً أن تفنى تراب الأرض فتهلك جوعاً. قال: وفيها منافع كثيرة وخواص واسعة انتهى. وسيأتي عن الجاحظ قريب من هذا.

الحكم: يحرم أكله بجميع أنواعه، لأنه مستخبث إلا ما تولد من مأكول فعندنا فيه ثلاثة أوجه: أصحها جواز أكله معه لا منفرداً، والثاني يجب تمييزه ولا يؤكل أصلاً، والثالث يؤكل معه ومنفرداً. وعلى الأصح ظاهر اطلاقهم أنه لا فرق بين أن يسهل تمييزه أو يشق. ولا يجوز بيع الدود إلا القرمز الذي يصبغ به وهو دود أحمر يوجد في شجر البلوط في بعض البلاد صدفي يشبه الحلزون. تجمعه نساء تلك البلاد بأفواههن. وأما دود القز فيجوز بيعه، ويجب إطعامه ورق الفرصاد، وهو التوت الأبيض، ويجوز تشميسه، وإن هلك لتحصيل فائدته. ويجوز بيع الفيلج وفي باطنه الدود الميت لأن بقاءه فيه من مصلحته، فيجوز بيعه وزناً وجزفاً، كما صرح به القاضي

(١) هو أبو علي، ابن الشبل. والبيتان في فوات الوفيات: ٣/ ٣٤٠.
(٢) في الفوات: «يغنى البخيل». «وللحوادث والأيام ما يدع».
(٣) في الفوات: «تبنيه يهدمها».

حسين. وقال الإمام: إن باعه جزافاً كما صرح به القاضي حسين وقال الإمام إن باعه جزافاً جاز، وإن باعه وزناً لم يجز. قلت: وهذا هو الصحيح المعتمد، لأن الدود الذي فيه، يمنع معرفة مقدار ما فيه من المقصود. وهو القز وقد جزم به الشيخان، في آخر كتاب السلم. وجزم به ابن الرفعة وغيره. وفي روثه الخلاف في روث ما لا نفس له سائلة. وفي بزره الوجهان في بيض ما لا يؤكل والأصح الطهارة. وقال الفوراني والمتولي: إن قلنا دود القز طاهر، بعد الموت فبزره طاهر، وإن قلنا إنه نجس فالبزر كالبيض لأن له نماء مثله. وفي فتاوى القفال: إن بزر القز لا مثل له، ولا يجوز السلم فيه، لأن أهل الصنعة لا يعرفون أن هذا البزر يكون نسجه أحمر أو أبيض، فهو كالسلم في الجواهر.

**الأمثال**: قالوا[1]: «أصنع من دود القز». وربما قالوا: «أكثر من الدود وأضعف من الدود». قال ابن رشد، في جامع البيان والتحصيل: سأل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه، عن البحر، فقال: خلق قوي يركبه خلق ضعيف، دود على عودان ضاعوا هلكوا، وإن بقوا فرقوا. فقال عمر: لا أحمل فيه أحداً أبداً.

**الخواص**: إذا أخذ دود القز، وخلط بالزيت ولطخ به بدن إنسان نفع من نهش الهوام، وذوات السموم ودودة القز إن أخرجت منه وأكلها الدجاج حصل له سمن كثير، ودود الزبل الأصفر الذي يخلق منه، إذا طبخ في زيت عتيق حتى ينضج ويدهن بذلك الزيت داء الثعلب، فإنه يبرئه، وهو في ذلك عجيب مجرب إذا داوم عليه.

**التعبير**: الدود في المنام عدو من الأهل، ودود القز زبون للتاجر، ورعية للسلطان، فمن أخذ منه شيئاً نال منفعة منهم، وربما دلت رؤية الدود على مال حرام. ويعبر أيضاً بالضر فمن زال عنه زال ذلك عنه، وربما عبر الدود بالأولاد القصيري الأعمار، وأصحاب التركات السنية، وربما دلت رؤيته على قرب الأجل ونهاية العمر، وربما دلت على الحاكة من الرجال والنساء، والمحاكين للصور والله أعلم.

**دؤالة**: كنخالة من أسماء الثعلب، سمي بذلك لنشاطه وخفة مشيه والدألان مشية النشيط.

**الدودمس**: ضرب من الحيات محرنفش الغلاصيم، ينفخ فيحرق ما أصاب والجمع دودمسات ودواميس قاله ابن سيده.

**الدوسر**: الجمل الضخم والأنثى دوسرة.وجمل دوسري كأنه منسوب إليه.

**الديسم**: بالفتح ولد الدب قال الجوهري: قلت لأبي الغوث: يقال إنه ولد الذئب من الكلبة! فقال: ما هو إلا ولد الدب. وقال في المحكم: إنه ولد الثعلب. وقال الجاحظ: إنه ولد الذئب من الكلبة. وهو أغبر اللون وغبرته ممتزجة بسواد. **وحكمه**: تحريم الأكل على كل تقدير.

**الديك**: ذكر الدجاج وجمعه ديوك وديكة، وتصغيره دويك، وكنيته أبو حسان،

---

(١) جمهرة الأمثال: ١/٤٧٩.

وأبو حماد وأبو سليمان، وأبو عقبة، وأبو مدلج، وأبو المنذر، وأبو نبهان وأبو يقظان، وأبو برائل والبرائل الذي يرتفع من ريش الطائر في عنقه، وينفشه الديك للقتال، وقيل: إن للديك خاصة. ويسمى الأنيس والمؤانس، ومن شأنه أنه لا يحنو على ولده، ولا يألف زوجة واحدة، وهو أبله الطبيعة، وذلك أنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله. وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوي بين دجاجه، ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادراً، وأعظم ما فيه من العجائب، معرفة الأوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطاً، لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أو قصر. ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده، فسبحان من هداه لذلك. ولهذا أفتى القاضي حسين والمتولي والرافعي بجواز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات. ومن غريب أمره، إذا كانت الديكة بمكان، ودخل عليها ديك غريب سفدته كلها، وقد أجاد أبو بكر الصنوبري في مدحه حيث قال(١):

مغـرد الليـل مـا يـألـوك تغريـدا ... مل الكرى فهو يدعو الصبح مجهـودا
لما تـطرب هـز العـطف من طـرب ... ومـد لـلصـوت لمـا مـده الجيـدا
كـلابس مـطرفـا مـرخ ذوائبـه ... تضـاحك البيض من اطـرافه السـودا
حـالى المقلد لـو قيسـت قـلائـده ... بـالـورد قصر عنهـا الـورد تـوريـدا

وفي تاريخ(٢) ابن خلكان في ترجمة محمد بن معن بن محمد بن صمادح، المنعوت بالمعتصم، من قصيدة مدحه بها أبو القاسم الأسعد بن بليطة في صفة الديك:

كـأن أنـوشروان أعـطاه تـاجـه ... ونـاط عليه كفُّ ماريةَ القُرطا(٣)
سبى حلة الـطاووس حسنُ لبـاسـه ... ولم يكفـه حتى سبى المشيـة البـطا

قال(٤) الجاحظ: ويدخل في الديك الهندي والجلاسي والنبطي والسندي والزنجي، وزعم أهل التجربة أن الديك الأبيض الأفرق من خواصه أن يحفظ الدار التي هو فيها، وزعموا أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق، لم يزل ينكب في أهله وماله.

وروى عبد الحق بن قانع بإسناده إلى جابر بن أثوب، بسكون الثاء المثلثة وفتح الواو، وهو أثوب بن عتبة، أن النبي ﷺ قال: «الديك الأبيض خليلي». وإسناده لا يثبت. ورواه غيره بلفظ: «الديك الأبيض صديقي وعدو الشيطان، يحرس صاحبه وسبع دور خلفه». قال: وكان النبي ﷺ يقتنيه في البيت والمسجد. وفي التهذيب في ترجمة البزي الراوي عن ابن كثير، وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المكي، وهو ضعيف الحديث، عن الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال: «الديك الأبيض الأفرق حبيبي وحبيب حبيبي جبريل يحرس بيته وستة عشر بيتاً من جيرانه». وروى الشيخ محب الدين الطبري «أن النبي ﷺ كان له ديك أبيض وكان الصحابة رضي الله عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلوات».

---

(١) العقد الفريد: ١٧١/٦. (٢) وفيات الأعيان: ٤٣/٥.
(٣) أنوشروان: من أكاسرة الفرس. وفي الوفيات: «أعلاه تاجه» و«ناطت عليه».
(٤) الحيوان: ١٤٥/٣.

وفي الصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ[1] قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً». قال القاضي عياض: سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء، واستغفارهم وشهادتهم له بالإخلاص والتضرع والابتهال. وفيه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين والتبرك بهم وإنما أمرنا بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير، لأن الشيطان يخاف من شره عند حضوره فينبغي أن يتعوذ منه انتهى. وفي معجم الطبراني وتاريخ أصبهان، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله سبحانه ديكاً أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، ورأسه تحت العرش وقوائمه في الهواء، يؤذن في كل سحر فيسمع تلك الصيحة أهل السموات وأهل الأرض، إلا الثقلين، الإنس والجن، فعند ذلك تجيبه ديوك الأرض فإذا دنا يوم القيامة يقول الله تعالى: ضم جناحيك، وغض صوتك. فيعلم أهل السموات وأهل الأرض إلا الثقلين أن الساعة قد اقتربت». وروى الطبراني والبيهقي في الشعب، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لله ديكا رجلاه في التخوم، وعنقه تحت العرش منطوية، فإذا كان هنة من الليل، صاح: سبوح قدوس، فتصيح الديكة». وهو في كامل ابن عدي في ترجمة علي بن أبي علي اللهبي. قال: وهو يروي أحاديث منكرة عن جابر رضي الله عنه. وفي كتاب فضل الذكر، للحافظ العلامة جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل ديكا رجلاه في الأرض السفلى، وعنقه مثنية تحت العرش، وجناحاه في الهواء يخفق بهما في السحر كل ليلة، يقول: سبحان الملك القدوس ربنا الملك الرحمن لا إله غيره». وروى الثعلبي أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى. صوت الديك، وصوت قارىء القرآن، وصوت المستغفرين بالأسحار». وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة». إسناده[2] جيد وفي لفظ «فإنه يدعو إلى الصلاة» قال الإمام الحلمي في قوله ﷺ «فإنه يدعو إلى الصلاة». دليل على أن كل من استفيد منه خير، لا ينبغي أن يسب ويستهان به، بل حقه أن يكرم ويشكر ويتلقى بالإحسان، وليس معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراخه حقيقة: الصلاة أو قد حانت الصلاة، بل معناه أن العادة قد جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة، عند طلوع الفجر، وعند الزوال، فطرة فطره الله عليها فيتذكر الناس بصراخه الصلاة، ولا يجوز لهم أن يصلوا بصراخه، من غير دلالة سواه إلا من جرب منه ما لا يخلف فيصير ذلك له إشارة والله أعلم انتهى. وروى الحاكم في المستدرك في أوائل كتاب الإيمان والطبراني ورجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش، وهو يقول: سبحانك ما أعظم شأنك، قال: فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذباً». وروى الإمامان أبو طالب المكي وحجة الإسلام الغزالي، عن

---

(١) رواه البخاري: بدء الخلق: ١٥. ومسلم ذكر: ٨٢. الترمذي دعوات: ٥٦.

(٢) رواه أحمد: ١٩٣/٥ ـ ١١٥/٤.

ميمون بن مهران، أنه قال: بلغني أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك، براثنه من لؤلؤة وصيصته من زبرجد أخضر، فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم القائمون، فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المصلون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم ومعنى زقا صاح.

نكتة: كان سهل بن هارون بن راهويه، في خدمة المأمون، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً فارسي الأصل شيعي المذهب، شديد التعصب على العرب، وله مصنفات عديدة في الأدب وغيره، وكان الجاحظ يصف براعته وحكمته وشجاعته في كتبه، وكان إليه النهاية في البخل وله فيه حكايات عجيبة: فمن ذلك قال دعبل: كنا عنده يوماً فأطلنا القعود، حتى كاد يموت جوعاً، ثم قال: ويحك يا غلام غدنا! فأتاه بقصعة فيها ديك مطبوخ، فتأمله ثم قال أين الرأس يا غلام؟ قال: رميت به. فقال: إني والله لأمقت من يرمي برجله، فكيف برأسه؟ ولو لم يكن فيما فعلت إلا الطيرة والفأل لكراهته، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء، ومنه يصرخ الديك، ولولا صوته ما أريد، وفيه عرفه الذي يتبرك به، وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء، فيقال: «شراب كعين الديك». ودماغه عجب لوجع الكليتين، ولم ير عظم أهش تحت الأسنان منه، وهب أنك ظننت أني لا آكله أو ليس العيال كانوا يأكلونه؟ فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله، فعندنا من يأكله، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح، ومن رأس العنق؟ انظر لي أين هو؟ فقال: والله ما أدري أين هو، ولا أين رميت به. فقال: رميته في بطنك قاتلك الله.

الحكم: يحل أكله لما تقدم في الدجاج، ويكره سبه لما تقدم في حديث زيد بن خالد الجهني، ويجوز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات كما تقدم قريباً. قال أصبغ بن زيد الواسطي: كان لسعيد بن جبير ديك يقوم في الليل بصياحه، فلم يصح ليلة حتى أصبح فلم يصل سعيد تلك الليلة فشق ذلك عليه، فقال: ماله قطع الله صوته؟ فلم يسمع له صوت بعد ذلك. وفي مناقب إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى، أن رجلاً سأله عن رجل خصى ديكاً له، فقال: عليه أرشه. وفي الكامل. في ترجمة عبد الله بن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ: «نهى عن خصاء الديك والغنم والخيل. وقال[1]: «إنما النماء في الخيل». وتحرم المناقرة بالديكة. وسيأتي ما ورد في ذلك من النهي في باب الكاف، في المناطحة بالكباش، في لفظ الكبش إن شاء الله تعالى.

الأمثال: قالوا[2]: «أشجع من ديك» «وأسفد من ديك[3]».

فائدة: روى[4] مسلم وغيره أن عمر رضي الله عنه خطب الناس يوماً فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: إني رأيت رؤيا لا أراه إلا لحضور أجلي وهي أن ديكاً نقرني ثلاث نقرات، وفي لفظ رأيت كأن ديكاً أحمر نقرني نقرة أو نقرتين. فحدثتها أسماء بنت عميس رضي الله عنها فحدثتني بأن يقتلني رجل من الأعاجم. وكان هذا القول منه يوم الجمعة فطعن يوم الأربعاء

(١) رواه ابن حنبل: ٢/ ٢٤.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/ ٤٦٠.
(٣) المستقصى: ١/ ١٦٩.
(٤) رواه مسلم في المساجد: ٧٨. وابن حنبل: ١/ ١٥ ــ ٢٧ ــ ٤٨.

رضي الله عنه. وروى الحاكم عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال على المنبر: رأيت في المنام كأن ديكاً نقرني ثلاث نقرات فقلت: أعجمي يقتلني، وإني جعلت أمري إلى هؤلاء الستة، الذي توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص. فمن استخلف فهو الخليفة. وذكر ابن خلكان وغيره، أن عمر رضي الله عنه، لما طعن، اختار من الصحابة ستة نفر، وهم المتقدم ذكرهم. وكان سعد بن أبي وقاص غائباً، وجعل عبد الله ابنه مشيراً، وليس له من الأمر شيء وأقام المسور بن مخرمة، وثلاثين نفساً من الأنصار، وقال: إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام، وإلا فاضربوا رقاب الكل فلا خير للمسلمين فيهم، وإن افترقوا فرقتين، فالفرقة التي فيها عبد الرحمن بن عوف. وأوصى أن يصلي صهيب بالناس ثلاثة أيام، فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الشورى، واختار عثمان فبايعه الناس. ونقل أن العباس بن عبد المطلب قال لعلي: يا ابن أخي لا تدخل نفسك في الشورى مع القوم، فإني أخاف أن يخرجوك منها فتبقى وصمة فيك فلم يقبل منه.

وكان عمر قد بويع له بالخلافة يوم مات الصديق بعهد منه له في ذلك كما سبق في باب الهمزة في لفظ الأوز. وضربه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة، وكان مجوسياً، وقيل: كان نصرانياً، ثلاث ضربات أحداهن تحت سرته، فقال: قتلني الكلب. وخرج من المحراب ودخل عبد الرحمن بن عوف، فأتم الصلاة بالناس. ومر أبو لؤلؤة هارباً في يده خنجر يضرب به يميناً وشمالاً فطرح عليه رجل من الأنصار رداءه، فلما علم أنه مأخوذ، نحر نفسه. وكان بعض الذين في المسجد لم يشعروا بذلك لشغلهم بالصلاة إلا أنهم فقدوا صوت عمر ولم يعلموا ما سببه. وإنه لما طعن، قيل له: ما أحب الأشربة إليك يا أمير المؤمنين؟ قال: النبيذ فسقوه نبيذاً، فخرج من جرحه، فقال قوم: نبيذ وقال قوم: دم فسقوه لبناً فخرج من جرحه. فقيل له: أوص يا أمير المؤمنين، فأوصى بالشورى كما تقدم. وكان قتله في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وبقي ثلاثة أيام، وتوفي لأربع بقين من ذي الحجة. وقيل لليلتين وقد تقدم بعض ذلك في الأوز.

ويقال إن عبيد الله بن عمر وثب على الهرمزان فقتله، وقتل معه رجلاً نصرانياً، يعرف بحفنة من أهل نجران، كانا قد اتهما بإغراء أبي لؤلؤة بعمر رضي الله عنه. وقتل بنتاً لأبي لؤلؤة طفلة. ووداهم عثمان رضي الله عنه. ولحق عبيد الله بمعاوية في خلافة علي رضي الله عنه.

وكان في أيام عمر الفتوحات العظام، وهو الذي سمى الغزوات الشواتي والصوائف، وهو أول من أرخ التاريخ بعام الهجرة، وأول من دعي بأمير المؤمنين وأول من ختم الكتب، وكان في يده خاتم رسول الله ﷺ، وفيه نظر. وأول من ضرب بالدرة وحملها. وأول من قال: أطال الله بقاءك، قالها لعلي رضي الله عنهما، وهو الذي أخر المقام إلى موضعه اليوم، وكان ملصقاً بالبيت، وهو أول من جمع الناس على إمام واحد في التراويح. وحج بالناس عشر سنين متوالية آخرها سنة ثلاث وعشرين، ومعه نساء رسول الله ﷺ في الهوادج ورجع إلى المدينة فرأى الرؤيا المتقدم

ذكرها، وتزوّج عمر أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه، وأصدقها أربعين ألف درهم، وكان أي عمر رضي الله عنه قد حد ابنه عبيد الله على الشراب، فقال له وهو يحده: قتلتني يا أبتاه. فقال له: يا بني إذا لقيت ربك فأخبره أن أباك يقيم الحدود. والذي في السير أن المحدود في الشراب ابنه الأوسط أبو شحمة، وإسمه عبد الرحمن، وأمه أم ولد يقال لها الهيبة. وقتل عبيد الله الرجلين مشكل وقتله الطفلة أشكل والله أعلم. وذكر غير واحد من الثقات، أنه كان لرقية بنت رسول الله ﷺ، من عثمان، ولد يقال له عبد الله، وبه كان يكنى، بلغ سبع سنين نقره ديك في وجهه فمات بعد أمه في جمادى سنة أربع. ولم يولد له غيره من بنات النبي ﷺ. ولما هاجرت رقية إلى الحبشة كان فتيان الحبشة يتعرضون لرؤيتها ويتعجبون من جمالها، فآذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعاً. وقالوا: «ما كلمته إلا كحسو الديك»[1] يريدون السرعة قال الشاعر:

ويوماً كحسو الديك قد بات صحبتي ينالونه فوق القلاص العياهل[2]

يريد قلته وسرعته وضربوا المثل بصفاء عينه فقالوا: «أصفى من عين الديك»[3]. ومن المشهور في ذلك قصيدة عدي بن زيد العبادي التي يقول[4] فيها:

بكر العاذلون في وضح الصبـ ـبح يقولون لي أما تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موهوق[5]
لست أدري إذا أكثروا العذل فيها أعدوّ يلومني أم صديق
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الـ ـديك صفيٍّ سلافها الراووق[6]

ولهذه الأبيات حكاية حسنة مشهورة مذكورة في درة الغواص. وفي تاريخ ابن خلكان، في ترجمة حماد الراوية قال: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك في أيامه، فلما مات يزيد، وأفضت الخلافة إلى هشام، خفتة فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به، من إخواني سراً، فلما لم أسمع أحداً ذكرني في السنة، أمنت فخرجت يوماً، وصليت الجمعة بالرصافة، وإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالا: يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر، وكان والياً على العراق، فقلت في نفسي: من هذا كنت أخاف. ثم قلت للشرطين: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي، فاودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبداً، ثم أسير معكما إليه؟ فقالا: ما إلى ذلك سبيل. فاستسلمت في أيديهما، ثم صرت إلى يوسف بن عمر، وهو في الايوان الأحمر، فسلمت

---

(١) المستقصى: ٢/٢١٦.
(٢) القلاص: جمع القلوص: الناقة الشابة.
(٣) مجمع الأمثال: ١/٤١٧.
(٤) وفيات الأعيان: ٢/٢٠٨. وعدي بن زيد بن حماد بن زيد العبّادي التميمي، شاعر جاهلي من الدهاة.
(٥) موهوق: محبوس.
(٦) السلاف: الخمرة المصفاة. الراووق: ما تروّق به الخمرة.

فرد علي السلام، ورم إلي كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر الثقفي، أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به، من غير ترويع، وادفع له خمسمائة دينار وجملاً مهرياً، يسير عليه لإثنتي عشرة ليلة إلى دمشق. قال: فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول فجعلت رحلي في الغرز وسرت إثنتي عشرة ليلة حتى وافيت دمشق، فنزلت على باب هشام، فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام، وبين كل رخامتين قضيب من ذهب، وهشام جالس على طنفسة حمراء، وعليه ثياب حمر من الخز، وقد تضمخ بالمسك والعنبر، فسلمت عليه فرد علي السلام، واستدناني فدنوت إليه حتى قبلت رجله فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط في أذن كل واحدة منهما حلقتان، فيهما لؤلؤتان تتقدان، فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين. فقال: أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا. قال: بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر قائله! قلت: وما هو؟ قال:

ودعــوا بـالصبــوح يـومــاً فجاءت ... قـيـنــة في يمـيـنـهـا ابـريـقُ[1]

فقلت: يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة له فقال: أنشدنيها فانشدته:

بكــر العــاذلــون في وضــح الـصبــ ... ـح يـقــولــون لي أمــا تـسـتـفـيـق
ويلومــون فيـك يــا ابنــة عبــد الله ... والـقــلب عــنــدكــم مــوهــوقُ
لست أدري إذا أكثروا العـذل فيهــا ... أعــدوّ يـلومـني أم صـديـق

قال حماد فانتهيت فيها إلى قوله:

ودعــوا بـالصبــوح يــومــاً فجـاءت ... قــيـنــة في يمـيـنـهـا ابـريـق[2]
قــدمـتــه عــلى عـقــار كعــين ال ... ديـك صفيّ سـلافـهـا الـراووقُ
مــرة قــبــل مــزجـهــا فــإذا مــا ... مـزجـت لـذ طعمـهـا من يـذوقُ
وطفــا فــوقهــا فقــاقيــع كــالـيــا ... قـوت حمـر يـزيـنـهـا الـتـصفـيقُ
ثــم كــان المـزاج مــاء سـحــاب ... لاصرى آجـنٌ ولا مـطروق[3]

قال: فطرب هشام، ثم قال لي: أحسنت يا حماد والله، يا جارية اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي، فقال: أعده فاعدته فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه فسقتني، شربة ذهبت بثلث آخر من عقلي، ثم قال: سل حاجتك يا حماد. فقلت: كائنة ما كانت؟ قال: نعم. قلت: إحدى هاتين الجاريتين، فقال: هما لك بما عليهما، ثم قال للجارية الأولى: اسقيه فسقتني شربة، فسقطت منها فلم أعقل حتى أصبحت، والجاريتان عند رأسي، فإذا عشرة من الخدم، ومع كل واحد منهم بدرة فيها عشرة آلاف درهم. فقال أحدهم: إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه وانتفع بها في سفرك فأخذتها والجاريتين وعدت إلى أهلي انتهى. هكذا ساقها الحريري في كتابه درة الغواص، وفيه

---

(١) وفيات الأعيان: ٢/٢٠٨. (٢) الصَّبوح: شراب الصباح. (٣) آجن: فاسد.

اعترضان: أحدهما قوله: يا جارية اسقيه، فإن هشام لم يكن يشرب الخمر، اللهم إلا أن كان يشرب بحضرته. والثاني قوله: إن هشاماً بعث إلى يوسف بن عمر الثقفي، فإنه في هذا التاريخ، لم يكن متولياً على العراق، وإنما كان والياً عليه في التاريخ المذكور خالد بن عبد الله القسري حسبما ذكره أهل التاريخ.

الخواص: لحم الديوك حار يابس، باعتدال أجوده عند اعتدال أصواتها، وهو ينفع أصحاب القولنج، ويستحب كدها قبل ذبحها، وأكل لحمها يولد غذاء محموداً ويوافق من الأمزجة الباردة ومن الأسنان الشيوخ، ومن الزمان الشتاء. والديوك العتيقة تنحل منها قوة في الطبخ، ولحمها يطلق البطن، وينفع المفاصل، والرعشة والحمى العتيقة، ذات الأدوار، ولا سيما إذا عمل بملح كثير وماء كرنب، ولبان القرطم والإسفاناخ. وأما الفراخ فغذاؤها موافق لجميع الناس حين تبتدىء بالصياح. والدجاج قبل أن يبيض. وينبغي أن يواصل أكلها دائماً. وأما خواص أجزائه فدم الديك أو دماغه إذا طلي به على لسع الهوام أبرأه، والاكتحال بدمه ينفع البياض في العين، وعرف الديك إذا أحرق وسقي منه من يبول في فراشه أزال عنه ذلك وأبرأه. وإذا طليت جبهة الديك وعرفه بدهن لم يصح. وإذا نتف الريش الطويل الذي في ذنبه، عند ركوبه على الدجاجة وهو يسفدها، وجعل في مجرى الحمام، فمن اغتسل من ذلك الماء أنعظ. وفي طرف جناحيه عظمتان، إذا علقت اليمنى على من به الحمى الدائمة أبرأته، وإذا علقت اليسرى على من به حمى الربع أبرأته. وهاتان العظمتان يمنعان الإعياء والنعاس إذا علقتا على بهيمة. وخصيته إذا شويت وأكلتها المرأة التي لا تحبل، في حيضها قبل الطهر بثلاثة أيام، وجامعها زوجها حبلت. وإذا أخذ هذا العضو من يريد الجماع الكثير، وصره في قرطاس وعلقه على عضده الأيسر، أنعظ انعاظاً شديداً عجيباً، فإذا حله سكن ذلك عنه. وعرف الديك الأبيض أو الأحمر إذا بخر به المجنون نفعه نفعاً عجيباً. ومرارة تخلط بمرق ضأن وتؤكل على الريق تذهب النسيان، وتذكر ما نسي. ودمه يخلط بعسل ويعرض على النار، ويطلى به الذكر يقوي الذكر والباه. وخصية الديك تعلق على الديك المهارش لا يغلبه ديك.

التعبير: الديك تدل رؤيته على الخطيب والمؤذن، والقارىء المطرب، وربما دلت رؤيته على الرجل الذي يأمر بالمعروف ولا يأتيه، لأنه يذكر بالصلاة ولا يصلي، وربما دلت رؤيته على الرجل الكثير النكاح، أو السمار الكثير العياط، أو الزمار الذي يأوي إلى النساء، أو الحارس، وربما دلت رؤيته على الرجل الكريم المؤثر على نفسه بما يحتاج إليه، أو القانع بما يجد أو الناقص الحظ، والعائل أو الكثير الوقوع في الشدائد، وربما تدل رؤيته على رب الدار كما أن الدجاجة ربة البيت، ويعبر أيضاً بمملوك، لأنه ضمن المدرج لنوح عليه الصلاة والسلام لما أنفذه، يكشف خبر الماء إن كان نقص فغدر ولم يأت، فبقي الديك رهيناً كالمملوك من ذلك الزمان وامتنع من الطيران. وقيل: الديك في المنام رجل محارب من قبل المماليك. وقيل: الديك إذا كان أبيض أفرق فأنه مؤذن، فمن ذبحه في المنام، فإنه لا يجيب المؤذن، وقيل: رؤية الديك تدل على مصاحبة العلماء وأولي الحكمة. روي أن رجلاً أتى ابن سيرين، فقال له: رأيت كأن ديكاً دخل منزلي فلقط حبات شعير كانت فيه، فقال له ابن سيرين: إن سرق لك شيء فأعلمني. فما كان إلا أيام إذ أتى الرجل

إليه فقال: سرق لي بساط من سطح منزلي، فقال ابن سيرين: المؤذن أخذه، فكان كذلك. وقال آخر لابن سيرين: رأيت كأني أخنق ديكاً، فقال ابن سيرين؟ هذا رجل ينكح يده. وقال له آخر: رأيت كأن ديكاً يصيح بباب بيت إنسان وينشد:

قد كان من رب هـذا البيت ما كـانا ... هيـوا لصـاحبـه يـا قـوم أكفـانـا

فقال يموت صاحب الدار بعد أربعة وثلاثين يوماً، فكان كذلك. وهي عدد حروف الديك بالجمل، وجاءه آخر فقال: رأيت كأن ديكاً يقول: الله الله فقال له: بقي من أجلك ثلاثة أيام فكان كذلك.

**ديك الجن**: دويبة توجد في البساتين، إذا ألقيت في خمر عتيق حتى تموت، وتترك في محارة، وتسد رأسها وتدفن في وسط الدار، فإنه لا يرى فيها شيء من الأرضة أصلاً قاله القزويني. وديك الجن لقب لأبي محمد بن عبد السلام الحمصي الشاعر المشهور من شعراء الدولة العباسية، كان يتشيع تشيعاً حسناً وله مراث في الحسين رضي الله عنه، وكان ماجناً خليعاً عاكفاً على القصف واللهو متلافاً لما ورثه. مولده سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعاً وسبعين سنة، وتوفي في أيام المتوكل سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين. ولما اجتاز أبو نواس بحمص، قاصداً مصر لامتداح الخصيب، جاءه إلى بيته فاختفى منه، فقال لامته: قولي له: اخـرج فقد فتنت أهـل العراق بقولك[1]:

مـوردة مـن كـف ظـبـي كـأنمـا ... تـنـاولهـا مـن خـده فـأدارهـا

فلما سمع ذلك ديك الجن خرج إليه واجتمع به وأضافه. وفي تاريخ[2] ابن خلكان أن دعبلاً الخزاعي[3]، لما اجتاز بحمص سمع ديك الجن بوصوله فاختفى منه، خوفاً أن يظهر لدعبل، لأنه كان قاصراً بالنسبة إليه، فقصده في داره، فطرق الباب واستأذن عليه، فقالت الجارية: ليس هو هنا، فعرف قصده، فقال لها: قولي له: اخرج فأنت أشعـر الإنس والجن بقولك:

فقـام تكـاد الكـأس تحـرق كفـه ... من الشمس أو من وجنتيه استعارهـا
مـوردة مـن كـف ظـبـي كـأنمـا ... تـنـاولهـا مـن خـده فـأدارهـا

فلما بلغ ذلك ديك الجن خرج إليه وأضافه.

**الديلم**: ذكر الدراج وحكمه وخواصه وأمثاله وتعبيره كالدراج.

**ابن دأية**: الغراب الأبقع سمي بذلك لأنه إذا رأى دبرة في ظهر بعير، أو قرحة في عنقه نزل عليه ونقرها إلى الديات.

**فائدة**: الدّيات بتشديد الدال وبالياء المثناة تحت والتاء المثناة فوق في آخره هي عظام الرقبة،

---

(١) وفيات الأعيان: ٣/١٨٥.
(٢) وفيات الأعيان: ٣/١٨٥.
(٣) دِعبل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي، شاعر هجّاء، بغدادي. وفاته سنة ٢٤٦ هـ.

وفقار الظهر. قال ابن الأعرابي في نوادره: فقار البعير ثمان عشرة فقرة، وأكثرها إحدى وعشرون فقرة، وفقار الإنسان سبع عشرة فقرة. وقال جالينوس: خرز الظهر من لدن منبت النخاع من الدماغ، إلى عظم العجز أربع وعشرون خرزة، سبع منها في العنق، وسبع عشرة في الظهر، ثنتا عشرة في الصلب، وخمس في البطن، وهو العجز. قال: والاضلاع أربع وعشرون: اثنتا عشرة في كل جانب، وجملة العظام التي في جسم الإنسان مائتان وثمانية وأربعون عظماً، حاشا العظم الذي في القلب والعظام التي حشي بها خلل المفاصل، وتسمى السمسمية، وإنما سميت بالسمسمية لصغرها قال: وجميع الثقب التي في بدن الإنسان اثنتا عشرة: العينان والأذنان، والمنخران، والفم، والثديان، والفرجان، والسرة، حاشا الثقب الصغار التي تسمي المسام، وهي التي يخرج منها العرق فإنها لا تكاد تنحصر.

روي: أن عتبة بن أبي سفيان، ولى رجلاً من أهله على الطائف، فظلم رجلاً من الأزد، فأتى الأزدي عتبة، فمثل بين يديه، فقال: أصلح الله الأمير إنك قد أمرت من كان مظلوماً أن يأتيك، فقد أتاك مظلوم غريب الديار، ثم ذكر ظلامته بضجة وجفاء فقال له عتبة: أني أراك أعرابياً جافياً، والله ما أحسبك تدري كم فرض الله عليك من ركعة بين يوم وليلة! فقال الأزدي: أرأيتك إن أنبأتك بها أتجعل لي عليك مسألة؟ قال عتبة: نعم. قال[1]:

إن الصلاة أربع وأربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاة الفجر لا تُضيَّعُ.

فقال عتبة: صدقت ما مسألتك؟ قال: كم فقار ظهرك؟ قال عتبة: لا أدري. فقال: أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟ فقال عتبة: أخرجوه عني، وردوا عليه غنيمته. والإبل تعرف من الغراب ذلك فهي تخافه وتحذره وهو الذي تسميه العرب الأعوروتتشاءم به. وسيأتي الكلام عليه، في باب الغين المعجمة إن شاء الله تعالى.

الدئل: بضم الدال وكسر الهمزة دابة شبيهة بابن عرس، وكان من حقه أن يكتب في أول الباب، وإنما أخرناه لأنه يكتب في الرسم بالياء قال كعب[2] بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

جاؤوا بجيش لوقيس معرسه ما كان إلا كمعرس الدئل

أراد موضع نزولهم ليلاً كبيت ابن عرس. قال أحمد بن يحيى: ما نعلم إسماً جاء على فعل غير هذا. قال الأخفش: وإليه ينسب أبو الأسود الدئلي، قاضي البصرة، إلا أنهم فتحوا الهمزة، على مذهبهم في النسبة، استثقالاً لتوالي الكسرتين مع ياء النسب، كما نسبوا إلى نمرة نمري وإلى ملك ملكي. وإسم أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرووفي إسمه ونسبه اختلاف كثير، وكان من سادات التابعين وأعيانهم. يروي عن علي وأبي موسى وأبي ذر وعمران بن حصين

---

(١) العقد الفريد: ٤٥٨/٣ ولم ينسبه إلى أحد.

(٢) كعب بن مالك بن عمرو بن القَين الأنصاري، صحابي شاعر، أشتهر في الجاهلية، وكان من شعراء النبي ﷺ في الإسلام. مات سنة ٥٠ هـ.

رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وصحب علياً رضي الله عنه، وشهد معه وقعة صفين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأياً، وأسدهم عقلاً، ويعد من الشعراء والمحدثين والبخلاء والفرسان والبخر والعرج والمفاليج والنحويين. وهو أول من وضع النحو، فقيل: إن علياً رضي الله تعالى عنه، وضع له: الكلام كله ثلاثة أضرب: إسم وفعل وحرف، ثم دفعه إليه، وقال له: تمم على هذا وسمي النحو نحواً، لأن أبا الأسود قال: استأذنت على علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، في أن أضع نحو ما وضع، فسمي لذلك نحواً. وهو القائل لبنيه: لا تجاودوا الله عز وجل، فإنه أجود وأمجد، ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسعة على الناس فتهلكوا هزالاً. وهو صاحب نوادر، فمنها: أنه سمع رجلاً يقول: من يعشي الجائع؟ فدعاه وعشاه، فلما ذهب السائل ليخرج، قال له: هيهات إنما أطعمتك على أن لا تؤذي المسلمين الليلة. ثم وضع رجله في الأدهم حتى أصبح. والأدهم القيد. ومنها أنه قال له رجل: إنك ظرف علم، ووعاء حلم، غير أنك بخيل. فقال: لا خير في ظرف لا يمسك ما فيه. ومنها أنه اشترى حصاناً بتسعة دنانير، واجتاز به على رجل أعور، فقال: بكم اشتريته؟ فقال: قومه. فقال: قيمته أربعة دنانير ونصف. فقال: معذور أنت لأنك نظرته بعين واحدة فقومته بنصف قيمته، ولو نظرته بالعين الأخرى، لو كانت صحيحة، لقومته ببقية القيمة. ومضى إلى داره ونام، فلما استيقظ سمعه يقضم، فقال: ما هذا؟ قالوا: الفرس يأكل شعيره، فقال: لا أترك في مالي من أنام وهو يمحقه ويتلفه، ولا أترك إلا ما يزيده وينميه فباعه واشترى بثمنه أرضاً للزراعة. ومنها أن جيرانه بالبصرة، كانوا يخالفونه في الاعتقاد ويؤذونه ويرجمونه في الليل بالحجارة، ويقولون له: إنما يرجمك الله تعالى فيقول لهم: كذبتم لو رجمني الله لأصابني وأنتم ترجموني فلا يصيبني. ثم باع الدار. فقيل له: بعت دارك؟ فقال: بل بعت جاري فأرسلها مثلا. وهذا عكس ما جرى لأبي الجهم العدوي، فإنه باع داره بمائة ألف درهم، ثم قال: بكم تشترون جوار سعيد[1] بن العاص؟ فقالوا: وهل يشترى جوار قط؟ قال: ردوا علي داري، وخذوا دراهمكم، والله لا أدع جوار رجل إن فقدت سأل عني، وإن رآني رحّب بي، وإن غبت حفظني، وإن شهدت قربني، وإن سألته أعطاني، وإن لم أسأله ابتدأني، وإن نابتني جائحة فرج عني. فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه بمائة ألف درهم. ومنها أنه دخل على معاوية رضي الله تعالى عنه يوماً فبينما هو يخاطبه إذا ضرط أبو الأسود، فضحك معاوية فقال له: يا أمير المؤمنين لا تخبر بها أحداً، فلما خرج من عنده، دخل عمرو بن العاص، فأخبره معاوية بما كان من أبي الأسود، فلما رآه عمرو قال له: يا أبا الأسود ضرطت بين يدي أمير المؤمنين؟ فلما دخل على معاوية قال له: ألم أسألك أن لا تخبر بها أحداً؟ فقال له معاوية: ما علم بها إلا عمرو، فقال: اياه كنت أحذر، ولكن فأنت لا تصلح للخلافة! قال: كيف؟ قال: إذا لم تكن لك أمانة على ضرطة فكيف تؤمن على أموال المسلمين ودمائهم؟ فضحك معاوية ووصله. ومنها أنه قيل له: هل شهد معاوية بدراً؟ قال: نعم. لكن من ذلك الجانب. وكان أبو الأسود يعلم أولاد زياد ابن أبيه، والي العراقين فخاصمته امرأته إلى زياد في ولدها، وقالت: إنه يريد أن يغلبني على ولدي، وقد كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء،

(١) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، الأموي القرشي، صحابي توفي سنة ٥٩ هـ.

وحجري له وطاء. فقال: أبو الأسود: بهذا تريدين أن تغلبيني على ولدي وقد حملته قبل أن تحمليه، ووضعته قبل أن تضعيه. فقالت: ولا سواء إنك حملته خفاً وحملته ثقلاً، ووضعته شهوة ووضعته كرهاً. فقال له زياد: إني أرى امرأة عاقلة فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه. توفي أبو الأسود بالبصرة في طاعون الجارف سنة تسع وستين، وعمره خمس وثمانون سنة، وهذا الطاعون كان بالبصرة مات فيه سراة الناس. قيل إنه مات فيه لانس بن مالك رضي الله تعالى عنه ثلاثون ولداً والله تعالى أعلم.

## باب الذال المعجمة

ذؤالة: إسم للذئب كأسامة للأسد، وهو معرفة سمي بذلك لأنه يذأل في مشيته من الذألان، وهو المشي الخفيف، وفي الحديث أن النبي ﷺ مر بجارية سوداء ترقص صبياً لها وتقول:

ذؤال يا ابن القرم يا ذؤال.

فقال ﷺ: «لا تقولي ذؤالة فإنه شر السباع». وذؤال ترخيم ذؤالة والقرم السيد.

الذباب: معروف واحدته ذبابة ولا تقل ذبانة. جمعه في القلة أذبة وفي الكثرة ذبان بكسر الذال وتشديد الباء الموحدة وبالنون في آخره كغراب وأغربة وغربان وقراد وأقردة وقردان قال النابغة:

يا واهب الناس بعيراً صلبه ضرّابة بالمشفر الأذبّة

ولا يقال ذبابات إلا في الديون قال الراجز:

أو يقضى الله ذبابات الديون.

وأرض مذبة بفتح الميم والذال أي ذات ذباب. وقال الفراء: أرض مذبوبة، كما يقال أرض موحوشة، أي ذات وحوش. وسمي ذباباً لكثرة حركته واضطرابه، وقيل لأنه كلم ذب آب، وكنيته أبو حفص وأبو حكيم وأبو الحدرس والذباب أجهل الخلق لأنه يلقي نفسه في الهلكة. قال الجوهري: يقال ليس شيء من الطيور يلغ إلا الذباب، وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب العين المهملة في العنكبوت قول افلاطون: إن الذباب أحرص الأشياء ولم يخلق للذباب أجفان لصغر أحداقها، ومن شأن الأجفان أن تصقل مرآة الحدقة من الغبار، فجعل الله لها عوضاً من الأجفان يدين تصقل بهما مرآة حدقتها، فلهذا ترى الذباب أبداً يمسح بيديه عينيه، وهو أصناف كثيرة متولدة من العفونة. قال[1] الجاحظ: الذباب عند العرب يقع على الزنابير والنحل والبعوض بأنواعه، كالبق والبراغيث والقمل والصؤاب والناموس والفراش والنمل. والذباب المعروف عند الاطلاق العرفي وهو أصناف النعر والقمع والخازباز والشعراء وذباب الكلاب وذباب الرياض وذباب الكلا والذباب الذي يخالط الناس يخلق من الفساد، وقد يخلق من الأجساد، ويقال: إن

(١) الحيوان للجاحظ: ٣١٦/٣، ٣١٤، ٣٥١، ٣٤٢، ٣٢٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٥٠٢، ٣١٧، ٣٩٠.

الباقلا إذا عتق في موضع استحال كله ذباباً، وطار من الكوى التي في ذلك الموضع ولا يبقى فيه غير القشر انتهى. روى الحاكم عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه أنه قال، وهو على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور في جوها، فالله في اخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تعرض عليهم». ومعنى تمور تذهب وتجيء، والجوّ ما بين السماء والأرض. وفي مسند أبي يعلى الموصلي، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ، قال: «عمر الذباب أربعون ليلة، والذباب كله في النار، إلا النحل»[1]. وهو في الكامل في ترجمة عمرو بن شقيق عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الذباب كله في النار إلا النحل. قيل كونه في النار ليس بعذاب له، وإنما ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم»[2]. وروى النسائي والحاكم عن أبي المليح عن أبيه أسامة بن عمير بن عامر الأقيش الهذلي البصري قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فعثر بعيرنا فقلت: تعس الشيطان. فقال ﷺ: «لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي، ولكن قل بسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة»[3]. ورواه أبو داود عن أبي المليح عن رجل قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فعثرت دابته فقلت: الخ ورواه ابن السني كما رواه النسائي والحاكم، وصرح فيه بأن أبا المليح رواه عن أبيه أسامة بن مالك. وكلتا الروايتين صحيحة فإن الرجل المجهول في روآية أبي داود صحابي والصحابة كلهم عدول، لا تضر الجهالة بأعيانهم. وقال الإمام العلامة الذهبي: الرجل المجهول المبهم أبو عزة. ورواه خالد الحذاء عن أبي تميمة الهجيمي عن أبيه خالد قال: كنت رديفاً للنبي ﷺ، فعثرت الناقة، فقال إلى آخره. كذا هو في أسد الغابة، في ذكر المنسوبين إلى القبائل. وأما قوله: تعس، فقيل: معناه هلك، وقيل: سقط وقيل: عثر، وقيل لزمه الشر. وتعس بفتح العين وكسرها والفتح أشهر، ولم يذكر الجوهري غير الفتح. وروى الطبراني وابن أبي الدنيا، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه ما لم يقدر عليه، فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب، في اليوم الصائف ولو بدوا لكم لرأيتموهم على كل سهل وجبل كل باسط يديه فاغر فاه، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين». والعرب تجعل الذباب والفراش والنحل والدبر ونحوها كلها واحداً كما تقدم. وجالينوس يقول: إنه ألوان فللإبل ذباب، وللبقر ذباب. وأصله دود صغار يخرج من أبدانهن فيصير ذباباً وزنابير. وذباب الناس يتولد من الزبل ويكثر الذباب إذا هاجت ريح الجنوب ويخلق في تلك الساعة، وإذا هبت ريح الشمال خف وتلاشى. وهو من ذوات الخراطيم كالبعوض. انتهى. ومن عجيب أمره أنه يلقي رجيعه على الأبيض أسود، وعلى الأسود أبيض، ولا يقع على شجرة اليقطين. ولذلك أنبتها الله على نبيه يونس عليه الصلاة والسلام، لأنه حين اخرج من بطن الحوت لو وقعت عليه ذبابة لآلمته فمنع الله عنه الذباب بذلك، فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه. ولا يظهر كثيراً إلا في الأماكن العفنة، ومبدأ خلقه

---

(١) الكامل لابن عدي: ٥/١٧٠١.

(٢) رواه أبو داود في الأدب: ٧٧. وابن حنبل: ٥/٥٩.

(٣) في الكامل لابن عدي «وكل به سبعون ملكاً...» من حديث أبي هريرة: ٢/٦٩٠.

منها ثم من السفاد، وربما بقي الذكر على الأنثى عامة اليوم. وهو من الحيوانات الشمسية، لأنه يخفي شتاء ويظهر صيفاً، وبقية أنواعه كالناموس والفراش والنعر والقمع وغيرها، ستذكر في أبوابها إن شاء الله تعالى وما أحسن قول أبي العلاء المعري، ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة:

يا طالب الرزقِ الهنيِّ بقوّة هيهات أنت بباطل مشغوفُ
رعت الأسودُ بقوة جيف الفلا ورعى الذبابُ الشهدَ وهو ضعيف

ولمحمد الأندلسي في المعنى:

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معكْ
أنت لا تدركه متبعا وإذا وليت عنه تبعك

وفي المعنى[1] أيضاً لأبي الخير الكاتب الواسطي:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكونُ
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنينُ

وقد أجاد الأمير سيف الدين علي بن فليح الظاهري في التحذير من احتقار العدوّ بقوله:

لا تحقرن عدوًّا لأن جانبه وإن تراه ضعيف البطش والجلَدِ
فللذبابة في الجرح المديد يدَ تنالُ ما قصّرتْ عنه يدَ الأسد

وفي تاريخ[2] ابن خلكان، في ترجمة الإمام يوسف بن زهرة الهمذاني الزاهد، صاحب المقامات والكرامات والأحوال الظاهرات، أنه جلس يوماً للوعظ فاجتمع إليه العالم، فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه، وسأله عن مسألة، فقال له الإمام يوسف: اجلس فإني أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام! فقدم رسول ملك الروم إلى الخليفة فخرج ابن السقاء مع الرسول إلى القسطنطينية فتنصر ومات نصرانياً. وكان ابن السقاء قارئاً للقرآن، محموداً في تلاوته. وحكى من رآه بالقسطنطينية قال: رأيته مريضاً ملقى على دكة، وبيده مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه، فقلت له: هل القرآن باق على حفظك؟ فقال: ما أذكر منه إلا آية واحدة وهي ﴿**وربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**﴾[3] والباقي أنسته. اهـ نعوذ بالله من سخطه وخذلانه، ونسأله حسن الخاتمة. فانظر يا أخي كيف هلك هذا الرجل، وخذل بالانتقاد، وترك الاعتقاد. نسأل الله السلامة، فعليك يا أخي بالاعتقاد، وترك الانتقاد على المشايخ العارفين، والعلماء العاملين، والمؤمنين الصالحين، فإن حرابهم مسمومة. فقل من تعرض لهم وسلم، فسلم تسلم ولا تنتقد تندم، واقتد بإمام العارفين، ورأس الصديقين، وعلامة العلماء العاملين في وقته الشيخ محي الدين عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى، لما عزم على زيارة قطب

---

(١) وفيات الأعيان: ١٧٢/٦.

(٢) وفيات الأعيان: ٧٨/٧. وذكر ابن خلكان في ترجمته أن إسمه يوسف بن أيوب بن وَهَرَة. ووفاته سنة ٥٣٥ هـ.

(٣) سورة الحجر: الآية٢.

الغوث بمكة، وقال رفيقاه ما قالا فقال: أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك، لا على قدم الإنكار والامتحان، فآل أمره إلى أن قال: قدمي هذا على رقبة كل ولي، وآل أمر أحد رفيقيه إلى الكفر، وترك الإيمان بالانتقاد، وترك الاعتقاد. كما اتفق في هذه الحكاية. وآل أمره الآخر إلى اشتغاله بالدنيا، وتركه خدمة المولى لقلة التوفيق. فنسأل الله التوفيق والهداية والأمانة على الإيمان به وبرسوله، والاعتقاد الحسن في أوليائه وأصفيائه، بمحمد وآله. حدث يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالساً، فألح على وجهه ذباب حتى أضجره، فقال: انظروا من بالباب، فقالوا: مقاتل بن سليمان فقال: علي به، فلما دخل عليه، قال له: هل تعلم لماذا خلق الله الذباب؟ قال: نعم. ليذل به الجبابرة، فسكت المنصور. ومقاتل بن سليمان مشهور بتفسير كتاب الله العزيز، وأخذ الحديث عن جماعة، قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سلمى في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الفقه. قعد مقاتل بن سليمان يوماً فقال: سلوني عما دون العرش. فقال له رجل: آدم عليه الصلاة والسلام لما حج أول حجة حجها من حلق رأسه، فقال ليس هذا من علمكم ولكني ابتليت لما اعجبتني نفسي. وقيل إنه قيل له الذرة أو النملة أمعاؤها في مقدمها أو مؤخرها؟ فلم يدر ما يقول فكانت عقوبة عوقب بها وأنشد أبو عمرو بن العلاء في هذا المعنى[1]:

من تحلّى بغير ما هو فيه      فضحته شواهدُ الامتحانِ

والعلماء مختلفون فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من كذبه، وترك حديثه. قيل: إنه كان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه. وقيل: إنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم، وكان مشبهاً. قال ابن خلكان وغيره: وهذا لا أعتقد صحته. وتوفي مقاتل بن سليمان في سنة خمس وخمسين ومائة وفي مناقب الإمام الشافعي أن المأمون سأله فقال: لاي شيء خلق الله الذباب؟ فقال: مذلة للملوك. فضحك المأمون وقال: رأيته وقد وقع على جسدي فقال: نعم. ولقد سألتني عنه وماعندي جواب. فلما رأيته قد سقط منك بموضع لا يناله منك أحد فتح الله لي فيه بالجواب. فقال لله درك. وفي شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسنداً أن النبي ﷺ كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ذباب أصلاً.

الحكم: كل أنواعه يحرم أكلها، وفيه وجه أنه يحل حكاه الرافعي. وقال الماوردي: ومن الفقهاء من أباح الذباب المتولد من مأكول كالفول ونحوه، ولعل قائل هذا القول هو الذي يقول بإباحة المتولد من الفواكه.

فرع: قال في الأحياء في أول كتاب الحلال والحرام: لو وقعت ذبابة أو نملة في قدر طبيخ وتهرت أجزاؤها لم يحرم أكل ذلك الطبيخ، لأن تحريم أكل الذباب والنمل ونحوهما إنما كان للاستقذار ولا يعد هذا مستقذراً. قال: ولو وقع فيه جزء من لحم آدمي ميت، لم يحل أكل ذلك الطبيخ، حتى لو كان لحم الآدمي وزن دانق، حرم الطبيخ لا لنجاسته فإن الآدمي الميت

---

(١) العقد الفريد: ٢/٢١٨. وأبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان، المازني البصري، من القراء السبعة، عالم بالعربية والشعر والنحو مات بالكوفة سنة ١٥٦ هـ.

طاهر على الصحيح، خلافاً لأبي حنيفة، ولكن لأن أكل لحم الآدمي حرام لحرمته لا لاستقذاره، بخلاف الذباب. هذا كلام الغزالي رحمه الله تعالى. قال في شرح المهذب المختار أنه لا يحرم أكل الطبيخ في مسألة لحم الآدمي لأنه صار مستهلكاً، فهو كالبول وغيره إذا وقع في قلتين من الماء فإنه يجوز استعمال جميعه لأن البول صار باستهلاكه كالعدم. وروى البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان أن النبي ﷺ قال[1]: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليمقله، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء وإنه يتقى بجناحه الذي فيه الداء». وفي رواية النسائي وابن ماجه «أن أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء فإذا وقع في الطعام فامقلوه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء». قال الخطابي: وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له، وقال: كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي ذبابة؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء، وما أداها إلى ذلك؟ قال: وهذا سؤال جاهل، أو متجاهل فإن الذي يجد نفسه، ونفس سائر الحيوانات، قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وهي أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ثم يرى أن الله قد ألف بينها وقهرها على الإجتماع وجعل منها قوى الحيوان التي منها بقاؤه وصلاحه لجدير أن لا ينكر إجتماع الداء والشفاء في جزأين من حيوان واحد. وإن الذي ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وتعسل فيه، وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحاً وتؤخرجناحاً لما أراده من الابتلاء الذي هو مدرجة التعبد والامتحان، الذي هو مضمار التكليف، وله في كل شيء حكمة وعنوان، وما يذكر إلا أولو الألباب. انتهى. وقد تأملت الذباب فوجدته يتقي بجناحه الأيسر وهو مناسب للداء، كما أن الأيمن مناسب للدواء. وقد استفيد من الحديث أنه إذا وقع في المائع لا ينجسه لأنه ليس له نفس سائلة، هذا هو المشهور وفي قول ينجسه، كسائر الميتات النجسة، وفي ثالث مخرج أن ما يعم وقوعه كالذباب والبعوض لا ينجس، وما لا يعم كالخنافس والعقارب ينجس. وهو متجه لا محيد عنه ومحمل الخلاف في ميتة أجنبية أما الناشىء منه كدود الفواكه والجبن والخل، فلا ينجس ما مات فيه بلا خلاف. كذا قاله الشيخان وابن الرفعة وحكى الدارمي في المسألة ثلاثة أوجه، ثالثها الفرق بين الكثير والقليل ومحل ذلك ما لم يتغير به لكثرته فإن كثر وتغير به فالأصح أنه ينجسه، ومحله أيضاً إذا وقع فيه بنفسه فإذا طرح فيه ضر.

فرع: لو وقع الزنبور أو الفراش أو النحل وأشباه ذلك في الطعام، هل يؤمر بغمسه لعموم قوله ﷺ «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم». الحديث[1]؟ وهذه الأنواع كلها يقع عليها إسم الذباب في اللغة كما تقدم نقله عن الجاحظ وغيره. وقد قال علي رضي الله تعالى عنه في العسل إنه مذقة ذبابة. وروي الذباب كله في النار إلا النحل كما سبق. فسمي الكل ذباباً وإذا كان كذلك فالظاهر وجوب حمل الأمر بالغمس على الجميع إلا النحل فإن الغمس قد يؤدي إلى قتله وهو حرام.

(١) رواه البخاري: بدء الخلق: ١٧. وأبو داود أطعمة: ٤٨. والنسائي فرع: ١١. وابن ماجه طب: ٣١. والدارمي أطعمة: ١٢. وابن حنبل: ٢/٢٢٩.

**الأمثال**: قال[1] الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**﴾ الآية. معنى ضرب أثبت وألزم، نحو ضربت عليه الذلة، وضربت عليهم الجزية، ويحتمل أن يكون من الضريب الذي هو المثل، وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان خدعهم، حيث وصفوا بالآلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها، والاحاطة بالمعلومات عن آخرها، صوراً وتماثيل وأدل من ذلك على عجزهم، وانتفاء قدرتهم، أن هذا الخلق الأذل الأقل، لو اختطف منهم شيئاً، فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه، لم يقدروا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الأصنام كانت ثلثمائة وستين صنماً حول الكعبة، وكانوا يضمخونها بأنواع الطيب ويطلون رؤوسها بالعسل، وكان الذباب يذهب بذلك، وكانوا يتألمون من هذه الجهة. فجعلت مثلاً. وقالوا: «أجرأ من ذبابة وأهون من ذبابة[2]». «وواطيش وأخطأ من الذباب»[3] لأنه يلقي نفسه في الشيء الحار، والشيء الذي يلتصق به ولا يمكنه التخلص وقالوا[4]: «أوغل من ذباب: قال الشاعر:

أوغل في التطفيل من ذباب ... على طعام وعلى شرابْ
لو أبصر الرغفان في السحاب ... لطار في الجو بلا حجاب

قال أبو عبيد كان رجل من أهل الكوفة يقال له طفيل بن دلال من بني عبد الله بن غطفان، وكان يأتي الولائم من غير أن يدعي إليها، وكان يقال له طفيل الأعراس، وكان أول رجل لابس هذا العمل في الأمصار فصار مثلاً ينسب إليه كل من يقتدي به. وقالوا[5]: «أزهى من ذبابة». وقالوا: «أصابه ذباب لادغ» يضرب لمن نزل به شر عظيم يرق له من سمعه، وقالوا ما يساوي متك ذباب يضرب للشيء الحقير، والمتك العرق الذي في باطن الذكر، وهو كالخيط في باطنه على خلقة العجان. وفي كتاب النصائح لابن ظفر قال: رأيت في أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال وادخارها وقال: إن الرجال، وإن تفرقوا عنك اليوم، متى احتجتهم عرضت عليهم الأموال فتهافتوا عليك، فقال: هل لهذا من شاهد؟ قال: نعم. هل بحضرتنا الساعة ذباب؟ قال: لا. فأمر الوزير بجفنة فيها عسل، فأحضرت فتساقط عليهم الذباب، فاستشار الملك بعض خواص أصحابه، فنهاه عن ذلك، وقال: لا تغير قلوب الرجال، فليس كل وقت أردتهم يحضرون، فقال: فهل لذلك من دليل؟ قال: نعم. إذا أمسينا أخبرتك فلما أظلم الليل. قال للملك: أحضر جفنة العسل، فأحضرت فلم تحضر ذبابة، فرجع الملك عن رأيه الأول.

**الخواص**: قال الجاحظ: إذا ضرب اللبن بالكندس ونضح به البيت لم يدخله ذباب، وإذا أخذت ذبابة وفصلت رأسها ودلكت بها قرصة الزنبور سكنت، وإذا أحرق الذباب وسحق وخلط بعسل وطلي به داء الثعلب فإنه ينبت فيه الشعر، وإذا ماتت الذبابة، فنثر عليها خبث الحديد

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٣.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/٢٦٤، ٢/٢٨٩.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٢١، ١/٣٥٧.
(٤) مجمع الأمثال: ٢/٣٨٠.
(٥) المستقصى: ١/١٥١.

عاشت من وقتها، وإذا بخر البيت بورق القرع أو كندس أو سليخة ذهب منه الذباب، وإذا طبخ ورق القرع ورش به البيت أو الحيطان لم يقع فيه ذباب انتهى.

صفة طلسم لمنع الذباب: يؤخذ كندس جديد وزرنيخ أصفر أجزاء متساوية، يسحقان ويعجنان بماء بصل الفار، ويدهن ويعمل منه تمثال ويوضع على المائدة، فلا يقربها ذباب ما دام عليها وإذا وضع على باب البيت باقة من الحشيشة التي يقال لها سادريون، فلا يدخل البيت ذباب ما دامت الباقة معلقة على الباب، وإذا أخذت الذباب الكبير فقطعت رؤوسهن، وحككت بجسدهن موضع الشعرة التي تنبت في الجفن، حكا شديداً فإنه يذهبها أصلاً، وهو عجيب مجرب، وإذا أخذت ذبابة وجعلت في خرقة كتان وربطت بخيط ووسع الربط عليها وعلقت على من يشتكي عينه سكن ألمه، وتعلق في عنقه أو عضده. وإن شدخ الذباب وضمد به العين الوارمة أبرأها. وقال محمد بن زكريا القزويني: رأيت في كتب الطبيعيات الرومية إذا علقت ذبابة حية على من يشتكي ضرسه برىء. ومن عضه كلب فليستر وجهه عن الذباب، فإن ذلك مما يؤذيه والله أعلم.

التعبير: الذباب في المنام خصم ألد وجيش ضعيف، وربما دل اجتماعه على الرزق الطيب، وربما دل على الداء والدواء للحديث المتقدم. وربما دلت رؤيته على الأعمال السيئة والوقوع فيما يوجب التقريع لقوله تعالى: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**﴾ إلى قوله: ﴿**ضعف الطالب والمطلوب**﴾[1].

الذر: النمل الأحمر الصغير واحدته ذرة. قال تعالى: ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة**﴾[2] أي لا يبخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة، أي وزن ذرة. سئل ثعلب عنها فقال: إن مائة نملة وزن حبة. والذرة واحدة منها وقيل: إن الذرة ليس لها وزن. ويحكى أن رجلاً وضع خبزاً حتى علاه الذر وستره ثم وزنه فلم يزد شيئاً. وقيل: الدر اجزاء الهباء في الكوة، وكل جزء منه ذرة ولا يكون لها وزن. وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أنس رضي الله تعالى عنه، في شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة: «ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». صحفها[3] شعبة بن بسطام، وقال: مثقال ذرة بضم الذال وتخفيف الراء وقال العبدري: إنما قال درة بالدال المهملة وتشديد الراء واحدة الدر وهو تصحيف التصحيف. قال ابن بطة من الحنابلة في تفسير الآية: مثقال مفعال من الثقل، والذرة النملة الصغيرة الحمراء، وهي أصغر ما يكون إذا مر عليها حول لأنها تصغر وتحرى كما تفعل الأفعى. تقول العرب أفعى حارية وهي أشدها سماً قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطَّرفِ لو دبَّ محولَ ... من الذَّر فوق الأتب منها الأثَّرا[4]

المحول الذي أتى عليه حول والأتب ثوب تلقيه المرأة في عنقها بلا كم ولا جيب وقال حسان:

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٣.
(٢) سورة النساء: الآية ٤٠.
(٣) رواه البخاري: توريد ٣٦ـ ٢٤. ومسلم في الإيمان: ١٤٧ ـ ١٤٩. والترمذي في البرّ: ٦١. ورواه النسائي في الإيمان: ١٨. وابن حنبل: ١/ ٢٩٦.
(٤) ديوان امرىء القيس: ٩٦.

لـو يـدب الحـولي من ولـد الـذ ر عـليهـا لأنـدبـتـهـا الـكـلوم[1]

أي لو دبت الحولية من الذر عليها لأثرت بها الكلوم. وقال السهيلي وغيره: أهلك الله تعالى جرهم بالذر والرف، حتى كان آخرهم موتاً امرأة رؤيت تطوف بالبيت بعدهم بزمان، فتعجبوا من طولها وعظم خلقها، حتى قال لها قائل: أجنية أنت أم إنسية؟ فقالت: بل انسيه من جرهم، ثم اكترت من رجلين من جهينة بعيراً إلى أرض خيبر، فلما أنزلاها استخبراها عن الماء فأخبرتهما، فولياً فأتاها الذر فتعلق بها إلى أن انتهى إلى خياشيمها، ثم نزل إلى حلقها فهلكت. وعبر عن الذرة يزيد بن هارون بأنها دودة حمراء وهي عبارة فاسدة. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: الذرة رأس النملة. وقال بعض العلماء لأن تفضل حسناتي سيآتي بمثقال ذرة أحب إلي من الدنيا وما فيها قال[2] الله تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ انتهى. وهذه الآية كان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفاذة، أي المنفردة في معناها. وروى البيهقي في الشعب، من حديث صالح المري عن الحسن عن أنس أن سائلاً أتى النبي ﷺ فاعطاه تمرة فقال السائل: سبحان الله نبي من أنبياء الله يتصدق بتمرة: فقال النبي ﷺ: «أو ما عملت أن فيها مثاقيل ذر كثير». «ثم أتاه آخر فسأله فأعطاه تمرة فقال: تمرة من نبي من الأنبياء لا تفارقني هذه التمرة ما بقيت، ولا أزال أرجو بركتها أبداً فأمر له بمعروف. وفي رواية قال للجارية: إذهبي إلى أم سلمة فمريها فلتعطه الأربعين درهماً التي عندها قال أنس: فما لبث الرجل أن استغنى». وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد رجاله ثقات، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة»[3]. وأعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه سائلاً تمرتين، فقبض السائل يده فقال له سعد: يا هذا إن الله قد قبل منا مثاقيل الذرة. وفعلت عائشة رضي الله تعالى عنها هذا في حبة عنب. وسمع هذه الآية صعصعة بن عقال التميمي عند النبي ﷺ فقال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع آية غيرها. وسمعها رجل عند الحسن البصري فقال: انتهت الموعظة. فقال الحسن: فقه الرجل. وروى الحاكم في المستدرك عن أبي أسماء الرحبي، أن هذه السورة نزلت وأبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، يأكل مع النبي ﷺ، فترك أبو بكر الأكل وبكى، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك». فقال: يا رسول الله أو نسأل عن مثاقيل الذر؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير إلى الآخرة». قال: والذرة نملة صغيرة حمراء لا يرجح بها ميزان. وروى الإمام أحمد في الزهد عن أبي هريرة رضي الله تعالى أن النبي ﷺ قال: «يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال على صور الذر يطؤهم الناس، من هوانهم على الله، حتى يقضي بين الناس، قال: ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار. قيل: يا رسول الله وما نار الأنيار؟ قال عصارة أهل النار». ورواه[4] صاحب الترغيب والترهيب. وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ[5] قال: «يحشر المتكبرون يوم

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ٤٣٣. (٢) سورة الزلزلة: الآية ٧ ـ ٨. (٣) رواه أحمد: ٣٦٢/٢.

(٤) رواه مسلم في الأشربة: ٧٢. والترمذي في القيامة: ٤٧. والنسائي في الأشربة: ٤٩. وابن حنبل: ٨٢/٢.

(٥) رواه الترمذي قيامة: ٤٧. وأحمد: ١٧٩/٢.

القيامة أمثال الذر في صور الناس، يغشاهم الصغار من كل مكان، ويساقون إلى سجن من النار يقال له بولس، تعلوهم نار الأنيار، ويسقون من طينة الخبال، وهي عصارة أهل النار». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب. وفي شعب الإيمان للبيهقي عن الأصمعي قال: مررت بأعرابية في البادية في كوخ فقلت لها يا اعرابية من يؤنسك ههنا؟ قالت: يؤنسني مؤنس الموتى في قبورهم. قلت: ومن أين تأكلين؟ قالت: يطعمني مطعم الذرة وهي أصغر مني. وفي المدهش للإمام العلامة أبي الفرج بن الجوزي أن رجلاً من العجم طلب الأدب حيناً فبينما هو في بعض الطريق سائر إذ مرّ بصخرة ملساء فتأملها فإذا ذر يدب عليها، وقد أثر عليها من كثرة دبيبه ففكر وقال: مع صلابة هذا الحجر، وخفة هذا الذر قد أثر فيه هذا الأثر، فأنا أحرى علي أن أدوم على الطلب فلعلي أظفر ببغيتي. فراجع الإثبات على الأدب، فلم يلبث أن خرج مبرزاً. وهكذا يجب أن يكون طالب فائدة دينية أو دنيوية، لا سيما طالب التوحيد والمعرفة، أن يكون كراراً غير فرار، فإما الظفر والغنيمة وإما القتل والشهادة. وسئل أبو زيد البسطامي رحمه الله تعالى، عن العارف؟ فقال: هو أن يكون وحداني التدبير، فرداني المعنى، صمداني الرؤية، رباني القوة، وحداني العيش، نوراني العلم خلداني العجائب، سماوي الحديث، وحشي الطلب ملكوتي السر، عنده مفاتح الغيب، وخزائن الحكم وجواهر القدس، وسرادقات الأبرار، فإذا جاوز الحد وارتفع إلى أعلى فهو غير مدرك وحاله غير موصوف. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال(1): «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». فقال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فقال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس». ورواه(2) الترمذي، وقال: حسن غريب. وقيل: المراد بالكبر ههنا الكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلاً إذا مات عليه. وقيل لا يكون في قلبه كبر حين دخول الجنة. كما قال(3) الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ الآية وهذان التأويلان فيهما بعد، فإن الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف، وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم، والظاهر فيه ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين، أنه لا يدخلها دون مجازاة، أو لا يدخلها مع أول الداخلين، وأما قوله، «فقال رجل». فذلك الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوي، قاله القاضي عياض، وأشار إليه ابن عبد البر. وحكى أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال في إسمه أقوالاً: أحدها أنه أبو ريحانة، وإسمه شمعون، وقيل: ربيعة بن عامر، وقيل: سواد بالتخفيف بن عمرو، وقيل: معاذ بن جبل. ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب الخمول والتواضع. وقيل: عبد الله بن عمرو بن العاص. ومعنى قوله إن الله جميل: أي إن كل أمره سبحانه حسن وجميل، فله الأسماء الحسنى، وصفات الجمال والكمال، وقيل جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع. وقال أبو القاسم القشيري: معناه جليل: وقيل معناه ذو النور والبهجة أي مالكها وقيل: معناه جميل الأفعال بكم، والنظر إليكم يكلفكم اليسير ويعين عليه، ويثيب عليه

---

(1) رواه البخاري في الإيمان: ٣٣. والترمذي جهنم: ٩، ١٠. وابن ماجه مقدمة: ٩. وابن حنبل: ١/٤١٦.

(2) رواه مسلم إيمان: ١٤٧. وابن ماجه دعاء: ١٠. وابن حنبل: ٤/١٣٣.

(3) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

الجزيل سبحانه ما أكرمه! قال شيخ الإسلام يحيى النووي رحمه الله تعالى: هذا الإسم ورد في الحديث الصحيح وورد في الأسماء الحسنى. وفي إسناده مقال والمختار جواز اطلاقه على الله تعالى، ومن العلماء ومن معه. وقال إمام الحرمين أبو المعالي: ما ورد به الشرع جوزنا إطلاقه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتجويز ولا منع، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع، ولو قضينا بتحريم أو تحليل لكنا مثبتين حكماً بغير الشرع، ثم لا يشترط في جواز الاطلاق ورود ما نقطع به في الشرع، ولكن ما يقتضي العمل، وإن لم يوجب العمل فإنه كاف إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل، ولا يجوز التمسك بها في تسمية الله تعالى وصفته. قال النووي: وقد اختلف أهل السنة في تسميته تعالى ووصفه، من أوصاف الكمال والجلال والمدح، بما لم يرد به الشرع ولا منعه، فأجازه طائفة ومنعه آخرون، إلا أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب، أو سنة متواترة، أو إجماع على اطلاقه، فإن ورد به خبر واحد فقد اختلفوا فيه، فأجازه طائفة وقالوا الدعاء به والثناء من باب العمل. وذلك جائر بخبر الواحد، ومنعه آخرون لكونه راجعاً إلى اعتقاده ما يجوز أن يستحيل على الله تعالى، وطريق هذا القطع، قال القاضي: والصواب جوازه لاشتماله على العمل، ولقوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[1] وهو كما قال. وأما قوله وغمط الناس كذا في نسخ صحيح مسلم، وكذلك ذكره أبو داود في مصنفه، وذكره الترمذي وغيره غمص بالصاد المهملة وهما بمعنى واحد وهو احتقارهم.

وأما رؤيته في المنام، فإنها تعبر بالنسل لقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾[2] والذر أيضاً يعبر بالضعفاء من الناس. وقيل: الذر جند لأنه من النمل والله تعالى أعلم.

الذراح: قال الجوهري: الذراح والذروح بالضم دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهي من السموم والجمع الذراريح. وقال سيبويه: واحد الذراريح ذرحرح، وليس عنده في الكلام فعول بواحدة. وكان يقول: سبوح قدوس بفتح أوائلها. والذراح أنواع فمنه ما يتولد من الحنطة ومنه دود الصنوبر ومنه ما في أجنحته خطوط صفر ولونه مختلف وأجسامها كبار طوال ممتلئة قريبة الشبه من بنات وردان.

الحكم: يحرم أكلها لاستخبائها.

الخواص: الذراريح تنفع الجرب، والعلة التي ينقشر معها الجلد. ويخلط في الأدوية الموافقة للأورام، كالسرطان والقوابي الرديئة، قال الرازي: الاكتحال منها ينفع الطرفة في العين، وإذا طلي بها مسحوقة قتلت القمل، وإذا طبخت في زيت أبرأ ذلك الزيت داء الثعلب وزعم القدماء من الأطباء: أنه إذا جعل شيء منها من خرقة حمراء وعلقت على من به حمى أبرأته بخاصية عجيبة.

الذرع: بالتحريك ولد البقرة الوحشية تقول منه أذرعت البقرة فهي مذرع.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠. (٢) سورة الأعراف: الآية١٧٢.

الذعلب: والذعلبة الناقة السريعة، وفي حديث سواد بن مطرف الذعلب الناقة الوجناء[1].

الذئب: يهمز ولا يهمز وأصله الهمزة والأنثى ذئبة، وجمع القلة أذؤب، وجمع الكثرة ذئاب وذؤبان. ويسمى الخاطف والسِّيد والسرحان وذؤالة والعمّلس والسلق، والأنثى سلقة والسمسام، وكنيته أبو مذقة لأنه لونه كذلك قال الشاعر:

حتى إذا جُن الظلامُ واختلطْ جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قطْ

ومن كناه الشهيرة أبو جعدة. قال عبيد بن الأبرص[2] للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة حين أراد قتله:

وقالوا: هي الخمر تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعدة

ضربه مثلاً أي تظهر لي الإكرام وأنت تريد قتلي. كما أن الخمرة، وإن سميت طلاء وحسن إسمها، فإن فعلها قبيح. وكذلك الذئب، وإن حسنت كنيته فإن فعله قبيح. والجعدة الشاة وقيل: نبت طيب الريح ينبت في الربيع ويجف سريعاً وسئل ابن الزبير عن المتعة؟ فقال: الذئب يكني أبا جعدة. يعني أن المتعة حسنة الإسم قبيحة المعنى، كما أن الذئب حسن الكنية قبيح الفعل. ومن كناه أبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة وأبو العطلس وأبو كاسب وأبو سبلة. ومن أصحابه الشهيرة أو يس مصغراً، ككميت وحيف. قال الشاعر الهذلي:

يا ليت شعري عنك والأمر عممْ ما فعل اليومَ أويسُ بالغنمْ

ومن أوصافه الغبش، وهو لون كلون الرماد يقال: ذئب أغبش وذئبة غبشاء. وروى الإمام أحمد وأبو يعلي الموصلي وعبد الباقي بن قانع أن الأعشى الشاعر المازني الحرمازي، وإسمه عبد الله بن الأعور، كانت عنده امرأة يقال لها معاذة، فخرج في شهر رجب يمير أهله من هجر، فهربت امرأته ناشزة عليه، فعاذت برجل منهم يقال له مطرف بن بهصل بن كعب بن قميع بن دلف بن أهصم بن عبدالله بن الحرماز، فجعلها خلف ظهره، فلما قدم لم يجدها في بيته فأخبر بخبرها فطلبها منه، فلم يدفعها إليه وكان مطرف أعز منه في قومه فأتى النبي ﷺ فعاذ به وأنشأ يقول:

يا سيدَ الناس وديّان العربْ أشكو إليك ذربةً من الذربْ
كالذئبة الغبشاء في ظلِّ السَّرَبْ خرجت أبغيها الطعام في رجبْ
فخالفتني بنزاع وهربْ وقذفتني بين عِيص مؤتَشَبْ[3]
أخلفت العهد ولطّت بالذنبْ وهن شرٌ غالب لمن غلبْ

فقال[4] النبي ﷺ عند ذلك: «وهن شر غالب لمن غلب». كنى عن فسادها وخيانتها

---

(١) الناقة الوجناء: الشديدة.

(٢) عبيد بن الأبرص: شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، قتله المنذر في يوم بؤسة سنة ٢٥٠ ق. هـ.

(٣) العَيص المؤتشب: الشجر الملتف. والأشبة: الذنب كما في القاموس.

(٤) رواه أحمد: ٢ ـ ٢٠٢.

بالذربة، وأصله ومن ذرب المعدة وهو فسادها. وقيل: أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها مأخوذة من قولهم: ذرب لسانه، إذا كان حاد اللسان لا يبالي بما يقول، والعيص بالعين والصاد المهملتين أصل الشجر والمؤتشب الملتف وقوله لطت بالذنب، وهو بالطاء المهملة، أراد به أنها منعته بضعها من لطت الناقة بذنبها، إذا سدت فرجها به، إذا أرادها الفحل. وقيل: أراد توارت وأخفت شخصها عنه، كما تخفي الناقة فرجها بذنبها، وكان الأعشى المذكور شكاً إلى النبي ﷺ إمرأته وما صنعت، وأنها عند رجل منهم يقال له مطرف بن بهصل، فكتب النبي ﷺ إلى مطرف: «انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه». فأتاه[1] بكتاب النبي ﷺ فقرأه عليه، فقال لها: يا معاذة هذا كتاب رسول الله ﷺ فيك وأنا دافعك إليه. فقالت: خذ لي العهد والميثاق وذمة النبي ﷺ، أن لا يعاقبني فيما صنعت، فأخذ لها ذلك ودفعها مطرف إليه فأنشأ يقول:

لعمرك ما حبي معاذة بالذي ... يغيره الواشي ولا قدم العهد
ولا سوء ما جاءت به إذ أزلها ... غواة رجال اذينا جونها بعدي

وقال الزمخشري في تفسيره قوله[2] تعالى: ﴿إن كيدكن عظيم﴾ استعظم كيد النساء على كيد الشيطان، لأنه، وإن كان في الرجال كيد، إلا أن النساء ألطف كيداً، وأنفذ حيلة، ولهن في ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجل. ومنه قوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾[3] والنفاثات من بينهن اللاتي لهن ما ليس لغيرهن من البوائق. وعن بعض العلماء أنه قال: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان، لأن الله تعالى يقول[4]: ﴿إن كيدَ الشيطان كان ضعيفاً﴾ وقال[2] في النساء: ﴿إن كيدكن عظيم﴾ وفي تاريخ[5] ابن خلكان، في ترجمة عمر بن أبي ربيعة، قال: بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت، إذ رأى امرأة تطوف بالبيت، فأعجبته فسأل عنها فإذا هي من البصرة، فكلمها مراراً، فلم تلتفت إليه وقالت: إليك عني فإنك في حرم الله في موضع عظيم الحرمة، فلما ألح عليها ومنعها من الطواف، أتت محرماً لها، وقالت له تعالى معي أرني المناسك، فحضر معها فلما رآها عمر بن أبي ربيعة عدل عنها، فتمثلت بشعر الزبرقان[6] بن بدر السعدي:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي مربض المستأسد الضاري[7]

فبلغ المنصور خبرهما، فقال: وددت أن لم تبق فتاة في خدرها إلا سمعته. وكانت ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فكان الحسن البصري يقول، إذا جرى ذكر ولادته: أي حق رفع وأي باطل وضع، وغزا في البحر فأحرقوا السفينة فاحترق، وذلك في سنة ثلاث وثمانين.

---

(١) رواه أحمد: ٢ ــ ٢٠٢.
(٢) سورة يوسف: الآية ٢٨.
(٣) سورة الفلق: الآية ٤.
(٤) سورة النساء: الآية ٧٦.
(٥) وفيات الأعيان: ٣/٤٣٦.
(٦) الزبرقان بن بدر التميمي السعدي، صحابي، من رؤساء قومه. مات سنة ٤٥. هـ.
(٧) البيت في الحيوان للجاحظ غير معزو. وفيه: «وتتقي صولة».

وللأسد والذئب في الصبر على الجوع ما ليس لغيرهما من الحيوان، لكن الأسد شديد النهم حريص رغيب شره، وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياماً لا يأكل شيئاً والذئب وإن كان أقفر منزلاً، وأقل خصباً وأكثر كداً، إذا لم يجد شيئاً اكتفى بالنسيم، فيقتات به وجوفه يذيب العظم المصمت، ولا يذيب نوى التمر، ولا يوجد الالتحام عند السفاد إلا في الكلب والذئب. ومتى التحم الذئب والذئبة، وهجم عليهما هاجم قتلهما كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأنهما إذا أرادا السفاد توخيا موضعاً لا يطؤه الإنس، خوفاً على أنفسهما ويسفد مضطجعاً على الأرض، وهو موصوف بالانفراد والوحدة، وإذا أراد العدو فإنما هو الوثب والقفز، ولا يعود إلى فريسةشبع منها أبداً. ومن عجيب امره أنه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يقظى حتى تكتفي العين النائمة من النوم، فيفتحها وينام بالأخرى ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة قال حُميد(١) بن ثور في وصفه، في أبيات مشهورة منها:

ونمت كنوم الذئب في ذي حفيظة ... أكلت طعاماً دونه وهو جائع(٢)
ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع

وهو أكثر الحيوان عواء إذا كان مرسلاً فإذا أخذ وضرب بالعصي والسيوف حتى يتقطع أو يهشم لم يسمع له صوت إلى أن يموت. وفيه من قوّة حاسة الشم، أنه يدرك المشموم من فرسخ. وأكثر ما يتعرض للغنم في الصبح وإنما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله، لأنه يظل طول ليله حارساً متيقظاً. ومن غريب أمره أنه إذا إجتمع جلده مع جلد شاة تمغط جلد الشاة، وأنه متى وطىء ورق العنصل مات من ساعته. والذئب إذا كده الجوع عوى فتجتمع له الذئاب، ويقف بعضها إلى بعض. فمن ولى منها وثب إليه الباقون وأكلوه، وإذا عرض للإنسان، وخاف العجز عنه، عوى عواء استغاثة فتسمعه الذئاب، فتقبل على الإنسان اقبالاً واحداً، وهم سواء في الحرص على أكله، فإن أدمى الإنسانُ واحداً منها، وثب الباقون على المدمي فمزقوه، وتركوا الإنسان. وقال بعض الشعراء يعاتب صديقاً له وكان قد أعان عليه في أمر نزل به:

وكنت كذئب السُّوء لما رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحال على الدم(٣)

روى البيهقي في الشعب، عن الأصمعي، قال: دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقع، فنظرت إليها فقالت: أتدري ما هذا؟ قلت: لا. قالت: جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا، فلما كبر قتل شاتنا. وقد قلت في ذلك شعراًقلت لها: ما هو؟ فأنشدته:

بقرتَ شويهتي وفجعتَ قلبي ... وأنت لشاتنا ولدُ ربيبُ(٤)

---

(١) حُميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري. شاعر جاهلي أدرك الإسلام وأسلم مات سنة ٣٠ هـ؟.

(٢) البيت في الحيوان للجاحظ: ٤٧٢/٦. وفيه: «... الذئب عن حفيظة». البيت في الشعر والشعراء ٢٤٧. وفيه: «المنايا بأخرى فهو...».

(٣) العقد الفريد: ٢٤٢/٦. وهو للفرزدق. وفي العقد: وكنا كذئب...

(٤) شويهة تصغير شاة.

غـذيـت بـدَرِّهــا وربيت فيـنـا فـمــن أنـبــاك أن أبــاك ذيــبُ
إذا كــان الــطـبــاعُ طـبــاعَ سـوء فـليس بـنـافـع فـيـهــا الأديــبُ

وهو إذا خافه إنسان طمع فيه، وإذا طمع الإنسان فيه خافه، ويقطع العظم بلسانه ويبريه بري السيف، ولا يسمع له صوت، ويقال: عوى الذئب، كما يقال عوى الكلب قال الشاعر:[1]

عوى الذئبُ فاستأنستُ للذئب إذ عوى وصـوَّت إنـســانٌ فكـدتُ أطـيـرُ[2]

وقال آخر:

ليت شعـري كيف الخلاصُ من النا س وقــد أصبحــوا ذئــابَ اعتــداء
قلتُ لمــا بـلاهم: صـدق خـبري رضي الله عــن أبي الــدرداء

أشار إلى قول أبي الدرداء: إياكم ومعاشرة الناس فإنهم ما ركبوا قلب امرىء إلا غيروه، ولا جوادَ إلا عقروه، ولا بعيراً إلا أدبروه. وروى السهيلي، في الكلام على غزوة أحد، في حديث مسند، أنه قال: لما ولد عبد الله بن الزبير نظر إليه النبي ﷺ وقال: «هو هو ورب الكعبة». فلما سمعت أمه أسماء ذلك أمسكت عن ارضاعه، فقال لها النبي ﷺ: «أرضعيه ولو بماء عينيك، كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو يقتلن دونه»[3]. وروى ابن ماجة والبيهقي عن كعب بن مالك، وقال: حديث صحيح حسن، أن النبي ﷺ قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم، بأفسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه وقد نص الله تعالى على ذم الحرص بقوله: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾[4] وروى ابن عدي عن عمرو بن حنيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئباً، فقلت: أذئب في الجنة؟ فقال: أكلت ابن شرطي». قال ابن عباس: هذا وإنما أكل ابنه فلو أكله رفع في عليين. وقد رأيته كذلك في تاريخ نيسابور للحاكم في ترجمة شيخه علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي وهو حديث موضوع.

وروى الحاكم في مستدركه بإسناد على شرط مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: بينما راع يرعى بالحرة، إذ عدا الذئب على شاة فحال الراعي بينه وبينها فأقعى الذئب على ذنبه، وقال: يا عبد الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي! فقال الرجل: واعجبا ذئب يكلمني! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب مني، هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، فزوى الراعي شياهه إلى زاوية من زوايا المدينة، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فخرج رسول الله ﷺ فقال[5]: «صدق والذي نفسي بيده».

---

(١) هو الأصيمر السعدي الشاعر اللص الفاتك، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية. مات سنة ١٧٠ هـ.
(٢) البيت في الحيوان للجاحظ: ١/٣٧٩.
(٣) رواه مسلم في الرضاع: ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٣٠ ـ والحدود: ٢٣. ورواه النسائي في النكاح: ٥٣ والدارمي في الحدود: ١٧. وأحمد: ٥/٣٤٨، ٦/١٧٤ ـ ٢٠١.
(٤) رواه الترمذي في الزهد: ٤٣. والدارمي في الرقاق: ٢١. وأحمد: /٤٥٦ ـ ٤٦٠.
(٥) رواه البخاري أنبياء: ٥٤. فضائل الصحابة: ٥ ـ ٦. ورواه مسلم في فضائل الصحابة: ١٣. ورواه الترمذي في المناقب: ١٧. وابن ماجة أضاحي: ٩. وأحمد: ٢/٢٤٦.

**فائدة**: قال ابن عبد البر وغيره: كلم الذئب من الصحابة ثلاثة: رافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلمي رضي الله تعالى عنهم. قال: ولذلك تقول العرب: هو كذئب أهبان يتعجبون منه، وذلك أن أهبان بن أوس المذكور كان في غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح به أهبان فأقعى الذئب وقال: أتنزع مني رزقاً رزقنيه الله تعالى؟ فقال أهبان: ما سمعت ولا رأيت أعجب من هذا ذئب يتكلم، فقال الذئب: أتعجب من هذا! ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات وأومأ بيده إلى المدينة يحدث بما كان وبما يكون، ويدعو الناس إلى الله وإلى عبادته وهم لا يجيبونه، قال أهبان بن أوس: فجئت النبي ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت، فقال لي: «حدث به الناس». قال عبد الله بن أبي داود السجستاني الحافظ فيقال لأهبان: مكلم الذئب ولأولاده أولاد مكلم الذئب، ومحمد بن الأشعث الخزاعي من ولده واتفق مثل ذلك لرافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع انتهى. وقال البخاري[1]: أنبأنا شعيب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما راع في غنمه إذا عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب، وقال: من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري. وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه وكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكني خلقت للحرث. فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم، وبقرة تتكلم. فقال النبي ﷺ آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر؟ قال ابن الأعرابي: السبع بسكون الباء الموضع الذي عنده المحشر يوم القيامة. أراد من لها يوم القيامة. وقيل: هذا التفسير يفسد بقول الذئب في تمام الحديث يوم لا راعي لها غيري، والذئب لا يكون لها راعياً يوم القيامة. وقيل أراد من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هَمَلاً لا راعي لها نهبة للسباع والذئاب، فجعل السبع لها راعياً إذ هو منفرد بها. ويكون حينئذ بضم الباء. وهذا انذار ربما يكون من الشدائد والفتن التي تأتي حتى يهمل الناس فيها مواشيهم وتتمكن منها السباع بلا مانع. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى[2] يوم السبع عيد كان لهم في الجاهلية يشتغلون فيه بلهوهم ولعبهم وأكلهم فيجيء الذئب فيأخذها وليس هو بالسبع الذي يفترس الناس. قال: وأملاه أبو عامر العبدي الحافظ بضم الباء وكان من العلم والاتقان بمكان. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال[3]: «كانت امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بابن أحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان فأخبرتاه بذلك فقال سليمان عليه الصلاة والسلام: ائتوني بالسكين أشقه بينكما نصفين فقالت الصغرى: لا ويرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى». قال أبو هريرة

---

(١) رواه البخاري في الأنبياء: ٥٤ وفضائل الصحابة: ٥ ــ ٦. وغير كما تقدم.

(٢) مَعْمر بن المثنى التيمي بالولاء، أبو عبيدة النحوي اللغوي الأديب. له نحو من مئتي مصنف. مات سنة ٢٠٩ هـ. ويقال إنه كان إباضيا معتزلياً شعوبياً.

(٣) رواه البخاري في الفرائض: ٣٠، والحرث: ٤، والأنبياء: ٤٠، ورواه مسلم في المساجد: ٣٣، والأقضية: ٢٠، وأبو داود في الصلاة: ١٦٧، والنسائي في السهو: ٢٠. وابن ماجه في الصيد: ١٤، وابن حنبل: ٢ ــ ٣٢٢.

رضي الله تعالى عنه والله ما سمعت بالسكين قط، إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية واستدل بهذا الحديث من جوز أن المرأة تستلحق اللقيط، وأنه يلحقها لأنها أحد الأبوين. ونقله صاحب التقريب عن ابن سريج والأصح أنه لا يلحقها إذا استلحقته لإمكان إقامة البينة على الولادة بطريق المشاهدة بخلاف الرجل. وفيه وجه ثالث يلحق الخلية دون المزوّجة، لتعذر الإلحاق بها دونه، وإذا قلنا يلحقها بالإستلحاق. وكان لها زوج لم يلحقه في الأصح وليس المراد بالزوج من هي في عصمته، بل كونها فراشاً، لشخص لوثبت نسب اللقيط منها بالبينة، لحق صاحب الفراش سواء كانت في العصمة أو في العدة. وروى الإمام أحمد والطبراني بإسناد جيد أن النبي ﷺ قال: «الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاسية إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد»[1]. وفي تاريخ ابن النجار عن وهب بن منبه قال: بينما امرأة من بني إسرائيل، على ساحل البحر تغسل ثيابها، وصبي لها يدب بين يديها، إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها، فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبي، فجعلت تعدو خلفه وتقول: يا ذئب ابني يا ذئب ابني، فبعث الله مَلَكاً فنزع الصبي من فم الذئب ورمى به إليها. وقال: لقمة بلقمة. وهو في الحلية عن مالك بن دينار وقال: أخذ السبع صبياً لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة. وروى الإمام أحمد في الزهد عن سالم بن أبي الجعد، قال: خرجت امرأة وكان معها صبي لها، فجاء الذئب فاختلسه منها فخرجت في أثره وكان معها رغيف، فعرض لها سائل فأعطته الرغيف، فجاء الذئب بصبيها فرده عليها وقد تقدم نظير ذلك عنه في باب الهمزة في الأسود السالخ. قال ابن سعد كان موسى بن أعين راعياً بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الذئاب والشاه والوحش ترعى في موضع واحد فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئاب لشاة، فقلنا ما نرى الرجل الصالح إلا قد مات، فنظرنا فإذا عمر بن عبد العزيز قد مات تلك الليلة، وذلك لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة كما تقدم في الأوز وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر. وروى الإمام أحمد في الزهد أيضاً عن مالك بن دينار قال: لما استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس، قال رعاة الشاة: من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس؟ قيل لهم: وما أعلمكم بذلك قالوا إنه إذا ولي على الناس خليفة عدل كفت الذئاب والأسد عن شياهنا.

**الحكم**: يحرم أكله لتقويته بنابه.

**الأمثال**: وصفته العرب بأوصاف مختلفة فقالوا[2]: «أغدر من ذئب». واختل[3] وأخبث[4] واخون[5] وأجول وأعتى وأعوى وأظلم[6] وأحرأ وأكسب[7] وأجوع[8] وأنشط[9] وأوقح[10]

---

(١) رواه ابن حنبل: ٥ ـ ٢٣٣ ـ ٢٤٣.
(٢) جمهرة الأمثال: ١/١٣٦.
(٣) جمهرة الأمثال: ١/٣٥٥.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/٣٧٥.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٣٥٦.
(٦) جمهرة الأمثال: ٢/٢٧.
(٧) جمهرة الأمثال: ٢/١٤٦.
(٨) جمهرة الأمثال: ١/٢٦٨.
(٩) جمهرة الأمثال: ٢/٢٥١.
(١٠) جمهرة الأمثال: ٢/٢٧٥.

واجسر وأيقظ[١] وأعق[٢] والأم[٣] من ذئب». وقالوا: «أخوك. أم الذئب[٤]» وقالوا[٥]: «أخف رأساً من الذئب». لأنه ينام بإحدى مقلتيه كما تقدم. وسيأتي له ذكر في أمثال الغراب. وقالوا في الدعاء على العدو: رماه الله بداء الذئب أي الجوع، وقالوا: الذئب يكنى أبا جعدة كما تقدم، وقالوا[٦]: «من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم». أي ظلم الغنم، ويجوز أن يراد به ظلم الذئب، حيث كلفه ما ليس في طبعه، وأول من قال ذلك أكثم بن صيفي، وقاله عمر رضي الله تعالى عنه في قصة سارية بن حصن المشهورة، وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال في خطبته: «يا سارية بن حصن الجبل الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم». فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، ولم يفهموا مراده فلما قضى صلاته، قال له علي كرم الله وجهه: ما هذا الذي قلته؟ قال: أو سمعته؟ قال: نعم. أنا وكل من في هذا المسجد. قال: وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم، وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه، قاتلوا من وجدوا وظفروا، وإن جاوزوه هلكوا فخرج مني هذا الكلام، فجاء البشير بعد شهر، فذكر أنهم سمعوا في ذلك اليوم، في تلك الساعة حين جاوزوا الجبل، صوتاً يشبه صوت عمر رضي الله تعالى عنه يقول: يا سارية بن حصن الجبل الجبل! فعدلوا إليه ففتح الله عليهم. كذا نقله في تهذيب الأسماء واللغات، وفي طبقات ابن سعد وأسد الغابة أنه سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر. وأنشدوا في معنى هذا المثل البيت:

وراعي الشام يحمي الذئب عنها ... فكيف إذا الرعاةُ لها ذئابُ!

كان يحيى[٧] بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى يقول لعلماء الدنيا في زمانه: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية[٨] وبيوتكم كسروية، وأثوابكم طالوتية، وأخفافكم جالوتية، وأوانيكم فرعونية، ومراكبكم قارونية، وموائدكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين المحمدية.

الخواص: إذا علق رأس الذئب في برج حمام لم يقر به سنور ولا شيء يؤذي الحمام. وكعب الذئب الأيمن إذا علق على رأس رمح، ثم إجتمع عليه جماعة لم يصلوا إليه ما دام الكعب معلقاً على رمحه. وعينه اليمنى من علقها عليه لم يخف لصاً ولا سبعاً. وخصيته إذا شقت وملحت بملح وسقي منها وزن مثقال بماء الجرجير من به وجع الخاصرة ابرأه، وهو نافع أيضاً لذات الجنب إذا شرب منها بماء حار وعسل. ودمه ينفع من الصمم إذا ديف بدهن الجوز وقطر في الأذن. ودماغه يداف بماء السذاب والزيت ويدهن به الجسد ينفع من كل علة ظاهرة وباطنة في البدن من البرد.

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٣٣٨.
(٢) جمهرة الأمثال: ٢/٦٠.
(٣) جمهرة الأمثال: ٢/٦١.
(٤) جمهرة الأمثال: ١/١٣٧.
(٥) جمهرة الأمثال: ١/٣٤٦.
(٦) جمهرة الأمثال: ٢/٢١٤.
(٧) يحيى بن مُعاذ بن جعفر الرازي، واعظ، زاهد من أهل الري. مات بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ.
(٨) قيصرية: نسبة إلى قيصر ملك الروم، وكسروية: نسبة إلى كسرى ملك الفرس. طالوتية: نسبة إلى طالوت. جالوتية: نسبة إلى جالوت. وقارونية: نسبة إلى قارون. كل ذلك كناية عن كثرة التنعم، والاختلاف والفرقة.

وأنيابه وجلده وعينه إذا حملها الإنسان معه غلب خصمه، وكان محبباً إلى الناس جميعاً وكبده تنفع من وجع الكبد. وقضيبه إذا شوي في الفرن ومضغت منه قطعة هيجت الباه، وإذا خلطت مرارته بالعسل أو بالماء ولطخ بها الذكر وقت الجماع أحبت المرأة الرجل حباً شديداً. وإذا علق ذنب الذئب على معلف بقر لم تقرب إليه ما دام معلقاً، وإن أجهدها الجوع. وإن بخر موضع بزبله لم يقربه الفأر. وقيل: يجتمع إليه الفأر، وإذا إجتمع جلده وجلد شاة في موضع واحد تجرد جلد الشاة كما تقدم. ومن أدمن الجلوس على جلده أمن من القولنج، وإذا علق وتر من ذنبه على شيء من الملاهي وضرب بها تقطعت جميع أوتار الغنم التي تكون على الملاهي، ولم يسمع لها صوت، وإذا بخر بجلد الذئب حانوت من يعمل الدفوف التي تلعب بها النساء، تشققت وإن اتخذ طبل من جلده وضرب به بين طبول تشققت الطبول كلها. وشحمه ينفع من داء الثعلب، وشرب مرارته ينفع من استرخاء البطن، وإذا لطخ بها على الإحليل جامع الرجل ما شاء، وإذا طلي بمرارته مع مرارة نسر ودهن الزنبق هيج الباه وأنعظ. وربما أنزل من لذة ذلك وإذا ديفت مرارته بدهن ورد ودهن بها الرجل حاجبيه أحبته المرأة إذا مشي بين يديها. وإذا خلطت مرارته بورس وطلي بها الوجه أذهب البهق. وعين الذئبة إذا علقت على من يصرع تمنع من الصرع، وإن أخذ عظم من العظام التي توجد في ذيل الذئب، وخدش بها الضرس الوجع أبرأه من وقته. وقال جالينوس: يسعط بمرارة الذئب ودهن البنفسج من به الشقيقة المزمنة، فأنه يبرأ. وإن سعط بذلك المولود أمن من الصرع ما عاش. وعيناه إذا علقتا على صبي لم يصرع وإن أخذ جزء من مرارة الذئب وجزء من عسل لم تصبه النار واكتحل به نفع من ظلمة العين وضعف البصر. وإن عقد ذنب الذئب بإسم امرأة، لم يقدر عليها أحد من الرجال، حتى تحل العقدة. وأن خلطت مرارة الذئب بعسل، وطلي به الذكر، وجامع امرأة، فإنها تحب ذلك الرجل حباً شديداً، ودم الذئب ينضج الجراحات.

**صفة طلسم لجمع الذئاب**: يعمل تمثال ذئب من نحاس ويجوف داخله، ويوضع فيه قضيب ذئب ويصفر به فتجتمع الذئاب التي تسمع صوته إليه.

**صفة طلسم تهرب منه الذئاب**: يعمل تمثال ذئب من نحاس، ويحشى من خرء ذئب، ويدفن في أي موضع أردت فإن الذئاب تهرب من ذلك الموضع.

**التعبير**: تدل رؤيته على الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم. وقيل: الذئب في الرؤيا لص غشوم ظلوم وجروه ولد لص، فمن رأى جرو ذئب فإنه يربي لصاً لقيطاً، وإن تحوّل الذئب حيواناً انسياً كالخروف وشبهه فإنه لص يتوب ومن رأى ذئباً دخل داره فليحذر اللصوص، ومن رأى ذئباً فإنه يتهم إنساناً ويكون المتهم بريئاً لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام. ومن رأى ذئباً وكلباً واجتمعا على النفاق والمكر والخديعة والله أعلم.

**ذؤالة**: إسم للذئب كأسامة للأسد وهو معرفة. سمي بذلك لأنه يذأل في مشيته وهي المشية الخفيفة.

وفي الحديث أن النبي ﷺ مر بجارية سوداء ترقص صبياً لها وتقول **ذؤال يا ابن القرم**

يا ذؤال، فقال النبي ﷺ: «لا تقولي ذؤال فإنه شر السباع، وذؤال ترخيم ذؤالة والقرم السيد».

**الذيخ**: بكسر الذال ذكر الضباع الكثير الشعر والأنثى ذيخة والجمع ذيوخ وأذياخ وذيخة. روى البخاري في أحاديث الأنبياء، وفي التفسير عن إسماعيل بن عبد الله قال: حدثني أخي عبد الحميد، وعن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يلقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم عليه السلام: ألم أقل لك أن لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أن يكون أبي في النار؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، فيقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»(1). ورواه النسائي والبزار والحاكم في آخر المستدرك. عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة يريد أن يدخله الجنة قال: فينادي إن الجنة لا يدخلها مشرك لأن الله حرم الجنة على كل مشرك، قال: فيقول: «أي رب أبي فيحول في صورة قبيحة، وريح منتنة فيتركه». قال: فكان أصحاب النبي ﷺ يرون أنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يزدهم رسول الله ﷺ على ذلك. ثم قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ثم روى الحاكم عن حماد بن سلمة عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول: يا أبت أي ابن كنت لك فيقول: خير ابن فيقول: هل أنت مطيعي اليوم؟ فيقول: نعم. فيقول خذ بازرتي فيأخذ بازرته ثم ينطلق حتى يأتي الله وهو يعرض الخلق، فيقول: يا عبدي إدخل من أي أبواب الجنة شئت فيقول: أي رب وأبي معي فإنك وعدتني أن لا تخزيني. قال: فيمسخ الله أباه ضبعاً ثم يلقي في النار فيؤخذ بأنفه، فيقول الله تعالى: يا عبدي أبوك هو فيقول لا وعزتك». ثم قال: صحيح على شرط مسلم، وفي حديث خزيمة بن ثابت أو ابن حكيم السلمي البهزي وليس بالأنصاري: «والذيخ محرنجم أي كالح منقبض من شدة الجذب». وهو حديث طويل شرحه ابن الأثير في أوائل كتاب مثال الطالب، والحكمة في كونه مسخ ضبعاً، دون غيره من الحيوان أن الضبع أحمق الحيوان، كما سيأتي إن شاء الله، في أمثال الضبع. ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له. ولذلك قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا أكون كالضبع تسمع اللدم فتخرج حتى تصاد. واللدم الضرب الخفيف، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه، وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق. لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده، فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك. ويقال لها وهي في جحرها: أطرقي أم طريق خامري أم عامر أبشري بجراد عطلى وشاة هزلى، فلا يزال يقال لها ذلك، حتى يدخل عليها الصائد، فيربط يديها ورجليها، ثم يجرها. ولأن آزر لو مسخ كلباً أو خنزيراً لكان فيه تشويه الخلقة، فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه الصلاة والسلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة. قال في المحكم: يقال ذيخته أي ذللته فلما خفض إبراهيم لأبيه جناح الذل من الرحمة، فلم يقبل حشر، بصفة الذل يوم القيامة. وهذه الحكمة هي أحد الأسباب

---

(1) رواه البخاري في تفسير سورة: ٢٦.

الباعثة على تأليف هذا الكتاب كما تقدم في خطبته والله أعلم.

## باب الراء المهملة

**الراحلة**: قال الجوهري: هي الناقة التي تصلح لأن ترحل، وكذلك الرحول ويقال الراحلة المركب من الإبل ذكراً كان أو أنثى انتهى. والهاء فيها للمبالغة كالتي في داهية وراوية وعلّامة. وإنما سميت راحلة لأنها ترحل أي يشد عليها الرحل فهي فاعلة بمعنى مفعولة كقوله[1] تعالى: ﴿**فهو في عيشة راضية**﴾ أي مرضية. وقد ورد فاعل بمعنى مفعول في عدة مواضع من القرآن العظيم. كقوله[2] تعالى: ﴿**لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم**﴾ أي لا معصوم. وكقوله[3] تعالى: ﴿**ماء دافق**﴾ أي موفوق. وكقوله[4] تعالى: ﴿**حرما آمنا**﴾ أي مأموناً. وفيه جاء أيضاً مفعول بمعنى فاعل، كقوله[5] تعالى: ﴿**حجاباً مستوراً**﴾ أي ساتراً، و ﴿**كان وعده مأتياً**﴾[6] أي آتياً. قال الحريري[7]: وقد يكنى عن النعل بالراحلة، لأنها مطية القدم وإليها أشار الشاعر بقوله ملغزاً:

رواحلنا ست ونحن ثلاثة نجنبهن الماء في كل مورد

روى البيهقي في الشعب، في أواخر الباب الخامس والخمسين، أن النبي ﷺ، قال: «من مشى عن راحلته عقبة فكأنما أعتق رقبة». قال أبو أحمد: العقبة ستة أميال، وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: «الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة[8]». وقال البيهقي في سننه في باب إنصاف الخصمين في الدخول على القاضي والاستماع منهما والإنصاف لهما هذا الحديث يتأول على أن الناس في أحكام الدين سواء، لا فضل فيها الشريف على مشروف، ولا لرفيع على وضيع، كالإبل المائة لا يكون فيها راحلة، وهي الذلولة التي ترحل وتركب. وذكر قبله عن ابن سيرين أنه قال: كان أبو عبيدة بن حذيفة قاضياً، فدخل عليه رجل من الأشراف، وهو يستوقد ناراً، فسأله حاجة، فقال له أبو عبيدة: أسألك أن تدخل أصبعك في هذه النار، قال سبحان الله. قال: أبخلت علي بإصبع من أصابعك أن تدخله في هذه النار، وتسألني إدخال جسمي كله في نار جهنم؟ وقال ابن قتيبة: الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره، وهي كاملة الأوصاف، فإذا كانت في ابل عرفت. قال: ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب بل هل أشباه كالإبل المائة. وقال الأزهري: الراحلة عند العرب، الجمل النجيب[9] والناقة النجيبة.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ٢١.
(٢) سورة هود: الآية ٤٣.
(٣) سورة الطارق: الآية ٦.
(٤) سورة العنكبوت: الآية ٦٧.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٤٥.
(٦) سورة مريم: الآية ٦١.
(٧) الحريري: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري، البصري، الأديب الكبير صاحب «المقامات» الحريرية. «ودرّة الغواص». مات بالبصرة سنة ٥١٦ هـ.
(٨) رواه البخاري في الرقاق: ٣٥. ومسلم في فضائل الصحابة: ٢٣٢.
(٩) أبو العباس القرطبي.

قال: والهاء فيها للمبالغة، كما يقال: رجل نسّابة وداهية. قال: والمعنى الذي ذكره ابن قتيبة غلط، بل معنى الحديث أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها الراغب في الآخرة قليل جداً، كقلة الراحلة في الإبل هذا كلام الأزهري. قال الإمام النووي وهو أجود من كلام ابن قتيبة. وأجود منهما قول آخرين: أن المرضى الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم جداً كقلة الراحلة في الإبل. قالوا: والراحلة البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار. وقال الإمام العلامة الحافظ أبو العباس القرطبي، شيخ المفسرين في زمانه: الذي يقع لي أن الذي يناسب التمثيل بالراحلة، إنما هو الرجل الكريم الجواد الذي يتحمل كل الناس وأثقالهم، بما يتكلف من القيام بحقوقهم والغرامات عنهم وكشف كربهم. فهذا هو القليل الوجود بل قد يصدق عليه إسم المفقود. قلت: وهذا أشبه القولين والله أعلم.

الرأل: ولد النعام والأنثى رألة والجمع رئال ورئلان. وسيأتي ذكر النعام في باب النون إن شاء الله تعالى.

الراعي: بالراء والعين المهملتين طائر متولد بين الورشان والحمام وهو شكل عجيب. قاله القزويني وقال[1] الجاحظ: إنه متولد بين الحمام والورشان وهو كثير النسل، ويطول عمره وله فضل وعظم في البدن والفرخ عليهما زلة في الهدير قرقرة ليست لأبويه، حتى صارت سبباً للزيادة في ثمنه وعلة للحرص على اتخاذه وقد ضبطه بعض مصنفي العصر بالزاي والغين المعجمتين وهو وهم.

الربّى: على وزن فعلى بالضم: الشاة التي وضعت حديثاً، وإن مات ولدها فهي أيضاً ربى وقيل: ربابها ما بينها وبين عشرين يوماً، وقيل: هي ربى ما بينها وبين شهرين من وضعها، وخصها أبو زيد بالمعز وغيره بالضأن وقيل: الربى من المعز والرعوث من الضأن وجمعها رباب بالضم. قلت: وقد جاء الجمع على فعال في خمس عشرة كلمة رباب جمع ربى، ورخال الآتي في الباب. ورذال جمع رذل، وبساط جمع بسط، وناقة بسيطة أي هزيلة وتؤام تقول هذا در تؤام أي من التوأمين ونذال جمع نذل، ورعاة جمع راع، وقماء جمع قميء أي حقير، وجمال مع جمل، وسحاح جمع سح، المطر أي كثرة أنصبابه، وعراق جمع عرق. قال علي كرم الله وجهه: الدنيا أهون على الله من عراق خنزير بيد أجذم. وظؤار جمع ظئر وهي الدابة وثناء جمع ثني واحد أثناء الشيء، وعزاز جمع عزيز وفرار جمع فرير وهو الظبي.

الرُّباح: بفتح الراء الموحدة المخففة: دويبة كالسنور، وهي التي يجلب منها الزُّباد[2]، وهذا هو الصواب في التعبير ووهم الجوهري فقال في النسخة التي بخطه: الرباح إسم دويبة يجلب منها الكافور وهو وهم عجيب. فإن الكافور صمغ شجر بالهند والرباح نوع منه فكأن الجوهري لما سمع أن الزباد يجلب من الحيوان سرى ذهنه إلى الكافور، فذكره. وسيأتي ذكره في باب الزاء المعجمة، فلما رأى ابن القطاع هذا الوهم، أصلحه فقال: والرباح بلد يجلب منه

---

(١) الحيوان للجاحظ: ٣/١٦٣.

(٢) الزّباد: طيب يرشح من تحت ذنب السِّنّور أو الرّباح.

الكافور، وهو أيضاً وهم، لأن الكافور صمغ شجر يكون داخل الخشب ويتخشخش فيه إذا حرك فينشر ويستخرج وقد أجاد ابن رشيق[1] بقوله:

فكرت ليلةَ وصلها في صدها ... فجرت بقايا أدمعي كالعندم[2]
فطفقت أمسح مقلتي في نحرها ... إذ عادة الكافور إمساك الدم[3]

**الرُّباح**: بضم الراء المهملة وتشديد الباء الموحدة ذكر القرود وسيأتي حكمه.

**الأمثال**: قالوا[4]: «أجبن من رباح».

**الرُّبع**: بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة الفصيل كأنه لغة في الربع والربح أيضاً طائر قاله الجوهري.

**الربية**: دويبة بين الفأر وأم حبين قاله ابن سيده وقال غيره هي الفأر.

**الرتوت**: الخنازير. قاله الجوهري بعد أن قال: الرت الرئيس وهؤلاء رتوت البلد. وقال في المحكم: الرت شيء يشبه الخنزير البري، وجمعه رتوت. وقيل هي الخنازير الذكور وقد تقدمت في باب الخاء المعجمة.

**الرُّتَيلا**: بضم الراء المهملة وفتح الثاء المثلثة جنس من الهوام ويمد أيضاً وسيأتي ذكرها في آخر الصيد وقال الجاحظ: الرتيلا نوع من العناكب وتسمى عقرب الحيات، لأنها تقتل الحيات، والأفاعي انتهى. وقال أبو عمر وموسى القرطبي الإسرائيلي: الرتيلا إسم يقع على أنواع كثيرة من الحيوان. وقيل: إنها ستة أنواع، وقيل: ثمانية وكلها من أصناف العنكبوت. وذكر حذاق الأطباء أن أعظم هذه الأنواع شراً: المصرية، أما النوعان الموجودان في البيوت، في أكثر البلاد، فهما العنكبوت ونكايتهما قليلة. وأما بقية الأنواع الأخرى من الرتيلات فإنها توجد غالباً في الأرياف، ومنها نوع له زغب، وأهل مصر يسمونه أبا صوفة. ونهش هذه الأنواع كلها قريب من لسع العقرب وسيأتي ذكرها في الصاد في الصيدان إن شاء الله تعالى. ومن خواصها أن شرب دماغها مع شيء من الفلفل ينفع من سمها.

وهي في الرؤيا تدل على امرأة مؤذية مفسدة لما يصلحه الناس من نسج ناقضة لما يبرمونه منه. وقيل: هي في الرؤية عدو قتال حقير المنظر شديد الطعنة والله أعلم.

**الرِّخل**: الأنثى من ولد الضأن والجمع رخال كما تقدم.

**الرُّخ**: بالخاء المعجمة في آخره طائر في جزائر بحر الصين يكون جناحه الواحدة عشرة

---

(١) ابن رشيق هو أبو علي، الحسن بن رشيق، المعروف بالقيرواني، أديب بليغ ناقد. توفي سنة ٤٦٣ هـ. بمازر في صقلية. والبيتان مع ترجمته في وفيات الأعيان: ٢/٨٧.

(٢) في الوفيات: «فكرت ليلة وصلة في صدّه». والعندم: دم الأخوين أو البَقَّم.

(٣) في الوفيات: «... أمسح ناظري في نحرهِ ... إذ شيمة...».

(٤) جمهرة الأمثال: ١/٢٦٤.

آلاف باع، ذكره الجاحظ وأبو حامد الأندلسي قال: وقد كان وصل إلى أرض المغرب رجل من التجار ممن سافر إلى الصين وأقام بها مدة وكان عنده أصل ريشة من جناحه، كانت تسع قربة ماء وكان يقول: إنه سافر مرة في بحر الصين فألقتهم الريح إلى جزيرة عظيمة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب، فرأوا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع، ولها لمعان بريق فعجبوا منها فلما دنوا منها إذا هي بيضة الرخ، فجعلوا يضربونها بالخشب والفؤوس والحجارة حتى انشقت عن فرخ كأنه جبل، فتعلقوا بريشة من جناحه فجروه، فنفض جناحه، فبقيت هذه الريشة معهم وخرج أصلها من جناحه، ولم يكمل بعد خلقه فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه وقد كان بعضهم طبخ بالجزيرة قدراً من لحمه، وحركها بعود حطب ثم أكلوه. وكان فيهم مشايخ فلما أصبحوا إذ هم قد اسودت لحاهم ولم يشب بعد ذلك من أكل من ذلك الطعام. وكانوا يقولون: إن ذلك العود الذي حركوا به القدر من عود شجرة النشاب، قال: فلما طلعت الشمس، إذا بالرخ قد أقبل في الهواء كأنه سحابة عظيمة في رجله حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسرعة فوقع الحجر في البحر وسبقت السفينة ونجاهم الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته. والرخ من أدوات الشطرنج والجمع رخاخ ورخخة قال ابن سيده وقد أجاد سري الرفاء[1] حيث قال:

وفـتـيـةٍ زَهَـرُ الآداب بـيـنـهـم ... أبهى وأنضرُ من زهـر الريـاحين
راحوا إلى الراح مِشي الرّخ وانصرفوا ... والـراحُ يمشي بهم مشيَ الـبراذين[2]

ومن مستحسن شعره قوله[3]:

بـنـفسي مـن أجـود لـه بـنـفسي ... ويبخـل بـالـتحـيـة والسـلام
وحتـفـي كـامـنٌ في مـقـلـتيـه ... كُـمـونَ المـوتِ في حـدّ الحسـام

**التعبير**: الرخ في المنام يدل على أخبار غريبة، وأسفار بعيدة، وربما دل على الهذرَ في الكلام الصحيح والسقيم. وكذلك العنقاء والله أعلم. وسيأتي حكمها في باب العين المهملة.

**الرخمة**: بالتحريك طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة، وكنيتها أم جعفران وأم رسالة وأم عجيبة وأم قيس وأم كبير، ويقال لها الأنوق والجمع رخم والهاء فيه للجنس قال الأعشي:

يـا رَخَمـاً قـاظَ عـلى مـطلوب ... يُعجِـل كفَّ الخـارىءِ المـطِيْبِ[4]

---

(١) السري الرفاء: هو أبو الحسن السَّريُّ بن أحمد بن السَّري الرفاء الموصلي الشاعر، كان في صباه يرفو ويطرز، مدح سيف الدولة وغيره من الرؤساء شعره عذب غني بالتشبيهات واجمل ما فيه الأوصاف. مات سنة ٣٦٢ هـ.

(٢) وفيات الأعيان: ٣٦١/٢. وفي البيت الثاني: «تمشي بهم مشيَ الفرازين». والراح: الخمرة، والبراذين: جمع البرذون: دابة كالحمار.

(٣) وفيات الأعيان: ٣٦١/٢.

(٤) ديوان الأعشي: ٢٦٥. وفي الديوان: «. . . على ينخوب» والينخوب: الجبان.

مطلوب إسم جبل، والمطيب معناه الذي يطلب طيب النفس بالاستنجاء. ومنه الاستطابة وتسمى الرخمة بالأنوق كما تقدم. ويقال لها ذات الإسمين لذلك، وهي تحمق مع تحرزها. قال الكميت:

وذات إسمين والألوان شتى تحمق وهي كيّسةُ الحويل

أي الحيلة، وذكر عند الشعبي الروافض، فقال: لو كانوا من الدواب لكانوا حمراً، ولو كانوا من الطير لكانوا رخماً. ومن طبع هذا الطائر أنه لا يرضى من الجبال إلا بالموحش منها، ولا من الأماكن إلا باسحقها وأبعدها من أماكن أعدائه، ولا من الهضاب إلا بصخورها. ولذلك تضرب العرب المثل بالامتناع ببيضه فيقولون: «أعز من بيض الأنوق»[1]. كما تقدم. والأنثى منه لا تمكن من نفسها غير ذكرها، وتبيض بيضة واحدة وربما أتأمت وهي من لئام الطير، وهي ثلاثة: البوم والغراب والرخمة.

**وحكمها**: تحريم الأكل كما تقدم. روى البيهقي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «نهى رسول الله ﷺ عن أكل الرخمة»[2]. وإسناده ليس بالقوي وقال الإمام العلامة القرطبي، في تفسير آخر سورة الأحزاب: **﴿كالذين آذوا موسى بقولهم أنه قتل أخاه هارون فتكلمت الملائكة بموته ولم يعرف موضع قبره إلا الرخمة فلذلك جعله الله أصم أبكم﴾** وكذلك رواه الحاكم في المستدرك وفي كتاب تواريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وقال الزمخشري: إنها تقول في صياحها سبحان ربي الأعلى.

**الأمثال**: قالوا: «أحمق من رخمة وأموق»[3]. وإنما خصت من بين الطير بذلك، لأنها ألأم الطير وأظهرها حمقاً وموقاً، وأقذرها طعماً، لأنها تأكل العذرة. وقالوا: إنطقي يا رخم فإنك من طير الله أصله أن الطير صاحت فصاحت لرخمة، فقيل لها: يهزأ بها إنك من طير الله فانطقي يضرب للرجل الذي لا يلتفت إليه ولا يسمع منه.

**الخواص**: إذا بخر البيت بريشها طرد الهوام وزبلها يداف بخل خمر ويطلى به البرص يغير لونه وينفعه. وكبدها تشوى وتسحق وتداف[4]، ويسقى ذلك لمن به جنون، كل يوم ثلاث مرات، ثلاثة أيام متوالية يشفى. وإن علق رأسها على المرأة التي عسرت ولادتها، وضعت سريعاً، والجلد الأصفر الذي على قانصة الرخمة إذا أخذ وسحق بعد تجفيفه، وشرب بشراب العسل نفع من كل سم. وعظم رأس الرخمة ينفع من وجع الرأس تعليقاً.

**التعبير**: الرخمة في الرؤيا إنسان أحمق قذر، فمن رأى أنه أخذ رخمة فإنه يقع في حرب يسفك فيه دم كثير. وقيل: من أخذ رخمة مرض مرضاً شديداً. وقالت النصارى: الرخم الكثير يدل على عسكر يحل في ذلك المكان، وهم سفلى يأكلون الحرام. وقال ارطاميدورس:

---

(١) جمهرة الأمثال: ٢/٥٥.

(٢) الكامل لابن عدي: ٣/٩٢٤، ٩٢٥.

(٣) جمهرة الأمثال: ١/٣١٧.

(٤) تُداف: تُخلط.

الرخم دليل خير لمن صنعته خارج البلد كالكّلاسين وصناع الآجر، لأن الرخم لا يدخل البلد، والرخم في المنام يدل على ناس يغسلون الموق، ويسكنون المقابر، لأن الرخم يأكل الجيفة ولا يدخل المدن، ومن رأى رخمة في دار وكان فيها مريض، فإنه يموت. وإن لم يكن في الدار مريض خشي على صاحب الدار من الموت أو المرض الشديد. والله أعلم.

الرشأ: بفتح الراء الظبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه والجمع أرشأ. أنشدنا شيخنا الإمام العلامة جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي(1) رحمه الله تعالى قال: أنشدنا شيخنا الشيخ أثير الدين أبو حيان(2)، قال: أنشدنا شيخنا أبو جعفر بن الزبير قال: أنشدنا أبو الخطاب بن خليل قال: أنشدنا شيخنا أبو حفص عمر بن عمر قاضي أشبيلية لنفسه، وقد أهديت إليه جارية، فتبين له أنه قد كان وطىء أمها فردها ومعها هذه الأبيات:

يا مهدي الرشا الذي ألحاظه ... تركت جفوني نصب تلك الأسهمِ
ريحانة كل المنى في شمها ... لولا المهيمن واجتناب المحرم
ما عن قلى صرفت إليك وإنما ... صيد الغزالة لم يبح للمحرم(3)
يا ويح عنترة يقول وشفه ... ما شفني وجد وإن لم أكتم
يا شاة ما قنص لمن حلّت له ... حرمت علي وليتها لم تحرم

وقال أبو الفتح البستي وأجاد:

من أين للرشا الغرير الأحور ... في الخد مثل عذارك المتحدر(4)
رشأ كأن بعارضيه كليهما ... مسكاً تساقط فوق ورد أحمرْ

الرشك: بضم الراء وإسكان الشين المعجمة، وهو بالفارسية إسم للعقرب. ذكر القاضي الإمام أبو الوليد ابن الفرضي في كتاب الألقاب، في أسماء نقلة الحديث، والخطيب أبو علي الغساني، في كتاب تقييد المهمل، والقاضي أبو الفضل عياض بن موسى، في كتاب مشارق الأنوار، والحافظ أبو الفرج بن الجوزي، وغيرهم: أن يزيد بن أبي يزيد وإسمه سنان الضبعي، مولاهم البصري الدارد المعروف بالرشك، أنه لقب بذلك لكبر لحيته قيل: إن العقرب دخل في لحيته، فأقامت ثلاثة أيام وهو لا يدري بها لعظم لحيته، وطولها، قال ابن دحية(5) في كتابع العلم المنشور: والعجب كيف لا يحس بها وكيف لا تسقط عند وضوئه للصلاة، ولعله كان لا يخلل

---

(1) الإسنوي: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي، جمال الدين، فقيه أصولي من علماء العربية، أقام في القاهرة. له مصنفات كثيرة، توفي سنة ٧٧٢ هـ.

(2) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجيّاني، أثير الدين، عالم بالعربية والتفسير والحديث، ولد في غرناطة ومات بالقاهرة سنة ٧٤٥ هـ.

(3) القلى: البغض.

(4) الرشأ: الغزال. الغرير: الصغير. الأحور. في عينه حَوَر أي بياض.

(5) ابن دحية: عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أبو الخطاب، أديب مؤرخ، محدّث من أهلَ سبتة بالأندلس. استقر بمصر ومات بالقاهرة سنة ٦٣٣ هـ.

لحيته لكبرها، أو كانت العقرب صغيرة جداً، فإختبأت بين الشعر، وأما كونها مقدرة بثلاثة أيام، فهذا التقدير كيف يصح؟ لأنه لو علم بها في أول وجودها في لحيته ما تركها! فمن أين تعلم هذه المدة؟ انتهى. والذي عندي في ذلك أنه يحتمل أن يكون في منتزه، أو كان في مكان فيه العقارب كثيرة، وكانت مدة إقامته في ذلك المكان ثلاثة أيام، فلما أصابها بعد ذلك، علم أن مبدأ وجودها كان من ذلك الوقت، وهذا أولى من تكذيب من رواه من الأئمة الأعلام. فقد روى الحاكم أبو عبد الله في كتاب علوم الحديث، له عن يحيى بن معين أنه قال: كان يزيد يسرح لحيته فخرج منها عقرب، فلقب بالرشك انتهى. والمشهور أن الرشك هوالقسام بلغة أهل البصرة، سمي بذلك لأنه كان يقسم الأرض والدور وغير ذلك. مات بالبصرة سنة ثلاثين ومائة وروى له الجماعة. قال الترمذي أبو عيسى في باب ما جاء في صوم ثلاثة من كل شهر. حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن يزيد الرشك، قال: سمعت معاذاً يقول: قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها أكان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؟ قالت: نعم. قلت: من أيها كان يصوم؟ قالت: كان لا يبالي من أيها صام. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. ويزيد الرشك هو يزيد بن أبي يزيد الضبعي، وهو يزيد القاسم، وهوالقسام. والرشك هوالقسام بلغة أهل البصرة كما تقدم.

**الرفراف**: طائر يقال له ملاعب ظله، ويقال له خاطف ظله، وسيأتي الكلام عليه في باب الميم والظليم أيضاً يقال له رفراف، لرفرفته عند عدوه والرفرف ضرب من السمك قاله ابن سيده.

**الرق**: بكسر الراء بالقاف ضرب من دواب الماء يشبه التمساح، والرق أيضاً العظيم من السلاحف وجمعه رقوق. وفي غريب الحديث كان فقهاء المدينة يشترون الرق ويأكلونه. رواه الجوهري بفتح الراء والأكثرون بكسرها.

**الركاب**: بكسر الراء الإبل، واحدتها راحلة وجمعها ركائب. وفي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث بعثاً، عليهم قيس بن سعد بن عبادة، فجهد وانتحر لهم قيس تسع ركائب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت». ويجمع أيضاً على ركب ومنه قيل: زيت ركابي، لأنه يحمل على ظهور الإبل. والركوبة ما يركب، يقال: ما له ركوبه ولا حلوبة ولا حمولة، أي ما يركبه ويحلبه. ويحمل عليه. وقرأت عائشة رضي الله تعالى عنها فمنها ركوبتهم. وجمع الركوبة ركائب انتهى. وقال السهيلي، قبيل الكلام على ما أنزل الله تعالى، في غزوة بدر: والركوبة ركائب. انتهى. ولو أراد الجمع بغير هاء لقال: ركب كعجز. كما جاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «إن الجنة لا يدخلها العجز». قالها ممازحاً لعمته صفية رضي الله عنها، وقيل: بل قالها لامرأة من الأنصار. ذكر ذلك هناد بن السري في كتاب الرقائق له.

**الركن**: الفأر ويسمى ركيناً على لفظ التصغير قاله ابن سيده.

**الرمكة**: بالتحريك الأنثى من البراذين والجمع رماك ورمكات وأرماك أيضاً عن الفراء،

مثل ثمار وأثمار ووقع في الوسيط في الباب الثاني من أبواب البيع لو قال: بعتك هذه النعجة فإذا هي رمكة ففي قول يعول على الإشارة وفي قوله آخر يعول على العبارة قال ابن الصلاح: هذا تصحيف، إنما هو هذه البغلة فإن الرمكة لا تشتبه بالنعجة.

**الرهدون**: والرهدنة بفتح الراء، طائر يشبه الحمرة يرهدن في مشيته كأنه يستدبر وجمعه رهادن، وهو كثير بمكة خصوصاً بالمسجد الحرام وهو يشبه العصافير إلا أنه أدبس.

**الروبيات**: هو سمك صغير جداً أحمر.

**الخواص**: إن طرحت رجل الروبيان في شراب من يحب الشراب ابغضه، ورقبته ينحر بها فيسقط الجنين وإذا دق الروبيان وهو طري، وضمد به موضع الشوك أو السهم الغائص في البدن أخرجه بسهولة. وإن سلق مع الحمص الأسود وضمد به السرة أخرج حب القرع. وإن جفف وسحق واكتحل به صاحب الغشاوة نفعه. وإن سحق مع سكنجبين وشرب أخرج حب القرع من الجوف. قاله عبد الملك بن زهر.

**الريم**: ولد الظبي والجمع آرام قال الشاعر:

بها العير والآرام يمشين خلفه ... وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم[1]

يقول: إذا ذهب فوج جاء فوج. وقال الأصمعي: الآرام الظباء البيض الخالصة البياض، الواحدة ريم. قال: وهي تسكن الرمال وهذا النوع من الظباء، يقال إنه ضأنها لأنه أكثرها شحماً ولحماً. وكان زكي الدين بن كامل القطيعي أبو الفضل يعرف بقتيل الريم، وأسير الهوى. توفي سنة ست وأربعين وخمسمائة. ومن شعره:

لي مهجة كادت بحر كلومها ... للناس من فرط الجوى تتكلم[2]

لم يبق منها غير أرسم أعظم ... متحدثات للهوى تتظلم[3]

**أم رباح**: بفتح الراء تخفيف الباء الموحدة وحاء مهملة طائر أغبر أحمر الجناحين والظهر يأكل العنب قاله في المرصع.

**أبو رباح**: بكسر الراء وتخفيف الباء المثناة تحت اليؤيؤ وسيأتي في آخر الكتاب.

**ذورميح**: مصغر اليربوع، ورمحه ذنبه. وقيل: هو ضرب من اليرابيع طويل الرجلين قاله ابن سيده.

---

(١) العَير: الحمار. اطلاء: جمع الطلا: ولد الغزال. مجثم: مرتع.

(٢) البيتان في فوات الوفيات: ٢/ ٢٧. والكلوم: جمع الكَلم: الجرح. الجوى: الشوق.

(٣) في الفوات: «متجردات للهوى...».

## الفهرس


مقدمة المؤلف ... ٣
مقدمة المصنف ... ٦

### باب الهمزة

الأسد ... ١٠
الإبل ... ٢٦
الأبابيل ... ٣٢
الأتان ... ٣٢
الأخطب ... ٣٤
الأخيضر ... ٣٤
الأخيل ... ٣٤
الأربد ... ٣٤
الأرخ ... ٣٥
الأرضة ... ٣٥
الأرقم ... ٣٦
الأرنب ... ٣٦
الأرنب البحري ... ٤١
الأروية ... ٤١
الأساريع ... ٤٢
الأسفع ... ٤٣
الاسقنقور ... ٤٣
الأسود السالخ ... ٤٤
الأصرمان ... ٤٥
الأصلة ... ٤٥
الأطلس ... ٤٦
الأطوم ... ٤٦
الأطيش ... ٤٦
الأغثر ... ٤٧
الأفال والأفائل ... ٤٧
الأقهبان ... ٥٥
الأملول ... ٥٥
الإنس ... ٥٥
الإنسان ... ٥٥
إنسان الماء ... ٦٩
الكم ... ٦٩
الأنقد ... ٦٩
الإنكليس ... ٧١
الأنن ... ٧١
الأنيس ... ٧١
الأنوق ... ٧١
الإوز ... ٧٢
الإلفة ... ١٥٢
الإلق ... ١٥٢
الأودع ... ١٥٢
الأورق ... ١٥٢
ايلس ... ١٥٤
الأيم والأين ... ١٥٤
الأيِّل ... ١٥٤
ابن آوى ... ١٥٦

### باب الباء الموحدة

البابوس ... ١٥٧
البازي ... ١٥٧
البازل ... ١٦٢
الباقعة ... ١٦٢
بالام ... ١٦٢
البال ... ١٦٣
الببر ... ١٦٤
الببغاء ... ١٦٤
البج ... ١٦٦
البجع ... ١٦٦
البخزج ... ١٦٦

البجاق ١٦٦
البخت ١٦٧
البدنة ١٦٧
البذج ١٦٩
البراق ١٧٠
البرذون ١٧٣
البرغش ١٧٦
البرغن ١٧٧
البرغوث ١٧٧
البرا ١٧٩
البرقانة ١٧٩
البرقش ١٧٩
البركة ١٨٠
البشر ١٨٠
البط ١٨٠
البطس ١٨٤
البعوض ١٨٤
البعير ١٩٣
البغاث ١٩٩
البغل ٢٠٠
البقر الأهلي ٢١٢
البقر الوحشي ٢٢٠
بقر الماء ٢٢١
بقرة بني إسرائيل ٢٢١
البق ٢٢٢
البكر ٢٢٣
البلبل ٢٢٥
البلح ٢٢٧
البلشون ٢٢٧
البلصوص ٢٢٧
بنات الماء ٢٢٧
بنات وردان ٢٢٧
البهار ٢٢٧
البهثة ٢٢٨
البهرمان ٢٢٨
البهمة ٢٢٨
البهيمة ٢٢٨
البوم والبومة ٢٣١
البوّة ٢٣٤
بوقير ٢٣٤
البينيب ٢٣٤
البياح ٢٣٤
أبو براقش ٢٣٤
أبو برا ٢٣٥
أبو بريص ٢٣٥

## باب التاء المثناة

التألب ٢٣٥
التبيع ٢٣٥
التبشر ٢٣٥
التثفل ٢٣٥
التدرج ٢٣٥
التخس ٢٣٥
التفلق ٢٣٥
التفه ٢٣٦
التم ٢٣٦
التمساح ٢٣٧
التميلة ٢٣٨
التنوّط ٢٣٨
التنين ٢٣٨
التورم ٢٤٠
التولب ٢٤٠
التيس ٢٤٠

## باب الثاء المثلثة

الثاغية ٢٤٨
الثرملة ٢٤٨
الثعبان ٢٤٨

ثعالة ........ ٢٥٢
الثعبة ........ ٢٥٢
الثعلب ........ ٢٥٢
الثفا ........ ٢٦٠
الثقلان ........ ٢٦٠
الثلج ........ ٢٦٠
الثني ........ ٢٦٠
الثور ........ ٢٦٠
الثول ........ ٢٦٣
الثيتل ........ ٢٦٣


## باب الجيم


الجأب ........ ٢٦٤
الجارف ........ ٢٦٤
الجارحة ........ ٢٦٤
الجاموس ........ ٢٦٤
الجان ........ ٢٦٤
الجيهة ........ ٢٦٥
الجثلة ........ ٢٦٥
الجحل ........ ٢٦٥
الجحمرش ........ ٢٦٥
الجحش ........ ٢٦٥
الجخدب ........ ٢٦٦
الجدجد ........ ٢٦٦
الجدابة ........ ٢٦٦
الجدي ........ ٢٦٦
الأجدل ........ ٢٦٧
الجذع ........ ٢٦٧
الجراد ........ ٢٦٨
الجراد البحري ........ ٢٧٤
الجرارة ........ ٢٧٤
الجرذ ........ ٢٧٤
الجرجس ........ ٢٧٦
الجوارس ........ ٢٧٦
الجرو ........ ٢٧٦
الجريث ........ ٢٧٧
الجساسة ........ ٢٨٠
جعار ........ ٢٨١
الجعدة ........ ٢٨١
الجعل ........ ٢٨١
الجعول ........ ٢٨٣
الجفرة ........ ٢٨٣
جلكى ........ ٢٨٣
الجلالة ........ ٢٨٣
الجلم ........ ٢٨٤
الجمل ........ ٢٨٤
جمل البحر ........ ٢٩١
جمل الماء ........ ٢٩١
جمل اليهود ........ ٢٩١
الجمعليلة ........ ٢٩١
جميل وجميل ........ ٢٩١
الجنبر ........ ٢٩١
الجندب ........ ٢٩١
الجندع ........ ٢٩٢
الجن ........ ٢٩٢
جنان البيوت ........ ٣٠٧
الجندبادستر ........ ٣٠٨
الجنين ........ ٣٠٨
جهبر ........ ٣١٠
الجواد ........ ٣١٠
الجواف ........ ٣١٧
الجوذر ........ ٣١٧
الجوزل ........ ٣٢٠
جيال ........ ٣٢٠
أبو جرادة ........ ٣٢٠


## باب الحاء المهملة


حائم ........ ٣٢٠

الحارية ........ ٣٢١
الحباب ........ ٣٢١
الحبتر ........ ٣٢١
الحبث ........ ٣٢١
حباحب ........ ٣٢١
الحبارى ........ ٣٢١
الحبرج ........ ٣٢٣
الحبركى ........ ٣٢٣
حبلق ........ ٣٢٣
حبيش ........ ٣٢٣
الحجر ........ ٣٢٣
الحجروف ........ ٣٢٤
الحجل ........ ٣٢٤
الحدأة ........ ٣٢٥
الحذف ........ ٣٢٨
الحر ........ ٣٢٨
الحرباء ........ ٣٢٩
الحرذون ........ ٣٣٠
الحرشاف أو الحرشوف ........ ٣٣٠
الحرقوص ........ ٣٣١
الحريش ........ ٣٣٢
الحسبان ........ ٣٣٢
الحساس ........ ٣٣٢
الحسل ........ ٣٣٢
الحسيل ........ ٣٣٣
حسون ........ ٣٣٣
الحشرات ........ ٣٣٣
الحشو والحاشية ........ ٣٣٤
الحصان ........ ٣٣٤
الحصور ........ ٣٣٦
حضاجر ........ ٣٣٦
الحضب ........ ٣٣٧
الحفان ........ ٣٣٧
الحفص ........ ٣٣٧
الحقم ........ ٣٣٧
الحلزون ........ ٣٣٧
الحلكة والحلكاء والحلكاء والحلكي ... ٣٣٧
الحمار الأهلي ........ ٣٣٨
الحمار الوحشي ........ ٣٥٩
حمار قبان ........ ٣٦٢
الحمام ........ ٣٦٣
الحمسة ........ ٣٧٤
الحمر ........ ٣٧٤
الحماط ........ ٣٧٥
الحمك ........ ٣٧٥
الحمل ........ ٣٧٥
حمنان ........ ٣٧٦
الحمولة ........ ٣٧٦
الحميمق ........ ٣٧٦
جميل حر ........ ٣٧٦
الحنش ........ ٣٧٦
الحنظب ........ ٣٧٧
الحوار ........ ٣٧٧
الحوت ........ ٣٧٨
حوت الحيض ........ ٣٨٠
حوت موسى ويوشع عليهما الصلاة والسلام ٣٨٠
الحوشي ........ ٣٨٤
الحوصل ........ ٣٨٥
الحلان ........ ٣٨٥
حيدرة ........ ٣٨٥
الحيرمة ........ ٣٨٧
الحية ........ ٣٨٧
الحيوت ........ ٤٠١
الحيدوان ........ ٤٠١
الحيقطان ........ ٤٠١
الحيوان ........ ٤٠١
أم حبين ........ ٤٠٤

أم حسان ........ ٤٠٥
أم حسيس ........ ٤٠٥
أم حفصة ........ ٤٠٥
أم حمارس ........ ٤٠٥

## باب الخاء المعجمة

الخازباز ........ ٤٠٥
الخاطف ........ ٤٠٦
خاطف ظله ........ ٤٠٦
الخبهقعي ........ ٤٠٦
الختق ........ ٤٠٦
الخدارية ........ ٤٠٦
الخدرنق ........ ٤٠٧
الخراطين ........ ٤٠٧
الخرب ........ ٤٠٧
الخرشة ........ ٤٠٨
الخرشفلا ........ ٤٠٨
الخرشنة ........ ٤٠٨
الخرق ........ ٤٠٨
الخرنق ........ ٤٠٨
الخروف ........ ٤٠٩
الخزز ........ ٤٠٩
الخشاش ........ ٤٠٩
الخشاف ........ ٤١٠
الخشرم ........ ٤١٠
الخشف ........ ٤١٠
الخضاري ........ ٤١١
الخضرم ........ ٤١١
الخضيراء ........ ٤١١
الخطاف ........ ٤١١
الخَطّاف ........ ٤١٤
الخفاش ........ ٤١٤
الخنان ........ ٤١٦
الخلنبوص ........ ٤١٦
الخلد ........ ٤١٦
الخلفة ........ ٤٢٠
الخمل ........ ٤٢٣
الخنتعة ........ ٤٢٣
الخندع ........ ٤٢٣
الخنزير البري ........ ٤٢٣
الخنزير البحري ........ ٤٢٩
الخنفساء ........ ٤٢٩
الخنَّوص ........ ٤٣٠
الختيعور ........ ٤٣١
الخيدع ........ ٤٣١
الأخيل ........ ٤٣١
الخيل ........ ٤٣١
أم خنور ........ ٤٤١

## باب الدال المهملة

الدابة ........ ٤٤١
الداجن ........ ٤٥٣
الدارم ........ ٤٥٤
الدبى ........ ٤٥٤
الدبدب ........ ٤٥٦
الدبر ........ ٤٥٦
الديسي ........ ٤٥٧
الدجاج ........ ٤٥٨
الدجاجة الحبشية ........ ٤٦٥
الدج ........ ٤٦٥
الدحرج ........ ٤٦٥
الدخاس ........ ٤٦٥
الدخس ........ ٤٦٥
الدخل ........ ٤٦٦
الدراج ........ ٤٦٦
الدرباب ........ ٤٦٧
الدرحرج ........ ٤٦٧
الدرص ........ ٤٦٧
الدرة ........ ٤٦٨
الدساسة ........ ٤٦٨

الدعسوقة ........ ٤٦٨
الدعموص ........ ٤٦٨
الدغفل ........ ٤٦٩
الدغناش ........ ٤٦٩
الدقيش ........ ٤٦٩
الدلدل ........ ٤٧٠
الدلفين ........ ٤٧٠
الدلق ........ ٤٧١
الدلم ........ ٤٧١
الدهاما ........ ٤٧٢
الدم ........ ٤٧٢
الدنة ........ ٤٧٢
الدنيلس ........ ٤٧٢
الدهانج ........ ٤٧٣
الدوبل ........ ٤٧٣
الدود ........ ٤٧٣
دؤالة ........ ٤٧٧
الدودمس ........ ٤٧٧
الدوسر ........ ٤٧٧
الديسم ........ ٤٧٧
الديك ........ ٤٧٧
ديك الجن ........ ٤٨٥
الديلم ........ ٤٨٥
ابن دأية ........ ٤٨٥
الدئل ........ ٤٨٦


## باب الذال المعجمة


ذؤالة ........ ٤٨٨
الذباب ........ ٤٨٨
الذر ........ ٤٩٤
الذراح ........ ٤٩٧
الذرع ........ ٤٩٧
الذعلب ........ ٤٩٨
الذئب ........ ٤٩٨
ذؤالة ........ ٥٠٥
الذيخ ........ ٥٠٦


## باب الراء المهملة


الراحلة ........ ٥٠٧
الرأل ........ ٥٠٨
الراعي ........ ٥٠٨
الربى ........ ٥٠٨
الرَّباح ........ ٥٠٨
الرُّباح ........ ٥٠٩
الرُّبح ........ ٥٠٩
الربية ........ ٥٠٩
الرتوت ........ ٥٠٩
الرُّثيلا ........ ٥٠٩
الرّخل ........ ٥٠٩
الرُّخ ........ ٥٠٩
الرخمة ........ ٥١٠
الرشأ ........ ٥١٢
الرشك ........ ٥١٢
الرفراف ........ ٥١٣
الرق ........ ٥١٣
الركاب ........ ٥١٣
الركن ........ ٥١٣
الرمكة ........ ٥١٣
الرهدون ........ ٥١٤
الروبيات ........ ٥١٤
الريم ........ ٥١٤
أم رباح ........ ٥١٤
أبو رباح ........ ٥١٤
ذو رميح ........ ٥١٤